بهج الصباغة

في شرح

نهج البلاغة

العلامة المحقق الحاج الشيخ محمد تقي التستري قدس سره

المجلد الثالث

www.haydarya.com

بسم الله الرحمن الرحيم

بهج الصباغة

في شرح نهج البلاغة

العلامة المحقق الحاج الشيخ محمد تقي التستري قدس سره

المجلد الثالث

دار امير كبير للنشر
تهران: ۱۳۷۶

بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة (المجلد الثالث)
المصنف : الشيخ محمدتقي التستري (قدس سره)
اعداد و ترتيب : مؤسسة نهج البلاغة
الناشر : دار اميركبير للنشر
الطبعة الاولى : (١٣٧٦ هـ ش) (١٤١٨ هـ ق) (١٩٩٧ م)
المطبعة : سبهر
عدد النسخ المطبوعة : ٢٠٠٠ نسخة

شابك ١ـ٢٦٣ـ٠٠ـ٩٦٤ ISBN 964-00-0263-1

الجمهورية الاسلامية في ايران ـ طهران ـ ص. ب ٤١٩١-١١٣٦٥

٥
من الخطبة (٤)

ومن خطبة له عليه السلام:

بِنَا اهْتَدَيْتُمْ فِي الظَّلْمَاءِ، وَتَسَنَّمْتُمُ الْعَلْيَاءَ، وَبِنَا انْفَجَرْتُمْ عَنِ السِّرَارِ.

وُقِرَ سَمْعٌ لَمْ يَفْقَهِ الْوَاعِيَةَ. وَكَيْفَ يُرَاعِي النَّبْأَةَ مَنْ أَصَمَّتْهُ الصَّيْحَةُ؟

رُبِطَ جَنَانٌ لَمْ يُفَارِقْهُ الْخَفَقَانُ.

مَا زِلْتُ أَنْتَظِرُ بِكُمْ عَوَاقِبَ الْغَدْرِ، وَأَتَوَسَّمُكُمْ بِحِلْيَةِ الْمُغْتَرِّينَ. سَتَرَنِي عَنْكُمْ جِلْبَابُ الدِّينِ، وَبَصَّرَنِيكُمْ صِدْقُ النِّيَّةِ.

أَقَمْتُ لَكُمْ عَلَى سَنَنِ الْحَقِّ فِي جَوَادِّ الْمَضَلَّةِ، حَيْثُ تَلْتَقُونَ وَلَا دَلِيلَ، وَتَحْتَفِرُونَ وَلَا تُمِيهُونَ. الْيَوْمَ أُنْطِقُ لَكُمُ الْعَجْمَاءَ ذَاتَ الْبَيَانِ.

عَزَبَ رَأْيُ امْرِئٍ تَخَلَّفَ عَنِّي، مَا شَكَكْتُ فِي الْحَقِّ. مُذْ رَأَيْتُه.

لَمْ يُوجِسْ مُوسَى عليه السلام خِيفَةً عَلَى نَفْسِهِ، أَشْفَقَ مِنْ غَلَبَةِ الْجُهَّالِ وَدُوَلِ الضَّلَالِ.

الْيَوْمَ تَوَاقَفْنَا عَلَى سَبِيلِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ. مَنْ وَثِقَ بِمَاءٍ لَمْ يَظْمَأْ.

الحكمة (١٨٤)

وقال عليه السلام:

ما شَكَكْتُ في الْحَقِّ مُذْ أُرِيتُهُ.

أقول: نقل الخوئي ما في (الإرشاد): «ومن كلامه عليه السلام حين قتل طلحة وانقضّ أهل البصرة: بنا تسنّمتم الشّرف، وبنا انفجرتم عن السّرار، وبنا اهتديتم في الظلماء. وقر سمع لم يفقه الواعية. كيف يراعي النّبأة من أصمّته الصّيحة. رُبط جنان لم يفارقه الخفقان. مازلت أتوقّع بكم عواقب الغدر، وأتوسّمكم بحلية المغترّين. سترني عنكم جلباب الدّين، وبصّرنيكم صدق النيّة. أقمت لكم الحقّ حيث تعرفون ولا دليل، وتحتفرون ولا تمتهون. اليوم أُنطق لكم العجماء ذات البيان. عزب فهم امرئ تخلّف عنّي. ما شككت في الحقّ منذ أُريته. كان بنو يعقوب على المحجّة العظمى حتّى عقّوا أباهم، وباعوا أخاهم، وبعد الإقرار كانت توبتهم، وباستغفار أبيهم وأخيهم غُفر لهم»[(١)].

ونقل أيضاً ما في (البحار) من نقل سند الخطبة عن الرّاوندي، عن جماعة عن جعفر الدّوريستي، عن أبيه محمّد بن العبّاس، عن محمّد بن عليّ بن موسى، عن محمّد بن عليّ الإستراباديّ، عن عليّ بن محمّد بن سيار، عن أبيه، عن الحسن العسكري عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، عن أمير المؤمنين عليه السلام[(٢)].

قلت: ما في (البحار) محمّد بن عليّ الاستراباديّ محرّف محمّد بن القاسم الاستراباديّ، فهو الذي يروي عنه الصّدوق[(٣)].

«بنا اهتديتم في الظلماء» لأنّهم أنوار الله؛ قال الباقر عليه السلام: بليّة الناس علينا

---

(١) رواه المفيد في الإرشاد: ١٣٥ عنه الخوئي في شرحه ١: ٣١٤.

(٢) رواه الراوندي في شرحه ١: ١٤٢ عنه المجلسي في الفتن من البحار: ٤١٣ وعنه الخوئي في شرحه ١: ٣١٤.

(٣) لفظ شرح الراوندي «محمد بن علي» أيضاً وهو من مشائخ الصدوق أيضاً كما ذكره أصحاب الرجال، وروى عنه الصدوق في أماليه: ١٤٧ ح١ المجلس ٣٣ بقوله: «حدّثنا محمّد بن علي الاستراباديّ».

عظيمة، إن دعوناهم لم يستجيبوا لنا، وإن تركناهم يهتدوا بغيرنا[١].

وروى الطبري في (ذيله) في عنوان (من روى عنه صلى الله عليه وآله من همدان) مسنداً عن زياد بن مطرف قال: سمعت النّبيّ صلى الله عليه وآله يقول: من أحبّ أن يحيى حياتي، ويموت ميتتي، ويدخل الجنّة التي وعدني ربّي قضباناً من قضبانها غرسها في جنّة الخلد فليتولّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام وذريّته من بعده، فإنّهم لن يخرجوهم من باب هدى، ولن يدخلوهم في باب ضلالة[٢].

وقد أقرّت العامّة بأنّه لولا أمير المؤمنين عليه السلام لَمَا علم الناس قتال أهل القبلة؛ وفي (نوادر حجّ الفقيه) عن أبي حنيفة قال: لولا جعفر بن محمّد ما علم النّاس مناسك حجّهم[٣].

وفي (زيادات حجّ التهذيب): لقي مسلم مولى أبي عبد الله عليه السلام صدقة الأحدب وقد قدم من مكّة، فقال له مسلم: الحمد لله الذي يسّر سبيلك، وهدى دليلك، وأقدمك بحال عافية، وقد قضى الحجّ، وأعان على السّعة، فقبل الله منك، وأخلف عليك نفقتك، وجعلها حجّة مبرورة، ولذنوبك طهوراً. فبلغ ذلك أبا عبد الله عليه السلام فقال له: كيف قلت لصدقة؟ فأعاد عليه، فقال له: من علّمك هذا؟ قال: جعلت فداك، مولاي أبو الحسن عليه السلام. فقال له: نعم ما تعلّمت، إذا لقيت أخاً من إخوانك فقل له هكذا، فإنّ المهدي بنا هدي، وإذا لقيت هؤلاء فقل لهم ما يقولون[٤].

هذا، وسمّي أُسامة أبو شداد الصّحابي (الهادي) لأنّه كان يوقد النّار ليلاً لمن يسلك الطريق.

---

(١) الارشاد للمفيد: ٢٦٦، والمناقب لابن شهر آشوب ٤: ٢٠٦.

(٢) ذيل المذيل للطبري، منتخبه: ٨٣، والمناقب للخوارزمي: ٣٤.

(٣) الفقيه للصدوق ٢: ٣٠٧ ح٣.

(٤) التهذيب للطوسي ٥: ٤٤٤ ح١٩٣.

«وتسنّمتم العلياء» قال الخوئي: أي: بتلك الهداية وشرافة الإسلام ركبتم سنام العلياء والرّفعة[١].

قلت: بل المعنى: بنا ركبتم سنام العلياء.

«وبنا انفجرتم عن السّرار» قال المجلسي ـ وتبعه الخوئي ـ: لعل معنى (انفجرتم) أنّه انفجرتم انفجار العين من الأرض أو الصبح من الليل[٢].

وقال ابن أبي الحديد: أي: دخلتم في الفجر، والسّرار الليلة والليلتان يستتر فيهما القمر في آخر الشهر فلا يظهر. وروي: أفجرتم، وهو أفصح وأصحّ، لأنّ انفعل لا يكون إلّا مطاوع فعل[٣].

قلت: في الأوّل أنّه لم يقل أحد: إنّ السّرار يأتي بمعنى الأرض أو مطلق الليل. وفي الثاني: إنّ الدخول في الفجر لا يختصّ بليلة استتار القمر. ولا يبعد أن يكون المراد: أنَّ بسببنا صرتم من أفاضل الناس؛ قال الجوهري: وسرّ الوادي أفضل موضع فيه، وكذلك سرارة الوادي، والجمع سرار. قال:

فإن أفخر بمجد بني سليم أكن منها التّخومة والسّرار[٤]

«وقر» في (الصحاح): وقِرت أذنه بالكسر، أي: صمّت، ووُقرت أذنه على ما لم يسمّ فاعله[٥].

وعليه فيحتمل (وقر) وجهين معلوماً بكسر العين، ومجهولاً.

«سمع لم يفقه الواعية» أي: الصوت المرتفع، ومعلوم أنَّ سمعاً لم يفهمه موقور؛ وعنه عليه السلام في حديث الأربعمائة: من شهدنا في حربنا أو سمع واعيتنا

(١ و ٢) شرح الخوئي ١: ٣١٦.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٧٠.

(٤) صحاح اللغة للجوهري ٢: ٦٨١ مادة (سرّ) والنقل بتقطيع.

(٥) صحاح اللغة للجوهري ٢: ٨٤٨ مادة (وقر).

فلم ينصرنا أكبّه الله على منخريه في النّار[١].

وممّا قلنا اتّضح أنَّ جملة «وقر سمع لم يفقه الواعية» خبر، والمراد من أنَّ من لم يسمع صراخ النّبيّ صلى الله عليه وآله بذكر مقاماتنا أهل البيت ـ كقوله صلى الله عليه وآله: إنّي تارك فيكم الثّقلين: كتاب الله وعترتي، وأنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض[٢]. وكقوله صلى الله عليه وآله: مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق[٣]. إلى غير ذلك ممّا يتعذّر استقصاؤه ـ أصمّ موقور، كالذين قال تعالى فيهم: ﴿...لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها...﴾[٤]، وكالّذين قال عزّوجلّ فيهم: ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة...﴾[٥].

وأمّا قول ابن أبي الحديد وابن ميثم والخوئي والمجلسي[٦]: إنّه دعاء. فهو كما ترى، لأنّه لا محل للدعاء هنا، فإنّه يكون من قبيل الدعاء على الأصم بالصم.

هذا، وفي (الصحاح): الواعية: الصارخة[٧]. وقال (القاموس): الواعية: الصراخ والصوت لا الصارخة، ووهم الجوهري[٨].

---

(١) رواه ضمن حديث الاربعمائة الصدوق في الخصال: ٦٢٥، وابن شعبة في تحف العقول: ١١٥ وغيرهما.

(٢) هذا حديث الثقلين مرّ تخريجه في شرح فقرة «اليهم يفيء الغالي» في العنوان ٤ من هذا الفصل.

(٣) هذا حديث السفينة أخرجه جمع كثير، منهم: الحاكم في المستدرك ٢: ٣٤٢، وأبو يعلى بطريقين في مسنده عنه المطالب العالية ٤: ٧٥ ح ٤٠٠٣، ٤٠٠٤، والبزار بطريقين في مسنده عنه إحياء الميت: ٢٥، ٢٦ ح ٢٤، ٢٥، وصاحب صحيفة الرضا عليه السلام فيها: ٥٧ ح٧٦، والقاضي الصعدي في الدرر: ٥١.

(٤) الاعراف: ١٧٩.

(٥) البقرة: ٧.

(٦) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١: ٧٠، وشرح ابن ميثم ١: ٢٧١، وشرح الخوئي ١: ٣١٧، وفتن البحار: ٤١٣.

(٧) صحاح اللغة للجوهري ٦: ٢٥٢٦ مادة (وعى).

(٨) القاموس المحيط ٤: ٤٠٠ مادة (وعى).

قلت: بل الوهم منه، فإنّه توهّم أنّ مراد الجوهري بالصّارخة امرأة تصرخ، مع أنّ مراده نفس الصّراخ، وليته تذكّر ما قاله نفسه في مادّة (صرخ) من أن الصارخة الإغاثة، مصدر على فاعلة وصوت الاستغاثة.

ثمّ إنّ ابن أبي الحديد وابن ميثم قالا تبعاً (للصحاح): والواعية: الصارخة[١]. وقال الخوئي: الواعية: الصراخ والصوت كما في (القاموس)، لا الصارخة كما ذكر ابن أبي الحديد وابن ميثم تبعاً للجوهري[٢]. وعلى ما قلنا قوله ساقط.

«وكيف يراعي النّبأة من أصمّته الصيحة» قال ابن أبي الحديد: النّبأة: الصوت الخفي. أي: كيف يراعي العبر الضعيفة من لم ينتفع بالعبر الجليلة، شبّه ذلك بمن أصمّته الصيحة القويّة فإنّه محال أن يراعي بعد ذلك الصوت الضعيف[٣].

قلت: لا معنى لكلامه، فإنّ الأصمّ لايراعي الصوت الضعيف، ولو لم يكن صممه من صيحة قويّة. والصواب: أنّ قوله عليه السلام: «أصمّته الصّيحة» كناية عن عدم ترتيبه الأثر على الصوت القوي كالأصمّ عنه، وحينئذٍ فمن لم يراع الصيحة كيف يراعي النّبأة؟!

ومراده عليه السلام أنّ الأُمّة الذين لم يراعوا محكمات القرآن في أهل البيت عليهم السلام، كقوله تعالى: ﴿إنّما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿...فقل

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١: ٧٠، وشرح ابن ميثم ١: ٢٧٠.

(٢) شرح الخوئي ١: ٣١٥.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٧٠، والنقل بالمعنى.

(٤) المائدة: ٥٥.

تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم...﴾[(١)]، وقوله تعالى: ﴿...إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾[(٢)]، ولم يراعوا تأكيدات النّبي صلّى الله عليه وآله فيهم، كقوله صلّى الله عليه وآله في أمير المؤمنين عليه السلام: من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللّهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله[(٣)]، وقوله صلّى الله عليه وآله في الصّدّيقة عليها السلام: إنّها سيّدة نساء العالمين[(٤)]، وإنّها بضعة منه يؤذيه ما يؤذيها، ورضاها رضاه، وسخطها سخطه[(٥)]، وقوله صلّى الله عليه وآله في الحسن والحسين عليهما السلام: إنّهما سيّدا شباب أهل الجنّة[(٦)]، مع اعترافهم في الظاهر بحجّيتهما. كيف يراعون كلامه عليه السلام في أهل البيت عليهم السلام مع عدم إقرارهم به عليه السلام.

وقال ابن ميثم: كنّى بالصّمم عن بلوغ تكرار كلام الله على أسماعهم إلى حدّ أنّها محلّه، وملّت سماعه بحيث لا تسمع بعده ما هو في معناه خصوصاً ماهو أضعف[(٧)]. وهو كما ترى.

«ربط» قال الجوهري: رابط الجأش: أي: شديد القلب؛ كأنّه يربط نفسه

---

(١) آل عمران: ٦١.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

(٣) هذه احدى روايات حديث الغدير الذي مرّ تخريجه في شرح فقره «ولهم خصائص» في العنوان ٤ من هذا الفصل.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ٤: ٩٦، ومسلم بطريقين في صحيحه ٤: ١٩٠٤، ١٩٠٥ ح٩٨، ٩٩ وغيرهما عن عائشة. وفي الباب عن فاطمة عليها السلام وأبي سعيد وحذيفة.

(٥) المشهور في ذلك حديث سفيان بن عيينة عن المسور بن مخرمة: «فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني». أخرجه البخاري في صحيحه ٢: ٣٠٢، ٣٠٨، ومسلم في صحيحه ٤: ١٩٠٣ ح٩٤ وغيرهما، وروي بطرق وألفاظ اُخرى.

(٦) أخرجه الترمذي بطريقين في سننه ٥: ٦٥٦ ح٣٧٦٨، وأحمد بثلاث طرق في مسنده ٣: ٣، ٦٢، ٦٤، ٨٢، والبلاذري في أنساب الأشراف ٣: ٦٤ ح٨٠ وغيرهم.

(٧) شرح ابن ميثم ١: ٢٧٢.

عن الفرار[١].

«جنان» بالفتح، أي: قلب.

«لم يفارقه الخفقان» أي: الاضطراب. والنسخ[٢] متّفقة على كون الجملة هكذا: «ربط جنان لم يفارقه الخفقان» فأمّا هو دعاء، أي: يربط الله قلباً لم يفارقه الاضطراب، والمراد قلبه، وقلب شيعته في أيّام الثلاثة وبعدهم، لابتلائه بالجمل وصفّين والنّهروان، وأمّا (ربط) محرّف (يربط) ويكون خبراً وعطفاً على (يراعي) والمراد قلوب غير شيعته من أصحابه، أي: كيف يربط قلب بولايته وإمامته بعد النّبيّ صلى الله عليه وآله. والحال لم يفارقه الاضطراب من أيّامهم إلى يومه.

«مازلت أنتظر بكم عواقب الغدر» في (السّير) لمّا بايعه الزّبير، قال عليه السلام له: إنّي لخائف أن تغدر بي فتنكث بيعتي. قال: لا تخافنّ، فإنّ ذلك لا يكون منّي أبداً. فقال عليه السلام: فلي الله عليك بذلك راع وكفيل. قال: نعم، الله لك عليّ بذلك راع وكفيل[٣].

«وأتوسّمكم» أي: أتفرّس فيكم.

«بحلية المغترّين» فلمّا رفع أهل الشام المصاحف، وقالوا: القرآن بيننا وبينكم. لم يتميّزوا إنّه لا مورد لفعلهم وقولهم، وإنّهم لو كانوا حقيقة مصدّقين بالقرآن كان الواجب عليهم أن يتابعوه ويطاوعوه، لأنّه عليه السلام كان بمنزلة نفس النّبي صلى الله عليه وآله بعد سوابقه تلك في الإسلام، وكلام الله تعالى، وكلام رسوله صلى الله عليه وآله فيه عليه السلام في جميع أيّامه، ومعاوية عدوّ النّبي وعدوّ الإسلام،ومن

(١) صحاح اللغة للجوهري ٣: ١١٢٧ مادة (ربط).

(٢) كذا في نهج البلاغة ١: ٣٨، وشرح ابن أبي الحديد ١: ٧٠، وشرح ابن ميثم ١: ٢٧٠.

(٣) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٧٧، شرح الخطبة ٨ ، والنقل بالمعنى.

الشجرة الملعونة، ومن الذين أسرّوا الكفر وأظهروا الإسلام يوم فتح مكّة، فاغترّوا وقالوا له عليه السلام: لو لم تترك القتال لنقتلك كما قتلنا عثمان، أو نعطيك بيد معاوية.

«**سترني عنكم جلباب الدّين، وبصّرنيكم صدق النّيّة**» أي: أنَّ تظاهركم بالدّين، ووضعكم جلبابه على وجوهكم سترني عنكم ـ أو ستركم عنّي كما نقل عن نسخة، والمعنى واحد ـ حتّى لا أرى أنّكم غير معتقدين لشيء، ولكن بصّرني بكم ـ بأنَّ تظاهركم بالدّين مجرّد صورة ومحض ظاهر ـ صدق نيّتي، وصحّة فراستي.

«**أقمت لكم سنن الحقّ**» أي: طريقه.

«**في جوادّ**» بالتشديد جمع جادّة.

«**المضلّة**» بالفتح، أي: الضلالة. فأرشدهم عليه السلام إلى ما هو وظيفتهم من الله تعالى، وفي خبر علقمة؛ وأبي أيوب قالا: لمّا نزل قوله تعالى: ﴿الم * أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون﴾[1] قال النّبيّ صلى الله عليه وآله لعمّار: إنّه سيكون بعدي هنات حتّى يختلف السّيف في ما بينهم، وحتّى يقتل بعضهم بعضاً، وحتّى يتبرّأ بعضهم من بعض، فإذا رأيت ذلك فعليك بهذا الأصلع عن يميني عليّ بن أبي طالب، فإن سلك النّاس كلّهم وادياً فاسلك وادي عليّ وخلّ عن النّاس. يا عمّار إنَّ عليّاً لا يردّك عن هدى، ولا يردّك إلى ردى. يا عمّار طاعة عليّ طاعتي، وطاعتي طاعة الله[2].

وهو عليه السلام وإن أقامهم على سنن الحقّ من ساعة وفاة النّبيّ صلى الله عليه وآله حتّى في كيفيّة غسله، والصلاة عليه، وموضع دفنه، ووضع تاريخه، وفي كشف

---

(١) العنكبوت: ١ ـ ٢.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٢٠٣.

المعضلات في زمن الثلاثة وردعهم عن خطأهم، إلّا أنَّ الظاهر أنَّ مراده عليه السلام هنا كيفيّة القتال مع أهل القبلة، فلم يتّفق ذلك في زمان النّبيّ صلى الله عليه وآله حتّى يعرفوا منه شيئاً، فلم يقاتل صلى الله عليه وآله إلّا على التّنزيل، وقتالاته عليه السلام كانت على التّأويل، حسبما أخبره بذلك[1].

«حيث تلتقون ولا دليل» لولاه عليه السلام.

«وتحتفرون ولا تميهون» أي: لا تصلون إلى ماء، والجملتان كناية عن أنّهم كانوا يتقاوضون في الأحكام والمعضلات ولم يكونوا يحصلوا شيئاً، كمن في مفازة ولا دليل له، وكمن يحفر لاستنباط ماء ولا يصل إلى ماء حتّى كان عليه السلام يرشدهم ويهديهم. وإن أحببت عرفان ذلك فارجع إلى كتابنا في قضاياه عليه السلام فإنّه تكفل مقداراً من ذلك.

«اليوم أُنطق لكم العجماء ذات البيان» قال ابن أبي الحديد: الجملة إشارة إلى الرموز التي تتضمنّها هذه الخطبة، يقول: هي خفيّة غامضة، وهي مع غموضها جليّة لأُولي الألباب، فكأنّها تنطق كما ينطق ذوو الألسنة[2].

وقال ابن ميثم: كنّى بالعجماء ذات البيان على الحال التي يشاهدونها من العبر الواضحة، والمثلات التي حلّت بقوم فسقوا أمر ربّهم، وعمّا هو واضح من كمال فضله عليه السلام بالنّسبة إليهم، وما ينبغي لهم أن يعتبروا من حال الدّين، ومقتضى أوامر الله التي يحثّهم على اتّباعها، فإنَّ كلَّ هذه الأحوال أُمور لا نطق لها مقالي. فشبهها لذلك بالعجماء من الحيوان، واستعار لها لفظها،

---

(١) انظر الى حديث النّبي صلى الله عليه وآله: «إنّ منكم رجلاً يقاتل الناس على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله». أخرجه النسائي في الخصائص: ١٣١، وأحمد بطريقين في مسنده: ٣٣، ٨٢، وأبو يعلى وابن أبي شيبة في مسنديهما، وابن حبان في صحيحه، والحاكم في المستدرك، وسعيد بن منصور في سننه، والضياء في المختارة، والبيهقي في الشعب، وأبو نعيم في الحلية عنهم منتخب كنز العمال ٥: ٣٣، ٣٧، وابن أخي تبوك في مسنده، منتخبه: ٤٣٨ ح٢٣ وغيرهم.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٧١.

ووصفها بكونها ذات البيان، لأنَّ لسانها الحال مخبر بمثل مقاله عليه السلام، ناطق بوجوب اتّباعه[١].

قلت: ويمكن أن يكون قوله عليه السلام هذا مساوقاً لقوله الآخر: «لو ثنيت لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة والإنجيل والزّبور والفرقان بكتبهم، حتّى ينطق كلّ كتاب بأنَّ عليّاً حكم فيَّ بما حكم الله فيّ»[٢]. وورد أنَّ القرآن كتاب الله الصّامت وهو عليه السلام كتاب الله النّاطق[٣]. ويمكن أن يكون إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابّة من الأرض تكلّمهم أنّ النّاس كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾[٤].

هذا، وقيل في الألغاز:

أبى علماء النـاس أن يـخبرونني ... بناطقة خرساء مسواكها الحـجر

قيل: المراد الطاحونة.

«عزب رأي امرئ تخلّف عنّي» يمكن أن يكون مراده عليه السلام المتخلّفين عن بيعته وغزواته، كسعد بن أبي وقاص، ومع ذلك قال لمعاوية: سمعت النّبيّ صلى الله عليه وآله يقول: «عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ يدور حيثما دار» ـ وهو حديث متواتر ـ فقال له معاوية: أنت الآن ألوم ما كنت عندي، والله لو سمعت أنا هذا من النّبيّ صلى الله عليه وآله مازلت خادماً لعليّ حتّى أموت[٥].

---

(١) شرح ابن ميثم ١: ٢٧٤.

(٢) هذا حديث مشهور بفرق بين ألفاظه، أخرجه الخوارزمي في مناقبه: ٤٧ وغيره، مرّ تخريجه في شرح فقرة «من الكلام النّبوي» من خطبة الرضي.

(٣) روى هذا المضمون في موارد، منها في وقعة صفّين حينما رفعوا المصاحف على رؤوس الرماح.

(٤) النمل: ٨٢.

(٥) أخرجه ابن عساكر في تاريخه عنه ذيل ترجمة علي عليه السلام ٣: ١٥٦، والبزار في مسنده عنه مجمع الزوائد ٧: ٢٣٦، وابن مردويه في مناقبه، عنه إحقاق الحق ٥: ٦٣١ بفرق بين الألفاظ، وفي الباب عن علي عليه السلام وأمّ سلمة.

وأقول: إنّ معاوية وإن قال لسعد: إنّه لم يسمع ذلك من النّبيّ صلى الله عليه وآله، إلّا أنّه علم أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قال ذلك، ولم يكن معتقداً بالنّبيّ صلى الله عليه وآله، إلّا أنّه قال ذلك لسعد جدلاً، حيث إنّه أقرّ بسماعه واعتزله عليه السلام.

ويمكن أن يكون مراده عليه السلام المتخلّفين عن القول بإمامته بعد النّبيّ صلى الله عليه وآله، وقد قال صلى الله عليه وآله في المستفيض: مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق[1].

«ما شككت في الحقّ مذ أُريته» هذا الكلام تعريض بالمتقدّمين عليه، فإنّهم نقلوا عن أبي بكر أنّه تمنّى في حال احتضاره سؤال النّبيّ صلى الله عليه وآله: هل كان له حق في الخلافة أم لا[2]؟ ونقلوا عن عمر أنّه لمّا أُشير عليه بنصب ابنه بعده قال: إن كان له فيها حقّ فحسب آل الخطاب بشخصه، وإن لم يكن له حقّ فلم يتحمّل مظلمة ابنه[3] زائدة على مظلمته. كما أنّه أقرّ أنّه شكّ في حقّية الإسلام، وحقّية النّبيّ صلى الله عليه وآله يوم الحديبيّة[4]، وأمّا هو ـ صلوات الله عليه ـ فكان على بيّنة من ربّه من أوّله إلى آخره، بقعوده أيّام الثلاثة، وقيامه بعدهم، وقتال النّاكثة، والقاسطة، والمارقة كالنّبي صلى الله عليه وآله في مكّة وفي المدينة، في قعوده أوّلاً وقيامه أخيراً.

---

(١) هذا حديث السفينة مر تخريجه في أوائل هذا العنوان.

(٢) رواه الجوهري في السقيفة: ٣٩، والطبري في تاريخه ٢: ٦١٩ سنة ١٣، والمسعودي في مروج الذهب ٢: ٣٠١، وأبو عبيدة في الأموال، والعقيلي في الضعفاء، والطرابلسي في الفضائل، والطبراني في معجمه الكبير، وابن عساكر في تاريخه، والضياء في المختارة عنهم منتخب كنز العمال ٢: ١٧١، وابن قتيبة في الإمامة والسياسة ١: ١٨ ضمن كلام طويل عنه «فوددت أني سألته هذا الأمر فكنّا لا ننازعه أهله».

(٣) رواه الطبري في تاريخه ٣: ٢٩٢ سنة ٢٣، وابن النجار في تاريخه عنه منتخب كنز العمال ٢: ١٨٩، وابن قتيبة في الإمامة والسياسة ١: ٢٤، والنقل بالمعنى.

(٤) صحيح البخاري ٢: ٢٠٥، وصحيح مسلم ٣: ١٤١١ ح٩٤، وسيرة ابن هشام ٣: ٢٠٣، والمغازي للواقدي ١: ٦٠٦، ٦٠٨، وتاريخ الطبري ٢: ٢٨٠ سنة ٦.

وروى المدائني: أنَّ عمرو بن العاص لقي الحسن عليه السلام في الطواف، فقال له: يا حسن زعمت أنّ الدين لا يقوم إلّا بك وبأبيك، فقد رأيت الله أقامه بمعاوية فجعله راسياً بعد ميله، وبيّناً بعد خفائه، أفرضي الله بقتل عثمان، أو من الحق أن تطوف بالبيت كما يدور الجمل بالطّحن عليك ثياب كغرقى البيض، وأنت قاتل عثمان؟ والله، إنّه لألمّ للشّعث، وأسهل للوعث أن يوردك معاوية حياض أبيك. فقال الحسن عليه السلام: إنَّ لأهل النّار لعلامات يعرفون بها: إلحاداً لأولياء الله، وموالاة لأعداء الله، والله إنّك لتعلم أنّ علياً عليه السلام لم يرتب في الدّين، ولم يشكّ في الله ساعة، ولا طرفة عين قطّ. وأيم الله لتنتهينّ يا بن أُم عمرو أو لأنفذنّ حضنيك بنوافذ أشدّ من القعضبيّة، فإيّاك والتّهجّم عليّ، فإنّي من قد عرفت: لست بضعيف الغمزة، ولا هشّ المشاشة، ولا مريء المأكلة، وإنّي من قريش كواسطة القلادة يعرف حسبي، ولا أُدعى لغير أبي، وأنت من تعلم ويعلم النّاس تحاكمت فيك رجال قريش فغلب عليك جزّارها، ألأمهم حسباً، وأعظمهم لؤماً. فإيّاك عنّي فإنّك رجس، ونحن أهل بيت الطهارة أُذهب عنّا الرّجس وطهّرنا تطهيراً. فأفحم عمرو وانصرف كئيباً[1].

«لم يوجس» في (الصحاح): الوجس أيضاً: فزعة القلب، وأوجس في نفسه خيفة: أي أضمر[2].

«موسى عليه السلام خيفة على نفسه أشفق» أي: خاف.

«من غلبة الجهّال ودول الضلال» يعني كما لم يخف موسى على نفسه على الضلال من سحر السّحرة، بل من اشتباه الأمر على العوامّ والجهّال، كذلك هو عليه السلام لم يبال بتقدّم الثلاثة عليه في القيام بالأمر، فإنَّ الإمام كالنّبيّ ليس

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٤: ١٠ شرح الكتاب ٣١ عن المدائني.

(٢) صحاح اللغة للجوهري ٢: ٩٨٤ مادة (وجس).

شرط منصبه السلطنة والقيام بالأمر، ولكنّه خاف من اشتباه الأمر على العوامّ والجهّال، فإنّهم لا يفرّقون في ذلك بين الحقّ والباطل، ويتوهّمون أنّ كلّ من قام إمام، وأنّ الاعتقاد بالثّلاثة جزء الدّيانة، وأنّ غير المعتقد بهم خارج من الملّة، كما عليه إخواننا من أهل السّنّة، مع أنّ فاروقهم لمّا دعا النّاس إلى قيام صدّيقهم جعله مجرّد سلطنة، وأهون من إمامة صلاة جماعة، فقال له: رضيك النّبيّ ﷺ لديننا، في ما ادّعاه من أنّ تقدّمه في الصّلاة كان بأمر النّبيّ ﷺ، قال: فكيف لا نرضاك لدنيانا؟ ولو كان إخواننا فرّقوا بين الأمرين لارتفع النّزاع من البين، ولأدّى قيام الأوّلين إلى وصول الأمر إلى بني أُميّة الشجرة الملعونة في القرآن.

ونظير مرمى كلامه عليه السلام من أنّ أسفه من تقدّم أُولئك إنّما كان لضلالة جمع غير ذوي بصيرة، ما عن (تاريخ الثقفي): أنّ رجلاً جاء إلى أُبيّ بن كعب، فقال: يا أبا المنذر ألا تخبرني عن عثمان ما قولك فيه؟ فأمسك عنه. فقال الرجل: جزاكم الله شرّاً يا أصحاب محمّد شهدتم الوحي وعاينتموه، ثمّ نسألكم التّفقّه في الدّين فلا تعلّمونا. فقال أُبيّ: عند ذلك هلك أصحاب العقدة وربّ الكعبة، أما والله ما عليهم آسى ولكن آسى على من أهلكوا، أما والله لئن أبقاني الله إلى يوم الجمعة، لأقومنّ مقاماً أتكلّم فيه بما أعلم، قتلت أو استحييت. فمات ـ رحمه الله ـ يوم الخميس(١).

وروى أبو نعيم في (حليته) مسنداً عن قيس بن عباد قال: قدمت المدينة للقاء أصحاب محمّد ﷺ، فلم يكن فيهم أحد أحبّ إليّ لقاء من أُبيّ بن كعب، فقمت في الصّفّ الأوّل فخرج، فلمّا صلّى حدّث، فما رأيت الرّجال متحت أعناقها إلى شيء توجهاً إليه، فسمعته يقول: هلك أهل العقدة وربّ الكعبة

(١) نقله عنه الحلبي في تقريب المعارف عن فتن البحار: ٣١٦.

ـ قالها ثلاثاً ـ هلكوا وأهلكوا أما أنّي لا آسى عليهم ولكنّي آسي على من يهلكون من المسلمين[١].

ومراد أُبيّ بأهل العقدة من رواه محمّد بن يعقوب عن أبي جعفر عليه السلام قال: كنت دخلت مع أبي الكعبة فصلّى على الرّخامة الحمراء بين العمودين، فقال في هذا الموضع: تعاقد القوم إن مات رسول الله صلى الله عليه وآله أو قُتل، أن لا يردّوا هذا الأمر في أحد من أهل بيته. قلت: ومَن كان؟ قال: كان الأوّل والثاني، وأبو عبيدة بن الجرّاح وسالم بن الحبيبة[٢].

«**اليوم توافقنا على سبيل الحقّ والباطل**» قال عمّار: لو ضربونا بأسيافهم حتّى يبلغونا سعفات هجر لعرفت أنّا على الحقّ، وهم على الباطل[٣].

وتواتر عن النّبيّ صلى الله عليه وآله أنّه عليه السلام على الحقّ، والحقّ يدور معه، ومخالفه على باطل[٤].

«**من وثق بماء لم يظمأ**» هو مثل، والمراد منه: أنّه كما أنَّ من كان مطمئنّاً بأنَّ عنده ماء موجوداً لم يبال بظمئه الآني، كذلك من علم أنّه على دين الحقّ لم يبال بما يصيبه في دنياه، فإنّه يقطع برفع ذلك عنه سريعاً.

ومن أمثال العرب: إن ترد الماء بماء أكيس[٥].

وممّا روي عنه عليه السلام من الحكم المثلية: من سُبق إلى الظّل ضحى، ومن

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ١: ٢٥٢.

(٢) الكافي للكليني ٤: ٥٤٥ ح٢٨.

(٣) وقعة صفّين لابن مزاحم: ٣٢٢.

(٤) أخرج هذا المعنى الترمذي في سننه ٥: ٦٣٣ ح ٣٧١٤ وترجمة علي عليه السلام لابن عساكر ٣: ١٥١ و١٥٢ ح ١١٦٩ و ١١٧٠، في ذيل حديث عن علي عليه السلام وفي الباب عن أم سلمة وسعد.

(٥) مجمع الأمثال للميداني ١: ٣٢، والمستقصى للزمخشري ١: ٢٧٠.

سُبق إلى الماء ظمئ[١].

قوله عليه السلام في رواية (الإرشاد): «كان بنو يعقوب على المحجّة العظمى، حتّى عقّوا أباهم وباعوا أخاهم، وبعد الإقرار كانت توبتهم، وباستغفار أبيهم وأخيهم غفر لهم»[٢] المراد بهذا الكلام أنَّ طلحة والزّبير كانا في سلك المسلمين مالم يكونا نكثا، وبعد نكثهما خرجا من سلكهم، والزّبير وإن رجع من العسكر، وطلحة قتل في العسكر إلّا أنّهما لم يتوبا بعودهما إلى طاعته، والانخراط في سلكه، كما فعل الحرّ الرّياحي لمّا خرج على الحسين عليه السلام، ولم يستغفر عليه السلام لهما، لأنّهما لم يكونا قابلين لذلك، كما قال تعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿...إن تستغفر لهم سبعين مرّة فلن يغفر الله لهم...﴾[٣]. فبقيا في ما دخلا فيه من الخروج عن سلك الإسلام.

٦
من الخطبة (٩٥)

اُنْظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَالْزَمُوا سَمْتَهُمْ، وَاتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ، فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدىً، ولَنْ يُعِيدُوكُمْ فِي رَدىً، فإِنْ لَبَدُوا فالْبُدُوا، وَإِنْ نَهَضُوا فانْهَضُوا، وَلَا تَسْبِقُوهُمْ فَتَضِلُّوا، وَلَا تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا.

أقول: قال ابن أبي الحديد في شرح خطبته عليه السلام: «أمّا بعد أيّها النّاس فأنا فقأت عين الفتنة»: هذه الخطبة ذكرها جماعة من أصحاب السيرة وهي متداولة منقولة مستفيضة خطب بها عليّ عليه السلام بعد انقضاء أمر النهروان، وفيها ألفاظ لم يوردها الرضي -إلى أن قال- ومنها: «فانظروا أهل بيت نبيّكم،

(١) لم أجده في حديث أمير المؤمنين عليه السلام.

(٢) الإرشاد: ١٣٥.

(٣) التوبة: ٨٠.

فإن لبدوا فالبدوا، وإن استنصروكم فانصروهم. فليفرجنّ الله الفتنة برجل منّا أهل البيت، بأبي ابن خيرة الإماء، لا يعطيهم إلّا السيف هرجاً مرجاً موضوعاً على عاتقه ثمانية أشهر، حتّى تقول قريش: لو كان هذا من ولد فاطمة لرحمنا. يغريه الله ببني أُميّة حتّى يجعلهم حطاماً ورفاتاً ﴿ملعونين أينما ثقفوا أُخذوا وقتّلوا تقتيلا﴾[١] ـ الآية[٢] ـ وغفل عنه هنا.

وروى (البحار) عن (غارات الثقفي) بسندين عن زر بن حبيش قال: خطب عليّ عليه السلام بالنّهروان ـ إلى أن قال ـ: فقام رجل فقال: يا أمير المؤمنين ما نصنع في ذلك الزّمان؟ قال عليه السلام: انظروا أهل بيت نبيّكم، فإن لبدوا فالبدوا، وإن استصرخوكم فانصروهم تؤجروا، ولا تسبقوهم فتصرعكم البليّة فقام رجل آخر، فقال: ثمّ ماذا يكون بعد هذا يا أمير المؤمنين؟ قال عليه السلام: ثمّ إنّ الله تعالى يفرّج الفتن برجل منّا أهل البيت، كتفريج الأديم[٣].

وفي (كتاب سليم بن قيس) ـ بعد ذكر فتنة بني أُميّة ـ قال رجل: فما أصنع في ذلك الزّمان يا أمير المؤمنين؟ قال: انظروا أهل بيت نبيّكم، فإن لبدوا وإن استنصروكم فانصروهم تنصروا وتعذروا، فإنّهم لن يخرجوكم من هدى ولن يدعوكم إلى ردى، ولا تسبقوهم بالتقدّم، فيصرعكم البلاء وتشمت بكم الأعداء. قال: فما يكون بعد ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: يفرّج الله برجل من بيتي، كانفراج الأديم من بيته[٤].

وقال النّعماني في (غيبته): قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته المشهورة التي رواها الموافق والمخالف، في جملة ما قال: ولقد علم

---

(١) الاحزاب: ٦١.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٧٨ شرح الخطبة ٩١.

(٣) الغارات للثقفي ١: ٢، ونقله عنه المجلسي في الفتن من البحار: ٥٥٨.

(٤) كتاب سليم بن قيس: ١٥٨ ضمن حديث.

المستحفظون من أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله أنّه قال: إنّي وأهل بيتي مطهّرون فلا تسبقوهم فتضلّوا، ولا تخلّفوا عنهم فتزلّوا، ولا تخالفوهم فتجهلوا، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم، هم أعلم النّاس صغاراً، وأعلم النّاس كباراً، فاتّبعوا الحقَّ وأهله حيثما كان، وزايلوا الباطل وأهله حيثما كان[١].

وفي (مسترشد الطبري) قال أمير المؤمنين عليه السلام: والله لئن خالفتم أهل بيت نبيّكم لتخالفنَّ الحقَّ، إنّهم لا يدخلونكم في ردى، ولا يخرجونكم من باب هدى، ولقد علمتم وعلم المستحفظون من أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله أنّي وأهل بيتي مطهّرون من الفواحش، لا تسبقوهم فتضلّوا، ولا تخالفوهم فتجهلوا، ولا تخلّفوا عنهم فتهلكوا[٢].

«**انظروا أهل بيت نبيّكم صلى الله عليه وآله فالزموا سمتهم، واتّبعوا أثرهم**» لأنّهم عليهم السلام كانوا صادقين قولاً وعملاً، وقد قال تعالى فيهم كما في التفسير ﴿...وكونوا مع الصّادقين﴾[٣]. وقال النّبيّ صلى الله عليه وآله فيهم في المستفيض: إنّي تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض[٤].

«**فلن يخرجوكم من هدى ولن يعيدوكم في ردى**» أي: هلكة، والأصل في قوله عليه السلام قول النّبيّ صلى الله عليه وآله فيهم روى الطبري في (ذيل تاريخه): أنَّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قال: من أحبّ أن يحيا حياتي ويموت ميتتي ويدخل الجنّة التي وعدني ربّي قضباناً من قضبانها غرسها في جنّة الخلد فليتولّ علي بن أبي طالب عليه السلام وذرّيته من بعده فإنّهم لن يخرجوكم من باب هدى، ولن يدخلوكم

(١) الغيبة للنعماني: ٢٩، وتفسير القمي ١: ٤.

(٢) المسترشد: ٩١.

(٣) التوبة: ١١٩.

(٤) هذا حديث الثقلين مرّ تخريجه في شرح فقرة «اليهم يفيء الغالي» في العنوان ٤ من هذا الفصل.

في باب ضلالة(١).

ومرمى كلامه عليه السلام أنَّ المتقدّمين عليه، والمدّعين مقام أهل بيت النّبيّ صلى الله عليه وآله أخرجوهم من هدى الإسلام، وأعادوهم في ردى الجاهلية والكفر.

«فإن لبدوا» أي: أقاموا ولم يشخصوا.

«فالبدوا» مثلهم.

«وإن نهضوا» أي: شخصوا.

«فانهضوا» معهم، والمراد بلبدهم: قعودهم عن طلب الخلافة، كما فعل الحسن عليه السلام، وبنهوضهم: طلبهم لها، كما فعل الحسين عليه السلام؛ قال النّبيّ صلى الله عليه وآله في الحسن والحسين عليهما السلام: ابناي هذان إمامان قاما أو قعدا(٢).

وقال الباقر عليه السلام: والله ما صنعه الحسن بن علي عليه السلام كان خيراً لهذه الأمّة ممّا طلعت عليه الشّمس، والله لقد نزلت هذه الآية ﴿ألم تر إلى الّذين قيل لهم كفّوا أيديكم وأقيموا الصلاة...﴾ انّما هي طاعة الإمام عليه السلام؛ وطلبوا القتال فلمّا كتب عليهم القتال مع الحسين عليه السلام ﴿...وقالوا ربّنا لم كتبت علينا القتال...﴾(٣).

وفي (خلفاء ابن قتيبة) لمّا تمّ الصلح بين الحسن بن عليّ عليه السلام ومعاوية، صعد الحسن عليه السلام الى المنبر وقال: أيّها الناس إنَّ الله هدى أوَّلكم بأوَّلنا، وحقن دماءكم بآخرنا، وكانت لي في رقابكم بيعة: تحاربون من حاربت وتسالمون من سالمت، وقد سالمت معاوية وبايعته فبايعوه ﴿وإن أدري لعلّه ـ وأشار

---

(١) منتخب ذيل المذيل للطبري: ٨٣، والمناقب للخوارزمي: ٣٤.

(٢) كفاية الأثر للخزاز: ٣٨ مسنداً ضمن حديث، ورواه المفيد في المسائل الجارودية: ١٧١، والفصول المختارة للمرتضى: ١٧١، والمناقب لابن شهر آشوب ٣: ٣٦٧، ٣٩٤، والقاب الرسول: ٤٩، والفواعد لنصير الدين الطوسي: ٨٣، وكشف الفوائد للعلّامة: ٨٣ كلّهم مجرّداً.

(٣) الكافي للكليني ٨: ٣٣٠ ح٥٠٦ مع ذيل، وما ذُكر من القرآن هو الآية ٧٧ من سورة النساء.

إلى معاوية ـ فتنة لكم ومتاع إلى حين﴾[١].

«ولا تسبقوهم فتضلّوا ولا تتأخّروا عنهم فتهلكوا» عن سواء الصراط والطريق المستقيم. في الخبر مرّ عمر على أمير المؤمنين عليه السلام في إحرامه. فقال له: ما هذان الثّوبان المصبوغان وأنت محرم؟ فقال عليه السلام له: ما نريد أحداً يعلّمنا بالسنّة، إنّ هذين ثوبين صبغا بطين[٢][٣].

٧
من الخطبة (١٠٧)

نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ، وَمَحَطُّ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفُ المَلاَئِكَةِ، وَمَعَادِنُ ٱلْعِلْمِ، وَيَنَابِيعُ ٱلْحُكْمِ، نَاصِرُنَا وَمُحِبُّنَا يَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ، وَعَدُوُّنَا وَمُبْغِضُنَا يَنْتَظِرُ السَّطْوَةَ.

أقول: قال ابن أبي الحديد عند قوله عليه السلام: «في تخويف أهل النّهروان»: روى محمّد بن حبيب، قال: خطب عليّ عليه السلام الخوارج يوم النّهر، فقال لهم: «نحن أهل بيت النبوّة وموضع الرّسالة، ومختلف الملائكة، وعنصر الرّحمة، ومعدن العلم والحكمة، نحن أُفق الحجاز، بنا يلحق البطيء، وإلينا يرجع التّائب...»[٤].

«نحن شجرة النّبوّة» وهو عليه السلام وإن لم يكن نبيّاً إلّا أنّه لمّا كان بمنزلة نفس النّبيّ صلى الله عليه وآله حيث قال تعالى: ﴿... وأنفسنا...﴾ مريداً لهما[٥].

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ١٦٣، والآية ١١١ من سورة الأنبياء.

(٢) أخرجه الصدوق في الفقيه ٢: ٢١٥ ح٨ والطوسي في التهذيب ٥: ٦٧ ح٢٧ وفي ضمن حديث العياشي في تفسيره ٢: ٣٨ ح١٠٥.

(٣) اسقط الشارح هنا شرح فقرة «ولا تتأخّروا عنهم فتهلكوا».

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٠٧ شرح الخطبة ٣٦.

(٥) اُنظر إلى قوله تعالى ﴿أنفسنا وأنفسكم﴾ آل عمران: ٦١، كما جاء في شأن نزوله.

وقال النّبي صلى الله عليه وآله يوم أُحد لجبرئيل ـ بعد تعجّبه من مواساته له ـ: ما يمنعه من مواساتي وهو منّي وأنا منه؟ فقال جبرئيل عليه السلام: وأنا منكما[١].

وقال صلى الله عليه وآله: أنا وعليّ من شجرة واحدة، وسائر النّاس من شجر شتّى[٢].

وقال صلى الله عليه وآله أيضاً له عليه السلام: الإيمان مخالط لحمك ودمك كما خالط لحمي ودمي[٣].

وكذلك قال صلى الله عليه وآله في سيّدة النساء ـ صلوات الله عليها ـ: فاطمة بضعة منّي يرضيني ما يرضيها، ويسخطني ما يسخطها[٤]. وقد قررت ـ صلوات الله عليها ـ الرّجلين بذلك، وبعد إقرارهما بسماعهما له من أبيها فيها قالت: «اللّهمّ اشهد أنّهما أسخطاني»[٥]. وكذلك قال صلى الله عليه وآله في ابنيه الحسن والحسين عليهما السلام: إنّهما منه وأنّه منهما[٦]، يصدق أنّهم شجرة النُّبوّة.

وفي (فواتح الميبدي) روى الثّعلبي عن جابر الأنصاري قال: قال

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ١٩٧ سنة ٣، والكافي ٨: ١١٠ ح ٩٠، والتفضيل للكراجكي: ٣٦ وغيرهم.

(٢) أخرجه ابن عساكر بطرق في ترجمة علي عليه السلام ١: ١٤٢ ـ ١٤٧ ح١٧٨ ـ ١٨١. ومرّ تخريجه في العنوان ١٢ من الفصل السادس.

(٣) المناقب للخوارزمي: ٧٥ ضمن حديث عن عليّ عليه السلام والمناقب لابن المغازلي: ٢٣٧ ح ٢٨٥، وكنز الفوائد للكراجكي: ٢٨١ وغيرهما عن جابر.

(٤) وفي معناه في صحيح البخاري ٢: ٣٠٢، ٣٠٨،وصحيح مسلم ٤: ١٩٠٢ ح ٩٤ وغيرها، مرّ تخريجه في العنوان ٥ من هذا الفصل.

(٥) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ١٤ عن فاطمة عليها السلام بلفظ «فإني أشهد الله وملائكته أنّكما أسخطتماني» وأخرج معناه جمع كثير.

(٦) لم أظفر بهذا السياق، لكن في حديث يعلى بن مرّة وأبي رمثة «حسين مني وأنا من حسين» وفي حديث المقدام بن معد يكرب «الحسن مني والحسين من علي» أخرج الأول الترمذي في سننه ٥: ٦٥٨ ح٣٧٧٥، وابن ماجه في سننه ١: ٥١ ح١٤٤، وأحمد في مسنده ٤: ١٧٢ وغيرهم، وأخرج الثاني أبو داود في سننه ٤: ٦٨ ح٤١٣١ وأحمد في مسنده ٤: ١٣٢ وغيرهما.

النّبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: الناس من شجر شتى، وأنا وأنت يا عليّ من شجرة واحدة. وتلا هذه الآية: ﴿وفي الأرض قطع متجاورات وجنّات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضّل بعضها على بعض في الأُكل...﴾[١].

«ومحطّ الرسالة» لمّا كانت نفوسهم مستعدّة لدرجة الرسالة ـ وإن كانت النبوّة مختومة به صلى الله عليه وآله ـ لكونهم عليهم السلام مثله صلى الله عليه وآله في العصمة والملكات الربّانية، فقد قال النّبيّ صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام في المستفيض بل المتواتر: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي»[٢] يصدّق أنّهم عليهم محطّ الرسالة.

وفي (كامل المبرّد): أنّ شامياً رأى الحسن عليه السلام راكباً، فجعل يلعنه والحسن لا يردّ، فلمّا فرغ أقبل الحسن عليه السلام إليه، فسلّم عليه وضحك، وقال: أيّها الشيخ أظنّك غريباً، ولعلّك شبّهت فلو استعتبتنا أعتبناك، ولو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا حملناك، وإن كنت جائعاً أشبعناك، وإن كنت عرياناً كسوناك، وإن كنت محتاجاً أغنيناك، وإن كنت طريداً آويناك، وإن كان لك حاجة قضيناها لك، فلو حرّكت رحلك إلينا، وكنت ضيفنا إلى وقت ارتحالك كان أعود عليك، لأنّ لنا موضعاً رحباً، وجاهاً عريضاً، ومالاً كبيراً. فلمّا سمع الرّجل كلامه بكى، ثمّ قال: أشهد أنّك خليفة الله في أرضه ﴿...الله أعلم حيث يجعل رسالته...﴾[٣].

---

(١) الرعد: ٤.

(٢) هذا حديث المنزلة المتواتر أخرجه جمع كثير عن اثنين وأربعين من أصحاب النّبيّ صلى الله عليه وآله في ما أعلم منهم البخاري في صحيحه ٢: ٣٠٠، و٣: ٨٦، ومسلم في صحيحه ٤: ١٨٧٠ و ١٨٧١ ح ٣٠ ـ ٣٢، وصاحب مسند زيد فيه: ٤٠٧.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ٤: ١٩ عن كامل المبرد، لكن رواه المبرد في الكامل ٤: ١٠٥ بلفظ أخصر.

وفي (عيون ابن بابويه) دخل عبد الله بن مطرف بن ماهان على المأمون يوماً وعنده عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام، فقال له المأمون: ما تقول في أهل البيت؟ فقال عبد الله: ما قولي في طينة عجنت بماء الرسالة، وشجرة غرست بماء الوحي، هل ينفح منه إلّا مسك الهدى وعنبر التّقى؟ فدعا المأمون بحقّة فيها لؤلؤ، فحشا فاه(١).

«ومختلف الملائكة» قال ابن أبي الحديد: إن أراد بها نفسه وابنيه فهي أيضاً صحيحة، ولكن مدلوله مستنبط، فقد جاء في الأخبار الصحيحة أنّه قال: يا جبرئيل إنّه منّي وأنا منه. فقال جبرئيل: وأنا منكما(٢).

وروى أبو أيوب الأنصاري مرفوعاً عن النّبيّ صلى الله عليه وآله قال: لقد صلّت الملائكة عليّ، وعلى عليٍّ سبع سنين، لم يصلّ على ثالث(٣).

وفي خطبة الحسن عليه السلام لمّا قبض أبوه: كان رسول الله صلى الله عليه وآله بالرّاية يبعثه وجبرئيل عن يمينه ومكائيل عن شماله(٤).

وفي الحديث: في يوم أُحد سمع صوت من السّماء:

لا سيف إلّا ذو الفقار ... ولا فتى إلّا علي

وقال النّبيّ صلى الله عليه وآله: هذا صوت جبرئيل(٥).

قلت: وكذلك سيّدة النساء وسائر الأئمّة عليهم السلام؛ روى محمّد بن يعقوب

(١) أخرجه الصدوق في عيون الأخبار ٢: ١٤٢ ح ١٠ ضمن حديث.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٣٦.

(٣) أخرجه ابن عساكر بطريقين في ترجمة علي عليه السلام ١: ٨٠ ح ١١٢، ١١٣، وابن المغازلي في مناقبه: ١٣ ح ١٧ عن أبي أيوب الأنصاري، وفي الباب عن أنس، والنقل بتصرّف يسير.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ١: ١٩٩، والنسائي في الخصائص: ٦٠، والطبري في تاريخه ٤: ١٢٠ سنة ٤٠، وأبو الفرج في المقاتل: ٣٢ وغيرهم.

(٥) أخرجه ابن هشام في السيرة ٣: ٤٣، والفرات الكوفي في تفسيره: ٢٥، وجمع آخر وروي نحو ذلك في غزوة بدر وخيبر.

الكليني عن الصّادق عليه السلام قال: إنّ فاطمة عليها السلام مكثت بعد النّبيّ صلى الله عليه وآله خمسة وسبعين يوماً، وكان دخلها حزن شديد على أبيها، وكان جبرئيل عليه السلام يأتيها فيحسن عزاها على أبيها، ويطيب نفسها ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها في ذرّيتها، وكان عليّ عليه السلام يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمة عليها السلام (١).

وفي أخبار كثيرة: أنّ مصحف فاطمة عليها السلام عند الأئمّة عليهم السلام (٢).

ولا يستبعد ذلك مخالفونا بعد كونها من أصحاب الكساء، ونزول آية التّطهير: ﴿... إنّما يريد الله ليُذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾ (٣) فيها وفي ابنيها مع زوجها وأبيها، ودخولها في المباهلة في قوله تعالى: ﴿...ونساءنا ونساءكم...﴾ (٤)، ونصّ القرآن على مخاطبة الملائكة لمريم عليها السلام في قوله تعالى: ﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم إنّ الله اصطفاك وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين﴾ (٥)، وتواتر عن النّبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ مريم كانت سيّدة نساء عصرها، وإنّ بنته فاطمة سيّدة نساء العالمين (٦).

وعن الصادق عليه السلام: أنّ النّاس في ليلة القدر في صلاة ودعاء ومسألة، وصاحب هذا الأمر في شغل تنزّل الملائكة إليه بأُمور السنّة، من غروب الشمس إلى طلوعها ﴿من كلّ أمر * سلام هي حتّى مطلع الفجر﴾ (٧).

---

(١) أخرجه الكليني في الكافي ١: ٢٤١ ح ٥.

(٢) هذه الأخبار رواها المجلسي من طرق كثيرة في بحار الأنوار ٢٦: ١٨ باب ١.

(٣) الأحزاب: ٣٣.

(٤) آل عمران: ٦١.

(٥) آل عمران: ٤٢.

(٦) صحيح البخاري ٤: ٩٦ وغيره مرّ تخريجه في العنوان ٥ من هذا الفصل.

(٧) البصائر للصفار: ٢٤٠ ح ٢ في ذيل حديث، والآية ٥ من سورة القدر.

وروى ابن سعد ـ مع نصبه ـ في (طبقاته) بعد ذكر استيذان ملك الموت لقبض النّبيّ صلى الله عليه وآله: فتوفّي رسول الله صلى الله عليه وآله وجاءت التّعزية يسمعون الصوت والحسّ ولا يرون الشّخص: السلام عليكم يا أهل البيت ورحمة الله وبركاته ﴿كلّ نفس ذائقة الموت وإنّما توفّون أُجوركم يوم القيامة...﴾[١] إنّ في الله عزاء عن كلّ مصيبة، وخلفاً من كلّ هالك، ودركاً من كلّ ما فات، فبالله فثقوا وإيّاه فارجوا، إنّما المصاب من حرم الثّواب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[٢].

وروي عن الواقدي عن رجل عن جعفر عن أبيه عن عليّ عليه السلام قال: ودخل عليه رجلان من قريش، فقال: ألا أُخبركما عن رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قالا: بلى حدّثنا عن أبي القاسم. قال: لمّا كان قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله بثلاثة أيّام، هبط إليه جبرئيل ـ ثمّ ذكر مثل الحديث الأوّل وقال في آخره ـ: فقال عليّ عليه السلام: أتدرون مَنْ هذا؟ قالوا: لا. قال: هذا الخضر[٣].

وروى محمّد بن يعقوب عن الباقر عليه السلام قال: لمّا قبض النّبيّ صلى الله عليه وآله بات آل محمّد صلى الله عليه وآله بأطول ليلة، حتّى ظنّوا أن لا سماء تظلّهم، ولا أرض تقلّهم، لأنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله وتر الأقربين والأبعدين في الله، فبينما هم كذلك إذ أتاهم آت لا يرونه، ويسمعون كلامه، فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، إنّ في الله عزاء من كلّ مصيبة، ونجاة من كلّ هلكة، ودركاً لما فات، ﴿كلّ نفس ذائقة الموت وإنّما توفّون أُجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النّار وأُدخل الجنّة فقد فاز وما الحياة الدّنيا إلّا متاع الغرور﴾[٤]،

(١) آل عمران: ١٨٥.

(٢) الطبقات لابن سعد ٢ ق ٢: ٤٨، وفيه ٢ ق ٢: ٥٩، مرّ تخريجه في العنوان ٤٤ من الفصل السادس.

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٢ ق ٢: ٤٩.

(٤) آل عمران: ١٨٥.

إنَّ الله اختاركم، وفضّلكم وطهّركم، وجعلكم أهل بيت نبيّه، واستودعكم علمه، وأورثكم كتابه، وجعلكم تابوت علمه، وعصا عزّه، وضرب لكم مثلاً من نوره، وعصمكم من الزَّلل، وآمنكم من الفتن، فتعزّوا بعزاء الله فإنّ الله لم ينزع منكم رحمته، ولن يزيل عنكم نعمته، فأنتم أهل الله تعالى الّذين بهم تمّت النّعمة، واجتمعت الفرقة، وائتلفت الكلمة، وأنتم أولياؤه، فمن تولّاكم فاز، ومن ظلم حقّكم زهق، مودّتكم من الله واجبة في كتابه على عباده المؤمنين، ثمَّ الله على نصركم إذا يشاء قدير، فاصبروا لعواقب الأُمور، فإنّها إلى الله تصير، قد قبلكم الله من نبيّه وديعة، واستودعكم أولياءه المؤمنين في الأرض، فمن أدّى أمانته آتاه الله صدقه، فأنتم الأمانة المستودعة، ولكم المودّة الواجبة والطاعة المفروضة، وقد قبض النّبيّ صلى الله عليه وآله وقد أكمل لكم الدّين وبيّن لكم سبيل المخرج، فلم يترك لجاهل حجّة، فمن جهل أو تجاهل أو أنكر أو نسي أو تناسى فعلى الله حسابه والله من وراء حوائجكم، وأستودعكم الله والسلام عليكم. فقال الرّاوي: ممّن أتاهم التّعزية؟ قال عليه السلام: من الله[1].

هذا، وروى (الاختصاص) عن سهل الأدميّ لمّا أن صنّف عبد الله بن المغيرة كتابه (أي عن أحاديثهم عليهم السلام) وعد أصحابه أن يقرأ عليهم في زاوية من زوايا مسجد الكوفة ـ وكان له أخ مخالف ـ فلمّا أن حضروا لاستماع الكتاب جاء الأخ وقعد، فقال لهم: انصرفوا اليوم، فقال الأخ: أين ينصرفون فإنّي أيضاً جئت لما جاؤوا. فقال: لما جاؤوا؟ قال: يا أخي رأيت ما يرى النّائم أنَّ الملائكة تنزل من السماء. فقلت: لماذا ينزل هؤلاء؟ فقال قائل: ينزلون يستمعون الكتاب الذي يخرجه عبد الله بن المغيرة، فأنا أيضاً جئت لهذا، وأنا تائب إلى الله

(١) الكافي للكليني ١: ٤٤٥ ح١٩.

تعالى. فسرّ عبد الله بذلك[1].

«ومعادن العلم» قال أبو نواس في الرّضا عليه السلام:

مطهّرون نقيّات ثيابهم تجري الصّلاة عليهم أينما ذكروا
من لم يكن علويّاً حين تنسبه فما له من قديم الدّهر مفتخر
فالله لما برا خلقاً فأتقنه صفّاكم واصطفاكم أيّها البشر
فأنتم الملأ الأعلى وعندكم أمّ الكتاب وما جاءت به السور

وقال الفرزدق في السّجاد عليه السلام:

من معشر حبّهم دين وبغضهم كفر وقربهم منجى ومعتصم
يستدفع السوءُ والبلوى بحبّهم ويسترَبّ به الإحسان والنّعم
مقدّم بعد ذكر الله ذكرهم في كلّ بدءٍ ومختوم به الكلم
إن عدّ أهل التّقى كانوا أئمّتهم أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم
لا يستطيع جواد بعد غايتهم ولا يدانيهم قوم وإن كرموا
هم الغيوث إذا ما أزمة أزمت والأسد أسد الشّرى والبأس محتدم
يأبى لهم أن يحلّ الذّل ساحتهم خيم كريم وأيد بالعدى هضم
لا ينقص العسر بسطاً من أكفّهم سيّان ذلك إن أثروا وإن عدموا
أيّ الخلائق ليست في رقابهم لأوّليّة هذا أوله نعم

وروى المسعودي عنه عليه السلام خبراً في بدء الخليقة، وفيه قال عليه السلام: قال النّبيّ صلى الله عليه وآله: قال تعالى: وأنصب أهل بيتك للهداية، وأوتيهم من مكنون علمي ما لا يشكل عليهم دقيق، ولا يعييهم خفي، وأجعلهم حجّتي على بريّتي، والمنبّهين على قدرتي ووحدانيّتي ـ إلى أن قال ـ: فنحن أنوار السماء، وأنوار

(١) الاختصاص للمفيد: ٨٥.

الأرض، فينا النجاة، ومنّا مكنون العلم، وإلينا مصير الأمور...[١]

واستفاض عنهم عليهم السلام قالوا: عندنا علم ما كان وما يكون، وما هو كائن إلى يوم القيامة[٢].

«وينابيع الحكم» نزل على الصادق عليه السلام قوم من جهينة فأضافهم، فلمّا أرادوا الرّحلة، زوّدهم ووصلهم وأعطاهم، ثمّ قال لغلمانه: تنحّوا لا تعينوهم. فلمّا فرغوا، جاؤوا ليودّعوه، فقالوا له: يا بن رسول الله لقد أضفت فأحسنت الضيافة، وأعطيت فأجزلت العطيّة، ثمّ أمرت غلمانك ألّا يعينونا على الرّحلة. فقال عليه السلام: إنّا أهل بيت لا نعين أضيافنا على الرّحلة من عندنا[٣].

«ناصرنا ومحبّنا ينتظر الرّحمة» في (معجم الحموي) قال الشافعي:

إن كان رفضاً حبّ آل محمّد فليشهد الثقلان أنّي رافضي[٤]

وقال الصاحب بن عبّاد:

يا ربّ سهّل زياراتي مشاهدهم فإنّ روحي تهوى ذلك الطّينا
يا ربّ صيّر حياتي في محبّتهم ومحشري معهم آمين آمينا

وقال الزمخشري:

كثر الشكّ والخلاف وكلّ يدّعي الفوز بالصّراط السّويّ
فاعتصامي بلا إله سواه ثمّ حبّي لأحمد وعليّ
فاز كلب بحبّ أصحاب كهف كيف أشقى بحبّ آل نبيّ

وعن جابر الأنصاري قال: كنت ذات يوم عند النّبيّ صلى الله عليه وآله، إذ أقبل بوجهه على علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: ألا أبشّرك يا أبا الحسن؟ قال: بلى يا رسول

(١) مروج الذهب للمسعودي ١: ٤٢.

(٢) فتح الكليني في الكافي ١: ٢٦٠، باباً بهذا العنوان، وأخرج هذا المعنى من طرق عديدة، وغيره أيضاً.

(٣) أمالي الصدوق: ٤٣٧ ح ٩ مجلس ٨١.

(٤) رواه الحموي في معجم الأدباء ١٧: ٣١٠.

الله. قال: هذا جبرئيل يخبرني عن الله عزّوجلّ أنّه قد أعطى شيعتك ومحبّيك سبع خصال: الرّفق عند الموت، والأُنس عند الوحشة، والنّور عند الظلمة، والأمن عند الفزع، والقسط عند الميزان، والجواز على الصّراط، ودخول الجنّة قبل النّاس ﴿نورهم يسعى بين أيديهم وأيمانهم﴾[١].

وروى الكنجي الشافعي في مناقبه عن جابر قال: جاء أعرابي إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا محمّد اعرض عليّ الإسلام. فقال: تشهد ألّا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمّداً عبده ورسوله. قال: تسألني عليه أجراً. قال: لا ﴿إلّا المودّة في القربى﴾[٢]. قال: قرابتي أو قرابتك. قال: قرابتي. قال: هات أبايعك، فعلى من لا يحبّك ولا يحبّ قرابتك لعنة الله. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: آمين[٣].

وروى أيضاً عنه صلى الله عليه وآله قال: من سرّه أن يحيا حياتي، ويموت ميتتي، ويتمسّك بالقضيب الياقوتة الّتي خلقها الله تعالى، ثمّ قال لها: كوني فكانت، فليتولّ عليّ بن أبي الطالب من بعدي[٤].

وقال: أخذ بيد الحسن والحسين عليهما السلام فقال: من أحبّني وأحبّ هذين وأباهما وأمّهما كان معي في درجتي يوم القيامة[٥].

وقال صلى الله عليه وآله: حبّي وحبّ أهل بيتي نافع في سبعة مواطن، أهوالهنّ عظيمة: عند الوفاة، وفي القبر، وعند النّشور، وعند الكتاب، وعند الحساب، وعند الميزان، وعند الصّراط[٦].

---

(١) الخصال للصدوق: ٤٠٢ ح ١١٢ وفي المصدر بعين السند: ٤١٣ ح ٢، إلّا أن في الثاني بدل سبع تسع.

(٢) الشورى: ٢٣.

(٣) كفاية الطالب للكنجي: ٣١.

(٤) كفاية الطالب للكنجي: ٢٧.

(٥) سنن الترمذي ٥: ٦٤١ ح ٣٧٣٣، ومسند أحمد ١: ٧٧، وغيرهما.

(٦) الفردوس للديلمي عنه البحار ٢٧: ١٥٨ ح ٣، والمحاسن للبرقي: ١٥٢ ح ٧، والخصال للصدوق: ٣٦٠ ح ٤٩، وغيرهم.

وروى الثّعلبي في (تفسيره) عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: من مات على حبّ آل محمّد مات تائباً. ألا ومن مات على حبّ آل محمّد يزفّ إلى الجنّة كما تزفّ العروس إلى بيت زوجها. ألا ومن مات على حبّ آل محمّد جعل الله قبره مزار ملائكة الرّحمة[١].

وروى أبو الفرج في (مقاتله) بأسانيد: أنّ الحسن عليه السلام خطب بعد وفاة أبيه فقال: إنا من أهل البيت ﴿...الّذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً﴾[٢] والّذين افترض الله مودّتهم في كتابه إذ يقول: ﴿...ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً...﴾[٣] فاقتراف الحسنة مودّتنا أهل البيت[٤].

وروى أيضاً بأسانيد عنه عليه السلام: قال لسفيان بن الليل: فأبشر يا سفيان فإنّي سمعت عليّاً عليه السلام يقول: سمعت النّبيّ صلى الله عليه وآله يقول: يرد عليّ الحوض أهل بيتي ومن أحبّهم من أمّتي كهاتين -يعني السّبابتين- أو كهاتين -يعني السّبابة والوسطى- إحداهما تفضل على الأُخرى[٥].

وفي (فصول المالكي) عن (كتاب آل ابن خالويه)، وعن (مناقب الخوارزمي) عن بلال بن حمامة قال: طلع علينا النّبيّ صلى الله عليه وآله ذات يوم متبسّماً ضاحكاً، ووجهه مشرق كدارة القمر، فقام إليه عبدالرّحمن بن عوف، فقال: يا رسول الله ما هذا النّور؟ قال: بشارة أتتني من ربّي في أخي وابن عمّي وابنتي، فإن الله تعالى زوّج عليّاً من فاطمة، وأمر رضوان خازن الجنان، فهزّ شجرة طوبى، فحملت رقاقاً -يعني صكاكاً- بعدد محبّي أهل البيت -إلى أن قال-: فلا

---

(١) أخرجه الثعلبي في تفسيره عنه العمدة ١: ٢٧، والطرائف ١: ١٥٩ ح٢٤٨، والنقل بتقطيع.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

(٣) الشورى: ٢٣.

(٤) المقاتل لأبي الفرج ٣٣ ضمن خطبة.

(٥) المقاتل لأبي الفرج: ٤٤.

يبقى محبّ لأهل البيت إلّا دفعت الملائكة إليه صكّاً فيه فكاكه من النّار[١].

وروى الكليني عن الكاظم عليه السلام قال: إنّ الله تعالى غضب على الشّيعة، فخيّرني نفسي أو هم، فوقيتهم والله بنفسي[٢].

«وعدوّنا ومبغضنا ينتظر السّطوة» روى الكنجي الشّافعي في مناقبه مسنداً: أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قال لعليّ عليه السلام: لو أنّ أمّتي أبغضوك لأكبّهم الله في النّار[٣].

وروى الثّعلبي في (تفسيره) عن جرير البجلي قال: قال النّبيّ صلى الله عليه وآله: ألا ومن مات على بغض آل محمّد صلى الله عليه وآله، جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه «آيس من رحمة الله»، ألا ومن مات على بغض آل محمّد صلى الله عليه وآله، لم يشمّ رائحة الجنّة[٤].

وخطب النّبي صلى الله عليه وآله فقال: أيّها النّاس من أبغضنا أهل البيت بعثه الله يوم القيامة يهودياً[٥].

وقال صلى الله عليه وآله: لا يبغضنا أهل البيت أحد إلّا بعثه الله يوم القيامة أجذم[٦].

وروى الكشي عن أبي عمر البزّاز قال: سمعت الشّعبي وهو يقول: وكان إذا غدا إلى القضاء جلس في دكاني فإذا رجع جلس في دكاني، فقال لي ذات يوم: يا أبا عمر إنّ لك عندي حديثاً أحدّثك به. قال: قلت له: يا أبا عمر وما زال لي ضالّة عندك؟ قال: فقال لي: لا أمّ لك فأيّ ضالّة تقع لك عندي؟ قال: فأبى أن يحدّثني يومئذ، ثمّ سألته بعد فقلت: يا أبا عمرو حدّثني بالحديث الّذي قلت

---

(١) مناقب الخوارزمي: ٢٤٦، ورواه عنه وعن الآل لابن خالويه ابن الصباغ في الفصول المهمة: ٢٨.

(٢) الكافي ١: ٢٦٠ ح ٥.

(٣) كفاية الطالب للكنجي: ٤٢.

(٤) تفسير الثعلبي عنه العمدة ١: ٢٧، والطرائف ١: ١٥٩ ح ٢٤٨، والنقل بتقطيع.

(٥) أمالي الصدوق: ٢٧٣ ح ٢ المجلس ٥٤، وأمالي المفيد: ١٢٦ ح ٤ المجلس ١٥.

(٦) عقاب الأعمال للصدوق: ٢٤٣ ح ٢، والمحاسن للبرقي: ٩١ ح ٤٢.

لي. قال: سمعت الحارث الأعور وهو يقول: أتيت أمير المؤمنين علياً عليه السلام ذات ليلة فقال: يا أعور ما جاء بك؟ فقلت: جاء بي والله حبّك. فقال: أما إنّي سأحدّثك لتشكرها، أما إنّه لا يموت عبد يحبّني فتخرج نفسه حتّى يراني حيث يحبّ، ولا يموت عبد يبغضني فتخرج نفسه حتّى يراني حيث يكره...[١]

وروى القتيبي في (عيونه) عن الشّعبي أيضاً قال: ما لقينا من آل أبي طالب؟ إن أحببناهم قتلونا، وإن أبغضناهم أدخلونا النّار[٢].

وعن الصّادق عليه السلام ما معناه: أنّ النّاصب شرّ من ولد الزّنا، وولد الزّنا شرّ من الكلب والخنزير، ولو شفّع كلّ نبيّ مرسل وملك مقرّب للنّاصب ما شفّعوا[٣].

٨
من الخطبة (١٤٢)

بَعْدَ مَا مَرَّ في (٤، ٥).

أَيْنَ الّذينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنا كَذِباً، وَبَغْياً عَلَيْنَا؟ أَنْ رَفَعَنَا وَوَضَعَهُمْ وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ، وَأَدْخَلَنَا وَأَخْرَجَهُمْ. بِنَا يُسْتَعْطَى الْهُدى، وَيُسْتَجْلَى الْعَمى. إنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ لَا تَصْلُحُ عَلى سِوَاهُمْ، وَلَا تَصْلُحُ الْوُلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ.

أقول: قوله عليه السلام: «أين الّذين زعموا أنّهم الرّاسخون في العلم دوننا» روى

(١) معرفة الرجال للكشي اختياره: ٨٨ ح ١٤٢، مرّ تخريجه في اوائل مقدمة المؤلف.

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة ١: ٢١٢.

(٣) المحاسن للبرقي: ١٨٥ ح١٩٦، وعقاب الأعمال للصدوق: ٢٥١ ح ٢ عن الصادق عليه السلام: «ان نوحاً حمل في السفينة الكلب والخنزير، ولم يحمل فيها ولد الزنا، وأنّ الناصب شرٌّ من ولد الزنا» وأخرج البرقي بطريقين في المحاسن: ١٨٤، ١٨٦ ح١٩٠، ١٩٨، والصدوق في عقاب الأعمال: ٢٤٦ ح١، عن الصادق عليه السلام في ذيل حديث «ولو أن ناصباً شفع له كل نبي مرسل وملك مقرّب ما شفعوا».

ابن بابويه عن الصّادق عليه السلام قال: كان للنّبيّ صلى الله عليه وآله صديقان يهوديان فلمّا قبض أقبلا يسألان عن صاحب الأمر بعده، وقالا: لم يمت نبيّ قطّ إلّا وله خليفة قريب القرابة إليه من أهل بيته، عظيم الخطر، جليل الشّأن. فقال أحدهما لصاحبه: هل تعرف ذلك؟ قال الآخر: لا، إلّا بالصّفة الّتي أجدها في التّوراة -إلى أن قال- قالا لأبي بكر: ما قرابتك من النّبيّ صلى الله عليه وآله؟ قال: إنّي رجل من عشيرته وهو زوج ابنتي. قالا: هل غير هذا؟ قال: لا. قالا: دلّنا على من هو أعلم منك، فإنّك أنت لست بالرّجل الّذي نجد صفته في التّوراة؛ إنّه وصيّ هذا النّبيّ وخليفته. فتغيظ من قولهما وهمّ بهما، ثمّ أرشدهما إلى عمر، وذلك أنّه عرف من عمر أنّهما إن استقبلاه بشيء بطش بهما -إلى أن قال- فلمّا جاءا إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال أحدهما لصاحبه: إنّه الرّجل الّذي نجد صفته في التّوراة، إنّه وصيّ هذا النّبيّ. ثمّ قالا له: ما قرابتك من النّبيّ؟ قال: هو أخي وأنا وارثه ووصيّه، وأوّل من آمن به، وزوج ابنته فاطمة. قالا: هذه القرابة الفاخرة والمنزلة القريبة، وهذه الصّفة الّتي نجدها في التّوراة، ثمّ قالا له: فأين ربّك؟ قال: إن شئتما أنبأتكما بالّذي كان على عهد نبيّكما، وإن شئتما أنبأتكما بالّذي كان على عهد نبيّنا. قالا: أنبئنا بالّذي كان على عهد نبيّنا. قال: أقبل أربعة أملاك: ملك من المشرق، وملك من المغرب وملك من السّماء، وملك من الأرض، فقال صاحب المشرق لصاحب المغرب: من أين أقبلت؟ قال: من عند ربّي. وقال صاحب المغرب لصاحب المشرق: من أين أقبلت؟ قال: من عند ربّي. وقال ملك السّماء لملك الأرض: من أين أقبلت؟ قال: من عند ربّي. وقال ملك الأرض لملك السّماء: من أين أقبلت؟ قال: من عند ربّي. فهذا ما كان على عهد نبيّكما، وأمّا ما كان على عهد نبيّنا فقوله في محكم كتابه: ﴿...ما يكون من نجوى ثلاثة إلّا هو رابعهم ولا خمسة إلّا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلّا هو معهم أينما

كانوا...﴾[١]. قالا: فما منع صاحبيك أن يكونا جعلاك في موضعك الّذي أنت أهله؟ فوالّذي أنزل التّوراة على موسى إنّك لأنت الخليفة حقّاً، نجد صفتك في كتبنا ونقرأ في كنائسنا، وإنّك لأحقّ بهذا الأمر، وأولى به ممّن قد غلبك عليه. فقال عليه السلام: قدّما وأخّرا وحسابهما على الله تعالى يوقفان ويسألان[٢].

هذا، وفي (الأغاني): كان هارون بن محمّد بن عبدالملك ينشد من أشعار أبيه ويفضّلها. فقال له ابن برد الخيار: إن كان لأبيك مثل قول إبراهيم بن العبّاس:

أسد ضارٍ إذا هيّجته   وأب برّ إذا ما قدرا
يعرف الأبعد أن أثرى ولا   يعرف الأدنى إذا ما افتقرا

أو مثل قوله:

تلج السّنون بيتهم وترى لهم   عن جار بيتهم ازورار مناكب
وتراهم بسيوفهم وشفارهم   مستشرفين لراغب أو راهب
حامين أو قارين حيث لقيتهم   نهب العفاة ونهزة للرّاغب

فاذكره وافتخر به، وإلّا فأقلل من الافتخار والتّطاول بما لا طائل فيه. فخجل هارون[٣].

«كذباً وبغياً علينا» روى زيد بن موسى عليه السلام: أنّ فاطمة بنت الحسين عليه السلام قالت في خطبتها في الكوفة: ويلكم أحسدتمونا على ما فضّلنا الله[٤]؟

فما ذنبنا إن جاش دهراً بحورنا   وبحرك ساج ما يواري الدّعامصا

---

(١) المجادلة: ٧.

(٢) التوحيد لابن بابويه الصدوق: ١٨٠ ح ١٥.

(٣) الأغاني لأبي الفرج ١٠: ٦٥ والنقل بتصرف يسير.

(٤) اللهوف لابن طاووس: ٦٧، والاحتجاج للطبرسي: ٣٠٢، ولفظهما «احسدتمونا ويلاً لكم على ما فضلنا الله».

﴿...ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾[1]، ﴿...ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾[2].

«أن رفعنا الله ووضعهم وأعطانا وحرمهم» وكانوا مقرّين بفضلهم؛ روى أحمد بن أبي طاهر البغدادي في (بلاغات نسائه): أنَّ أبا بكر قال لسيّدة النّساء ـ صلوات الله عليها ـ: لا يحبّكم إلّا العظيم السّعادة، ولا يبغضكم إلّا الرّديّ الولادة، وأنتم عترة الله الطّيّبون، وخيرته المنتجبون[3].

ومن رفع الله لهم عليهم السلام ما رواه الطّبري وغيره: أنَّ عمر قال لابن عبّاس: بلغني عنك كلام أكره أن أُخبرك به فتزول منزلتك عندي. قال: وما هو أخبرني به، فإن يك باطلاً فمثلي أماط الباطل عن نفسه، وإن يك حقّاً فإنَّ منزلتي عندك لا تزول به؟ قال: بلغني أنّك لا تزال تقول: أُخذ هذا الأمر منّا حسداً وظلماً. قال: أمّا قولك: حسداً، فقد حسد إبليس آدم فأخرجه من الجنّة، فنحن بنو آدم المحسود، وأمّا قولك: ظلماً فأمير المؤمنين يعلم صاحب الحقّ من هو، ثمّ قال له: ألم تحتجّ العرب على العجم بحقّ رسول الله صلى الله عليه وآله واحتجّت قريش على سائر العرب بحقّ رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فنحن أحقُّ برسول الله صلى الله عليه وآله من سائر قريش: فقال عمر: قم الآن[4].

ومن وضع الله تعالى لقريش: أنَّ النّبيّ صلى الله عليه وآله أمّر عليهم عمرو بن العاص رأس المنافقين وأُسامة بن زيد وأباه مع كونهما موليين، وقد طعنوا في فعل النّبيّ صلى الله عليه وآله بهم ذلك كما صرّح بذلك النّبيّ صلى الله عليه وآله لمّا أمّر عليهم أُسامة، فقال:

---

(١) الحديد: ٢١.

(٢) النور: ٤٠.

(٣) بلاغات النساء للبغدادي: ٣١.

(٤) تاريخ الطبري ٣: ٢٨٩ سنة ٢٣ والنقل بالمعنى.

طعنوا في إمارتك كما طعنوا في إمارة أبيك وأنتما أهل لذلك[١].

ومن إعطائهم عليهم السلام وحرمان أولئك المدّعين: اختصاصهم بمقام الإمامة منه تعالى؛ وفي (عيون ابن بابويه) قال عبدالعزيز بن مسلم: كنّا في أيّام عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام بمرو، فاجتمعنا في مسجد جامعها في يوم جمعة، فأدار الناس أمر الإمامة وذكروا كثرة اختلاف النّاس فيها، فدخلت عليه عليه السلام فأعلمته ما خاض النّاس فيه فتبسّم ثمّ قال: جهل القوم وخدعوا عن أديانهم، إنّ الله تعالى لم يقبض نبيّه صلى الله عليه وآله حتّى أكمل له الدّين، وأنزل عليه القرآن فيه تفصيل كلّ شيء بيّن فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام، وجميع ما يحتاج إليه كما قال عزّ وجلّ: ﴿ما فرّطنا في الكتاب من شيء﴾[٢] وأنزل في حجّة الوداع وهو آخر عمره ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾[٣]. وأمر الإمامة من تمام الدّين، ولم يمض النّبيّ صلى الله عليه وآله حتّى بيّن لأمّته معالم دينه، وأوضح لهم سبيله، وتركهم على قصد الحقّ، وأقام لهم عليّاً عليه السلام علماً وإماماً، وما ترك شيئاً يحتاج إليه الأمّة إلّا بيّنه، فمن زعم أنّ الله عزّ وجلّ لم يكمل دينه فقد ردّ كتاب الله، ومن ردّ كتاب الله فهو كافر. هل يعرفون قدر الإمامة ومحلّها من الأمّة فيجوز فيها اختيارهم؟ إنّ الإمامة أجلّ قدراً وأعظم شأناً، وأعلى مكاناً، وأمنع جانباً من أن يبلغها النّاس بعقولهم[٤].

ولعلم قريش بأنّهم لم يكونوا على شيء، وأنّ أميرالمؤمنين عليه السلام لو

---

(١) صحيح البخاري ٢: ٣٠٣، و ٣: ٩٦ بطريقين، وصحيح مسلم ٤: ١٨٨٤ ح٦٣، ٦٤ بطريقين، وسنن الترمذي ٥: ٦٧٦ ح٣٨١٦ وغيرهم، والنقل بالمعنى.

(٢) الأنعام: ٣٨.

(٣) المائدة: ٣.

(٤) عيون الأخبار للصدوق ١: ١٧١ ح١.

ولي الأمر لم يكن ليشركهم معه أو بعده كما فعل أبوبكر مع عمر، وعمر مع عثمان، سعوا بتمام قواهم أن لا يصل الأمر إليه، فقاموا عليه يوم السّقيفة، ويوم الدّار، وحين قيامه عليه السلام، ولم يكادوا يستعملون أقاربه عليه السلام في ولاياتهم.

قال المسعودي في (مروجه) عن ابن عبّاس: إنّ عمر أرسل إلى ابن عبّاس فقال: إنّ عامل حمص هلك وكان من أهل الخير، وأهل الخير قليل، وقد رجوت أن تكون منهم، وفي نفسي منك شيء لم أره منك وأعياني ذلك، فما رأيك في العمل؟ قال: لن أعمل حتّى تخبرني بالّذي في نفسك. قال: وما تريد إلى ذلك؟ قال: أُريده فإن كان شيء أخاف منه على نفسي، خشيت منه عليها الّذي خشيت، وإن كنت بريئاً من مثله وعلمت أنّي لست من أهله فقبلت عملك هنالك، فإنّي قلّما رأيتك طلبت شيئاً إلّا عاجلته. فقال: يا بن عبّاس إنّي خشيت أن يأتي عليّ الّذي هو آت وأنت في عملك، فتقول: هلمّ إلينا، ولا هلمّ إليكم دون غيركم. إنّي رأيت النّبيّ صلى الله عليه وآله استعمل النّاس وترككم. قال: والله قد رأيت من ذلك فَلِمَ تراه فعل ذلك؟ قال: والله ما أدري أضنّ بكم عن العمل؟ فأهل ذلك أنتم، أم خشي أن تبايعوا بمنزلتكم منه فيقع العتاب ولابد من عتاب؟ فقد فرغت لك فما رأيك؟ قال: قلت: أرى أن لا أعمل لك. قال: وَلِمَ؟ قال: قلت: إن عملت لك وفي نفسك ما فيها لم أبرح قذى في عينك. قال: فأشر عليّ. قال: قلت: إنّي أرى أن تستعمل صحيحاً منك صحيحاً لك[1].

وقوله: «والله ما أدري أضنّ بكم عن العمل...» فجور منه في الحلف؛ فإنّه علم أنّه صلى الله عليه وآله ضنَّ بهم. ثمّ إنّه لم يستعمل ابن عبّاس، لئلّا يصير وسيلة لتولية أمير المؤمنين عليه السلام، لكونه ابن عمّه لو مات هو، مع كون ابن عبّاس من أهل بيت النّبيّ صلى الله عليه وآله. واستعمل معاوية أعدى عدوّ النّبيّ صلى الله عليه وآله مع علمه بنفاقه

(١) مروج الذهب للمسعودي ٢: ٣٢١.

ومعرفته بدرجة دهائه، ليصير سبباً لغلبته على أهل البيت، وقد صار الأمر كما دبّر ولم يولّه بلدة، بل إقليماً مثل الشّام حتّى يمكنه المقاومة في مقابل أمير المؤمنين عليه السلام، مع كون الحجاز والعراق تحت يده، وقد صرّح بذلك يوم الشّورى، فألقى الاختلاف بين السـتّة، ودبّر حرمان أمير المؤمنين عليه السلام بحكميّة ابن عوف صهر عثمان وقال: إن اختلفتم يغلبكم معاوية. فهل غلبة معاوية إلّا منه؟ وهل بغي على أهل البيت عليهم السلام أعظم ممّا فعل؟

«وأدخلنا وأخرجهم» روى الخطيب في محمّد بن سليمان بن حبيب عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي جعفر عن إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص قال: إنّ علياً عليه السلام أتى النّبيّ صلى الله عليه وآله وعنده ناس، فلمّا دخل عليّ خرجوا، ثمّ إنّهم قالوا: والله ما أخرجنا النّبيّ صلى الله عليه وآله فَلِمَ خرجنا؟ فرجعوا فدخلوا على النّبيّ صلى الله عليه وآله فقال النّبيّ صلى الله عليه وآله: إنّي والله ما اخرجتكم وأدخلته، ولكنّ الله هو أدخله وأخرجكم. رواه بأسانيد[١].

وروى أحمد بن حنبل في فضائله عن زيد بن أرقم قال: كان لنفر من الصّحابة أبواب شارعة في المسجد، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: سدّوا هذه الأبواب إلّا باب عليّ بن أبي طالب. فتكلّم النّاس في ذلك، فقام النّبيّ صلى الله عليه وآله فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: ما سدّدت شيئاً ولا فتحته ولكنّي أُمرت بشيء فاتّبعته[٢].

وروى التّرمذي في (صحيحه) عن جابر قال: دعا رسول الله صلى الله عليه وآله علياً يوم الطّائف، فانتجاه طويلاً فقال النّاس: لقد طالت نجواه مع ابن عمّه. فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: ما انتجيته ولكنّ الله انتجاه[٣].

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٥: ٢٩٤.

(٢) رواه عنه سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص: ٤١.

(٣) سنن الترمذي ٥: ٦٣٩ ح٣٧٢٦ ورواه عنه سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص: ٤٢.

نقلهما سبط ابن الجوزي في كتابه.

«بنا» لا بغيرنا.

«يستعطى الهدى» إلى الحقّ؛ وقد قال تعالى: ﴿...أفمن يهدي إلى الحقّ أحقّ أن يتّبع أمّن لا يهدّي إلّا أن يُهدى فما لكم كيف تحكمون﴾[١].

«ويستجلى العمى» عن الباطل؛ وقول عمر: «معضلة ليس لها أبو الحسن»[٢] صار كالمثل.

«إنّ الأئمّة من قريش» حسبما استفاض عنه صلى الله عليه وآله من طريق الخاصّة والعامّة.

«غرسوا في هذا البطن من هاشم» أي: الطّالبيين منهم دون باقي بطون هاشم من العباسيّين وغيرهم، وفي الإثني عشر من بطن الطالبيّين دون غيرهم من الجعفريّين العقيليّين وغيرهما؛ روى محمّد بن بابويه في (إكماله) عن الأسواري قال: كان ليحيى بن خالد مجلس بداره يحضره المتكلّمون من كل فرقة يوم الأحد، فيتناظرون في أديانهم فيحتجّ بعضهم على بعض، فبلغ ذلك الرّشيد فقال له: ما هذا المجلس الّذي بلغني عنك في منزلك يحضره المتكلّمون؟ قال: ما شيء ممّا رفعني به أمير المؤمنين عليه السلام أحسن مَوقعاً عندي من هذا المجلس الّذي يحضره كلّ قوم مع اختلاف مذاهبهم، فيحتجّ بعضهم على بعض، ويعرف المحق من بينهم، ويبيّن لنا فساد كلّ مذهب من مذاهبهم. فقال له الرّشيد: أُحبّ أن أحضر هذا المجلس، وأسمع كلامهم على أن لا يعلموا بحضوري، فيحتشموا ولا يظهروا مذاهبهم. قال: ذلك إلى أمير

---

(١) يونس: ٣٥.

(٢) انساب الأشراف للبلاذري ٢: ٩٩ ـ ١٠٠ ح ٢٩، ٣٠، وغيره مرّ تخريجه في شرح فقرة «والفضائل الجمة» من خطبة الرضي.

المؤمنين إن شاء ومتى شاء. قال: فضع يدك على رأسي على ألّا تعلمهم بحضوري. ففعل ذلك وبلغ الخبر المعتزلة فتشاوروا بينهم وعزموا على ألّا يكلّموا هشام بن الحكم إلّا في الإمامة، لعلمهم بمذهب الرّشيد وإنكاره على من قال بالإمامة، فحضروا وحضر هشام وحضر عبدالله بن يزيد الأباضي ـ وكان من أصدق النّاس لهشام ـ فدخل هشام وسلّم على عبدالله من بينهم، فقال يحيى لعبد الله: كلّم هشاماً في ما اختلفتم فيه من الإمامة. فقال هشام: أيّها الوزير ليس لهؤلاء علينا جواب ولا مسألة، إنّ هؤلاء قوم كانوا مجتمعين معنا على إمامة رجل، ثم فارقونا بلا علم ولا معرفة، فلا حين كانوا معنا عرفوا الحقّ، ولا حين فارقونا علموا علامَ فارقونا. فقال بنان ـ وكان من الحروريّة ـ: أخبرني عن أصحاب عليّ حين حكّموا الحكمين كانوا مؤمنين أم كافرين؟ قال هشام: كانوا ثلاثة أصناف: صنف مؤمنون، وصنف مشركون، وصنف ضالّون؛ فأمّا المؤمنون فمن قال مثل قولي: إنّ عليّاً عليه السلام إمام من عند الله عزّ وجلّ ومعاوية لا يصلح لها، فآمنوا بما قال الله تعالى في عليّ عليه السلام وأقرّوا به. وأمّا المشركون فقوم قالوا: عليّ إمام ومعاوية يصلح لها، فأشركوا وأدخلوا معاوية مع عليّ عليه السلام. وأمّا الضّالّون فقوم خرجوا من الحميّة والعصبيّة للعشائر والقبائل، ولم يعرفوا شيئاً من هذا وهم جهّال. قال: فأصحاب معاوية ما كانوا؟ قال: كانوا ثلاثة أصناف: صنف كافرون، وصنف مشركون، وصنف ضالّون. أمّا الكافرون فالّذين قالوا: إنّ معاوية إمام وعليّ لا يصلح لها، فكفروا من جهتين إذ جحدوا إماماً من الله عزّ وجلّ ونصبوا إماماً ليس من الله. وأمّا المشركون فقوم قالوا: معاوية إمام وعليّ يصلح لها، فأشركوا معاوية مع عليّ عليه السلام. وأمّا الضّالّون فعلى سبيل اولئك خرجوا بالحميّة والعصبيّة للقبائل والعشائر. فانقطع بنان عند ذلك.

فقال ضرار: وأنا أسألك يا هشام في هذا. قال: أخطأت. قال: وَلِمَ؟ قال:

لأنّكم كلّكم مجتمعون على دفع إمامة صاحبي، وقد سألني هذا عن مسألة، وليس لكم أن تثنوا عليّ بالمسألة، حتّى أسألك يا ضرار عن مذهبك في هذا الباب. فقال: سل. فقال: أتقول إنّ الله عزّ وجلّ عدل لا يجور؟ قال: نعم. قال: فلو كلّف الله المقعد المشي إلى المساجد والجهاد، وكلّف الأعمى قراءة المصاحف والكتب أتراه كان عادلاً أم جائراً؟ قال: ما كان ليفعل ذلك. قال هشام: قد علمت أنّ الله لا يفعل ذلك، ولكن ذلك على سبيل الجدال والخصومة، ولو فعل ذلك أليس كان في فعله جائراً إذ كلّفه تكليفاً لا يكون له السّبيل إلى إقامته وأدائه؟ قال: لو فعل ذلك كان جائراً.

قال: فأخبرني عن الله عزّوجلّ كلّف العباد ديناً واحداً لا اختلاف فيه لا يقبل منهم إلّا أن يأتوا به كما كلّفهم؟ قال: بلى. قال: فجعل لهم دليلاً على وجود ذلك الدّين، أو كلّفهم ما لا دليل لهم على وجوده، فيكون بمنزلة من كلّف الأعمى قراءة الكتب، والمقعد المشي إلى المساجد والجهاد؟ فسكت ضرار ساعة ثمّ قال: لابدّ من دليل وليس بصاحبك. فتبسّم هشام وقال: تشيع شطرك، وصرت إلى الحقّ ضرورة ولا خلاف بيني وبينك إلّا في التّسمية.

قال ضرار: فإنّي أُرجع عليك القول في هذا. قال: هات. قال ضرار: كيف تعقد الإمامة؟ قال هشام: كما عقد الله النّبوّة. قال: فهو إذن نبيّ؟ قال: لا، لأنّ النّبوّة يعقدها أهل السّماء، والإمامة يعقدها أهل الأرض، فعقد النّبوّة بالملائكة، وعقد الإمامة بالنّبيّ، والعقدان جميعاً بأمر الله جلّ جلاله. قال: فما الدّليل على ذلك؟ قال هشام: الاضطرار في هذا. قال ضرار: وكيف ذلك؟ قال هشام: لا يخلو الكلام في هذا من أحد ثلاثة وجوه؛ إمّا أن يكون الله عزّ وجلّ رفع التّكليف عن الخلق بعد الرّسول ﷺ فلم يكلّفهم ولم يأمرهم ولم ينههم، فصاروا بمنزلة السّباع والبهائم؛ الّتي لا تكليف عليها أفتقول هذا يا ضرار: إنّ التّكليف عن النّاس مرفوع بعد الرّسول ﷺ؟ قال: لا أقول هذا. قال هشام:

فالوجه الثّاني ينبغي أن يكون النّاس المكلّفون قد استحالوا بعد الرّسول ﷺ علماء في مثل حدّ الرّسول في العلم، حتّى لا يحتاج أحد إلى أحد، فيكونوا كلّهم قد استغنوا بأنفسهم وأصابوا الحقّ الّذي لا اختلاف فيه، أفتقول هذا: إنّ النّاس استحالوا علماء حتّى صاروا في مثل حدّ الرّسول في العلم بالدّين، حتّى لا يحتاج أحد إلى أحد، مستغنين بأنفسهم عن غيرهم في إصابة الحقّ؟ قال: لا أقول هذا ولكنّهم يحتاجون إلى غيرهم. قال: فبقي الوجه الثّالث، وهو أنّه لابدّ لهم من عالم يقيمه الرّسول لهم لا يسهو ولا يغلط ولا يحيف، معصوم من الذّنوب مبرّأ من الخطايا يحتاج النّاس إليه ولا يحتاج إلى أحد. قال: فما الدّليل عليه؟

قال هشام: ثمان دلالات: أربع في نعت نسبه، وأربع في نعت نفسه؛ فأمّا الأربع الّتي في نعت نسبه: فإنّه يكون معروف الجنس، معروف القبيلة، معروف البيت، وأن يكون من صاحب الملّة والدّعوة إليه إشارة، فلم ير جنس من هذا الخلق أشهر من جنس العرب، الّذين منهم صاحب الملّة والدّعوة، الّذي ينادى باسمه في كل يوم خمس مرّات على الصّوامع: «أشهد ألّا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله» فتصل دعوته إلى كلّ برّ وفاجر، عالم وجاهل مقرّ ومنكر في شرق الأرض وغربها، ولو جاز أن تكون الحجّة من الله على هذا الخلق في غير هذا الجنس لأتى على الطّالب المرتاد دهر من عصره لا يجده، ولجاز أن يطلبه في أجناس من هذا الخلق من العجم وغيرهم، ولكان من حيث أراد الله عزّ وجلّ أن يكون صلاح يكون فساد، ولا يجوز هذا في حكمة الله تعالى وعدله، أن يفرض على النّاس فريضة لا توجد. فلمّا لم يجز ذلك لم يجز أن يكون إلّا في هذا الجنس لاتّصاله بصاحب الملّة والدّعوة، فلم يجز أن يكون من هذا الجنس إلّا في هذه القبيلة، لقرب نسبها من صاحب الملّة وهي قريش، ولمّا لم يجز أن يكون من هذا الجنس إلا في هذه القبيلة، لم يجز أن يكون من

هذه القبيلة إلّا في هذا البيت لقرب نسبه من صاحب الملّة والدّعوة، ولمّا كثر أهل هذا البيت، وتشاجروا في الإمامة، لعلوها وشرفها ادّعاها كلّ واحد منهم، فلم يجز إلّا أن يكون من صاحب الملّة والدعوة إشارة إليه بعينه واسمه ونسبه، كيلا يطمع فيها غيره.

وأمّا الأربع الّتي في نعت نفسه: فأن يكون أعلم النّاس كلّهم بفرائض الله وسننه وأحكامه، حتّى لا يخفى عليه منها دقيق ولا جليل، وأن يكون معصوماً من الذّنوب كلّها، وأن يكون أشجع النّاس، وأن يكون أسخى النّاس.

فقال عبدالله بن يزيد الأباضي: من أين قلت: إنّه أعلم النّاس؟

قال: لأنّه إن لم يكن عالماً بجميع حدود الله وأحكامه وشرائعه وسننه، لم يؤمن عليه أن يقلّب الحدود، فمن وجب عليه القطع حدّه، ومن وجب عليه الحدّ قطعه، فلا يقيم لله حدّاً على ما أمر به، فيكون من حيث أراد الله صلاحاً يقع فساد.

قال: فمن أين قلت: إنّه معصوم من الذّنوب؟

قال: لأنّه إن لم يكن معصوماً من الذّنوب دخل في الخطأ، فلا يؤمن أن يكتم على نفسه، ويكتم على حميمه وقريبه، ولا يحتجّ الله بمثل هذا على خلقه.

قال: فمن أين قلت: إنّه أشجع النّاس؟

قال: لأنّه فئة للمسلمين يرجعون إليه في الحروب، وقد قال عزّوجلّ: ﴿ومن يولّهم يومئذ دبره إلّا متحرّفاً لقتال أو متحيّزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله...﴾[1] فإن لم يكن شجاعاً، فرّ فيبوأ بغضب من الله عزّ وجلّ حجّة الله على خلقه.

قال: فمن أين قلت: إنّه أسخى النّاس؟

---

(١) الأنفال: ١٦.

قال: لأنّه خازن المسلمين فإن لم يكن سخيّاً، تاقت نفسه إلى أموالهم فأخذها فكان خائناً، ولا يجوز أن يحتجّ الله على خلقه بخائن.

فعند ذلك قال ضرار: فمن هذا بهذه الصّفة في هذا الوقت؟ فقال: صاحب القصر أمير المؤمنين -وكان هارون قد سمع الكلام كلّه- فقال عند ذلك: أعطانا والله من جراب النّورة، ويحك يا جعفر -وكان جعفر بن يحيى جالساً معه في السّتر- من يعني بهذا؟ فقال: يعني به موسى بن جعفر. قال: ما عنى به غيره. ثمّ عضّ على شفتيه وقال: مثل هذا حيّ ويبقى لي ملكي ساعة واحدة. فوالله للسان هذا أبلغ في قلوب النّاس من مائة ألف سيف. وعلم يحيى أنّ هشاماً قد أتي فدخل السّتر، فقال: يا عبّاسي ويحك من هذا الرّجل؟ فقال: حسبك تُكفى تُكفى.

ثمّ خرج إلى هشام فغمزه، فعلم هشام أنّه قد أُتي، فقام يريهم أنّه يبول أو يقضي حاجة، فلبس نعليه وانسلّ، ومرّ ببيته وأمرهم بالتّواري، وهرب ومرّ من فوره نحو الكوفة، ونزل على بشير النّبال -وكان من حملة الحديث من أصحاب أبي عبدالله عليه السلام- فأخبره الخبر، ثمّ اعتل علّة شديدة، فقال له البشير: آتيك بطبيب قال: لا أنا ميّت. فلمّا حضره الموت قال لبشير: إذا فرغت من جهازي فاحملني في جوف اللّيل، وضعني بالكناسة واكتب رقعة وقل: هذا هشام بن الحكم الّذي يطلبه الخليفة مات حتف أنفه. وكان هارون قد بعث إلى إخوانه وأصحابه فأخذ الخلق به، فلمّا أصبح أهل الكوفة رأوه، وحضر القاضي وصاحب المعونة والعامل والمعدّلون بالكوفة، وكتب إلى الرّشيد بذلك فقال: الحمد لله الّذي كفانا أمره وخلّى عمّن كان أخذ به[١].

«لا تصلح على سواهم، ولا تصلح الولاة من غيرهم» ظهر لك من البرهان

---

(١) كمال الدين للصدوق: ٣٦٢.

الّذي ذكره هشام أنّ وجوب كون الإمام من بيت هاشم بيت النّبيّ صلى الله عليه وآله أمر عقلي لا يجوز تخلّفه، ويعاضده الدّليل النّقلي القطعي، قوله تعالى: ﴿إنّما وليّكم الله ورسوله والّذين آمنوا...﴾(١).

وقول رسوله صلى الله عليه وآله في المتواتر: «من كنت مولاه فعليّ مولاه»(٢).

ومنه يظهر لك ما في قول ابن أبي الحديد هنا: «إن قلت: إنّك شرحت هذا الكتاب على قواعد المعتزله وأُصولهم فما قولك في هذا الكلام وهو تصريح بأنّ الإمامة لا تصلح من قريش إلّا في بني هاشم خاصّة، وليس ذلك بمذهب المعتزلة لا متقدميهم ولا متأخريهم قلت: هذا الموضع مشكل ولي فيه نظر، وإن صحّ أن علياً عليه السلام قاله قلت: كما قال لأنّه ثبت عندي أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قال: (إنّه مع الحقّ وأنّ الحقّ يدور معه حيثما دار)(٣). ويمكن أن يتأوّل على مذهب المعتزلة، فيحمل على أنّ المراد به كمال الإمامة كما في قوله صلى الله عليه وآله: (لا صلاة لجار المسجد إلّا في المسجد)(٤) على نفي الكمال لا على نفي الصّحة»(٥).

قلت: هذا التّأويل منه كتأويل بعض المتكلّمين ـ كما في (مختلف ابن قتيبة) ـ النّهي عن الخمر في القرآن على جهة التّأديب، كما في قوله تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كلّ البسط...﴾(٦) وفي قوله تعالى: ﴿...واهجروهنّ في المضاجع واضربوهنّ...﴾(٧) وذهب إلى عدم

---

(١) المائدة: ٥٥.

(٢) هذا حديث الغدير مرّ تخريجه في شرح فقرة «ولهم خصائص» في العنوان ٤ من هذا الفصل.

(٣) سنن الترمذي ٥: ٦٣٣ ح٣٧١٤ وغيره مرّ تخريجه في أواخر العنوان ٥ من هذا الفصل.

(٤) أخرجه الدارقطني في سننه عنه الجامع الصغير ٢: ٢٠٣ مسنداً، والمرتضى في الذريعة ١: ٣٥٤، والطوسي في التهذيب ١: ٩٢ ح٣ مجرداً وروي أيضاً عن عليّ عليه السلام.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٠٢.

(٦) الاسراء: ٢٩.

(٧) النساء: ٣٤.

حرمة الخمر(١).

وكتأويل بعضهم العدد في قوله تعالى: ﴿...فانكحوا ما طاب لكم من النّساء مثنى وثلاث ورباع...﴾(٢) على الجمع فجوّز نكاح تسع من الحرائر، واستشهد على تأويله بأنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله مات عن تسع، وأنكر الخصوصيّة للنّبيّ صلى الله عليه وآله(٣).

وكتأويل حرمة لحم الخنزير في قوله تعالى: ﴿حرّمت عليكم الميتة والدّم ولحم الخنزير...﴾(٤) على حلّية شحمه وجلده(٥)، مع كون ما قاله في ما مرّ خلاف ضرورة الإسلام.

وكتأويل قوله تعالى في نبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿...وخاتم النّبيّين...﴾(٦) على كون النّبيّ صلى الله عليه وآله زينة لهم كالخاتم لصاحبه، فقال بعدم خاتميّة النّبيّ صلى الله عليه وآله، وكما نقل عن بعض الغلاة والإسماعيلية القول بنبوّة أنبياءٍ بعد النّبيّ صلى الله عليه وآله، مع أنّه تواتر عن النّبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «لا نبيّ بعدي»(٧) فكما أنّ الآيات المتقدّمة لا تجوّز التأويل كذلك قوله عليه السلام: «أين الذين زعموا أنّهم الرّاسخون في العلم دوننا كذباً وبغياً علينا، أن رفعنا الله ووضعهم، وأعطانا وحرمهم وأدخلنا وأخرجهم؟ بنا يستعطى الهدى ويستجلى العمى» قبل هذا الكلام أي: قوله عليه السلام «غرسوا في هذا البطن من هاشم لا تصلح على سواهم ولا تصلح

---

(١) نقلها ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث: ٦٠ ـ ٦١، والنقل بالمعنى.

(٢) النساء: ٣.

(٣) نقلها ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث: ٦٠ ـ ٦١، والنقل بالمعنى.

(٤) المائدة: ٣.

(٥) نقلها ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث: ٦٠ ـ ٦١، والنقل بالمعنى.

(٦) الأحزاب: ٤٠.

(٧) هذا ذيل حديث المنزلة مرّ تخريجه في أوائل العنوان ٧ من هذا الفصل.

الولاة من غيرهم».

ولو فتح باب مثل تأويله لصحّ تأويل تلك المتنبّية عدم منافاة قول خاتم الأنبياء لنبوّتها بأنّه إنّما قال: «لا نبيّ بعدي» ولم يقل: «لا نبيّة بعدي».

وسأل هشام بن الحكم أيضاً جماعة من المتكلّمين فقال: أخبروني حين بعث الله محمّداً صلى الله عليه وآله بعثه بنعمة تامّة أو بنعمة ناقصة؟ قالوا: بنعمة تامّة. قال: فأيّما أتمّ أن يكون في أهل بيت واحد نبوّة وخلافة أو تكون نبوّة بلا خلافة؟ قالوا: بل تكون نبوّة وخلافة. قال: فلماذا جعلتموها في غيرها؟ فإذا صارت في بني هاشم ضربتم وجوههم بالسّيف؟ فأُفحموا[1].

وروى محمّد بن محمّد بن النّعمان عن المرزباني عن محمّد بن العبّاس عن محمّد بن يزيد النّحوي عن ابن عائشة: أنّ ذا الشّهادتين قال:

ما كُنت أحسب هذا الأمر منصرفا ... عن هاشم ثمّ منها عن أبي حسن
أليس أوّل من صلّى بقبلتهم ... وأعرف النّاس بالآثار والسّنن
وآخر النّاس عهداً بالنّبيّ ومن ... جبريل عون له في الغسل والكفن
من فيه فيه ما فيه لا يمترون به ... وليس في القوم ما فيه من الحسن
ماذا الّذي ردّكم عنه فنعلمه ... ها إنّ بيعتكم من أغبن الغبن[2]

وقال حسان:

وما زال في الإسلام من آل هاشم ... دعائم صدق لا ترام ومفخر
هم جبل الإسلام والنّاس حولهم ... رضام إلى طود يطول ويقهر

وقال كعب الأنصاري:

قوم بهم عصم الإله عباده ... وعليهم نزل الكتاب المنزل

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب ١: ٢٧٦.

(٢) الارشاد للمفيد: ٢٢.

وروى الخطيب في هاشم بن مسرور المؤدب عن أبي صالح في قوله تعالى: ﴿الّذين إن مكّنّاهم في الأرش أقاموا الصّلاة وآتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر...﴾[١] قال: هم بنو هاشم. ثم قلت: من مضى منهم أم من بقي؟ قال: من مضى منهم ومن بقي[٢].

وروى ابن عبد ربّه في (عقده) ـ في وفود قريش على سيف بن ذي يزن ـ: أنَّ سيفاً قال لعبد المطّلب: إذا ولد مولود بتهامة، بين كتفيه شامة، كانت له الإمامة، إلى يوم القيامة[٣].

وقال الكميت مشيراً إلى النّبيّ صلّى الله عليه وآله:

يقولون لم يورث ولولا تراثه	لما شاركت فيه بكيل وأرحب
ولا انتشلت عضوين منها يحابر	وكان لعبد القيس عضو مورّب
فإن هي لم تصلح لحيّ سواهم	إذن فذوو القربى أحقُّ وأقرب
فيالك أمر قد اشتت جمعه	ودنيا أرى أسبابها تتقضّب
تبدّلت الأشرار بعد خيارها	وجدّ بها من أُمّة هي تلعب

وروى المسعودي في (مروجه): أنّه لمّا ورد صعصعة على معاوية من قبل أمير المؤمنين عليه السلام وسأله عن قومه، وأجابه، قال له معاوية: ويحك يا بن صوحان فما ترك لهذا الحيّ من قريش مجداً ولا فخراً؟ قال: بلى والله يا بن أبي سفيان تركت لهم ما لا يصلح إلّا بهم، ولهم تركت الأبيض، والأحمر والأصفر والأشقر، والسّرير، والمنبر، والملك إلى المحشر، وأنّى لا يكون ذلك كذلك وهم منار الله في الأرض ونجومه في السّماء. ففرح معاوية وظنّ أنّ كلامه

---

(١) الحج: ٤١.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب ١٤: ٦٩.

(٣) العقد الفريد لأبن عبد ربه ١: ٢٤٣.

يشتمل على قريش كلّها. فقال: صدقت يا بن صوحان إنّ ذلك لكذلك. فعرف صعصعة ما أراد. فقال: ليس لك ولا لقومك في ذلك إصدار ولا إيراد، بعدتم عن أنف المرعى، وعلوتم عن عذب الماء. قال: فلم ذلك؟ ويلك يا بن صوحان؟ قال: الويل لأهل النّار ذلك لبني هاشم ...[١].

وروى أبو هلال العسكري في (أوائله): أنّ أبا الهيثم بن التيهان قام خطيباً بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: إنّ حسد قريش إيّاك على وجهين: أمّا خيارهم فتمنوا أن يكونوا مثلك منافسة في البلاء، وارتفاع الدّرجة، وأمّا شرارهم فحسدوا حسداً أثقل القلوب، وأحبط الأعمال، وذلك أنّهم رأوا عليك نعمة قدّمها إليك الحظّ وأخّرهم عنها الحرمان، فلم يرضوا أن يلحقوا حتّى طلبوا أن يسبقوك، فبعدت والله عليهم الغاية، وقطعت المضمار. فلمّا تقدّمتهم بالسّبق وعجزوا عن اللحاق، بلغوا منك ما رأيت، وكنت والله أحق قريش بشكر قريش؛ نصرت نبيّهم حيّاً وقضيت عنه الحقوق ميّتاً، والله، بغيهم إلّا على أنفسهم، ولا نكثوا إلّا بيعة الله ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ ...[٢].

وروى نصر بن مزاحم في (صفّينه) عنه عليه السلام في كتابه إلى معاوية: وأعلم أنّ هذا الأمر لو كان إلى الناس أو بأيديهم لحسدونا ولا متنّوا به علينا، ولكنّه قضاء ممّن امتنّ به علينا على لسان نبيّه الصادق المصدّق، لا أفلح من شكّ بعد العرفان والبيّنة...[٣].

وهو صريح في مذهب الإماميّة من كون الإمامة من قبله تعالى بوساطة نبيّه صلى الله عليه وآله لا باختيار الأمّة، كما عليه المتسمّون بالسّنّة.

---

(١) مروج الذهب ٣: ٤٠.

(٢) الفتن من البحار للمجلسي: ١٥٣ عن اوائل أبي هلال العسكري، والآية ١٠ من سورة الفتح.

(٣) وقعة صفين لابن مزاحم: ١٠٩.

وفي (تاريخ اليعقوبي): أنّه بلغ عثمان أنَّ أباذر وقف بباب المسجد، فقال: أيّها النّاس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أبوذر الغفاري، أنا جندب بن جنادة الرّبذي ﴿إنَّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم، وآل عمران على العالمين * ذريّة بعضها من بعض والله سميع عليهم﴾[1] محمّد الصّفوة من نوح فالأوّل إبراهيم، والسّلالة من إسماعيل والعترة الهادية من محمّد صلى الله عليه وآله، إنّه شرف شريفهم، واستحقّوا الفضل في قوم هم فينا كالسّماء المرفوعة، أو كالكعبة المستورة، أو كالقبلة المنصوبة، أو كالشّمس الضاحية، أو كالقمر السّاري، أو كالنّجوم الهادية، أو كالشّجرة الزّيتونة، أضاء زيتها، وبورك زبدها، ومحمّد صلى الله عليه وآله وارث علم آدم، وما فضّل به النّبيّون، وعليّ بن أبي طالب وصيّ محمّد صلى الله عليه وآله ووارث علمه. أيّتها الأمّة المتحيّرة بعد نبيّها أما لو قدّمتم من قدّم الله، وأخّرتم من أخّر الله، وأقررتم الولاية والوراثة في أهل بيت نبيّكم، لأكلتم من فوق رؤوسكم، ومن تحت أقدامكم ولما عال وليّ الله، ولما طاش سهم من فرائض الله، ولا اختلف اثنان في حكم الله إلّا وجدتم علم ذلك عندهم من كتاب الله وسنّة نبيّه، فأمّا إذا فعلتم ما فعلتم، فذوقوا وبال أمركم ﴿...وسيعلم الّذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون﴾...[2].

ولّما افتخر ابن المعتز بالعبّاسيّين على الطّالبيّين بقصيدته الّتي أوّلها:

أبى الله إلّا ما ترون فما لكم ... غضابى على الأقدار يا آل طالب

أجابه أبو القاسم التنوخي:

---

(١) آل عمران: ٣٣ ـ ٣٤.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٧١، والآية ٢٢٧ من سورة الشعراء.

مـن ابـن رسـول الله وابـن وصيّه
إلى مـدغل فـي عـقدة الدّيـن نـاصب
نشـا بـين طـنبور ودفّ ومـزهر
وفي حجر شاد أو على صدر ضـارب
ومـن ظـهر سكران إلى بطن قينة
عـلى شـبه فـي مـلكها وشـوائب

إلى أن قال:

ونـحن الألى لا يسـرح الذّم بـيننا
ولا تـدّرى أعـراضـنا بـالمعاتب
إذا مـا انـتدوا كـانوا شـموس نديّهم
وإن ركـبوا كـانوا بـدور الرّكـائب
وإن عبسوا يوم الوغى ضـحك الرّدى
وإن ضـحكوا بكّـوا عـيون النّـوائب
ومـا لـلغوانـي والوغـي فـتعوّذوا
بـقرع المـثاني مـن قـراع الكـتائب
ويـوم حـنين قـلت حـزناً فـخاره
ولو كـان يـدري عـده فـي المـثالب
أبـوه مـناد والوصـيّ مـضارب
فـقل فـي مـناد صـيّت ومـضارب
وجـئتم مـع الأولاد تـبغون إرثـه
فأبـعد مـحجوب بـحاجب حـاجب
وقـلتم نـهضنا ثـائرين شـعارنا
بـثارات زيـد الخـير عـند التّجارب

فهلّا بإبراهيم كان شعاركم
فترجع دعواكم بعلّة خائب

ومعنى البيت الأخير أنّكم غلبتم على بني أُميّة با دعائكم أخذ ثار أهل بيت النّبيّ ﷺ ولو كنتم ادعيتم أنّكم تطلبون ثار عمّكم إبراهيم بن محمّد بن عليّ بن عبدالله بن عبّاس ـ الّذي أمر بخنقه مروان بن محمّد المرواني ـ لما أعانكم أحد.

هذا، وأمّا خبر أنّ [الأئمّة من قريش] بلفظ العام فأصله أيضاً متواتر، كتخصيصه بذاك البطن من هاشم، ولمّا ادّعت الأنصار الأمر يوم السّقيفة، قال عمرو بن العاص دفعاً لهم: إن كان سمعوا قول النّبيّ: «الأئمّة من قريش» ثُم ادّعوها لقد هلكوا وأهلكوا، وإن كانوا لم يسمعوها فما هم كالمهاجرين.

وقال النّعمان بن عجلان الأنصاري دفاعاً عن الأنصار: إن كان النّبيّ ﷺ قال: «الأئمّة من قريش» فقد قال: «لو سلك النّاس شعباً وسلك الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار»، والله ما أخرجناكم من الأمر إذ قلنا: منّا أمير ومنكم أمير.

ومع تواتر الخبر به قال عمر ـ بعد أن طعن في معاذ بن جبل الأنصاري ـ: لو كان معاذ حيّاً لاستخلفته. وقال في سالم مولى أبي حذيفة: لو كان سالم حيّاً لاستخلفته.

قال صاحب (الاستيعاب) في عنوان سالم ـ بعد النّقل عن عمر قوله: لو كان سالم حيّاً ما جعلتها شورى ـ: وهذا عندي على أنّ عمر كان يصدر في الخلافة عن رأيه[1].

قلت: ردّه قول النّبيّ ﷺ في ما مرّ ليس بمستنكر بعد قوله في

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ٢: ٧١ والرواية مشهورة.

النّبيّ ﷺ لمّا قال: «ايتوني بدواة وكتف أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعدي»: دعوا الرّجل إنّه ليهجر[١].

ثمّ كما تواتر أصله كذلك تواتر عنه ﷺ تعيينه لأئمّة قريش في اثني عشر فروى مسلم في (صحيحه) عن جابر بن سمرة قال: دخلت مع أبي على النّبيّ ﷺ، فسمعته يقول: إنّ هذا الأمر لا ينقضي حتّى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة، ثمّ تكلّم بكلام خفي عليّ، فقلت لأبي: ما قال؟ قال: كلّهم من قريش[٢].

وروى أيضاً مسنداً: أنّ النّبيّ ﷺ قال عشية جمعة رجم الأسلمي: لا يزال الدّين قائماً حتّى تقوم السّاعة أو يكون عليكم إثنا عشر خليفة كلّهم من قريش[٣].

وروى أبو داود والبزّار عن النّبيّ ﷺ قال: لا يزال أمر أمّتي قائماً حتّى يمضي اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش. ـ وزاد الأوّل ـ فلمّا رجع إلى منزله أتته قريش، فقالوا: ثمّ يكون ماذا؟ قال: ثمّ يكون الهرج[٤].

ورواه أحمد بن الحسن القطّان ـ شيخ من أصحاب حديثهم ـ بأربعة عشر طريقاً، وعبدالله بن محمّد الصّائغ منهم بطريقين.

ونقل طرقهما محمّد بن بابويه في (خصاله)[٥]، وروى أيضاً أحمد بن حنبل في (مسنده) أنّ النّبيّ ﷺ قال: بعدي اثنا عشر خليفة عدد نقباء بني

---

(١) صحيح البخاري ١: ٣٢، و ٤: ٧، ٢٧١ وغيره، مرّ تخريجه في أواخر العنوان ٣ من هذا الفصل.

(٢) صحيح مسلم ٣: ١٤٥٢، ١٤٥٣ ح ٥، ٦، ٩.

(٣) صحيح مسلم ٣: ١٤٥٣ ح ١٠.

(٤) سنن أبي داود ٤: ١٠٦ ح ٤٢٧٩ ـ ٤٢٨١، ومسند البزّار عنه تاريخ الخلفاء للسيوطي: ١٠ والنقل بتصرف.

(٥) أخرجه الصدوق عن طريق أحمد بن الحسن بأربعة عشر طريقاً في الخصال: ٤٦٩ ـ ٤٧٢ ح ١٢، ٢٥ وعن طريق عبد الله بن محمّد بطريقين في الخصال: ٤٧٥ ح ٣٦، ٣٧.

إسرائيل ـ وزاد في خبر ـ وحواري عيسى عليه السلام[1].

ولا تنطبق تلك الأخبار إلّا على مذهب الإماميّة القائلين بالأئمّة الاثني عشر، وأمّا أهل السّنّة فإن اقتصروا على الأربعة، يقعوا في الكسر، وإن تعدّوا إلى جميع من تصدى للأمر، يقعوا في الكثرة، وإن انتخبوا كما فعل القاضي عياض وابن حجر، خالفوا العقل والنّقل الكتاب والسّنّة والبرهان والعيان.

قال السّيوطي في (تاريخ خلفائه): قال ابن حجر في (شرح البخاري): «كلام القاضي عياض أحسن ما قيل في الحديث وأرجحه ـ أي حديث كون الأئمّة اثني عشر من قريش ـ لتأييده بقول في بعض طرق الحديث الصّحيحة: «كلّهم يجتمع عليه النّاس» وإيضاح ذلك أنَّ المراد بالاجتماع انقيادهم لبيعته، والّذي وقع أنَّ النّاس اجتمعوا على أبي بكر ثمّ عمر ثمّ عثمان ثمّ عليّ، إلى أن وقع أمر الحكمين في صفّين، فتسمّى معاوية يومئذ بالخلافة، ثم اجتمع النّاس على معاوية عند صلح الحسن، ثمَّ اجتمعوا على ولده يزيد، ولم ينتظم للحسين أمر بل قتل قبل ذلك، ثمّ لمّا مات يزيد وقع الاختلاف، إلى أن اجتمعوا على عبد الملك بن مروان بعد قتل ابن الزّبير، ثمّ اجتمعوا على أولاده الأربعة الوليد ثمّ سليمان ثمّ يزيد ثمّ هشام، وتخلّل بين سليمان ويزيد عمر بن عبدالعزيز، فهؤلاء سبعة بعد الخلفاء الرّاشدين، والثّاني عشر هو الوليد بن يزيد بن عبدالملك، اجتمع النّاس عليه لمّا مات عمّه هشام، فولّي نحو أربع سنين، ثمّ قاموا عليه فقتلوه وانتشرت الفتن وتغيّرت الأحوال من يومئذ، ولم يتفّق أن يجتمع النّاس على خليفة بعد ذلك، لأنّ يزيد بن الوليد الّذي قام على ابن عمّه الوليد بن يزيد لم تطل مدّته، بل ثار عليه قبل أن يموت ابن عم أبيه مروان بن محمّد بن مروان.

---

(١) مسند أحمد ١: ٣٩٨، ٤٠٦، والنقل بتصرف ولم يوجد في الروايتين زيادة.

ولمّا مات يزيد ولّى أخوه إبراهيم فقتله مروان، ثمّ ثار على مروان بنو العبّاس إلى أن قتل، ثمّ كان أوّل خلفاء بني العبّاس السفّاح، ولم تطل مدّته مع كثرة من ثار عليه، ثمّ ولّى أخوه المنصور فطالت مدّته، لكن خرج عنهم المغرب الأقصى باستيلاء المروانيّين على الأندلس، واستمرّت في أيديهم متغلّبين عليها، إلى أن تسمّوا بالخلافة بعد ذلك، وانفرط الأمر إلى أن لم يبق من الخلافة إلّا الاسم في البلاد، بعد أن كان في أيّام بني عبد الملك بن مروان يخطب للخليفة في جميع الأقطار من الأرض، شرقاً وغرباً ويميناً وشمالاً ممّا غلب عليه المسلمون، ولا يتولّى أحد في بلد من البلاد كلّها الإمارة على شيء منها إلّا بأمر الخليفة، ومن انفراط الأمر أنّه كان في المائة الخامسة بالأندلس وحدها ستّة أنفس كلّهم يتسمّى بالخلافة، ومنهم صاحب مصر العبيدي والعبّاسي ببغداد، خارجاً عمّن كان يدّعي الخلافة في أقطار الأرض من العلويّة والخوارج[١].

قلت: فيه أوّلاً: إنّه على ما أسّسه يكون أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً خارجاً، لأنّه لم يجتمع عليه النّاس، فلم يبايعه سعد أحد عشرتهم وأحد ستّة شوراهم، ولم يبايعه ابن عمر ابن فاروقهم والنّاظر على شوراهم، ومحمّد بن مسلمة أحد أجلّة الصّحابة عندهم، وادّعى طلحة والزّبير أنّهما بايعاه جبراً فخرجا عليه، ولم يبايعه جلّ قريش بل كلّهم، وإنّما بايعه نفر منهم كانوا في عداد بني هاشم، كمحمّد بن أبي بكر التيميّ ربيبه عليه السلام وجعدة بن هبيرة المخزومي ابن أخته، ولم يبايعه معاوية وأهل الشّام، وكانوا قريباً من نصف المسلمين.

وثانياً: كيف يكون مثل معاوية خليفة النّبيّ صلى الله عليه وآله؟ وقد قاتل أمير

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ١١ ـ ١٢، مرّ نقله أيضاً في العنوان ١ من هذا الفصل.

المؤمنين عليه السلام الّذي بمنزلة نفس النّبيّ صلى الله عليه وآله بنصّ القرآن[١] وحربه حرب النّبيّ صلى الله عليه وآله بنصّ النّبيّ صلى الله عليه وآله في المتواتر عنه[٢] وأمر اللّعين بسبّه عليه السلام، وسنّه وكانت باقية مدّة بقاء الشّجرة الملعونة في القرآن، وقتل سيّد شباب أهل الجنّة الحسن بن عليّ عليهما السلام وقتل آلافاً من عباد الله الصالحين، كحجر بن عدي، وعمرو بن الحمق، ونظرائهما، وقد لعنه النّبيّ صلى الله عليه وآله في غير موطن، وأظهر كفره للمغيرة، وتأسّف على عدم قدرته على محو اسم النّبيّ صلى الله عليه وآله؛ ومثل ابنه يزيد الّذي ينكت بقضيبه على ثنايا سيّد شباب أهل الجنّة، ويقول:

لعبت هاشم بالملك فلا ... خبر جاء ولا وحي نزل

وسبى بنات النّبيّ صلى الله عليه وآله وفعل ما فعل بأهل المدينة، وبمسجد النّبيّ صلى الله عليه وآله وبالكعبة؟ ومثل الوليد بن يزيد؟ الّذي رمى القرآن بالنّشاب لمّا استفتحه وجاء ﴿وخاب كلّ جبّار عنيد﴾[٣] وقال:

أتوعدني بجبّار عنيد ... فها أنا ذاك جبّار عنيد

إذا ما جئت ربّك يوم حشر ... فقل يا رب مزّقني الوليد

ومثل عبدالملك وبنيه الّذين شوّهت شنائعهم وجوه صفحات التّاريخ؟ ومثل عثمان الّذي أحدث أحداثا ألجأ الصّحابة من المهاجرين -وفي رأسهم عمّار المجمع على جلاله، والأنصار وصلحاء التّابعين- على قتله؟ كما أنّ الوليد الّذي جعله خاتمة الإثني عشر فعل من الأفعال الشّنيعة حتّى وطئ محارمه، بل إخوته، ما ألجأ بني أميّة أنفسهم مع عتوهم إلى قتله.

ولهذه المفاسد التجأ بعضهم إلى انتخاب العدول من الخلفاء، وإن لم

---

(١) النظر إلى قوله تعالى: ﴿انفسنا وانفسكم﴾ آل عمران: ٦١ كما روى في شأن نزوله.

(٢) هذا المعنى جاء ضمن أحاديث أخرجه الخوارزمي في مناقبه: ٧٥، والخزاز في كفاية الأثر: ١٥٧ عن عليّ عليه السلام وفي الباب من ابن عباس وجابر وأخرج جمع كثير حديث «انا حرب لمن حاربتم».

(٣) إبراهيم: ١٥ .

يكونوا على الولاء؛ قال فصيح الدين البياضي منهم: قد أشكل مضمون الحديث الصّحيح الّذي رواه مسلم، وهو قول النّبيّ ﷺ: إنّ هذا الأمر لا ينقضي حتّى يمضي فيهم إثنا عشر خليفة كلّهم من قريش. وفي رواية: لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة كلّهم من قريش.

قال في (شرح المشارق): يريد بهذا الأمر الخلافة، وأمّا العدد، فقيل: ينبغي أن يحمل على العادلين منهم، فإنّهم إذا كانوا على منهاج الرّسول وطريقته يكونون خلفاءه، وإلّا فلا، ولا يلزم أن يكونوا على الولاء[١].

هذا ما قالوه ولكن لا مقنع فيه، وهو أيضاً تأويل باطل لتنافيه مع قول النّبيّ ﷺ: «لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة كلّهم من قريش»[٢]، ولذا اعترف الفصيح بأنّه لا مقنع فيه.

وثالثاً: إنّه لم اقتصر ممّا في الأخبار على خبر «كلّهم يجتمع النّاس عليه»، مع أنّ في (صحيح أبي داود) عنه ﷺ: «لا يزال الدّين ظاهراً حتّى تقوم السّاعة، ويكون عليهم إثنا عشر خليفة، كلّهم من قريش»[٣].

وفي (صحيح مسلم) «لا يزال الدّين قائماً حتّى تقوم السّاعة، أو يكون عليكم اثني عشر خليفة كلّهم من قريش»[٤]. وفي (إبانة ابن بطة العكبري) قال النّبيّ ﷺ: لا يزال هذا الدّين قائماً إلى اثني عشر أميراً من قريش فإذا مضوا ساخت الأرض بأهلها»[٥].

---

(١) لم اظفر بمرجع نقله، لكن هذا المعنى جاء في كلام كثير من شارحي الحديث مثل، النوري وغيره.

(٢) هذا حديث جابر بن سمرة أخرجه جمع كثير، منهم البخاري في صحيحه ٤: ٢٤٨، والترمذي في سننه ٤: ٥٠١ ح٢٢٢٣، مرّ بعض طرقه آنفاً.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه ٤: ١٠٦ ح٤٢٧٩ ـ ٤٢٨١، والنقل بتصرف.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ٣: ١٤٥٣ ح١٠.

(٥) أخرجه ابن بطة في الإبانة عنه مناقب ابن شهر آشوب ١: ٢٩٠.

وبقتل الوليد الّذي جعله خاتمة الاثني عشر لم تقم القيامة، ولم تسخ الأرض بأهلها، فهل تنطبق هذا الأخبار الّتي من صحاحهم عند من لم يكن مكابراً إلّا على الأئمّة الاثني عشر، الّذين أوّلهم أمير المؤمنين عليه السلام وآخرهم المهدي الّذي تواتر عن النّبيّ صلى الله عليه وآله من الخاصّة والعامّة أنّه الّذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً[1] وبعده تقوم السّاعة؟

وبالجملة، إنّ أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام دلّ على مقامهم ـغير نصوص النّبيّ صلى الله عليه وآله وتصريحاته فيهم المتواترةـ آيات الكتاب: آية المباهلة[2]، وآية التّطهير[3]، وآية القربى[4]، والتّسعة الباقية إلى المهدي عليه السلام دلّ على مقامهم السّنّة المقطوعة من قول النّبيّ صلى الله عليه وآله: «إنّي تارك فيكم الثّقلين: كتاب الله وعترتي، ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»[5]. وقوله صلى الله عليه وآله: «مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق»[6]. إلى غير ذلك ممّا فيهم عليهم السلام عموماً، وفي المهدي خصوصاً ﴿...فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر...﴾[7]، ﴿...ليهلك من هلك عن بيّنة، ويحيا من

(١) المشهور في ذلك حديث ابن مسعود أخرجه جمع كثير، منهم أبو داود في سننه ٤: ١٠٦ ح ٤٢٨٢، وابن ماجه في سننه ٢: ١٣٦٦ ح ٤٠٨٢، والطبري بأربع طرق في دلائل الإمامة: ٢٣٥، ٢٢٥ والطوسي في الغيبة: ١١٢، والكنجي في البيان: ٩٣، ١٠٦ وفي الباب عن عليّ عليه السلام وابن سعيد وحذيفة وجابر وأبي هريرة وعبدالرحمن وابن عباس وقرة المزني وابن عمرو وابن امامة وتميم الداري والعباس وثوبان والحسن عليه السلام وأُم سلمة وعوف بن مالك وحامل الصدفي.

(٢) آل عمران: ٦١.

(٣) الأحزاب: ٣٣.

(٤) الشورى: ٢٣.

(٥) هذا حديث الثقلين مرّ تخريجه في شرح فقرة «اليهم يفيء الغالي» في العنوان ٤ من هذا الفصل.

(٦) هذا حديث السفينة مرّ تخريجه في أوائل العنوان ٥ من هذا الفصل.

(٧) الكهف: ٢٩.

حيّ عن بيّنه...﴾[1].

وأيضاً العلّة الّتي دلّت على الاحتياج بالأنبياء ـ خلافاً لقول البراهمة[2] ـ تدلّ على الاحتياج بأئمّة بعد خاتم النّبيّين، بأئـمّة يكـونون مـثله فـي العـلم والعصمة، وليس ذلك إلّا ما قالت به الإمامية.

٩
من الخطبة (١٤٥)

وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي تَرَكَهُ، وَلَنْ تَأْخُذُوا بِمِيثَاقِ الْكِتَابِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَقَضَهُ، وَلَنْ تَمَسَّكُوا بِهِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَبَذَهُ، فَالْتَمِسُوا ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ، فَإِنَّهُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ وَمَوْتُ الْجَهْلِ. يُخْبِرُكُمْ حُكْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ مَنْطِقِهِمْ وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ، لَا يُخَالِفُونَ الدِّينَ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ، فَهُوَ بَيْنَهُمْ شَاهِدٌ صَادِقٌ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ.

أقول: رواه الكليني في (روضته) إلى قوله «نبذه»، وزاد بعده: «ولن تتلوا الكتاب حقّ تلاوته حتّى تعرفوا الّذي حرّفه، ولن تعرفوا الضّلالة حتّى تعرفوا الهدى، ولن تعرفوا التّقوى حتّى تعرفوا الّذي تعدّي، فإذا عرفتم ذلك، عرفتم البدع والتكلّف، ورأيتهم الفرية على الله وعلى رسوله، والتّحريف لكتابه، ورأيتم كيف هدى الله من هدى، فلا يجهلنكم الّذين لا يعلمون؛ إنّ علم القرآن ليس يعلم ماهو إلّا من ذاق طعمه، فعلّم بالعلم جهله، وبصّر به عماه، وسمّع به صممه، وأدرك به ما قد فات، وحيي به بعد إذ مات، وأثبت عند الله عزّ ذكره الحسنات ومحا به السيّئات، وأدرك به رضواناً من الله تبارك وتعالى فاطلبوا

---

(١) الأنفال: ٤٢.

(٢) مرّ نقل قول البراهمة ونقضه في عنوان [١] من الفصل الخامس.

ذلك من عند أهله وخاصّته، فإنّهم خاصّة نور يستضاء به، وأئمّة يقتدى بهم، وهم عيش العلم». إلى آخر ما في المتن.

وزاد بعده: «فهم من شأنهم شهداء بالحقّ، ومخبر صادق لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه، قد خلت لهم من الله سابقة، ومضى فيهم من الله عزّ وجلّ حكم صادق وفي ذلك ذكرى للذّاكرين، فاعقلوا الحقَّ إذا سمعتموه عقل رعاية، ولا تعقلوه عقل رواية، فإنَّ رواة الكتاب كثير، ورعاته قليل والله المستعان»[١].

«واعلموا أنّكم لن تعرفوا الرّشد حتّى تعرفوا الّذي تركه -إلى- حتّى تعرفوا الّذي نبذه» قال ابن أبي الحديد وتبعه الخوئي: هذا الكلام كلّه تنبيه على وجوب البراءة من أهل الضّلال...[٢].

قلت: إنَّ وجوب متابعة الرّشد والهدى، ولزوم مجانبة الضّلالة والرّدى أمر عقلي لا يحتاج إلى التّنبيه عليه ولا الإشارة إليه، بل ذكره سمج ركيك، نظير أن يقال: الحسن حسن، والقبيح قبيح. لكونه توضيحاً للواضح، وكلُّ عاقل يريد الهداية إلى سلوك الطّريق، ويكره الضّلال عن المقصد، إلّا أنَّ المهمّ تشخيصهما، وكلٌّ يدّعي الهداية، ويأنف أن يقال له: أنت على الغواية؛ ولذا قال تعالى على لسان رسوله للكفّار: ﴿...وإنّا أو إيّاكم لعلى هدىً أو في ضلال مبين﴾[٣]. والضالّ المضلّ يرى نفسه مهتدياً هادياً؛ قال تعالى حكاية عن فرعون إنّه قال لقومه: ﴿...ما أُريكم إلّا ما أرى وما أهديكم إلّا سبيل الرّشاد﴾[٤].

---

(١) الكافي للكليني ٨: ٣٨٦ ح٥٨٦.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٠٩، وشرح الخوئي ٤: ١٣٩.

(٣) سبأ: ٢٤.

(٤) غافر: ٢٩.

وإنما غرضه عليه السلام بالفقرات الثّلاث أنَّ المتقدّمين عليه كانوا تاركي الرّشد وناقضي الميثاق، ونابذي الكتاب، وحيث لم يعرفوهم بذلك لم يعرفوا الرّشد، ولم يأخذوا بالميثاق، ولم يمسكوا به، وما داموا كذلك لا ينتظر منهم عرفان الرّشد، والأخذ بالميثاق والتّمسّك بالكتاب.

«فالتمسوا ذلك من عند أهله» ذلك: إشارة إلى حصر ما هو علم القرآن في من ذاق طعمه، مع ما عطف عليه في خبر الكليني الّذي اسقطه المصنّف، والمراد: أنّهم عليهم السلام أهل خبرة هذه الأمور بما ذكر لهم بعد من كونهم «عيش العلم» إلى آخر الكلام.

«فإنّهم عيش العلم وموت الجهل» قال ابن قتيبة في (عيونه): إنَّ هشام بن عبدالملك قال لزيد بن عليّ بن الحسين: ما فعل أخوك البقرة؟ فقال له: سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله باقراً، وأنت تسميّه بقرة لقد اختلفتما إذن[1].

وقال الجاحظ في (بيانه): جمع محمّد بن عليّ بن الحسين (الباقر عليه السلام) صلاح شأن الدّنيا بحذافيرها في كلمتين، فقال: «إصلاح شأن جميع التعايش والتّعاشر ملء مكيال، ثلثاه فطنة وثلثه تغافل»[2].

«يخبركم حكمهم عن علمهم» روى محمّد بن يعقوب عن خلف بن حمّاد: أنَّ رجلاً منهم تزوَّج جارية لم تطمث، فلمّا افتضها سال الدّم لا ينقطع نحواً من عشرة، فأروها القوابل، فقال بعض: هذا من دم الحيض، وقال بعض: من دم العذرة. فسألوا أبا حنيفة وغيره، فقالوا: هذا شيء قد أُشكل والصّلاة فريضة واجبة، فلتتوضأ ولتصلّ، وليمسك عنها زوجها حتّى ترى البياض، فإن كان دم الحيض لم تضرّها الصّلاة، وإن كان دم العذرة قد أدّت الفريضة ـ إلى أن

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة ١: ٢١٢.

(٢) البيان والتبيين للجاحظ ١: ١٠٧.

قال ـ: قال له موسى بن جعفر عليه السلام: تستدخل القطنة، ثمّ تدعها مليّاً ثمّ تخرجها إخراجاً رفيقاً، فان كان الدّم مطوّقاً في القطنة فهو من العذرة، وإن كان مستنقعاً في القطنة فهو من الحيض. قال خلف: فاستخفّني الفرح فبكيت، وقلت: جعلت فداك من يحسن هذا غيرك؟ فرفع يده إلى السّماء، وقال: إنّي والله ما أُخبرك إلّا عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن جبرئيل عليه السلام عن الله عزّ وجلّ(١).

«وصمتهم عن منطقهم» أتى قوم الباقر عليه السلام، فوافقوا صبيّاً له مريضاً فرأوا منه اهتماماً وغماً، وجعل لا يقرُّ، فقالوا: والله لئن أصابه شيء إنّا لنتخوّف أن نرى منه ما نكره، فما لبثوا أن سمعوا الصّياح عليه، فإذا هو قد خرج عليهم منبسط الوجه في غير الحالة الّتي كان عليها، فقالوا له: جعلنا الله فداك لقد كنّا نخاف ممّا نرى منك أن لو وقع أن نرى منك ما يغمّنا. فقال عليه السلام لهم: إنّا لنحبُّ أن نعافى في مَن نحبّ، فإذا جاء أمر الله سلّمنا في ما أحبّ(٢).

ونظيره ورد من الصّادق في موت إسماعيل(٣).

«وظاهرهم عن باطنهم»؛ وحيث إنّهم عليهم السلام لم يكونوا متصنّعين، ولا مستعملين للسّياسة الدّنيويّة يفهم كلُّ عاقل أنَّ باطنهم موافق لظاهرهم؛ وقد أخبر عزَّ وجلَّ عن بواطنهم في قوله جلّ ثناؤه ﴿ويطعمون الطّعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً* إنّما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً* إنّا نخاف من ربّنا يوماً عبوساً قمطريراً﴾(٤).

«لا يخالفون الدّين» فقال النّبيّ صلى الله عليه وآله في المتواتر عنه فيهم عليهم السلام: إنّهم لن

---

(١) الكافي للكليني ٣: ٩٢ ح١.

(٢) أخرجه الكليني في الكافي ٣: ٢٢٦ ح١٤.

(٣) أخرجه الصدوق في كمال الدين: ٦٥٧ ح٢، ويأتي متن الحديث في العنوان ٢٣ من هذا الفصل.

(٤) الإنسان: ٨ ـ ١٠.

يفترقوا عن كتابه تعالى حتّى يردا عليه الحوض[١].

وقال في أمير المؤمنين عليه السلام في المتواتر أيضاً: إنّه مع الحق، والحقّ معه يدور حيثما دار[٢].

«ولا يختلفون فيه»؛ حيث إنّهم عليهم السلام يقولون ما يقولون عن النّبيّ صلى الله عليه وآله عن جبرئيل عليه السلام عن الله عزّ وجلّ، فكيف يحصل بينهم اختلاف؟ وإنّما يحصل الإختلاف بين الّذين يقولون بآرائهم؛ ولقد أجاد من قال:

إذا شئت أن ترضى لنفسك مذهباً　　وتعلم أنّ النّاس في نقل أخبار
فدع عنك قول الشّافعيّ وأحمد　　ومالك والمروي عن كعب أحبار
ووالِ أُناساً قولهم وحديثهم　　روى جدّنا عن جبرئيل عن الباري

وأمّا اختلاف الأخبار المرويّة عنهم ـ حتّى صنّف محمّد بن الحسن الطّوسي فيها كتاباً سمّاه الاستبصار في ما اختلف من الأخبار[٣] ـ فمن قِبَل الرّواة أو لصدورها تقيّة، أو للافتراء عليهم عليهم السلام ونحوها.

«فهو بينهم شاهد صادق، وصامت ناطق»؛ ظاهر السّياق رجوع الضمير في الكلام إلى الدّين، ويمكن رجوعه إلى القرآن لاتّحادهما في الخارج؛ قال السّروي: إنّهم عليهم السلام خُصّوا بالعلوم، لأنّهم لم يدخلوا مكتباً ولا تعلّموا من معلّم، ولا تلمّذوا لفقيه ولا تلقّنوا من راوٍ، وقد ظهرت في فرق العالمين منهم العلوم، ولم يعرف إلّا منهم لأنّهم أخذوا عن النّبيّ صلى الله عليه وآله، وكذلك كان حال جدّهم عليه وعليهم السلام ـ حين علم منشأه بين قريش ـ لم يدخل مكتباً ولا

---

(١) النظر إلى حديث الثقلين الّذي مرّ تخريجه في شرح فقرة «إليهم يفيء الغالي» في العنوان ٤ من هذا الفصل.

(٢) أخرج هذا المعنى الترمذي في سننه ٥: ٦٣٣ ح ٣٧١٤، وغيره في ذيل حديث مرّ تخريجه في أواخر العنوان ٥ من هذا الفصل.

(٣) هو رابع الكتب الأربعة في حديث الإمامية، طبع لمرّات عديدة، وطبعته بطهران بتحقيق حسن الموسوي الخرسان في دار الكتب الإسلامية في أربع مجلدات.

قرأ على معلّم، ولا استفاد من حبر، وأتى النّاس بالقرآن العظيم بما فيه من أسرار الأنبياء وأخبار المتقدّمين، فعلم العقلاء أنَّ ذلك من عند الله تعالى، وليس من تلقاء نفسه؛ فأولاده قوم بنور الخلافة يشرقون، وبلسان النّبوّة ينطقون، وقد جمعوا ما رووا عنهم، وسمّوا ذلك بالأصول، سبعمائة أصل ويزيد على ذلك ويتضمّن علوم الدّين، والآداب والحكم والمواعظ وغير ذلك ـإلى أن قال ـ فإذا ثبت علوم هؤلاء الّتي لم يأخذوها عن رجال العامّة، ولا رئي أحد منهم يختلف إلى متقدّم من أهل العلم، وأنَّ كثيراً من فتاويهم يخالف ما عليه العامّة، ولم يدّع مدّع قطّ أنّهم اختلفوا إلى أحد من مخالفيهم ليتعلّموا منه، والموافق لهم معلوم حاجته إليهم، دلّ ذلك على أنَّ الله تعالى أفردهم ليكشف عن استحقاقهم الإمامة، وأنّهم أحقّ بالتّقدّم لحاجة النّاس إليهم، وغنائهم عنهم، وجروا في ذلك مجرى الرّسول صلى الله عليه وآله حين أغناه الله بما علموا عنه من أخبار سوالف الأمم...[1] قال الصّوري:

آل النّبيّ هم النّبيّ وإنّما ... بالوحي فرّق بينهم فتفرّقوا
أبت الإمامة أن تليق بغيرهم ... إنّ الرّسالة بالإمامة أليق

١٠
من الخطبة (٢٣٧)

ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها آل محمّد صلى الله عليه وآله:

هُمْ عَيْشُ العِلْمِ وَمَوتُ الجَهْلِ، يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ، وَظَاهِرُهُمْ عَنْ باطِنِهِم، وَصَمْتُهُمْ عَنْ حِكَمِ مَنْطِقِهِم. لَا يُخَالِفُونَ الْحَقَّ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ، هُمْ دَعَائِمُ الإِسْلَامِ، وَوَلَائِجُ الإِعْتِصَامِ، بِهِمْ عَادَ الحَقُّ فِي نِصَابِهِ، وَانْزَاحَ الْبَاطِلُ عَنْ مُقَامِهِ، وَانْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنْبَتِهِ. عَقَلُوا

(١) المناقب لابن شهر آشوب ١: ٢٥٤.

الدِّينَ عَقْلَ وِعَايَةٍ وَرِعَايَةٍ، لَا عَقْلَ سِمَاعٍ وَرِوَايَةٍ، فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ، وَرُعَاتَهُ قَلِيلٌ.

من الحكمة (٩٨)

وقال عليه السلام:

إِعْقِلُوا الْخَبَرَ إِذَا سَمِعْتُمُوهُ عَقْلَ رِعَايَةٍ لَا عَقْلَ رِوَايَةٍ فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ، وَرُعَاتَهُ قَلِيلٌ.

أقول: الأصل في الأوّل، وفي سابقه واحدكما لا يخفى، إلّا أنَّ المصنّف ذهل لكثرة الفصل بينهما في النّقل إلّا أن قوله: «هم دعائم الإسلام ـ إلى ـ وانقطع لسانه عن منبته» رواية أخرى وكلام زائد، وكذلك الثّاني جزء السّابق على ما مرَّ ثمة من رواية (الرّوضة).

«**هم عيش العلم**» قال تعالى في شأنهم: ﴿بل هو آيات بيّنات في صدور الّذين أُوتوا العلم...﴾[1].

قال الباقر عليه السلام: ما يستطيع أحد أن يدّعي أنَّ عنده جميع القرآن كلّه ظاهره وباطنه غير الأوصياء[2].

وقال عليه السلام: ما ينقم النّاس منّا؟ فوالله إنّا لشجرة النّبوّة، وموضع الرّسالة، ومختلف الملائكة، وبيت الرّحمة، ومعدن العلم[3].

وقال الصّادق عليه السلام: في دارنا مهبط جبرائيل، ونحن خزّان علم الله تعالى[4].

---

(١) العنكبوت: ٤٩.

(٢) الكافي للكليني ١: ٢٢٨ ح ٢، والبصائر للصفار: ٢١٣ ح ١، ٤ بطريقين.

(٣) البصائر للصفار: ٧٧ ح ٥ عن الباقر عليه السلام وأخرجه هو في المصدر: ٧٦، ٧٨ ح ٢، ٩، والكافي للكليني ١: ٢٢١ ح ١ عن السجاد عليه السلام.

(٤) أخرجه الصدوق في أماليه: ٢٥٢ ح ١٥ المجلس ٥٠ ضمن حديث.

«وموت الجهل» قال الباقر عليه السلام لسلمة بن كهيل، والحكَم بن عتيبة: شرّقا وغرّبا فلا تجدان علماً صحيحاً إلّا شيئاً خرج من عندنا أهل البيت[١].

وفي الخبر: أنّ الحسين عليه السلام قال في الثّعلبية لكوفي: لو لقيتك بالمدينة لأريتك أثر جبرئيل عليه السلام من دارنا، ونزوله بالوحي على جدّي. يا أخا أهل الكوفة، أفمستقى النّاس للعلم من عندنا فعلموا وجهلنا؟ هذا ما لا يكون[٢].

ودخل عبّاد بن كثير عابدُ البصرة، وابن شريح فقيه مكّة، على الصّادق عليه السلام، وعنده ميمون القدّاح مولى أبيه، فسأله عبّاد عن مسألة فأجابه، فازورّ، فقال عليه السلام له: «إنّ نخلة مريم عليها السلام كانت عجوة، ونزلت من السّماء فما نبت من أصلها كان عجوة، وما كان من لقاط فهو لون» فخرجا مع ميمون فقال عبّاد لابن شريح: ما المثل الّذي ضربه لي؟ قال له: سل هذا الغلام -يعني ميموناً- فإنّه منهم. فقال له ميمون: ضرب لك مثل نفسه، فأخبرك أنّه من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وعلمه عندهم، فما جاء من عندهم فهو صواب، وما جاء من عند غيرهم فهو لقاط[٣].

«يخبركم حلمهم عن علمهم» في (ذيل الطّبري): كان هشام بن إسماعيل يؤذي عليّ بن الحسين عليهما السلام وأهل بيته، يخطب بذلك على المنبر وينال من عليّ عليه السلام، فلمّا ولّي الوليد بن عبدالملك عزله وأمر به أن يوقف للنّاس وكان يقول: لا والله ما كان أحد من النّاس أهمّ إليّ من عليّ بن الحسين، كنت أقول: رجل صالح يسمع قوله، فوقف للنّاس، فجمع علي بن الحسين عليهما السلام ولده وخاصّته ونهاهم عن التعرّض له، وغدا عليّ بن الحسين عليه السلام مارّاً لحاجة،

---

(١) الكافي للكليني ١: ٣٩٩ ح ٣، والبصائر للصفار: ٣٠ ح ٤، والكشي في معرفة الرجال اختياره: ٢٠٩ ح ٣٦٩.

(٢) الكافي للكليني ١: ٣٩٨ ح ٢، والصفار في البصائر: ٣١ ح ١ ضمن حديث.

(٣) الكافي للكليني ١: ٤٠٠ ح ٦.

فما عرض له فناداه هشام بن إسماعيل: ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾(١).

وفي (مقاتل أبي الفرج): أنّ رجلاً من آل عمر كان يشتمّ عليّاً عليه السلام إذا رأى موسى بن جعفر ويؤذيه إذا لقيه، فقال له بعض مواليه: دعنا نقتله. فقال: لا. ثمّ مضى راكباً حتّى قصده في مزرعة له فتوطأ بحماره، فصاح: لا تدس زرعنا. فلم يصغ إليه، وأقبل حتّى نزل عنده وجعل يضاحكه، وقال له: كم غرمت على زرعك هذا؟ قال: مائة دينار. قال: فكم ترجو أن تربح؟ قال: لا أدري. قال: سألتك كم ترجو؟ قال: مائة أُخرى. فأخرج ثلاثمائة دينار فوهبها له، فقام فقبّل رأسه، فلمّا كان موسى بعد ذلك يدخل المسجد وثب العمري فسلّم عليه وجعل يقول: ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾(٢) فوثب أصحابه عليه وقالوا: ما هذا؟ فشاتمهم(٣). وللحسن عليه السلام نظير ذلك مع شامي(٤).

«وصمتهم عن حكم منطقهم» في خبر (الصّحيفة): قال أبو عبدالله عليه السلام: يا متوكّل كيف قال لك يحيى بن زيد: إنّ عمّي محمّد بن عليّ وابنه جعفراً دعيا النّاس إلى الحياة، ونحن دعوناهم إلى الموت؟ قلت: نعم أصلحك الله، قال ذلك. فقال: رحم الله يحيى، إن أبي حدّثني عن أبيه عن جدّه عن عليّ عليه السلام أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله أخذته نعسة وهو على منبره، فرأى في منامه رجالاً ينزون على منبره نزو القردة، يردّون النّاس على أعقابهم القهقرى، فاستوى النّبيّ صلى الله عليه وآله جالساً والحزن يعرف في وجهه، فأتاه جبرئيل عليه السلام بهذه الآية ﴿وما جعلنا الرّؤيا الّتي أريناك إلّا فتنة للنّاس والشّجرة الملعونة في القرآن ونخوّفهم فما

(١) أخرجه الطبري في ذيل المذيل منتخبه: ١٢٠، والآية ١٢٤ من سورة الأنعام.

(٢) الأنعام: ١٢٤.

(٣) المقاتل لأبي الفرج: ٣٣٢.

(٤) الكامل للمبرد ٤: ١٠٥ والمناقب لابن شهر آشوب ٤: ١٩.

يزيدهم إلّا طغياناً كبيراً﴾[١] يعني بني أميّة.

قال: يا جبرئيل أعلى عهدي يكونون؟ قال: لا، ولكن يدور رحى الإسلام من مهاجرك، فتلبث بذلك عشراً، ثمَّ يدور رحى الإسلام على رأس خمسة وثلاثين من مهاجرك فتلبث بذلك خمساً، ثمَّ لابدَّ من رحى ضلالة هي قائمة على قطبها، ثمَّ ملك الفراعنة، وأنزل تعالى في ذلك: ﴿إنّا أنزلناه في ليلة القدر* وما أدراك ما ليلة القدر* ليلة القدر خير من ألف شهر﴾[٢] أي: يملكها بنو أميّة ليس فيها ليلة القدر. فأطلع الله نبيّه صلى الله عليه وآله أنَّ بني أُميّة يملكون سلطان هذه الأُمّة وملكها طول هذه المدَّة، فلو طاولتهم الجبال لطالوا عليها حتى يأذن الله بزوال ملكهم، وهم في ذلك يستشعرون عداوتنا ـ إلى أن قال ـ: قال عليه السلام: ما خرج ولا يخرج منّا أهل البيت إلى قيام قائمنا عليه السلام أحد ليدفع ظلماً أو ينعش حقّاً إلّا اصطلمته البليّة، وكان قيامه زيادة في مكروهنا ومكروه شيعتنا...[٣].

وقال أبو زبيد الطّائي:

صمت عظام الحلوم أن سكتوا　　　من غير عيّ بهم ولا خرس

«لا يخالفون الحقَّ» لعصمتهم من الله تعالى فلا يتّبعون أهواءهم.

«ولا يختلفون فيه» لانكشاف الحقّ عندهم، والحقُّ واحد؛ قال الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿...ولا يزالون مختلفين* إلّا من رحم ربّك...﴾[٤]: يعني بمن رحم آل محمّد وأتباعهم، فإنّهم لا يختلفون في الدّين[٥].

وقال الصّادق عليه السلام: حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدّي،

---

(١) الإسراء: ٦٠.

(٢) القدر: ١ ـ ٣.

(٣) الصحيفة السجادية: ١٤، المقدمة.

(٤) هود: ١١٨ ـ ١١٩.

(٥) تفسير القمي ١: ٣٣٨، وأخرج معناه الكليني في الكافي ١: ٤٢٩ ح٨٣ والنقل بتصرف.

وحديث جدّي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين عليه السلام، وحديث أمير المؤمنين عليه السلام حديث رسول الله صلى الله عليه وآله، وحديث رسول الله صلى الله عليه وآله قول الله تعالى[1].

وقالوا عليهم السلام: يجوز أن يسند ما قاله أحدنا إلى جميعنا، وما قاله آخرنا إلى أوّلنا[2].

وقلنا: في ما مرّ وجه اختلاف كتب حديث شيعتهم. ونزيد هنا أنّ العمدة فيه أمران:

أحدهما دسّ الكذابين موضوعاتهم في أخبارهم؛ كان المغيرة بن سعيد يدسّ في أحاديث الباقر عليه السلام، وأبو الخطّاب في أحاديث الصّادق عليه السلام. قيل ليونس بن عبدالرّحمن: ما أشدّك في الحديث وأكثر إنكارك لما يرويه أصحابنا، فما الّذي يحملك على ردّ الأحاديث؟ فقال: حدّثني هشام بن الحكم أنّه سمع الصّادق عليه السلام يقول: لا تقبلوا علينا حديثاً إلّا ما وافق القرآن والسّنّة أو تجدون معه شاهداً من أحاديثنا المتقدّمة، فإنّ المغيرة بن سعيد لعنه الله دسّ في كتب أصحاب أبي عليه السلام أحاديث لم يحدّث بها أبي، فاتّقوا الله ولا تقبلوا علينا ما خالف قول ربّنا تعالى وسنّة نبيّنا صلى الله عليه وآله، فإنّا إذا حدّثنا قلنا: قال الله عزّ وجلّ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله[3]. وكان أصحابه المستترون بأصحاب أبي يأخذون الكتب من أصحاب أبي، فيدفعونها إلى المغيرة، فكان يدسّ فيها الكفر والزّندقة ويسندها إلى أبي، ثمّ يدفعها إلى أصحابه، فيأمرهم أن يبثّوها

---

(١) الكافي للكليني ١: ٥٣ ح ١٤.

(٢) هذا المعنى أخرجه المفيد في أماليه: ٤٢ ح ١٠ المجلس ٥ عن الباقر عليه السلام، والاجازات لابن طاووس عنه البحار ٢: ١٦١ ح ١٦ عن الصادق عليه السلام.

(٣) معرفة الرجال للكشي، اختياره: ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٨، ٢٢٤ ح ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٧ على الترتيب.

في الشيعة(١).

وقال عليه السلام أيضاً: كان المغيرة يكذب على أبي. وقال: إنّ أبي حدّثه: أنّ نساء آل محمّد إذا حضن قضين الصّلاة، كذب والله ـ عليه لعنة الله ـ ما كان من ذلك شيء ولا حدّثه أبي.

وأمّا أبو الخطّاب فكذب عليّ وقال: إنّي أمرته أن لا يصلّي هو وأصحابه المغرب حتّى يروا كوكب كذا ـ يقال له: القنداني ـ والله إنّ ذلك لكوكب ما أعرفه(٢).

وقال أيضاً يونس بن عبدالرّحمن: وافيت العراق فوجدت بها قطعة من أصحاب أبي جعفر عليه السلام، ووجدت أصحاب أبي عبدالله عليه السلام متوافرين فسمعت منهم وأخذت كتبهم، فعرضتها من بعد على أبي الحسن الرّضا عليه السلام، فأنكر منها أحاديث كثيرة أن يكون من أحاديث أبي عبدالله عليه السلام، وقال لي: إنّ أبا الخطّاب كذب على أبي عبدالله عليه السلام لعن الله أبا الخطّاب، وكذلك أصحاب أبي الخطّاب يدسّون هذه الأحاديث إلى يومنا هذا في كتب أصحاب أبي عبدالله عليه السلام، فلا تقبلوا علينا خلاف القرآن فإنّا إن تحدّثنا، حدّثنا بموافقة القرآن وموافقة السّنّة، إنّا عن الله ورسوله نحدّث ولا نقول: قال فلان وفلان، فيتناقض كلامنا، إنّ كلام آخرنا مثل كلام أوّلنا، وكلام أوّلنا مصدّق لكلام آخرنا، فإذا أتاكم من يحدّثكم بخلاف ذلك، فردّوه عليه وقولوا: أنت أعلم وما جئت به، فإنّ مع كلّ قول منّا حقيقة وعليه نور، فما لا حقيقة معه ولا نور عليه فذلك من قول الشّيطان(٣).

---

(١) معرفة الرجال للكشي، اختياره: ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٨، ٢٢٤ ح٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٧ على الترتيب.

(٢) معرفة الرجال للكشي، اختياره: ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٨، ٢٢٤ ح٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٧، ٤٠١ على الترتيب.

(٣) المصدر نفسه.

وثانيهما: أنّهم عليهم السلام أجابوا في بعض المواضع تقيّة، ولو كانوا لا يتّقون ولا يأمرون شيعتهم بالتّقيّة لما أبقت الأعداء منهم ومن شيعتهم أثراً؛ قال زرارة: سألت أبا جعفر الباقر عليه السلام عن مسألة فأجابني، ثمّ جاءه رجل فسأله عنها فأجابه بخلاف ما أجابني، ثمّ جاءه رجل آخر (فسأله عنها)، فأجابه بخلاف ما أجابني وأجاب صاحبي، فلمّا خرج الرّجلان، قلت: يا بن رسول الله رجلان من أهل العراق من شيعتكم قدما يسألان فأجبت كلَّ واحد منهما بغير ما أجبت به صاحبه؟ فقال: يا زرارة إنَّ هذا خير لنا، وأبقى لنا ولكم، ولو اجتمعتم على أمر واحد لصدَّقكم النّاس علينا، ولكان أقلّ لبقائنا ولبقائكم. قال زرارة: ثمّ قلت لأبي عبدالله الصّادق عليه السلام: شيعتكم لو حملتموهم على الأسنّة أو على النّار لمضوا، وهم يخرجون من عندكم مختلفين، فأجابني بمثل جواب أبيه[١].

وبالجملة، اختلاف أحاديثهم عارضي، وإلّا فأصل أقوالهم واحد؛ قال ابن الصّبّاغ المالكي في (فصوله): قال بعض أهل العلم: علوم أهل البيت عليهم السلام لا تتوقّف على التّكرار والدّرس، ولا يزيد يومهم فيها على ما كان في الأمس، لأنّهم المخاطبون في أسرارهم، والمحدّثون في النّفس، وسماء معارفهم بعيدة عن الإدراك واللّمس، ومن أراد سترها كمن أراد ستر وجه الشّمس، وهذا ممّا يجب أن يكون ثابتاً مقرّراً في النّفس، فهم يرون عالم الغيب في عالم الشّهادة، ويقفون على حقائق المعارف في خلوات العبادة، وتناجيهم ثواقب أفكارهم، في أوقات أذكارهم، بما تسنّموا به غارب الشّرف والسّيادة، وحصلوا بصدق توجيهم إلى جناب القدس، فبلغوا به منتهى السّؤال والإرادة، فهم كما في نفوس أوليائهم ومحبيهم وزيادة، فما تزيد معارفهم في زمان

(١) الكافي ١: ٦٥ ح ٥.

الشّيخوخة على معارفهم في زمن الولادة[١].

«هم دعائم الاسلام» والدّعائم: جمع الدّعامة عماد البيت؛ وبني الإسلام على خمسة أشدّها ولا يتهم عليه السلام[٢].

وقال النّبيّ صلى الله عليه وآله في المتّفق عليه: من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية[٣].

«وولائج» جمع وليجة، ووليجة الرّجل: خاصته وبطانته.

«الاعتصام» أي: التّمسك؛ فإنّهم عليهم السلام أحد الثّقلين اللّذين تركهما النّبيّ صلى الله عليه وآله، وقال: إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا أبدا[٤].

«بهم عاد الحقّ في نصابه» قال الجواهري: النّصاب والمنصب: الأصل[٥].

ثمّ تقديم الظّرف للحصر، فمفاده: أنّ بغير أهل البيت لا يمكن رجوع الحقّ في محلّه.

«وانزاح» أي: بعد.

«الباطل عن مقامه» وحيث إنّ (وانزاح) عطف على (عاد) يصير المعنى: أنّ بغيرهم لا يمكن اضمحلال الباطل.

«وانقطع لسانه عن منبته» وأصله وهو أيضاً مفيد للحصر في أنّ عدم

---

(١) الفصول المهمّة لابن الصباغ: ١٧٣.

(٢) النظر إلى حديث «بني الاسلام على خمس على الصّلاة والزّكاة والصّوم والحجّ والولاية ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية» أخرجه الكليني بأربع طرق في الكافي ٢: ١٨، ٢١ ح١، ٣، ٥، ٨ وغيره عن الباقر عليه السلام وللحديث طرق والفاظ غير ذلك.

(٣) أخرجه باختلاف في الألفاظ جمع كثير منهم البخاري في صحيحه ٤: ٢٣٤ ومسلم بطريقين في صحيحه ٣: ١٤٧٧ ـ ١٤٧٨ ح٥٥ ـ ٥٦، وغيرهما عن ابن عبّاس وأخرجه البرقي في المحاسن: ١٥٥ ح٨٢ وغيره عن عليّ عليه السلام وفي الباب عن سلمان وأبي ذر والمقداد وجابر وابن عمر وأبي هريرة وعامر بن ربيعة وغيرهم.

(٤) انظر حديث الثقلين الّذي مرّ تخريجه في شرح فقرة «إليهم يفيء الغالي» في العنوان ٤ من هذا الفصل.

(٥) صحاح اللغة للجوهري ١: ٢٢٥ مادة (نصب).

استطاعة الباطل للتكلّم لا يحصل بغيرهم عليهم السلام؛ روى الشّيخ في أواخر (غيبته) عن أبي جعفر عليه السلام قال: دولتنا آخر الدّول، ولن يبقى أهل بيت لهم دولة إلّا ملكوا قبلنا، لئلّا يقولوا إذا رأوا سيرتنا: إذا ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء، وهو قول الله عزّ وجلّ ﴿... والعاقبة للمتّقين﴾[١].

ونظير كلامه عليه السلام قول النّبيّ صلى الله عليه وآله: «بنا يختم الله الدّين كما بنا فتحه»[٢]. وحينئذ فيمكن أن يقال: إنّ مراده عليه السلام بقوله «بهم عاد الحق... وانقطع لسانه عن منبته» ليس أيّام تصدّيه للأمر، لأنّه لم يحصل في قيامه عليه السلام تلك الأمور كاملة، كيف وهو عليه السلام في أيّامه لم يستطع تغيير بدع الأوّلين، وكان معاوية في قباله ملجأ المنافقين، ولم يطل الوقت حتّى صار الأمر مثل أيّام عثمان، إلى بني أُميّة اللّاعبين بالدين، المعتقدين أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله كان في قيامه لاعباً بالملك بدون وحي ونبوّة، بل أيّام قيام قائمهم عليه السلام الّتي لا يبقى فيها في الشّرق والغرب أثر من باطل.

«عقلوا الدّين عقل وعاية ورعاية» روى الحاكم في (مستدركه)، والكنجي الشّافعي في (مناقبه) مسنداً عن بريدة الأسلمي عن النّبيّ صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام: إنَّ الله تعالى أمرني أن أدنيك ولا أقصيك، وأن أُعلّمك وأن تعي، وحقّ على الله تعالى أن تعي، فنزل قوله تعالى: ﴿...وتعيها أُذن واعية﴾[٣].

وفيهم عليهم السلام نزل قوله تعالى: ﴿...فاسألوا أهل الذّكر إن كنتم لا تعلمون﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿بل هو آيات بيّنات في صدور الّذين أوتوا

---

(١) الغيبة للطوسي: ٢٨٢، والآية ٨٣ من سورة القصص.

(٢) أمالي الطوسي ١: ٢٠ المجلس ١، والإمامة والتبصرة لابن بابويه: ٩٢ ح ٨١، كمال الدّين للصدوق: ٢٣٠ ح ٣١.

(٣) كفاية الطالب للكنجي: ٤٠، والآية ١٢ من سورة الحاقة.

(٤) الأنبياء: ٧.

العلم...﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿...والرّاسخون في العلم...﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿شهد الله أنّه لا إله إلّا هو والملائكة واولو العلم...﴾[3].

«لا عقل سماع ورواية» كباقي النّاس؛ ولمّا زوج المأمون ابنته من الجواد عليه السلام قال له عليه السلام يحيى بن أكثم في مجلس المأمون: يا بن رسول الله ما تقول في الخبر الّذي روى أنّه نزل جبرئيل على النّبيّ صلى الله عليه وآله، وقال له: سل أبابكر، هل هو عنّي راض، فإنّي عنه راضٍ؟

فقال عليه السلام: يجب أن نأخذه مثال الخبر الّذي قاله النّبيّ صلى الله عليه وآله في حجّة الوداع: قد كثرت عليّ الكذابة، وستكثر فمن كذب عليّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النّار، فإذا أتاكم الحديث فأعرضوه على كتاب الله وسنّتي فما وافق كتاب الله وسنّتي، فخذوا به وما خالف كتاب الله وسنّتي فلا تأخذوا به، قال عليه السلام: وليس يوافق هذا الحديث كتاب الله تعالى قال جلّ وعلا: ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾[4]، فالله تعالى خفي عليه رضاء أبي بكر من سخطه حتّى سأل عن مكنون سرِّه؟! هذا مستحيل في العقول.

قال يحيى: وقد روي: أنَّ مثل أبي بكر وعمر في الأرض مثل جبرئيل وميكائيل في السّماء.

فقال عليه السلام: وهذا يجب أن ينظر فيه، لأنَّ جبرئيل وميكائيل ملكان مقرَّبان لم يعصيا الله قطّ، ولم يفارقا طاعته لحظة واحدة، وهما قد أشركا بالله تعالى، وإن أسلما بعد الشّرك، فكان أكثر أيّامهما الشّرك بالله، فمحال أن يشبها بهما.

---

(١) العنكبوت: ٤٩.

(٢) آل عمران: ٧.

(٣) آل عمران: ١٨.

(٤) ق: ١٦.

قال يحيى: وقد روي أيضاً: أنّهما سيّدا كهول أهل الجنّة.

فقال عليه السلام: وهذا الخبر أيضاً محال، لأنَّ أهل الجنّة كلّهم يكونون شبّاناً، ولا يكون فيهم كهل، وهذا الخبر وضعه بنو أميّة، لمضادّة الخبر الّذي قال النّبيّ صلى الله عليه وآله في الحسن والحسين: إنّهما سيّدا شباب أهل الجنّة.

قال يحيى: وروى أيضاً: أنّ عمر سراج أهل الجنّة.

فقال عليه السلام: هذا أيضاً محال، لأنَّ في الجنّة ملائكة الله المقرَّبين، وآدم عليه السلام ومحمّداً صلى الله عليه وآله وجميع الأنبياء والمرسلين، فلا تضيء بأنوارهم حتّى تضيء بنور عمر؟!

قال يحيى: وقد روي: أنَّ السّكينة تنطق على لسان عمر.

فقال عليه السلام أبوبكر كان أفضل من عمر، وقال على رأس المنبر: إنَّ لي شيطاناً يعتريني فإذا ملت فسدِّدوني.

قال يحيى: وروي: أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قال: لو لم أبعث لبعث عمر.

فقال عليه السلام: كتاب الله أصدق من هذا الحديث يقول الله تعالى: ﴿وإذ أخذنا من النبيّين ميثاقهم ومنك ومن نوح...﴾[1] قد أخذ الله ميثاق النبيّين، فكيف يمكن أن يبدِّل ميثاقه؟ وكذلك الأنبياء لم يشركوا بالله طرفة عين، فكيف يبعث من أشرك وكان أكثر أيّامه الشّرك بالله؟!

قال يحيى: وقد روي أيضاً: أنَّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قال: ما احتبس عنّي الوحي قطّ إلّا ظننته قد نزل على آل الخطاب.

فقال عليه السلام: وهذا أيضاً محال، لأنّه لا يجوز أن يشكَّ النّبيّ صلى الله عليه وآله في نبوّته، قال تعالى: ﴿الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن النّاس...﴾[2]. فكيف يمكن أن

(١) الأحزاب: ٧.

(٢) الحج: ٧٥.

ينتقل النّبوّة ممّن اصطفاه الله تعالى إلى من أشرك به؟

قال يحيى: وقد روي: أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قال: لو نزل العذاب، لما نجا منه إلّا عمر بن الخطّاب.

فقال عليه السلام: وهذا أيضاً محال، لأنّ الله تعالى يقول: ﴿وما كان الله ليعذّبهم وأنت فيهم وما كان الله معذّبهم وهم يستغفرون﴾[1]. فأخبر سبحانه: أنّه لا يعذّب أحداً مادام فيهم النّبيّ صلى الله عليه وآله وماداموا يستغفرون الله[2].

«فإنّ رواة العلم كثير ورعاته قليل» في الخبر: جاء رجل إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله ما العلم؟ قال صلى الله عليه وآله: الإنصات. قال: ثمّ مه؟ قال: الاستماع. قال: ثمّ مه؟ قال: الحفظ. قال: ثمّ مه؟ قال: العمل به. قال: ثمّ مه يا رسول الله؟ قال نشره[3].

وعن الصّادق عليه السلام: إنّ رواة الكتاب كثير، وإنّ رعاته قليل، فكم من مستنصح للحديث مستغش للكتاب، فالعلماء يحزنهم ترك الرّعاية، والجهّال يجزيهم حفظ الرّواية، فراعٍ يرعى حياته، وراعٍ يرعى هلكته، فعند ذلك اختلف الرّاعيان، وتغاير الفريقان[4].

وعنه عليه السلام: خبر تدريه خير من ألف ترويه[5].

هذا، وفي (مستطرفات السّرائر) كان المفيد ـ أيّام اشتغاله على أبي عبدالله المعروف بالجعل ـ في مجلس عليّ بن عيسى الرّماني، فسأل الرّمّاني بصريٌّ عن يوم الغدير والغار، فقال الرّمّاني: خبر الغار دراية، وخبر الغدير

---

(١) الأنفال: ٣٣.

(٢) الاحتجاج للطوسي: ٤٤٦.

(٣) الكافي للكليني ١: ٤٨ ح ٤.

(٤) الكافي للكليني ١: ٤٩ ح٦، ورواه الصفواني في انس العالم عنه البحار ٢: ٢٠٦ ح٩٨.

(٥) رواه الصفواني في انس العالم عنه البحار ٢: ٢٠٦ ح٩٦، ومعاني الأخبار للصدوق: ٢ ح٣.

رواية والرّواية ما توجب ما توجبه الدّراية. ثمّ انصرف البصري، فقال المفيد للرّمّاني: ما تقول في من قاتل الإمام العادل؟ قال: كافر. ثمّ استدرك وقال: فاسق. فقال له: ما تقول في أمير المؤمنين عليّ؟ قال: إمام. قال: ما تقول في طلحة والزّبير ويوم الجمل؟ قال: تابا. قال: أمّا خبر الجمل فدراية، وأمّا خبر التّوبة فرواية. فقال له: أو كنت حاضراً حين سألني البصري؟ قال: نعم. فدخل الرّمّاني منزله، وأخرج معه ورقة قد ألصقها، وقال: أوصلها إلى شيخك أبي عبدالله. فجاء بها إليه فقرأها، ولم يزل يضحك هو ونفسه، وقال: قد أخبرني بما جرى لك في مجلسه ولقبك المفيد[1].

وقيل أيضاً: بينما القاضي عبدالجبّار ـ شيخ المعتزلة ـ ذات يوم في بغداد، ومجلسه مملو من علماء الفريقين، إذ حضر المفيد وجلس في صفّ النّعال، إذ قال للقاضي: إنّ لي سؤالاً فإن أجزت بحضور هؤلاء الأئمّة. قال: سل. قال: ما تقول في الخبر الّذي يرويه طائفة من الشّيعة: «من كنت مولاه فعليّ مولاه» أهو مسلّم صحيح عن النّبيّ صلى الله عليه وآله يوم الغدير؟ فقال: نعم خبر صحيح. فقال: ما المراد بلفظ المولى؟ قال: هو بمعنى أولى. قال: فما هذا الخلاف والخصومة بين الشّيعة والسّنّة؟ قال: أيّها الأخ هذه رواية، وخلافة أبي بكر دراية، والعاقل لا يعادل الرّواية بالدّراية. فقال: ما تقول في قول النّبيّ صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام: «حربك حربي وسلمك سلمي»؟ قال: الحديث صحيح. فقال: ما تقول في أصحاب الجمل؟ فقال: أيّها الأخ إنّهم تابوا. فقال: أيّها القاضي الحرب دراية، والتّوبة رواية، وأنت قرّرت في حديث الغدير أنّ الرّواية لا تعارض الدّراية فبهت القاضي ولم يحر جواباً، ووضع رأسه ساعة ثمّ رفعه وقال: من أنت؟ قال: محمّد بن محمّد بن النّعمان الحارثي. فقام

---

(١) مستطرفات السرائر لابن ادريس: ٤٩٣، والتنبيه للورام ٢: ٣٠٢، والنقل بتصرف في اللفظ.

القاضي وأجلسه مجلسه، وقال: أنت المفيد حقاً. فانقبض فرق المخالفين وهمهموا، فقال القاضي: هذا الرّجل أسكتني، فإن كان عندكم جواب فقولوا حتّى أجلس في مجلسي الأوّل، فسكتوا وتفرّقوا، فوصل خبر المناظرة إلى عضد الدّولة فأحضر المفيد، وسأله عمّا جرى، فأخبره فأكرمه غاية الاكرام[١].

قلت: يقال للرّمّاني: نعم، خبر الغار دراية، لكنّه دراية عارٍ وشنارٍ، حيث أوجب حزنه سلب الرّاحة عن النّبيّ صلى الله عليه وآله حتّى نهاه النّبيّ صلى الله عليه وآله، وخص الله تعالى إنزال السّكينة بنبيّه صلى الله عليه وآله، وأخرج صاحبه إشعاراً بعدم إيمانه، حيث إنّه تعالى في آيات أُخر أشرك المؤمنين مع نبيّه صلى الله عليه وآله في إنزال السّكينة عليهم. وأمّا كون خبر الغدير رواية فيقال له وللقاضي: أهل العالم ـ حتّى غير الملّيين ـ المتواتر عندهم دراية، وأيُّ تواتر فوق هذا الخبر؟ وقد صنّف في طرقه مجلّدات ضخام ورواه الخصم. ويقال للقاضي: كون خلافة أبي بكر دراية ـ بمعنى: تصديه للأمر ـ أمر لا ينكره أحد، إلّا أنّ الكلام في حقّه وباطله، وخلافة حصلت بإرادة إحراق جمعٍ، قال تعالى فيهم: ﴿...فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم...﴾[٢]. لو لم يسلّموا الأمر إليهم معلوم حالها، إلّا أنَّ إخواننا مثلهم مثل من سأل فقيهاً: هل تصير أُمّ الزّوجة زوجة؟ فقال: لا. قال: نحن فعلناها فصارت. جعلوه خليفة لكن مع تلك الشّنائع والفظائع.

وأمّا توبة طلحة والزّبير، فطلحة لعمر الله كان إلى إزهاق روحه مجدّاً في قتال أمير المؤمنين عليه السلام، بل مريداً لقتله لو يسّر له، والزّبير وإن ترك القتال

---

(١) نقله النوري في خاتمة المستدرك: ٥٢٠.

(٢) آل عمران: ٦١.

لما ذكّره أمير المؤمنين عليه السلام قول النّبيّ صلى الله عليه وآله في عمله، لكنّه لو كان تاب كان الواجب عليه أن يلحق به عليه السلام ويقاتل معه عليه السلام، كما كان الحرّ لمّا تاب من خروجه على الحسين عليه السلام، ترك عسكر ابن سعد ولحق به عليه السلام، وقاتل معه حتّى قتل. ثمّ ما يقولون في أمّهم، فإنّها أيّ وقت تابت؟ فكما أنّها لمّا سمعت ببيعة النّاس مع أمير المؤمنين عليه السلام قالت: ليت السّماء أطبقت على الأرض. ولم يبايع النّاس عليّاً وسجدت شكراً لمّا بلغها قتل أمير المؤمنين عليه السلام وقالت:

فالقت عصاها واستقرّ بها النّوى ... كما قرّ عيناً بالإياب المسافر

ورحّب بابن ملجم قاتله.

ولعلّهم يقولون: تابت يوم أمرت برمي جنازة سيّد شباب أهل الجنّة الحسن عليه السلام لئلّا يدفنوه عند جدّه؟!

قوله عليه السلام على المتن الأخير: «اعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية فإنّ رواة العلم كثير ورعاته قليل» قد عرفت في العنوان السابق أنّ رواية الكليني جعلت هذا الكلام مع اختلاف يسير، ففي ذاك: «اعقلوا الحقّ» جزء الكلام السّابق هنا على قوله: «هم دعائم الإسلام»، وأمّا جعل المصنّف قوله: «عقلوا الدّين...» ... جزأه؛ فلعلّه في رواية أُخرى، ثمّ بعد اتّحاد مفاده لا يحتاج إلى تكرار شرحه.

١١
كتاب (٢٨)

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية جواباً، وهو من محاسن الكتب:

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ تَذْكُرُ فِيهِ ٱصْطِفَاءَ ٱللّٰهِ مُحَمَّداً صَلَّى ٱللّٰه عَلَيْهِ وَآلِهِ لِدِينِهِ، وَتَأْيِيدَهُ إِيَّاهُ لِمَنْ أَيَّدَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ. فَلَقَدْ خَبَّأَ لَنَا ٱلدَّهْرُ مِنْكَ عَجَباً؛ إِذْ طَفِقْتَ تُخْبِرُنَا بِبَلاَءِ ٱللّٰهِ تَعَالَى عِنْدَنَا، وَنِعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِي نَبِيِّنَا، فَكُنْتَ فِي ذٰلِكَ كَنَاقِلِ ٱلتَّمْرِ إِلَى هَجَرَ، أَوْ دَاعِي مُسَدِّدِهِ إِلَى ٱلنِّضَالِ.

وَزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ في ٱلإِسْلاَمِ فُلاَنٌ وَفُلاَنٌ، فَذَكَرْتَ أَمْراً إِنْ تَمَّ ٱعْتَزَلَكَ كُلُّهُ، وَإِنْ نَقَصَ لَمْ يَلْحَقْكَ ثَلْمُهُ، وَما أَنْتَ وَٱلْفاضِلَ وَالْمَفضُولَ، وَالسَّائِسَ وَالمَسُوسَ؟ وَما لِلطُّلَقاءِ وأبناء الطلقاء وَالتمْييزَ بَيْنَ الْمهاجِرينَ ٱلأَوَّلِينَ، وَتَرْتِيبَ دَرَجَاتِهِمْ، وَتَعْرِيفَ طَبَقَاتِهِمْ؟ هَيْهاتَ. لَقَدْ حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْها، وَطَفِقَ يَحْكُمُ فِيها مَنْ عَلَيْهِ ٱلْحُكْمُ لَها!

أَلَا تَرْبَعُ أَيُّها الإنْسانُ عَلَى ظَلْعِكَ، وَتَعْرِفُ قُصُورَ ذَرْعِكَ، وَتَتَأَخَّرُ حَيْثُ أَخَّرَكَ ٱلْقَدَرُ؟ فَما عَلَيْكَ غَلَبَةُ المَغْلُوبِ، وَلَا لك ظَفَرُ الظَّافِرِ.

وإِنَّكَ لَذَهَّابٌ فِي التِّيهِ، رَوَّاغٌ عَنِ ٱلْقَصْدِ. أَلَا تَرَى -غَيْرَ مُخْبِرٍ لَكَ ولكن بِنِعْمَةِ ٱللّهِ أُحَدِّثُ- أَنَّ قَوْماً ٱسْتُشْهِدُوا فِي سَبِيلِ ٱللّهِ مِنَ المُهَاجِرينَ والأَنْصارِ، وَلِكُلٍّ فَضْلٌ، حَتَّى إِذَا ٱسْتُشْهِدَ شَهِيدُنَا قِيلَ: سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ، وَخَصَّهُ رَسُولُ ٱللّهِ صَلَّى ٱللّه عَلَيْهِ وَآلِهِ بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلاَتِهِ عَلَيْهِ؟

أَوَ لَا تَرَى أَنَّ قَوْماً قُطِّعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللّهِ وَلِكُلٍّ فَضْلٌ، حَتَّى إِذَا فُعِلَ بِوَاحِدِنَا مَا فُعِلَ بِوَاحِدِهِمْ، قِيلَ: الطَّيَّارُ فِي ٱلْجَنَّةِ وَذُو ٱلْجَنَاحَيْنِ؟ وَلَوْلَا مَا نَهَى ٱللّهُ عَنْهُ مِنْ تَزْكِيَةِ ٱلْمَرْءِ نَفْسَهُ، لَذَكَرَ ذَاكِرٌ فَضَائِلَ جَمَّةً، تَعْرِفُهَا قُلُوبُ ٱلْمُؤْمِنِينَ، وَلَا تَمُجُّهَا آذَانُ السَّامِعِينَ.

فَدَعْ عَنْكَ مَنْ مَالَتْ بِهِ الرَّمِيَّةُ، فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا، وَالنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا، لَمْ يَمْنَعْنَا قَدِيمُ عِزِّنَا، وَلَا عَادِيُّ طَوْلِنَا عَلَى قَوْمِكَ أَنْ خَلَطْنَاكُمْ بِأَنْفُسِنَا، فَنَكَحْنَا وَأَنْكَحْنَا، فِعْلَ الأَكْفَاءِ وَلَسْتُمْ هُنَاكَ. وَأَنَّى يَكُونُ ذَلِكَ كَذَلِكَ وَمِنَّا النَّبِيُّ وَمِنْكُمُ ٱلْمُكَذِّبُ، وَمِنَّا أَسَدُ ٱللّهِ وَمِنْكُمْ أَسَدُ الأَحْلَافِ، وَمِنَّا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ وَمِنْكُمْ صِبْيَةُ النَّارِ، وَمِنَّا خَيْرُ نِسَاءِ ٱلْعَالَمِينَ، وَمِنْكُمْ حَمَّالَةُ ٱلْحَطَبِ، فِي كَثِيرٍ مِمَّا لَنَا وَعَلَيْكُمْ!

فَإِسْلاَمُنَا مَا قَدْ سُمِعَ، وَجَاهِلِيَّتُنَا لَا تُدْفَعُ، وَكِتَابُ ٱللّٰهِ يَجْمَعُ لَنَا مَا شَذَّ عَنَّا، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿...وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ ٱللّٰهِ...﴾[1]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَٱللّٰهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2]. فَنَحْنُ مَرَّةً أَوْلَى بِالْقَرَابَةِ، وَتَارَةً أَوْلَى بِالطَّاعَةِ.

وَلَمَّا ٱحْتَجَّ الْمُهَاجِرُونَ عَلَى ٱلْأَنْصَارِ يَوْمَ ٱلسَّقِيفَةِ بِرَسُولِ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰه عَلَيْهِ وَآلِهِ فَلَجُوا عَلَيْهِمْ، فَإِنْ يَكُنِ ٱلْفَلَجُ بِهِ فَالْحَقُّ لَنَا دُونَكُمْ، وَإِنْ يَكُنْ بِغَيْرِهِ فَالْأَنْصَارُ عَلَى دَعْوَاهُمْ. ـإلى أن قال ـ وَزَعَمْتَ أَنِّي لِكُلِّ ٱلْخُلَفَاءِ حَسَدْتُ، وَعَلَى كُلِّهِمْ بَغَيْتُ، فَإِنْ يَكُنْ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَلَيْسَتِ ٱلْجِنَايَةُ عَلَيْكَ، فَيَكُونَ ٱلْعُذْرُ إِلَيْكَ.

وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا

أقول: قول المصنّف: «ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية جواباً» قال ابن أبي الحديد: قلت للنّقيب يحيى بن أبي زيد: أرى هذا الجواب منطبقاً على كتاب معاوية الّذي بعثه مع أبي مسلم الخولاني إلى عليّ عليه السلام، فالجواب الّذي ذكره نصر بن مزاحم في (صفّينه)[3] غير صحيح، وإن كان ذلك الجواب، فهذا الجواب غير صحيح. فقال لي: بل كلاهما ثابت مروي، وكلاهما كلامه وألفاظه عليه السلام، ثمّ أمرني أن أكتب ما أملاه فكتبته. قال: كان معاوية يتسقّط عليّاً عليه السلام ويبغي عليه ما عساه يذكر من حال أبي بكر وعمر، وانّهما غصباه حقّه، ولا يزال يكيده بالكتاب يكتبه والرسالة يبعثها يطلب غرّته، لينفث بما في

(١) الأنفال: ٧٥.

(٢) آل عمران: ٦٨.

(٣) وقعة صفّين لابن مزاحم: ٨٨.

صدره من حال أبي بكر وعمر، إمّا مكاتبة أو مراسلة، فيجعل ذلك عليه حجّة عند أهل الشّام، ويضيفه إلى ما قررّه في أنفسهم من ذنوبه، فقد كان غمصه عندهم بأنّه قتل عثمان أو مالأ على قتله وأنه قتل طلحة والزّبير، وأسر عايشة وأراق دماء أهل البصرة، وبقيت خصلة واحدة وهو أن يثبت عندهم أنّه يتبرّأ من أبي بكر وعمر، وينسبهما إلى الظّلم ومخالفة الرّسول صلى الله عليه وآله في أمر الخلافة، وأنّهما وثبا عليها غلبة وغصباه، فكانت هذه الطّامة الكبرى ليست مقتصرة على فساد أهل الشّام عليه، بل وأهل العراق الّذين هم جنده وبطانته وأنصاره، لأنّهم كانوا يعتقدون إمامة الشّيخين، إلّا القليل الشّاذ من خواص الشيعة. فلمّا كتب ذلك الكتاب مع أبي مسلم الخولاني قصد أن يغضب عليّاً عليه السلام ويحرجه ويحوجه إذا قرأ ذكر أبي بكر، وأنّه أفضل المسلمين إلى أن يرهن خطّه في الجواب بكلمة تقتضي طعناً في أبي بكر. فكان الجواب مجمجماً غير بيّن، ليس فيه تصريح بالتّظليم لهما ولا التّصريح ببراءتهما، وتارة يترحّم عليهما، وتارة يقول: قد أخذا حقّي وقد تركته لهما.

فأشار عمرو بن العاص: أن يكتب كتاباً ثانياً مناسباً للكتاب الأوّل، ليستفزّا فيه عليّاً عليه السلام ويستخفّاه، ويحمله الغضب منه أن يكتب كلاماً، يتعلّقان به في تقبيح حاله، وتهجين مذهبه، وقال له عمرو: إنّ عليّاً رجل نزق تيّاه، وما استطعمت منه الكلام بمثل تقريظ أبي بكر وعمر، فاكتب. فكتب إليه كتاباً أنفذه مع أبي اُمامة الباهلي الصّحابي، بعد أن عزم على بعثه مع ابي الدّرداء، ونسخة الكتاب: «من عبدالله معاوية بن أبي سفيان إلى عليّ بن أبي طالب. أمّا بعد، فإنّ الله تعالى جدّه اصطفى محمّداً لرسالته، واختصّه بوحيه وتأدية شريعته. فأنقذ به من العماية، وهدى به من الغواية، ثمّ قبضه إليه رشيداً حميداً قد بلّغ الشّرع، ومحق الشّرك، وأخمد نار الإفك، فأحسن الله جزاءه، وضاعف عليه نعماءه وآلاءه.

ثمّ إنّ الله سبحانه اختصّ محمّداً بأصحاب أيّدوه، وآزروه ونصروه، وكانوا كما قال سبحانه: ﴿...أشدّاء على الكفّار رحماء بينهم...﴾[1] فكان أفضلهم مرتبة، وأعلاهم عندالله والمسلمين منزلة: الخليفة الأوّل الّذي جمع الكلمة، ولمّ الدّعوة، وقاتل أهل الرّدّة، ثمّ الخليفة الثّاني الّذي فتح الفتوح، ومصّر الأمصار، وأذلّ رقاب المشركين، ثمّ الخليفة الثّالث المظلوم الّذي نشر الملّة، وطبّق الآفاق بالكلمة الحنيفيّة. فلمّا استوسق الإسلام وضرب بجرانه، عدوت عليه، فبغيته الغوائل ونصبت له المكائد وضربت له بطن الأمر وظهره، ودسست عليه، وأغريت به، وقعدت حيث استنصرك عن نصرته، وسألك أن تدركه قبل أن يمزق فما أدركته.

وما يوم المسلمين منك بواحد، لقد حسدت أبابكر والتويت عليه، ورميت إفساد أمره، وقعدت في بيتك، واستغويت عصابة من النّاس حتّى تأخّروا عن بيعته.

ثمّ كرهت خلافة عمر، وحسدته واستطلت مدّته وسررت بقتله، وأظهرت الشّماتة بمصابه، حتّى أنّك حاولت قتل ولده، لأنّه قتل قاتل أبيه.

ثمّ لم يكن أشدّ حسداً منك لابن عمّك عثمان، نشرت مقابحه، وطويت محاسنه، وطعنت في فقهه، ثمّ في دينه، ثمّ في سيرته، ثمّ في عقله، وأغريت به السّفهاء من أصحابك وشيعتك، حتّى قتلوه بمحضر منك لا تدفع عنه بلسان ولا يد، وما من هؤلاء إلّا من بغيت عليه، وتلكّأت في بيعته، حتّى حملت إليه قهراً تساق بخزائم الاقتسار كما يساق الفحل المخشوش.

ثمّ نهضت الآن تطلب الخلافة، وقتلة عثمان خلصاؤك وشجراؤك والمحدقون بك، وتلك من أمانيّ النّفوس، وضلالات الأهواء. فدع اللّجاج

---

(١) الفتح: ٢٩.

والعبث جانباً، وادفع إلينا قتلة عثمان، وأعد الأمر شورى بين المسلمين ليتّفقوا على من هو لله رضا، فلا بيعة لك في أعناقنا، ولا طاعة لك علينا، ولا عتبى لك عندنا، وليس لك ولا لأصحابك عندي إلّا السّيف، والّذي لا إله إلّا هو لأطلبن قتلة عثمان أينما كانوا وحيثما كانوا، حتّى أقتلهم أو تلتحق روحي بالله.

فأمّا ما تزال تمنّ به من سابقتك وجهادك فإنّي وجدت الله سبحانه يقول: ﴿يمنّون عليك أن أسلموا قل لا تمنّوا عليّ إسلامكم بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين﴾. ولو نظرت في حال نفسك لوجدتها أشدّ الأنفس امتناناً على الله بعملها، وإذا كان الامتنان على السّائل يبطل أجر الصّدقة، فالامتنان على الله يبطل أجر الجهاد ويجعله كصفوان ﴿عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً لا يقدرون على شيء ممّا كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين﴾ (١)».

قال النّقيب: فلمّا وصل هذا الكتاب إلى عليّ عليه السلام مع أبي أمامة الباهلي كلّم أبا أمامة بنحو ممّا كلّم به أبا مسلم الخولاني، وكتب معه هذا الجواب. وفي كتاب معاوية هذا ذكر لفظ (الجمل المخشوش) أو (الفحل المخشوش) لا في الكتاب الواصل مع أبي مسلم، وليس في ذلك هذه اللّفظة، وإنّما فيه: «حسدت الخلفاء وبغيت عليهم، عرفنا ذلك من نظرك الشّزر، وقولك الهجر، وتنفّسك الصّعداء، وابطائك عن الخلفاء».

قال: وكثير لا يعرفون الكتابين، والمشهور عندهم كتاب أبي مسلم، فيجعلون هذه اللفظة فيه، والصّحيح أنّها في كتاب أبي اُمامة، ألا تراها عادت

---

(١) البقرة: ٢٦٤.

في جوابه؟ ولو كانت في كتاب أبي مسلم لعادت في جوابه...»[١].

قلت: وروى كتابه هذا (صبح الأعشى) و (نهاية الارب)[٢].

وأمّا ما نقله ابن أبي الحديد عن النّقيب، من أنّ معاوية كان قصده من مدح أبي بكر وعمر موجدة أمير المؤمنين عليه السلام، حتّى يذكر طعناً فيهما، فيجعل معاوية ذلك وسيلة لتبرّؤ النّاس منه عليه السلام، فصحيح صحيح.

ويوضح ذلك فضل إيضاح ما رواه أبو الفرج في (مقاتله): أنّ الحسن عليه السلام كتب إلى معاوية، وفيه ذكر تنازع العرب الأمر بعد النّبيّ صلى الله عليه وآله إلى أن قال: فلمّا صرنا أهل بيت محمّد صلى الله عليه وآله واولياؤه إلى محاجّتهم وطلب النّصف منهم، باعدونا واستولوا بالاجتماع على ظلمنا، ومراغمتنا والعنت منهم لنا، فالموعد الله وهو الوليّ النّصير، وقد تعجبنا لتوثّب المتوثّبين علينا في حقّنا وسلطان نبيّنا صلى الله عليه وآله، وإن كانوا ذوي فضيلة وسابقة في الإسلام، فأمسكنا عن منازعتهم مخافة على الدّين، أن يجد المنافقون والأحزاب بذلك مغمزاً يثلمونه به، أو يكون لهم بذلك سبب لما أرادوا به من فساده، فاليوم فليعجب المتعجّب من توثّبك ـ يا معاوية ـ على أمر لست من أهله ـ لا بفضل في الدّين معروف، ولا أثر في الإسلام محمود ـ إلى أن قال ـ فكتب معاوية جوابه: وذكرت وفاة النّبيّ صلى الله عليه وآله وتنازع المسلمين من بعده، فرأيتك صرّحت بتهمة أبي بكر الصّديق، وعمر الفاروق، وأبي عبيدة الأمين وحواري رسول الله، وصلحاء المهاجرين والأنصار، فكرهت ذلك لك، فإنّك امرؤ عندنا وعند النّاس غير ظنين ولا المسيء ولا اللئيم، وأنا أُحبّ لك القول السّديد والذّكر الجميل...[٣]

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٤٥٥.

(٢) صبح الأعشى ١: ٢٢٩ نهاية الارب للنويري ٧: ٢٣٣.

(٣) المقاتل لأبي الفرج: ٣٥.

«أمّا بعد فقد أتاني كتابك تذكر فيه» هكذا في (المصريّة)، وكلمة (فيه) زائدة لعدم وجودها في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)[١].

«اصطفاء الله» زاد ابن ميثم والخطيّة: «تعالى»[٢].

«محمّداً صلى الله عليه وآله لدينه وتأييده إيّاه بمن أيّده من أصحابه فلقد خبأ» أي: أخفى.

«لنا الدّهر منك عجباً» قال ابن أبي الحديد: موضع التعجّب أنّ معاوية يخبر عليّاً عليه السلام باصطفاء الله تعالى محمّداً وتشريفه له وتأييده له، وهذا ظريف، لأنّه يجري كإخبار زيد عمراً عن حال عمرو، إذ كان النّبيّ صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام كالشّيء الواحد[٣].

قلت: وأعجب منه أنّ معاوية وأباه وأمّه وأخاه كانوا يعادون النّبيّ صلى الله عليه وآله مرّة بعد مرّة ومحلّاً بعد محلّ، بكلّ ما قدروا، إلى أن خذلهم الله تعالى بفتح مكّة، ثمّ يذكر معاوية ما ذكر.

والعجب العجاب أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قاسى مع النّبيّ صلى الله عليه وآله شدائد شديدة في سبيل الإسلام، وحصل بعده سلطانه لمعاوية وأمثاله من أعدائه، فصانعوا أصحابه الّذين يعرفونهم باتّحاد طينتهم، وساعدوهم على نقل الأمر إلى أولئك، حتّى ينتهي إليهم ويخلص لهم، فمنعوا النّبيّ صلى الله عليه وآله عن الوصيّة في مرضه، وتركوا جنازته بلا تجهيز، وغلبوا على الأمر.

وممّا يفصح عن ذلك ويكشف الحقيقة ما رواه أبو الفرج في (أغانيه): أنّ مروان لمّا ضرب عبدالرّحمن بن حسّان الحدّ، ولم يضرب أخاه حين تهاجيا وتقاذفا، فكتب عبدالرّحمن إلى النّعمان بن بشير يشكو إليه ذلك، دخل النّعمان

---

(١) يوجد لفظ «فيه» في شرح ابن أبي الحديد ٣: ٤٥٣، وشرح ابن ميثم ٤: ٤٣١ أيضاً.

(٢) لاتوجد هذه الزيادة في شرح ابن ميثم ٤: ٤٣١.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٤٥٧.

على معاوية، وأنشأ يقول:

يابن أبي سفيان ما مثلنا / جار عليه ملك أو أمير

اذكر بنا مقدم أفراسنا / بالحنو إذ أنت إلينا فقير

واذكر غداة السّاعديّ الّذي / أثاركم بالأمر فيها بشير[1]

يشير إلى مساعدة أبيه بشير بن سعد الخزرجي لأبي بكر في سقيفة بني ساعدة، وبيعته معه أوّل النّاس حتّى قبل عمر، فصارت بيعته سبباً لتذكّر الأوس حقدهم مع الخزرج ومتابعتهم له في ذلك.

فلو لم يكن معاوية صانع أبابكر وعمر كيف يقول النّعمان لمعاوية: «اثاركم بالأمر فيها بشير»، ولم يقل عمر كراراً لابن عبّاس: «أبى قومكم لكم الأمر»؟ فهل قومهم إلّا قريش الطّلقاء: بنو أُميّة، وبنو مخزوم، وبنو سهم، وغيرهم؟ وحينئذٍ فلا غرو أن يذكر معاوية اصطفاء الله محمّداً صلّى الله عليه وآله مع ضميمة أصحابه أُولئك إليه.

ولقد أفصح عن ذلك أبوه أبو سفيان أيّام ثالث أُولئك الأصحاب، حيث ضرب قبر حمزة برجله، وقال: يا أبا عمارة قم عن قبرك وشاهد، إنّ الّذي ضربتمونا بالسيف عليه صار ملعبة في أيدي شباننا.

وممّا يوضح كون أبي بكر وعمر مع معاوية، وبني أُميّة على شاكلة واحدة قول معاوية للحسن عليه السلام: «والحال في ما بيني وبينك اليوم مثل الحال الّتي كنتم عليها وأبوبكر بعد النّبيّ، ولو علمت أنّك أضبط منّي للرّعية، وأحوط على هذه الأُمّة، وأقوى على جمع الأموال، وأكْيَد للعدوّ لأجبتك».

وصدق معاوية في كلامه هذا، فلم يكن أمير المؤمنين عليه السلام وعترته عليهم السلام يستعملون سياسة الأكاسرة والقياصرة كما كان أبوبكر

---

(١) الأغاني لأبي الفرج ١٦: ٤٧ والنقل بتلخيص.

وعمر يستعملانها، وكان عمر من عجبه بمعاوية كراراً يقول: تذكرون دهاء كسرى وقيصر وعندكم معاوية.

إلّا أنّه لو كان غرض الله تعالى من الإسلام الّذي رضيه ديناً لعباده نصب أبي بكر مكان عليّ عليه السلام، ونصب معاوية مكان الحسن عليه السلام، للعلّة الّتي ذكرها معاوية، كان نصب أبي جهل أو أبي سفيان للنّبوّة مكان محمّد صلى الله عليه وآله أولى، فإنّه لو كان أحدهما مكانه، لما قدر الفاروق أن يمنعه من الوصيّة ويقول: «إنّه ليهجر»[١]، ولما قدر هو وصاحبه على التّخلّف عن الشّخوص في جيش لعن المتخلف عنه[٢]، ولما قدر أعداؤه دفع أهل بيته عن مقامه، ويجعلوه متداولاً بينهم تداول الكرة، كما قال أبوه ذلك، حين وصل الأمر إلى صاحبهم الخليفة الثّالث، وقال: اجعلوه بينكم كذلك، فما من جنّة ولا نار، وقرّره الإمام الثّالث ورضي بوصيته وارتضى عقيدته.

فإن قيل: كيف يجوز أن يرتضي عقيدة أبي سفيان بعدم جنّة ولا نار؟

قلت: أصدق شاهد عليه عمله أيّام خلافته وتسليطه بني أُميّة ـ الشّجرة الملعونة في القرآن ـ على نفوس النّاس وأعراضهم، وتوليته مثل الوليد بن عقبة أخيه لأُمّه، حتّى يصلّي الصّبح أربعاً بالنّاس في حال السّكر، وينشد في الصّلاة لهم الأشعار، ويقول لهم: لو شئتم أُزيدكم على الأربع في صلاة صبحكم، ومثل عبدالله بن سعد بن أبي سرح الّذي نزل القرآن بكفره، والنّبيّ صلى الله عليه وآله أمر بقتله عام الفتح، ولو كان متعلّقاً بأستار الكعبة.

«إذ طفقت» أي: شرعت.

---

(١) منع عمر النّبيّ صلى الله عليه وآله من الوصيّة أخرجه البخاري في صحيحه ١: ٣٢، ٤: ٧، ٢٧١، وغيره، مرّ تخريجه في أواخر العنوان ٣ من هذا الفصل.

(٢) لعن النّبيّ صلى الله عليه وآله المتخلّف عن جيشه، أخرجه الجوهري في السقيفة: ٧٥ مسنداً، ونقله الشهرستاني في الملل والنحل ١: ٢٩، وغيره مجرّداً.

«تخبرنا ببلاء الله» وحسن اختياره.

«عندنا ونعمته علينا في نبيّنا» وهو أمر يضحك الثكلى.

«فكنت في ذلك كناقل التّمر إلى هجر» قال ابن أبي الحديد: هجر: اسم مدينة لا ينصرف، للتّعريف والتّأنيث، وقيل: هو اسم مذكر مصروف، وأصل المثل كمستبضع تمر إلى هجر، والنّسبة إليه: هاجري، على غير قياس؛ وهي بلدة كثيرة النّخل يحمل منها التّمر إلى غيرها. قال الشّاعر في هذا المعنى:

أُهدى له طرف الكلام كما ... يهدي لوالي البصرة التّمر[1]

قلت: ابن أبي الحديد يتبع غالباً في اللّغة صاحب (الصّحاح)، وهو لم يذكر غير صرف هجر[2]، وإنّما قال ابن الأنباري ـ كما في (بلدان الحموي) ـ الغالب عليه التّذكير والصّرف، وربّما أنّثوها ولم يصرفوها[3]، فمن أين جعل الأصل فيه التّأنيث؟

وأمّا قوله: إنَّ النّسبة إلى هجر هاجري، فتبع فيه الجواهري، لكن لم يعلم صحّته. فقال السّمعاني في (أنسابه): النّسبة إليه هَجَري، بفتحتين على القياس، وعدّ في المنسوبين إليه رشيد الهجري المعروف[4].

والهاجري ـ على ما قال (بلدان الحموي) ـ نسبة إلى عين هجر، لا بلدة هجر، فقال: قال ابن الكلبي عن الشّرقي: إنّما سمّيت (عين هجر) بهجر بنت المكفف، وكانت من العرب المتعرّبة، وكان زوجها محلم بن عبدالله صاحب النّهر الّذي بالبحرين يقال له: «نهر محلم» و «عين محلم». وينسب إليها هاجري، على غير قياس، كما قيل: حاري بالنّسبة إلى الحيرة. قال

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٤٥٧.

(٢) صحاح اللغة للجوهري ٢: ٨٥٢ مادة (هجر).

(٣) معجم البلدان للحموي ٣: ٤٥٧.

(٤) انساب السّمعاني ٥٨٨.

عوف بن الجزع:

تشــــق الأحــزّة ســلّافنا كما شقّق الهاجري الدّبارا[١]

وكيف كان، فمما قيل في كثرة تمر هجر: قول العجيف في أمّه، بعدم ريّها كعدم شبعها:

يــا ليــتنا أمّــنا شــالت نــعامتها أيــــما إلى جــنّة أيــما إلى النّــار

ليست بشبعى وإن أسكنتها هــجراً ولا بــريّا ولو حــلّت بــذي قــار

ومثل هجر خيبر، وبه يضرب أيضاً المثل في نقل التّمر إليه. قال النّابغة الجعدي:

وإن امــرأً أهــدي إليك قــصيدة كمستبضع تمراً إلى أهل خــيبر

«أو داعي» وفي (ابن أبي الحديد والخطيّة)[٢]: «وداعي».

«مسدّده» أي: معلّمه.

«إلى النّضال» أي: المراماة. مثل آخر، أي: كنت يا معاوية في ما فعلت كداعي معلّم رميه إلى مراماته ولمّا هجا العبّاس الرّياشي أبا العبّاس الأعرج، أجابه أبو العبّاس:

إنّ الريــاشيّ عــبّاساً تــعلّم بــي حوك القصيد وهذا أعجب العجب

يهدي لي الشّعر حيناً من سفاهته كالتّمر يهدى لذات الليف والكرب

«وزعمت أنّ أفضل النّاس في الإسلام فلان وفلان» أي: أبو بكر وعمر.

«فذكرت أمراً إن تمم» هكذا في (المصريّة)، والصّواب: (إن تم) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)[٣].

---

(١) معجم البلدان للحموي ٣: ٤٥٧.

(٢) لفظ شرح ابن أبي الحديد ٣: ٤٥٤، وشرح ابن ميثم ٤: ٤٣٢ مثل المصرية أيضاً.

(٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٣: ٤٥٤، لكن لفظ شرح ابن ميثم ٤: ٤٣٢ مثل المصرية أيضاً.

«اعتزلك كلّه» لأنّه لم يكن من عشيرتهما.

«وإن نقص لم يلحقك ثلمته» أي: خلله. قال ابن أبي الحديد: كان جرير يفخر على الفرزدق بقيس عيلان ـ خؤولته ـ ويعيّره بأيّامهم على بني تميم، فقال له الفرزدق:

وما أنت من قيس فتنبح دونها[(١)]

قلت: إنّه عليه السلام وإن أجمل جواب معاوية، وتنكب عن التّصريح حكمة ـ كما عرفت من النّقيب ـ فكان غرض معاوية من مدحه لأبي بكر وعمر حمله عليه السلام على الغضب، حتّى يطعن فيهما، فينفضّ أهل العراق من حوله ويدعوه، إلّا أنّه عليه السلام كان يتمّ الحجّة كراراً، ولا سيّما في أيّام إمارته من أوّلها إلى آخرها.

ومنها ما رواه المدائني عن عبدالله بن جنادة قال: قدمت من الحجاز أُريد العراق في أوّل إمارة عليّ عليه السلام، فمررت بمكّة فاعتمرت، ثمّ قدمت المدينة فدخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ نودي للصّلاة جامعة، فاجتمع النّاس وخرج عليّ عليه السلام متقلّداً سيفه، فشخصت الأبصار نحوه، فحمد الله وصلّى على رسوله، ثمّ قال: أمّا بعد فإنّه لمّا قبض الله نبيّه صلى الله عليه وآله قلنا: نحن أهله وورثته وعترته وأولياؤه دون النّاس، لا ينازعنا سلطانه أحد، ولا يطمع في حقّنا طامع. إذ انبرى لنا قومنا، فغصبونا سلطان نبيّنا، فصارت الإمرة لغيرنا، وصرنا سوقة يطمع فينا الضعيف، ويتعزّز علينا الذّليل، فبكت الأعين منّا لذلك، وخشنت الصّدور، وجزعت النّفوس، وايم الله لو لا مخافة الفرقة بين المسلمين، وأن يعود الكفر، ويبور الدّين لكنّا على غير ما كنّا لهم...[(٢)].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٤٥٧.

(٢) نقله عن المدائني ابن أبي الحديد في شرحه ١: ١٠١ شرح خطبة ٢٢.

وكذلك في الخطبة الشّقشقيّة الّتي رواها العامّة والخاصّة[١]، وكذلك في الخطبة الّتي كتبها لجعدة بن هبيرة حتّى يقرأها، لمّا سألوه بعد فتح مصر عن الثّلاثة المتقدّمين عليه[٢].

والتنكّب عن الجواب بمثل ما فعل عليه السلام أبلغ جواب، وتبعه ابن عبّاس في مجاوبة معاوية وابن الزّبير، (ففي عيون ابن قتيبة) روى الهيثم عن ابن عيّاش عن الشّعبي قال: أقبل معاوية ذات يوم على بني هاشم، فقال يا بني هاشم ألا تحدّثوني عن ادّعائكم الخلافة دون قريش بم تكون لكم؟ -إلى أن قال- قال معاوية: إنّ أمركم لأمر تضيق به الصّدور، إذا سئلتم عمّن اجتمع عليه من غيركم قلتم: حقّ. فإن كانوا اجتمعوا على حقّ، فقد أخرجكم الحقّ من دعواكم، انظروا فإن كان القوم أخذوا حقّكم فاطلبوهم، وإن كانوا أخذوا حقّهم فسلّموا إليهم، فإنّه لا ينفعكم أن تروا لأنفسكم ما لا يراه النّاس لكم. فقال ابن عباس: ندّعي هذا الأمر بحقّ من لولا حقه لم تقعد مقعدك هذا، ونقول: كان ترك النّاس أن يرضوا بنا ويجتمعوا علينا حقّاً ضيّعوه، وحظّاً حرموه، وقد اجتمعوا على ذي فضل لم يخطئ الورد والصّدر، ولا ينقص فضل ذي فضل غيره عليه؛ قال الله عزّ وجلّ ﴿ويؤت كلّ ذي فضل فضله﴾[٣]. فأمّا الّذي منعنا من طلب هذا الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فعهد منه إلينا، قبلنا فيه قوله ودنّا بتأويله، ولو أمرنا أن نأخذه على الوجه الّذي نهانا عنه لأخذناه أو أعذرنا فيه، ولا يعاب أحد على ترك حقّه، إنّما المعيب من يطلب ما ليس له[٤].

---

(١) رواه الشريف الرضي في نهج البلاغة ١: ٣٠ خطبة ٣.

(٢) هذا الحديث رواه الكليني في الرسائل عنه كشف المحجّة: ١٧٣، والثقفي في الغارات ١: ٣٠٢، وابن قتيبة في الإمامة والسياسة ١: ١٩ وغيرهم، وأما كونه خطبة أو كونه لجعدة بن هبيرة فليس بمعلوم.

(٣) هود: ٣.

(٤) عيون الأخبار لابن قتيبة ١: ٥ .

وفي (السّير): أنّ مروان لمّا كان أميراً على المدينة يوضع لابن عبّاس سرير إلى جنب سريره. فجاء يوماً ابن عبّاس، وحضر ابن الزّبير، فنطق وقال: إنَّ ناساً يزعمون أنَّ بيعة أبي بكر كانت غلطاً، وفلتة، ومغالبة، ألا إنَّ شأن أبي بكر أعظم من أن يقال فيه هذا، ويزعمون أنّه لولا ما وقع لكان الأمر لهم وفيهم، والله ما كان من أصحاب محمّد أحد أثبت إيماناً، ولا أعظم سابقة من أبي بكر، فمن قال غير ذلك فعليه لعنة الله، فأين هم حين عقد أبو بكر لعمر، فلم يكن إلّا ما قال؟ ثمّ ألقى عمر حظّهم في حظوظ، وجدّهم في جدود، فأخّر الله سهمهم، وأدحض جدّهم، وولّى الأمر عليهم من كان أحقّ به منهم، فخرجوا عليه خروج اللصوص على التّاجر خارجاً من القرية، فأصابوا منه غرّة، فقتلوه فقتلهم الله به كلّ قتلة، وصاروا مطرودين تحت بطون الكواكب. فقال ابن عبّاس: أيّها القائل في أبي بكر وعمر والخلافة والله ما نالا ولا نال أحد منهما شيئاً إلّا ولصاحبنا خير ممّا نالا ـإلى أن قال ـ ولولا أنّك إنّما تذكر حظّ غيرك وشرف امرئ سواك لكلّمتك، ولكن ما أنت وما لاحظّ لك فيه؟ اقتصر على حظّك، ودع تيما لتيم، وعدياً لعدي، وأميّة لأُميّة، ولو كلّمني تيمي أو عدي، لكلّمته وأخبرته خبر حاضر عن حاضر لاخبر غائب عن غائب، ولكن ما أنت وما ليس لك؟ فإن يكن في أسد بن عبدالعزّى شيءٌ فهو لك. أما والله إنّا لنحن أقرب بك عهداً، وأبيض لديك يداً، وأوفر عندك نعمة ممّن رميت، تظنّ أنّك تصول به علينا، وما أخلق ثوب صفيّة بعد[1]!

«وما أنت والفاضل والمفضول» وحيث إنَّ معاوية كان مكابراً في قوله: «فكان أفضلهم مرتبة الخليفة الأوّل، ثمّ الثّاني، ثمّ الثّالث» كان أحسن جواب له ما فعله عليه السلام من كون ذلك غير مربوط به، حيث إنّ أفضليته من جميع الأمّة

---

(١) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ٤: ٤٩٠ شرح الحكمة ٤٥٣.

بعد النّبيّ صلى الله عليه وآله من البديهيات الّتي يكون الاستدلال لها لغواً، وركيكاً، وكيف لا، وبنص القرآن هو عليه السلام بمنزلة نفس النّبيّ صلى الله عليه وآله (١)؟

وفي (صفّين نصر بن مزاحم): أنّه عليه السلام خطب في صفّين، فقال: الحمد لله الّذي لا يبرم ما نقض، ولا ينقض ما أبرم، ولو شاء ما اختلف اثنان من هذه الأمّة، ولا من خلقه، ولا تنازعت الأمّة في شيء من أمره، ولا جحد المفضول ذا الفضل فضله، وقد ساقتنا وهؤلاء القوم الأقدار، حتّى لفّت بيننا في هذا المكان، فنحن من ربّنا بمرأى ومسمع، فلو شاء لعجّل النّقمة، وكان منه التّغيير حتّى يكذب الله الظّالم، ويعلم الحقّ أين مصيره، ولكّنه جعل الدّنيا دار الأعمال ...(٢).

«والسّائس والمسوس» قال الجوهري: سست الرّعية سياسة، وسوّس الرّجل أُمور النّاس -على ما لم يسم فاعله- إذا ملك أمرهم، وفلان مجرّب قد ساس وسيس عليه، أي: أمر وأُمر عليه(٣).

«وما للطّلقاء وأبناء الطّلقاء، والتّمييز بين المهاجرين الأوّلين، وترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم» قال ابن أبي الحديد: هذا الكلام ينقض قول من يطعن في السّلف، فإنّ أمير المؤمنين عليه السلام أنكر على معاوية تعرضه بالمفاضلة بين أعلام المهاجرين، ولم يذكر معاوية إلّا المفاضلة بينه عليه السلام وبين أبي بكر وعمر، فشهادة أمير المؤمنين عليه السلام بانهما من المهاجرين الأوّلين ومن ذوي الدّرجات والطّبقات الّتي اشتبه الحال بينها وبينه عليه السلام في أيّ الرّجال منهم أفضل، وأن قدر معاوية يصغر أن يدخل نفسه، وفي مثل ذلك شهادة قاطعة على علوّ شأنهما(٤).

---

(١) انظر قوله تعالى: ﴿وانفسنا وانفسكم...﴾ آل عمران: ٦١، كما روي في شأن نزوله.

(٢) وقعة صفّين لابن مزاحم: ٢٢٥.

(٣) صحاح اللغة للجوهري ٢: ٩٣٥ مادة (سوس) والنقل بتقطيع.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٤٥٨.

قلت: العجب منه أنّه نسي ما نقله عن شيخه، من كون جوابه عليه السلام في الكتاب مجمجماً ليس فيه تصريح بالتّظليم لهما، ولا التّصريح ببراءتهما، وأيّ شيئٍ يفيده كلامه عليه السلام هذا بعد إجماله الجواب، من ذكر كبرى كلية من وجود مهاجرين أوّلين، واختلاف درجاتهم وطبقاتهم، بدون ذكر صغرى في تعيين أشخاص المهاجرين؟

ومن أين أنّه عليه السلام لم يرد بالمهاجرين الأوّلين عمّه حمزة وأخاه جعفراً، وشيعته سلمان وأباذر والمقداد، وعمّاراً، وحذيفة، ونظراءهم المتّفق على جلالهم؟

ويشهد لما قلنا ما رواه أبو نعيم في (حليته) في عنوان عمّار عن عبدالله بن سلمة. قال: لقي عليّ عليه السلام رجلين قد خرجا من الحمّام متدهنين، فقال عليّ عليه السلام: من أنتما؟ قالا: من المهاجرين. قال: كذبتما إنّما المهاجر عمّار بن ياسر[1].

وروى في عنوان سلمان مسنداً عن زاذان، وأبي الأسود قالا: كنّا عند عليّ عليه السلام ذات يوم، فوافق النّاس منه طيب نفس ومزاح، فقالوا: يا أمير المؤمنين عليه السلام حدّثنا عن أصحابك. قال: عن أي أصحابي؟ قالوا: عن أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله. قال: كلّ أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله أصحابي، فعن أيّهم؟ قالوا: عن الّذين رأيناك تلطّفهم بذكرك، والصّلاة عليهم دون القوم، حدّثنا عن سلمان. قال: من لكم بمثل لقمان الحكيم، ذاك امرؤ منّا وإلينا أهل البيت...[2]. ومغزى كلامه عليه السلام: «كلّ أصحاب محمّد أصحابي» أنّ الثّلاثة، ومن كان على رأيهم من باقي عشرتهم واتباعهم لا يحسبون من أصحاب النّبيّ صلى الله عليه وآله.

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ١: ١٤١.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم ١: ١٨٧.

وروى في عنوان أهل الصّفّة مسنداً عن ثابت البناني، قال: كان سلمان في عصابة يذكرون الله تعالى، فمرّ النّبيّ ﷺ فكفّوا، فقال: ما كنتم تقولون؟ فقلنا: نذكر الله يا رسول الله. قال: قولوا، فإنّي رأيت الرّحمة تنزل عليكم فأحببت أن أشارككم فيها[1].

وعن مسلمة بن عبدالله عن عمّه قال: عن سلمان: جاءت المؤلّفة قلوبهم إلى رسول الله ﷺ: عيينة بن حصين والأقرع بن حابس، وذووهم، فقالوا: إنّك لو جلست في صدر المجلس ونحيّت عنّا هؤلاء، وأرواح جبابهم ـ يعنون أباذر، وسلمان، وفقراء المسلمين، وكان عليهم جباب الصّوف لم يكن عندهم غيرها ـ جلسنا إليك وخالصناك، وأخذنا عنك. فأنزل الله تعالى: ﴿واتل ما أُوحي إليك من كتاب ربّك لا مبدّل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحداً* واصبر نفسك مع الّذين يدعون ربّهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه ـ حتّى بلغ ـ ناراً أحاط بهم سرادقها...﴾[2] يتهدّدهم بالنّار. فقام نبيّ الله ﷺ يلتمسهم، حتّى أصابهم في مؤخّر المسجد يذكرون الله تعالى، فقال النّبيّ ﷺ: الحمد لله الّذي لم يمتني حتّى أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أُمّتي معكم المحيى ومعكم الممات[3].

بل كان صدّيقهم وفاروقهم عوناً لأُولئك المؤلّفة الجبابرة على هؤلاء المؤمنين المهاجرين الأوّلين، فروى أبو نعيم أيضاً ثمّة مسنداً عن عائذ بن عمرو: أنّ أبا سفيان مرّ بسلمان وصهيب وبلال، فقالوا: ما أخذت السّيوف من عنق عدوّ الله مآخذها. فقال لهم أبوبكر: تقولون هذا لشيخ قريش وسيّدها؟ ثمّ

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ١: ٣٤٢ وللحديث ذيل.

(٢) الكهف: ٢٧ ـ ٢٩.

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم ١: ٣٤٥.

أتى النّبيّ ﷺ فأخبره بالّذي قالوا، فقال: يا أبابكر لعلّك أغضبتهم، والّذي نفسي بيده لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك(١).

وكانا يقرّان بأنّ أُولئك المهاجرين أحقّ بمقامهما، لصبرهم في ذات الله، ولكونهم مهاجرين حقيقين؛ روى أبو نعيم أيضاً مسنداً عن أبي ليلي الكندي، قال: جاء خباب إلى عمر، فقال له: ادن فما أرى أحداً أحقّ بهذا المجلس منك. فجعل خباب يريه آثاراً في ظهره ممّا عذّبه المشركون(٢).

وأيّ فضل في هجرتهما؟ وقد روى إمامهم مسلم في (صحيحه) كما في (الطّرائف) بأسناده عن أبي موسى الأشعري، قال: دخل عمر على حفصة وأسماء عندها، فقال عمر حين رأى أسماء: من هذه؟ قالت: أسماء بنت عميس. قال عمر: الحبشيّة هذه، البحرية هذه. فقالت أسماء: نعم. فقال عمر: سبقناكم بالهجرة، فنحن أحقّ برسول الله منكم. فغضبت، وقالت كلمة: كذبت يا عمر كلّا والله كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم، وكنّا في دار أو أرض البعداء البغضاء في الحبشة، وذلك في الله وفي رسوله، وايم الله، لا أطعم طعاماً، ولا أشرب شراباً حتّى أذكر ما قلت للنّبيّ ﷺ ـ إلى أن قال ـ فلمّا جاء النّبيّ ﷺ قالت: يا نبي الله إنّ عمر قال: كذا وكذا. فقال النّبيّ ﷺ: ليس بأحقّ بي منكم، له ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم أهل السّفينة هجرتان(٣).

وما يفيدهما ويفيدهم هجرتهما؟ وقدرووا في متواتر أخبارهم أنّ النّبيّ ﷺ قال: ليردن عليّ الحوض رجال ممّن صاحبني، حتّى رأيتهم

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ١: ٣٤٦.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم ١: ٣٥٩.

(٣) صحيح مسلم ٤: ١٩٤٦ ح ٢٥٠٣، وعنه الطرائف لابن طاووس ٢: ٤٦٦.

ورفعوا إليّ اختلجوا دوني، فلأقولنّ: أي ربّ أصحابي. فيقال لي: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك[١].

وأيّ حدث أشنع ممّا فعلا من إحضارهما النّار لاحراق أهل بيته[٢]، الّذين شهد القرآن بعصمتهم وطهارتم لو تخلّفوا عن بيعتهم؟

وهل كونهما من أعلام المهاجرين ـ كما هو زعمهم ـ هل كان لفرارهما في خيبر[٣]، الّذي عرض النّبيّ صلى الله عليه وآله بهما أنّهما لا يحبّان الله ورسوله، ولا يحبّهما الله ورسوله، وأنّهما فرّاران غير كرّارين؟ أو لتخلّفهما عن جيش أُسامة الّذي لعن النّبيّ صلى الله عليه وآله المتخلّف عنه[٤]؟ أو لمنعهما النّبيّ صلى الله عليه وآله عن الوصيّة حال احتضاره ونسبتهما الهجر إليه صلى الله عليه وآله[٥]؟ ولا تتوحش من الاشراك بينهما في ما فعله أحدهما، حيث إنّهما كانا كنفس واحدة، كما أنّ أمير المؤمنين عليه السلام مع النّبيّ صلى الله عليه وآله كانا كنفس واحدة[٦]، ولأنّ ما فعله أحدهما كان عن مواطاة مع الآخر حتّى في شيءٍ أنكره الآخر عليه، كما في ادعاءِ الفاروق عدم إمكان موت النّبيّ صلى الله عليه وآله، وأنّه غاب ولم يمت، وإنكار الصّدّيق عليه

(١) أخرجه البخاري بطرق في صحيحه ٢: ٢٣٣، ٢٥٦، و٣: ١٢٧، ١٦٠، و٤: ١٣٢، ومسلم في صحيحه ٤: ٢١٩٤ ح٥٨، وغيرهم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وجاء بطرق أُخرى عن ابن عبّاس وابن مسعود وابن سعيد وأبي هريرة وحذيفة وأنس وأبي بكرة وأُم سلمة وعائشة وأسماء بنت أبي بكر، وغيرهم.

(٢) رواه جمع منهم الجوهري في السقيفة: ٣٨، ٥٠، ٧١، وابن أبي شيبة في المصنف عنه افحام الأعداء ١: ٨٩، وابن قتيبة في الإمامة والسياسة ١: ١٢.

(٣) روى فرارهما النسائي في الخصائص: ٥٢، وابن أبي شيبة والبزاز في مسنديهما وابن جرير والطبراني في معجمه الأوسط والحاكم في المستدرك والبيهقي في الدلائل والضياء في المختارة عنهم منتخب كنز العمال ٥: ٤٤ وغيرهم.

(٤) لعن النّبيّ صلى الله عليه وآله المتخلّف عن جيشه أخرجه الجوهري في السقيفة: ٧٥ مسنداً وجمع آخر بلا اسناد.

(٥) منع عمر النّبيّ صلى الله عليه وآله من الوصيّة، أخرجه جمع، منهم البخاري في صحيحه ١: ٣٢ و٤: ٧، ٢٧١ وغيره مر تخريجه في أُواخر العنوان ٣ من هذا الفصل.

(٦) انظر قوله تعالى: ﴿وأنفسنا وأنفسكم﴾ آل عمران: ٦١، كما روي في شأن نزوله.

ذلك بعد حضوره[١]، فإنّ ذلك كان منه لعدم حضور صاحبه، فألقى هذه الشّبهة حتّى يحضر ويفعلا ما أراداه، وإلّا فكيف يعقل اشتباه الأمر في موت النّبيّ صلّى الله عليه وآله على ذلك الدّاهية الّذي كان فوق المغيرة وعمرو بن العاص ومعاوية مع عدم اشتباه أمر الموت على السّفهاء، بل المجانين؟

وأيّ علوّ لهما في هجرتهما مع كونهما ممّن لا يحضّ على طعام المسكين؟

روى أبو نعيم في (حليته) عن أبي هريرة أنّه كان يقول: والله الّذي لا إله إلّا هو إن كنت لاعتمد على كبدي من الجوع، وإن كنت لأشدّ الحجر على بطني من الجوع، ولقد قعدت يوماً على طريقهم الّذي يخرجون منه فمرّ بي أبوبكر فسألته عن آية من كتاب الله ـما سألته إلّا ليستتبعني ـ فمرّ ولم يفعل، ثمّ مرّ بي عمر، فسألته عن آية من كتاب الله ـما سألته إلّا ليستتبعني ـ فمرّ ولم يفعل، ثمّ مرّ بي أبو القاسم صلّى الله عليه وآله وتبسّم وعرف ما في نفسي، وما في وجهي ثمّ قال: يا أبا هرّ. قلت: لبيّك يا رسول الله. قال: الحق ...[٢].

وروى عنه أيضاً قال: كنت من أصحاب الصّفّة، فظللت صائماً فأمسيت وأنا أشتكي بطني ـإلى أن قال ـ: فقلت (لعمر): أقرئني ـ وما أُريد إلّا الطّعام ـإلى أن قال ـ: وتركني على الباب فأبطأ، فقلت: ينزع ثيابه ثمّ يأمر لي بطعام. فلم أر شيئاً، فلمّا طال عليّ قمت فمشيت، فاستقبلني النّبيّ صلّى الله عليه وآله فقال: يا أبا هريرة إنّ خلوف فمك اللّيلة لشديد؟ فقلت: أجل لقد ظللت صائماً وما أفطرت بعد، وما أجد ما أفطر عليه. قال: فانطلق فانطلقت معه...[٣].

---

(١) صحيح البخاري ٢: ٢٩٠ و ٣: ٩٤، ومسند أحمد ٣: ١٩٦، و ٦: ٢١٩، وسيرة ابن هشام ٤: ٢٢٤، وابن سعد بطرق في الطبقات ٢: ٢، و ٢: ٨٣ ـ ٥٧، والطبري بطرق في تاريخه ٢: ٤٤٢، ٤٤٣ سنة ١١ وغيرهم.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم ١: ٣٧٧.

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم ١: ٣٧٨.

هذا، وأمّا المراد من المهاجرين الأوّلين، فروى ابن قتيبة في (معارفه) عن سعيد بن المسيّب: أنّهم من صلّى إلى القبلتين[1]، وروي عن الشّعبي أنّ المراد بهم من أدرك بيعة الرّضوان[2].

«هيهات لقد حنّ قدح ليس منها» أي: من القداح، والكلام مثل؛ قال الميداني في (أمثاله): يضرب للرّجل يفتخر بقبيلة ليس هو منها، أو يتمدّح بما لا يوجد فيه، وقال: القدح أحد قداح الميسر، وإذا كان أحد القداح من غير جوهر إخوته، ثمّ أجاله المفيض خرج له صوت يخالف أصواتها، يعرف به أنّه ليس من جملة القداح. قال: وتمثّل عمر به حين قال الوليد بن عقبة بن أبي معيط: أُقتل من بين قريش ...[3].

قلت: بل القائل: أأقتل من بين قريش صبراً؟ أبوه عقبة بن أبي معيط لا الوليد ابنه؛ وفي (تفسير القمي) ـ لمّا أمر النّبيّ ﷺ أمير المؤمنين عليه السلام بضرب عنق عقبة لمّا اسر في بدر ـ قال عقبة: يا محمّد ألم تقل لا تصبر قريش؟ ـ أي لا يقتلون صبراً ـ قال: أفأنت من قريش؟ إنّما أنت علج من أهل صفورية، لأنت في الميلاد أكبر من أبيك الّذي تدعى له، لست منها، قدّمه يا عليّ فاضرب عنقه[4].

هذا، وردّ الأخطل على جرير في افتخاره برجال من تميم كانوا آباء الفرزدق فقال:

أجرير إنّك والّذي تسمو له ... كأسيفة فخرت بحدج حصان
عملت لريتها فلمّا عوليت ... نسلت تعارضها مع الرّكبان

(١ و ٢) المعارف لابن قتيبة: ٥٧٢.

(٣) مجمع الأمثال للميداني ١: ١٩١، وقريب منه المستقصى للزمخشري ٢: ٦٨.

(٤) تفسير القمي ١: ٢٦٩.

أتـعدّ مأثـرة لغـيرك فـخرها وثناؤهما في سالف الأزمـان
تاج الملوك وفخرهم في دارم أيّـام يـربوع مـع الرّعـيان

«وطفِق» بالكسر أي: شرع.

«يحكم فيها من عليه الحكم لها» أي: أنت مثل محكوم عليه صار حاكماً.

«ألا تربع» بالفتح من باب منع، أي: تقف.

«أيّها الإنسان» المتخلّف.

«على ظلعك» أي: عرجك؛ يقال: ظلع البعير إذا غمز في مشيه.

«وتعرف قصور ذرعك» أي: ذراع يدك عن المقابلة مع طوال الأيدي.

«وتتأخّر حيث أخّرك القدر» بعدم إسلامك إلّا بعد الفتح كرهاً؛ قال ابن عبد البرّ: كان معاوية وأبوه وأخوه من مسلمة الفتح، وهو وأبوه من المؤلّفة قلوبهم، ولمّا قدم معاوية بعد خلافته المدينة، قال لأبي قتادة الأنصاري: تلقّاني النّاس كلّهم غيركم يا معشر الأنصار، ما منعكم؟ قال: لم يكن معنا دواب. قال معاوية: فأين النواضح؟ قال أبو قتاده: عقرناها في طلبك وطلب أبيك يوم بدر[1].

وفي (الطّبري): أنّ النّبيّ ﷺ أمر يوم فتح مكّة بقتل أربع نسوة، وذكر فيهنّ هنداً أمّ معاوية، قال: فأسلمت وبايعت. وذكر أنّ النّبيّ ﷺ تلا عليها شرايط بيعة النّساء الّتي ذكرها الله، إلى أن قال لها: ولا تقتلن أولادكنّ. فقالت هند: قد ربّيناهم صغاراً، وقتلتهم يوم بدر كباراً فأنت وهم أعلم. فضحك عمر من قولها حتّى استغرب[2].

ومثل معاوية باقي عشيرته، وفي (العقد) قال مروان لحويطب بن عبد

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البرّ ٣: ٣٩٥، ٤٠١.

(٢) تاريخ الطبري ٢: ٣٣٧، ٣٣٨ سنة ٨ والنقل بالمعنى.

العزّى ـ وكان كبيراً مسنّاً ـ: ايّها الشّيخ تأخّر إسلامك حتّى سبقك الأحداث. فقال: الله المستعان، والله لقد هممت بالإسلام غير مرّة، وكلّ ذلك يعوقني عنه أبوك، وينهاني ويقول: يضع من قدرك أن تترك دين آبائك لدين محدث وتصير تابعاً. فسكت مروان[1].

«فما عليك غلبة المغلوب» أي: مغلوبية المغلوب.

«ولا ظفر» هكذا في (المصريّة)، والصّواب: (ولا لك ظفر) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)[2].

«الظّافر» روى الزّبير بن بكار في (مفاخراته) في اجتماع الوليد بن عقبة، وعتبة بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة في مجلس معاوية، ودعوته للحسن عليه السلام لينالوا من أبيه عليه السلام: أنّ الحسن عليه السلام قال لهم في جملة ما قال: أُنشدكم الله أيّها الرّهط أتعلمون أنّ الّذي شتمتموه منذ اليوم صلّى القبلتين كلتيهما، وأنت يا معاوية بهما كافر تراهما ضلالة، وتعبد اللّات والعزّى غواية؟ وأُنشدكم الله هل تعلمون أنّه أوّل النّاس إيماناً، وأنّك يا معاوية وأباك من المؤلّفة قلوبهم تسرّون الكفر، وتظهرون الإسلام وتستمالون بالإسلام؟ وأُنشدكم الله ألستم تعلمون أنّه كان صاحب راية رسول الله يوم بدر، وأنّ راية المشركين كانت مع معاوية وأبيه، ثمّ لقيكم يوم أحد ويوم الأحزاب، ومعه راية رسول الله ومعك ومع أبيك راية الشّرك، وفي كلّ ذلك يفتح الله له ويفلج حجّته، وينصر دعوته، ويصدّق حديثه، ورسول الله صلى الله عليه وآله في تلك المواطن كلّها عنه راض، وعليك، وعلى أبيك ساخط؟ وأُنشدك الله يا معاوية أتذكر يوماً جاء أبوك على جمل أحمر، وأنت تسوقه، وأخوك

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه ٤: ١٠٢.

(٢) لفظ شرح ابن أبي الحديد ٣: ٤٥٤، وشرح ابن ميثم ٤: ٤٣٢ مثل المصرية أيضاً.

عتبة هذا يقوده فرآكم رسول الله، فقال: «اللّهمّ العن الرّاكب والقائد والسّائق»؟ أتنسى يا معاوية الشّعر الّذي كتبته إلى أبيك لمّا همّ أن يسلم، تنهاه عن ذلك؟

يا صخر لا تسلمنْ يوماً فتفضحنا بعد الّذين ببدر أصبحوا فرقاً
خالي وجدّي وعمّ الأم ثالثهم وحنظل الخير قد أهدى لنا أرقا
لا تركننّ إلى أمر تكلفنا والرّاقصات به في مكّة الخرقا
فالموت أهون من قول العداة لقد حار ابن حرب عن العزّى فرقا

ووالله لما أخفيت أكثر ممّا أبديت ـ إلى أن قال ـ وأنتم أيّها الرّهط نشدتكم الله ألا تعلمون أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لعن أبا سفيان في سبعة مواطن لا تستطيعون ردّها.

أوّلها: يوم لقيه صلّى الله عليه وآله خارجاً من مكّة إلى الطّائف يدعو ثقيفاً إلى الدّين، فوقع فيه وسبّه وسفّهه، وشتمه وكذّبه، وتوعّده وهمّ أن يبطش به، فلعنه النّبيّ صلّى الله عليه وآله وصرف عنه وجهه، والثّانية: يوم العير، إذ عرض لها النّبيّ صلّى الله عليه وآله وهي جائية من الشّام، فطردها أبوسفيان، وساحل بها فلم يظفر بها المسلمون، ولعنه النّبيّ صلّى الله عليه وآله ودعا عليه، فكانت وقعة بدر لأجلها، والثّالثة: يوم أُحد، حيث وقف تحت الجبل ـ ورسول الله صلّى الله عليه وآله في أعلاه ـ وهو ينادي: «اعل هبل» مراراً، فلعنه النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم عشر مرّات، ولعنه المسلمون، والرّابعة: يوم جاء بالأحزاب وغطفان واليهود، فلعنه النّبيّ صلّى الله عليه وآله وابتهل، والخامسة: يوم جاء في قريش، فصدّوا النّبيّ صلّى الله عليه وآله عن المسجد الحرام ﴿والهدي معكوفاً أن يبلغ محلّه﴾[1] ذلك يوم الحديبيّة، فلعن النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أبا سفيان، ولعن القادة والأتباع، وقال: ملعونون كلّهم، وليس فيهم من يؤمن. فقيل: يا رسول الله أفما ترجو الإسلام لأحد منهم، فكيف باللّعنة؟ فقال: لا تصيب اللّعنة أحداً من

---

(١) الفتح: ٢٥.

الأتباع، وأمّا القادة فلا يفلح منهم أحد. والسّادسة: يوم الجمل الأحمر، والسّابعة: يوم وقفوا للنّبيّ صلى الله عليه وآله في العقبة ليستنفروا ناقته، وكانوا اثني عشر رجلاً، فهذا لك يا معاوية...»[1].

«وأنّك لذهّاب في التّيه» قال الجوهري: التّيه: المفازة يتاه فيها[2].

«روّاغ» من: راغ الثّعلب يروغ، وفي المثل:

وغي جعار وانظري أين المفرّ[3]

«عن القصد» أي: عن مستقيم الطّريق، روى أحمد بن أبي طاهر في (بلاغاته) في وفود أروى بنت الحرث بن عبدالمطّلب على معاوية: أنّها قالت له في جملة ما قالت: لقد كفرت بعدي بالنّعمة، واسأت لابن عمّك الصحبة، وتسمّيت بغير اسمك، وأخذت غير حقّك بغير بلاء كان منك، ولا من آبائك في الإسلام، ولقد كفرتم بما جاء به محمّد صلى الله عليه وآله، فأتعس الله منكم الجدود، وأصعر منكم الخدود[4].

«ألا ترى غير مخبر لك» أي: أنّك أدنى من أن أجعلك طرف إخباري، وهذا أشدّ تبكيت للخصم؛ وفي (الأغاني) سبّ رجل من قريش في أيّام بني أُمية بعض ولد الحسن عليه السلام، فاغلظ له وهو ساكت، والنّاس يعجبون من صبره عليه، فلمّا أطال أقبل الحسني عليه متمثّلاً بقول ابن ميادة:

أظنّت سفاها من سفاهة رأيها ... أن اهجوَها لما هجتني محارب
فلا وأبيها إنّني بعشيرتي ... ونفسيَ عن ذاك المقام لراغب

(١) رواه الزبير بن بكار في المفاخرات عنه شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٠٢.
(٢) صحاح اللغة للجوهري ٦: ٢٢٢٩ مادة (تيه).
(٣) مجمع الأمثال للميداني ١: ٢٨٩، والمستقصى للزمخشري ٢: ١٠٥.
(٤) بلاغات النساء للبغدادي: ٤٣.

فقام القرشي خجلاً وما ردّ عليه جواباً(١).

«ولكن بنعمة الله أُحدّث» مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وأمّا بنعمة ربّك فحدّث﴾(٢) والتّحديث بنعمته عزّ وجلّ نوع من شكره تعالى، فإنّ من يذكر فضائل نفسه، لو اعتقدها من نعمه تعالى يخرج عن الفخر المذموم، ويدخل في الشّكر الممدوح، وقد قال النّبيّ صلى الله عليه وآله: أنا سيّد ولد آدم ولا فخر(٣).

«أن قوماً استشهدوا في سبيل الله من المهاجرين والأنصار» في (الطبري): استشهد في بدر ستة من المهاجرين، وثمانية من الأنصار(٤).

«ولكلّ فضل» ومن فضلاء شهداء الأنصار حنظلة غسيل الملائكة الّذي قتل بأحد، وقال فيه أبوسفيان ـ وكان ابنه حنظلة قتل في بدر ـ: حنظلة بحنظلة.

ومنهم عاصم بن ثابت حمى الدبر، أبو جد الأحوص الشّاعر، بعثه النّبيّ صلى الله عليه وآله في بعث فقتله المشركون، وأرادوا أن يصلبوه، وأن يقطعوا رأسه لامرأة منهم لتشرب في قحفه، كانت نذرت ذلك لكونه قتل ابنيها، فحمته الدّبر ـ وهي: النّحل ـ حتّى بعث الله الوادي في الليل فاحتمله فذهب به.

«حتّى إذا استشهد شهيدنا» يعني عليه السلام عمّه حمزة الّذي قتله وحشي غلام جبير بن معطم النّوفلي في أُحد؛ قال الطّبري: كان وحشي حبشيّاً يقذف بحربة له قذف الحبشة قلّما يخطئ بها، فقال له جبير: اخرج مع النّاس، فإن أنت قتلت عمّ محمّد بعمّي طعيمة بن عدي، فأنت عتيق. وكانت هند بنت عتبة كلّما

(١) الأغاني لأبي الفرج ٢: ٣٢٠.

(٢) الضحى: ١١.

(٣) هذا حديث مشهور أخرجه بهذا اللفظ ابن ماجه في سننه ٢: ١٤٤٠ ح٤٣٠٨ عن أبي سعيد وله طرق وألفاظ غير ذلك.

(٤) تاريخ الطبري ٢: ١٧١ سنة ٢ نقلاً عن ابن إسحاق.

مرّت بوحشي أو مرّ بها، قالت: إيه أبا دسمة اشف واشتف -إلى أن قال-: قال وحشي: والله إنّي لأنظر إلى حمزة يهدّ النّاس بسيفه ما يليق شيئاً يمرّ به، مثل الجمل الأورق، إذ تقدّمني إليه سباع بن عبد العزّى، فقال له حمزة: هلّم إليّ يابن مقطّعة البظور، فضربه فكأنّما أخطأ رأسه. قال: وهززت حربتي حتّى إذا رضيت منها دفعتها عليه، فوقعت في لبّته حتّى خرجت من بين رجليه، وأقبل نحوي، فغُلب فوقع، فأمهلته حتّى إذا مات، جئت فأخذت حربتي[١].

«قيل سيّد الشّهداء» روى الطّبري في خطبة الحسين عليه السلام يوم الطّف أنّه قال: «أو ليس حمزة سيّد الشّهداء عمّ أبي»[٢].

وروى الكليني عن الأصبغ قال: رأيت أمير المؤمنين عليه السلام يوم افتتح البصرة، وركب بغلة النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ثمّ قال: أيّها النّاس ألا أُخبركم بخير الخلق يوم يجمعهم الله؟ فقام إليه أبو أيوب الأنصاري، فقال: بلى يا أمير المؤمنين حدّثنا، فإنّك كنت تشهد ونغيب -إلى أن قال- فقال عليه السلام: إنّ خير الخلق يوم يجمعهم الله الرّسل، وإنَّ أفضل الرّسل محمّد صلّى الله عليه وآله، وإنَّ أفضل كلّ أمّة بعد نبيّها وصيّ نبيّها حتّى يدركه نبيّ، ألا وإنَّ أفضل الأوصياء وصيّ محمّد صلّى الله عليه وآله، ألا وإنّ أفضل الخلق بعد الأوصياء الشّهداء، ألا وإنّ أفضل الشّهداء حمزة بن عبدالمطّلب، وجعفر بن أبي طالب له جناحان خضيبان يطير بهما في الجنّة، لم يُنحل لأحد من هذه الأُمّة جناحان غيره، شيء كرّم الله به محمّداً صلّى الله عليه وآله وشرّفه. والسّبطان الحسن والحسين، والمهدي يجعله الله منّا أهل البيت -ثمّ تلا هذه الآية-: ﴿ومن يطع الله والرّسول فأُولئك مع الّذين أنعم الله عليهم من النّبيّين والصّدّيقين والشّهداء والصّالحين وحسن أُولئك

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ١٨٨ ـ ١٨٩ سنة ٣ والنقل بتقطيع.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٢٢ سنة ٦١.

رفيقاً * ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً﴾[١].

وروى عن الصّادق عليه السلام قال: بينا النّبيّ صلى الله عليه وآله في المسجد الحرام، وعليه ثياب له جدد، فألقى المشركون عليه سلى ناقة، فملؤوا واثيابه بها، فدخله من ذلك ما شاء الله، فذهب إلى أبي طالب، فقال له: يا عمّ كيف ترى حسبي فيكم؟ فقال له: وما ذاك يابن أخي؟ فأخبره الخبر، فدعا أبو طالب حمزة، وأخذ السّيف وقال لحمزة: خذ السلى. ثمّ توجّه إلى القوم، والنّبيّ صلى الله عليه وآله معه، فأتى قريشاً وهم حول الكعبة، فلمّا رأوه عرفوا الشّرفي وجهه، ثم قال لحمزة: أمرّ السلى على سبالهم. ففعل ذلك حتّى أتى على آخرهم، ثمّ التفت أبو طالب إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يابن أخي هكذا حسبك فينا[٢].

وروى الطّبري: أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله وجد حمزة ببطن الوادي قد بقر بطنه عن كبده، ومثّل به؛ فجدع أنفه وأُذناه؛ فقال: لئن أنا أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثّلن بثلاثين رجلاً منهم. فلمّا رأى المسلمون حزن النّبيّ صلى الله عليه وآله وغيظه على ما فعل بعمه، قالوا: والله لئن ظهرنا عليهم يوماً من الدّهر، لنمثّلن بهم مثلة لم يمثّلها أحد من العرب بأحد قطّ. وأن الله تعالى أنزل في ذلك، من قول النّبيّ صلى الله عليه وآله وقول أصحابه: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصّابرين﴾[٣] إلى آخر السّورة، فعفا النّبيّ صلى الله عليه وآله وصبر ونهى عن المثلة[٤].

وفي (تفسير القمي): فلمّا رأى النّبيّ صلى الله عليه وآله ما فعل بعمّه بكى، ثمّ قال: والله ما وقفت موقفاً قطّ أغيظ عليّ من هذا المكان، لئن أمكنني الله من قريش لأُمثّلن

---

(١) الكافي للكليني ١: ٤٥٠ ح٣٤، والآيتان ٦٩ ـ ٧٠ من سورة النساء.

(٢) الكافي للكليني ١: ٤٤٩ ح٣.

(٣) النحل: ١٢٦.

(٤) تاريخ الطبري ٢: ٢٠٧ ـ ٢٠٨ سنة ٣، وهذا تأليف ثلاثة أحاديث.

بسبعين رجلاً منهم. فنزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصّابرين﴾[١]. فقال النّبيّ صلى الله عليه وآله: بل أصبر. قال القمي: هذه الآية في سورة النّحل كان يجب أن يكون في سورة آل عمران الّتي فيها أخبار أُحد[٢].

«وخصّه رسول الله بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه» وكانت صلاته صلى الله عليه وآله على باقي المؤمنين خمساً.

وأمّا الصّلاة بالأربع كما عليه العامّة فمن أحداث عمر؛ وروى الخطيب في [عيسى البزّاز المدائني مولى حذيفة]: أنَّ عيسى صلّى بالمدائن على جنازة فكبّر خمساً. ثمّ التفت إلى النّاس، وقال: ما وهمت ولا نسيت، ولكن كبّرت كما كبّر مولاي وولي نعمتي حذيفة، صلّى على جنازة فكبّر خمساً، ثمّ التفت إلينا فقال: ما نسيت ولا وهمت، ولكنّي كبّرت كما كبّر النّبيّ صلى الله عليه وآله، صلّى على جنازة فكبّر خمساً[٣].

وعن (الجمع بين الصّحيحين): أنّ زيد بن أرقم كان يكبّر على جنائزنا أربعاً، وأنّه كبّر على جنازة خمساً، فسئل، فقال: كان النّبيّ صلى الله عليه وآله يكبّر خمساً خمساً[٤].

وروى أبو الفرج في (مقاتله) في عيسى بن زيد: أنّ إبراهيم بن عبدالله بن الحسن صلّى على جنازة بالبصرة، فكبّر عليها أربعاً، فقال له عيسى بن زيد: لم نقّصت واحدة وقد عرفت تكبير أهلك؟ فقال: إنّ هذا أجمع للنّاس، ونحن إلى

---

(١) النحل: ١٢٦.

(٢) تفسير القمي ١: ١٢٣، والنقل بتصرف في اللفظ.

(٣) تاريخ بغداد للخطيب ١١: ١٤٢.

(٤) نقله عن الجمع بين الصحيحين للحميدي ابن طاووس في الطرائف ٢: ٥٥١، وأخرجه مسلم في صحيحه ٢: ٦٥٩ ح ٧٢، والنقل بتصرف في اللفظ.

اجتماعهم محتاجون، وليس في تكبير تركتها ضرر إن شاء الله. ففارقه عيسى واعتزله[١].

ويفهم من الخبر أنّ جميع العلويّين حتّى الزّيدية منهم كانوا يكبّرون خمساً، بل جميع الهاشميّين، حتّى العباسيّين كانوا كذلك؛ فرووا أنّ عيسى بن موسى صلّى على السّفّاح فكبّر خمساً، وأنّ القادر صلّى على الطّائع فكبّر خمساً.

وإنّما كان النّبيّ صلى الله عليه وآله يكبّر أربعاً على المنافقين؛ روى (الكافي) عن الصّادق عليه السلام: أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله كان يكبّر على قوم خمساً، وعلى قوم أربعاً، فإذا كبّر على رجل أربعاً اتّهم بالنّفاق[٢].

هذا، وفي (قصص أنبياء الثّعلبي) المترجم بـ(العرائس) قال ابن عبّاس: فلمّا مات آدم قال شيث لجبرئيل عليه السلام: صلّ على آدم. فقال له جبرئيل: تقدّم أنت فصلّ على أبيك. فصلّى عليه وكبّر ثلاثين تكبيرة. فأمّا خمس فهي الصّلاة، وأمّا خمس وعشرون فهي تفضيل لآدم عليه السلام[٣].

يفهم منه أنّ الصّلاة على المؤمنين كانت من أوّل يوم خمساً.

ثمّ الظّاهر أنّ تكبير النّبيّ صلى الله عليه وآله على حمزة سبعين تكبيراً كان بتعدّد الصّلاة عليه، بأن يكون صلّى عليه أربع عشرة صلاة، كل صلاة خمساً؛ فروى (الكافي) عن الباقر عليه السلام قال: كبّر النّبيّ صلى الله عليه وآله على حمزة سبعين تكبيرة، وكبّر عليّ عليه السلام عندكم على سهل بن حنيف خمساً وعشرين تكبيرة، كبّر خمساً خمساً، كلّما أدركه النّاس قالوا: يا أمير المؤمنين عليه السلام لم ندرك الصّلاة

(١) المقاتل لأبي الفرج: ٢٦٨، وفي المصدر: ٢٢٣.

(٢) الكافي للكليني ٣: ١٨١ ح ٢.

(٣) العرائس للثعلبي: ٤٨.

على سهل، فيضعه فيكبّر عليه خمساً، حتّى انتهى إلى قبره خمس مرّات[١].

هذا، وفي (تاريخ الخطيب) في [عبدالله بن سليمان السجستاني]: أنّه صلّي عليه ثمانين مرّة حتّى أنفذ المقتدر بنازوك، فخلّصوا جنازته ودفنوه[٢].

وفي (عيون ابن قتيبة) كانت صلاة العرب على موتاهم في الجاهليّة:

ما كنت وكواكا ولا بزونك   رويدك حتّى يبعث الحقّ باعثه

وقال: معنى (وكواك) غليظ، ومعنى (زونك) قصير[٣].

ثمّ كما خصّ النّبيّ صلى الله عليه وآله حمزة بسبعين تكبيرة بكى لعدم الباكي عليه؛ قال الطّبري: مرّ النّبيّ صلى الله عليه وآله بدار من دور الأنصار، من بني عبد الأشهل وبني ظفر، فسمع البكاء والنّوائح على قتلاهم، فذرفت عينا النّبيّ صلى الله عليه وآله فبكى، ثمّ قال: لكن حمزة لا بواكي له. فلمّا رجع سعد بن معاذ وأسيد بن حضير إلى دار بني عبد الأشهل، أمرا نساءهم أن يتحزّمن ثمّ يذهبن، فيبكين على عمّ النّبيّ صلى الله عليه وآله[٤].

«أولا ترى أنّ قوماً قطّعت أيديهم في سبيل الله ولكلّ فضل» فممّن قطعت يده في بدر معاذ بن عمرو بن الجموح؛ ففي (الطبري) قال: ضربت أبا جهل ضربة أطنّت قدمه بنصف ساقه، وضربني ابنه عكرمة على عاتقي، فطرح يدي فتعلّقت بجلدة من جنبي، وأجهضني القتال عنه، فلقد قاتلت عامّة يومي وأنّي لأسحبها خلفي، فلمّا آذتني جعلت عليها رجلي، ثمّ تمطّيت بها حتّى طرحتها. قال: ثمّ عاش معاذ إلى زمن عثمان[٥].

---

(١) الكافي للكليني ٣: ١٨٦ ح٣.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٩: ٤٦٨.

(٣) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢: ١٢٩.

(٤) تاريخ الطبري ٢: ٢١٠ سنة ٣.

(٥) تاريخ الطبري ٢: ١٥٤ سنة ٣ والنقل بتقطيع.

«حتّى إذا فعل بواحدنا» أي: جعفر أخوه عليه السلام.

«ما» هكذا في (المصرية)، والصواب: (كما) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[١].

«فعل بواحدهم» من قطع اليد.

«قيل الطّيار في الجنّة وذو الجناحين» روى الواقدي عن عبد الله بن جعفر: أنّ النّبي صلى الله عليه وآله دخل على أسماء أُمّه، فنعى أباه -إلى أن قال-: يا أسماء ألا أُبشّرك؟ قالت: بلى بأبي أنت وأُمّي. قال: فإنّ الله عزّوجلّ جعل لجعفر جناحين يطير بهما في الجنّة. قالت: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله، فأعلم النّاس ذلك. فقام رسول الله صلى الله عليه وآله، وأخذ بيدي يمسح بيده على رأسي، حتّى رقى على المنبر، وأجلسني أمامه على الدرجة السّفلى، والحزن يعرف عليه، فتكلّم فقال: إنّ المرء كثير بأخيه وابن عمّه، ألا إنّ جعفراً قد استشهد، وقد جعل الله له جناحين يطير بهما في الجنّة[٢].

ومرّ خبر (الكافي) عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: وإنّ أفضل الشهداء حمزة بن عبد المطّلب، وجعفر بن أبي طالب له جناحان خضيبان يطير بهما في الجنّة، لم ينحل لأحد من هذه الأُمّة جناحان غيره، شيء كرّم الله به محمّداً وشرّفه[٣].

وفي (الطبري) في خطبة الحسين عليه السلام يوم الطّف: أوليس جعفر الشّهيد الطيّار ذو الجناحين عمّي؟[٤]

وروى (مقاتل أبي الفرج) عن أبي هريرة، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله قال: رأيت

(١) لفظ شرح ابن أبي الحديد ٣: ٤٥٤، وشرح ابن ميثم ٤: ٤٣٢ مثل المصرية أيضاً.

(٢) المغازي للواقدي ٢: ٧٦٦.

(٣) الكافي للكليني ١: ٤٥٠ ح ٣٤ ضمن حديث.

(٤) تاريخ الطبري ٤: ٣٢٢ سنة ٦١.

جعفراً ملكاً، يطير في الجنّة مع الملائكة بجناحين[١].

وروى عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال النّبيّ صلى الله عليه وآله لجعفر: أشبهت خلقي وخُلقي[٢].

وروى أبو الفرج أيضاً: أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله لمّا فتح خيبر قدم عليه جعفر بن أبي طالب من الحبشة، فالتزمه النّبيّ صلى الله عليه وآله وجعل يقبّل بين عينيه، ويقول: ما أدري بأيّهما أنا أشدّ فرحاً: بقدوم جعفر أم بفتح خيبر[٣]؟

وروى (الاستيعاب) عن عبد الله بن جعفر قال: كنت إذا سألت عليّاً عليه السلام شيئاً فمنعني وقلت له: بحقّ جعفر أعطاني[٤].

وروى (روضة الكافي) عن سدير قال: كنّا عند أبي جعفر عليه السلام، فذكرنا ما أحدث النّاس بعد نبيّهم صلى الله عليه وآله، واستذلالهم أمير المؤمنين عليه السلام، فقال رجل من القوم: أصلحك الله فأين كان عزّ بني هاشم، وما كانوا فيه من العدد؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: ومن كان بقي من بني هاشم؟ إنّما كان جعفر وحمزة، فمضيا وبقي معه عليه السلام رجلان ضعيفان ذليلان، حديثا عهد بالاسلام: عبّاس وعقيل، وكانا من الطّلقاء، أما والله لو أن حمزة وجعفراً كانا بحضرتهما ـ أي الأوّل والثاني ـ ما وصلا إلى ما وصلا إليه، ولو كانا شاهديهما لأتلفا نفسيهما[٥].

وروى (الفقيه) عن جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام قال: أوحى الله تعالى إلى رسوله: أنّي شكرت لجعفر بن أبي طالب أربع خصال. فدعاه

(١) المقاتل لأبي الفرج: ٩.

(٢) أخرجه أبو الفرج في المقاتل: ١٠ عن الباقر عليه السلام، وروى أيضاً عن البراء بن عازب وعلي عليه السلام واسامة وعبيد الله بن أسلم وثابت وجابر وعبد الله بن جعفر وابن سيرين.

(٣) المقاتل لأبي الفرج: ٦.

(٤) الاستيعاب لابن عبد البر ١: ٢١٢.

(٥) الكافي للكليني ٨: ١٨٩ ح٢١٦، كتاب الروضة.

النّبي ﷺ فأخبره، فقال له: لو لا أنّ الله تعالى أخبرك ما أخبرتك؛ ما شربت خمراً قطّ، لأنّي علمت أنّي إن شربتها زال عقلي، وما كذبت قطّ، لأنّ الكذب ينقص المروة، وما زنيت قطّ، لأنّي خفت أنّي إذا عملت عمل بي، وما عبدت صنماً قطّ، لأنّي علمت أنّه لا يضرّ ولا ينفع. قال: فضرب النّبيّ ﷺ يده على عاتقه، وقال: حقّ على الله عزّوجلّ أن يجعل لك جناحين، تطير بهما مع الملائكة في الجنّة[١].

وروى أبو نعيم في (حليته) عن أُمّ سلمة قالت: لمّا نزلنا أرض الحبشة جاورنا خير جار ـ إلى أن قالت ـ: فقال النّجاشي لهم: ما هذا الدّين الذي فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا به في ديني ولا في دين أحد من هذه الأُمم؟ فكان الذي كلّمه جعفر بن أبي طالب فقال له: أيّها الملك كنّا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القويّ منّا الضعيف، وكنّا على ذلك حتّى بعث الله إلينا رسولاً منّا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله تعالى، لنوحّده ونعبده، ونخلع ما كنّا ـ نعبد نحن وآباؤنا ـ من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة وصلة الرّحم، وحسن الجوار، والكفّ عن المحارم، والدّماء، ونهانا عن الفحش، وقول الزّور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ـ فعدّد عليه أُمور الإسلام ـ فصدّقناه وآمنّا به واتّبعناه على ما جاء به من الله عزّوجلّ، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً، وحرّمنا ما حرّم علينا، وأحللنا ما أحلّ لنا، فعدا علينا قومنا فعذّبونا وفتنونا عن ديننا، ليردّونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحل ما كنّا نستحلّ من

---

(١) الفقيه للصدوق ٤: ٢٨٣ ح ٢٣.

الخبائث، فلمّا قهرونا وظلمونا وضيّقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك فاخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيّها الملك. فقال له النّجاشي: فهل معك ممّا جاء به عن الله من شيء؟ فقال له جعفر: نعم. فقال له: اقرأ عليّ. فقرأ عليه صدراً من ﴿كهيعص﴾. فبكى النجاشي -والله- حتّى أخضلَ لحيته، وبكت أساقفته حتّى أخضلوا مصاحفهم، حين سمعوا ما تلا عليهم. ثمّ قال النّجاشي: إنّ هذا والّذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة...[(١)].

وروى أيضاً: أنّ النجاشي دعا جعفراً وجمع له النّصارى، وقال له: اقرأ عليهم ما معك من القرآن. فقرأ عليهم ﴿كهيعص﴾، ففاضت أعينهم. فنزلت: ﴿...ترى أعينهم تفيض من الدّمع ممّا عرفوا من الحق...﴾[(٢)].

وروى أيضاً: أنّ جعفراً كان يحبّ المساكين، ويجلس إليهم، ويحدّثهم ويحدّثونه، وكان النّبيّ صلى الله عليه وآله يسميه: أبا المساكين[(٣)].

وروي عن ابن عمر قال: فقدنا جعفراً يوم مؤتة فطلبناه في القتلى، فوجدنا به بين طعنة ورمية بضعاً وتسعين، ووجدنا ذلك في ما أقبل من جسده[(٤)].

هذا، وقال ابن أبي الحديد في موضع آخر: اتّفق المحدّثون على أنّ زيد بن حارثة كان هو الأمير الأوّل (في مؤتة)، وأنكرت الشّيعة ذلك وقالوا: كان جعفر هو الأمير الأوّل، فإن قتل فزيد، فإن قتل فعبد الله بن رواحة، ورووا في ذلك روايات، وقد وجدت في الأشعار التي ذكرها محمّد بن إسحاق في كتاب

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ١: ١١٥.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم ١: ١١٧، والآية ٨٣ من سورة المائدة.

(٣ و ٤) حلية الأولياء لأبي نعيم ١: ١١٧.

(المغازي) ما يشهد لقولهم، فمن ذلك ما رواه عن حسّان بن ثابت وهو:

تأوّبني ليل بيثرب أعسر ... وهمّ إذا ما نوّم النّاس مسهر
لذكرى حبيب هيّجت لي عبرة ... سفوحاً وأسباب البكاءِ التّذكّر
بلى إنّ فقدان الحبيب بليّة ... وكم من كريم يبتلى ثمّ يصبر
ولا يبعدنّ الله قتلى تتابعوا ... بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر
وزيد وعبد الله حين تتابعوا ... جميعاً وأسياف المنيّة تخطر
رأيت خيار المؤمنين تواردوا ... شعوب وخَلق بعدهم يتأخّر
غداة غدوا بالمؤمنين يقودهم ... إلى الموت ميمون النّقيبة أزهر
أغرّ كضوء البدر من آل هاشم ... أبيّ إذا سيم الظّلامة أصعر
فطاعن حتّى مال غير موسّد ... بمعترك فيه القتال منكّر
فصار مع المستشهدين ثوابه ... جنان وملتفّ الحديقة أخضر
وكنّا نرى في جعفر من محمّد ... وقاراً وأمراً حازماً حين يأمر
ومازال في الاسلام من آل هاشم ... دعائم صدق لا ترام ومفخر
هم جبل الإسلام والنّاس حولهم ... رضام إلى طود يطول ويقهر
بهاليل منهم جعفر وابن أُمّه ... عليّ ومنهم أحمد المتخيّر

ومنها قول كعب بن مالك الأنصاري:

نام العيون ودمع عينك يهمل ... سحّاً كما وكف الرّباب المسبل
وجداً على النّفر الذين تتابعوا ... قتلى بمؤتة أُسندوا لم ينقلوا
ساروا أمام المسلمين كأنّهم ... طود يقودهم الهزبر المشبل
إذ يهتدون بجعفر ولوائه ... قدام أوّلهم ونعم الأوّل[١]

قلت: وزاد طبريهم في طنبور محدّثيهم في كون (زيد الأمير الأوّل

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٤١١ شرح الكتاب ٩، والنقل بتقطيع.

نغمة)، فروى ممّا افتعلوا خبراً في اعتراض جعفر على النّبيّ صلى الله عليه وآله، وأنّه وثب وقال: ما كنت أذهب إن تستعمل زيداً عليّ[١].

فانّهم افتعلوا أصل تأمير زيد على جعفر عداوة لأمير المؤمنين عليه السلام، حيث كان جعفر أخاه، كما أنّهم وضعوا اعتراض جعفر دفعاً للشّنع عن صدّيقهم وفاروقهم، حيث أمّر النّبيّ صلى الله عليه وآله أوّلاً عليهما زيداً ذاك، ثمّ بعده ابنه أُسامة، فاعترض الرّجلان ـ هما وأتباعهما ـ على النّبيّ صلى الله عليه وآله في ذلك، حتّى خطب النّبيّ صلى الله عليه وآله بذلك[٢].

ووضعوا أيضاً اعتراض جعفر على النّبيّ صلى الله عليه وآله مقابل اعتراض فاروقهم على النّبيّ صلى الله عليه وآله في الحديبية، بأنّا لم نقرّ بالدنيّة[٣].

ووضعوا جواباً للنّبيّ صلى الله عليه وآله على اعتراض جعفر: فإنّك لا تدري أي ذلك خير[٤]. في قبال جوابه صلى الله عليه وآله وسلم لعمر: إنّي رسول الله، وإنّ الله لا يأمرني إلّا بالصّلاح»[٥].

فإنّ ذاك الصّلح كان صلاحاً للمسلمين فرأى المسلمون خيريته، ودخول جمع كثير من المشركين في الإسلام بواسطة لقاء المسلمين معهم آمنين، واحتجاجهم لحقيّة الإسلام؛ وأمّا تأمير زيد على جعفر فأيّ حكمة كانت فيه؟ هل كان زيد أشجع من جعفر وأقدم على العدوّ؟

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٣٢٢ سنة ٨.

(٢) صحيح البخاري ٢: ٢٠٣ و ٣: ٩٦ بطريقين، وغيره مرّ تخريجه في أوائل العنوان ٨ من هذا الفصل.

(٣) صحيح البخاري ٢: ٢٠٥، وصحيح مسلم ٣: ١٤١١ ح ٩٤، وسيرة ابن هشام ٣: ٢٠٣، والمغازي للواقدي ١: ٦٠٦ و ٦٠٨، وتاريخ الطبري ٢: ٢٨٠ سنة ٦.

(٤) تاريخ الطبري ٢: ٣٢٢ سنة ٨.

(٥) صحيح البخاري ٢: ٢٠٥، وصحيح مسلم ٣: ١٤١١ ح ٩٤، وسيرة ابن هشام ٣: ٢٠٣، والمغازي للواقدي ١: ٦٠٦، ٦٠٨، وتاريخ الطبري ٢: ٢٨٠ سنة ٦.

وقد رووا ومنهم أبو عمر في(استيعابه): أنّ النّبيّ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ قال: مثل لي جعفر وزيد وابن رواحة في خيمة من درّ، كلّ واحد منهم على سرير، فرأيت زيداً وابن رواحة في أعناقهما صدود، ورأيت جعفراً مستقيماً ليس فيه صدود، فسألت، فقيل لي: إنّهما حين غشيا الموت أعرضا، أو كأنّهما صدّا بوجوههما، وأمّا جعفر فانّه لم يفعل[١].

ويأتي خبر كاتب الواقدي، وفي (ذيله): ورأيت في بعضهم أعراضاً كأنّه كره السّيف، ورأيت جعفراً ملكاً ذا جناحين مضرّجاً بالدّماء[٢].

ثمّ إنّهم ما يفعلون بقول النّبيّ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ في المتّفق عليه، والمتواتر في جعفر: أنّه كالملائكة ذو جناحين طيّار في الجنّة[٣]، دون زيد الأمير عليه بزعمهم، ودون عبد الله الذي قتل معه؟ فهل كان النّبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ أفعاله خلاف الحكمة؟ ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الاّ أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون﴾[٤].

وما يفعلون بلعن النّبيّ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ ـ في المستفيض والمتّفق عليه ـ المتخلّف عن جيش أسامة[٥]، وقد تخلّفا عنه.

وهل يصلح العطّار ما أفسد الدّهر

ثمّ ما ادّعاه ابن أبي الحديد، من اتّفاق محدّثيهم على أنّ زيداً الأمير

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ١: ٢١٢.

(٢) الطبقات لابن سعد ٢ ق١: ٩٤، ويأتي عن قريب.

(٣) أخرجه ابن سعد بطريقين في الطبقات ٤ ق١: ٢٦ عن علي عليه السلام، وفي الباب عن أبي هريرة وابن عباس وعبد الله بن جعفر وسلمان وأبي أيوب وحذيفة وأبي عامر وغيرهم.

(٤) التوبة: ٣٢.

(٥) لعن النّبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ المتخلف عن جيشه، رواه الجوهري في السقيفة: ٧٥ مسنداً، والشهرستاني في الملل والنحل ١: ٢٩، والكوفي في الاستغاثة: ٢٥، والقاضي النعمان في الدعائم ١: ٤١.

الأوّل، باطل، كيف وقد روى كاتب الواقدي في (طبقاته) عن بكر بن عبد الرحمن قاضي الكوفة عن عيسى بن المختار عن محمّد بن عبد الرّحمن بن أبي ليلى عن سالم بن أبي الجعد عن أبي اليسر عن أبي عامر، قال: بعثني النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى الشّام، فلمّا رجعت مررت على أصحابي وهم يقاتلون المشركين بمؤتة، قلت: والله لا أبرح اليوم حتّى أنظر إلى ما يصير أمرهم. فأخذ اللواء جعفر بن أبي طالب ولبس السّلاح -وكان رأس القوم- ثمّ حمل جعفر، حتّى إذا همّ أن يخالط العدوّ رجع، فوحّش بالسلاح، ثمّ حمل على العدوّ فطاعن حتّى قتل -إلى أن قال- فأتيت النّبيّ صلّى الله عليه وآله فأخبرته، فشقّ ذلك عليه، فصلّى الظهر ثمّ دخل -إلى أن قال- حتّى إذا كان صلاة الصبح دخل المسجد ثمّ تبسّم -وكان تلك الساعة لا يقوم إليه إنسان من ناحية المسجد حتّى يصلّي الغداة- فقال له القوم حين تبسّم: يا نبي الله بأنفسنا أنت ما يعلم إلّا الله ما كان بنا من الوجد، منذ رأينا منك الذي رأينا. قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: كان الذي رأيتم منّي أنّه أحزنني قتل أصحابي، حتّى رأيتهم في الجنّة ﴿إخواناً على سرر متقابلين﴾(١)، ورأيت في بعضهم أعراضاً، كأنّه كره السّيف، ورأيت جعفراً ملكاً ذا جناحين مضرّجاً بالدّماء مصبوغ القوادم(٢).

هذا، ولم يلقّب أحد سيّد الشهداء بعد حمزة، إلّا أبو عبد الله الحسين بن علي عليه السلام، كان عليه السلام سيّد الشهداء: الأوّلين والآخرين، ولم يلقّب أحد الطيّار بعد جعفر، إلّا أبو الفضل العبّاس بن علي رضوان الله عليه.

روى جعفر بن قولويه في (كامله) عن أُمّ سعيد الأحمسيّة، قالت: دخلت المدينة فاكتريت حماراً، على أن أطوف على قبور الشهداء، فقلت: أبدأ بابن رسول الله صلّى الله عليه وآله فأدخل عليه. فأبطأت على المكاري قليلاً فهتف بي، فقال لي

---

(١) الحجر: ٤٧.

(٢) الطبقات لابن سعد ١ ق١: ٩٤، وذكر ضمن الحديث: وقال غيره أخذ زيد اللواء.

أبو عبد الله عليه السلام: ما هذا يا أمّ سعيد؟ قلت له: جعلت فداك تكاريت حماراً أدور على قبور الشهداء. قال: أفلا أخبرك بسيّد الشّهداء؟ قلت: بلى. قال: الحسين بن عليّ عليه السلام. قلت: وإنّه لسيّد الشهداء؟ قال: نعم. قلت: فما لمن زاره؟ قال: حجّة وعمرة، ومن الخير هكذا وهكذا(١).

وعن أبي بصير عنه عليه السلام قال: ما من شهيد إلّا وهو يحبّ لو أنّ الحسين بن علي عليه السلام حيّ، يستشهدون معه، ويدخلون الجنّة معه(٢).

وروى ابن بابويه عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: رحم الله العبّاس ـ يعني ابن عليّ ـ فلقد آثر وأبلى، وفدى أخاه بنفسه حتّى قطعت يداه، فأبدله الله بهما جناحين، يطير بهما مع الملائكة في الجنّة، كما جعل لجعفر بن أبي طالب، وإنّ للعبّاس عند الله تبارك وتعالى لمنزلة، يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة(٣).

«ولولا ما نهى الله عنه من تزكية المرء نفسه» في قوله جلّ وعلا: ﴿...هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنّة في بطون أمّهاتكم فلا تزكّوا أنفسكم هو أعلم بمن اتّقى﴾(٤).

«لذكر ذاكر» يريد عليه السلام نفسه.

«فضائل جمّة» أي: كثيرة؛ في (تذكرة سبط ابن الجوزي): فضائل علي عليه السلام أشهر من الشّمس والقمر، وأكثر من الحصى والمدر، وقد روى مجاهد: أنّ رجلاً قال لابن عبّاس: ما أكثر فضائل عليّ بن أبي طالب، وإنّي لأظنّها ثلاثة آلاف. فقال له ابن عبّاس: هي إلى الثّلاثين ألفاً أقرب من ثلاثة آلاف، ثمّ قال: لو أن الشجر أقلام، والبحور مداد، والإنس والجنّ كتّاب

---

(١) كامل الزيارات لابن قولويه: ١١٠ ح ٥.

(٢) كامل الزيارات لابن قولويه: ١١١ ح ٧.

(٣) الخصال للصدوق: ٦٨ ح ١٠١، وأماليه: ٣٧٣ ح ١٠ المجلس ٧٠، ومقتل الحسين كما ذكر نفسه في الخصال.

(٤) النجم: ٣٢.

وحسّاب، ما أحصوا فضائل أمير المؤمنين عليّ عليه السلام [(١)].

قلت: ولنعم ما قال شباب التّستري بالفارسية في فضائله عليه السلام :

كتاب فضل ترا آب بحر كافى نيست
كه تر كنند سر انگشت و صفحه بشمارند

وقال الجاحظ مع نصبه، في رسالة له في فضل أهل البيت عليهم السلام ـوقد نقل الرّسالة سليمان الحنفي في كتابه (ينابيع المودّة)ـ: فأمّا عليّ بن أبي طالب فلو أفردنا لفضائله الشريفة، ومقاماته الكريمة، ودرجاته الرفيعة، ومناقبه السّنية لأفنينا في ذلك الطوامير الطوال، والدفاتر العراض، فالعرق صحيح من آدم عليه السلام ، والنسب صريح، والمولد مكان معظّم، والمنشأ مبارك مكرّم، والشّأن عظيم، والعمل جسيم، والعلم كثير، وليس له نظير، والهمّة عالية، والقوّة كاملة، والبيان عجيب، واللسان خطيب، والصدر رحيب. فأخلاقه وفق اعراقه، وحديثه يشهد على تقديمه، ولا يسعني استقصاء جميع فضله، ويتعذّر لنا تبيان كلّ حقّه... وقال أيضاً: إنّه أطاع الله ورسوله قبل الأصحاب، ومعهم وبعدهم، وامتحن بما لم يمتحن به ذو عزم، وابتلي بما لم يبتل به ذو صبر، وبلغ به أشرف المنازل، وأرفع الدّرجات في جوار ربّ العزّة...[(٢)].

وروى الخطيب مع نصبه في (لؤلؤ بن عبد الله القيصري) ـالذي قال فيه: لم أسمع أحداً من شيوخنا يذكره إلّا بالجميل ـ باسناده عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: لمبارزة عليّ يوم الخندق أفضل من عمل اُمّتي إلى يوم القيامة[(٣)].

---

(١) تذكرة الخواص: ١٣ والنقل بتقطيع.

(٢) ينابيع المودّة للقندوزي: ١٥٣، ١٥٥ عن فضائل بني هاشم للجاحظ.

(٣) تاريخ بغداد للخطيب ١٣: ١٩ والنقل بتصرّف يسير.

وقال سبط ابن الجوزي: إنّ فضائله عليه السلام قسمان: قسم مستنبط من الكتاب، والثّاني من السّنّة الظاهرة التي لا شكّ فيها ولا ارتياب. فأمّا نصوص الكتاب فآيات، منها قوله تعالى في البقرة: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين﴾[1]. روى مجاهد عن ابن عبّاس أنّه قال: أوّل من ركع مع النّبي صلى الله عليه وآله عليّ عليه السلام، فنزلت فيه هذه الآية.

قال: ومنها قوله تعالى في البقرة أيضاً: ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنّهار سرّاً وعلانية...﴾[2]. روى عكرمة عن ابن عبّاس قال: كان مع عليّ عليه السلام أربعة دراهم، فتصدّق بدرهم ليلاً، وبدرهم نهاراً، وبدرهم سرّاً، وبدرهم علانية، فنزلت فيه هذه الآية.

قال: ومنها قوله تعالى في آل عمران: ﴿...فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم...﴾[3]. قال جابر بن عبد الله الأنصاري في ما رواه عنه أهل السّير: قدم وفد نجران على النّبيّ صلى الله عليه وآله وفيهم السّيد والعاقب وجماعة من الأساقفة، فقالوا: مَن أبو موسى؟ فقال: عمران. قالوا: فأبوك؟ قال: أبي عبد الله بن عبد المطّلب. قالوا: فعيسى مَن أبوه؟ فسكت ينتظر الوحي. فنزل قوله تعالى: ﴿إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب...﴾[4]. قالوا: لا نجدها في ما أُوحي إلى أنبيائنا. فقال: كذبتم. فنزل قوله تعالى: ﴿فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على

(١) البقرة: ٤٣.

(٢) البقرة: ٢٧٤.

(٣) آل عمران: ٦١.

(٤) آل عمران: ٥٩.

الكاذبين﴾[١]. قالوا: أنصفت فمتى نباهلك؟ قال: غداً إن شاء الله. فانصرفوا، وقال بعضهم لبعض: إن خرج في عدّة من أصحابه فباهلوه، لأنّه غير نبيّ، وإن خرج في أهل بيته فلا تباهلوه، فإنّه نبيّ صادق، ولئن باهلتموه لتهلكنّ.

ثمّ بعث النّبيّ صلى الله عليه وآله إلى أهل المدينة ومن حولها، فلم تبق بكر ولا آنس إلّا وخرجت، وخرج النّبيّ صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام بين يديه، والحسن عليه السلام عن يمينه، والحسين عليه السلام عن شماله، وفاطمة عليها السلام خلفه. ثمّ قال: هلمّوا فهؤلاء أبناؤنا وأشار إلى الحسن والحسين عليهما السلام وهذه نساؤنا يعني فاطمة عليها السلام وهذه أنفسنا يعني نفسي -وأشار إلى عليّ عليه السلام - فلمّا رأى القوم ذلك خافوا وجاؤوا إلى بين يديه، فقالوا: أقلنا أقالك الله. فقال النّبيّ صلى الله عليه وآله والّذي نفسي بيده، لو خرجوا لامتلأ الوادي عليهم ناراً.

ثمّ قال: وذكر الثعلبي في (تفسيره): أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله غدا محتضناً الحسين عليه السلام، آخذاً بيد الحسن عليه السلام وفاطمة عليها السلام تمشي خلفه وعليّ عليه السلام خلفهم، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا دعوت فأمّنوا. فقال أُسقف نجران: يا معاشر النّصارى إنّي لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله، فلا تبتهلوا فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض إلّا مسلم. فرجعوا إلى بلادهم، وصالحوا النّبيّ صلى الله عليه وآله على ألفي حلّة.

قال: ومنها في المائدة قوله تعالى: ﴿إنّما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزّكاة وهم راكعون﴾[٢]. ذكر الثّعلبي في (تفسيره) عن السدي وعتبة بن أبي حكيم، وغالب بن عبد الله قالوا: نزلت هذه الآية في عليّ عليه السلام، مرّ به سائل وهو في المسجد راكع فأعطاه خاتمه. قال:

---

(١) آل عمران: ٦١.

(٢) المائدة: ٥٥.

وذكر الثعلبي القصّة مسندة إلى أبي ذرّ الغفاري، فقال: صلّيت يوماً صلاة الظهر في المسجد والنّبيّ صلى الله عليه وآله حاضر. فقام سائل فسأل فلم يعطه أحد شيئاً. قال: وكان عليّ عليه السلام قد ركع فأومأ إلى السّائل بخنصره، فأخذ الخاتم من خنصره، والنّبيّ صلى الله عليه وآله يعاين ذلك، فرفع رأسه إلى السّماء وقال: اللهمّ إنّ أخي موسى سألك فقال: ﴿...ربِّ اشرح لي صدري* ويسّر لي أمري... وأشركه في أمري﴾[1]، فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً: ﴿...سنشدّ عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما...﴾[2]، اللهمّ وأنا محمّد صفيّك ونبيّك فاشرح لي صدري ويسّر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي (عليّاً) أشدد به أزري ـأو قال ـ: ظهري. قال أبو ذر: فوالله ما استتمّ النّبيّ صلى الله عليه وآله الكلمة حتّى نزل جبرئيل من عند الله تعالى، فقال: يا محمّد اقرأ: ﴿إنّما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾[3] ـوفي رواية أُخرى ـ: خرج النّبيّ صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام قائم يصلّي، وفي المسجد سائل معه خاتم، فقال له النّبيّ صلى الله عليه وآله: هل أعطاك أحد شيئاً؟ فقال: نعم، ذلك المصلّي، هذا الخاتم وهو راكع. فكبّر النّبيّ صلى الله عليه وآله، ونزل جبرئيل عليه السلام يتلو هذه الآية[4]. فقال حسّان بن ثابت:

أبا حسن تفديك روحي ومهجتي	وكل بطيء في الهدى ومسارع
فأنت الذي أعطيت إذ كنت راكعاً	فدتك نفوس الخلق يا خير راكع
بخاتمك الميمون يا خير سيّد	ويا خير شار ثمّ يا خير بائع
فأنزل فيك الله خير ولاية	وبيّنها في محكمات الشرائع

---

(١) طه: ٢٥ ـ ٣٢.

(٢) القصص: ٣٥.

(٣ و ٤) المائدة: ٥٥.

وقال أيضاً:

من ذا بخاتمه تصدّق راكعاً ... وأسرّها في نفسه إسرارا
من كان بات على فراش محمّد ... ومحمّد سرى يؤمّ الغارا
من كان في القرآن سمّي مؤمناً ... في تسع آيات تلين غزارا

قال: ومنها ما في البراءة قوله تعالى: ﴿يا أيّها الذين آمنوا اتّقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾[1]. قال علماء السّير: معناه كونوا مع عليّ عليه السلام وأهل بيته. قال ابن عبّاس: عليّ عليه السلام سيّد الصادقين.

قال: ومنها في هود قوله تعالى: ﴿أفمن كان على بيّنة من ربّه ويتلوه شاهد منه...﴾[2]. ذكر الثعلبي في (تفسيره) عن ابن عبّاس: أنّه عليّ عليه السلام، ومعنى: ﴿ويتلوه شاهد منه﴾: أنّه أقرب النّاس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله. وذكر الثعلبي أيضاً بإسناده عن عليّ عليه السلام من رواية زاذان قال: سمعته يقول: والذي فلق الحبّة، وبرأ النسمة، لو ثنيت لي وسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزّبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، والذي نفسي بيده ما من رجل من قريش جرت عليه المواسي إلّا وأنا أعرف له آية تسوقه إلى الجنّة أو تقوده إلى النّار. فقال له رجل: يا أمير المؤمنين فما آيتك التي أُنزلت فيك؟ فقال: ﴿أفمن كان على بيّنة من ربّه ويتلوه شاهد منه...﴾ فرسول الله صلى الله عليه وآله على بيّنة وأنا شاهد منه.

قال: ومنها في آخر مريم قوله تعالى: ﴿إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرّحمن ودّاً﴾[3] قال ابن عبّاس: هذا الوُدّ جعله الله

---

(١) التوبة: ١١٩.

(٢) هود: ١٧.

(٣) مريم: ٩٦.

لعليّ في قلوب المؤمنين، وقد روى الثعلبي هذا المعنى مسنداً في تفسير إلى البراء بن عازب قال: قال النّبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: قل: «اللهمّ اجعل لي عندك عهداً واجعل لي في صدور المؤمنين مودّةً» فانزل الله تعالى هذه الآية.

قال: ومنها في الأحزاب قوله تعالى: ﴿...فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر...﴾[١]. قال عكرمة: الذي ينتظر أمير المؤمنين عليه السلام. وأمّا قوله تعالى في هذه السورة: ﴿...إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾[٢] فسنذكره في ما بعد إن شاء الله تعالى.

قال: ومنها في الصّافات قوله تعالى: ﴿وقفوهم إنّهم مسؤولون﴾[٣]. قال مجاهد: عن حبّ عليّ عليه السلام.

قال: ومنها في الجاثية قوله تعالى: ﴿أم حسب الّذين اجترحوا السّيّئات أن نجعلهم كالّذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء...﴾[٤]. عن ابن عبّاس: نزلت في عليّ عليه السلام يوم بدر ﴿...الذين اجترحوا السيّئات...﴾[٥]: عتبة وشيبة. ﴿كالذين آمنوا وعملوا الصالحات...﴾[٦]: عليّ عليه السلام.

قال: ومنها قوله تعالى في الواقعة قوله تعالى: ﴿والسابقون السابقون﴾[٧]. روى سعيد بن جبير عن ابن عبّاس: أوّل من صلّى مع النّبيّ صلى الله عليه وآله عليّ عليه السلام وفيه نزلت هذه الآية.

قال: ومنها في المجادلة قوله تعالى: ﴿يا أيّها الذين آمنوا إذا ناجيتم

---

(١) الاحزاب: ٢٣.

(٢) الاحزاب: ٣٣.

(٣) الصافات: ٢٤.

(٤ و ٥ و ٦) الجاثية: ٢١.

(٧) الواقعة: ١٠.

الرسول فقدّموا بين يدي نجواكم صدقة...﴾(١). قال علماء التأويل: نزلت في عليّ عليه السلام، تصدّق بدينار ثمّ ناجى النّبيّ صلى الله عليه وآله، فاقتدى به المسلمون، ثمّ نزلت الرّخصة. وقد أشار إلى القصّة الثعلبي في (تفسيره) فقال: عن ابن عبّاس: سأل النّاس النّبيّ صلى الله عليه وآله واحفوه في المسألة، فأدّبهم الله بهذه الآية. حكى الثعلبي عن مجاهد قال: نهوا عن مناجاة النّبيّ صلى الله عليه وآله حتّى يتصدّقوا، فلم يناجه إلّا علي عليه السلام، قدّم ديناراً فتصدّق به، وقال عليّ عليه السلام: إنّ في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي، ولا يعمل بها أحد بعدي ـ وتلا هذه الآية ـ وكان ابن عمر يقول: كانت لعليّ عليه السلام ثلاث، لو كان لي واحدة منهنّ كانت أحبّ إليّ من حمر النّعم: تزويجه فاطمة عليها السلام، وإعطاؤه الراية يوم خيبر، وآية النّجوى(٢).

قال: ومنها في سورة (لم يكن) قوله تعالى: ﴿...أُولئك هم خير البرية﴾(٣). قال مجاهد: هم عليّ عليه السلام وأهل بيته، ومحبّوهم.

قال السّبط: وفي القرآن آيات كثيرة اقتصرنا على هذه الجملة، لأنّها غزيرة، وسنذكر بعضها في غضون الأبواب، ممّا لا يخرج عن مقصود الكتاب كقوله تعالى في السّجدة: ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون* أمّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنّات المأوى نزلاً بما كانوا يعملون﴾(٤).

قلت: الآية الأخيرة، أجمع أهل العلم ـ كما صرّح به ابن عبد البرّ ـ على نزولها في أمير المؤمنين عليه السلام مع الوليد بن عقبة(٥). وقد روى أحمد بن حنبل وغيره نزول قوله تعالى: ﴿ومن النّاس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة

(١ و ٢) المجادلة: ١٢.

(٣) البيّنة: ٧.

(٤) تذكرة الخواص: ١٣ ـ ١٨، والنقل بتقطيع يسير، والآية ١٨ ـ ١٩ من سورة السجدة.

(٥) رواه ابن عبدالبر في الاستيعاب ٣: ٦٣٢، والسيوطي عن جمع كثير في الدر المنثور ٥: ١٧٧ ـ ١٧٨.

الله...﴾[١] فيه، لمّا بات على فراش النّبيّ صلى الله عليه وآله، كما يأتي في كلام السّبط أيضاً[٢].

ومنها آيات ﴿هل أتى﴾ من قوله تعالى: ﴿إنّ الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً... إنّ هذا كان لكم جزاءً وكان سعيكم مشكوراً﴾[٣]. فنقل ابن طلحة الشافعي في كتابه عن (تفسير الواحدي) وغيره: أنّ علياً عليه السلام آجر نفسه ليلة إلى الصبح، يسقي نخلاً بشيء من شعير، فلمّا أصبح وقبض الشعير طحن ثلثه، وجعلوا منه شيئاً يأكلونه، يسمّى الحريرة، فلمّا تمّ انضاجه أتى مسكين، فاخرجوا إليه الطعام، ثمَّ عمل الثلث الثاني، فلمّا تمّ انضاجه أتى يتيم، فسأل فأطعموه، ثمّ عمل الثّلث الباقي، فلمّا تمّ انضاجه أتى أسير من المشركين، فسأل فأطعموه، وطووا ـ عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ـ فاطّلع الله تعالى على نبيّهم، وأنّ القصد في ذلك الفعل وجه الله تعالى، طلباً لنيل ثوابه ونجاة من عقابه، فأنزل الله تعالى: ﴿ويطعمون الطعام...﴾[٤] إلى آخر الآيات.

وقال السّبط أيضاً بعدما مرّ: وأمّا السّنّة فبأخبار نبدأ منها بما ثبت في الصحيح والمشاهير من الآثار، حديث في إخبار النّبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام. قال أحمد في المسند ـ وقد تقدّم اسناده ـ: حدَّثنا محمّد بن جعفر عن شعبة عن الحكم عن مصعب بعد سعد عن أبيه سعد بن أبي وقاص، قال: خلّف النّبيّ صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام في غزاة تبوك في أهله، فقال: يا رسول الله تخلفني في

(١) البقرة: ٢٠٧.

(٢) مسند أحمد ١: ٣٣١، وابن عساكر بطريقين في ترجمة علي عليه السلام ١: ١٥٣ ح١٨٧، ١٨٨، وغيرهما، ويأتي أيضاً في ادامة هذا العنوان.

(٣) الانسان: ٥ ـ ٢٢.

(٤) مطالب السؤول لابن طلحة: ٣١، وهو في أسباب النزول: ٢٩٦ لا تفسير الواحدي، والآية ٨ من سورة الانسان.

النساء والصبيان؟ فقال: ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى غير أنّه لا نبيّ بعدي؟ أخرجاه في (الصحيحين) واتّفقا عليه[١].

وقد أخرج مسلم عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً وقال له: ما منعك أن تسبّ أبا تراب؟ فقال سعد: أمّا ما ذكرت فثلاث سمعت النّبي صلى الله عليه وآله قالهنّ له، فلن أسبّه أبداً، لأن يكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ من حمر النّعم -وذكر منها حديث الرّاية وسنذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى- والثانية: لمّا نزل قوله تعالى: ﴿...ندع أبناءنا وأبناءكم...﴾[٢] -الى أن قال- دعا النّبيّ صلى الله عليه وآله عليّاً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وقال: اللهمّ هؤلاء أهلي. والثالثة: سمعت النّبي صلى الله عليه وآله وقد خلّفه في بعض مغازيه، فقال: يا رسول الله تركتني مع النّساء والصّبيان؟ فقال: ألا ترضى...؟[٣]

وقد ذكر المسعودي في (المروج): أنّ سعداً لمّا قال لمعاوية هذه المقالة، قال له معاوية: ما كنت عندي ألأم منك الآن فألا نصرته، ولِمَ قعدت عن بيعته؟ -وكان سعد قد تخلّف عن بيعته- ثمّ قال معاوية: أما إنّي لو سمعت من النّبيّ صلى الله عليه وآله ما سمعت في عليّ، لكنت له خادماً ما عشت[٤].

قال: وقد أخرج أحمد بن حنبل هذا الحديث في كتاب (الفضائل) الذي صنّفه لأمير المؤمنين عليه السلام، وذكر إسناده عن مجدوح بن زيد الباهلي، قال: آخى النّبي صلى الله عليه وآله بين المهاجرين والأنصار فبكى عليّ عليه السلام، فقال النّبيّ صلى الله عليه وآله ما يبكيك؟ فقال: لم تؤاخ بيني وبين أحد. فقال: إنّما ادّخرتك لنفسي. ثمّ قال

---

(١) مسند أحمد ١: ١٨٢، وصحيح البخاري ٣: ٨٦، وصحيح مسلم ٤: ١٨٧٠ ح٣١، ورواه عنهم في تذكرة الخواص: ١٨.

(٢) آل عمران: ٦١.

(٣) صحيح مسلم ٤: ١٨٧١ ح ٣٢ وعنه تذكرة الخواص: ١٨.

(٤) مروج الذهب للمسعودي ٣: ١٤ وعنه تذكرة الخواص: ١٩.

لعليّ عليه السلام: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى... ثمّ قال: يا عليّ أما علمت أنّ أوّل من يدعى به يوم القيامة أنا، فأقوم عن يمين العرش في ظلة، فأكسى حلّة خضراء من حلل الجنّة، ثمّ يدعى بالنّبيين بعضهم على أثر بعض، فيقومون سماطين على يمين العرش ويساره ـإلى أن قال ـ: ثمّ أنت أوّل من يدعى به لقرابتك منّي ومنزلتك عندي، ويدفع إليك لوائي ـوهو لواء الحمد ـ فتسير به بين السّماطين آدم ومن دونه وجميع خلق الله يستظلّون بظلّ لوائي يوم القيامة وطوله مسيرة ألف سنة ـإلى أن قال ـ فتسير باللواء والحسن عن يمينك والحسين عن يسارك حتّى تقف بيني وبين إبراهيم عليه السلام في ظلّ العرش، وتكسى حلّة خضراء من حلل الجنّة، وينادي مناد من تحت العرش: نعم الأب أبوك إبراهيم، ونعم الأخ أخوك عليّ، أبشر يا عليّ فإنّك ستكسى إذا كسيت، وتدعى إذا دعيت، وتحيا إذا حييت، وتقف على عقر حوضي تسقي من عرفت. فكان علي عليه السلام يقول: والذي نفسي بيده لأذودنّ عن حوض النّبي صلى الله عليه وآله أقواماً من المنافقين كما تُذاد غريبة الإبل عن الحوض ترده[1].

وقال السبط أيضاً: وقد أخرج أحمد في (الفضائل) عن جابر قال: قال النّبيّ صلى الله عليه وآله: يا عليّ والذي نفسي بيده إنّ على باب الجنّة مكتوباً: «لا إله إلّا الله محمّد رسول الله عليّ بن أبي طالب أخو رسول الله» قبل أن يخلق الله السماوات والأرض بألفي سنة. قال السبط: رواه أحمد من غير طريق زكريّا بن يحيى الذي ضعّفه ابن معين[2].

وروى أيضاً عن أحمد في (الفضائل): عن أسماء بنت عميس عن النّبيّ صلى الله عليه وآله قال: اللهمّ إنّي أقول كما قال أخي موسى: ﴿واجعل لي وزيراً من

---

(١) تذكرة الخواص لابن الجوزي: ١٩، ٢٠ والنقل بتأليف الشتات.

(٢) تذكرة الخواص: ٢٢ ونقل ذيل الحديث الأوّل بالمعنى.

أهلي * (علياً) اشدد به أزري * وأشركه في أمري * كـي نسـبّحك كـثيراً * ونذكرك كثيراً﴾[١].

ونقل أيضاً رواية أحمد عن سعيد بن المسيّب: أنّ النّبي صلى الله عليه وآله قال وقد آخى بين أصحابه: أين عليّ؟ فجاء، فقال: يا عليّ أنت أخي وأنا أخـوك، فـإن ناكرك أحد فقل: أنا عبد الله وأخو رسوله، والله لا يدّعيها بعدك إلّا كذّاب -إلى أن قال- عن عبد الله بن أبي أوفى، قال: دخلت على النّبيّ صلى الله عليه وآله في مسجده. فقال لي: أين فلان، وأين فلان؟ فجعل ينظر في وجوه أصحابه ويتفقّدهم، ويبعث إليهم حتّى توافوا عنده، فحمد الله وأثنى عليه وآخى بينهم، فقال له عليّ عليه السلام: لقد اذهبت روحي يا رسول الله حين رأيتك فعلت بأصحابك ما فعلت غيري، فإن كان هذا من الله فلك العتبى والكرامة. فقال النّبي صلى الله عليه وآله: والذي بعثني بالحق ما أخّرتك إلّا لنفسي، وأنت مـنّي بـمنزلة هـارون مـن مـوسى، وأنت أخـي ووارثي. فقال: يا رسول الله وما أرث منك؟ قال: ما ورث الأنبياء قبلي. قال: وما ورثوا؟ قال: كتاب الله وسنن أنبيائه، وأنت معي في قصري فـي الجـنّة، مـع فاطمة ابنتي والحسـن والحسـين ابـنيّ، وأنت رفـيقي. ثـمّ تـلا النّـبيّ صلى الله عليه وآله: ﴿...إخواناً على سرر متقابلين﴾[٢].

وقال: خرّجه أحمد في (الفضائل) من غير رواية عبد المؤمن الضـعيف ورجاله ثقات[٣].

قال: حديث الراية:

وروى عن (مسند أحمد) و (صحيحي مسلم والبخاري) عن سهل بن

---

(١) تذكرة الخواص: ٢٢، والآيات ٢٩ ـ ٣٤ من سورة طه.

(٢) الحجر: ٤٧.

(٣) تذكرة الخواص: ٢٢.

سعد، قال: قال النّبيّ صلى الله عليه وآله يوم خيبر: لأُعطين الراية ـ أو هذه الراية ـ غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، يفتح الله على يديه، فبات الناس يدوكون أيّهم يعطاها؟ فلمّا أصبحوا غدوا على النّبيّ صلى الله عليه وآله يرجو كلّ أن يعطاها، فقال: أين علي؟ فقيل: يا رسول الله هو أرمد ـ أو يشتكي عينيه ـ قال: فأرسلوا إليه، فجاء فبصق في عينه ودعا له، فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية ـ إلى أن قال ـ: إنّ عمر قال في ذلك اليوم: ما أحببت الإمارة إلّا يومئذ، فتساورت لها رجاء أن أدعى لها، فدعا النّبيّ صلى الله عليه وآله عليّاً فدفعها إليه، وقال له: امش حتّى يفتح الله عليك ولا تلتفت[١].

ونقل أيضاً رواية أحمد بن حنبل في (فضائله) عن أحمد بن حنبل عن بريدة قال: حاصرنا خيبر فأخذ اللواء أبو بكر، فلم يفتح له، ثمّ أخذه عمر من الغد، فرجع ولم يفتح له، وأصاب الناس شدّة وجهد، فقال النّبيّ صلى الله عليه وآله: إنّي دافع اللواء غداً إلى رجل يحبّه الله ورسوله، لا يرجع حتّى يفتح ـ أو يفتح الله ـ على يديه. فبتنا طيبة أنفسنا أنّ الفتح غداً، فلمّا صلّى النّبي صلى الله عليه وآله الفجر قام فدعا باللواء والنّاس على مصافّهم، ثم دعا عليّاً عليه السلام ـ إلى أن قال ـ فبرز إليه من خيبر مرحب وهو يرتجز ـ إلى أن قال ـ: ثمّ ضرب رأس مرحب بالسيف ففلقه. قال عليّ عليه السلام: وجئت برأس مرحب بين يدي النّبيّ صلى الله عليه وآله، فسرّ بذلك، ودعا لي[٢].

وذكر أحمد في (الفضائل) أيضاً: أنّهم سمعوا تكبيراً من السّماء في ذلك اليوم، وقائل يقول:

لا سيف إلاّ ذو الفقار ولا فتى إلّا عليّ

فاستأذن حسّان بن ثابت النّبيّ صلى الله عليه وآله أن ينشد شعراً، فأذن له، فقال:

---

(١) مسند أحمد ٥: ٣٣٣، وصحيح البخاري ٢: ٢٩٩، وصحيح مسلم ٤: ١٨٧٢ ح٣٤، ورواه عنهم تذكرة الخواص: ٢٤.

(٢) تذكرة الخواص: ٢٥.

جبريل نادى معلناً والنّقع ليس بمنجلي
والمسلمون قد احدقوا حول النّبيّ المرسل
لا سيف إلّا ذو الفقا ر ولا فتى إلّا علي

ـ إلى أن قال ـ: وقال جابر: حمل عليّ عليه السلام باب خيبر وحده، فدحاه ناحية، ثمّ جاء بعده أُناس يحملونه، فلم يحمله إلّا أربعون رجلاً[1].

وذكر الطبري في (تاريخه) عن أبي رافع مولى النّبيّ صلى الله عليه وآله: أنّ علياً عليه السلام لمّا دنا من الحصن (أحد حصون خيبر) خرج إليه أهله فقاتلهم، فضربه رجل من اليهود، فطرح ترسه من يده، فتناول علي عليه السلام باباً كان عند الحصن، فتترس به عن نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتّى فتح الله على يده، ثمّ ألقاه من يده حين فرغ. قال أبو رافع: فلقد رأيتني في نفر سبعة أنا ثامنهم، نجهد أن نقلّب ذلك الباب، فما نقلبه. وقيل: هذا الحصن اسمه قموص، وهو الذي أخذ علي عليه السلام منه صفية، وجاء بها إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله[2].

قال: حديث في ارتقائه على كتفي النّبيّ صلى الله عليه وآله؟

ونقل رواية مسند أحمد بن حنبل عن أبي مريم عن عليّ عليه السلام، قال: انطلقت أنا ورسول الله صلى الله عليه وآله حتّى أتينا الكعبة، فقال لي رسول الله: اجلس. فجلست، فصعد على كتفي فذهبت لأنهض به، فلم أطق ورأى منّي ضعفاً، فنزل وجلس لي رسول الله، ثمّ قال: اصعد على منكبي، فصعدت على منكبه فنهض بي، وأنّه ليخيّل لي أنّي لو شئت أن أنال أُفق السماء لنلته، حتّى صعدت على البيت، وعليه تمثال صفر أو نحاس، فجعلت أُزاوله عن يمينه وشماله، وبين يديه ومن خلفه، حتّى إذا استمكنت منه قال لي النّبيّ صلى الله عليه وآله: اقذف به.

---

(١) تذكرة الخواص: ٢٦.

(٢) رواه الطبري في تاريخه ٢: ٣٠١ سنة ٧، ورواه عنه في تذكرة الخواص: ٢٧ واللّفظ للأصل.

فقذفته فتكسّر كما تكسّر القوارير، ثمّ نزلت، فانطلقنا نستبق حتّى توارينا بالبيوت، خشية أن يلقانا أحد من الناس. قال سعيد بن المسيب: فلهذا كان عليّ عليه‌السلام يقول: سلوني عن طرق السماوات، فإنّي أعرف بها من طرق الأرضين، ولو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً. قال سعيد بن المسيب لم يكن أحد من أصحاب النّبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله يقولها إلّا علي عليه‌السلام[١].

قال: حديث في محبّته عليه‌السلام.

ونقل رواية أحمد بن حنبل أيضاً في (مسنده) عن زرّ بن حبيش عن عليّ عليه‌السلام، قال: والله عهد إليّ رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله أنّه لا يحبّني إلّا مؤمن ولا يبغضني إلّا منافق[٢]. وأخرج الترمذي عن أُم سلمة، قالت: سمعت النّبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله يقول: لا يحبّ عليّاً إلّا مؤمن ولا يبغضه إلّا منافق. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح[٣].

قال: وقال الترمذي أيضاً: كان أبو الدّرداء يقول: ما كنّا نعرف المنافقين ـ معشر الأنصار ـ إلّا ببغضهم عليّ بن أبي طالب عليه‌السلام[٤]. وروى أحمد في (الفضائل) عن المطلب بن عبد الله بن حنظلة عن أبيه قال: قال النّبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله في خطبته: أُوصيكم بحبّ ذي قرنيها ـ أخي وابن عمّي عليّ ـ فإنّه لا يحبّه إلّا مؤمن، ولا يبغضه إلّا منافق. وفي رواية: فمن أحبّه فقد أحبّني، ومن أبغضه فقد أبغضني، ومن أحبّني أدخله الله الجنّة، ومن أبغضني أدخله الله النّار[٥].

---

(١) مسند أحمد ١: ٨٤، ورواه عنه تذكرة الخواص: ٢٧.

(٢) مسند أحمد ١: ٨٤، ورواه عنه تذكرة الخواص: ٢٨.

(٣) سنن الترمذي ٥: ٦٣٥ ح٣٧١٧، ورواه عنه تذكرة الخواص: ٢٨ لكن قال الترمذي في ذيل الحديث «هذا حديث حسن غريب» لا صحيح.

(٤) سنن الترمذي ٥: ٦٣٥ ح٣٧١٧، ورواه عنه تذكرة الخواص: ٢٨، لكن رواية الترمذي عن أبي سعيد لا أبي الدرداء.

(٥) تذكرة الخواص: ٢٨.

قال: حديث في قول النّبيّ صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فعليّ مولاه»:

ونقل رواية أحمد بن حنبل في (مسنده) عن زاذان، قال: سمعت عليّاً عليه السلام في الرّحبة وهو ينشد النّاس، يقول: أنشد الله رجلاً سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في يوم غدير خم: «من كنت مولاه فعليّ مولاه»، فقام ثلاثة عشر رجلاً من الصحابة، فشهدوا أنّهم سمعوا رسول الله يقول ذلك[1]. وقال: أخرجه الترمذي في (سننه)، وقال: حسن -وزاد- اللهمّ والِ من والاه وعاد من عاداه، وأدر الحقّ معه كيفما دار، وحيث دار[2].

ونقل أيضاً رواية أحمد بن حنبل في (فضائله) عن بريدة قال: قال النّبيّ صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه -أو وليّه- فعليّ وليه». وفي رواية لمّا أنشد عليّ عليه السلام النّاس في الرّحبة قام خلق كثير، فشهدوا له بذلك -وفي لفظ- فقام ثلاثون رجلاً فشهدوا[3].

ونقل أيضاً رواية أحمد بن حنبل في (فضائله) عن رياح بن الحرث قال: جاء رهط إلى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام فقالوا: «السّلام عليك يا مولانا» -وكان بالرّحبة- فقال: كيف أكون مولاكم، وأنتم قوم عرب؟ قالوا: سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم: «من كنت مولاه فعليّ مولاه». قال رياح: فقلت: من هؤلاء؟ فقيل: نفر من الأنصار، فيهم أبو أيوب الأنصاري صاحب النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم[4].

وعن عبد الملك بن عطيّة العوفي قال: أتيت زيد بن أرقم، فقلت له: إنّ ختناً لي حدّثني عنك بحديث في شأن عليّ عليه السلام يوم الغدير، وأنا أُحبّ أن

---

(١) مسند أحمد ١: ٨٤ وعنه في تذكرة الخواص: ٢٨.

(٢) نقله كذلك في تذكرة الخواص: ٢٨ عن الترمذي والترمذي لم يخرجه كذلك لكن روى معناه ضمن أحاديث متفرقة.

(٣ و ٤) تذكرة الخواص: ٢٩.

أسمعه منك، فقال: إنّكم معشر أهل العراق فيكم ما فيكم. فقلت: ليس عليك منّي بأس. فقال: نعم، كنّا بالجحفة فخرج النّبيّ صلى الله عليه وآله علينا ظهراً، وهو آخذ بعضد عليّ عليه السلام، فقال: أيّها الناس ألستم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ فقالوا: بلى. فقال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه». قالها أربع مرّات[١].

وعن البراء بن عازب قال: كنّا مع النّبيّ صلى الله عليه وآله فنزلنا بغدير خم، فنودي فينا الصلاة جامعة، وكسح للنّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بين شجرتين، فصلّى الظهر وأخذ بيد علي عليه السلام وقال: «اللّهمّ من كنت مولاه فهذا مولاه»، فلقيه عمر بعد ذلك، فقال: هنيئاً لك يابن أبي طالب، أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة. وفي رواية: اللهمّ فانصر من نصره، واخذل من خذله، وأحبّ من أحبّه، وأبغض من أبغضه[٢].

قال السبط: وذكر الثعلبي في (تفسيره) أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله لمّا قال ذلك طار في الأقطار، وشاع في البلاد والأمصار، فبلغ ذلك الحرث بن النّعمان الفهري، فأتاه على ناقة له فأناخها على باب المسجد، ثمّ عقلها وجاء فدخل في المسجد، فجثا بين يدي النّبي صلى الله عليه وآله فقال: يا محمّد إنّك أمرتنا أن نشهد ألّا إله إلّا الله وأنّك رسول الله، فقبلنا منك ذلك، وإنّك أمرتنا أن نصلّي خمس صلوات في اليوم والليلة، ونصوم رمضان، ونحجّ البيت، ونزكّي أموالنا، فقبلنا منك ذلك، ثمّ لم ترض بهذا، حتّى رفعت بضبعي ابن عمّك، وفضّلته على الناس وقلت: «من كنت مولاه فعليّ مولاه»، فهذا شيء منك أو من الله؟ فقال النّبي صلى الله عليه وآله ـ وقد احمرّت عيناه ـ: «والله الذي لا إله إلّا هو، إنّه من الله وليس منّي». ـ قالها ثلاثاً ـ. فقام الحرث وهو يقول: «اللهمّ إن كان ما يقول محمّد حقّاً فأرسل من السماء علينا حجارة أو ائتنا بعذاب أليم». قال: فوالله ما بلغ ناقته حتّى رماه الله من

(١ و ٢) تذكرة الخواص: ٢٩.

السماء بحجر، فوقع على هامته فخرج من دبره، ومات فأنزل الله تعالى ﴿سأل سائل بعذاب واقع* للكافرين ليس له دافع﴾(١).

قال السبط: وقد أكثرت الشعراء في يوم غدير خم، فقال حسّان بن ثابت:

يناديهم يوم الغدير نبيّهم ... بخمّ فأسمع بالرّسول مناديا
وقال فمن مولاكم ووليّكم ... فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
إلهك مولانا وأنت وليّنا ... ومالك منّا في الولاية عاصيا
فقال له قم يا علي فإنّني ... رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليّه ... فكونوا له أنصار صدق مواليا
هناك دعا اللهمّ وال وليّه ... وكن للّذي عادى عليّاً معاديا

ويروي: أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لمّا سمعه ينشد هذه الأبيات قال له: يا حسّان لا تزال مؤيّداً بروح القدس ما نصرتنا ونافحت عنّا بلسانك. وقال قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ـ وأنشدها بين يدي عليّ عليه السلام بصفّين ـ:

قلت لمّا بغى العدوّ علينا ... حسبنا ربّنا ونعم الوكيل
وعليّ إمامنا وإمام ... لسوانا به أتى التنزيل
يوم قال النّبيّ من كنت مولا ... ه فهذا مولاه خطب جليل
إنّ ما قاله النّبيّ على الأُ ... مة حتم ما فيه قال وقيل

وقال الكميت:

نفى عن عينك الأرق الهجوعا ... وهمّا تمترى عنه الدّموعا
لدى الرّحمن يشفع بالمثاني ... فكان له أبو حسن شفيعا
ويوم الدوح دوح غدير خم ... أبان له الولاية لو أطيعا

---

(١) تذكرة الخواص: ٢٠، والآيتان ١ ـ ٢ من سورة المعارج.

ولكـنَّ الرجـال تـبايعوها فـلم أرَ مـثلها خـطراً مـنيعا

قال السبط: ولهذا الأبيات قصّة عجيبة حدّثنا بها شيخنا عمرو بن صافي الموصلي، قال: أنشد بعضهم هذه الأبيات وبات مفكّراً، فرأى عليّاً عليه السلام في المنام، فقال له: أعد عليّ أبيات الكميت. فأنشده إيّاه حتّى بلغ إلى قوله: «خطراً منيعاً»، فأنشده عليّ عليه السلام بيتاً آخر من قوله زيادة فيها:

قلم أرَ مثل ذاك اليوم يوماً ولم أرَ مـثله حـقّاً أُضـيعا

فانتبه الرجل مذعوراً. وقال السيّد الحميري:

يـا بـائع الدّيـن بـالدّنيا ليس بـهذا أمـر الله

من أين أبغضت عليّ الرضا وأحـمد قـد كـان يـرضاه

مـن الذي أحـمد مـن بـينهم يـوم غـدير الخـمّ نـاداه

أقـامه مـن بـين أصـحابه وهـم حـواليـه فـسمّاه

هـذا عـليّ بـن أبـي طـالب مولى لمـن قـد كـنت مـولاه

فوال مـن والاه يـا ذا العـلى وعاد من قـد كـان عـاداه[١]

وروى صاحب (ينابيع المودّة) ـ وهو من الشافعية ـ بأسناده عن عمر قال: نصب النّبيّ صلى الله عليه وآله عليّاً علماً، فقال: «من كنت مولاه، فعليّ مولاه، اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، واخذل من خذله، وانصر من نصره، اللهمّ أنت شهيدي عليهم». قال عمر: يا رسول الله كان في جنبي شابّ حسن الوجه طيّب الريح قال لي: يا عمر لقد عقد النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عقداً لا يحلّه إلّا منافق. فأخذ النّبي صلى الله عليه وآله بيدي فقال: يا عمر إنّه ليس من ولد آدم، لكنّه جبرئيل، أراد أن يؤكّد عليكم ما قلته في عليّ[٢].

---

(١) تذكرة الخواص: ٣٣ ـ ٣٤.

(٢) ينابيع المودة للقندوزي: ٢٤٩، من كتاب مودة القربى، والقندوزي حنفي لا شافعي.

وقال السبط أيضاً: حديث ليلة الهجرة:

ونقل رواية أحمد بن حنبل في (فضائله) عن عمرو بن ميمون قال: إنّي لجالس إلى ابن عبّاس إذ أتاه رهط يقعون في عليّ، فردّ عليهم ابن عبّاس، قال: لمّا هاجر النّبيّ صلى الله عليه وآله لبس عليّ عليه السلام ثوبه، ونام على فراشه، وكان المشركون يؤذون النّبيّ صلى الله عليه وآله، فجاء أبو بكر وهو نائم، فحسبه النّبيّ صلى الله عليه وآله فصاح: يا نبيّ الله. فقال له عليّ عليه السلام: إنّ النّبي صلى الله عليه وآله قد انطلق نحو بئر ميمون فأدركه. فانطلق أبو بكر حتّى لحق رسول الله صلى الله عليه وآله، وبات الكفّار يرمون عليّاً عليه السلام بالحجارة، وهو يتضور قد لفّ رأسه في الثّوب إلى الصباح[١].

وذكر الثعلبي في (تفسيره) عن ابن عبّاس قال: لمّا أراد النّبيّ صلى الله عليه وآله أن يهاجر إلى المدينة، خلّف عليّاً عليه السلام بمكّة لقضاء ديونه، وردّ الودائع التي كانت عنده، وأمره تلك الليلة أن ينام على فراشه، وقال له: اتشح ببردي الحضرمي الأخضر فإنّه لا يخلص إليك منهم أحد، ولا يصيبونك بمكروه. والقوم قد أحاطوا بالدّار، فأوحى الله إلى جبرئيل وميكائيل، أنّي قد آخيت بينكما، وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر، فأيّكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختار كلاهما الحياة، فأوحى الله إليهما: أفلا كنتما مثل عليّ بن أبي طالب آخيت بينه وبين محمّد، فبات على فراشه يفديه بنفسه، ويؤثره بالحياة؟ اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوّه. فنزلا جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه، والملائكة تنادي: بخ بخ، من مثلك يابن أبي طالب، والله يباهي بك ملائكته. ثمّ توجّه النّبيّ صلى الله عليه وآله إلى المدينة فأنزل الله تعالى في شأن عليّ عليه السلام: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد﴾[٢]. قال

(١) تذكرة الخواص: ٣٣ ـ ٣٤.

(٢) البقرة: ٢٠٧.

ابن عبّاس: أوّل من شرى نفسه ابتغاء مرضاة الله علي بن أبي طالب عليه السلام[١].

وقال السّبط أيضاً: حديث في التّضحية:

ونقل رواية أحمد بن حنبل في (مسنده) و (فضائله) عن حبيش عن عليّ عليه السلام، قال: أمرني النّبيّ صلى الله عليه وآله أن أُضحّي عنه أبداً. فكان يضحي عنه، إلى أن استشهد، بكبشين أملحين، قال الزهري: إنّما خصّ عليّاً عليه السلام بذلك دون أقاربه وأهله لقربه منه، فكأنّما فعل ذلك بنفسه[٢].

وقال السّبط أيضاً: حديث في قراءة براءة وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: عليّ منّي:

ونقل رواية الترمذي عن عمران بن الحصين، قال: بعث النّبيّ صلى الله عليه وآله جيشاً، واستعمل عليهم عليّاً عليه السلام، فمضى في السّرية، فأصاب جارية من السّبي، فتعاقد أربعة منهم إذا قدموا على النّبيّ صلى الله عليه وآله أخبروه، فلمّا قدموا عليه قام الأوّل فقال: يا رسول الله ألا ترى إلى عليّ فعل كذا وكذا؟ فأعرض عنه. ثمّ قام الثاني فقال كذلك، فأعرض عنه، وقام الثالث والرابع، فقالا كذلك، فأعرض عنهما. ثمّ أقبل عليهم ـ والغضب يعرف في وجهه ـ وقال: «ما تريدون من عليّ ـ قالها ثلاثاً ـ عليّ منّي وأنا منه، ولا يؤدّي عنّي إلّا عليّ»[٣].

قلت: ونقله ابن طلحة الشافعي عن الترمذي أيضاً في (صحيحه)، وفيه بدل قوله «ولا يؤدّي عنّي إلّا عليّ»: «وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي»[٤]، وهو الأنسب بالمقام.

---

(١) تذكرة الخواص: ٣٥.

(٢) مسند أحمد ١: ١٠٧ وعنه ورواه عن غيره تذكرة الخواص: ٣٥.

(٣) سنن الترمذي ٥: ٦٣٢ ح ٣٧١٢، ورواه عنه تذكرة الخواص: ٣٥.

(٤) رواه عن سنن الترمذي ابن طلحة في مطالب السؤول: ١٧، والصحيح في ذيل الحديث نقل ابن طلحة، وما نقل سبط ابن الجوزي خلط، لأن ما نقله ذيل حديث آخر عن حبشي ابن جنادة، هذا نصه: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: عليّ منّي وأنا من عليّ، ولا يؤدي عنّي إلّا أنا أو علي». أخرجه الترمذي في سننه برقم ٣٧١٩.

وقال السبط: أيضاً ذكر أهل السّير أنّ النّبيّ ﷺ بعث أبا بكر يحجّ بالناس سنة تسع من الهجرة، وقال له: إنّ المشركين يحضرون الموسم، ويطوفون بالبيت عراة، ولا أحبّ أحجّ حتّى لا يكون ذلك، وأعطاه أربعين آية من صدر سورة (براءة)، ليقرأها على أهل الموسم، فلمّا سار دعا النّبيّ ﷺ عليّاً عليه السلام فقال له: اخرج بهذه الآيات من صدر سورة البراءة فإذا اجتمع النّاس إلى الموسم فأذّن بها، ودفع إليه ناقتهُ العضباء، فأدرك أبا بكر بذي الحليفة، فأخذ منه الآيات، فرجع أبو بكر إلى النّبيّ ﷺ فقال: بأبي أنت وأمّي هل نزل في شأني شيء؟ فقال: لا، ولكن لا يبلّغ عنّي غيري أو رجل منّي[1].

قال: وذكر أحمد بن حنبل في (فضائله): أنّ النّبيّ ﷺ قال له: إنّ جبرئيل جاءني فقال: ابعث عليّاً. فلمّا كان يوم النّحر قام عليّ عليه السلام في النّاس، فأذّن بصدر البراءة كما أمره النّبيّ ﷺ[2]. وذكر أيضاً بإسناده إلى أبي سعيد الخدري: أنّ عليّاً عليه السلام لمّا قرأ صدر البراءة ـ الآيات التي أخذها من أبي بكر في الطريق ـ نادى: «ألا لا يدخل الجنّة إلّا نفس مسلمة، ولا يقرب المسجد بعد هذا العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فأجله مدّته». فقال بعض الكفّار: نحن نبرأ من عهدك وعهد ابن عمّك. فقال عليّ عليه السلام: لولا أنّ النّبيّ ﷺ أمرني أن لا أحدث شيئاً حتّى آتيه لقتلتك[3].

وقال: وقيل: إنّما قال النّبيّ ﷺ: «عليّ منّي وأنا منه» في يوم أُحد؛ فذكر أحمد في (الفضائل): لمّا قصد صاحب لواء المشركين يوم أُحد النّبيّ ﷺ فداه عليّ عليه السلام بنفسه، وحمل على صاحب اللواء فقتله، فنزل جبرئيل فقال: يا محمّد إنّ هذه لهي المواساة. فقال النّبيّ ﷺ: «عليّ منّي

(١ و ٢ و ٣) تذكرة الخواص: ٣٧.

وأنا منه» فقال جبرئيل عليه‌السلام: «وأنا منكما»(١). وذكره محمد بن إسحاق في (المغازي) أيضاً. قال الزّهري: إنّما قال جبرئيل: إنّ هذه لهي المواساة؛ لأنّ النّاس فرّوا عن النّبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله يوم أُحد حتّى عثمان، فإنّه أوّل من فرّ ودخل المدينة(٢).

قال: وروي أنّ النّبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله قال ذلك في حجّة الوداع. ونقل رواية أحمد بن حنبل في (فضائله) أيضاً عن السّلمي ـ وكان قد شهد حجّة الوداع ـ قال: سمعت النّبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله يقول في ذلك اليوم: «عليّ منّي وأنا منه، ولا يقضي ديني سواه». قال: وقيل: قاله يوم نزل عليه: ﴿وانذر عشيرتك الأقربين﴾...(٣).

قلت: تردده في أنّ النّبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله قال قوله: «عليّ منّي وأنا منه» يوم بعثه لبراءة، أو يوم أُحد، أو في حجّة الوداع، أو يوم نزل عليه آية إنذار عشيرته، بلا وجه بعد ورود الخبر بكلٍّ منها، وعدم تعارض بينها، فلابدّ أنّه صلى‌الله‌عليه‌وآله قاله في كلّ منها، فكان صلى‌الله‌عليه‌وآله يقول في كلّ موضع يقتضي ذكره غير تلك المواضع الأربعة؛ وقد نقل ابن طلحة الشافعي في (مطالب سؤوله) عن أبي ذر: أنّ النّبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله قال: عليّ منّي وأنا من عليّ. ولا يؤدّي إلّا أنا أو عليّ، ونقل أخباراً أُخر فيه(٤).

وكيف لا، وقد جعله الله تعالى نفس النّبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله في قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿...وأنفسنا وأنفسكم...﴾(٥).

ثمّ إنّ السبط لم ينقل رواية الموضع الأخير ممّا ذكر، والّذي وقفت عليه في (الطبري) أنّ النّبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم جعله في نزول إنذار عشيرته وصيّه وخليفته

(١ و ٢) تذكرة الخواص: ٣٨.

(٣) تذكرة الخواص: ٣٨، والآية ٢١٤ من سورة الشعراء.

(٤) مطالب السؤول لابن طلحة: ١٨.

(٥) آل عمران: ٦١.

بعده، وفي وجوب إطاعته مثل النّبيّ صلى الله عليه وآله؛ فروى عن ابن عبّاس قال: قال عليّ عليه السلام: إنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله أمره بصنع صاع من طعام، وعسّ من لبن لبني عبد المطّلب ليدعوهم إلى الإسلام، وكانوا أربعين يأكل كلّ منهم ذاك الصّاع، ويشرب ذاك العسّ فعل ذلك في يومين، وفي اليوم الأوّل لم يدع أبو لهب النّبيّ صلى الله عليه وآله يتكلّم، وقال: سحركم صاحبكم فتفرّقوا. فقال النّبي صلى الله عليه وآله في اليوم الثاني: يا بني عبد المطّلب إنّي ـ والله ـ ما أعلم شابّاً في العرب جاء قومه بأفضل ممّا قد جئتكم به، إنّي قد جئتكم بخير الدّنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأيّكم يوازرني على هذا الأمر، على أن يكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم؟ فأحجم القوم عنه جميعاً، وقلت ـ وإنّي لأحدثهم سنّاً، وأرمصهم عيناً، وأعظمهم بطناً، وأحمشهم ساقاً ـ: أنا يا نبيّ الله أكون وزيرك عليه. فأخذ برقبتي. ثمّ قال: إنّ هذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا. فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع. وروى خبراً آخر عن ربيعة بن ناجد بمعناه[1].

وقال السّبط أيضاً: حديث الطائر:

رواه أحمد بن حنبل في (فضائله) عن سفينة مولى النّبيّ صلى الله عليه وآله واسمه مهران، قال: أهدت امرأة من الأنصار إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم طيراً بين رغيفين، فقدّمته إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله ـ وفي رواية طيرين بين رغيفين ـ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: اللهمّ ايتني بأحبّ خلقك إليك. فإذا الباب يفتح، فدخل عليّ، فأكل معه[2].

ورواه الترمذي عن أنس قال: كان عند النّبيّ صلى الله عليه وآله طير، فقال: اللهمّ ايتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي هذا الطائر. فجاء عليّ عليه السلام فأكل معه، وقال: قال

(١) تاريخ الطبري ٢: ٦٢ ـ ٦٣ والنقل بتلخيص.

(٢) تذكرة الخواص: ٣٨.

الحاكم: حديث الطائر صحيح يلزم البخاري ومسلم إخراجه في صحيحيهما، لأنّ رجاله ثقات، وهو من شرطهما[١].

وقال السّبط أيضاً: حديث في خصف النّعل:

ونقل رواية أحمد بن حنبل في (فضائله) عن أنس قال: قال النّبيّ صلّى الله عليه وآله: لينتهينّ بنو وليعة أو لأبعثنّ إليهم رجلاً كنفسي، يمضي فيهم أمري ويقتل المقاتلة، ويسبي الذّرية. قال أبو ذر: فما راعني إلّا برد كفّ عمر من خلفي، فقال: مَن تراه يعني؟ فقلت: ما يعنيك، وإنّما يعني خاصف النّعل: عليّ بن أبي طالب ـ وبنو وليعة: قوم من العرب ـ وفي رواية: فقال عمر: والله ما اشتهيت الإمارة إلّا يومئذ، جعلت انصب له صدري، رجاء أن يقول: هذا. فالتفت إلى عليّ فأخذ بيده، وقال: هذا هو هذا هو[٢].

ونقل أيضاً رواية التّرمذي عن ربعي بن حراش قال: قال عليّ عليه السلام: لمّا كان يوم الحديبية خرج إلينا سهيل بن عمرو في جماعة من رؤساء الكفّار، فقال: يا محمّد خرج إليك ناس من أبنائنا، وإخواننا، وأرقائنا، وليس لهم فقه في الدين، وإنّما خرجوا فراراً من أموالنا وضياعنا، فارددهم علينا. فقال النّبيّ صلّى الله عليه وآله: سنفقههم في الدين إن لم يكن لهم فقه. ثمّ قال: يا معاشر قريش لتنتهنّ، أو ليبعثنّ الله عليكم من يضرب رقابكم بالسّيف على الدّين. فقالوا: ومَن ذلك؟ فقال: من امتحن الله قلبه للإيمان، وهو خاصف النعل. قال علي عليه السلام: وكنت جالساً أخصف نعل النّبيّ صلّى الله عليه وآله[٣].

وقال السّبط أيضاً: حديث في سدّ الأبواب:

---

(١) سنن الترمذي ٥: ٦٣٦ ح ٣٧٢١، ورواه عنه تذكرة الخواص: ٣٩، وما نقله عن الحاكم قاله في المستدرك ٣: ١٣١.

(٢) تذكرة الخواص: ٣٩.

(٣) سنن الترمذي ٥: ٦٣٤ ح ٣٧١٥، ورواه عنه تذكرة الخواص: ٤٠.

ونقل رواية زيد بن أرقم قال: كان لنفر من الصّحابة أبواب شارعة في المسجد، فقال النّبيّ صلى الله عليه وآله: سدوا هذه الأبواب إلّا باب عليّ بن أبي طالب. فتكلّم الناس في ذلك، فقام النّبي صلى الله عليه وآله فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: ما سددت شيئاً ولا فتحته، ولكنّي أُمرت بشيء فاتّبعته. قال ابن عبّاس: معناه أنّ الله أمرني بشيء فاتّبعت أمره[1].

ونقل رواية الترمذي عن ابن عبّاس قال: أمر النّبيّ صلى الله عليه وآله بسدّ الأبواب إلّا باب عليّ عليه السلام. قال الترمذي: يعني الأبواب الشارعة في المسجد، وقال: وقد رواه جماعة من الصّحابة: سعد بن أبي وقّاص، وابن عمر، وجابر[2].

ونقل رواية الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: قال النّبيّ صلى الله عليه وآله: يا عليّ لا يحلّ لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك[3].

وقال السبط أيضاً: حديث في النجوى والوصيّة:

ونقل رواية الترمذي عن جابر الأنصاري قال: دعا النّبيّ صلى الله عليه وآله عليّاً يوم الطائف فانتجاه طويلاً، فقال النّاس: لقد طالت نجواه مع ابن عمّه. فبلغ ذلك النّبيّ صلى الله عليه وآله فقال: ما انتجيته، ولكنّ الله انتجاه[4].

ونقل رواية أحمد بن حنبل في (فضائله) عن أُمّ سلمة قالت: والّذي نحلف به إن كان عليّ عليه السلام لأقرب النّاس عهداً بالنبيّ صلى الله عليه وآله؛ مرض النبيّ صلى الله عليه وآله مرض موته، فلمّا كان اليوم الّذي قبض فيه دعا عليّاً عليه السلام فناجاه طويلاً،

---

(١) تذكرة الخواص: ٤١، ٤٢.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ٥: ٦٤١ ح ٣٧٣٢، ورواه عنه تذكرة الخواص: ٤١، لكن كلام الترمذي في ذيل الحديث هذا لفظه: «هذا حديث غريب لا نعرفه عن شعبة بهذا الاسناد، إلّا من هذا الوجه».

(٣) سنن الترمذي ٥: ٦٣٩ ح٣٧٢٧، ورواه عنه تذكرة الخواص: ٤٢.

(٤) سنن الترمذي ٥: ٦٣٩ ح٣٧٢٦، ورواه عنه تذكرة الخواص: ٤٢.

وساره كثيراً ثمّ قبض في يومه ذلك، فكان أقرب الناس عهداً بالنبيّ صلّى الله عليه وآله[(١)].

وروايته أيضاً عن أنس قال: قلنا لسلمان: سل النبيّ صلّى الله عليه وآله من وصيّه؟ فسأل سلمان النبيّ صلّى الله عليه وآله فقال: من كان وصيّ موسى؟ فقال: يوشع بن نون. قال: إنّ وصيي ووارثي، ومنجز وعدي عليّ[(٢)].

وقال السّبط أيضاً: حديث في قول النبيّ صلّى الله عليه وآله: «من آذى علياً فقد آذاني»:

ونقل رواية أحمد بن حنبل في (فضائله): عن عمرو بن شاس قال: خرجت مع عليّ عليه السلام إلى اليمن فجفاني جفوة، فلمّا قدمت المدينة أظهرت شكاية في المسجد، فبلغ ذلك النبيّ صلّى الله عليه وآله، فدخلت يوماً إلى المسجد، وهو جالس في جماعة من أصحابه، فجعل يحدّ بي النّظر ثمّ قال: أما والله لقد آذيتني. فقلت: أعوذ بالله أن أوذيك يا رسول الله! فقال: أما علمت أنّ من آذى علياً فقد آذاني[(٣)].

وقال: وروى سعيد بن المسيب عن عمر أنّه سمع رجلاً يذكر علياً عليه السلام بشرّ. فقال: ويلك تعرف من في هذا القبر؟ ـ وأشار إلى قبر النّبيّ صلّى الله عليه وآله ـ فسكت الرّجل، فقال عمر: فيه محمّد بن عبد الله بن عبد المطّلب، إذا آذيت علياً، فقد آذيته[(٤)].

وقال السّبط أيضاً: حديث في تسليم الملائكة عليه، ونقل رواية أحمد بن حنبل في (فضائله) عن الحرث الأعور عن عليّ عليه السلام قال: لمّا كانت ليلة بدر قال النبيّ صلّى الله عليه وآله: من يستقي لنا من الماء؟ فأحجم النّاس. فقمت فاحتضنت

---

(١) تذكرة الخواص: ٤١ ـ ٤٢.

(٢ و ٣) تذكرة الخواص: ٤٣.

(٤) تذكرة الخواص: ٤٤.

قربة، ثمّ أتيت قليباً بعيد القعر مظلماً، فانحدرت فيه، فأوحى الله إلى جبرئيل وميكائيل وإسرافيل: تأهّبوا لنصرة محمّد وحزبه. فهبطوا من السّماء لهم دويّ يذهل من يسمعه، فلمّا حاذوا القليب وقفوا وسلّموا عليّ من عند آخرهم إكراماً وتبجيلاً وتعظيماً. قال: وذكره أرباب المغازي(١).

وقال السّبط أيضاً: حديث في ما خلق منه عليّ عليه السلام:

ونقل رواية أحمد بن حنبل في (فضائله) عن سلمان قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: كنت أنا وعليّ نوراً بين يدي الله قبل أن يخلق آدم بأربعة آلاف عام، فلمّا خلق آدم قسّم ذلك النّور جزأين: فجزء أنا وجزء علي(٢).

وقال أيضاً: حديث مدينة العلم:

ونقل رواية أحمد بن حنبل في (فضائله) عنه عليه السلام قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: أنا مدينة العلم وعليّ بابها ـ وفي رواية ـ أنا دار الحكمة وعليّ بابها ـ وفي رواية ـ أنا مدينة الفقه وعليّ بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب(٣).

وقال أيضاً: حديث في قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «أنت سيّد في الدّنيا والآخرة»:

ونقل رواية أحمد بن حنبل في (فضائله) عن ابن عبّاس قال: بعثني النبيّ صلى الله عليه وآله إلى عليّ عليه السلام، فقال: قل له: أنت سيّد في الدّنيا وسيّد في الآخرة، من أحبّك فقد أحبّني، ومن أبغضك فقد أبغضني(٤).

وقال أيضاً: حديث في قتل العمالقة:

ونقل رواية ابن الغطريف عن ابن عبّاس، قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله في خطبة خطبها في حجّة الوداع: لأقتلنّ العمالقة في كتيبة. فقال له جبرئيل: أو عليّ بن

(١ و ٢) تذكرة الخواص: ٤٦.

(٣) تذكرة الخواص: ٤٧.

(٤) تذكرة الخواص: ٤٨.

أبي طالب. فقال: أو عليّ بن أبي طالب[١].

وقال أيضاً: حديث في ردّ الشمس له:

وروى عن أسماء بنت عميس في الصّحيح بتصريحه، قالت: كان رأس النبيّ ﷺ في حجر عليّ عليه السلام وهو يوحى إليه، فلم يصلّ العصر حتّى غربت الشمس، فقال النبيّ ﷺ: اللّهمّ إنّه كان في طاعتك وطاعة نبيّك فاردد عليه الشّمس. قالت: فردّها الله له[٢].

وروى نصر بن مزاحم ـ وهو من رجالهم ـ في (صفّينه) عن عمرو بن سعد عن عمر بن عبد الله بن يعلى بن مرّة الثقفي عن أبيه عن عبد خير، قال: كنت مع عليّ عليه السلام أسير في أرض بابل وحضرت الصلاة صلاة العصر، فجعلنا لا نأتي مكاناً إلّا رأيناه أفيح من الآخر، حتّى أتينا على مكان أحسن ما رأينا، وقد كادت الشمس أن تغيب، فنزل عليّ عليه السلام ونزلت، فدعا الله فرجعت الشّمس كمقدارها من صلاة العصر، فصلّينا العصر ثمّ غابت الشّمس، ثمّ خرج[٣].

وقال السّبط: يقول الصّاحب كافي الكفاة:

من كمولاي علي	والوغى تحمى لظاها
من يصيد الصيّد فيها	بالظبا حين انتضاها
من له في كلّ يوم	وقعات لا تضاهى
كم وكم حرب ضروس	سدّ بالمرهف فاها
اذكروا أفعال بدر	لست أبغي ما سواها
اذكروا غزوة أُحد	إنّه شمس ضحاها

(١ و ٢) تذكرة الخواص: ٤٩.

(٣) وقعة صفّين لابن مزاحم: ١٣٥.

اذكــروا حــرب حــنين إنّــــه بــــدر دجـــاها
اذكــروا الأحـزاب قُـدْماً إنّـــه ليث شـــراهـــا
اذكــروا مــهجة عـمرو كــيف أفــناها شــجاها
اذكـــــروا أمـــر بـــراءه واصـدقوني مـن تـلاها
اذكروا من زوجـه زهـرا ء، قـــد طـــابت ثـــراهـــا
حـــاله حـــالة هـــارو ن لمـــوسى فـــافهماها
أعـــــلى حبّ عـــليّ لامــني القــوم سـفاها
أوّل النـــاس صـــلاة جــعل التــقوى حــلاها
ردّت الشّــمس عــليه بــعدما غــاب سـناها(١)

قال السبط: وحدّثني جماعة من مشايخنا بالعراق قـالوا: شـاهدنا أبـا منصور المظفّر بن أردشير العبادي الواعظ وقد جلس بـالتاجية ـ مـدرسة بباب أبرز محلّة ببغداد ـ وكان بعد العصر، وذكر حديث ردّ الشمس لعليّ عليه السلام وطرّزه بعبارته ونمّقه بألفاظه، ثمّ ذكـر فـضائل أهـل البـيت عليهم السلام ، فـنشأت سحابة غطّت الشّمس حتّى ظنّ الناس أنّها قد غابت، فقام أبو منصور عـلى المنبر قائماً وأومأ إلى الشمس وأنشد:

لا تغربي يا شمس حتّى ينتهي مدحي لآل المـصطفى ولنـجله
واثني عـنانك إن أردت ثـناءهم أنسيت أن كان الوقوف لأجـله
إن كان للمولى وقـوفك فـليكن هــذا الوقـوف لخـيله ولرجـله

قالوا: فانجاب السحاب عن الشّمس وطلعت(٢).

وقال أيضاً: في حديث في شيعته عليه السلام :

(١) تذكرة الخواص: ٥٢.

(٢) تذكرة الخواص: ٥٣.

ونقل رواية ابن الغطريف عن أبي سعيد الخدري قال: نظر النّبيّ صلى الله عليه وآله إلى عليّ عليه السلام فقال: هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة[١].

ونقل روايات أُخرى في فضائل أُخرى، وقال: اقتصرنا على هذه الأخبار، لئلّا يخرج كتابنا عمّا شرطنا، وهو الاختصار[٢].

وروى أبو الفرج في (مقاتله): أنّ قريشاً أصابها قحط، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله لعميّه حمزة والعباس: ألا نحمل ثقل أبي طالب في هذا المحل؟ فجاؤوا إليه وسألوه أن يدفع إليهم ولده ليكفوه أمرهم، فقال: دعوا لي عقيلاً، وخذوا من شئتم. وكان شديد الحبّ لعقيل، فأخذ العبّاس طالباً، وحمزة جعفراً، وأخذ النبيّ صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام، وقال لهم: قد اخترت من اختاره الله لي عليكم عليّاً. قالوا: فكان عليّ عليه السلام في حجر النّبيّ صلى الله عليه وآله منذ كان عمره ست سنين[٣].

قال ابن أبي الحديد في أوّل كتابه ـ بعد نقل رواية أبي الفرج تلك ـ: وهذا يطابق قوله عليه السلام: «لقد عبدت الله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمّة سبع سنين»، وقوله عليه السلام: «كنت أسمع الصّوت وأبصر الضّوء سنين سبعاً، والنبيّ صلى الله عليه وآله حينئذ صامت ما أُذِن له في الإنذار والتّبليغ»، وذلك لأنّه إذا كان عمره يوم إظهار الدّعوة ثلاث عشرة سنة، وتسليمه إلى النبيّ صلى الله عليه وآله من أبيه وهو ابن ستّ، فقد صحّ أنّه كان يعبد الله قبل النّاس بأجمعهم سبع سنين، وابن ست تصحّ منه العبادة إذا كان ذا تمييز، على أنّ عبادة مثله هي التعظيم والإجلال وخشوع القلب، واستخذاء الجوارح إذا شاهد شيئاً من جلال الله سبحانه[٤].

وقال ثمة أيضاً: فأمّا فضائله فإنّها قد بلغت من العظم والجلال

---

(١) تذكرة الخواص: ٥٣.

(٢) تذكرة الخواص: ٥٤.

(٣) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج: ١٥، والنقل بالمعنى.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١: ٥، المقدمة.

والانتشار والاشتهار مبلغاً يسمج معه التّعرض لذكرها، والتّصدّي لتفصيلها، وما أقول في رجل أقرّ له أعداؤه وخصومه بالفضل، ولم يمكنهم جحد مناقبه ولا كتمان فضائله؟

فقد علمت أنّه استولى بنو أُمية على سلطان الإسلام في شرق الأرض وغربها، واجتهدوا بكلّ حيلة في إطفاء نوره، والتّحريف عليه، ووضع المعائب والمثالب له، ولعنوه على جميع المنابر، وتوعّدوا مادحيه بل حبسوهم وقتلوهم، ومنعوا من رواية حديث يتضمّن له فضيلة أو يرفع له ذكراً، حتّى حظروا أن يسمّى أحد باسمه، فما زاده ذلك إلّا رفعة وسموّاً، وكان كالمسك كلّما ستر انتشر عرفه، وكلّما كتم تضوّع نشره، وكالشّمس لا تستر بالرّاح، وكضوء النّهار إن حُجبت عنه عين واحدة أدركته عيون كثيرة.

وما أقول في رجل تعزى إليه كلّ فضيلة، وتنتهي إليه كلّ فرقة، وتتجاذبه كلّ طائفة؟ فهو رئيس الفضائل وينبوعها، وأبو عذرها، وسابق مضمارها، ومجلّي حلبتها، وكلّ من بزغ فيها بعده فمنه أخذ، وله اقتفى، وعلى مثاله احتذى[(١)].

ثم ذكر ابن أبي الحديد العلوم وقرّر انتهاءها إليه عليه السلام، وذكر الكمالات والعبادات والصّفات الحميدة وذكر تفرّده فيها، وقال:

ما أقول في رجل تحبّه أهل الذّمّة على تكذيبهم بالنّبوّة، وتعظّمه الفلاسفة على معاندتهم لأهل الملّة، وتصوّر ملوك الفرنج والروم صورته في بيعها وبيوت عباداتها، حاملاً سيفه مشمّراً لحربه، وتصوّر ملوك التّرك والدّيلم صورته على أسيافها، كان على سيف عضد الدولة بن بويه وسيف أبيه ركن الدّولة صورته، وكان على سيف ألب أرسلان وابنه ملكشاه

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٥، المقدّمة.

صورته، كأنّهم يتفألون به النّصر والظّفر.

وما أقول في رجل أحبّ كلّ أحد أن يتكثّر به، وودّ كلّ أحد أن يتجمّل ويتحسّن بالانتساب إليه؟ حتّى الفتوّة الّتي أحسن ما قيل في حدّها: أن لا تستحسن من نفسك ما تستقبحه من غيرك؛ فإنّ أربابها نسبوا أنفسهم إليه، وصنّفوا في ذلك كتباً، وجعلوا لذلك أسناداً أنهوه إليه، وقصروه عليه، وسمّوه سيّد الفتيان، وعضّدوا مذهبهم بالبيت المشهور المرويّ أنّه سمع من السماء يوم أُحد:

لا سيف إلّا ذو الفقا ... ر ولا فتى إلّا عليّ[1]

وفي (أسباب نزول الواحدي) في نزول آية التطهير بسنده إلى أُمّ سلمة: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان في بيتها، فأتته فاطمة عليها السلام ببرمة فيها حريرة، فدخلت بها عليه فقال لها: ادعي لي زوجك وابنيك. قالت: فجاء عليّ والحسن والحسين عليهما السلام، فدخلوا فجلسوا يأكلون من تلك الحريرة، وهو على منامة له، وكان تحته كساء حبري. قالت: وأنا في الحجرة أُصلّي، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿...إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾[2]، فأخذ فضل الكساء فغشّاهم به ثمّ أخرج يديه فألوى بهما إلى السّماء ثمّ قال: اللّهم هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي فأذهب عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً. قالت: فأدخلت رأسي البيت وقلت: أنا معكم يا رسول الله؟ قال: إنّك إلى خير، إنّك إلى خير[3].

وروى الترمذي في (صحيحه): أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان من وقت نزول هذه

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٦ ـ ٩، المقدمة.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

(٣) أسباب النزول للواحدي: ٢٣٩.

الآية إلى قريب من ستّة أشهر، إذا خرج إلى الصلاة يمرّ بباب فاطمة يقول: الصّلاة أهل البيت ﴿...إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾[1].

قلت: الخبر يشهد أنّ قوله تعالى: ﴿...إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا﴾ كان بعد قوله عزّوجلّ: ﴿وأمر أهلك بالصّلاة واصطبر عليها...﴾[2]، وهو في غاية المناسبة، لا بعد قوله تعالى: ﴿وقرن في بيوتكنّ ولا تبرّجن تبرّج الجاهلية الأُولى وأقمن الصّلاة وآتين الزّكاة وأطعن الله ورسوله...﴾[3]، فإنّه في غاية المنافرة، فلابدّ من تبديل موضعه.

وروى التّرمذي أيضاً عن ابن عبّاس قال: لمّا نزل قوله تعالى: ﴿...قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى...﴾[4] قالوا: يا رسول الله من هؤلاء القربى الّذين أمر الله بمودّتهم؟ قال: عليّ وفاطمة وابناهما[5].

وعن (تفسير الثعلبي) أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله نظر إلى عليّ وفاطمة والحسن والحسين فقال: أنا حرب لمن حاربتم، وسلم لمن سالمتم[6].

وبإسناده عن أسماء بنت عميس قالت: لمّا نزل قوله تعالى: ﴿...وإن تظاهرا عليه فإنّ الله هو مولاه وجبرئيل وصالح المؤمنين...﴾[7] سمعت

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ٥: ٣٥٢ ح٣٢٠٦ عن أنس، ويأتي تخريجه من طُرق أُخرى في العنوان ٢٧ من هذا الفصل، والآية ٣٣ من سورة الأحزاب.

(٢) طه: ١٣٢.

(٣) الأحزاب: ٣٣.

(٤) الشورى: ٢٣.

(٥) لم يوجد هذا الحديث في سنن الترمذي، لكن أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عنهم الدر المنثور ٦: ٧، وأخرج الترمذي حديثاً آخر في تفسير هذه الآية عن ابن عباس في سننه ٥: ٣٧٧ ح٣٢٥١.

(٦) أخرجه الثعلبي في تفسيره عنه الطّرائف ١: ١٣١ ح٢٠٣ وغيره، والحديث مشهور.

(٧) التحريم: ٤.

النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: صالح المؤمنين عليّ بن أبي طالب[١].

وروى أبو نعيم في (الحلية) مسنداً عن الحسن عليه السلام قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: ادعوا لي سيّد العرب ـ يعني عليّاً عليه السلام ـ فقالت عائشة: ألست سيّد العرب؟ فقال صلى الله عليه وآله: أنا سيّد ولد آدم، وعليّ سيد العرب. فلمّا جاء أرسل إلى الأنصار فأتوه، فقال لهم: يا معشر الأنصار ألا أدلّكم على ما إن تمسكتم به لن تضلّوا بعدي أبداً؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: هذا عليّ فأحبّوه بحبّي، وأكرموه بكرامتي، فإنّ جبرئيل أمرني بالّذي قلت لكم من الله عزّ وجلّ[٢].

وعن حذيفة قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: إن تستخلفوا عليّاً ـ وما أراكم فاعلين ـ تجدوه هادياً مهدياً، يحملكم على المحجّة البيضاء[٣].

وعن أنس قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: يا أنس اسكب لي وضوءاً، ثمّ قام فصلّى ركعتين، ثمّ قال: يا أنس أوّل من يدخل عليك من هذا الباب أمير المؤمنين، وسيّد المسلمين، وقائد الغرّ المحجّلين، وخاتم الوصيّين. قال أنس: قلت: اللّهم اجعله رجلاً من الأنصار وكتمته، إذ جاء عليّ عليه السلام. فقال: من هذا يا أنس؟ فقلت: عليّ. فقام مستبشراً فاعتنقه، ثمّ جعل يمسح عرق وجهه بوجهه، ويمسح عرق عليّ بوجهه، قال عليّ: يا رسول الله لقد رأيتك صنعت شيئاً ما صنعت بي من قبل؟ قال: وما يمنعني وأنت تؤدي عنّي، وتسمعهم صوتي، وتبيّن لهم ما اختلفوا فيه بعدي[٤].

وعن معاذ بن جبل قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: يا عليّ أخصمك بالنبوّة ولا نبوّة بعدي، وتخصم النّاس بسبع، ولا يحاجّك فيها أحد من قريش: أنت أوّلهم

(١) أخرجه الثعلبي في تفسيره عنه ينابيع المودة: ٩٣، والفرات الكوفي في تفسيره: ١٨٥ عن أسماء.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم ١: ٦٣.

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم ١: ٦٤.

(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم ١: ٦٣.

إيماناً بالله، وأوفاهم بعهد الله، وأقومهم بأمر الله، وأقسمهم بالسّويّة، وأعدلهم في الرّعية، وأبصرهم بالقضيّة، وأعظمهم عند الله مزيّة[١].

وعن ابن عبّاس قال: كنّا نتحدّث أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله عهد إلى عليّ عليه السلام سبعين عهداً لم يعهد إلى غيره[٢].

وعن عمّار قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لعليّ عليه السلام: إنّ الله تعالى قد زيّنك بزينة لم تزيّن العباد بزينة أحبّ إلى الله تعالى منها، هي زينة الأبرار عند الله عزّوجلّ: الزّهد في الدّنيا، فجعلك لا تزرأ من الدّنيا شيئاً ولا تزرأ الدّنيا منك شيئاً، ووهب لك حبّ المساكين، فجعلك ترضى بهم أتباعاً، ويرضون بك إماماً[٣].

وعن ابن عبّاس قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: من سرّه أن يحيا حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنّة عدن غرسها ربّي، فليوالِ عليّاً بعدي، وليوال وليّه، وليقتد بالأئمّة من بعدي، فإنّهم عترتي، خلقوا من طينتي رزقوا فهماً وعلماً، وويل للمكذّبين بفضلهم من أُمّتي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي[٤].

وعن أبي برزة قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ الله تعالى عهد إليَّ عهداً في عليّ، فقلت: يا ربّ بيّنه لي. فقال: اسمع. فقلت: سمعت. فقال: إنَّ عليّاً راية الهدى، وإمام أوليائي، ونور من أطاعني، وهو الكلمة الّتي ألزمتها المتقين، من أحبّه أحبّني، ومن أبغضه أبغضني، فبشّره بذلك. فجاء علي فبشّرته، فقال: يا رسول الله أنا عبد الله، وفي قبضته، فإن يعذبني فبذنبي، وإن يتمّ الّذي بشّرتني به فالله أولى بي. قال صلى الله عليه وآله وسلم: قلت: اللّهم اجل قلبه، واجعل ربيعه الايمان. فقال الله تعالى: قد فعلت ذلك به. ثمّ إنّه رفع تعالى إليَّ أنّه سيخصّه من البلاء بشيء

---

(١) حلية الأولياء، لأبي نعيم ١: ٦٧.

(٢) حلية الأولياء، لأبي نعيم ١: ٦٨.

(٣) حلية الأولياء، لأبي نعيم ١: ٧١.

(٤) حلية الأولياء، ١: ٨٦.

لم يخصَّ به أحداً من أصحابي. فقلت: يا ربّ أخي وصاحبي. فقال: إنّ هذا شيء قد سبق، إنّه مبتلى ومبلى به[١].

وقال: إنّ ربّ العالمين عهد إليّ عهداً في عليّ، فقال: إنّه راية الهدى، ومنار الايمان، وإمام أوليائي، ونور جميع من أطاعني، يا أبا برزة عليّ أميني غداً في القيامة، وصاحب رايتي في القيامة. عليّ مفاتيح خزائن رحمة ربي[٢].

وعن أبي سعيد الخدري قال: كنّا نمشي مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فانقطع شسع نعله، فتناولها عليّ عليه السلام يصلحها، ثمّ مشى صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: يا أيّها الناس إنّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن، كما قاتلت على تنزيله (وهو خاصف نعلي). قال أبو سعيد: فخرجت فبشرته بما قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فلم يكترث به فرحاً كأنّه قد سمعه[٣].

وعنه عليه السلام قال: قال النّبيّ صلى الله عليه وآله: يا عليّ إنّ الله تعالى أمرني أن أدنيك، وأُعلّمك لتعي، وأُنزلت هذه الآية: ﴿...وتعيها أُذن واعية﴾[٤] فأنت أُذن واعية لعلمي[٥].

وعن ابن مسعود قال: إنّ القرآن أُنزل على سبعة أحرف، ما منها حرف إلّا له ظهر وبطن، وإنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام عنده علم الظاهر والباطن[٦].

وعن هبيرة بن يريم: أنّ الحسن عليه السلام قام ـ أي بعد وفاة أبيه ـ وخطب النّاس وقال: لقد فارقكم رجل بالأمس لم يسبقه الأوّلون، ولا يدركه الآخرون

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ١: ٦٦.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم ١: ٦٧.

(٤) الحاقة: ١٢.

(٥) حلية الأولياء لأبي نعيم ١: ٦٧.

(٦) حلية الأولياء لأبي نعيم ١: ٦٥.

بعمل، كان النبيّ صلى الله عليه وآله يبعثه فيعطيه الرّاية، فلا يرتدّ حتّى يفتح الله عزّ وجلّ عليه، جبرئيل عن يمينه، ميكائيل عن يساره، ما ترك صفراء ولا بيضاء إلّا سبعمائة فضلت من عطائه، أراد أن يشتري بها خادماً[1].

وروى نصر بن مزاحم في (صفّينه) عن أبي سعيد المعروف بعقيصا، قال: كنّا مع عليّ عليه السلام في مسيره إلى الشام، حتّى إذا كنّا بظهر الكوفة من جانب هذا السواد عطش النّاس واحتاجوا إلى الماء، فانطلق بنا عليّ عليه السلام حتّى أتانا على صخرة ضرس من الأرض كأنّها ربضة عنز فأمرنا فاقتلعناها، فخرج لا ماء، فشرب ا لنّاس منه وارتووا، ثمّ أمرنا فأكفأناها عليه، وسار الناس حتى إذا مضينا قليلاً قال عليّ عليه السلام: منكم أحد يعلم مكان هذا الماء الّذي شربتم منه؟ قالوا: نعم يا أمير المؤمنين. قال: فانطلقوا إليه. فانطلق منّا رجال ركباناً ومشاة، فاقتصصنا الطريق حتّى انتهينا إلى المكان الذي نرى أنّه فيه، فطلبناها فلم نقدر على شيء، حتّى إذا عيل علينا انطلقنا إلى دير قريب منّا، فسألناهم أين الماء الّذي هو عندكم؟ قالوا: ما قربنا ماء. قلنا: بلى إنّا شربنا منه. قالوا: أنتم شربتم منه؟ قلنا: نعم. قالوا: ما بني هذا الدّير إلّا بذلك الماء، وما استخرجه إلّا نبيّ أو وصيّ نبيّ[2].

وروى عن حبة العرني، قال: لمّا نزل عليّ عليه السلام الرقّة بمكان يقال له: بليخ، على جانب الفرات، فنزل راهب من صومعته، فقال لعلي عليه السلام: إنّ عندنا كتاباً توارثناه عن آبائنا، كتبه عيسى بن مريم، أعرضه عليك؟ قال علي عليه السلام: نعم فما هو؟ قال الرّاهب: بسم الله الرحمن الرحيم، الّذي قضى في ما قضى وسطر في ما سطر: أنّه باعث في الأُمّيين رسولاً منهم يعلّمهم الكتاب

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ١: ٦٥.

(٢) وقعة صفين لابن مزاحم: ١٤٥، ١٤٧.

والحكمة، ويدلّهم على سبيل الله لا فظٌّ، ولا غليظ، ولا صخّاب في الأسواق، ولا يجزي بالسّيئة السّيّئة، ولكن يعفو ويصفح، أمّته الحمّادون الّذين يحمدن الله على كلّ نشز، وفي كلّ صعود وهبوط، تذلّ ألسنتهم بالتهليل والتكبير، وينصره الله على كلّ من ناواه، فإذا توفّاه الله اختلفت أُمّته، ثمّ اجتمعت، فلبثت بذلك ما شاء الله، ثمّ اختلفت، فيمرّ رجل من أُمّته بشاطئ هذا الفرات يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويقضي بالحقّ، ولا يرتشي في الحكم، والدّنيا أهون عليه من الرّماد في يوم عصفت فيه الرّيح، والموت أهون عليه من شرب الماء على الظمأ، يخاف الله في السّرّ وينصح له في العلانية، ولا يخاف في الله لومة لائم. من أدرك ذلك النبيّ من أهل هذه البلاد فآمن به، كان ثوابه رضواني والجنّة، ومن أدرك ذلك العبد الصّالح فلينصره، فإنّ القتل معه شهادة.

وقال الراهب: فأنا مصاحبك غير مفارقك، حتّى يصيبني ما أصابك، قال: فبكى علي عليه السلام ثمّ قال: الحمد لله الذي لم يجعلني عنده منسيّاً، الحمد لله الّذي ذكرني في كتب الأبرار. ومضى الراهب معه، وكان ـ في ما ذكروا ـ يتغدّى مع عليّ عليه السلام ويتعشّى، حتّى أُصيب يوم صفين، فلمّا خرج النّاس يدفنون قتلاهم قال علي عليه السلام: اطلبوه. فلمّا وجدوه صلّى عليه ودفنه، وقال: هذا منّا أهل البيت، واستغفر له مراراً(١).

وفي (فواتح الميبدي): روى الثّعلبي في (تفسيره) عن ابن عبّاس وابن سيرين: أنّ (طوبى) في قوله تعالى: ﴿الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات طوبى لهم وحسن مآب﴾(٢) شجرة أصلها في دار علي بن أبي طالب عليه السلام، وفي دار كلّ مؤمن منها غصن. ثمّ نقل الميبدي هذين البيتين بالفارسية بالمناسبة:

---

(١) وقعة صفين لابن مزاحم: ١٤٥، ١٤٧.

(٢) الرعد: ٢٩.

اى ز مشكين طرهات بر هر دلى بندى دگر
رشتهٔ جان را به هر سوى تو پيوندى دگر
گر پدر خورشيد و مادر ماه باشد فى المثل
بر زمين نايد بخوبى چون تو فرزندى دگر[(١)]

وروى (روضة الكافي) أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله بينا كان جالساً إذ أقبل عليّ عليه السلام، فقال النّبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ فيك شبهاً من عيسى بن مريم، ولولا أن تقول فيك طوائف من أُمّتي ما قالت النّصارى في عيسى عليه السلام لقلت فيك قولاً: لا تمرّ بملأ من النّاس إلّا أخذوا التّراب من تحت قدميك يلتمسون بذلك البركة. فغضب الأعرابيان، والمغيرة وعدّة من قريش معهم، فقالوا: ما رضي أن يضرب لابن عمّه مثلاً إلّا عيسى. فأنزل الله عزّوجلّ على نبيّه صلى الله عليه وآله فقال: ﴿ولمّا ضُرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدّون﴾[(٢)].

هذا، وقد نقلنا ما نقلنا من فضائله أُنموذجاً شاهداً لقوله عليه السلام: «وفضائل جمّة». وأمّا نقلها بالاستقصاء فغير ممكن، لأنّها لا تحصى، كيف لا وقد مرّ قول النبيّ صلى الله عليه وآله فيه: لو كانت البحار مداداً، والأشجار أقلاماً، والإنس والجنّ كتّاباً لما أحصوا فضائله[(٣)]؟

«تعرفها قلوب المؤمنين» روى (احتجاج الطبرسي) عن سليم بن قيس الهلالي قال: قدم معاوية حاجّاً في خلافته، فاستقبله أهل المدينة، فنظر فإذا الّذين استقبلوه ما فيهم أحد من غير قريش، فقال: ما بال الأنصار لم تستقبلني؟ فقيل له: ليس لهم دواب. فقال: أين نواضحهم؟ فقال قيس بن سعد

---

(١) فواتح الميبدي: ١٨٩.

(٢) الكافي للكليني ٨: ٥٧ ح١٨، كتاب الروضة، والآية ٥٧ من سورة الزخرف.

(٣) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ١٣، مرّ تخريجه في شرح فقرة «والفضائل الجمّة» من خطبة الرضي.

بن عبادة ـ وكان سيّد الأنصار وابن سيّدها ـ: أفنوها يوم بدر وأُحد وما بعدهما من مشاهد النبيّ صلى الله عليه وآله، حين ضربوك وأباك على الاسلام حتّى ظهر أمر الله، وأنتم له كارهون. فسكت معاوية، فقال قيس: أما إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عهد إلينا: أنّا سنلقى بعده أثرة. قال: فبما أمركم؟ قال: أن نصبر حتّى نلقاه. قال: فاصبروا حتى تلقوه. ثمّ مرّ معاوية بحلقة من قريش، فلمّا رأوه قاموا غير عبد الله بن عباس، فقال له: ما منعك من القيام إلّا لموجدة أنّي قاتلتكم بصفّين؟ فلا تجد من ذلك فإنّ ابن عمّي عثمان قُتل مظلوماً. قال ابن عباس: فعمر أيضاً قتل. قال: إنّ عمر قتله كافر. قال ابن عبّاس: فمن قتل عثمان؟ قال: المسلمون. قال: فذاك أدحض لحجّتك. قال معاوية: فإنّا كتبنا في الآفاق ننهى عن ذكر مناقب علي وأهل بيته، فكفّ لسانك. فقال ابن عبّاس: يا معاوية أتنهانا عن قراءة القرآن؟ قال: لا. قال: أفتنهانا عن تأويله؟ قال: نعم. قال: فنقرأ ولا نسأل عمّا عنى الله به؟ أيّهما أوجب علينا قراءته أو العمل به؟ قال: العمل به. قال: فكيف نعمل به، ولا نعلم ما عنى الله؟ قال: سل عن ذلك من يتأوّله، على غير ما تتأوّله أنت وأهل بيتك. قال: إنّما أُنزل القرآن على أهل بيتي، فأسأل عنه آل أبي سفيان؟ أتنهانا يا معاوية أن نعبد الله بالقرآن بما فيه من حلال وحرام، وأن تسأل الأُمّة عن ذلك فتعلم فتهلك؟ قال: اقرؤوا القرآن، وتأوّلوه، ولا ترووا شيئاً ممّا أنزل الله فيكم، وارووا ما سوى ذلك. قال ابن عبّاس: فإنّ الله تعالى يقول في القرآن: ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلّا أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون﴾[1] قال: يابن عباس، أربع على نفسك، وكفّ لسانك، وإن كنت لابدّ فاعلاً فليكن ذلك سرّاً لا تسمعه أحداً علانية. ثمّ رجع إلى بيته، وكان أشدّ النّاس بليّة في ذلك أهل الكوفة، لكثرة من بها من الشّيعة، فاستعمل

---

(١) التوبة: ٣٢.

زياد بن أبيه، وضمّ إليه العراقين: الكوفة والبصرة، فجعل يتتبع الشّيعة، وهو بهم عارف، يقتلهم تحت كلّ حجر ومدر، وأخافهم، وقطّع الأيدي والأرجل، وصلبهم في جذوع النخل، وسمل أعينهم، وطردهم وشرّدهم، حتّى نفوا عن العراق، فلم يبق بها أحد معروف، فهم بين مقتول ومصلوب، ومحبوس، وطريد.

وكتب معاوية إلى جميع عمّاله في جميع الأمصار: ألّا تجيزوا لأحد من شيعة عليّ وأهل بيته شهادة، وانظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبّيه، ومحبّي أهل بيته وأهل ولايته، والّذين يروون فضله ومناقبه فأدنوا مجالسهم، وقرّبوهم وأكرموهم، واكتبوا إليّ بكلّ من يروي من مناقبه، باسمه واسم أبيه وقبيلته.

ففعلوا حتّى كثرت الرّوايات في عثمان، وافتعلوها لما كان يبعث إليهم من الصّلات والخلع والقطائع من العرب والموالي، فكثر ذلك في كلّ مصر، وتنافسوا في الأموال والدّنيا، فليس يجيء أحد من مصر من الأمصار، فيروي في عثمان منقبة وفضيلة إلّا كتب اسمه، وقرّب وأُجيز، فلبثوا بذلك ما شاء الله.

ثمّ كتب إلى عمّاله: أنّ الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كلّ مصر، فادعوا الناس إلى الرواية في معاوية وفضله وسابقته، فإنّ ذلك أحبّ إلينا وأقرّ لأعيننا، وأدحض لحجّة أهل هذا البيت، وأشدّ عليهم.

فقرأ كلّ أمير وقاض كتابه على النّاس، فأخذ النّاس في الروايات في فضائل معاوية، على المنبر في كلّ كورة، وكلّ مسجد زوراً، وألقوا ذلك إلى معلّمي الكتّاب فعلّموا ذلك صبيانهم، كما يعلّمونهم القرآن، حتّى علّموه بناتهم ونساءهم وحشمهم، فلبثوا بذلك ما شاء الله.

وكتب زياد إلى معاوية في حقّ الحضرميين: «أنّهم على دين علي ورأيه». فكتب إليه معاوية: «اقتلْ كلّ من كان على دين عليّ ورأيه» فقتلهم

ومثّل بهم. وكتب معاوية إلى جميع البلدان: «انظروا من قامت عليه البيّنة أنّه يحبّ عليّاً وأهل بيته فامحوه من الديوان». وكتب كتاباً آخر: «انظروا من قبلكم من شيعة عليّ ومن اتّهموه بحبّه فاقتلوه وإن لم تقم البيّنة عليه». فقتلوهم على الظّنّة والتهمة تحت كلّ حجر، حتّى لو كان الرّجل تسقط منه كلمة يضرب عنقه، حتى كان الرّجل يرمى بالزندقة والكفر كان يُعظّم ولا يتعرّض له بمكروه، والرّجل من الشيعة لا يأمن على نفسه في بلد من البلدان، لا سيما الكوفة والبصرة، حتّى لو أنّ أحداً منهم أراد أن يلقي سرّاً إلى من يثق به، لأتاه في بيته ويخاف خادمه ومملوكه، ولا يحدّثه إلّا بعد أن يأخذ عليه الأيمان المغلظة، ليكتمن عليه.

ثمّ لا يزداد الأمر إلّا شدّة حتّى ظهرت أحاديثهم الكاذبة، ونشأ عليها الصبيان يعلّمون ذلك، وكان أشدّ النّاس في ذلك القرّاء المراؤون المتصنّعون الّذين يظهرون الخشوع والورع، فانتحلوا الأحاديث يتحظّون بذلك عند الولاة والقضاة، ويدنون مجالسهم ويصيبون بذلك القطائع والأموال والمنازل، حتّى صارت أحاديثهم ورواياتهم عندهم حقّاً وصدقاً، فرووها وقبلوها وتعلّموها وعلّموها وأحبّوا عليها، وأبغضوا من ردّها أو شكّ فيها. فاجتمعت على ذلك جماعتهم، وصارت في يد المتنسّكين والمتديّنين منهم الّذين لا يستحلّون الافتعال لمثلها، فقبلوها وهم يرون أنّها حقّ، ولو علموا بطلانها وتيقّنوا أنّها مفتعلة لأعرضوا عن روايتها، فصار الحقّ في ذلك الزّمان عندهم باطلاً، والباطل حقّاً، والكذب صدقاً، والصّدق كذباً.

فلمّا مات الحسن عليه السلام ازداد الدّاء، فلم يبق لله وليّ إلّا خائف على نفسه، أو مقتول أو طريد، فلمّا كان قبل موت معاوية بسنتين حجّ الحسين عليه السلام وحجّ عبد الله بن جعفر، وعبد الله بن عبّاس معه، وقد جمع الحسين عليه السلام بني هاشم: رجالهم ونساءهم ومواليهم وشيعتهم، ثمّ لم يدع أحداً من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله

ومن أبنائهم والتّابعين، ومن الأنصار المعروفين بالصلاح والنّسك إلّا جمعهم، فاجتمع إليه بمنى أكثر من ألف رجل والحسين عليه السلام في سرادقه: عامتهم التّابعون وأبناء الصحابة، فقام عليه السلام فيهم خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أمّا بعد، فإنّ هذا الطاغية قد صنع بنا وبشيعتنا ما قد علمتم، ورأيتم وشهدتم وبلغكم، وإنّي أُريد أن أسألكم عن أشياء فإن صدقت فصدّقوني، وإن كذبت فكذّبوني، واسمعوا مقالتي، واكتموا قولي، ثمّ ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم، من ائتمنتموه ووثقتم به فادعوهم الى ما تعلمون، فإنّي أخاف أن يندرس هذا الحقّ ويذهب، ولكنّ الله ﴿متمّ نوره ولو كره الكافرون﴾[1]. فما ترك الحسين عليه السلام شيئاً أنزل تعالى فيهم من القرآن إلّا قاله وفسّره، ولا شيئاً قاله النبيّ صلى الله عليه وآله في أبيه وأمّه وأهل بيته إلّا رواه؛ في كلّ ذلك تقول الصّحابة: اللّهم نعم قد سمعناه وشهدناه. ويقول التابعون: اللّهمّ قد حدّثناه من نصدّقه ونأتمنه. حتّى لم يترك شيئاً إلّا قاله، ثمّ قال: أُنشدكم بالله إلّا رجعتم وحدّثتم به من تثقون به. ثمّ نزل وتفرّق الناس على ذلك[2].

ورواه المدائني مع زيادة ونقصان، وفي روايته ـ بدل قوله في هذه الرواية: «فادعوا النّاس إلى الرّواية في معاوية» ـ: «فادعوا النّاس إلى الرواية في فضائل الصّحابة والخلفاء الأوّلين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب، إلّا وآتوني بمناقض له في الصّحابة مفتعلة، فإنّ هذا أحبّ إليّ وأقرّ لعيني، وأدحض لحجّة أبي تراب وشيعته، وأشدّ عليهم من مناقب عثمان»[3].

---

(١) الصف: ٨.

(٢) رواه الطبرسي في الاحتجاج: ٢٩٣ عن سليم بن قيس، ورواه سليم بن قيس نفسه في السقيفة: ١٩٩.

(٣) نقله ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ١٥، ١٦، شرح الخطبة ٢٠٨ عن المدائني.

وهو عليه السلام وإن قال: «تعرفها قلوب المؤمنين» ليس مفهومه أنّ المنافقين لا يعرفونها، لكن كانوا في فضائله عليه السلام كما في آياته تعالى: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً...﴾[1]؛ فمرّ أنّ المغيرة وهو الّذي وضع سبّه عليه السلام أوّلاً حتّى يتقرّب بذلك إلى معاوية، قال لصعصعة: إنّك لست بذاكر من فضل عليّ شيئاً أجهله بل أنا أعلم بذلك.

«ولا تمجّها آذان السامعين» حتّى مثل معاوية والحجّاج، وباقي معانديه عليه السلام؛ روى أبو نعيم في (حليته) عن أبي صالح قال: دخل ضرار بن ضمرة الكناني على معاوية، فقال: صف لي عليّاً. فقال: أو تعفيني؟ قال: لا أعفيك.

قال: أما إذ لابدّ فإنّه كان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً ويحكم عدلاً، ينفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدّنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته، كان والله غزير العبرة، طويل الفكرة، يقلّب كفّه، ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطّعام ما جشب، كان والله كأحدنا، يدنينا إذا أتيناه، ويجيبنا إذا سألناه، وكان مع تقرّبه إلينا وقربه منّا وتقريبه لنا لا نكلّمه هيبة له، فإن تبسّم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، يعظّم أهل الدّين ويحبّ المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، فأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه، وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه، يميل في محرابه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، فكأنّي أسمعه الآن وهو يقول: ربّنا ربّنا - يتضرّع إليه - ثمّ يقول للدّنيا: إليّ تغرّرت؟ أم إليّ تشوّقت؟ هيهات هيهات غرّي غيري، قد بتتك ثلاثاً، فعمرك قصير، ومجلسك حقير، وخطرك يسير، آه

---

(١) النمل: ١٤.

آه من قلّة الزّاد وبعد السّفر ووحشة الطريق.

قال: فوكفت دموع معاوية على لحيته ما يملكها، وجعل ينشفها بكمّه، وقد اختنق القوم بالبكاء، فقال: كذا كان أبو الحسن ﷺ كيف وجْدك عليه يا ضرار؟ قال: وجد من ذبح واحدها في حجرها، لا ترقأ دمعتها ولا يسكن حزنها[١].

وروى الإسكافي في (نقضه) مسنداً عن الشّعبي قال: قال الحجّاج للحسن (البصري) -وعنده جماعة من التّابعين، وذكر عليّ بن أبي طالب-: ما تقول أنت يا حسن؟ فقال: ما أقول هو أوّل من صلّى إلى القبلة، وأجاب دعوة رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنّه لعلى منزلة من ربّه، وقرابة من رسوله، وقد سبقت له سوابق لا يستطيع ردّها أحد. فغضب الحجّاج غضباً شديداً وقام عن سريره فدخل بعض البيوت وأمر بصرفنا[٢].

وروى الكنجي الشافعي في مناقبه مسنداً عن زيد بن عليّ، قال: كانت قريش في حلقة فتفاخروا وذكروا شيئاً من الشعر، فقالوا له: قل يا أبا الحسن قل. فقال: لقد قلتم. فقالوا: نعم وأنت أيضاً فقل. فقال:

الله أكرمنا بنصّ نبيّه ... وبنا أقام دعائم الإسلام

وبنا أعزّ نبيّه وكتابه ... وأعزّنا بالنّصر والإقدام

في كلّ معركة تطير سيوفنا ... فيها الجماجم عن فراخ الهام

ينتابنا جبريل في أبياتنا ... بفرائض الإسلام والأحكام

فنكون أوّل مستحل حلّه ... ومحرّم لله كلّ حرام

نحن الخيار من البريّة كلّها ... ونظامها وزمام كلّ زمام

(١) حلية الأولياء، لأبي نعيم ١: ٨٤.

(٢) نقله ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٢٦٢، شرح الخطبة ٢٣٣ عن النقض على العثمانية لأبي جعفر الاسكافي.

الخائضو غمرات كلّ كريهة ... الضامنون حوادث الأيّام
والمبرمو وفي الأُمور بعزمهم ... والناقضون صرائم الأبرام
إنّا لنمنع من أردنا منعه ... ونجود بالمعروف والانعام
وتردّ غائلة الخميس سيوفنا ... ونقيم رأس الأصيد القمقام[١]

هذا، وقوله عليه السلام: «ولا تمجّها» استعارة فالأصل في المجّ رمي الرّجل الشّراب من فيه إذا لا يناسب الذّوق، فاستعاره لرمي الآذان ما تسمعه من المنكرات، ومرمى كلامه أنّ ما وضعوه لأعدائه تمجّها الآذان، يوضح ذلك من راجع كتبهم الصّحابية في ما وضعوه لباقي عشرتهم، فلعمر الله يتأذى السّمع والبصر من سماعها، ورؤيتها، والعجب من النّاقلين مع ادعائهم الفضل، كيف ينقلون ما خلاف الدّراية؟

«فدع عنك من مالت به الرّميّة» قال الجوهري: الرّميّة: الصّيد. يقال: بئس الرّمية الأرنب[٢].

قال ابن أبي الحديد: معنى قوله: «فدع عنك من مالت به الرّميّة» دع ذكر من مال إلى الدّنيا ومالت به، أي: أمالته إليها. فإن قلت: فهل هذا إشارة إلى أبي بكر وعمر؟ قلت: ينبغي أن ينزّه كلام أمير المؤمنين عليه السلام عن ذلك، وأن يصرف هذه الكلمة إلى عثمان، لأنّ معاوية ذكره في كتابه، وقد أوردناه وإذا أنصف إنسان من نفسه علم أنّه عليه السلام لم يكن يذكرهما بما يذكر به عثمان، فإنّ الحال بينه وبين عثمان كانت مضطربة جدّاً[٣].

قلت: إن أراد تنزيه أمير المؤمنين عليه السلام عن ذكره لهما تنزيهه استصغاراً

---

(١) كفاية الطالب للكنجي: ٨٦.

(٢) صحاح اللغة للجوهري ٦: ٢٣٦٢ مادة (رمى).

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٤٥٩.

لقدرهما عنده فله وجه، وإلّا فكما ذكر معاوية عثمان في كتابه ذكرهما فيه، وكان أشار بذكرهما إغضاباً له عليه السلام بما يكون عليه أشدّ من ذكر عثمان، فمرّ أنّ معاوية كتب إليه عليه السلام: «فكان أفضلهم مرتبة، وأعلاهم عند الله والمسلمين منزلة الخليفة الأوّل الّذي جمع الكلمة، ولمّ الدّعوة، وقاتل أهل الردّة، ثمّ الخليفة الثاني الّذي فتح الفتوح، ومصّر الأمصار، وأذلّ رقاب المشركين -إلى أن قال في كتابه إليه عليه السلام -: وما يوم المسلمين منك بواحد، لقد حسدت أبا بكر والتويت عليه، ورمت إفساد أمره، وقعدت في بيتك، واستغويت عصابة من النّاس حتّى تأخّروا عن بيعته، ثمّ كرهت خلافة عمر وحسدته، واستطلت مدّته، وسررت بقتله، وأظهرت الشماتة بمصابه، حتّى أنّك حاولت قتل ولده لأنّه قتل قاتل أبيه» وفي جوابه عليه السلام لمعاوية «وزعمت أنّ أفضل النّاس في الإسلام فلان وفلان»[1].

وقول ابن أبي الحديد: «وإذا أنصف الإنسان...» مغالطة، فإنّهما لم يهتكا السّتر، كما هتك عثمان، حتّى يذكرهما بما كان يذكره، وهو غير مناف لأن يذكرهما بمثل الفقرة، مع أنّ الأصل في أمر عثمان هما.

ويشهد لإرادته الثّلاثة حسبما يقتضيه السّياق -غير خطبه الأُخرى من الشقشقية وغيرها- كلامه عليه السلام هنا بعد: «فإنّا صنائع ربّنا، والنّاس بعد صنائع لنا».

ولم يفرّ من كونهما ممّن مالت به الرّميّة، وقد فرّا براية النبيّ صلى الله عليه وآله في خيبر حتّى قال صلى الله عليه وآله: «لأعطينّ الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله

(١) هذه قطعة متن كتاب لمعاوية رواه ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٤٥٦، وقطعة من كتاب لعليّ عليه السلام رواه الشريف الرضي في نهج البلاغة ٣: ٣٠ الكتاب ٢٨.

ورسوله»[١]. فأفصح عليه السلام عن كونهما غير محبّي الله ورسوله، وكون الله ورسوله غير محبيّن لهما، وقد نزل جبرئيل بعزل الأوّل من الله تعالى في بعثه بآيات براءة[٢]؛ ولمّا قال عمر لابن عبّاس: «ما أرى صاحبك إلّا مظلوماً» فقال له ابن عبّاس: «فاردد عليه ظلامته». فقال له عمر: «استصغره قومه». فقال له ابن عبّاس: «والله ما استصغره الله ورسوله حين أمراه أن يأخذ (براءة) من صاحبك»[٣].

وقد نسب الثّاني إلى النبيّ صلى الله عليه وآله الّذي قال تعالى فيه: ﴿وما ينطق عن الهوى * إن هو إلّا وحيٌ يوحى﴾[٤] أنّه يهجر، لمّا أراد الوصيّة وتعيين أمير المؤمنين عليه السلام بالكتابة بإقرار عمر نفسه، ولا يقتصر على مشاقهاته ومنعه عن الوصيّة ولا مصيبة فوقه، كما كان ابن عباس يقولها كراراً، ويبكي من ذلك بكاء الثّكلى[٥]، وتركا جنازته وتكالبا على الرّياسة حتّى أرادا إحراق أهل بيت نبيّهما[٦]، وبعثهما النبيّ صلى الله عليه وآله في جيش أُسامة، ولعن المتخلّف عنه، وتخلّفا عنه[٧]، وآذيا بضعته سيّدة النّساء حتّى مرضت وتوفيت وأوصت أن تدفن سرّاً، حتّى لا يحضراها مع قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بكون إيذائها ايذائه، وإيذائه

---

(١) هذا حديث الراية أخرجه أصحاب الحديث عن ثلاثة عشر من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله منهم البخاري في صحيحه ٢: ١٦٥ و ٣: ٥١، ومسلم في صحيحه ٣: ١٤٤١ ح١٣٢ و ٤: ١٨٧٢ ح٣٥، وأحمد في مسنده ٤: ٥٢، والحارث في مسنده عنه المطالب العالية ٤: ٢٣٩ ح٤٣٥٤، وغيرهم عن سلمة بن الأكوع.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ٥: ٢٧٥ ح٣٠٩٠ وأحمد في مسنده ٣: ٢١٢، ٢٨٣ وغيرهم عن أنس، وفي الباب عن علي عليه السلام وابن عباس وأبي سعيد وجابر وسعد وأبي بكر وغيرهم.

(٣) روى هذا المعنى الطبري في تاريخه ٢: ٢٨٩ سنة ٢٣.

(٤) النجم: ٣ ـ ٤.

(٥) صحيح البخاري ١: ٣٢ و ٤: ٧، ٢٧١، وغيره، مر تخريجه في أواخر العنوان ٣ من هذا الفصل.

(٦) السقيفة للجوهري: ٣٨، ٥٠، ٧١، وغيره، مرّ تخريجه في شرح فقرة «الطلقاء» من هذا العنوان.

(٧) السقيفة للجوهري: ٧٥، مسنداً، وغيره مجرداً.

إيذاء الله الّذي لم يكن جزاؤه غير النار[١]. إلى غير ذلك ممّا يجعل أمرهما كالنار على المنار.

«فإنّا صنائع ربّنا، والنّاس بعد صنائع لنا أسوه» قال ابن أبي الحديد: هذا كلام عظيم عال على الكلام، ومعناه عال على المعاني؛ وصنيعة الملك من يصطنعه الملك ويرفع قدره. يقول: ليس لأحد من البشر علينا نعمة بل الله هو الّذي أنعم علينا فليس بيننا وبينه واسطة، والنّاس بأسرهم صنائعنا فنحن الواسطة بينهم وبين الله تعالى، وهذا مقام جليل، ظاهره ما سمعت وباطنه أنّهم عبيد الله، وأنّ النّاس عبيدهم[٢].

وقال شيخنا الصدوق في (اعتقاداته): يجب أن يعتقد أنّ الله عزّوجلّ لم يخلق خلقاً أفضل من محمّد صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة عليهم السلام، وأنّهم أحب الخلق إلى الله وأكرمهم وأولهم إقراراً به لما أخذ الله ميثاق النبيين، ﴿وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم. قالوا: بلى﴾[٣] ثم قال: ونعتقد أنّ الله تبارك وتعالى خلق جميع الخلق له ولأهل بيته عليهم السلام وأنّه لولاهم ما خلق الله سبحانه السّماء والأرض ولا الجنّة ولا النّار، ولا آدم ولا حوّا، ولا الملائكة ولا شيئاً ممّا خلق[٤].

وقال شيخنا المفيد: قد قطع قوم من أهل الإمامة بفضل الأئمة من آل محمّد عليه وعليهم السّلام على سائر من تقدّم من الرّسل والأنبياء، سوى نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، وأوجب فريق منهم لهم الفضل على جميع الأنبياء، سوى أُولي العزم منهم، وأبى القولين فريق منهم آخر، وقطعوا بفضل الأنبياء كلّهم

---

(١) حديث النبيّ صلى الله عليه وآله مرّ تخريجه في العنوان ٥ من هذا الفصل. وأما أذيّتهما فاطمة عليها السلام وعدم إذنها أن يصلّي عليها أبو بكر فرواه البخاري في صحيحه ٣: ٥٥، ومسلم في صحيحه ٣: ١٣٨٠ ح ٥٢، وأحمد في مسنده ١: ٩، وغيرهم.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٤٥٩.

(٣) الأعراف: ١٧٢.

(٤) الاعتقادات للصدوق: ٣٥، ٣٦.

على سائر الأئمة عليهم السلام، وهذا باب ليس للعقول في إيجابه والمنع منه مجال، ولا على أحد الأقوال فيه إجماع. ثمّ قال: وفي القرآن مواضع تقوّي العزم على ما قال الفريق الأوّل[١].

ويشهد لكونه عليه السلام من صنائع الله ما رواه الكنجي الشّافعي في مناقبه مسنداً عن زيد بن أرقم قال: كان لنفر من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله أبواب شارعة في المسجد، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: سدّوا هذه الأبواب إلّا باب عليّ. فتكلّم في ذلك النّاس، فقام النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: إنّي أُمرت بسدّ هذه الأبواب غير باب عليّ، فقال قائلكم. والله ما سددته ولا فتحته، ولكنّي أُمرت بشيء فاتّبعته[٢].

وما رواه عن جابر قال: دعا النّبيّ صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام يوم الطائف فانتجاه، فقال النّاس: لقد طال نجواه مع ابن عمّه. فقال النّبي صلى الله عليه وآله: ما انتجيته ولكن الله انتجاه. ورواه جامع التّرمذي[٣].

وما رواه (خصائص الرّضي) رضوان الله عليه مرفوعاً: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لمّا أجمع على المضي إلى تبوك ناجى عليّاً عليه السلام فأطال، فقال أبو بكر لعمر: لقد أطال مناجاته لابن عمّه. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: ما أنا ناجيته، ولكن الله ناجاه. وفي ذلك يقول حسّان:

ويوم الثّنية عند الوداع ... وأجمع نحو تبوك المضيّا
تنحّى يودّعه خاليا ... وقد أوقف المسلمون المطيّا
فقالوا يناجيه دون الأنا ... م والله أدناه منه نجيّا
على فم أحمد يوحى إليه ... كلاماً بليغاً ووحياً خفيّا[٤]

(١) أوائل المقالات للمفيد: ٨١.
(٢) كفاية الطالب للكنجي: ٨٨، والنقل بتلخيص.
(٣) كفاية الطالب للكنجي: ١٨٦، وسنن الترمذي ٥: ٦٣٩ ح٣٧٢٦.
(٤) خصائص الأئمة للشريف الرضي: ٣٦.

قلت: ومن خبره يفهم أنّ القائل في سدّ الأبواب، وفي نجوى الطائف أيضاً الرّجلان.

وفي (تاريخ اليعقوبي): زوّج النبيّ صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام من عليّ عليه السلام بعد قدومه بشهرين، وقد كان جماعة من المهاجرين خطبوها، فلمّا زوّجها منه عليه السلام قالوا في ذلك، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: ما أنا زوّجته، ولكنّ الله زوّجه[١].

وروى الخطيب في (تاريخ بغداده) في (محمد بن سليمان المعروف بلوين) مسنداً عن سفيان قال: حدّثنا عمرو بن دينار قال: كنت أنا وأبو جعفر فمررنا بإبراهيم بن سعد بن أبي وقاص فقال لي: أنظرني حتّى أسأله عن حديث يحدّثه. فذهب إليه ثمّ جاءني فأخبرني أنّه حدّثه أنّ عليّاً عليه السلام أتى النبيّ صلى الله عليه وآله وعنده ناس فدخل، فلمّا دخل خرجوا، ثمّ إنّهم قالوا: والله ما أخرجنا النبيّ صلى الله عليه وآله فلِمَ خرجنا. فرجعوا فدخلوا على النبيّ صلى الله عليه وآله فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّي والله ما أخرجتكم وأدخلته، ولكنّ الله هو أدخله وأخرجكم[٢].

هذا، ونظير كلامه عليه السلام كلام المهديّ عليه السلام في ما روى الشّيخ في (غيبته) في توقيعاته: أنّه تشاجر ابن أبي غانم القزويني وجماعة من الشيعة في الخلف، فذكر ابن أبي غانم أنّ أبا محمّد عليه السلام مضى ولا خلف له. ثمّ إنّهم كتبوا في ذلك كتاباً، وأنفذوه إلى الناحية، وأعلموه بما تشاجروا فيه، فورد جواب كتابهم بخطّه عليه السلام: أُنهي إليّ ارتياب جماعة منكم في الدّين، وما دخلهم من الشّكّ والحيرة في ولاة أُمورهم فغمّنا ذلك لكم لا لنا، وساءنا فيكم لا فينا، لأنّ الله معنا، ولا فاقة بنا إلى غيره، والحق معنا، فلن يوحشنا من قعد عنّا، ونحن صنائع ربّنا، والخلق بعد صنائعنا[٣].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٤١، والنقل بالمعنى.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٥: ٢٩٤.

(٣) الغيبة للطوسي: ١٧٢ والنقل بتقطيع.

هذا، وقد قال التميمي في الفضل بن سهل ذي الرّياستين:

لعمرك ما الأشراف في كلّ بلدة   وإن عظموا للفضل إلّا صنائع
ترى عظماء الناس للفضل خشّعاً   إذا ما بدوا والفضل لله خاشع

«لم يمنعنا قديم عزّنا ولا عاديّ» وفي (ابن ميثم والخطّية)[١]: «وعادي».

«طولنا على قومك إن خلطناكم بأنفسنا فنكحنا وأنكحنا فعل الأكفاء ولستم هناك» أي: أكفاء لنا، كيف وهاشم منبع كلّ فضيلة، وأُميّة مجمع كلّ رذيلة؟

قال ابن أبي الحديد: ينبغي أن نذكر هاهنا مناكحات بني هاشم وبني عبد شمس: زوّج النبيّ صلّى الله عليه وآله ابنتيه رقيّة وأُمّ كلثوم من عثمان بن عفّان بن أبي العاص، وزوّج ابنته زينب من أبي العاص بن الرّبيع بن عبد العزّى بن عبد شمس في الجاهلية، وتزوّج أبو لهب بن عبد المطّلب أُمّ جميل بنت حرب بن أُميّة في الجاهلية، وتزوّج النبيّ صلّى الله عليه وآله نفسه أُم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب، وتزوّج عبد الله بن عمرو بن عثمان فاطمة بنت الحسين عليه السلام[٢].

قلت: ذكر الأخير خارج عن موضوع كلام أمير المؤمنين عليه السلام لأنّه كان بعده عليه السلام، ولو أراد ابن أبي الحديد مناكحهم بعد لبلغت إلى مائة بل مئات، كما أنّه فاته كثير من مناكحهم قبل، فتزوّج الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطّلب هنداً بنت أبي سفيان، فولدت له على عهد النبيّ صلّى الله عليه وآله عبد الله المعروف ببّه، وتزوّج أمير المؤمنين عليه السلام أُمامة بنت أبي العاص بن ربيعة بن عبد شمس من زينب بنت النبيّ صلّى الله عليه وآله، وتزوج كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس أُمّ حكيم بنت عبد المطّلب، فولدت له أروى أُمّ عثمان، وتزوّج ـ كما في (ذيل الطّبري)[٣] ـ حارث بن حرب بن أُمية صفية بنت عبد المطّلب فولدت له

(١) لفظ شرح ابن أبي الحديد ٣: ٤٥٤، وشرح ابن ميثم ٤: ٤٣٣ مثل المصرية أيضاً.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٤٥٩.

(٣) منتخب ذيل المذيل للطبري: ٩٢.

صفياً، ثمّ خلّف عليها العوّام، وتزوّج عقيل بنتاً لعتبة بن ربيعة، كانت تقول لعقيل: «يا بني هاشم لا يحبّكم قلبي أبداً، أين أبي، أين عمّي، أين أخي -وكان أمير المؤمنين عليه السلام قتلهم في بدر- أين فلان بن فلان؟ كأنّ أعناقهم أباريق فضّة، ترد أنوفهم قبل شفاههم» وكان عقيل يجيبها: إذا دخلت النّار فخذي على يسارك تربنهم.

قال ابن أبي الحديد: روى شيخنا أبو عثمان عن إسحاق بن عيسى بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس، قال: قلت للمنصور أبي جعفر: من أكفاؤنا؟ فقال: أعداؤنا. فقلت: من هم؟ قال: بنو أميّة[١].

قلت: مراد أمير المؤمنين عليه السلام ببني هاشم المفهوم من قوله عليه السلام: «لم يمنعنا...» أهل بيت النّبيّ صلى الله عليه وآله. والعبّاسيون وإن كانوا من الهاشميين نسباً إلّا أنّهم صاروا بمخالفتهم لهم عليهم السلام كالأمويّين، فلا أثر لإقرار المنصور لأن يعارض إنكاره عليه السلام.

قال ابن أبي الحديد: قال الجاحظ: لمّا ماتت الابنتان تحت عثمان قال النبيّ صلى الله عليه وآله لأصحابه: «ما تنتظرون بعثمان ألّا أبو أيم ألا أخو أيم، زوّجته ابنتين ولو أنّ عندي ثالثة لفعلت» ولذلك سمّي ذا النّورين[٢].

قلت: هو من الأخبار التي أمر معاوية بوضعها لعثمان، وكيف لا، وقد روى إبراهيم الثّقفي في (تاريخه) عن رجالهم عن القاسم بن مصعب العبدي، قال: قام عثمان ذات يوم خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: نسوة يكتبن في الآفاق لتنكث بيعتي ويهراق دمي، والله لو شئت أن أملأ عليهنّ حجراتهنّ رجالاً سوداً وبيضاً لفعلت. ألست ختن رسول الله على ابنتيه؟ -إلى أن قال- اذ تكلمت امرأة من وراء الحجاب، فجعل تبدو لنا خمارها احياناً، فقالت:

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٤٥٩.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٤٦٠.

صدقت لقد كنت ختن رسول الله ﷺ على ابنتيه فكان منك فيهما ما قد علمت[١].

وقد روى (أنساب البلاذري): أنّ عثمان أخفى عمّه المغيرة ـ الّذي جدع أنف حمزة ـ في موضع من بيته، وبعث النبيّ ﷺ لطلبه من بيته، فأشارت اُمّ كلثوم إلى موضعه[٢].

وكان عثمان يقدّم قتل نفسه على قتل أقربائه بني اُمّية؛ فلما حضروه رضوا منه بأن يطرد مروان من عنده، فاختار قتل نفسه على طرد مروان، فما ظنّك بمعاملة عثمان معها وقد صارت سبباً لقتل عمّه؟ فقتله النبيّ ﷺ اخيراً، فكيف يعقل أن يحث النبي ﷺ على تزويجه ويتأسّف على عدم بنت اُخرى له يزوّجها به؟ ولو كان لخبره حقيقة أما كان معاوية يجيب أمير المؤمنين عليه السلام عن قوله: «ولستم هناك» بذلك.

هذا، وفي (مناقب السّروي) قالوا: خطب الحسن عليه السلام عائشة بنت عثمان، فقال مروان: أزوّجها عبد الله بن الزّبير. ثمّ إن معاوية كتب إلى مروان ـ وكان عامله على الحجاز ـ: بعد أن يخطب اُمّ كلثوم بنت عبد الله بن جعفر لابنه يزيد. فقال عبد الله بن جعفر: إنّما أمرها إلى سيّدنا الحسين عليه السلام، وهو خالها فاُخبر عليه السلام بذلك، فقال: اللّهمّ وفّق لهذه الجارية رضاك. فلمّا اجتمع الناس أقبل مروان حتّى جلس إليه عليه السلام وعنده من الجلّة فقال: إنَّ معاوية أمرني أن أجعل مهرها حكم أبيها بالغاً ما بلغ، مع قضاء دينه، مع صلح ما بين هذين الحييّن، واعلم أنّ من يغبطكم بيزيد أكثر ممّن يغبطه بكم، والعجب كيف يستمهر يزيد، وهو كفو من لا كفو له، وبوجهه يستسقى الغمام؟ فردّ خيراً يا أبا

(١) نقله عنه المجلسي في تقريب المعارف عنه فتن البحار: ٢٢٠.

(٢) رواه البلاذري في أنساب الأشراف ١: ٣٣٧، ٣٣٨ و ٤ ق ٢: ١٦٩ و ٥: ١٦٤، وفيه معاوية بن المغيرة ابن عمه، لكن سياق المتن رواه الكليني في الكافي ٣: ٢٥١ ح٨، والراوندي في الخرائج ١: ٨٥.

عبد الله. فقال عليه السلام: الحمد لله الذي اختارنا لنفسه، وارتضانا لدينه، واصطفانا على خلقه. ثمّ قال لمروان: أمّا قولك: «مهرها حكم أبيها» فلعمري لو أردنا ذلك ما عدونا سنّة النبيّ صلى الله عليه وآله في بناته ونسائه وأهل بيته، وأمّا قولك: «مع قضاء دين أبيها» فمتى كانت نساؤنا يقضين عنّا ديوننا؟ وأمّا «صلح ما بين هذين الحييّن» فإنّا قوم عاديناكم في الله، ولم نكن نصالحكم للدّنيا، فلعمري لقد أعيا النّسب، فكيف السّبب؟ وأمّا قولك: العجب ليزيد كيف يستمهر فقد استمهر من هو خير من يزيد وأبيه وجدّه، وأمّا قولك: «يزيد كفو من لا كفو له» فمن كان كفوه قبل اليوم، فهو كفوه اليوم، ما زادته أمارته في الكفأة شيئاً، وأمّا قولك: «بوجهه يستسقى الغمام» فانّما كان ذلك بوجه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وأمّا قولك: «من يغبطنا به أكثر ممّن يغبطه بنا» فإنّما يغبطنا به أهل الجهل، ويغبطه بنا أهل العقل. ثمّ قال بعد كلام: اشهدوا أنّي قد زوّجت أُم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر من ابن عمّها قاسم بن محمّد بن جعفر، وقد نحلتها ضيعتي بالمدينة -أو قال: أرضي بالعقيق- وغلّتها في السنة ثمانية آلاف دينار، ففيها لهما غنى إن شاء الله. فتغيّر وجه مروان، وقال: أغدراً يا بني هاشم؟ فذكّره الحسين خطبة الحسن عليه السلام وفعله. ثمّ قال: فأين موضع الغدر يا مروان؟ فقال مروان:

أردنا صهركم لنجدّ ودّاً ... قد اخلفه به حدث الزّمان
فلمّا جئتكم فجبهتموني ... وبحتم بالضّمير من الشّنان

فأجابه ذكوان مولى بني هاشم، وقال:

أماط الله عنهم كلّ رجس ... وطهّرهم بذلك في المثاني
فمالهم سواهم من نظير ... ولا كفو هناك ولا مدان
أيجعل كلّ جبّار عنيد ... إلى الأخيار من أهل الجنان[1]

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب ٤: ٣٨.

«ومنّا النبيّ»[١] في (العقد) قيل لمعاوية: أخبرنا عنكم وعن بني هاشم. قال: بنو هاشم أشرف واحداً، ونحن أشرف عدداً، فما كان إلّا كلا وبلى حتّى جاؤوا بواحدة بذّت الأوّلين والآخرين.

قال صاحب (العقد): أراد بقوله «أشرف واحداً» عبد المطّلب، وبقوله «حتّى جاؤوا» النبيّ صلّى الله عليه وآله[٢].

قلت: إقرار معاوية مقبول وادّعاؤه غير مقبول، فبنو هاشم أيضاً كانوا أشرف عدداً، ولم ينحصر الشّريف فيهم بعبد المطّلب، وأنّى كان في بني أُميّة مثل هاشم والزّبير بن عبد المطّلب، وأبي طالب بن عبد المطّلب، وحمزة بن عبد المطّلب، وجعفر بن أبي طالب، وأشراف بني أُميّة أشراف جبابرة؟ فأشرف أشرافهم عثمان ـ الّذي أحدث منكرات، إلى أن اضطر النّاس إلى قتله ـ كجبّار العمالقة في طسم وجديس، وأشراف هاشم أشراف مثل الأنبياء والأولياء حتّى في الجاهلية. فكان عبد المطلب ذا كرامات، فمثل أشرافهم وأشراف هاشم قول النّابغة:

إنّا اقتسمنا خطتينا بيننا فحملت برّة واحتملت فجار

ولم ينحصر إتيان بني هاشم بمن بذّ الأوّلين والآخرين بالنبيّ صلّى الله عليه وآله، فأتوا بآخر مثله: أمير المؤمنين عليه السلام بنصّه تعالى: ﴿... وأنفسنا...﴾[٣] وبالعيان والوجدان، إلّا أنّ معاوية كمن أسّس له الأمر كانوا يذعنون للنبيّ صلّى الله عليه وآله، لأنّهم أرادوا أكل الدّنيا باسمه، وجحدوه عليه السلام، لأنّه كان مانعاً لهم من ذلك.

---

(١) أسقط الشارح هنا شرح فقرة: «وأنى يكون ذلك كذلك».

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه ٣: ٢٣٨.

(٣) آل عمران: ٦١.

هذا، وفي معنى قوله عليه السلام «ومنّا النبيّ» قول دعبل في قصيدته المعروفة الّتي أوّلها «مدارس آيات...»:

وإن فخروا يوماً أتوا بمحمّد وجبريل والفرقان ذي السّورات

«ومنكم المكذّب» قال تعالى: ﴿وإنّا لنعلم أنّ منكم مكذّبين﴾[1].

وعن (صحيحي مسلم والبخاري) في تفسير قوله تعالى: ﴿هذا خصمان اختصموا في ربّهم...﴾[2] نزلت في عليّ وحمزة وعبيدة الّذين بارزوا المشركين -يوم بدر- عتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة[3].

وروى ابن بابويه عن النّضر بن مالك قال: قلت للحسين عليه السلام: حدّثني عن قوله تعالى: ﴿هذان خصمان اختصموا في ربّهم...﴾[4]. قال: نحن وبنو أُميّة اختصمنا في الله عزّوجلّ، قلنا: صدق الله. وقالوا: كذب الله. فنحن وإيّاهم الخصمان يوم القيامة[5].

قلت: ولا تنافي بين هذا الخبر والخبر السابق، فإنّ الظاهر أنّ أصل النّزول في أمير المؤمنين عليه السلام وصاحبيه، وجرى في باقي أهل بيته، فالمراد بـ(خصمان) في الآية الجنس، ولذا أرجع ضمير الجمع إليه بعد.

وقال ابن أبي الحديد: يعني عليه السلام بالمكذّب أبا سفيان، فكان المكذّب له والمجلب عليه. وقال الرّاوندي: المكذّب من كان يكذّب النبيّ صلى الله عليه وآله عناداً من قريش. وهذا طريف، لأنّه لم يلحظ أن يجعل بإزاء النّبي صلى الله عليه وآله مكذّب من بني

---

(١) الحاقة: ٤٩.

(٢) الحج: ١٩.

(٣) رواه البخاري بطرق في صحيحه ٣: ٥، ومسلم بطريقين في صحيحه ٤: ٢٣ ح٣٤ وعدّة أُخرى جمع بعض طرقه السيوطي في الدر المنثور ٤: ٣٤٨.

(٤) الحج: ١٩.

(٥) الخصال للصدوق: ٤٢ ح٣٥.

عبد شمس، وليس كلّ من كذّبه من قريش يوجب أن يعيّر به معاوية[١].

قلت: وأطرف منه قول ابن ميثم: ذكر النبيّ صلى الله عليه وآله وقابله بالمكذّب له من بني أُمّية وهو أبو جهل بن هشام[٢]. فإنّ أبا جهل إنّما كان من بني مخزوم لا بني أُمّية، لكن ما قاله ابن أبي الحديد أيضاً من كون المكذّب أبا سفيان بالخصوص غير صواب أيضاً، بل مراده عليه السلام جمهور بني عبد شمس: عتبة جدّ معاوية لأُمّه، والشّيبة عمّ أُمّه، والوليد خاله، وحنظلة أخوه الّذي قُتل يوم بدر مع جدّه عتبة، كذّبوه صلى الله عليه وآله ولم يسلم أحد منهم بل قتلوا كافرين، وهو وأبوه وأخوه يزيد اللذان لعنهم النبيّ صلى الله عليه وآله في غير موطن، وهم وإن أسلموا يوم الفتح لكن أسلموا كرهاً، لحقن دمائهم وأبطنوا كفرهم.

وأمّا أبوه فيشهد لبقائه على كفره ما رواه ابن عبد البر في (استيعابه) عن عبد الله بن الزبير: أنّه رأى أبا سفيان يوم اليرموك فكانت الرّوم إذا ظهرت قال: إيه بني الأصفر. وإذا كشفهم المسلمون قال:

وبنو الأصفر الملوك ملوك الـ روم لم يبق منهم مذكور

فحدّث أباه الزّبير بذلك، فقال: قاتله الله يأبى إلّا نفاقاً[٣].

وما رواه عن الحسن البصري: أنّ أبا سفيان دخل على عثمان حين صارت الخلافة إليه، فقال لعثمان: قد صارت إليك بعد تيم وعدي فأدرها كالكرة، واجعل أوتادها بني أُميّة فإنّما هو الملك، ولا أدري ما جنّة ولا نار[٤].

وأمّا معاوية نفسه فيشهد لبقائه على كفره ما نقله المسعودي عن (موفّقيّات ابن بكار) عن مطرف بن المغيرة قال: وفدت مع أبي المغيرة إلى

---

(١) قاله ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٤٦٠، والراوندي في شرحه ٣: ٧٥ والنقل بالمعنى.

(٢) شرح ابن ميثم ٤: ٤٤٠.

(٣ و ٤) الاستيعاب لابن عبد البر ٤: ٨٧.

معاوية، فكان أبي يأتيه يتحدّث عنده ثم ينصرف إليّ فيذكر معاوية -إلى أن قال- قال أبي: قلت لمعاوية: إنّك بلغت منّا فلو أظهرت عدلاً، ولو نظرت إلى إخوانك من بني هاشم فوصلت أرحامهم. فقال: هيهات ملك أخو تيم فعدل ما فعل، فماعدا أن هلك فهلك ذكره -إلى أن قال- قال معاوية: وإنّ أخا هاشم يصرخ به في كلّ يوم خمس مرّات: «أشهد أنّ محمّداً رسول الله»، فأيّ أمل يبقى مع هذا، لا أُم لك، والله إلا دفناً دفناً.

قال المسعودي: والمأمون لمّا سمع هذا نادى مناديه في سنة (٢١٢): «برئت الذمّة ممّن ذكر معاوية بخير»[١].

بل يمكن أن يقال: إنّ بني أُميّة كلّ منهم مكذّب، من مضى منهم، ومن غبر، حيث إنّهم الشجرة الملعونة في القرآن، ويأتي قول يزيد:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل[٢]

وقال المسعودي أيضاً في (مروجه): إنّ الوليد بن يزيد قرأ ذات يوم ﴿واستفتحوا وخاب كلّ جبّار عنيد* من ورائه جهنّم ويسقى من ماء صديد﴾[٣] فدعا بالمصحف فنصبه غرضاً للنشاب وأقبل يرميه وهو يقول:

أتوعد كلّ جبار عنيد فها أنا ذاك جبّار عنيد

إذا ما جئت ربّك يوم حشر فقل يا ربّ خرّقني الوليد[٤]

وذكر المبرد أنّ الوليد ألحد في شعر له ذكر فيه النبيّ ﷺ وأنّ الوحي لم يأته عن ربّه -كذب أخزاه الله- ومن ذلك قوله:

تلعّب بالخلافة هاشمي بلا وحي أتاه ولا كتاب

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٤٥٤ والنقل بتلخيص.

(٢) مرّ في العنوان ٤ من هذا الفصل.

(٣) إبراهيم: ١٥ ـ ١٦.

(٤) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٢١٦.

فقل لله يمنعني طعامي   وقل لله يمنعني شرابي

فلم يمهل بعد قوله إلّا أيّاماً حتّى قتل[١].

وفي (الطبري): ذكر الوليد عند المنصور، فقال أبو بكر الهذلي: حدّثني ابن عمٍّ للفرزدق عن الفرزدق قال: حضرت الوليد بن يزيد وعنده ندماؤه، وقد اصطبح فقال لابن عايشة: تغنّ بشعر ابن الزبعرى:

ليت أشياخي ببدر شهدوا   جزع الخزرج من وقع الأسل

وقتلنا الضّعف من ساداتهم   وعدلنا ميل بدر فاعتدل

فقال ابن عايشة: لا أُغنّي هذا. فقال: غنّه وإلّا جدعت لهواتك. فغنّاه، فقال له: أحسنت، والله إنّه لعلى دين ابن الزبعرى يوم قال هذا الشعر[٢].

وفي (الطبري) أيضاً: وعزم المعتضد في سنة (٢٨٤) على لعن معاوية على المنابر، وأمر بإنشاء كتاب بذلك يقرأ على الناس ـ إلى أن قال ـ وتقدّم إلى الشرّاب والّذين يسقون الماء ألّا يترحموا على معاوية، ولا يذكروه بخير، فذكر أنّ المعتضد أمر بإخراج الكتاب الّذي كان المأمون أمر بإنشائه بلعن معاوية فأخرج له من الديوان ـ إلى أن قال ـ في الكتاب: «إنّ الله عزّوجلّ لمّا ابتعث محمّداً بدينه وأمره أن يصدع بأمره بدأ بأهله وعشيرته ـ إلى أن قال ـ وأوّل معاندي النبيّ صلّى الله عليه وآله ومكذّبيه في كلّ حرب ومناصبة، لا يرفع على الإسلام راية، إلّا كان صاحبها وقائدها ورئيسها في كلّ مواطن الحرب، من بدر وأُحد والخندق والفتح: أبو سفيان بن حرب وأشياعه من بني أُمية، الملعونين في كتاب الله، ثمّ الملعونين على لسان النبيّ صلّى الله عليه وآله في عدّة مواطن وعدّة مواضع، لماضي علم الله فيهم وفي أمرهم ونفاقهم، وكفر أعلامهم،

(١) رواه عنه المسعودي في ٣: ٢١٦.

(٢) تاريخ الطبري ٦: ٣٣٧ سنة ١٥٨ والنقل بتقطيع.

فحارب مجاهداً ودافع مكابداً وأقام منابذاً، حتّى قهره السيف وعلا أمر الله وهم كارهون، فتقوّل بالإسلام غير منطوٍ عليه، وأسرّ الكفر غير مقلع عنه، فعرفه بذلك النّبيّ صلى الله عليه وآله والمسلمون، وميّز له (المؤلفة قلوبهم) فقبله وولده على علم منه.

فمما لعنهم الله على لسان نبيّه، وأنزل به كتاباً قوله تعالى: ﴿...وَالشّجرة الملعونة في القرآن ونخوّفهم فما يزيدهم إلّا طغياناً كبيراً﴾[1]، ولا اختلاف بين أحد أنّه أراد به بني أُمية.

ومنه: قول النّبيّ صلى الله عليه وآله وقد رآه مقبلاً على حمار، ومعاوية يقود به، ويزيد ابنه يسوق به: «لعن الله القائد والرّاكب والسّائق».

ومنه: ما يرويه الرّواة من قوله: «يا بني عبد مناف تلقّفوها تلقف الكرة فما من جنّة ولا نار» وهذا كفر صراح يلحقه به اللّعنة من الله كما لحقت الّذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود، وعيسى بن مريم، ﴿ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾[2].

ومنه: ما يروون من وقوفه على ثنيّة أُحد بعد ذهاب بصره، وقوله لقائده: هاهنا ذببنا محمّداً وأصحابه.

ومنه: الرّؤيا الّتي رآها النبيّ صلى الله عليه وآله فوجم لها، فما رؤي ضاحكاً بعدها، فأنزل الله ﴿... وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلّا فتنة للنّاس...﴾[3]، فذكروا أنّه رأى نفراً من بني أُميّة ينزون على منبره.

ومنه: طرد النبيّ صلى الله عليه وآله الحكم بن أبي العاص لحكايته إيّاه، وألحقه الله

(١) الإسراء: ٦٠.

(٢) البقرة: ٦١.

(٣) الإسراء: ٦٠.

بدعوة رسوله آية باقية حين رآه يتخلّج، فقال له: «كن كما أنت»، فبقي على ذلك سائر عمره، إلى ما كان من مروان في افتتاحه أوّل فتنة كانت في الإسلام، واحتقابه لكلّ دم حرام سُفك فيها أو أُريق بعدها.

ومنه: ما أنزل الله تعالى على نبيّه صلّى الله عليه وآله: ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾[1] أي: ملك بني أميّة.

ومنه: أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله دعا بمعاوية ليكتب بأمره بين يديه، فدافع بأمره واعتلّ بطعامه، فقال النبيّ صلّى الله عليه وآله: «لا أشبع الله بطنه»، فبقي لا يشبع ويقول: «والله ما أترك الطعام شبعاً ولكن أعيا».

ومنه: أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله قال: «يطلع من هذا الفجّ رجل من أُمتي، يحشر على غير ملّتي» فطلع معاوية.

ومنه: أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله قال: «إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه».

ومنه: الحديث المرفوع المشهور: «أنّ معاوية في تابوت من النّار في أسفل درك منها ينادي: يا حنّان يا منّان. ويجاب: ﴿آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين﴾»[2].

ومنه انبراؤه بالمحاربة لأفضل المسلمين في الإسلام مكاناً وأقدمهم إليه سبقاً، وأحسنهم فيه ذكراً وأثراً عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ينازعه حقّه بباطله -إلى أن قال- حتّى احتمل أوزار تلك الحروب، وما أتبعها، وتطوّق تلك الدّماء، وما سفك بعدها، وسنّ سنن الفساد الّتي عليه إثمها، وإثم من عمل بها، وأباح المحارم لمن ارتكبها، ومنع الحقوق أهلها، واغترّه الإملاء، واستدرجه الإمهال، والله له بالمرصاد.

---

(١) القدر: ٣.

(٢) يونس: ٩١.

ثمّ ممّا أوجب الله له به اللّعنة قتله من قتل صبراً من خيار الصّحابة والتّابعين، وأهل الفضل والدّيانة، مثل عمرو بن الحمق، وحجر بن عدي، ومن قتل من أمثالهم في أن يكون له العزّة، والملك والغلبة، ولله العزّة والملك والقدرة، والله عزّوجلّ يقول: ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمّداً فجزاؤه جهنّم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدّ له عذاباً عظيماً﴾[1].

وممّا استحق به اللّعنة ادّعاؤه زياد بن سميّة جرأة على الله، والله يقول: ﴿ادعوهم لآبائهم...﴾[2]، والنبيّ صلى الله عليه وآله يقول: «ملعون من ادّعى إلى غير أبيه، وانتمى إلى غير مواليه» ويقول: «الولد للفراش وللعاهر الحجر».

ومنه ايثاره بدين الله، ودعاؤه عباد الله إلى ابنه يزيد المتكبّر الخمّير صاحب الديوك والفهود والقرود، وأخذه البيعة له على خيار المسلمين بالقهر والسّطوة، والتّوعيد والإخافة، والتّهديد والرّهبة، وهو يعلم سفهه، ويطلع على خبثه ورهقه، ويعاين سكرانه وفجوره وكفره، فلمّا تمكّن مما مكّنه منه، ووطّأه له، وعصى الله ورسوله فيه، طلب بثارات المشركين وطوائلهم عند المسلمين، فأوقع بأهل الحرّة الوقيعة التي لم تكن في الاسلام أشنع منها، ولا أفحش في ما ارتكب من الصّالحين فيها، وشفى بذلك غليله عند نفسه، وظنّ أن قد انتقم من أولياء الله، وبلغ النوى لأعداء الله، فقال مجاهراً بكفره، ومظهراً لشركه:

ليت أشياخي ببدر شهدوا	جزع الخزرج من وقْع الأسل
قد قتلنا القرم من ساداتكم	وعدلنا ميل بدر فاعتدل
فأهلّوا واستهلّوا فرحاً	ثمّ قالوا يا يزيد لا تشل

(١) النساء: ٩٣.

(٢) الأحزاب: ٥.

لست من خندف إن لم أنتقم ‏ ‏ ‏ ‏ من بني أحمد ما كان فعل
لعبت هاشم بالملك فلا ‏ ‏ ‏ ‏ خبر جاء ولا وحيٌ نزل

هذا هو المروق من الدّين، وقول من لا يرجع إلى الله، ولا إلى دينه ولا إلى كتابه ولا إلى رسوله، ولا يؤمن بالله، ولا بما جاء من عند الله.

ثمّ من أغلظ ما انتهك وأعظم ما اخترم سفكه دم الحسين بن عليّ وابن فاطمة بنت النبيّ صلى الله عليه وآله، مع موقعه من النبيّ صلى الله عليه وآله ومكانه منه، ومنزلته من الدّين والفضل، وشهادة النبيّ صلى الله عليه وآله له ولأخيه بسيادة شباب أهل الجنّة، اجتراءً على الله، وكفراً بدينه، وعداوة لرسوله، ومجاهدة لعترته، واستهانة بحرمته، فكأنّما يقتل به وبأهل بيته قوماً من كفّار أهل الترك والديلم، لا يخاف من الله نقمة، ولا يرقب منه سطوة، فبتر الله عمره، واجتثّ أصله وفرعه، وسلبه ما تحت يده، وأعدّ له من عذابه وعقوبته ما استحقّه بمعصيته.

هذا إلى ما كان من بني مروان من تبديل كتاب الله، وتعطيل أحكامه، واتّخاذ مال الله دولاً بينهم، وهدم بيته واستحلال حرم الله، ونصبهم المجانيق عليه، ورميهم إيّاه بالنّيران، لا يألون له إحراقاً وإخراباً، ولما حرّم الله منه استباحة وانتهاكاً، ولمن لجأ إليه قتلاً وتنكيلاً(١).

«ومنّا أسد الله» يعني عليه السلام به حمزة؛ قال الواقدي في (تاريخه)، وكاتبه في (طبقاته)، والقمي في (تفسيره)، والمفيد في (إرشاده): إنّ عتبة وشيبة والوليد يوم بدر نادوا: يا محمّد أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا. فأخرج لهم حمزة وعلياً عليه السلام وعبيدة. فقال حمزة ـ لما قالوا: عرّف نفسك ـ: أنا حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله(٢).

---

(١) تاريخ الطبري ٨: ١٨٢ ـ ١٨٨ سنة ٢٨٤.

(٢) مغازي الواقدي ١: ٦٨، والطبقات لابن سعد ٢ ق١: ١٠، وتفسير القمي ١: ٢٦٤، ٢٦٥، وارشاد المفيد: ٤٠.

وفي (سيرة ابن هشام): لمّا وقف النبيّ صلى الله عليه وآله على حمزة -بعد قتله يوم أحد- قال: لن أُصاب بمثلك أبداً، ما وقفت موقفاً قطّ أغيظ إليّ من هذا. ثمّ قال: جاءني جبرئيل فأخبرني أنّ حمزة بن عبد المطلب مكتوب في أهل السّماوات السّبع: «حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله». وكان أخاً للنّبيّ صلى الله عليه وآله من الرضاعة، أرضعتهما مولاة لأبي لهب[1].

وفي (الطبري) في سبب إسلامه: أنّ أبا جهل مرّ بالنبيّ صلى الله عليه وآله وهو جالس عند الصّفا، فآذاه وشتمه، ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه والتّضعيف له، فلم يكلّمه النبيّ صلى الله عليه وآله، وكانت مولاة لعبد الله بن جدعان التّيمي في مسكن لها فوق الصّفا تسمع ذلك، ثمّ انصرف أبو جهل عنه، فعمد إلى نادي قريش عند الكعبة فجلس معهم، فلم يلبث حمزة أن أقبل متوشحاً قوسه راجعاً من قنص له، وكان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتّى يطوف بالبيت، وكان إذا فعل ذلك لم يمرّ على نادٍ من قريش إلّا وقف وسلّم وتحدّث معهم، وكان أعزّ قريش وأشدّها شكيمة، فلمّا مرّ بالمولاة وقد قام النّبيّ ورجع إلى بيته قالت: يا أبا عمارة لو رأيت ما لقي ابن أخيك قبل أن تأتي من أبي الحكم، وجده هاهنا جالساً فسبّه وآذاه، وبلغ منه ما يكره، ثمّ انصرف عنه ولم يكلّمه. فامتلأ حمزة بالغضب لما أراد الله به من كرامته، فخرج سريعاً لا يقف على أحد -كما كان يصنع- يريد الطّواف، معدّاً لأبي جهل إذا لقيه أن يقع به، فلمّا دخل المسجد نظر إليه جالساً في القوم، فأقبل نحوه، حتّى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها ضربة، فشجّه بها شجّة منكرة وقال: أتشتمه وأنا على دينه، أقول ما يقول، فردّ ذلك عليّ إن استطعت -إلى أن قال- وتمّ حمزة على إسلامه، فلمّا أسلم حمزة عرفت قريش أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد عزّ، وأنّ حمزة

---

(١) السيرة لابن هشام ٣: ٣٩.

سيمنعه، فكفّوا عنه بعض ما كانوا ينالون منه[١].

«ومنكم أسد الأحلاف» قال ابن أبي الحديد: يعني عتبة بن ربيعة، كما مرّ في شرح قصّة بدر[٢].

قلت: قال ثمة: قال الواقدي: قال حمزة: أنا حمزة بن عبد المطّلب أسد الله وأسد رسوله. فقال عتبة: كفو كريم وأنا أسد الحلفاء.

قال ابن أبي الحديد الزّناد: قال أبي: لم أسمع لعتبة كلمة قط أوهن من قوله: «أنا أسد الحلفاء»، يعني بالحلفاء الأجمة[٣].

قال ابن أبي الحديد: وروي أنّه قال: وأنا أسد الأحلاف. وقالوا في تفسيرهما: أراد أنا سيّد أهل حلف المطيّبين، وكان الّذين حضروه بني عبد مناف، وبني أسد بن عبد العزّى، وبني تميم، وبني زهرة، وبني الحارث بن فهر. وردّه قوم بأنّ المطيّبين لم يكن يقال لهم: الحلفاء، ولا الأحلاف وإنّما ذلك لقب خصومهم: بنو عبد الدّار، وبنو مخزوم، وبنو سهم، وبنو جمح، وبنو عدي. وقال قوم في تفسيرهما: عنى حلف الفضول. وهو غير صحيح، لأنّ بني عبد شمس لم يكونوا في حلف الفضول، فبان أنّ ما ذكره الواقدي أصح[٤].

قلت: وعلى ما ذكره ثمة لم يصح قوله هنا: «يعني عليه السلام بأسد الأحلاف عتبة» بل لا يصح ولو كان المراد شيبة، فإنّهما لم يكونا من الأحلاف حتّى يكونا أسدهم أو تغليبهم.

والصّواب أن يقال: إنّ الأحلاف في رواية الرّضي محرف (الحلفاء) فاتّفق الواقدي وابن سعد كاتب الواقدي، وعليّ بن إبراهيم القمي على التعبير

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٧٢.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٤٦٠، مرّ في العنوان ٣٢ من الفصل السادس.

(٣) المغازي للواقدي ١: ٦٨، ٦٩ وعنه ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٣٣٧.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٣٣٧.

بأسد الحلفاء وإن جعله الأخير شيبة(١)، ومرّ نص الأوّل، وقال الثّاني: فقال عتبة تكلّموا نعرفكم -وكان عليهم البيض- فقال حمزة: أنا حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله. فقال عتبة: كفو كريم وأنا أسد الحلفاء.

وقال الثّالث: فقال له شيبة: لقد لقيت أسد الحلفاء فانظر كيف تكون صولتك يا أسد الله. ولم أقف على من رواه (أسد الأحلاف) كما في المتن معيناً، وإنّما قال ابن أبي الحديد ثمة [وروي](٢)، ولعلّه أراد به ما في المتن، ومرّ قول أبي الزّناد: لم أسمع لعتبة كلمة قط أوهن من قوله: وأنا أسد الحلفاء.

في رواية الواقدي وفي (الصحاح): الحلفاء نبت في الماء، قال أبو زيد: واحدتها حلفة، مثل قصبة وطرفة، وقال الأصمعي: حلِفة بكسر اللّام(٣). ومرّ قول أبي الزّناد يعني بالحلفاء الأجمة(٤).

قال ابن أبي الحديد: قال الرّاوندي: أسد الأحلاف أسد بن عبد العزّى، لأنّ بني أسد بن عبد العزّى كانوا أحد البطون الّذين اجتمعوا في حلف المطيّبين، وهم: بنو أسد، وبنو عبد مناف، وبنو تيم بن مرة، وبنو زهرة، وبنو الحرث بن فهر. قال ابن أبي الحديد: وأيّ عار يلزم معاوية من ذلك؟ ثمّ إنّ بني عبد مناف كانوا في هذا الحلف، وعليّ ومعاوية من بني عبد مناف، ولكن الرّاوندي يظلم نفسه بتعرضه لما لا يعلمه(٥).

قلت: ويرد عليه مضافاً إلى ما ذكر ما أوردناه على ابن أبي الحديد نفسه، من عدم كون أسد بن عبد العزّى كعتبة وباقي بني عبد الشّمس من الأحلاف.

---

(١) المغازي للواقدي ١: ٦٨ والطبقات لابن سعد ٢ ق ١: ١٠، وتفسير القمي ١: ٢٦٥.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٣٣٨.

(٣) صحاح اللغة للجوهري ٤: ١٣٤٧ مادة (حلف).

(٤) مرّ في رواية الواقدي أيضاً.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٤٦٠، وشرح الراوندي ٣: ٧٦.

فالأحلاف ـ كما في (النهاية) ـ اسم لبني عبد الدّار، وجمح ومخزوم وسهم وعدي وكعب[١]، كما أنّ الأنصار اسم للأوس والخزرج.

ويرد عليه أنّ (أسد) الاسمي لا مدح فيه ولا ذم، فلا معنى لاستعماله في مقام تفاخر أو تغيير. ثم قول ابن أبي الحديد: «كان بنو عبد مناف في هذا الحلف وعليّ ومعاوية منهم»[٢] ساقط، فإنّ الراوندي نفسه عدّ بني عبد مناف في هذا الحلف[٣]، ولم يجعل مرمى الكلام مجرّد الدّخول في ذاك الحلف، بل أسدهم أسد بن عبد العزّى، وإنّما يرد عليه عدم كون معاوية من أسد بن عبد العزّى، وعدم أثر للأسد الاسمي.

هذا، وتبع ابن ميثم الرّاوندي، وزاد على خبطاته فقال: أسد الأحلاف وهو أسد بن عبد العزّى، والأحلاف هم عبد مناف وزهرة وأسد وتيم والحرث بن فهر، وسمّوا الاحلاف لأنّ بني قصيّ أرادوا أن ينتزعوا بعض ما كان بأيدي بني عبد الدّار، من اللّواء والنّداوة والحجابة والرّفادة ـ وهي كلّ شيء كان فرضه قصيّ على قريش لطعام الحاجّ في كلّ سنة ـ ولم يكن لهم إلّا السقاية، فتحالفوا على حربهم وأعدّوا للقتال، ثمّ رجعوا عن ذلك ناكثين[٤].

فيرد عليه ـ مضافاً إلى عدم معنى لكون المراد من أسد الأحلاف: أسد بن عبد العزّى ـ أن جعله بني عبد الدّار مقابل بني قصيّ غلط، فبنو عبد الدّار أحد بطون بني قصيّ، كما أنّ قوله: «والأحلاف هم عبد مناف وزهرة وأسد وتيم والحرث بن فهر» غلط، وإنّما المطيّبون من قال، والأحلاف غيرهم، كما مرّ كما أنّ قوله: «ولم يكن لهم ـ أي: الخصوم بني عبد الدّار ـ إلّا السقاية» أيضاً

---

(١) النهاية لابن الأثير ١: ٤٢٥ مادة (حلف).

(٢) قاله ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٤٦٠، والنقل بالمعنى.

(٣) شرح الراوندي ٣: ٧٦.

(٤) شرح ابن ميثم ٤: ٤٤١.

غلط، فالسّقاية أيضاً كانت بيد بني عبد الدّار، كما أنّ قوله: «ثمّ رجعوا عن ذلك ناكثين» أيضاً غلط فإنّما اصطلحوا على أن يكون اللّواء والحجابة في بني عبد الدار، والسّقاية والرّفادة لبني عبد مناف.

قال ابن الأثير في (كامله): لمّا كبر قصيّ، وكان عبد الدّار -وهو أكبر ولده- ضعيفاً، وكان عبد مناف قد ساد في حياة أبيه وكذلك إخوته، فقال قصيّ لعبد الدّار: والله لألحقنّك بهم. فأعطاه دار النّدوة والحجابةَ -حجابة الكعبة- واللواءَ، فكان يعقد لقريش ألويتهم، والسقايةَ؛ وكان يسقي الحاجّ، والرّفادةَ، وهي: خرجة تخرجه قريش في كلّ موسم إلى قصيّ، فيصنع منه طعاماً للحاج. فأمّا الحجابة فهي في ولده إلى الآن، وهم بنو شيبة بن عثمان بن أبي طلحة بن عبد العزّى بن عثمان بن عبد الدّار، وأما اللّواء فلم يزل في ولده إلى أن جاء الإسلام، فقالوا للنّبيّ صلى الله عليه وآله: اجعل اللّواء فينا. فقال صلى الله عليه وآله: «الإسلام أوسع من ذلك» فبطل، وأمّا الرّفادة والسّقاية فإنّ بني عبد مناف بن قصيّ -عبد شمس وهاشم والمطّلب ونوفل- أجمعوا أن يأخذوها من بني عبد الدّار لشرفهم عليهم، فتفرّقت قريش عند ذلك، فكانت طائفة مع بني عبد مناف، وطائفة مع بني عبد الدّار، لا يرون تغيير ما فعله قصيّ، فكان بنو أسد بن عبد العزّى، وبنو زهرة بن كلاب، وبنو تيم بن مرّة، وبنو الحرث بن فهر مع بني عبد مناف، وكان بنو مخزوم، وبنو سهم، وبنو جمح وبنو عدي مع بني عبد الدّار، فتحالف كلّ قوم حلفاً مؤكّداً، وأخرج بنو عبد مناف جفنة مملوّة طيباً فوضعوها عند الكعبة، وتحالفوا، وجعلوا أيديهم في الطّيب فسمّوا المطّيبين، وتعاقد بنو عبد الدار ومن معهم وتحالفوا، فسمّوا الأحلاف، وتهيؤوا للقتال، ثمّ تداعوا إلى الصّلح على أن يعطوا بني عبد مناف السّقاية والرّفادة، فرضوا بذلك، وتحاجز الناس عن الحرب، فاقترعوا -أي: بنو عبد مناف- عليها فصارت لهاشم ثمّ بعده للمطّلب ثم بعده لأبي طالب، ولم يكن له مال، فادّان

من أخيه العبّاس مالاً فأنفقه، ثمّ عجز عن الأداء فأُعطي العبّاس السقاية والرّفادة عوضاً عن دينه، فوليها، ثمّ ابنه عبد الله، ثمّ عليّ بن عبد الله، ثمّ محمّد بن عليّ، ثمّ داود بن عليّ بن سليمان بن عليّ، ثمّ المنصور، فالخلفاء، وأمّا دار النّدوة فلم تزل لعبد الدار، حتّى باعها عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدّار من معاوية، فجعلها دار الامارة بمكّة، وهي الآن في الحرم مشهورة[١].

في (تفسير القمي): فاخر العبّاس بسقاية البيت، وشيبة بحجابة البيت مع أمير المؤمنين عليه السلام، وقالا له: نحن أفضل. فقال عليه السلام: أنا أفضل منكما، آمنت قبلكما، ثمّ هاجرت وجاهدت. فرضوا بالنبيّ صلى الله عليه وآله، فأنزل الله تصديق أمير المؤمنين عليه السلام بقوله عزّوجلّ: ﴿أجعلتم سقاية الحاجّ وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين * الّذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأُولئك هم الفائزون * يبشّرهم ربّهم برحمة منه ورضوان وجنّات لهم فيها نعيم مقيم * خالدين فيها أبداً إنّ الله عنده أجر عظيم﴾[٢].

ثمّ إنّه كما منهم أسد الحلفاء ـ كما عرفت ـ منهم جرو البطحاء؛ ففي (معارف ابن قتيبة) و (الصحاح): ربيعة بن عبد العزّى بن عبد شمس بن عبد مناف يقال له: جرو البطحاء[٣].

هذا، وقالوا: معاوية بن الصّموت الكلابي ـ الّذي قتل يوم جبلة ـ كان

---

(١) الكامل لابن الأثير ٢: ٢١، وتاريخ الطبري ٢: ١٩.

(٢) تفسير القمي ١: ٢٨٤، والنقل بالمعنى، والآية ١٩ ـ ٢٢ من سورة التوبة.

(٣) معارف ابن قتيبة: ٧٢، وصحاح اللغة للجوهري ٦: ٢٣٠١ مادة (جرو).

يسمّى الأسد المجدع. والمجدع: المقطوع الأذن أو الأنف أو الشّفة.

«ومنّا سيدا شباب أهل الجنّة» أي: الحسن والحسين عليهما السلام؛ في (الطبري): قال الحسين عليه السلام يوم الطّف لأهل الكوفة: أولم يبلغكم قول مستفيض فيكم أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال لي ولأخي: هذان سيّدا شباب أهل الجنّة؛ فإن صدّقتموني بما أقول وهو الحق، والله ما تعمّدت كذباً مذ علمت أنّ الله يمقت عليه أهله، ويضرّ به من اختلقه، وإن كذّبتموني فإنّ فيكم من إن سألتموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري، أو أبا سعيد الخدري، أو سهل بن سعد الساعدي، أو زيد بن أرقم، أو أنس بن مالك يخبروكم أنّهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لي ولأخي[1].

وروى (الأسد) عن حذيفة: أنّ أُمّه قالت له: متى عهدك بالنبيّ صلى الله عليه وآله؟ فقال لها: ما لي به عهد منذ كذا وكذا، فأتيته صلى الله عليه وآله وهو يصلّي المغرب فقال: يا حذيفة أما رأيت العارض الّذي عرض؟ قلت: بلى. قال: ذاك ملك أتاني وبشّرني بأنّ الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة، وأنّ فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة[2].

وروى المدائني ـ وقد نقله ابن أبي الحديد في موضع آخر ـ عن يحيى بن زكريّا عن هشام بن عروة قال: قال الحسن عليه السلام عند وفاته: ادفنوني عند قبر النبيّ صلى الله عليه وآله إلّا أن تخافوا أن يكون في ذلك شرّ. فلمّا أرادوا دفنه قال مروان بن الحكم: لا يدفن عثمان في حشّ كوكب، ويدفن الحسن هاهنا. فاجتمع بنو هاشم وبنو أُميّة، وأعان هؤلاء قوم وهؤلاء قوم وجاؤوا بالسّلاح. فقال أبو

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٢٢ سنة ٦١، ومقتل الحسين لأبي مخنف: ٨٥، ضمن خطبة.

(٢) أُسد الغابة لابن الأثير ٥: ٥٧٤، وسنن الترمذي ٥: ٦٦٠ ح ٣٧٨١، ومسند أحمد ٥: ٣٩١، وترجمة الحسن عليه السلام لابن عساكر: ٧٣ ح ١٣٠، وغيرها.

هريرة لمروان: أتمنع أن يُدفن الحسن في هذا الموضع وقد سمعت النّبي صلى الله عليه وآله يقول: الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة؟ قال مروان: دعنا منك، لقد ضاع حديث النّبي إذا كان لا يحفظه غيرك، وغير أبي سعيد الخدري، وإنّما أسلمتَ أيّام خيبر. قال أبو هريرة: صدقت أسلمتُ أيّام خيبر ولكنّي لزمت النّبيّ صلى الله عليه وآله ولم أكن أُفارقه، وكنت أسأله، وعنيت بذلك، علمت من أحبّ ومن أبغض، ومن قرّب ومن أبعد، ومن أقرّ ومن نفى، ومن لعن ومن دعا له...[(١)].

عرّض بمروان في قوله: «ومن أبعد» و «ومن نفى» إلى إخراج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لأبيه الحكم وهو معه إلى الطائف[(٢)]، وفي قوله: «ومن لعن» إلى لعن النّبي صلى الله عليه وآله لبني أُمّية عامّة، ولمروان وأبيه خاصّة[(٣)].

ويقال لهما عليهما السلام: ريحانتا النبيّ صلى الله عليه وآله أيضاً؛ وفي (لسان العرب) في الحديث: قال النبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: أُوصيك بريحانتيّ خيراً قبل أن ينهدّ ركناك. فلمّا مات النبيّ صلى الله عليه وآله قال: هذا أحد الرّكنين. فلمّا ماتت فاطمة قال: هذا الرّكن الآخر. وأراد بريحانتيه الحسن والحسين ـ رضي الله عنهما ـ[(٤)].

وفسّر قول النبيّ صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام «أنّ لك بيتاً في الجنّة وأنّك لذو قرنيها»[(٥)] في أحد تفاسيره بهما عليهما السلام؛ ففي (لسان العرب): قيل في تفسيره: ذو قرني الجنّة، أي: طرفيها، وقال أبو عبيد: أي: ذو قرني الأمّة، وإن

---

(١) نقله ابن أبي الحديد في شرحه ٤: ٥، شرح الكتاب ٣١ عن المدائني.

(٢) إخراج النبيّ صلى الله عليه وآله إياهما رواه البلاذري في أنساب الأشراف ٥: ١٢٥، والنووي في التهذيب ٢ ق ١: ٨٧، وغيرهما.

(٣) اما لعن بني أُمية فقوله تعالى: ﴿...والشجرة الملعونة في القرآن...﴾ (الإسراء: ٦٠) كما روي في تفسيره، وأمّا لعنهما خاصّة فرواه البلاذري في أنساب الأشراف ٥: ١٢٥، وغيره عن عمرو بن مرّة، وفي الباب عن الحسن والحسين عليهما السلام وزهير وعائشة وعبد الرحمن بن أبي بكر وابن الزبير، وغيرهم.

(٤) رواه ابن منظور في لسان العرب ٢: ٤٥٩ مادة (روح)، وأخرجه الصدوق في معاني الأخبار: ٤٠٣ ح٦٩، وأبو نعيم في المعرفة، والديلمي، وابن عساكر، وابن النجار عنهم منتخب كنز العمال ٥: ١١٠.

(٥) رواه وشرحه أيضاً الراغب في المفردات: ٤١٧ مادة (قرن)، وابن الأثير في النهاية ٤: ٥١ مادة (قرن).

لم يتقدّم ذكر الأُمّة فإنّه نظير ﴿... حتّى توارت بالحجاب﴾[١]، ونظير ﴿...ما ترك على ظهرها من دابّة...﴾[٢] ونظير قول حاتم:

إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصّدر

ولم يتقدّم ذكر الشّمس والأرض والنفس. قال أبو عبيد: أختار هذا التفسير الأخير لما روي عن عليّ عليه السلام أنّه ذكر ذا القرنين، فقال: دعا قومه إلى عبادة الله، فضربوه على قرنيه ضربتين، وفيكم مثله[٣].

أراد نفسه، ضرب على رأسه ضربتين: إحداهما يوم الخندق، والأُخرى ضربة ابن ملجم. قال: وروي عن أحمد بن يحيى (أي: ثعلب): أنّه قال في قوله صلى الله عليه وآله: إنّك لذو قرنيها: أي جبليها وهما الحسن والحسين[٤].

هذا، وفي (القاموس): والقَبول ـ وقد يضمّ ـ: الحسن والشارة، ومنه قول نديم المأمون في الحسنين عليهما السلام: أُمّهما البتول وأبوهما القبول[٥].

«ومنكم صبية النّار» قال ابن أبي الحديد: هي الكلمة التي قالها النبيّ صلى الله عليه وآله لعقبة بن أبي معيط حين قتله صبراً يوم بدر، وقد قال ـ كالمستعطف له ـ: من للصّبية يا محمّد؟ قال: النّار.

قال ابن أبي الحديد: ولم يعلم الرّاوندي ما المراد بهذه الكلمة، فقال: صبية النّار: أولاد مروان الّذين صاروا من أهل النّار عند البلوغ. ولما أخبر النبيّ صلى الله عليه وآله عنهم بهذه الكلمة كانوا صبية، ثمّ ترعرعوا واختاروا الكفر. ولا

---

(١) ص: ٣٢.

(٢) فاطر: ٤٥.

(٣) أخرجه أيضاً القمي في تفسيره ٢: ٤١، والعياشي في تفسيره ٢: ٣٣٩ ح ٧١، والصدوق في كمال الدين: ٣٩٣ ح ٣، وعلل الشرائع: ٣٩ ح ١، ورواه عن جمع السيوطي في الدر المنثور ٤: ٢٤١.

(٤) لسان العرب ١٣: ٣٣٢ مادة (قرن) والنقل بتصرف.

(٥) القاموس المحيط ٤: ٣٥ مادة (قبل).

شبهة أنّ الرّاوندي كان يفسّر من خاطره[١].

قلت: وقال ابن ميثم: قيل: المراد ولد عقبة. وقيل: مروان[٢]. ولا ريب أنّ المراد ما قاله ابن أبي الحديد، ويدلّ عليه ـ مضافاً إلى تصريح السّير بذلك في قصة قتل عقبة ـ ما رواه (الطبري) في قضية هاني أوّلاً، عن غير أبي مخنف: أنّ عمرو بن الحجّاج قال لعمارة بن عقبة في مجلس ابن زياد: طردت اليوم حمراً، فأصبت منها حماراً، فعقرته. فقال له عمارة: إنّ حماراً تعقره أنت لحمار حائن. فقال له عمرو: ألا أُخبرك بأحين من هذا كلّه؟ رجل جيء بأبيه كافراً إلى النبيّ ﷺ فأمر به أن يضرب عنقه، فقال: يا محمّد فمن للصّبية؟ قال: النّار. فأنت من الصبية، وأنت في النار. فضحك ابن زياد[٣].

وكيف يحتمل إرادة ولد مروان، ومروان نفسه كان يوم وفاة النبيّ ﷺ صبياً، فكيف كان له صبية؟ وإنّما قال النبيّ ﷺ لمروان حين ولادته: الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون؛ فروى الحاكم في (فتن مستدركه) عن عبد الرحمن بن عوف قال: كان لا يولد لأحد مولود إلّا أُتي به النّبيّ ﷺ فدعا له، فأُدخل عليه مروان بن الحكم، فقال: هو الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون. قال الحاكم: صحيح الاسناد[٤].

وروى عن عايشة: أنّ النبيّ ﷺ لعن الحكم أبا مروان، ومروان في صلبه[٥].

---

(١) نقله الراوندي في شرحه ٣: ٧٧، ولفظه «قيل...» وقاله ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٤٦٠.

(٢) شرح ابن ميثم ٤: ٤٤١.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٢٥٩ سنة ٦، والنقل بخلط كثير في أسماء الرواة والحضار.

(٤) المستدرك للحاكم ٤: ٤٧٩.

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤: ٤٨١، والنسائي، وابن أبي خيثمة، وابن مردويه عنهم الكاف الشاف ٤: ٣٠٤، وغيرهم عن عائشة.

وروى: أنّ الحكم استأذن على النبيّ صلى الله عليه وآله فعرف صوته، فقال: ايذنوا له لعنة الله عليه، وعلى من يخرج من صلبه، إلّا المؤمن منهم، وقليل ماهم[١].

ثمّ لو أُريد استقصاء مثالبهم فليزد على كلامه عليه السلام في خطاب معاوية: ومنكم الملعون الصّلب والنّفس. أي: الحكم، ومنكم الوزغ ابن الوزغ. أي: مروان بن الحكم.

بل يزاد له: «ومنكم المتّخذون مال الله دولاً، وعباده خولاً، ودينه دغلاً» وهم ولد أبي العاص جدّ عثمان ومروان؛ فلمّا فعل عثمان ما فعل من المنكرات، قال له أبو ذر: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال في ولد جدك: إذا بلغوا ثلاثين، يتّخذون مال الله دولاً وعباده خولاً ودينه دغلاً. فكذّبه عثمان، حتّى صدّقه أمير المؤمنين عليه السلام، ثم كثير من الصحابة بقول النبيّ صلى الله عليه وآله في أبي ذر: ما أظلّت الخضراء على أصدق لهجة من أبي ذر[٢].

ويزاد لمعاوية: «ومنكم خيط باطل ومضروب القفا» أي: مروان؛ ففي (الاستيعاب): سمّي مروان (خيط باطل) لسفهه، و(مضروب القفا) للضّرب على قفاه يوم عثمان[٣]. ولمّا بويع له بالإمارة هجاه أخوه عبد الرحمن فقال:

فوالله ما أدري وإنّي لسائل ... حليلة مضروب القفا كيف يصنع
لحى الله قوماً أمّروا خيط باطل ... على النّاس يعطي ما يشاء ويمنع

«ومنّا خير نساء العالمين» روى (طبقات كاتب الواقدي) عن عايشة قالت: كنت جالسة عند النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فجاءت فاطمة تمشي، كأنّ مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: مرحباً بابنتي. فأجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثمّ

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤: ٤٨١، والبلاذري في أنساب الأشراف ٥: ١٢٥، وأبو يعلى في مسنده عنه المطالب العالية ٤: ٣٣٢ ح٤٥٢٣، وغيرهم عن عمرو بن مرّة.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٥٧ شرح الخطبة ١٢٨ عن الواقدي.

(٣) الاستيعاب لابن عبد البر ٣: ٤٢٥، والنقل بالمعنى.

أسرّ إليها شيئاً فبكت، ثمّ أسرّ إليها فضحكت، قلت: ما رأيت ضحكاً أقرب من بكاء من ضحكك وبكائك، استخصّك النبيّ ﷺ بحديثه ثمّ تبكين، أيّ شيء أسرّ إليك رسول الله ﷺ؟ قالت: ما كنت لأُفشي سرّه. فلمّا قبض ﷺ سألتها، فقالت: قال: إنّ جبرئيل عليه السلام كان يأتيني كلّ عام فيعارضني بالقرآن مرّة، وإنّه أتاني العام فعارضني مرّتين، ولا أظنّ إلّا أجلي قد حضر، ونعم السّلف أنا لك. وقال: أنت أوّل أهل بيتي لحاقاً بي. فبكيت لذلك، ثمّ قال: أما ترضين أن تكوني سيّدة نساء هذه الأُمّة ـ أو نساء العالمين ـ؟ فضحكت[1].

وعن أُمّ سلمة قالت: لمّا حضر النبيّ ﷺ دعا فاطمة فناجاها، فبكت، ثمّ ناجاها فضحكت، فلم أسألها حتّى توفّي النبيّ ﷺ، فسألت عن بكائها وضحكها، فقالت: أخبرني أنّه يموت، ثمّ أخبرني أنّي سيّدة نساء أهل الجنّة...[2].

وروى الكنجي الشافعي في (مناقبه) عن عبد الله بن عبّاس قال: أصاب فاطمة صبيحة العرس رعدة، فقال لها النّبيّ ﷺ: يا فاطمة إنّما زوّجتك سيّداً في الدّنيا، ﴿وإنّه في الآخرة لمن الصّالحين﴾[3]. يا فاطمة لمّا أردت أن أملكك بعليّ عليه السلام أمر الله تعالى جبرئيل، فقام في السّماء الرابعة، فصفّ الملائكة صفوفاً، ثمّ خطب عليهم جبرئيل، فزوّجك من عليّ، ثمّ أمر شجر الجنان فحملت الحليّ والحلل، ثمّ أمرها فنثرته على الملائكة، فمن أخذ منهم يومئذ أكثر ممّا أخذ صاحبه أو أحسن، افتخر به على صاحبه إلى يوم القيامة. قالت أُمّ سلمة: فلقد كانت فاطمة تفتخر على

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٢ ق ٢: ٤٠، والبخاري بطريقين في صحيحه ٢: ٢٨٣ و ٤: ٩٦، ومسلم بطريقين في صحيحه ٤: ١٩٠٤، ١٩٠٥ ح٩٨، ٩٩، وابن ماجه في سننه ١: ٥١٨ ح١٦٢١، وغيرهم.

(٢) الطبقات لابن سعد ٢ ق ٢: ٤٠.

(٣) البقرة: ١٣٠.

النّساء، لأنّ أوّل من خطب عليها جبرئيل عليه السلام[١].

ثمّ إنّه كما يكون خبر كونها سيّدة النّساء من الأخبار المتواترة[٢]، كذلك خبر كون رضاها رضا النّبي صلى الله عليه وآله، وسخطها سخط النبيّ صلى الله عليه وآله[٣].

قال ابن قتيبة في (خلفائه) في عنوان (بيعة عليّ عليه السلام): قال عمر لأبي بكر: انطلق بنا إلى فاطمة، فإنّا قد أغضبناها. فانطلقا جميعاً، فاستأذنا على فاطمة، فلم تأذن لهما، فأتيا علياً فكلّماه، فأدخلهما عليها، فلمّا قعدا عندها حوّلت وجهها إلى الحائط، فسلّما عليها فلم تردّ عليها السلام، فتكلّم أبو بكر فقال: يا حبيبة رسول الله، والله إنّ قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله أحبّ إليّ من قرابتي -إلى أن قال- فقالت: أرأيتكما إن حدّثتكما حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله، تعرفانه وتفعلان به؟ قالا: نعم. فقالت: نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحبّ فاطمة ابنتي، فقد أحبّني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟ قالا: نعم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وآله. قالت: فإنّي أُشهد الله وملائكته أنكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النّبيّ صلى الله عليه وآله لأشكونكما إليه. فقال أبو بكر: أنا عائذ بالله من سخطه وسخطك يا فاطمة. ثمّ انتحب أبو بكر يبكي حتى كادت نفسه أن تزهق، وهي تقول: والله لأدعونّ الله عليك في كلّ صلاة أُصلّيها. ثمّ خرج...[٤].

هذا، ولها خصوصية من جميع الأئمّة عليهم السلام حتّى أمير المؤمنين عليه السلام

---

(١) كفاية الطالب للكنجي: ١٦٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٤: ٩٦ وغيره، مرّ تخريجه في العنوان ٥ من هذا الفصل.

(٣) أقرب الألفاظ ما رواه ابن قتيبة في الإمامة والسياسة ١: ١٤، مرّ تخريجه بألفاظ وطرق أُخرى في العنوان ٥ من هذا الفصل.

(٤) الإمامة والسياسة ١: ١٣.

في ما روي من صلاة الإهداء في كونها كأبيها؛ ففي (المصباحين): روي عنهم عليهم السلام: أنّه يصلّي يوم الجمعة ثمان ركعات: أربعاً يهدي إلى النّبي صلى الله عليه وآله وأربعاً يهدي إلى فاطمة عليها السلام، ويوم السّبت أربع ركعات يهدي إلى أمير المؤمنين عليه السلام، ثمّ كذلك كلّ يوم إلى واحد من الأئمّة عليهم السلام، إلى يوم الخميس أربع ركعات يهدي إلى الصادق عليه السلام، ثمّ في يوم الجمعة أيضاً ثمان ركعات، أربعاً يهدي إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وأربعاً يهدي إلى فاطمة عليها السلام، ثمّ يوم السبت أربعاً يهدي إلى موسى بن جعفر عليه السلام، ثمّ كذلك إلى يوم الخميس يهدي أربعاً إلى الحجّة عليه السلام[1].

«ومنكم حمّالة الحطب» وهي عمّة معاوية؛ وفي (العقد الفريد): دخل عقيل على معاوية، فقال لأصحابه: هذا عقيل عمّه أبو لهب. قال له عقيل: وهذا معاوية عمّته حمّالة الحطب. ثمّ قال: يا معاوية إذا دخلت النّار، فاعدل ذات اليسار، فإنّك ستجد عمّي أبا لهب مفترشاً عمّتك حمّالة الحطب، فانظر أيّهما خيرٌ: الفاعل أو المفعول به[2]؟

هذا، وقيل في هجو بني تيم الله بن ثعلبة:

أُناس ربّة النّحيين منهم فعدّوها إذا عدّ الصّميم

«في كثير ممّا لنا وعليكم» قال ابن أبي الحديد: روى كاتب الواقدي: أنّ يزيد بن معاوية فاخر عبد الله بن جعفر بين يدي معاوية، فقال عبد الله: بأيّ آبائك تفاخرني؟ أبحرب الّذي أجرناه؟ أم بأُمّية الّذي ملكناه؟ أم بعبد شمس الّذي كفلناه؟ فقال معاوية: ألحرب بن أُميّة يقال هذا؟ ما كنت أحسب أنّ أحداً

(١) المقصود من المصباحين: مصباح المتهجد للطوسي، والمصباح للكفعمي، أما هذه الرواية فقد رواها الطوسي في المصدر: ٢٢١، ولا توجد بهذه الصورة في الآخر.

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه ٤: ٧٩.

في عصر حرب يزعم أنّه أشرف من حرب؟ فقال عبد الله: بلى أشرف منه من كفأ عليه إناءه وجلّله بردائه. فلمّا قام عبد الله قال معاوية ليزيد: يا بني إيّاك ومنازعة بني هاشم، فإنّهم لا يجهلون ما علموا، ولا يجد مبغضهم لهم سبّاً.

قال: أمّا قوله: «أبحرب الّذي أجرناه» فإنّ قريشاً كانت إذا سافرت فصارت على العقبة لم يتجاوزها أحد حتّى تجوز قريش، فخرج حرب ليلة، فلمّا صار على العقبة، لقيه رجل تميمي من بني حاجب بن زرارة، فتنحنح حرب فتنحنح التميمي، وقال: أنا ابن حاجب بن زرارة، ثمّ بدر فجاز العقبة، فقال حرب: لاها الله لا تدخل بعدها مكّة، وأنا حيّ. فمكث التّميمي حيناً لا يدخل مكّة، وكان متجره بمكّة، فاستشار ممّن بها عمّن يجير من حرب، فأُشير عليه بعبد المطّلب، أو بابنه الزّبير، فركب ناقته وصار إلى مكّة ليلاً، فدخلها وأناخ ناقته بباب الزّبير بن عبد المطلب، فرغت النّاقة، فخرج إليه الزّبير، فقال: أمستجير فتجار؟ أم طالب قرى فتقرى؟ فقال:

لاقيت حرباً بالثّنية مقبلاً — واللّيل أبلج نوره للسّاري
فعلا بصوت واكتنى ليروعني — ودعا بدعوة معلن وشعار
فتركته خلفي وجزت أمامه — وكذاك كنت أكون في الأسفار
فمضى يهدّدني ويمنع مكّة — أن لا أحلّ بها بدار قرار
فتركته كالكلب ينبح وحده — وأتيت قرم مكارم وفخار
ليثاً هزبراً يستجار بقربه — رحب المباءة مكرماً للجار
وحلفت بالبيت العتيق وحجبه — وبزمزم والحجر والأستار
إنّ الزبير لمانعي بمهنّد — صافي الحديدة صارم بتّار

فقال الزّبير: اذهب فقد أجرتك. فلمّا أصبح نادى الزّبير أخاه الغيداق فخرجا مقلّدين سيفيهما، وخرج التميمي معهما، فقال له: إنّا إذا أجرنا رجلاً لم نمش أمامه، فامش أمامنا ترمقك أبصارنا، كيلا تختلس من خلفنا. فجعل

التّميمي يشقّ مكّة حتّى دخل المسجد، فلمّا بصر به حرب، قال: وإنّك لهاهنا؟ وسبق إليه فلطمه، فصاح به الزّبير: ثكلتك أُمّك أتلطمه، وقد أجرته؟ فثنى عليه حرب فلطمه ثانية، فانتضى الزّبير سيفه، وحمل على حرب ففرّ حرب من بين يديه، وسعى الزّبير خلفه، فلم يرجع عنه حتّى هجم حرب على عبد المطّلب داره، فقال: ما شأنك؟ قال: الزّبير. قال: اجلس، وكفأ عليه إناءً كان هاشم يهشم الثّريد فيه، واجتمع الناس وانضم بنو عبد المطلب إلى الزّبير، ووقفوا على باب أبيهم بأيديهم سيوفهم، فأزّر عبد المطّلب حرباً بإزار كان له،وردّاه برداء له، وأخرجه إليهم فعلموا أنّ أباهم قد أجاره.

قال: وأما معنى قوله: «أم بأُميّة الذي ملكناه» فإنّ عبد المطلب راهن أُميّة على فرسخين، وجعل الخطر ممّن سبقت فرسه مائة من الإبل، وعشرة أعبد، وعشر إماء، واستعباد سنة، وجزّ النّاصية، فسبق فرس عبد المطلب، فأخذ الخطر فقسّمه في قريش وأراد جزّ ناصيته، فقال: وافتدي منك باستعباد عشر سنين. ففعل، فكان أُميّة بعد في حشم عبد المطلب وعضاريطه عشر سنين.

قال: وأمّا معنى «أم بعبد شمس الذي كفلناه» فإنّ عبد شمس كان مملقاً لا مال له، فكان أخوه هاشم يكفله ويمونه إلى أن مات هاشم.

قال ابن أبي الحديد: قال ابن أبي رؤبة في كتاب (هاشم، وعبد شمس): ممّا يصدق قول من روى: أنّ أُميّة استعبده عبد المطّلب شعر أبي طالب حين تظاهرت عبد شمس ونوفل عليه، وعلى النبيّ ﷺ وحصروهما في الشّعب:

توالى علينا موليانا كلاهما
إذا سئلا قالا إلى غيرنا الأمر
بلى لهما أمر ولكن تراجما
كما ارتجمت من رأس ذي القلع الصّخر

إلى أن قال:

قديماً أبوهم كان عبداً لجدّنا بني أمة شهلاء جاش بها البحر[١]

قلت: وقال سبط ابن الجوزي: قال الكلبي في (مثالبه): جرى بين يزيد وبين إسحاق بن طابة بن عبيدة كلامٌ بين يدي معاوية وهو خليفة، فقال يزيد لإسحاق: إنّ خيراً لك أن يدخل بنو حرب كلّهم الجنّة ـأشار يزيد إلى أنّ أُم إسحاق كانت تتّهم ببعض بني حرب ـ، فقال له إسحاق: إنَّ خيراً لك أن يدخل بنو العبّاس كلّهم الجنّة. قال: فلم يفهم يزيد قوله وفهم معاوية. فلمّا قام إسحاق قال معاوية ليزيد: كيف تشاتم الرّجال قبل أن تعلم ما يقال فيك؟ قال: قصدت شين إسحاق. قال: وهو كذلك أيضاً. قال: وكيف؟ قال: أما علمت أنّ بعض قريش في الجاهلية يزعمون أنّي للعبّاس؟ فسقط في يدي يزيد[٢].

قال ابن أبي الحديد: قال أبو الفرج في (أغانيه): إنَّ معاوية قال لدغفل النسّابة: أرأيت عبد المطلب؟ قال: نعم. قال: كيف رأيته؟ قال: رأيته رجلاً نبيلاً جميلاً وضيئاً، كأنّ على وجهه نور النّبوّة. قال: أفرأيت أُميّة بن عبد شمس؟ قال: نعم. قال: كيف رأيته؟ قال: رأيته رجلاً ضئيلاً منحنياً أعمى، يقوده عبده ذكوان. فقال معاوية: ذاك ابنه أبو عمرو. قال: أنتم تقولون ذلك، فأمّا قريش فلم تكن تعرف إلّا أنّه عبده[٣].

قلت: وفي (طبقات كاتب الواقدي): كان عبد المطّلب أحسن قريش وجهاً، وأمدّها جسماً، وأحلمها حلماً، وأجودها كفّاً، وأبعد النّاس من كلّ موبقة تفسد الرّجال، ولم يره ملك قطّ إلّا أكرمه وشفّعه، وكان سيّد قريش حتّى هلك[٤].

قال ابن أبي الحديد ـبعد أن نقل كلام الجاحظ في كون عبد المطّلب ذا

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٤٧٥ شرح الكتاب ٢٨.

(٢) تذكرة الخواص: ٢٠٣.

(٣) رواه ابن أبي الحديد عنه في شرحه ٣: ٤٧٤ شرح الكتاب ٢٨، ورواه أبو الفرج في الأغاني ١: ١٢.

(٤) الطبقات لابن سعد ١ ق١: ٥١.

كرامات كالأنبياء والمرسلين، من تفجّر العيون وينابيع الماء من تحت كلكل بعيره وأخفافه ـ: فأمّا تفجّر العيون من تحت أخفاف بعير عبد المطّلب في الأرض الجرز، فقد ذكره محمّد بن إسحاق بن يسار في (كتاب السيرة) قال: لمّا أنبط عبد المطّلب الماء في زمزم حسدته قريش، فقالت له: يا عبد المطّلب إنّها بئر أبينا إسماعيل، وإنّ لنا فيها حقّاً...[١].

قلت: وفي (طبقات ابن سعد): كان لعبد المطّلب ماء بالطّائف يقال له: ذو الهرم، وكان في يدي ثقيف دهراً، ثمّ طلبه عبد المطّلب منهم فأبوا عليه، وكان صاحب أمر ثقيف جندب بن الحارث الثّقفي، فتنافرا إلى الكاهن العذري بالشّام على إبل، فخرجا، فنفد ماء عبد المطّلب وأصحابه، فاستسقوا من الثّقفيين، فأبوا، ففجّر الله لهم عيناً من تحت جران بعير عبد المطّلب، فحمد الله عزّوجلّ وعلم أنّ ذلك منه، فشربوا ريّهم وحملوا حاجتهم، ونفد ماء الثّقفيين، فاستسقوا عبد المطّلب، فسقاهم، وأتوا الكاهن فنفّر عبد المطّلب عليهم، فأخذ عبد المطّلب الإبل فنحرها، وأخذ ذا الهرم ورجع وقد فضّله عليه، وفضّل قومه على قومه[٢].

وممّا لهم عليهم السلام: أنّ منهم ساقي كوثر وهو هو عليه السلام؛ روى المدائني منهم عن أبي الطّفيل قال: قال الحسن عليه السلام لمولى له: أتعرف معاوية بن خديج؟ قال: نعم. قال: إذا رأيته فأعلمني. فرآه خارجاً من دار عمرو بن حريث، فقال: هو هذا. فدعاه، فقال له: أنت الشّاتم عليّاً عليه السلام عند ابن آكلة الأكباد؟ أما والله لئن وردت الحوض ـ ولن ترده ـ لترينّه مشمّراً عن ساقيه حاسراً عن ذراعيه يذود عنه المنافقين. قال: ورواه أيضاً قيس بن الرّبيع عن

(١) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٤٧٣، شرح الكتاب ٢٨. وابن هشام في السيرة ١: ١٣٣.

(٢) الطبقات لابن سعد ١ ق ١: ٥٢، والنقل بتلخيص.

بدر بن الخليل عن مولى الحسن عليه السلام[١].

وممّا على أُميّة! أنّ منهم واسع السرم ضخم البلعوم وهو معاوية؛ روى أبو الفرج في (مقاتله): أنّ الحسن عليه السلام قال لسفيان بن أبي ليلى في وجه تركه الأمر لمعاوية: سمعت علياً عليه السلام يقول: سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: لا تذهب الليالي والأيّام حتّى يجتمع أمر هذه الأمّة على رجل، واسع السرم ضخم البلعوم يأكل ولا يشبع، ولا ينظر الله إليه، ولا يموت حتّى لا يكون له في السّماء عاذر، ولا في الأرض ناصر، وإنّه لمعاوية...[٢].

وممّا لهم عليهم السلام أنّ فيهم نزل ﴿...إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾[٣]، و ﴿...قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً...﴾[٤].

وفي (طبقات ابن سعد): قال مروان يوماً للحسن والحسين عليهما السلام: إنّكم أهل بيت ملعونين. فقال له الحسين عليه السلام: يا ملعون يا بن الملعون، لقد لعن النّبي صلى الله عليه وآله أباك وأنت في صلبه، ونحن أهل بيت أذهب الله عنّا الرّجس وطهّرنا تطهيراً[٥].

وفي (مقاتل أبي الفرج): أنّ الحسن عليه السلام خطب بعد أبيه، فقال: وإنّا من أهل البيت الّذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً، والّذين افترض الله مودّتهم في كتابه ويقول: ﴿ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً﴾. فاقتراف

---

(١) نقله عن المدائني ابن أبي الحديد في شرحه ٤: ٧ شرح الكتاب ٣١.

(٢) المقاتل لأبي الفرج: ٤٤ ضمن حديث.

(٣) الأحزاب: ٣٣.

(٤) الشورى: ٢٣.

(٥) رواه عنه سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص: ٢٣٤.

الحسنة مودّتنا أهل البيت[١].

وممّا على أُولئك: أنّ منهم آكلة الأكباد، وهي أمّ معاوية؛ قال الطّبري: وقد وقفت هند بنت عتبة والنّسوة اللّاتي معها يمثلن بالقتلى من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله، يجدعن الآذان والأنوف، حتّى اتّخذت هند من آذان الرجال وأنوفهم خدماً وقلائد، وأعطت خدمها وقلائدها وقرطتها وحشياً غلام جبير بن مطعم، وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها، فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها، ثمّ علت على صخرة مشرفة، فصرخت بأعلى صوتها بما قالت من الشّعر، حين ظفروا بما أصابوا[٢].

وأنّهم الشجرة الملعونة في القرآن؛ ومرّ كتاب المعتضد الّذي رواه الطبري: «فما لعنهم الله على لسان نبيّه، وأنزل به كتاباً» قوله تعالى: ﴿...والشجرة الملعونة في القرآن ونخوّفهم فما يزيدهم إلّا طغياناً كبيراً﴾[٣]، قال: ولا اختلاف بين أحد أنّه أراد بها بني أُميّة[٤].

ونقل الميبدي في (فواتحه): أنّ يزيد قال في الخمر:

فإن حرّمت يوماً على دين أحمد   فخذها على دين المسيح بن مريم[٥]

وممّا لهم عليهم السلام: أنّهم الشّجرة الطّيبة، وعلى أُولئك أنّهم الشجرة الخبيثة؛ روى الصفّار في (بصائره)، والعياشي والقمي في (تفسيريهما)، والكليني في (كافيه)، والصدوق في (معانيه) نزول قوله تعالى: ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمةً طيّبة كشجرة طيّبة أصلها ثابت وفرعها في السّماء﴾

(١) رواه أبو الفرج في المقاتل: ٣٣.

(٢) تاريخ الطبري ٢: ٢٠٤ سنة ٣.

(٣) الإسراء: ٦٠.

(٤) مرّ في هذا العنوان نقلاً عن تاريخ الطبري.

(٥) فواتح الميبدي: ٢٢٠.

تؤتي أُكلها كلّ حين بإذن ربّها ويضرب الله الأمثال للنّاس لعلّهم يتذكّرون﴾[١] فيهم عليهم السلام[٢].

وروى القمي والطبرسي في (تفسيريهما) نزول قوله تعالى: ﴿ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار﴾[٣] في بني أُميّة[٤].

وممّا لهم عليهم السلام: أنّ منهم أصحاب الكساء الّذين قال فيهم النبيّ صلى الله عليه وآله ما قال؛ وفي (خلفاء ابن قتيبة): أنّ معاوية لمّا تكلّم في الدّعوة إلى يزيد وأجابه الحسين عليه السلام، قال معاوية لابن عبّاس: ماهذا يابن عباس، ولما عندك أدهى وأمرّ؟ قال: لعمر الله إنّه لذريّة رسول الله، وأحد أصحاب الكساء، وفي البيت المطهّر...[٥].

ويكفيهم مباهلة النّبيّ صلى الله عليه وآله بهم[٦].

وممّا على أُولئك: أنّ منهم القائد والسّائق والرّاكب الّذين لعنهم النّبيّ صلى الله عليه وآله، كما مرّ في خبر كتاب المعتضد[٧].

ومن أُولئك لطيم الشّيطان، وهو عمرو بن سعيد الأشدق، كما أنّ منهم خيط باطل، هو مروان كما مرّ[٨]؛ ففي (أنساب البلاذري): كان

(١) إبراهيم: ٢٤ ـ ٢٥.

(٢) رواه الصفار في البصائر: ٧٨، ٧٩ ح ١ ـ ٤، والعياشي في تفسيره ٢: ٢٢٤، ٢٢٥ ح ١٠، ١١، ١٥، والقمي في تفسيره ١: ٣٦٩، والكليني في الكافي ١: ٤٢٨ ح ٨٠، والصدوق في معاني الأخبار: ٤٠٠ ح ٦١ وغيرهم بعضهم بطرق.

(٣) إبراهيم: ٢٦.

(٤) تفسير القمي ١: ٣٦٩، ومجمع البيان للطبرسي ٦: ٣١٣.

(٥) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ١٨٧.

(٦) جاءت قصة المباهلة مجملة في سورة آل عمران الآية ٦١، وقد فُصل في شأن نزولها.

(٧) مرّ في هذا العنوان نقلاً عن تاريخ الطبري.

(٨) مرّ في أوائل العنوان ١١ من هذا الفصل.

عمرو بن سعيد في عسكر عبد الملك، وقد فصل من دمشق وهو يريد العراق. فقال له: إنّ أباك وعدني أن يجعل لي الأمر بعده، فبايع لك ولعبد العزيز إن كان بعدك، فاجعل لي العهد بعدك. فقال له: يا لطيم الشيطان أو أنت تصلح للخلافة؟ أنت ذو كبر وجبن وسرف وعجب. قال: ولمّا قتل عبد الملك غدراً عمرو بن سعيد، قال يحيى بن سعيد أخو الأشدق:

غدرتم بعمر يا بني خيط باطل ومثلكم يبني البيوت على الغدر[1]

ثم لو أردنا استقصاء ممّا لهم عليهم السلام، وعلى أُولئك ـ عليهم اللّعنة ـ لاحتيج إلى مجلّدات ضخام.

هذا، وفي (فواتح الميبدي) وفي كتاب كتبه عليّ عليه السلام إلى معاوية: منّا المشكاة والزّيتونة، ومنكم الشّجرة الملعونة[2].

هذا، وفي السّير: أنّ عبد الملك أخذ خارجيّاً وأراد قتله، فقال له: لست بخارجي. فقال له: أولست القائل:

ومنّا سويد والبطين وقعنب ومنّا أمير المؤمنين شبيب

فقال: إنّما قلت «أمير المؤمنين» بالنّصب. فخلّى سبيله.

«فإسلامنا ما قد سمع» فكان عليه السلام ـ كما في كلامه عليه السلام ـ لفي ساقتها حتّى تولّت بحذافيرها ـ وكان عليه السلام كما في كلام سيّدة النساء صلوات الله عليها: «كلّما نجم قرن الضّلالة أو فغرت فاغرة للمشركين، قذف أخاه في لهواتها فلا ينكفئ حتّى يطأ صماخها بأخمصه، ويخمد لهبها بحدّه، مكدوداً في ذات الله، قريباً من رسول الله، سيّداً في أولياء الله، والنّاس

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ٤ ق٢: ١٤٠، ١٤٤.

(٢) فواتح الميبدي: ٢١١.

في بلهنية آمنون وادعون فرحون»[١].

ومقامات حمزة في الإسلام وعزّة الإسلام به معلومة، وكذا جعفر وهجرتاه، وجهاده بلسانه في الحبشة وبسيفه ومهجته في (مؤتة) واضحة، وحماية أبيه أبي طالب عن النبيّ صلى الله عليه وآله، وتحمّله في ذلك مشاقاً لا يتحملها أحد لأحد مشهورة.

«وجاهليّتنا لا تدفع» قد عرفت مقامات هاشم وعبد المطّلب وأبي طالب والزّبير بن عبد المطلب؛ وروى (الخصال) عن النّبي صلى الله عليه وآله: أنّ عبد المطّلب سنّ في الجاهلية خمس سنن أجراها الله له في الاسلام: حرّم نساء الآباء على الأبناء، فأنزل عزّوجلّ: ﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النّساء...﴾[٢]؛ ووجد كنزاً فأخرج منه الخمس وتصدّق به، فأنزل عزّوجلّ: ﴿واعلموا أنّ ما غنمتم من شيء فإنّ لله خمسه...﴾[٣]؛ ولمّا حفر زمزم سمّاها سقاية الحاجّ، فأنزل عزّوجلّ: ﴿أجعلتم سقاية الحاجّ وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر...﴾[٤]؛ وسنّ في القتل مائة من الابل، فأجرى الله عزّوجلّ ذلك في الإسلام؛ ولم يكن للطّواف عدد عند قريش، فسنّ فيهم عبد المطّلب سبعة أشواط، فأجرى الله عزّوجلّ ذلك في الإسلام. إنّ عبد المطّلب كان لا يستقسم بالأزلام، ولا يعبد الأصنام، ولا يأكل ما ذبح على النّصب، ويقول: أنا على دين أبي إبراهيم عليه السلام[٥].

---

(١) دلائل الإمامة للطبري: ٣٤، وكشف الغمة للإربلي ٢: ١١٢، والاحتجاج للطبرسي: ١٠١ ضمن خطبتها عليها السلام في أمر فدك.

(٢) النساء: ٢٢.

(٣) الأنفال: ٤١.

(٤) التوبة: ١٩.

(٥) الخصال للصدوق: ٣١٢ ح ٩٠.

ومن الغريب أنّ عبد المطّلب يحكم في الجاهلية بحكم الإسلام من حرمة نكاح نساء الآباء، وأُميّة أحلّ ما لم يحلّه أحد من الجاهليّة، فإنّهم يستحلّون نكاح نساء الآباء بعدهم، وهو أنكح امرأته في حياته من ابنه أبي عمرو.

وقال الزّبير بن بكار: أوّل من سنّ القسامة في الجاهليّة أبو طالب، في دمّ عمرو بن علقمة، ثمّ أثبتها الإسلام(١). وقال أيضاً: كان الزّبير بن عبد المطّلب ذا نظر وفكر، فقيل له: مات فلان، لرجل من قريش كان ظلوماً. فقال: بأيّ عقوبة مات؟ قالوا: مات حتف أنفه. فقال: لئن كان ما قلتموه حقاً إنّ للنّاس معاداً يؤخذ فيه للمظلوم من الظّالم(٢).

وفي الخبر: أنّ جبرئيل نزل على النبيّ ﷺ فقال: كان لجعفر في الجاهلية خصال شكرها الله تعالى له. فسأله النّبيّ ﷺ عنها، فقال: ما كنت أكذب حفظاً لشرفي، ولا أزني غيرة على نسائي، ولا أشرب حفظاً لعقلي(٣).

ويأتي في فصل صفّين قوله عليه السلام في كتابه إلى معاوية: ولكن ليس أُميّة كهاشم، ولا حرب كعبد المطّلب، ولا أبو سفيان كأبي طالب(٤).

هذا، وقال الجوهري في قول الفرزدق لجرير:

غلبتك بالمفقي والمعنّي وبيت المحتبى والخافقات

يعني غلبتك بأربع قصائد: قصيدة (المفقي) الّتي يقول فيها:

فإنّك لو فقأت عينك لم تجد لنفسك جداً مثل سعد ودارم

وقصيدة (المعنّي) التي يقول فيها:

(١ و ٢) نقلهما عن الزبير بن بكار في أنساب قريش ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٤٦٩، ٤٧١، شرح الكتاب ٢٨.

(٣) أمالي الصدوق: ٦٩ ح٧ المجلس ١٧، والنقل بتلخيص.

(٤) يأتي في العنوان ٦ من الفصل الثاني والثلاثين.

فإنّك إذ تسعى لتدرك دارما لأنت المعنّي يا جرير المكلّف

وقصيدة (بيت المحتبي) الّتي يقول فيها:

بيت زرارة محتب بفنائه ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

وقصيدة (الخافقات) الّتي يقول فيها:

وأين يقضّي المالكان أُمورها بحقّ وأين الخافقات اللّوامع[١]

«وكتاب الله يجمع لنا ما شذّ عنّا» قال الجوهري: شذّ عنه: انفرد عنه، وندر[٢].

وهو قوله تعالى: ﴿...وأُولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله...﴾ وردت الآية في موضعين؛ الأوّل: في آخر سورة الأنفال، والثّاني: في أوائل الأحزاب[٣].

وقوله تعالى: ﴿إنّ أولى النّاس بإبراهيم للّذين اتّبعوه وهذا النّبيّ والّذين آمنوا والله وليّ المؤمنين﴾[٤].

«فنحن مرّة أولى» بالنّبيّ صلّى الله عليه وآله من كلّ أحد.

«بالقرابة» بدليل الآية الأُولى ﴿...وأُولو الأرحام بعضهم أولى ببعض...﴾[٥].

«وتارة» أُخرى.

«أولى» به صلّى الله عليه وآله.

«بالطّاعة» بمقتضى الآية الثّانية: ﴿إنّ أولى النّاس بإبراهيم للّذين اتبعوه

---

(١) صحاح اللغة للجوهري ٦: ٢٤٤١ مادة (عنى).

(٢) صحاح اللغة للجوهري ٢: ٥٦٥ مادة (شذّ) والنقل بالمعنى.

(٣) الأنفال: ٧٥، والأحزاب: ٦.

(٤) آل عمران: ٦٨.

(٥) الأنفال: ٧٥.

وهذا النبيّ والّذين آمنوا...﴾.

وكونهم عليهم السلام أقرب النّاس إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله أمر واضح لا يحتاج إلى بيان، ككونهم أطوع النّاس لربّهم وأتقاهم.

«وزعمت أنّي لكلّ الخلفاء حسدت، وعلى كلّهم بغيت، فإن يكن ذلك كذلك فليس الجناية عليك فيكون العذر إليك» ونظيره وقع بين ابن عبّاس وابن الزّبير؛ فروي أنّه كان يوضع إلى جانب سرير مروان أيّام امارته على المدينة سرير أصغر لابن عبّاس، فأذن مروان يوماً للنّاس وإذا سرير آخر قد أحدث تجاه سرير مروان، فأقبل ابن عبّاس فجلس على سريره، وجاء ابن الزّبير فجلس على السرير المحدث، وسكت مروان والقوم، فإذا يد ابن الزّبير تتحرّك، فعلم أنّه يريد أن ينطق فقال: إنّ ناساً يزعمون أنّ بيعة أبي بكر كانت غلطاً وفلتة ومغالبة، ألا إنّ شأن أبي بكر أعظم من أن يقال فيه هذا، ويزعمون أنّه لولا ما وقع لكان الأمر لهم وفيهم، والله ما كان من أصحاب محمّد أحد أثبت إيماناً ولا أعظم سابقة من أبي بكر، فمن قال غير ذلك فعليه لعنة الله، فأين هم حين عقد أبو بكر لعمر، فلم يكن إلّا ما قال، ثمّ ألقى عمر حظّهم في الحظوظ فأدحض الله جدهم، وولّى الأمر عليهم من كان أحقّ به منهم، فخرجوا عليه خروج اللّصوص على التّاجر خارجاً من القرية، فأصابوا منه غرة، ثمّ قتلهم الله به كلّ قتلة.

فقال ابن عبّاس: على رسلك أيّها القائل في أبي بكر وعمر والخلافة، أما والله ما نالا ولا نال أحد منهما شيئاً إلّا وصاحبنا خير ممّن نال ـ إلى أن قال ـ ولولا أنت تذكر حظّ غيرك، وشرف امرئ سواك لكلّمتك، ولكن ما أنت وما لا حظّ لك فيه؟ اقتصر على حظّك، ودع تيماً لتيم وعديّاً لعدي، وأُميّة لأُميّة. ولو كلّمني تيمي أو عدوي أو أُموي لكلّمته وأخبرته خبر حاضر عن حاضر، لا خبر غائب عن غائب، ولكن ما أنت وما ليس لك؟ فإن يكن في أسد بن عبد

العزّى شيء فهو لك[1].

«وتلك شكاة ظاهر عنك عارها» الشّعر لأبي ذؤيب، وصدره:

وعيّرها الواشون أني أُحبّها

وبعده:

فإن اعتذر منها فإنّي مكذّب   وإن تعتذر يردد عليّ اعتذارها

ومعنى (ظاهر) هنا: زائل، من قولهم: ظهر فلان بحاجتي، إذا استخف بها وجعلها خلف ظهره.

وعيّر سبرة بن ريطة الفقعسي رجلاً بكثرة إبله وشحّه فيها، فقال الرّجل:

أعيّرتنا ألبانها ولحومها   وذلك عار يابن ربطة ظاهر

١٢
من الخطبة (٢٠٥)

ومن كلام له عليه السلام في بعض أيام صِفّين وقد رأى الحسن عليه السلام يتسرّع إلى الحرب:

امْلِكُوا عَنِّي هَذَا ٱلْغُلَامَ لَا يَهُدَّنِي، فَإِنَّنِي أَنْفَسُ بِهَذَيْنِ -يَعْنِي ٱلْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عليهما السلام- عَلَى المَوْتِ لِئَلَّا يَنْقَطِعَ بِهِمَا نَسْلُ رَسُولِ ٱللَّهِ صلى الله عليه وآله.

وَقَوْله عليه السلام: امْلِكُوا عَنِّي هَذَا ٱلْغُلَامَ؛ من أَعْلَى ٱلْكَلَام وَأفْصَحه.

أقول: رواه سبط ابن الجوزي في (تذكرته) عن ابن عبّاس قال: كان عليّ عليه السلام يخاف انقطاع النّسل، فقال يوم صفّين وقد رأى الحسن والحسين عليهما السلام يتسارعان إلى القتال، وقيل: إنّما رأى الحسين عليه السلام لا غير،

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٤٩٠، شرح الحكمة ٤٥٣.

فقال: املكوا عنّي هذا الغلام لا يهدّني، فإنّي أنفس به على الموت...[1].

وفي (الطبري) ـ في رجوع أمير المؤمنين عليه السلام عن صفّين ـ قال: فلقيه عبد الله بن وديعة الأنصاري، فدنا منه وسلّم عليه وسايره، فقال له: ما سمعت النّاس يقولون في أمرنا؟ قال: منهم المعجب به، ومنهم الكاره له، كما قال عزّوجلّ: ﴿...ولا يزالون مختلفين* إلّا من رحم ربك...﴾[2]. فقال له عليه السلام: فما قول ذوي الرّأي فيه؟ قال: أمّا قولهم فيه فيقولون: إنّ علياً كان له جمع عظيم ففرّقه، وكان له حصن حصين فهدمه، فحتى متى يبني ما هدم؟ وحتى متى يجمع ما فرّق؟ فلو أنّه كان مضى بمن أطاعه إذ عصاه من عصاه، فقاتل حتّى يظفر أو يهلك، إذن كان ذلك الحزم. فقال عليّ عليه السلام: أنا هدمت أم هم هدموا؟ أنا فرّقت أم هم فرّقوا؟ أمّا قولهم: «إنّه لو كان مضى بمن أطاعه، إذ عصاه من عصاه، فقاتل حتّى يظفر أو يهلك، إذن كان ذلك الحزم» فوالله ما غبي عن رأيي ذلك، وإن كنت لسخياً بنفسي عن الدّنيا، طيّب النفس بالموت، ولقد هممت بالإقدام على القوم، فنظرت إلى هذين قد ابتدراني ـ يعني: الحسن والحسين عليهما السلام ـ ونظرت إلى هذين قد استقدماني ـ يعني: عبد الله بن جعفر ومحمّد بن عليّ ـ فعلمت أنّ هذين إن هلكا انقطع نسل محمّد صلى الله عليه وآله من هذه الأُمّة، فكرهت ذلك وأشفقت على هذين أن يهلكا، وقد علمت أن لولا مكاني لم يستقدما ـ يعني محمّد بن علي وعبد الله بن جعفر ـ وايم الله لئن لقيتهم بعد يومي هذا لألقينّهم وليسوا معي في عسكر ولا دار[3].

ورواه (صفّين نصر بن مزاحم) مفسراً كلامه عليه السلام بالحسنين عليهما السلام

---

(١) تذكرة الخواص: ٣٢٤.

(٢) هود: ١١٨ ـ ١١٩.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٤٤ سنة ٣٧.

فقط، ففيه: لقد هممت بالإقدام، فنظرت إلى هذين قد استقدماني، فعلمت أنّ هذين ان هلكا انقطع نسل محمّد صلى الله عليه وآله من هذه الأُمّة، فكرهت ذلك وأشفقت على هذين أن يهلكا، وقد علمت أن لولا مكاني لم يستقدما ـ يعني: محمّد بن عليّ وعبد الله بن جعفر ـ وايم الله لئن لقيتهم بعد يومي هذا، لألقينّهم وليس هما معي في عسكر ولا دار[1].

قول المصنف: «ومن كلام له عليه السلام» هكذا في (المصرية)، والصواب أنّه: (وقال عليه السلام) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية)[2]، فنقلهم هو الصحيح، وان كان مقتضى القاعدة أن يقول: «ومن كلام له عليه السلام» بعد كونه في الباب الأوّل، ففيه يقول في عناوينه إمّا: «ومن خطبة له عليه السلام» وإمّا: «ومن كلام له عليه السلام»، وأمّا: «وقال عليه السلام»، فتعبيره في الثالث، مع أنّ المناسب كان نقله في الثّالث، لكونه كلاماً قصيراً يدخل في موضوعه، دون الأوّل الّذي مبناه على الخطب والكلم الطوال.

«في بعض أيّام صفّين» ليس هذا الكلام كلّه في نسخة ابن ميثم[3].

«وقد رأى الحسن عليه السلام يتسرّع إلى الحرب» كلمة (ابنه) انّما في (ابن أبي الحديد) دون (ابن ميثم والخطّيّة)[4].

روى الطبري في (ذيله): عن عبد الله بن شداد بن الهاد عن أبيه قال: خرج علينا النّبيّ صلى الله عليه وآله وهو حامل أحد ابني ابنته الحسن أو الحسين عليهما السلام، فتقدّم فوضعه عند قدمه اليمنى، وسجد رسول الله صلى الله عليه وآله بين ظهراني صلاته سجدة أطالها. قال أبي: فرفعت رأسي من بين النّاس فإذا النّبيّ صلى الله عليه وآله ساجد وإذا الغلام

---

(١) وقعة صفين لابن مزاحم: ٥٣٠.

(٢) كذا في شرح ابن ميثم ٤: ١٤، لكن لفظ شرح ابن أبي الحديد ٣: ٩ مثل المصرية.

(٣) يوجد هذا الكلام في شرح ابن ميثم ٤: ١٤ أيضاً.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٩ وشرح ابن ميثم ٤: ١٤.

على ظهره، فعدت فسجدت، فلمّا انصرف النّبيّ ﷺ قال النّاس: يا رسول الله لقد سجدت في صلاتك هذه سجدة ما كنت تسجدها، أفشيء أُمرت به أو كان يوحى إليك؟ قال: كلّ ذلك لم يكن، ولكن ابني هذا ارتحلني فكرهت أن أعجله حتّى يقضي حاجته(١).

وفي (نسب قريش مصعب الزبيري): ولد الحسن عليه السلام في سنة ثلاث، في النصف من شهر رمضان، وسمّاه النبيّ ﷺ حسناً، وكان يشبّه بالنّبيّ، وذكر لي عن عبد الله البهي مولى آل الزبير قال: تذاكرنا مَن أشبه النّاس بالنّبيّ ﷺ؟ فدخل علينا عبد الله بن الزبير. فقال: أنا أُحدّثكم بأشبه أهله به وأحبّهم إليه: الحسن، رأيته يجيء وهو ساجد فيركب رقبته ـ أو قال: ظهره ـ فما ينزّل حتّى يكون هو الّذي ينزل، ولقد رأيته وهو راكع فيفرج بين رجليه، حتّى يخرج من الجانب الآخر، وقال: إنّه ريحانتي من الدّنيا، وإنّ ابني هذا السيّد، وعسى أن يصلح الله به فئتين من المسلمين، وقال: اللّهمّ إنّي أُحبّه وأُحبّ من يحبّه(٢).

وفيه: وذكر عن علي بن زيد بن جدعان التّيمي، قال: حجّ الحسن عليه السلام خمس عشرة مرّة، وخرج من ماله لله مرّتين، وقاسم الله ثلاث مرّات، حتّى أن كان ليعطي نعلاً ويمسك نعلاً، ويعطي خفّاً ويمسك خفّاً(٣).

وروى الخطيب في (سعيد الحصري): أنّ أبا هريرة لقي الحسن عليه السلام فقال له: أرني الموضع الّذي قبّله النّبيّ ﷺ. فرفع الحسن ثوبه فقبّل سرّته(٤).

وفي (مروج المسعودي): كان عليّ عليه السلام اعتلّ، فأمر ابنه الحسن عليه السلام أن

---

(١) منتخب ذيل المذيل للطبري: ٦٣، ومرّ تخريجه في العنوان ٢ من الفصل الثالث.

(٢) نسب قريش للزبيري: ٢٣ والنقل بتصرف.

(٣) نسب قريش للزبيري: ٢٤.

(٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٩: ٩٥.

يصلّي بالنّاس يوم الجمعة، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: إنّ الله لم يبعث نبيّاً إلّا اختار له نقيباً ورهطاً وبيتاً، فوالّذي بعث محمّداًﷺ بالحقّ نبيّاً لا ينتقص من حقّنا أهل البيت أحد إلّا نقصه الله من عمله مثله، ولا تكون علينا دولة إلّا وتكون لنا العاقبة ﴿ولتعلمنّ نبأه بعد حين﴾[1].

وفي (العقد): قال معاوية يوماً لجلسائه: من أكرم النّاس أباً وأُمّاً وجدّاً وجدّة وعمّاً وعمّة وخالاً وخالة؟ فقالوا: أمير المؤمنين أعلم. فأخذ بيد الحسن بن عليعليه السلام وقال: هذا أبوه عليّ بن أبي طالب، وأُمّه فاطمة ابنة محمّد، وجدّه النبيّﷺ وجدّته خديجة، وعمّه جعفر، وعمّته أُمّ هاني بنت أبي طالب، وخاله القاسم بن محمّد، وخالته زينب بنت محمّدﷺ[2].

وروى أبو الفرج في (مقاتله) بأسانيد: أنّ الحسنعليه السلام خطب بعد دفن أبيه فقال: لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأوّلون بعمل -إلى أن قال- ثمّ قال: أيّها النّاس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمّدﷺ، أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الدّاعي إلى الله عزّوجلّ بإذنه، وأنا ابن السّراج المنير، وأنا من أهل البيت الّذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً، والّذين افترض الله مودّتهم في كتابه...[3]

وفي (الطبري): بايع النّاس الحسنعليه السلام بالخلافة، ثمّ خرج بالنّاس حتّى نزل المدائن، وبعث قيس بن سعد على مقدّمته في اثني عشر ألفاً، وأقبل معاوية في أهل الشّام حتّى نزل مسكن، فبينا الحسنعليه السلام في المدائن إذ نادى مناد في العسكر: ألا إنّ قيس بن سعد قد قتل، فانفروا. فنفروا ونهبوا سرادق

(١) مروج الذهب ٢: ٤٣١، والآية ٨٨ من سورة ص.

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه ٥: ٣١٣ وفيه «هالة» بدل «أم هاني».

(٣) مقاتل الطالبيين: ٣٣.

الحسن عليه السلام حتّى نازعوه بساطاً كان تحته، وخرج الحسن عليه السلام حتّى نزل المقصورة البيضاء بالمدائن، وكان عمّ المختار بن أبي عبيد عاملاً على المدائن، وكان اسمه سعد بن مسعود، فقال له المختار وهو غلام شاب: هل لك في الغنى والشرف؟ قال: وما ذاك؟ قال: توثق الحسن وتستأمن به إلى معاوية. فقال له سعد: عليك لعنة الله أثب على ابن بنت النبيّ صلى الله عليه وآله فأوثقه؟ بئس الرجل أنت. فلمّا رأى الحسن عليه السلام تفرّق الأمر عنه بعث إلى معاوية يطلب الصلح ـ إلى أن قال ـ فقام الحسن عليه السلام في أهل العراق فقال: يا أهل العراق إنّه سخا بنفسي عنكم ثلاث: قتلكم أبي، وطعنكم إيّاي، وانتهابكم متاعي. فلمّا قدم الكوفة وبرأ من جراحته خرج إلى مسجد الكوفة فقال: يا أهل الكوفة اتقوا الله في جيرانكم وضيفانكم، وفي أهل بيت نبيّكم صلى الله عليه وآله الّذين أذهب الله عنهم الرجس أهل البيت وطهّرهم تطهيراً. فجعل الناس يبكون، ثمّ تحمّل عليه السلام إلى المدينة(١).

وقال أبو الفرج أيضاً: وقيل: إنّ أوّل من بايعه قيس بن سعد، قال له: ابسط يدك أُبايعك على كتاب الله وسنّة نبيّه وقتال المحلّين. فقال له الحسن عليه السلام: بل على كتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله، فإنّ ذلك يأتي من وراء كلّ شرط. فبايعه وسكت، وبايعه النّاس(٢).

وروى أبو الفرج بأسانيد عن سفيان بن أبي ليلى قال: أتيت الحسن عليه السلام حين بايع معاوية، فوجدته بفناء داره وعنده رهط، فقلت: السّلام عليك يا مذلّ المؤمنين. فقال: عليك السلام يا سفيان، انزل. فنزلت فعقلت راحلتي، ثمّ أتيته، فجلست إليه، فقال: كيف قلت يا سفيان؟ فقلت: السّلام عليك يا مذلّ رقاب

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ١٢١ سنة ٤٠ و ٤: ١٢٦ سنة ٤١ متفرّقاً.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ١٢١ سنة ٤٠. وأمّا قول الشارح: «قال أبو الفرج أيضاً» فهو من سهو قلمه الشريف.

المؤمنين. فقال: ما جرّ هذا منك إلينا؟ فقلت: أنت والله بأبي وأُمي، أذللت رقابنا حين أعطيت هذا الطاغية البيعة، وسلّمت الأمر إلى اللّعين ابن اللّعين ابن آكلة الأكباد، ومعك مائة ألف كلّهم يموت دونك، وقد جمع الله لك أمر الناس. فقال: يا سفيان إنّا أهل بيت إذا علمنا الحقّ تمسّكنا به، وإنّي سمعت علياً عليه السلام يقول: سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: لا تذهب الليالي والأيّام حتّى يجتمع أمر هذه الأمّة على رجل واسع السّرم، ضخم البلعوم، يأكل ولا يشبع، ولا ينظر الله إليه، ولا يموت حتّى لا يكون له في السّماء عاذر، ولا في الأرض ناصر، وإنّه لمعاوية؛ وإنّي عرفت أنّ الله بالغ أمره. قال: ثمّ أذّن المؤذّن، فقمنا على حالب يحلب ناقته، فتناول الإناء فشرب قائماً ثمّ سقاني، فخرجنا نمشي إلى المسجد، فقال لي: ما جاءنا بك يا سفيان؟ قلت: حبّكم، والّذي بعث محمّداً بالهدى ودين الحق. قال: فأبشر يا سفيان فإنّي سمعت علياً عليه السلام يقول: سمعت النّبي صلى الله عليه وآله يقول: يرد عليّ الحوض أهل بيتي، ومن أحبّهم من أُمتي كهاتين -يعني السبّابتين- ولو شئت لقلت هاتين -يعني السّبّابة والوسطى- إحداهما تفضّل على الأُخرى. أبشر يا سفيان، فإنّ الدّنيا تسع البرّ والفاجر، حتّى يبعث الله إمام الحقّ من آل محمّد صلى الله عليه وآله (١).

وروى ابن بابويه في (إكماله) مسنداً عن أبي سعيد عقيصا، قال: لمّا صالح الحسن بن عليّ عليه السلام معاوية بن أبي سفيان دخل عليه النّاس، فلامه بعضهم على بيعته. فقال عليه السلام: ويحكم ما تدرون ما عملت، والله الّذي عملت خير لشيعتي ممّا طلعت عليه الشّمس أو غربت، ألا تعلمون أنّني إمامكم مفترض الطّاعة عليكم، وأحد سيّدي شباب أهل الجنّة بنصّ من رسول الله صلى الله عليه وآله عليّ؟ قالوا: بلى قال: أما علمتم أنّ الخضر لمّا خرق السفينة، وأقام

---

(١) المقاتل لأبي الفرج: ٤٤.

الجدار، وقتل الغلام كان ذلك سخطاً لموسى بن عمران عليه السلام، إذ خفي عليه وجه الحكمة في ذلك، وكان ذلك عند الله حكمة وصواباً؟ أما علمتم أنّه ما منّا إلّا ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه، إلّا القائم الّذي يصلّي روح الله عيسى بن مريم عليه السلام خلفه، فإنّ الله عزّوجلّ يخفي ولادته ويغيّب شخصه لئلّا يكون لأحد في عنقه بيعة، إذا خرج ذلك التاسع من ولد أخي الحسين عليه السلام؟...[1]

وروى المدائني: أنّ سفيان بن أبي ليلى لمّا قال للحسن عليه السلام: السّلام عليك يا مذلّ المؤمنين، قال له الحسن عليه السلام: إنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله رفع له ملك بني أُمّية فنظر إليهم يعلون منبره واحداً فواحداً، فشقّ ذلك عليه فأنزل تعالى في ذلك قرآناً: ﴿...وما جعلنا الرّؤيا التي أريناك إلّا فتنة للناس والشّجرة الملعونة في القرآن ونخوّفهم فما يزيدهم إلّا طغياناً كبيراً﴾[2] وسمعت أبي عليه السلام يقول: سيلي أمر هذه الأُمّة رجل واسع البلعوم، كبير البطن، فسألته من هو؟ فقال: معاوية. وقال لي: إنّ القرآن قد نطق بملك بني أُمية ومدّتهم؛ قال تعالى: ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾[3]، قال أبي عليه السلام: هذه ملك بني أُميّة[4].

وقال أيضاً: قال حجر بن عدي للحسن عليه السلام لمّا صالح معاوية: لوددت أنّك متّ قبل هذا اليوم ولم يكن ما كان، إنّا رجعنا راغمين بما كرهنا، ورجعوا مسرورين بما أحبوا. فتغيّر وجه الحسن عليه السلام، وغمز الحسين عليه السلام حجراً فسكت. فقال الحسن عليه السلام: يا حجر ليس كلّ النّاس يحبّ ما تحبّ، ولا رأيه رأيك، وما فعلت ما فعلت إلّا إبقاء عليك، والله كلّ يوم في شأن[5].

وروى أيضاً: أنّ الحسن عليه السلام قال لرجل لامه على بيعته: خشيت أن

---

(١) كمال الدين للصدوق ١: ٣١٥ ح ٢.

(٢) الإسراء: ٦٠.

(٣) القدر: ٣.

(٤ و ٥) نقلها عن المدائني ابن أبي الحديد في شرحه ٤: ٦، ٧، شرح الكتاب ٣١.

يأتي يوم القيامة سبعون ألفاً أو ثمانون ألفاً تشخب أوداجهم دماً، كلّهم يستعدي الله فيم هريق دمه[١]؟

وقال أيضاً: إنّ علياً عليه السلام لمّا توفّي خرج ابن عبّاس فقال: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام توفّي وقد ترك خلفاً، فإن أحببتم خرج إليكم، وإن كرهتم فلا أحد على أحد. فبكى الناس، وقالوا: بل يخرج إلينا. فخرج الحسن عليه السلام، فخطبهم فقال: أيّها الناس اتّقوا الله فإنّا أُمراؤكم وأولياؤكم، وإنّا أهل البيت الّذين قال الله فينا: ﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾[٢] فبايعوه وكان خرج إليهم وعليه ثياب سود، ثمّ وجّه عبد الله بن عبّاس ومعه قيس بن سعد مقدّمة له في اثني عشر ألفاً إلى الشّام، وخرج هو يريد المدائن، فطُعن بساباط، وانتهب متاعه، ودخل المدائن، وبلغ ذلك معاوية فأشاعه، وجعل أصحاب الحسن عليه السلام الّذين وجّههم مع عبد الله يتسلّلون إلى معاوية، الوجوه وأهل البيوتات، فكتب عبد الله بذلك إلى الحسن عليه السلام، فخطب النّاس ووبّخهم وقال: خالفتم أبي حتّى حكّم وهو كاره، ثمّ دعاكم إلى قتال أهل الشام بعد التحكيم، فأبيتم حتّى صار إلى كرامة الله، ثمّ بايعتموني على أن تسالموا من سالمني وتحاربوا من حاربني، وقد أتاني أنّ أهل الشرف منكم قد أتوا معاوية وبايعوه، فحسبي منكم لا تعرّوني من ديني ونفسي.

وأرسل عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطّلب -وأُمّه بنت أبي سفيان- إلى معاوية يسأله المسالمة، واشترط عليه العمل بكتاب الله وسنّة نبيّه، وأن لا يبايع لأحد من بعده، وأن يكون الأمر شورى، وأن

---

(١) نقلها عن المدائني ابن أبي الحديد في شرحه ٤: ٦، ٧، شرح الكتاب ٣١.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

يكون النّاس أجمعون آمنين[١].

وفي (مروج المسعودي): ومن خطب الحسن عليه السلام في أيّامه في بعض مقاماته: نحن حزب الله المفلحون، وعترة رسوله الأقربون، وأهل بيته الطّاهرون الطّيّبون، وأحد الثّقلين اللذين خلّفهما رسول الله صلى الله عليه وآله، والثّاني كتاب الله فيه تفصيل كلّ شيءٍ، ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾[٢] والمعوّل عليه في كلّ شيء، لا يخطئنا تأويله، بل نتيقّن حقائقه، فأطيعونا فإنّا طاعتنا مفروضة، إذ كانت بطاعة الله والرّسول وأولي الأمر مقرونة ﴿فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول﴾[٣]، ﴿ولو ردّوه إلى الرّسول وإلى أُولي الأمر منهم لعلمه الّذين يستنبطونه منهم﴾[٤] وأُحذّركم الإصغاء لهتاف الشّيطان ﴿إنّه لكم عدوّ مبين﴾[٥]، فتكونون كأوليائه الّذين قال لهم: ﴿لا غالب لكم اليوم من النّاس وإنّي جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه، وقال إنّي بريء منكم إنّي أرى ما لا ترون﴾[٦]. فتلقون للرماح أزراً وللسيوف جزراً، وللعمد خطأ، وللسهام غرضاً، ثمّ ﴿... لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً...﴾[٧].

وروى أبو الفرج عن الشّعبي قال: خطب معاوية بعدما بويع له فقال: ما اختلفت أُمّة بعد نبيّها إلّا ظهر أهل باطلها على أهل حقّها. ثمّ إنّه انتبه فندم.

---

(١) نقله عن المدائني ابن أبي الحديد في شرحه ٤: ٨، شرح الكتاب ٣١.

(٢) فصلت: ٤٢.

(٣) النساء: ٥٩.

(٤) النساء: ٨٣.

(٥) الأنعام: ١٤٢.

(٦) الأنفال: ٤٨.

(٧) مروج الذهب للمسعودي ٢: ٤٣١، والآية ١٥٨ من سورة الأنعام.

فقال: إلّا هذه الأمّة، فإنّها وإنّها[١].

وعن أبي إسحاق قال: سمعت معاوية بالنّخيلة يقول: ألا إنّ كلّ شيء أعطيته الحسن بن علي تحت قدمي هاتين، لا أفي به. فقال: وكان والله غدّاراً[٢].

وعن سعيد بن سويد قال: صلّى بنا معاوية بالنّخيلة الجمعة في الصحن، ثم خطبنا، فقال: إنّي والله ما قاتلتكم لتصلّوا ولا لتصوموا ولا لتحجّوا ولا لتزكّوا، إنّكم لتفعلون ذلك، وانّما قاتلتكم لأتأمّر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون. قال شريك في حديثه: هذا هو التهتّك[٣].

وعن حبيب بن أبي ثابت قال: لمّا بويع معاوية خطب فذكر عليّاً عليه السلام فنال منه، ونال من الحسن عليه السلام، فقام الحسين عليه السلام ليرد عليه فأخذ الحسن عليه السلام بيده فأجلسه، ثمّ قال: أيّها الذاكر عليّاً أنا الحسن وأبي عليّ، وأنت معاوية وأبوك صخر (أبو سفيان)، وأُمّي فاطمة، وأُمّك هند، وجدّي رسول الله صلى الله عليه وآله، وجدّك حرب، وجدّتي خديجة، وجدّتك قتيلة، فلعن الله أخملنا ذكراً، وألأمنا حسباً، وشرّنا قدماً، وأقدمنا كفراً ونفاقاً. فقال طوائف من أهل المسجد: آمين[٤].

وروى المدائني: أنّ معاوية سأل الحسن عليه السلام بعد الصّلح أن يخطب النّاس فامتنع، فناشده أن يفعل، فوضع له كرسي فجلس عليه، ثمّ قال: الحمد لله الّذي توحّد في ملكه وتفرّد في ربوبيّته، يؤتي الملك من يشاء، وينزعه عمّن يشاء، والحمد لله الّذي أكرم بنا مؤمنكم، وأخرج من الشّرك أوّلكم، وحقن دماء آخركم، فبلاؤنا عندكم قديماً وحديثاً أحسن البلاء، إن شكرتم أو كفرتم أيّها النّاس إنّ ربّ عليّ كان أعلم به حين

(١ و ٢ و ٣) المقاتل لأبي الفرج: ٤٥.

(٤) المقاتل لأبي الفرج: ٤٦.

قبضه اليه، ولقد اختصّه بفضل لم تعتدوا بمثله، ولم تجدوا مثل سابقته، فهيهات هيهات، طالما قلّبتم له الأمور حتّى أعلاه الله عليكم، وهو صاحبكم وعدوّكم في بدر وأخواتها، جرّعكم رنقاً، وسقاكم علقاً، وأذلّ رقابكم، وأشرقكم بريقكم، فلستم بملومين على بغضه، وايم الله لا ترى أمّة محمّد صلّى الله عليه وآله خفضاً ما كانت سادتهم وقادتهم بني أمّية، ولقد وجّه الله إليكم فتنة لن تصدروا عنها حتّى تهلكوا، لطاعتكم طواغيتكم وانضوائكم إلى شياطينكم، فعند الله أحتسب ما مضى، وما ينتظر من سوء دعتكم، وحيف حكمكم. ثمّ قال: يا أهل الكوفة لقد فارقكم بالأمس سهم من مرامي الله، صائل على أعداء الله، نكال على فجّار قريش، لم يزل آخذاً بحناجرها، جاثماً على أنفاسها، ليس بالملومة في أمر الله، ولا بالسّروقة لمال الله، ولا بالفروقة في حرب أعداء الله، أعطى الكتاب خواتمه وعزائمه، دعا فأجابه، وقاده فاتّبعه، لا تأخذه في الله لومة لائم، فصلوات الله عليه ورحمته. قال: ثم نزل، فقال معاوية: أخطأ عجل أو كاد، وأصاب متثبت أو كاد، ماذا أردت من خطبة الحسن[1]؟

وروى عن أبي الطفيل قال: قال الحسن عليه السلام لمعاوية بن خديج: أنت الشاتم علياً عليه السلام عند ابن آكلة الأكباد؟ أما والله لئن وردت الحوض، ولن ترده لترينّه مشمّراً عن ساقيه، حاسراً عن ذراعيه، يذود عنه المنافقين[2].

وعن الأسود بن قيس العبدي قال: قال الحسن عليه السلام لحبيب بن مسلمة: ربّ مسير لك في غير طاعة الله. فقال: أمّا مسيري إلى أبيك فليس من ذلك. قال: بلى والله، ولكنّك أطعت معاوية على دنيا قليلة زائلة، فلئن قام بك في دنياك لقد قعد بك في آخرتك، ولو كنت إذا فعلت شرّاً قلت خيراً، كان ذلك كما قال

(١ و ٢) نقله عن المدائني ابن أبي الحديد في شرحه ٤: ١٠، ٧ شرح الكتاب ٣١.

عزّوجلّ: ﴿خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً﴾(١) ولكنك كما قال سبحانه: ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾(٢).

وروى الزّبير بن بكار في (مفاخراته): أنّه اجتمع عند معاوية عمرو بن العاص، والوليد بن عقبة، وعتبة بن أبي سفيان، وقد كان بلغهم عن الحسن عليه السلام قوارص، وبلغه عنه مثل ذلك، فقالوا لمعاوية: إنّ الحسن قد أحيا أباه ذكره، وقال فصدّق، وأمر فأُطيع، وخفقت النّعال خلفه، وأنّ ذلك لرافعه إلى ما هو أعظم، ولا يزال يبلغنا عنه ما يسوؤنا.

قال معاوية: ما تريدون؟ قالوا: ابعث إليه فأحضره، لنسبّه ونسبّ أباه ونعيّره ونوبّخه، ونخبره أنّ أباه قتل عثمان، ونقرّره بذلك، ولا يستطيع أن يغيّر علينا شيئاً من ذلك. قال: إن بعثت إليه لأنصفنه منكم. فقال عمرو بن العاص: أتخشى أن يأتي باطله على حقّنا أو يربو قوله على قولنا؟ قال: أمّا إنّي إن بعثت إليه لآمرنه أن يتكلّم بلسانه كلّه. قالوا: مره. قال: أمّا إذا عصيتموني وبعثتم إليه، وأبيتم إلّا ذلك فلا تمرّضوا له في القول، واعلموا أنّهم أهل بيت لا يعيبهم العائب، ولا يلصق بهم العار، ولكن اقذفوه بحجره، وقولوا له: إنّ أباك قتل عثمان، وكره خلافة الخلفاء قبله.

فبعث معاوية إليه. فقال لرسوله: من عنده؟ فسمّاهم، فقال الحسن عليه السلام: مالهم خرّ عليهم السّقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون؟ ثمّ قال: يا جارية أبلغيني ثيابي، اللّهمّ إنّي أعوذ بك من شرورهم، وأدرأ بك في نحورهم، وأستعين بك عليهم، فاكفنيهم كيف شئت، وأنّى شئت بحول منك وقوّة، يا أرحم الراحمين.

---

(١) التوبة: ١٠٢.

(٢) نقله عن المدائني ابن أبي الحديد في شرحه ٤: ٧، شرح الكتاب ٣١ والآية ١٤ من سورة المطففين.

قال: فلمّا دخل على معاوية أعظمه وأجلسه إلى جانبه وقد ارتاد القوم، وخطروا خطران الفحول بغياً في أنفسهم وعلوّاً، ثم قال: يا أبا محمّد إنّ هؤلاء بعثوا إليك وعصوني. فقال: سبحان الله، الدّار دارك والإذن فيها إليك، والله لئن كنت أجبتهم إلى ما أرادوا في أنفسهم إنّي لأستحيي لك من الفحش، وإن كانوا غلبوك على رأيك إنّي لأستحيي لك من الضّعف، فأيّهما تقرّ وأيّهما تنكر؟ أما أني لو علمت بمكانهم جئت بمثلهم من بني عبد المطلب، وما لي أن أكون متوحّشاً منك ولا منهم، إنّ وليي الله ﴿وهو يتولّى الصالحين﴾[1].

فقال معاوية: إنّي كرهت أن أدعوك ولكن حملوني على ذلك مع كراهتي له، وأنّ لك منهم النّصف ومنهم، وإنّما دعوناك لنقرّرك أنّ عثمان قتل مظلوماً، وأنّ أباك قتله، فاستمع منهم ثمّ أجبهم، ولا تمنعك وحدتك واجتماعهم أن تتكلّم بكلّ لسانك.

فتكلّم عمرو بن العاص وذكر عليّاً فلم يترك شيئاً يعيبه به إلّا قاله، وقال: إنّه شتم أبا بكر وكره خلافته، وامتنع من بيعته، ثمّ بايعه مكرهاً، وشرك في دم عمر، وقتل عثمان ظلماً، وادّعى من الخلافة ما ليس له، ثمّ ذكر الفتنة يعيّره بها، وأضاف إليه مساوياً، وقال: إنّكم يا بني عبد المطّلب لم يكن الله ليعطيكم الملك على قتلكم الخلفاء واستحلالكم ما حرّم الله من الدّماء، وحرصكم على الملك، وإتيانكم ما لا يحلّ، ثمّ إنّك يا حسن تحدّث نفسك أنّ الخلافة صائرة إليك، وليس عندك عقل ذلك ولا لبّه، كيف ترى الله سلبك عقلك، وتركك أحمق قريش، تسخر قريش منك وتهزؤك، وذلك لسوء عمل أبيك، وإنّما دعوناك لنسبّك وأباك؟ فأمّا أبوك فقد تفرّد الله به وكفانا أمره، وأمّا أنت فإنّك في أيدينا نختار فيك الخصال، ولو قتلناك ما كان علينا إثم من الله، ولا

(١) الأعراف: ١٩٦.

عيب من النّاس، فهل تستطيع أن تردّ علينا وتكذّبنا؟ فإن كنت ترى أنّا كذبنا في شيء فأردده علينا في ما قلنا، وإلّا فاعلم أنّك وأباك ظالمان.

ثمّ تكلّم الوليد بن عقبة فقال: يا بني هاشم إنّكم كنتم أخوال عثمان، فنعم الولد كان لكم، فعرف حقّكم، وكنتم أصهاره، فنعم الصهر كان لكم، يكرمكم، فكنتم أوّل من حسده، فقتله أبوك ظلماً لا عذر له ولا حجّة، فكيف ترون أنّ الله طلب بدمه وأنزلكم منزلتكم؟ والله إنّ بني أُمية كانوا خيراً لبني هاشم من بني هاشم لبني أُميّة، وإنّ معاوية خير لك من نفسك.

ثمّ تكلّم عتبة بن أبي سفيان، فقال: يا حسن كان أبوك شرّ قريش لقريش، أسفكه لدمائها، أقطعه لأرحامها، طويل السّيف واللّسان، يقتل الحيّ ويعيب الميّت، وإنّك ممّن قتل عثمان، ونحن قاتلوك به، وأمّا رجاؤك الخلافة فلست في زندها قادحاً، ولا في ميزانها راجحاً، وإنّكم يا بني هاشم قتلتم عثمان، وإنّ في الحقّ أن نقتلك وأخاك به، فأمّا أبوك فقد كفانا الله أمره وأقاد منه، وأما أنت فوالله ما علينا لو قتلناك بعثمان إثم ولا عدوان.

ثمّ تكلّم المغيرة بن شعبة فشتم علياً عليه السلام وقال: والله ما أعيبه في قضية يخون، ولا في حكم يميل، ولكنّه قتل عثمان.

ثمّ سكتوا فتكلّم الحسن عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على رسوله، ثمّ قال: أمّا بعد يا معاوية فما هؤلاء شتموني ولكنّك شتمتني، فحشاً ألفته، وسوء رأي عرفت به، وخلقاً سيّئاً ثبتّ عليه، وبغياً علينا، وعداوة منك لمحمّد صلى الله عليه وآله وأهله، ولكن اسمع يا معاوية واسمعوا، فلأقولنّ فيك وفيهم دون ما فيكم، أُنشدكم الله أيّها الرّهط أتعلمون أنّ الذي شتمتموه منذ اليوم صلّى القبلتين، وأنت يا معاوية بهما كافر تراهما ضلالة، وتعبد اللّات والعزّى غواية؟ وأُنشدكم الله هل تعلمون أنّه بايع البيعتين: بيعة الفتح وبيعة الرضوان، وأنت يا معاوية بإحداهما كافر، وبالأُخرى ناكث؟ وأُنشدكم الله هل

تعلمون أنّه أوّل النّاس إيماناً، وأنّك يا معاويه وأباك من المؤلّفة قلوبهم تسرّون الكفر، وتظهرون الإسلام، وتستمالون بالأموال؟ وأُنشدكم الله ألستم تعلمون أنّ علياً عليه السلام كان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر، وأنّ راية المشركين كانت مع معاوية وأبيه، ثمّ لقيكم يوم أُحد ويوم الأحزاب ومعه راية رسول الله صلى الله عليه وآله ومعك يا معاوية ومع أبيك راية الشرك، وفي كلّ ذلك يفتح الله له، ويفلج حجّته، وينصر دعوته، ويصدّق حديثه، ورسول الله صلى الله عليه وآله في تلك المواطن كلّها عنه راض، وعليك وعلى أبيك ساخط؟ وأُنشدك الله يا معاوية أتذكر يوم جاء أبوك على جمل أحمر، وأنت تسوقه وأخوك عتبة هذا يقوده، فرآكم النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: اللّهمّ العن الرّاكب والقائد والسّائق؟ أتنسى يا معاوية الشعر الذي كتبته إلى أبيك لمّا همّ أن يسلم تنهاه عن ذلك؟ وهو:

يا صخر لا تسلمن يوماً فتفضحنا ... بعد الّذين ببدر أصبحوا مزقا
خالي وعمّي وعمّ الأم ثالثهم ... وحنظل الخير قد أهدى لنا الأرقا
لا تركنن إلى أمر تكلفنا ... والرّاقصات به في مكّة الخرقا
فالموت أهون من قول العداة لقد ... حار ابن حرب عن العزّى إذن فرقا

والله لما أخفيت من أمرك أكبر ممّا أبديت، وأُنشدكم الله أيّها الرهط ألستم تعلمون أنّ علياً عليه السلام حرّم على نفسه الشّهوات بين أصحاب النّبيّ صلى الله عليه وآله، فأنزل تعالى فيه: ﴿يا أيها الّذين آمنوا لا تحرّموا طيّبات ما أحلّ الله لكم...﴾[1]؟ وأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله بعث أكابر أصحابه إلى بني قريظة، فنزلوا من حصنهم فهزموهم، فبعث علياً عليه السلام بالرّاية، فاستنزلهم على حكم الله وحكم رسوله، وفعل في خيبر مثلها؟

ثمّ قال: يا معاوية أظنّك لا تعلم أنّي أعلم ما دعا به عليك النّبيّ صلى الله عليه وآله لمّا

(١) المائدة: ٨٧.

أراد أن يكتب كتاباً إلى بني خزيمة، فبعث إليك ونهمك إلى أن تموت؟ وأنتم أيّها الرّهط نشدتكم الله ألا تعلمون أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله لعن أبا سفيان في سبعة مواطن لا تستطيعون ردّها:

أوّلها: يوم لقي النبيّ صلى الله عليه وآله خارجاً من مكّة إلى الطّائف، يدعو ثقيفاً إلى الدّين، فوقع فيه وسبّه وسفّهه وشتمه وكذّبه وتوعّده وهمّ أن يبطش به، فلعنه الله ورسوله وصرف عنه.

والثانية: يوم العير، إذ عرض لها النّبيّ صلى الله عليه وآله وهي جائية من الشّام، فطردها أبو سفيان وساحل بها، فلم يظفر المسلمون بها، فلعنه النّبيّ صلى الله عليه وآله ودعا عليه، فكانت وقعة بدر لأجلها.

والثّالثة: يوم أُحد، وقف أبو سفيان تحت الجبل والنّبيّ صلى الله عليه وآله في أعلاه، وهو ينادي: «أعل هبل» مراراً فلعنه النّبيّ صلى الله عليه وآله عشر مرّات، ولعنه المسلمون.

والرّابعة: يوم جاء بالأحزاب وغطفان واليهود، فلعنه النّبيّ صلى الله عليه وآله وابتهل.

والخامسة: يوم جاء أبو سفيان في قريش، فصدّوا النّبيّ صلى الله عليه وآله عن المسجد الحرام ﴿...والهدي معكوفاً أن يبلغ محلّه...﴾[1]، وذلك يوم الحديبيّة، فلعن النّبيّ صلى الله عليه وآله أبا سفيان، ولعن القادة والأتباع، وقال: ملعونون كلّهم وليس فيهم من يؤمن. فقيل: يا رسول الله أفما ترجو الإسلام لأحد منهم، فكيف باللّعنة؟ فقال: لا تصيب اللعنة أحداً من الأتباع، وأمّا القادة فلا يفلح منهم أحد.

والسادسة: يوم الجمل الأحمر.

والسابعة: يوم وقفوا للنّبيّ صلى الله عليه وآله في العقبة، ليستنفروا ناقته، وكانوا اثني عشر رجلاً، منهم: أبو سفيان. فهذا لك يا معاوية.

---

(١) الفتح: ٢٥.

وأمّا أنت يابن العاص فإنّ أمرك شبرك، وضعتك أُمّك مجهولاً من عهر وسفاح، فتحاكم فيك أربعة من قريش، فغلب عليك جزارها ألأمها حسباً، وأخسّهم منصباً، ثمّ قام أبوك فقال: أنا شانئ محمّد الأبتر؛ فأنزل عزّوجلّ فيه ما أنزل، وقاتلت رسول الله ﷺ في جميع المشاهد وهجوته، وآذيته بمكّة وكدته كيدك كلّه، وكنت من أشدّ النّاس عداوة له، وتكذيباً؛ ثمّ خرجت مع أصحاب السّفينة تريد النّجاشي، لتأتي بجعفر وأصحابه إلى أهل مكّة، فلمّا أخطاك ما رجوت، ورجعك الله خائباً، وأكذبك واشياً جعلت حدّك على صاحبك عمارة بن الوليد، فوشيت به إلى النجاشي حسداً لما ارتكب من حليلتك، ففضحك الله وفضح صاحبك، فإنّك عدوّ بني هاشم في الجاهليّة والإسلام، ثمّ إنّك تعلم ـ وكلّ هؤلاء الرّهط يعلمون ـ أنّك هجوت النبيّ ﷺ بسبعين بيتاً من الشّعر، فقال: اللّهمّ إنّي لا أقول الشّعر، ولا ينبغي لي، اللّهمّ العنه بكلّ حرف ألف لعنة. فعليك إذن من الله ما لا يحصى من اللعن، وأمّا ما ذكرت من أمر عثمان فأنت شغرت عليه الدّنيا، ثمّ لحقت بفلسطين، فلمّا أتاك قتله قلت: أنا أبو عبد الله إذا نكأت قرحة أدميتها؛ ما نصرت عثمان حيّاً ولا غضبت له مقتولاً. ويحك يابن العاص! ألست القائل في بني هاشم لمّا خرجت من مكّة إلى النجاشي:

تقول ابنتي أين هذا الرّحيل ... وما السّتر منّي بمستنكر
فقلت ذريني فإنّي امرؤ ... أريد النّجاشي في جعفر
لأكويه عنده كيّة ... أقيم بها نخوة الأصعر
وشانئ أحمد من بينهم ... وأقولهم فيه بالمنكر
وأجري إلى عتبة[1] جاهداً ... ولو كان كالذّهب الأحمر

---

(١) قلت: ومراده بعتبة النّجاشي.

ولا أنـــتني عـــن بـــني هـــاشم وما اسطعت في الغيب والمحضر
فـــإن قـــبل العـــتب مـــنّي له وإلّا لويت له مشـــــفري

فهذا جوابك يا عمرو، هل سمعته؟

وأمّا أنت يا وليد، فوالله ما ألومك على بغض عليّ عليه السلام وقد جلدك في الخمر ثمانين، وقتل أباك بين يدي النّبيّ صلى الله عليه وآله صبراً، وأنت الّذي سمّاه الله الفاسق، وسمّى علياً عليه السلام المؤمن حيث تفاخرتما، فقلت له: اسكت يا عليّ، فأنا أشجع منك جناناً، وأطول منك لساناً. فقال لك عليّ عليه السلام: اسكت يا وليد فأنا مؤمن وأنت فاسق. فأنزل تعالى في موافقة قوله عليه السلام: ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون﴾[1]. ثمّ أنزل فيك على موافقة قوله عليه السلام أيضاً: ﴿إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا﴾[2] ويحك يا وليد! مهما نسيت فلا تنس قول الشاعر فيك وفيه:

أنـــزل الله ـ والكـــتاب عـزيز ـ في عـلـيّ وفـي الوليـد قـرآنـا
فـــتبوّى الوليـد إذ ذاك فسـقاً وعـــــليّ مـــبوّأ إيـــمانا
ليس من كان مؤمناً عمرك اللّـ ـه كـمن كـان فـاسقاً خـوّانـا
سوف يدعى الوليد بعد قليل وعـــليّ إلى الحســاب عـــيانا
فـــعليّ يـجزى بـــذاك جـنانا ووليـــد يـجزى بـذاك هـوانـا

وما أنت وقريش؟ إنّما أنت علج من أهل صفورية، وأُقسم بالله لأنت أكبر في الميلاد، وأسنّ عمّن تدعى إليه.

قال: وأما أنت يا عتبة، فوالله ما أنت بحصيف فأُجيبك، ولا عاقل فأُحاورك، وأُعاتبك، وما عندك خير يُرجى ولا شرّ يُتّقى، وما عقلك وعقل أمتك

(١) السجدة: ١٨.

(٢) الحجرات: ٦.

إلّا سواء، وما تضرّ عليّاًعليه السلام لو سببته على رؤوس الأشهاد؟ وأمّا وعيدك إيّاي بالقتل، فهلا قتلت اللحياني إذ وجدته على فراشك؟ أما تستحي من قول نصر بن حجاج فيك:

يا للـرجـال وحـادث الأزمـان ولسـبّة تــخزي أبـا سـفيان
نبّئت عتبة خـانه فـي عـرسه جنس لئيم الأصل من لحـيان

وبعد هذا ما ارتاع لذكره لفحشه، فكيف يخاف أحد سيفك ولم تـقتل فاضحك؟ وكيف ألومك على بغض عليّعليه السلام وقد قتل خالك الوليد مبارزة يوم بدر، وشرك حمزة في قتل جدّك عتبة، وأوجدك من أخيك حنظلة فـي مـقام واحد؟

وأمّا أنت يا مغيرة فلم تكن بخليق إن تقع في هذا وشبهه، وإنّما مـثلك مثل البعوض إذ قالت للنخلة: استمسكي فإنّي طائرة عنك. فقالت النخلة: فهل علمت بك واقعة عليّ، فأعلم بك طائرة عنّي؟! والله ما نشعر بعداوتك إيّانا، ولا اغتممنا إذ علمنا بها، ولا يشقّ علينا كلامك، وأنّ حدّ الله في الزّنا لثابت عليك، ولقد درأ عمر عنك حقّاً اللّهُ سائله عنه، ولقد سألت النبيّصلى الله عليه وآله: هل ينظر الرّجل إلى المرأة يريد أن يتزوّجها؟ فقال: لا بأس بذلك يا مغيرة مالم ينو الزّنا؛ لعلمه بأنّك زان.

وأمّا فخركم علينا بالإمارة فإنّه تعالى يقول: ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القول فدمّرناها تدميراً﴾[(١)].

ثمّ قام الحسنعليه السلام فنفض ثوبه وانصرف، فتعلّق المغيرة بثوبه، وقال لمعاوية: قد شهدت قوله فيّ وقذفه إيّاي بالزنا، وأنا مطالب له بحدّ القذف. فقال معاوية: خلّ عنه ـ لا جزاك الله خيراً ـ فتركه. فقال معاوية: قد أنبأتكم أنّه ممّن لا

(١) الإسراء: ١٦.

يطاق عارضته، ونهيتكم أن تسبّوه، فعصيتموني، والله ما قام حتّى أظلم عليّ البيت، قوموا عنّي، فلقد فضحكم الله وأخزاكم بترككم الحزم، وعدولكم عن رأي الناصح المشفق[1].

ورواه سبط ابن الجوزي في (تذكرته)، وفيه: أنّ الحسن عليه السلام قال لمعاوية: «وقد علمت الفراش الّذي ولدت عليه». وقال السّبط في تفسير كلامه عليه السلام: قال هاشم الكلبي في (مثالبه): إنّ معاوية كان يقال إنّه من أربعة: عمارة بن الوليد، ومسافر بن أبي عمرو، والعبّاس، وأبي سفيان[2].

وروى السّبط أيضاً عن هشام الكلبي: أنّ مروان لمّا كان والياً على المدينة بعث رسولاً إلى الحسن عليه السلام وقال: قل له يقول لك مروان: أبوك الّذي فرّق الجماعة، وقتل أمير المؤمنين عثمان، وأباد العلماء والزّهاد -يعني الخوارج- وأنت تفخر بغيرك فإذا قيل لك من أبوك؟ تقول خالي الفرس. فجاء الرسول إلى الحسن، فقال له: يا أبا محمّد إنّي أتيتك برسالة ممّن يخاف سطوته ويحذر سيفه، فإن كرهت لم أبلّغك إيّاها ووقيتك بنفسي؟ فقال الحسن عليه السلام: لا بل تؤدّيها ونستعين عليه بالله، فأدّاها، فقال له عليه السلام: تقول لمروان: إن كنت صادقاً فالله يجزيك بصدقك، وإن كنت كاذباً فالله أشدّ نقمة. فخرج الرّسول من عنده فلقيه الحسين عليه السلام فقال: من أين أقبلت؟ فقال: من عند أخيك الحسن. فقال: وما كنت تصنع؟ قال: أتيت برسالة من عند مروان. فقال: وماهي؟ فامتنع الرّسول من ادائها. فقال: لتخبرني أو لأقتلنّك. فسمع الحسن عليه السلام فخرج، وقال لأخيه: خلّ عن الرّجل. فقال: لا والله حتّى أسمعها. فأعادها الرسول عليه. فقال عليه السلام: قل له يقول لك الحسين بن علي بن فاطمة:

---

(١) نقله عن الزبير بن بكار في المفاخرات ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ١٠١، شرح الخطبة ٨٢.

(٢) تذكرة الخواص: ٢٠٢، والنقل بالمعنى.

يابن الزرقاء الدّاعية إلى نفسها بسوق ذي المجاز صاحبة الرّاية بسوق عكّاظ! ويابن طريد رسول الله ولعينه! اعرف من أنت ومن أمّك ومن أبوك. قال: فجاء الرّسول إلى مروان فأعاد عليه ما قالا، فقال له: ارجع إلى الحسن، وقل له: أشهد أنّك ابن رسول الله. وقل للحسين: أشهد أنّك ابن عليّ بن أبي طالب. فقال (الحسين) عليه السلام للرّسول: قل له: كلاهما لي ورغماً.

قال: قال الأصمعي: أمّا قول الحسين عليه السلام: «يابن الدّاعية إلى نفسها» فذكر ابن إسحاق أنّ أمّ مروان اسمها أميّة، وكانت من البغايا في الجاهليّة، وكان لها راية مثل راية البيطار تعرف بها، وكانت تسمّى أمّ حنبل الزّرقاء، وكان مروان لا يُعرف له أب، وإنّما نسب إلى الحكم كما نسب عمرو إلى العاص. وأمّا قوله: «يابن طريد رسول الله» فيشير إلى الحكم بن أبي العاص؛ أسلم الحكم يوم الفتح وسكن المدينة، وكان ينقل أخبار النبيّ صلى الله عليه وآله إلى الكفار من الأعراب وغيرهم، ويتجسّس عليه. قال الشّعبي: وما أسلم إلّا لهذا، ولم يحسن إسلامه، ورآه النّبيّ صلى الله عليه وآله يوماً وهو يمشي ويتخالج في مشيته ـيحاكي النّبيّ صلى الله عليه وآله ـ فقال له: كن كذلك. فمازال يمشي كأنّه يقع على وجهه، ونفاه النّبيّ صلى الله عليه وآله إلى الطائف ولعنه ـإلى أن قال ـ فلمّا مات عمر، وولّي عثمان ردّه في اليوم الّذي ولّي فيه، وقرّبه وأدناه، ودفع له مالاً عظيماً ورفع منزلته، فقام المسلمون على عثمان وأنكروا عليه، وهو أوّل ما أنكروا عليه، وقالوا له: رددت عدوّ الله ورسوله، وخالفت الله ورسوله. فقال: إنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله وعدني بردّه. فامتنع جماعة من الصّحابة عن الصلاة خلف عثمان لذلك، ثمّ توفّي الحكم في خلافته، فصلّى عليه (عثمان) ومشى خلفه، فشقّ ذلك على المسلمين، وقالوا: ما كفاك ما فعلت حتّى تصلّي على منافق ملعون لعنه النّبيّ صلى الله عليه وآله ونفاه. فخلعوه وقتلوه. قال: وأعطى ابنه مروان خمس غنائم إفريقيّة خمسمائة ألف دينار. ثم قال: وبهذا السّبب قالت (عائشة):

اقتلوا نعثلاً قتله الله فقد كفر[١].

وروى الزّبير بن بكار: أنّ عمرو بن العاص لقي الحسن عليه السلام في الطّواف، فقال له: يا حسن زعمت أنّ الدين لا يقوم إلّا بك وبأبيك، فقد رأيت الله أقامه بمعاوية، فجعله راسياً بعد ميله، وبيّناً بعد خفائه، أفرضي الله بقتل عثمان؟ أو من الحقّ أن تطوّف بالبيت كما يدور الجمل بالطّحن، عليك ثياب كغرقى البيض، وأنت قاتل عثمان؟ والله إنّه لألمّ للشّعث وأسهل للوعث أن يوردك معاوية حياض أبيك. فقال الحسن عليه السلام: إنّ لأهل النّار لعلامات يعرفون بها: إلحاداً لأولياء الله، وموالاة لأعداء الله، والله إنّك لتعلم أنّ عليّاً لم يرتب في الدين، ولم يشكّ في الله ساعة، ولا طرفة عين قطّ، وايم الله لتنتهين يابن أُمّ عمرو أو لأنفذن حضنيك بنوافذ أشدّ من القعضبية، فإيّاك والتهجّم عليّ، فإنّي من قد عرفت، لست بضعيف الغمزة، ولا هشّ المشاشة، ولا مريء المأكلة، وإنّي من قريش كواسطة القلادة، يعرف حسبي، ولا أُدعى لغير أبي، وأنت من تعلم ويعلم النّاس، تحاكمت فيك رجال قريش، فغلب عليك جزّارها، ألأمهم حسباً، وأعظمهم لؤماً، فإيّاك عنّي فإنّك رجس، ونحن أهل بيت الطهارة أذهب الله عنّا الرّجس وطهّرنا تطهيراً. قال: فأفحم عمرو وانصرف كئيباً[٢].

وروى أبو الفرج والمدائني، واللّفظ للأوّل: أنّ الحسن عليه السلام كتب إلى معاوية ـ إلى أن قال ـ: فلمّا توفّي النّبي صلى الله عليه وآله تنازعت سلطانه العرب، فقالت قريش: نحن قبيلته وأُسرته وأولياؤه، ولا يحلّ لكم أن تنازعونا سلطان محمّد في النّاس وحقّه، فرأت العرب أنّ القول كما قالت قريش، وأنّ الحجّة لهم في

---

(١) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ٢٠٧.

(٢) لم أظفر على من نقله عن الزبير بن بكار بل رواه المدائني كما نقل ابن أبي الحديد في شرحه ٤: ١٠، ونقله الشارح نفسه عن المدائني في العنوان ٥ من هذا الفصل.

ذلك على من نازعهم أمر محمّد ﷺ فأنعمت لهم العرب، وسلّمت ذلك، ثمّ حاججنا نحن قريشاً بمثل ما حاجّت به العرب، فلم تنصفنا قريش إنصاف العرب لها، إنّهم أخذوا هذا الأمر دون العرب بالانتصاف والاحتجاج، فلمّا صرنا ـ أهل بيت محمّد وأولياؤه ـ إلى محاجّتهم وطلب النّصف منهم باعدونا، واستولوا بالاجتماع على ظلمنا ومراغمتنا، والعنت منهم لنا، فالموعد الله وهو الولي النّصير، وقد تعجبنا لتوثّب المتوثّبين علينا في حقّنا وسلطان نبيّنا ﷺ وإن كانوا ذوي فضيلة وسابقة في الإسلام، فأمسكنا عن منازعتهم، مخافة على الدّين أن يجد المنافقون والأحزاب بذلك مغمزاً يثلمونه به، أو يكون لهم بذلك سبب لما أرادوا به من فساده، فاليوم فليعجب المتعجّب من توثّبك يا معاوية على أمر لست من أهله، لا بفضل في الدين معروف، ولا أثر في الإسلام محمود، وأنت ابن حزب من الأحزاب، وابن أعدى قريش للنّبيّ ﷺ، ولكنّ الله خيبك، وسترد فتعلم لمن عقبى الدّار، تالله لتلقينّ عن قليل ربّك، ثمّ ليجزينّك بما قدّمت يداك، وما الله بظلّام للعبيد.

إنّ عليّاً رضوان الله عليه لمّا مضى لسبيله ـ رحمة الله عليه يوم قبض ويوم منّ الله عليه بالإسلام، ويوم يبعث حيّاً ـ ولّاني المسلمون الأمر بعده، فأسأل الله أن لا يزيدنا في الدّنيا الزّائلة شيئاً، ينقصنا به في الآخرة ممّا عنده من كرامته، وإنّما حملني على الكتاب إليك الإعذار في ما بيني وبين الله سبحانه وتعالى في أمرك، ولك في ذلك إن فعلت الحظّ الجسيم، وللمسلمين فيه صلاح، فدع التمادي في الباطل، وادخل في ما دخل فيه النّاس من بيعتي، فإنّك تعلم أنّي أحقّ بهذا الأمر منك عند الله وعند كلّ أوّاب حفيظ، ومن له قلب منيب، واتّق الله ودع البغي، واحقن دماء المسلمين، فوالله مالك من خير في أن تلقى الله من دمائهم بأكثر ممّا أنت لاقيه به ـ إلى أن قال ـ في جواب معاوية لكتابه عليه السلام: وذكرت وفاة النّبيّ وتنازع المسلمين من بعده، فرأيتك صرّحت

بتهمة أبي بكر الصّديق وعمر الفاروق، وأبي عبيدة الأمين، وحواري رسول الله، وصلحاء المهاجرين والأنصار، فكرهت ذلك لك، فإنّك امرؤ عندنا وعند النّاس غير ظنين، ولا المسيء ولا اللئيم، وأنا أُحبّ لك القول السّديد والذكر الجميل، إنّ هذه الأُمّة لمّا اختلفت بعد نبيّها لم تجهل فضلكم، ولا سابقتكم ولا قرابتكم من النّبيّ، ولا مكانتكم في الإسلام وأهله، فرأت الأُمّة أن تخرج من هذا الأمر لقريش لمكانها من نبيّها، ورأى صلحاء النّاس من قريش والأنصار وغيرهم، من سائر النّاس وعامّتهم أن يولّوا هذا الأمر من قريش: أقدمها إسلاماً وأعلمها بالله، وأحبّها له، وأقواها على أمر الله، فاختاروا أبا بكر، وكان ذلك رأي ذوي الحجى والدّين والفضيلة والنّاظرين للأُمّة، فأوقع ذلك في صدوركم لهم التّهمة، ولم يكونوا متّهمين، ولا في ما أتوا بالمخطئين، ولو رأى المسلمون فيكم من يغني غناءه، أو يقوم مقامه أو يذبّ عن حريم الإسلام ذبّه ما عدلوا بالأمر إلى غيره ـ إلى أن قال ـ والحال في ما بيني وبينك اليوم مثل الحال الّتي كنتم عليها أنتم وأبو بكر بعد وفاة النّبيّ، فلو علمت أنّك أضبط منّي للرّعيّة، وأحوط على هذه الأُمّة وأحسن سياسة، وأقوى على جمع الأموال، وأكيد للعدّو، لأجبتك إلى ما دعوتني إليه، ورأيتك لذلك أهلاً...»[١].

ومن هذا الكتاب والجواب تعرف حقيقة الأمر في الباب، ويكفيان في إتمام الحجّة لأُولي الألباب.

وعن (كامل المبرد): أنّ شامياً رأى الحسن عليه السلام فجعل يلعنه، والحسن عليه السلام لا يردّ، فلمّا فرغ أقبل الحسن عليه السلام إليه فسلّم عليه وضحك، فقال: أيّها الشّيخ أظنّك غريباً، ولعلّك شبّهت فلو استعتبتنا أعتبناك، ولو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا حملناك، وإن كنت جائعاً

---

(١) رواه أبو الفرج في المقاتل: ٣٥ ـ ٣٧، والمدائني عنه شرح ابن أبي الحديد ٤: ٩، شرح الكتاب ٣١.

أشبعناك، وإن كنت عرياناً كسوناك، وإن كنت محتاجاً أغنيناك، وإن كنت طريداً آويناك، وإن كان لك حاجة قضيناها لك، فلو حرّكت رحلك إلينا وكنت ضيفنا إلى وقت ارتحالك كان أعود عليك، لأنّ لنا موضعاً رحباً، وجاهاً عريضاً، ومالاً كبيراً. فلمّا سمع الرّجل كلامه عليه السلام بكى ثمّ قال: أشهد أنّك خليفة الله في أرضه، ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾[١]، وكنت أنت وأبوك أبغض خلق الله إليّ، والآن أنت أحبّ خلق الله إليّ[٢].

«املكوا عنّي هذا الغلام لا يهدّني» روى المدائني عن زيد بن أرقم قال: خرج الحسن عليه السلام وهو صغير، وعليه برد، والنّبيّ صلى الله عليه وآله يخطب، فعثر فسقط، فقطع النّبيّ صلى الله عليه وآله الخطبة ونزل مسرعاً إليه وقد حمله النّاس، فتسلمه وأخذه على كتفه وقال: إنّ الولد لفتنة، لقد نزلت إليه وما أدري، ثمّ صعد فأتمّ الخطبة[٣].

وروى أبو نعيم في (حليته) عن أبي بكرة قال: كان النّبيّ صلى الله عليه وآله يصلّي بنا، فيجيء الحسن عليه السلام ـ وهو ساجد ـ صبي صغير، حتّى يصير على ظهره، فيرفعه رفعاً رفيقاً، فلمّا صلّى صلاته قالوا: يا رسول الله إنّك لتصنع بهذا الصّبي شيئاً لا تصنعه بأحد. فقال: إنّ هذا ريحانتي...[٤].

وعن البراء قال: رأيت النّبيّ صلى الله عليه وآله واضعاً الحسن عليه السلام على عاتقه، فقال: من أحبّني فليحبّه[٥].

وعن أبي هريرة قال: أتى الحسن عليه السلام يوماً يشتدّ حتّى قعد في حجر النّبيّ صلى الله عليه وآله، فجعل يقول بيديه هكذا في لحية النّبيّ صلى الله عليه وآله، والنّبيّ صلى الله عليه وآله يفتح فمه،

---

(١) الأنعام: ١٢٤.

(٢) رواه عن كامل المبرد بهذا اللفظ ابن شهر آشوب في مناقبه ٤: ١٩، ورواية المبرد في الكامل ٤: ١٠٥ بلفظ أخصر.

(٣) نقله عن المدائني ابن أبي الحديد في شرحه ٤: ١٠، شرح الكتاب ٣١.

(٤ و ٥) حلية الأولياء لأبي نعيم ٢: ٣٥.

ثم يدخل فمه في فمه ويقول: اللّهمّ إنّي أُحبّه فأحبّه وأحبّ من يحبّه. يقولها ثلاث مرّات[١].

وقال المسعودي: لمّا دفن الحسن عليه السلام وقف محمّد بن الحنفية أخوه على قبره فقال: لئن عزّت حياتك، لقد هدّت وفاتك، ولنعم الرّوح روح تضمّنه كفنك، ولنعم الكفن كفن تضمّن بدنك، وكيف لاتكون هكذا وأنت عقبة الهدى، وخلف أهل التّقوى وخامس أصحاب الكساء، غذتك بالتّقوى أكفّ الحقّ، وأرضعتك ثُدِي الإيمان، وربيّت في حجر الإسلام، فطبت حيّاً وميّتاً[٢].

ونقل أبو الفرج عن عمر بن بشير قال: قلت لأبي إسحاق: متى ذلّ النّاس؟ قال: حين مات الحسن عليه السلام، وادّعي زياد، وقتل حجر بن عدي[٣].

«فإنّني أنفس» أي أضنّ وأبخل.

«بهذين ـ يعني الحسن والحسين عليهما السلام ـ» هكذا في (المصرية)، والصواب: (الحسنين عليهما السلام) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية)[٤].

«على الموت» روى الخطيب في (نصر بن عليّ الجهضمي) عن نصر عن عليّ بن جعفر عن أخيه موسى عن آبائه: أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله أخذ بيد الحسن والحسين، فقال: من أحبّني، وأحبّ هذين وأباهما وأُمّهما كان معي في درجتي يوم القيامة.

وقال: لمّا حدّث نصر بهذا الحديث أمر المتوكّل بضربه ألف سوط، وكلّمه جعفر بن عبد الواحد، وجعل يقول له: هذا الرّجل من أهل

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ٢: ٣٥.

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٢: ٤٢٨.

(٣) المقاتل لأبي الفرج: ٥٠.

(٤) لفظ شرح ابن أبي الحديد ٣: ٩، وشرح ابن ميثم ٤: ١٤ مثل المصرية أيضاً.

السنّة ولم يزل به حتّى تركه(١).

وفي (تذكرة سبط ابن الجوزي) عن (صحيح البخاري): كان النّبيّ صلى الله عليه وآله يعوّذ الحسن والحسين فيقول: أُعيذكما بكلمات الله التّامة من كلّ شيطان وهامة، ومن كلّ عين لامة. ويقول: إنّ أباكما إبراهيم عليه السلام كان يعوّذ بها إسماعيل وإسحاق(٢).

وعن (فضائل أحمد بن حنبل): عن واثلة بن أسقع قال: أتيت فاطمة عليها السلام أسألها عن عليّ عليه السلام، فقالت: توجّه إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله. فجلست انتظره وإذا بالنّبيّ صلى الله عليه وآله قد أقبل ومعه عليّ والحسن والحسين عليهم السلام، قد أخذ بيد كلّ واحد منهما حتّى دخل الحجرة، فأجلس الحسن عليه السلام على فخذه اليمنى، والحسين عليه السلام على فخذه اليسرى، وأجلس علياً وفاطمة عليهما السلام بين يديه، ثمّ لفّ عليهم كساه أو ثوبه، ثمّ قرأ: ﴿إنّما يريد الله ليُذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾ ثم قال: اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي حقّاً(٣).

وعن (تفسير الثعلبي) في قوله تعالى: ﴿مرج البحرين يلتقيان * بينهما برزخ لا يبغيان * فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان * يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾(٤). ﴿البحرين﴾: عليّ وفاطمة عليهما السلام ﴿والبرزخ﴾: محمّد صلى الله عليه وآله ﴿واللّؤلؤ والمرجان﴾: الحسن والحسين عليهما السلام(٥).

وفي (أمالي محمّد بن محمّد بن النّعمان): عن الجعابي مسنداً عن جابر الأنصاري قال: خرج علينا النّبيّ صلى الله عليه وآله آخذاً بيد الحسن والحسين عليهما السلام، فقال:

---

(١) تايخ بغداد للخطيب البغدادي ١٣: ٢٨٧.

(٢) رواه سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص: ١٩٤، وأخرجه البخاري في صحيحه ٢: ٢٣٩ وغيره.

(٣) تذكرة الخواص: ٢٢٣، ٢٣٤، ونقل الأخير بتصرف، والآية ٣٣ من سورة الأحزاب.

(٤) الرحمن: ١٩ ـ ٢٢.

(٥) تذكرة الخواص: ٢٣٣، ٢٣٤، ونقل الأخير بتصرف.

إنّ ابني هذين ربيتهما صغيرين، ودعوت لهما كبيرين، وسألت الله تعالى لهما ثلاثاً، فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة: سألت الله لهما أن يجعلهما طاهرين مطهّرين زكيّين، فأجابني إلى ذلك، وسألت الله أن يقيهما وذرّيتهما وشيعتهما النّار فأعطاني ذلك، وسألت الله أن يجمع الأُمّة على محبتهما فقال: يا محمّد إنّي قضيت قضاءً، وقدرت قدراً، وإنّ طائفة من أُمّتك ستفي لك بذمّتك في اليهود والنّصارى والمجوس، وسيخفرون ذمّتك في ولدك، وإنّي أوجبت على نفسي لمن فعل ذلك ألّا أُحلّه محلّ كرامتي، ولا أسكنه جنّتي، ولا أنظر إليه بعين رحمتي، إلى يوم القيامة[١].

وروى ابن ديزيل في (صفّينه) مسنداً عن زيد بن أرقم قال: كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهو في الحجرة يوحى إليه، ونحن ننتظره حتّى اشتدّ الحرّ، فجاء عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ومعه فاطمة وحسن وحسين عليهم السلام، فقعدوا في ظلّ حائط ينتظرونه، فلمّا خرج رسول الله صلى الله عليه وآله رآهم فأتاهم، ووقفنا نحن مكاننا، ثمّ جاء إلينا وهو يظلّهم بثوبه ممسكاً بطرف من الثّوب وعليّ ممسك بطرفه الآخر، وهو يقول: اللّهمّ إنّي أُحبّهم فأحبّهم، اللّهمّ إنّي سلم لمن سالمهم وحرب لمن حاربهم. فقال ذلك ثلاث مرّات[٢].

وروى الخطيب في (طي بن اسماعيل): أنّ رجلاً جاء إلى الحسن والحسين فسألهما فقالا: إنّ المسألة لا تصلح إلّا لثلاثة: لحاجة مجحفة، أو لحمالة مثقلة، أو دين فادح، فأعطياه. ثمّ أتى ابن عمر فأعطاه ولم يسأله. فقال له الرجل: أتيت ابني عمّك فسألاني وأنت لم تسألني. فقال ابن عمر: أنبأنا النّبيّ صلى الله عليه وآله أنّهما كانا يغرّان العلم غرّاً[٣].

---

(١) أمالي المفيد: ٧٨ ح٣ المجلس ٩.

(٢) نقله عن ابن ديزل في صفين ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٢٨٩، شرح الخطبة ٤٨.

(٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٩: ٣٦٦.

وفي (المعجم): بينما ابن السّكّيت مع المتوكّل يوماً جاء المعتزّ والمؤيّد، فقال له المتوكّل: أيّهما أحبّ إليك: ابناي هذان أم الحسن والحسين عليهما السلام، فذكر ابن السّكّيت الحسن والحسين عليهما السلام بما هما أهله، وسكت عن ابنيه، وقيل: قال له: إنّ قنبراً خادم عليّ عليه السلام أحبّ إليّ من ابنيك. فأمر المتوكّل الأتراك فسلّوا لسانه وداسوا بطنه، وحمل إلى بيته، فعاش يوماً وبعض آخر، ومات في سنة (٢٤٣)[1].

وروى (أمالي ابن الشيخ) عن الحسين بن زيد قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن سنّ جدّنا عليّ بن الحسين عليهما السلام فقال: أخبرني أبي عن أبيه قال: كنت أمشي خلف عمّي الحسن وأبي الحسين عليهما السلام في بعض طرقات المدينة، في العام الّذي قبض فيه عمّي، وأنا يومئذ غلام لم أراهق أو كدت، فلقيهما جابر بن عبد الله، وأنس بن مالك في جماعة من قريش والأنصار، فما تمالك جابر حتّى أكبّ على أيديهما وأرجلهما يقبّلها. فقال رجل من قريش ـ كان نسيباً لمروان ـ لجابر: أتصنع هذا وأنت في سنّك هذا، وموضعك من صحبة النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم؟ ـ وكان جابر شهد بدراً ـ فقال له: إليك عنّي، فلو علمت يا أخا قريش من فضلهما ما أعلم لقبّلت ما تحت أقدامهما من التراب. ثمّ أقبل جابر على أنس فقال له: أخبرني النّبيّ صلى الله عليه وآله فيهما بأمر ما ظننت أنّه يكون في بشر. قال له أنس: وبماذا أخبرك؟ قال عليّ بن الحسين عليه السلام: فانطلق الحسن والحسين عليهما السلام، وبقيت أنا أسمع محاورة القوم، فأنشأ جابر يحدّث، قال: بينما النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم في المسجد، وقد حفّ بمن حوله إذ قال لي: ادع لي حسناً وحسيناً. وكان شديد الكلف بهما، فانطلقت فدعوتهما، وأقبلت أحمل هذا مرّة، وهذا أخرى، حتّى جئت بهما إليه، فقال لي ـ وأنا أعرف السّرور في

---

(١) معجم الأدباء للحموي ٢٠: ٥٠ بفرق يسير.

وجهه لما رأى من تكريمي لهما ـ أتحبّهما؟ قلت: وما يمنعني من ذلك، وأنا أعرف مكانهما منك؟ قال: أفلا أُخبرك عن فضلهما؟ قلت: بلى بأبي أنت وأمّي. قال: إنّ الله تعالى لمّا أحبّ أن يخلقني خلقني نطفة بيضاء طيّبة، فأودعها صلب أبي آدم عليه السلام، فلم يزل ينقلها من صلب طاهر إلى رحم طاهر إلى عبد المطّلب، ثمّ افترقت تلك النطفة شطرين إلى عبد الله وأبي طالب، فولدني أبي، فختم الله بي النبوّة، وولد عليّ فختم الله به الوصيّة، ثمّ اجتمعت النّطفتان منّي ومن عليّ فولدنا الجهر والجهير الحسنان، فختم بهما أسباط النّبوّة، وجعل ذريّتي منهما، ومن ذريّة هذا ـ وأشار إلى الحسين عليه السلام ـ رجل يخرج في آخر الزّمان، يملأ الأرض عدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً، فهما طاهران مطهّران، وهما سيّدا شباب أهل الجنّة، طوبى لمن أحبّهما وأباهما وأُمهما، وويلٌ لمن حاربهم وأبغضهم[1].

قلت: ومن هوان الدّنيا أن يقتل مثلهما يزيد السكّير القمّير، أمّا الحسين عليه السلام فمعلوم، وأمّا الحسن عليه السلام ففي (مقاتل أبي الفرج): أنّ معاوية لمّا أراد البيعة لابنه يزيد لم يكن شيء أثقل عليه من أمر الحسن عليه السلام وسعد بن أبي وقاص، فدسّ إليهما سمّاً فماتا منه[2].

قلت: ووجه ثقل سعد عليه أنّه لو كان بايع لابنه في حياته كان سعد يقول له: أنا من ستّة شورى عمر، وأنا أحقُّ من ابنك بالبيعة لي. وأمّا الحسن عليه السلام فمع أنّه كانت خلافة جدّه حقّه كان معاوية عاهده عليه السلام على أن يردّ الأمر بعده إليه.

وفي (مقاتل أبي الفرج) أيضاً: أنّ معاوية أرسل إلى ابنة الأشعث ـ زوجة

---

(١) أمالي أبي علي الطوسي ٢: ١١٣ المجلس ١٨.

(٢) المقاتل لأبي الفرج: ٤٧.

الحسن عليه السلام ـ: أنّي مزوّجك بيزيد ابني، على أن تسُمّي الحسن بن علي. وبعث إليها بمائة ألف درهم، فقبلت وسمّت الحسن عليه السلام، فسوّغها المال ولم يزوّجها منه، فخلّف عليها رجل من آل طلحة فأولدها، فكان إذا وقع بينهم وبين بطون قريش كلام عيّروهم، وقالوا: يا بني مسمّة الأزواج[١].

وفي (خلفاء ابن قتيبة): لمّا كتب عامل المدينة إلى معاوية بموت الحسن عليه السلام أظهر فرحاً وسروراً حتّى سجد، وسجد من كان معه، فبلغ ذلك عبد الله بن عباس ـ وكان بالشّام يومئذ ـ فدخل على معاوية، فلمّا جلس قال معاوية: يا بن عباس هلك الحسن بن علي. فقال ابن عبّاس: نعم هلك، ﴿...إنّا لله وإنّا إليه راجعون﴾[٢] ترجيعاً مكرّراً، وقد بلغني الّذي أظهرت من الفرح والسّرور بوفاته، أما والله ما سدّ جسده حفرتك، ولا زاد نقصان أجله في عمرك، ولقد مات وهو خير منك، ولئن أُصبنا به لقد أُصبنا بمن كان خيراً منه: جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، فجبر الله مصيبته، وخلّف علينا من بعده أحسن الخلافة. ثمّ شهق ابن عبّاس وبكى، وبكى من حضر في المجلس، وبكى معاوية. قال الرّاوي: فما رأيت يوماً أكثر باكياً من ذلك اليوم. فقال معاوية: بلغني أنّه ترك بنين صغاراً. فقال ابن عبّاس: كلّنا كان صغيراً فكبر. قال معاوية: كم أتى له من العمر؟ فقال ابن عبّاس: أمر الحسن عليه السلام أعظم من أن يجهل أحد مولده. فسكت معاوية يسيراً، ثم قال: يابن عباس أصبحت سيّد قومك من بعده. فقال ابن عبّاس: أما ما أبقى الله أبا عبد الله الحسين فلا[٣].

وروى الطبري عن عائشة بنت سعد، قالت: حدّ نساء بني هاشم على

---

(١) المقاتل لأبي الفرج: ٤٨.

(٢) البقرة: ١٥٦.

(٣) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ١٧٥.

الحسن بن علي عليه السلام سنة. وعن أُم بكر بنت المسور: أقام نساء بني هاشم النّوح عليه عليه السلام شهراً. وروي عن أبي جعفر عليه السلام، قال: مكث النّاس يبكون على الحسن بن علي عليه السلام سبعاً ما تقوم الأسواق. وروي عن ثعلبة بن أبي مالك. قال: دفنّاه عليه السلام بالبقيع، ولقد رأيت البقيع ولو طرحت فيها إبرة ما وقع إلّا على رأس إنسان[1].

وروى أبو الفرج عن الحسن عليه السلام قال: لقد سقيت السمّ مراراً، ما سقيته مثل هذه المرّة، ولقد لفظت قطعة من كبدي، فجعلت أُقلّبها بعود معي -إلى أن قال- وقد كان أوصى أن يدفن مع النّبيّ صلى الله عليه وآله فمنع مروان بن الحكم من ذلك، وركبت بنو أُمية في السّلاح، وجعل مروان يقول: «يارُبّ هيجاء هي خير من دعة» أيدفن عثمان في أقصى البقيع، ويدفن الحسن في بيت النّبيّ؟ والله لا يكون ذلك أبداً وأنا أحمل السيف -إلى أن قال- قال يحيى بن الحسن: وسمعت عليّ بن طاهر بن زيد يقول: لمّا أرادوا دفنه ركبت عايشة بغلاً، واستنفرت بني أُمية: مروان بن الحكم ومن كان هناك منهم ومن حشمهم، وهو قول القائل:

فيوماً على بغل ويوماً على جمل[2]

وفي (تذكرة سبط ابن الجوزي) قال الواقدي: إنّ مروان لمّا منع من دفن الحسن عليه السلام مع جدّه قال أبو هريرة: لو مات ابن لموسى أما كان يدفن مع أبيه[3]؟

وروى نصر بن مزاحم في (صفّينه) عن زيد بن بدر قال: بعث عبيد الله بن عمر إلى الحسن عليه السلام فقال: إنّ لي إليك حاجة فالقني. فلقيه، فقال له عبيد الله:

---

(١) منتخب ذيل المذيل للطبري: ١٩، والنقل بتقديم وتأخير.

(٢) المقاتل لأبي الفرج: ٤٨، ٤٩.

(٣) تذكرة الخواص لابن الجوزي: ٢١٣.

إنّ أباك قد وتر قريشاً أوّلاً وآخراً، وقد شنؤوه، فهل لك أن تخلفه، ونوليّك هذا الأمر؟ قال: كلّا والله لا يكون ذلك. ثم قال له الحسن عليه السلام: لكأنّي أنظر إليك مقتولاً في يومك أو غدك، أما إنّ الشيطان قد زيّن لك وخدعك حتّى أخرجك مخلّقاً بالخلوق، ترى نساء أهل الشّام موقفك، وسيصرعك الله ويبطحك لوجهك قتيلاً. قال: فوالله ما كان إلّا كيومه أو كالغد وكان القتال، فخرج عبيدالله في كتيبة رقطاء ـ وهي الخضرية، كانوا أربعة آلاف عليهم ثياب خضر ـ ونظر الحسن عليه السلام فإذا هو برجل متوسد رجل قتيل، قد ركز رمحه في عينه، وربط فرسه برجله. فقال الحسن لمن معه: انظروا من هذا، فاذا هو برجل من همدان، وإذا القتيل عبيد الله، قد قتله وبات عليه حتّى أصبح[1].

وروى (ذيل الطبري) عن أبي المهزّم قال: كنّا مع أبي هريرة في جنازة، فلمّا رجعنا أعيى الحسين عليه السلام صعد، فجعل أبو هريرة ينفض التّراب عن قدميه بثوبه، فقال له الحسين عليه السلام: أنت يا أبا هريرة تفعل هذا؟ قال: دعني منك، فلو يعلم النّاس منك ما أعلم لحملوك على عواتقهم[2].

وروى (الاستيعاب) عن أبي هريرة قال: أبصرت عيناي هاتان وسمعت أذناي النّبيّ صلى الله عليه وآله وهو آخذ بكفّيّ الحسين عليه السلام، وقدماه على قدم النّبي صلى الله عليه وآله وهو يقول: ترقّ عين بقة فرقى الغلام، حتّى وضع قدميه على صدر النّبيّ صلى الله عليه وآله، ثمّ قال له النّبيّ صلى الله عليه وآله: افتح فاك. ثمّ قبّله، ثمّ قال: اللّهمّ أحبّه فإنّي أحبّه[3].

وعن ابن عبّاس قال: رأيت النّبي صلى الله عليه وآله في مايرى النّائم نصف النّهار،

---

(١) وقعة صفين لابن مزاحم: ٢٩٧.

(٢) منتخب ذيل المذيل للطبري: ٢٥.

(٣) الاستيعاب لابن عبد البر ١: ٣٨٠، ٣٨٢.

وهو قائم أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم، فقلت: بأبي أنت وأمّي يا رسول الله ما هذا؟ قال: هذا دم الحسين عليه السلام لم أزل ألتقطه منذ اليوم. فوجد قد قتل في ذلك اليوم[١].

وروى (أسد الغابة) بأسانيد عن إسماعيل بن رجاء عن أبيه قال: كنت في مسجد النّبيّ صلى الله عليه وآله، في حلقة فيها أبو سعيد الخدري وعبد الله بن عمرو -بن العاص- فمرّ بنا حسين بن علي عليه السلام فسلّم، فردّ القوم السّلام، فسكت عبد الله حتّى فرغوا فرفع صوته وقال: وعليك السّلام ورحمة الله وبركاته. ثمّ أقبل على القوم فقال: ألا أخبركم بأحبّ أهل الأرض إلى أهل السّماء؟ قالوا: بلى. قال: هو هذا الماشي، ما كلّمني كلمة منذ ليالي صفّين، ولأن يرضى عنّي أحبُّ إليّ من أن يكون لي حمر النّعم. فقال أبو سعيد: ألا تعتذر إليه. قال: بلى. -إلى أن قال- فقال له الحسين عليه السلام: أعلمت يا عبد الله أنّي أحبّ أهل الأرض إلى أهل السّماء؟ قال: أي وربّ الكعبة. قال: فما حملك على أن تقاتلني وأبي يوم صفّين؟ فوالله لأبي كان خيراً منّي. قال: أجل ولكن عمراً -أي: أباه- شكاني إلى النّبيّ -الخبر[٢]- في عذره الباطل.

وروى مصعب الزّبيري في (نسب قريشه): أنّ ابن عمر قال في رجل من أهل العراق -سأله عن دم البعوض في ثوبه-: انظروا هذا يسألني عن دم البعوض، وقد قتلوا ابن رسول الله، وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: الحسن والحسين هما ريحانتي من الدّنيا. قال مصعب: وحجّ الحسين عليه السلام خمساً وعشرين حجّة ماشياً[٣].

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ١: ٣٨٠، ٣٨٢.

(٢) أسد الغابة لابن الأثير ٣: ٢٣٤.

(٣) نسب قريش للزبيري: ٢٥.

أهل العراق ـ سأله عن دم البعوض في ثوبه ـ: انظروا هذا يسألني عن دم البعوض، وقد قتلوا ابن رسول الله، وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: الحسن والحسين هما ريحانتي من الدّنيا. قال مصعب: وحجّ الحسين عليه السلام خمساً وعشرين حجّة ماشياً[(١)].

وروى (تاريخ الطبري) عن حميد بن مسلم قال: دخلت على ابن زياد فإذا رأس الحسين عليه السلام موضوع بين يديه، وإذا هو ينكت بقضيب بين ثنيتيه ساعة، فلمّا رآه زيد بن أرقم لا ينجم عن نكته بالقضيب قال له: اعل بهذا القضيب عن هاتين الثنيتين، فوالله الّذي لا إله غيره لقد رأيت شفتي رسول الله على هاتين الشّفتين يقبّلهما. ثم انفضخ الشّيخ يبكي. فقال له ابن زياد: أبكى الله عينيك، فوالله لولا أنّك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك[(٢)].

ورواه سبط ابن الجوزي وزاد: فقال زيد لابن زياد: لأحدّثنك حديثاً أغلظ من هذا، رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله أقعد حسناً على فخذه اليمنى، وحسيناً على فخذه اليسرى، ثمّ وضع يده على يافوخيهما ثم قال: اللّهمّ إنّي أستودعك إيّاهما وصالح المؤمنين. فكيف كانت وديعة رسول الله عندك يا بن زياد؟[(٣)].

وروى الطّبري أيضاً عن القاسم بن بخيت قال: أذن يزيد للنّاس فدخلوا والرّأس بين يديه، ومع يزيد قضيب فهو ينكت به في ثغره، ثمّ قال: إنّ هذا وإيّانا كما قال الحصين بن حمّام المرّي:

يفلّقن هاماً من رجال أحبّة ... إلينا وهم كانوا أعقّ وأظلما

فقال رجل من أصحاب النّبيّ صلى الله عليه وآله ـ يقال له: أبو برزة الأسلمي ـ: أتنكت

---

(١) نسب قريش للزبيري: ٢٥.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٤٣٩ السنة ٦١.

(٣) تذكرة الخواص لابن الجوزي: ٢٥٧.

بقضيبك في ثغر الحسين عليه السلام؟ أما لقد أخذ قضيبك من ثغره مأخذاً لربما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يرشفه[1].

وروى الطّبري عن حصين بن عبد الرّحمن قال: لمّا قتل الحسين عليه السلام لبثوا شهرين أو ثلاثة، كأنّما تلطخ الحوائط بالدّماء ساعة تطلع الشّمس حتّى ترتفع[2].

وروى في (ذيل تاريخه) عن شيخ من النّخع قال: قال الحجاج: من كان له بلاء فليقم. فقام قوم فذكروا، وقام سنان بن أنس فقال: أنا قاتل الحسين. فقال: بلاء حسن، ورجع إلى منزله، فاعتقل لسانه وذهب عقله، فكان يأكل ويحدث مكانه[3].

وروى ثعلب في أوّل الثاني من (مجالسه) عن أبي جناب الكلبي قال: أتيت كربلا، فقلت لرجل من أشراف العرب بها: بلغنا أنّكم تسمعون نوح الجنّ؟ قال: ما تلقى حرّاً ولا عبداً إلّا أخبرك أنّه سمع ذلك. قلت: فأخبرني ما سمعت أنت؟ قال: سمعتهم يقولون:

مسح الرّسول جبينه فله بريق في الخدود
أبواه من عليا قريـ ـشٍ جدّه خير الجدود[4]

وعن السّدي قال: أتيت كربلا أبيع البرّ بها، فعمل لنا شيخ من طي طعاماً فتعشينا عنده، فذكرنا قتل الحسين عليه السلام، فقلت: ما شرك في قتله أحد إلّا مات بأسوأ ميتة. فقال: ما أكذبكم يا أهل العراق! فأنا فيمن شرك في ذلك. فلم يبرح حتّى دنا من المصباح وهو يتّقد بنفط، فذهب يخرج الفتيلة بإصبعه، فأخذت

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٥٦ سنة ٦١.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٢٩٦ سنة ٦٠، وأنساب البلاذري ٣: ٢٠٩ ح٥٣ وغيرهما.

(٣) منتخب ذيل المذيل للطبري: ٢٥.

(٤) مجالس ثعلب ٢: ٤٠٧.

النّار فيها، فأخذ يطفئها بريقه، فأخذت النار في لحيته، فعدا فألقى نفسه في الماء، فرأيته كأنّه حُمَمَة[١].

وروى الطبري عن حميد بن مسلم قال: قال عبد الله بن أبي حصين الأزدي للحسين عليه السلام: ألا تنظر إلى الماء كأنّه كبد السّماء، والله لا تذوق منه قطرة حتّى تموت عطشاً. فقال الحسين عليه السلام: اللّهمّ اقتله عطشاً، ولا تغفر له أبداً. قال حميد بن مسلم: والله لعدته بعد ذلك في مرضه، فوالله الّذي لا إله إلّا هو لقد رأيته يشرب حتى يبغَر ثمّ يقيء، ثمّ يعود فيشرب حتّى يبغر، فما يروى، فمازال ذلك دأبه حتّى لفظ غصّته. يعني نفسه[٢].

وعن القاسم بن أصبغ بن نباتة، قال: حدّثني من شهد الحسين عليه السلام في عسكره: أنّ حسيناً حين غلب على عسكره ركب المسناة يريد الفرات، فقال رجل من بني أبان بن دارم: ويلكم حولوا بينه وبين الماء لا تتامّ إليه شيعته. وضرب فرسه، واتبعه النّاس حتّى حالوا بينه وبين الفرات، فقال الحسين عليه السلام: اللهمّ أظمِه ـ إلى أن قال ـ فوالله إن مكث الرّجل إلّا يسيراً حتّى صبّ الله عليه الظّمأ، فجعل لا يروى. قال القاسم بن الأصبغ: لقد رأيتني في من يروّح عنه، والماء يبرّد له فيه السّكر، وعساس فيها اللبن، وقلال فيها الماء، وإنّه ليقول: ويلكم اسقوني قتلني الظمأ! فيعطى القلّة أو العسّ كان مروياً أهل بيت فيشربه، فإذا نزعه من فيه اضطجع الهنيهة، ثمّ يقول: ويلكم اسقوني قتلني الظمأ. فوالله ما لبث إلّا يسيراً حتّى انقدّ بطنه، انقداد بطن البعير[٣].

وروى عن مسروق بن وائل قال: كنت في أوائل الخيل ممّن سار إلى الحسين عليه السلام، فقلت: أكون في أوائلها لعلّي أُصيب رأس الحسين،

(١) مجالس ثعلب ٢: ٤٠٧.

(٢ و ٣) تاريخ الطبري ٤: ٣١٢، ٣٤٣ سنة ٦١.

فأُصيب به منزلة عند عبيد الله بن زياد، فلمّا انتهينا إلى الحسين تقدّم رجل من القوم ـ يقال له: ابن حوزة ـ فقال: أفيكم حسين؟ فسكت الحسين، فقالها ثانية، فسكت حتّى إذا كانت الثّالثة قال: قولوا: نعم، هذا حسين، فما حاجتك؟ قال: يا حسين أبشر بالنّار. قال: كذبت، بل أقدم على ربّ غفور، وشفيع مطاع، فمن أنت؟ قال: ابن حوزة. فرفع الحسين يديه حتّى رأينا بياض إبطيه من فوق الثّياب، ثمّ قال: اللّهمّ حزه إلى النّار. فغضب ابن حوزة، فذهب ليقحم إليه الفرس ـ وبينه وبينه نهر ـ فعلقت قدمه بالرّكاب، وجالت به الفرس فسقط عنها، فانقطعت قدمه وساقه وفخذه، وبقي جانبه الآخر متعلّقاً بالرّكاب. قال ـ عبد الجار أخو مسروق ـ فرجع مسروق وترك الخيل من ورائه، فسألته فقال: لقد رأيت من أهل هذا البيت شيئاً لا أُقاتلهم أبداً[1].

وعن عفيف بن زهير ـ وكان قد شهد مقتل الحسين عليه السلام ـ قال: وخرج يزيد بن معقل فقال يا برير بن حضير: كيف ترى الله صنع بك؟ قال: صنع الله ـ والله ـ بي خيراً، وصنع الله بك شرّاً. قال: كذبت، وقبل اليوم ما كنت كذّاباً، هل تذكر وأنا أُماشيك في بني لوذان وأنت تقول: إنّ عثمان بن عفان كان على نفسه مسرفاً، وإنّ معاوية بن أبي سفيان ضالّ مضلّ، وإنّ إمام الهدى والحقّ عليّ بن أبي طالب؟ فقال له برير: أشهد أنّ هذا رأيي وقولي. فقال له يزيد: فإنّي أشهد أنّك من الضّالّين. فقال له برير: هل لك فلأباهلك، ولندع الله أن يلعن الكاذب، وأن يقتل المبطل ـ إلى أن قال ـ ثمّ برز كلّ واحد منهما لصاحبه، فاختلفا ضربتين، فضرب يزيد بريراً ضربة خفيفة لم تضرّه شيئاً، وضربه برير ضربة قدّت المغفر وبلغت الدّماغ، فخرّ كأنّما هوى من حالق، وإنّ سيف

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٢٨ سنة ٦١.

بن حضير لثابت في رأسه، فكأنّي أنظر إليه ينضنضه من رأسه[١].

وروى أبو الفرج في (مقاتله) عن مورع بن سعيد بن قيس قال: حدّثنا من شهد الحسين عليه السلام، قال: كان معه ابنه الصّغير، فجاء سهم فوقع في نحره، فجعل الحسين عليه السلام يأخذ الدّم من نحره ولبّته فيرمي به إلى السّماء، فما يرجع منه شيء ويقول: اللّهم لا يكون أهون عليك من فصيل...[٢]

وعن القاسم بن الأصبغ بن نباتة قال: رأيت رجلاً من بني أبان بن دارم أسود الوجه، وكنت أعرفه جميلاً شديد البياض، فقلت له: ما كدت أعرفك! قال: إنّي قتلت شابّاً أمرد مع الحسين عليه السلام، بين عينيه أثر السّجود، فما نمت ليلة منذ قتلته إلّا أتاني، فيأخذ بتلابيبي حتّى يأتي جهنّم، فيدفعني فيها، فأصيح فما يبقى أحد في الحيّ إلّا سمع صياحي. قال: والمقتول العبّاس بن عليّ[٣].

وروى الطبري عن حميد بن مسلم قال: لمّا بقي الحسين عليه السلام في ثلاثة رهط أو أربعة دعا بسراويل محققة، يلمع فيها البصر يماني محقق ففرزه ونكثه لكيلا يسلبه. قال: فلمّا قتل أقبل بحر بن كعب فسلبه إيّاه فتركه مجرّداً ـ إلى أن قال ـ: إنّ يديه كانتا في الشّتاء ينضحان الماء، وفي الصيف ييبسان كأنّهما عود[٤].

وروى عن حميد بن مسلم أنّ الحسين عليه السلام مكث طويلاً من النّهار، كلّما انتهى إليه رجل من النّاس انصرف عنه وكره أن يتولّى قتله وعظيم إثمه عليه، وإنّ رجلاً من كندة يقال له: مالك بن النّسير من بني بدّاء، أتاه فضربه على رأسه بالسيف وعليه برنس له فقطع البرنس، وأصاب السّيف رأسه فأدمى

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٢٨ سنة ٦١.

(٢) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج: ٥٩.

(٣) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج: ٧٨.

(٤) تاريخ الطبري ٤: ٢٤٥، ٣٤٢، ٣٤٧ سنة ٦١ والنقل بتقطيع.

رأسه، فامتلأ البرنس دماً، فقال له الحسين عليه السلام: لا أكلت بها ولا شربت، وحشرك الله مع الظالمين. قال: فذكر أنّه لم يزل فقيراً بشرّ حتى مات[1].

وروى عن حميد أيضاً أنّ عمر بن سعد لمّا نادى من ينتدب للحسين انتدب عشرة، منهم إسحاق بن حياة الحضرمي -وهو الّذي سلب قميص الحسين عليه السلام فبرص بعد- وأحبش بن مرثد بن علقمة بن سلامة الحضرمي، فأتوا فداسوا الحسين عليه السلام بخيولهم، حتّى رضوا ظهره وصدره، فبلغني أنّ أحبش بن مرثد أتاه بعد ذلك بزمان، أتاه سهم غرب وهو واقف في قتال، ففلق قلبه فمات[2].

وروى عن نوار بنت مالك بن عقرب الحضرميّة امرأة خولى وكانت ليلتها منه قالت: أقبل خولى برأس الحسين عليه السلام، فوضعه تحت إجّانة في منزله لمّا وجد باب القصر مغلقاً، قلت له: جئت برأس ابن رسول الله؟ لا والله لا يجمع رأسي ورأسك ببيت أبداً. فقمت من فراشي، فخرجت إلى الدّار، فدعا الأسدية امرأته الأخرى، وجلستُ أنظر، فوالله مازلت أنظر إلى نور يسطع مثل العمود من السّماء إلى الإجّانة، ورأيت طيراً بيضاً ترفرف حولها[3].

وروى عن عمرو بن عكرمة قال: أصبحنا صبيحة قتل الحسين عليه السلام بالمدينة، فإذا مولى لنا يحدّثنا، قال: سمعت البارحة منادياً وهو يقول:

أيها القاتلون جهلاً حسينا   أبشروا بالعذاب والتّنكيل
كلّ أهل السّماء يدعو عليكم   من نبيّ وملك وقبيل
قد لُعِنتم على لسان ابن داو   د وموسى وحامل الإنجيل[4]

(١ و ٢) تاريخ الطبري ٤: ٢٤٥، ٣٤٢، ٣٤٧ سنة ٦١ والنقل بتقطيع.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٣٤٨ سنة ٦١، ومقتل الحسين لأبي مخنف: ١٤٢، والنقل بتصرف في اللفظ.

(٤) تاريخ الطبري ٤: ٣٥٨ سنة ٦١.

ورواه السّبط عن هشام الكلبي، وزاد: فكانوا يرون أنّه بعض الملائكة، وقد أكثر النّاس فيها[1].

وفي (تذكرة السّبط) عن (سيرة ابن هشام) مسنداً قال: لمّا أنفذ ابن زياد رأس الحسين عليه السلام إلى يزيد مع الأسارى موثقين في الحبال، منهم نساء وصبيان وصبيات من بنات الرّسول صلى الله عليه وآله على أقتاب الجمال، موثقين مكشفات الوجوه والرّؤوس، كلّما نزلوا منزلاً أخرجوا الرأس من صندوق أعدّوه له، فوضعوه على رمح وحرسوه طول الليل إلى وقت الرّحيل، ثمّ يعيدونه إلى الصندوق ويرحلون، فنزلوا بعض المنازل، وفي ذلك المنزل دير فيه راهب، فأخرجوا الرّأس على عادتهم، ووضعوه على الرّمح، وحرسه الحرس على عادته، وأسندوا الرّمح إلى الدّير، فلمّا كان في نصف الليل رأى الرّاهب نوراً من مكان الرّأس إلى عنان السماء، فأشرف على القوم، وقال: من أنتم؟ قالوا: نحن أصحاب ابن زياد. قال: وهذا رأس مَنْ؟ قالوا: رأس الحسين بن علي بن أبي طالب بن فاطمة بنت الرّسول. قال: نبيّكم؟ قالوا: نعم. قال: بئس القوم أنتم، لو كان للمسيح ولد لأسكنّاه أحداقنا. ثمّ قال: هل لكم في شيء؟ قالوا: وما هو؟ قال: عندي عشرة آلاف دينار تأخذونها وتعطوني الرّأس يكون عندي تمام اللّيلة، وإذا رحلتم تأخذونه. قالوا: وما يضرّنا؟ قال: فناولوه الرّأس وناولهم الدّنانير، فأخذه الرّاهب فغسله وطيّبه وتركه على فخذه، وقعد يبكي اللّيل كلّه، فلمّا أسفر الصّبح قال: يا رأس لا أملك إلّا نفسي، وأنا أشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّ جدّك محمّداً رسول الله، وأُشهد الله أنّني مولاك وعبدك. ثمّ خرج عن الدّير وما فيه، وصار يخدم أهل البيت، ثمّ إنّهم أخذوا الرّأس وساروا فلمّا قربوا من دمشق قال بعضهم لبعض: تعالوا حتّى نقسّم الدّنانير، لا يراها

(١) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ٢٠٧.

يزيد فيأخذها منّا، فأخذوا الأكياس وفتحوها، فإذا الدّنانير قد تحوّلت خزفاً، وعلى أحد جانبي الدّينار مكتوب: ﴿ولا تحسبنّ الله غافلاً عمّا يعمل الظالمون...﴾[١]، وعلى الجانب الآخر ﴿... وسيعلم الّذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون﴾[٢]. فرموها في بردى (نهر بدمشق)[٣].

وفيه مسنداً عن مروان بن الوضين، قال: نحرت الإبل الّتي حمل عليها رأس الحسين عليه السلام وأصحابه، فلم يستطيعوا أكل لحومها، كانت أمرّ من الصّبر[٤].

وفيه حكى الزّهري عن أمّ سلمة قالت: ما سمعت نواح الجنّ إلّا في الليلة الّتي قُتل فيها الحسين عليه السلام، سمعت قائلاً يقول:

ألا يا عين فاختلفي بجهد ... ومن يبكي على الشّهداء بعدي
على رهط تقودهم المنايا ... إلى متجبّر في ثوب عبد

فعلمت أنّ قد قُتل الحسين عليه السلام.

وقال الشّعبي: سمع أهل الكوفة قائلاً يقول في الليل:

أبكي قتيلاً بكربلا ... مضرّج الجسم بالدّماء
أبكي قتيل الطّغاة ظلماً ... بغير جرم سوى الوفاء
أبكي قتيلاً بكى عليه ... من ساكن الأرض والسّماء
هتك أهلوه واستحلّوا ... ما حرّم الله في الإماء
يا بأبي جسمه المعرّى ... إلّا من الدّين والحياء

---

(١) إبراهيم: ٤٢.

(٢) الشعراء: ٢٢٧.

(٣) نقله سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص: ٢٦٣ عن سيرة ابن هشام، ولكنه لم يوجد في السيرة، ويبعد جداً كونه فيه، إذ لم يتعلق موضوعه بسيرة النبيّ صلى الله عليه وآله.

(٤) تذكرة الخواص: ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧٣، ٢٧٤.

كــلّ الرزايــا لهــا عــزاء		ومــا لهــذا الرزا عــزاء

وقال الزّهري: ناحت عليه الجنّ فقالت:

خير نساء الجن يبكين شجيات		ويلطمن خدوداً كالدّنانير نقيّات

ويلبسن ثياب السود بعد القصبيات[1]

وقال: ذكر ابن سعد في (الطبقات): أنّ هذه الحمرة لم تر في السّماء قبل أن يُقتل الحسين عليه السلام[2]. وقال ابن سيرين: لمّا قُتل الحسين أظلمت الدّنيا ثلاثة أيّام، ثمّ ظهرت هذه الحمرة[3].

وروى مسنداً عن هلال بن ذكوان قال: لمّا قُتل الحسين عليه السلام مكثنا شهرين أو ثلاثة كأنّما لطخت الحيطان بالدّم، من صلاة الفجر إلى غروب الشمس، وخرجنا في سفر فمُطرنا مطراً بقي أثره في ثيابنا مثل الدّم[4].

وقال ابن سعد: ما رفع حجر في الدّنيا إلّا وتحته دم عبيط، ولقد مطرت السّماء دماً، بقي أثره في الثّياب مدّة حتّى تقطّعت[5].

وقال ابن سيرين: وجد حجر قبل مبعث النّبيّ صلى الله عليه وآله بخمسمائة سنة عليه مكتوب بالسّريانية، فنقلوه إلى العربية، فإذا هو:

أترجو أُمّة قتلتْ حسيناً		شفاعة جدّه يوم الحساب[6]

وقال سليمان بن يسار: وُجِد حجر عليه مكتوب:

لابد أن ترد القيامة فاطمه		وقميصها بدم الحسين ملطّخ

ويل لمن شفعاؤه خصماؤه		والصّور في يوم القيامة ينفخ[7]

وقال الزّهري: ما بقي منهم (ظالميه وقاتليه) أحد إلّا وعوقب في الدّنيا،

---

(١) تذكرة الخواص: ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧٣، ٢٧٤.

(٢ و ٣ و ٤) تذكرة الخواص: ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧٣، ٢٧٤.

(٥ و ٦ و ٧) تذكرة الخواص: ٢٧٤.

إمّا بالقتل، أو العمى، أو سواد الوجه، أو زوال الملك في مدّة يسيرة(١).

وحكى الواقدي عن ابن الرّماح قال: كان بالكوفة شيخ أعمى قد شهد قتل الحسين عليه السلام ، فسألناه يوماً عن ذهاب بصره، فقال: كنت في القوم وكنّا عشرة، غير أنّي لم أضرب بسيف، ولم أطعن برمح، ولا رميت بسهم، فلمّا قُتل الحسين عليه السلام وحمل رأسه رجعت إلى منزلي، وأنا صحيح وعيناي كأنّهما كوكبان، فنمت تلك الليلة فأتاني آت في المنام، فقال: أجب رسول الله. قلت: مالي ولرسول الله؟ فأخذ بيدي وانتهرني ولزم تلبابي، وانطلق بي إلى مكان فيه جماعة، والنّبيّ صلّى الله عليه وآله جالس وهو مغتمّ متحيّر حاسر عن ذراعيه، وبيده سيف، وبين يديه نطع، وإذا أصحابي العشرة مذبّحين بين يديه، فسلّمت عليه، فقال: لا سلّم الله عليك، ولا حيّاك يا عدوّ الله الملعون، أما استحييت منّي تهتك حرمتي، وتقتل عترتي، ولم ترع حقّي؟ قلت: يا رسول الله ما قاتلت. قال: نعم، ولكنّك كثّرت السّواد. قال: وأذن بطست عن يمينه فيه دم الحسين عليه السلام ، فقال: اقعد. فجثوت بين يديه، فأخذ مروداً وأحماه، ثمّ كحل به عيني، فأصبحت أعمى كما ترون(٢).

وحكى هشام بن محمّد عن القاسم بن الأصبغ المجاشي قال: لمّا أُتي بالرّؤوس إلى الكوفة، إذا بفارس أحسن النّاس وجهاً، قد علق في لبب فرسه رأس غلام أمرد كأنّه القمر ليلة تمامه، والفرس يمرح، فإذا طأطأ رأسه لحق الرّأس بالأرض. فقلت له: رأس مَنْ هذا؟ فقال: هذا رأس العبّاس بن عليّ. قلت: ومن أنت؟ قال: حرملة بن كاهل الأسدي. فلبثت أيّاماً وإذا بحرملة ووجهه أشد سواداً من القار. فقلت له: لقد رأيتك يوم حملت الرّأس، وما في العرب أنضر

(١) تذكرة الخواص: ٢٨٠.

(٢) تذكرة الخواص: ٢٨١.

وجهاً منك، وما أرى اليوم أقبح وأسود وجهاً منك؟ فبكى، وقال: والله منذ حملت الرّأس إلى اليوم، ما تمرّ عليّ ليلة إلّا واثنان يأخذان بضبعي، ثمّ ينتهيان بي إلى نار تأجج فيدفعاني فيها، وأنا أنكص فتسعفني كما ترى. ثمّ مات على أقبح حال(١).

وفي (يتيمة الدهر) للثعالبي في أبي القاسم عليّ بن بشر: قال لي محمّد بن عمر الزّاهر: أخبرني ابن بشر أنّه كان له جدّ لأم يعرف بكولان، وكان هو من أهل الأدب والكتابة وحسن الشعر والخطابة، قال لي: حججت سنة من السّنين وجاورت بمكّة ـ حرسها الله ـ فاعتللت علّة تطاولت بي وضاق معها خلقي، ثمّ صلحت منها بعض الصّلاح، ففكّرت في أنّني عملت في أهل البيت تسعاً وأربعين قصيدة مدحاً فقلت: أكملها خمسين. ثمّ ابتدأت فقلت:

بني أحمد يا بني أحمد

ثمّ أرتج عليّ، فلم أقدر على زيادة، فعظم ذلك عليّ، واجتهدت في أن أكمل البيت فلم أقدر، فحدث لي من الغمّ بهذه الحالة مازاد على غمّي بإضاقتي وعلّتي، فنمت اهتماماً بالحال، فرأيت النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فجئت إليه فشكوت إليه ممّا أنا فيه من الإضاقة وما أجده من العلّة، وأخرى من القلّة، فقال لي: تصدّق يوسّع عليك، وصم يصحّ جسمك. فقلت له: يا رسول الله وأعظم ممّا شكوته إليك أنّني رجل شاعر أتشيّع، وأخصّ بالمحبّة ولدك الحسين عليه السلام، وتداخلني له رحمة لما جرى عليه من القتل، وكنت قد عملت في أهل بيتك تسعاً وأربعين قصيدة، فلمّا خلوت بنفسي في هذا الموضع حاولت أن أكملها خمسين، فبدأت قصيدة قلت فيها مصراعاً وأرتج عليّ إجازته، ونفر عنّي كلّ ما كنت أعرفه، فما أقدر على قول حرف. قال: فقال لي قولاً نحا فيه إلى أنّه ليس هذا إلي، لقول

---

(١) تذكرة الخواص: ٢٨١.

الله تعالى: ﴿وما علّمناه الشعر وما ينبغي له...﴾[1]. ثمّ قال لي: اذهب إلى صاحبك -وأومأ بيده الشريفة إلى ناحية من نواحي المسجد- وأمر رسولاً أن يمضي بي إلى حيث أومأ، فمضى بي الرّسول على ناس معهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال له الرّسول: أخوك وجّه إليك بهذا الرّجل فاسمع ما يقوله. قال: فسلّمت عليه وقصصت عليه قصّتي كما قصصت على النّبيّ صلى الله عليه وآله فقال لي: فما المصراع؟ قلت:

بني أحمد يا بني أحمد

فقال للوقت قل:

. . . .	بكت لكمُ عمد المسجد
بيثرب واهتزّ قبر النّبيّ	أبي القاسم السّيد الأصيد
وأظلمت الأفق أُفق البلاد	وذرّ على الأرض كالأثمد
ومكّة مادت ببطحائها	لإعظام فعل بني الأعبد
ومال الحطيم بأركانه	وما بالبنيّة من جلمد
وكان وليّكمُ خاذلاً	ولو شاء كان طويل اليد[2]

وروى (أمالي الشيخ) قبل مجلسه الأخير عن جارية بني محلم، قالت: كان عندنا رجل خرج على الحسين عليه السلام، ثمّ جاء بجمل وزعفران، فلمّا دقّوا الزعفران صار ناراً، فجعلت المرأة تأخذ منه الشّيء فتلطخه على يدها فيصير منه برص، ونحروا البعير، فكلّما جزّوا بالسّكين صار مكانها ناراً، فجعلوا يسلخونه فيصير مكانه ناراً، فقطّعوه فخرج منه النّار، وكلّما جعلوا في القدر فارت القدر ناراً، فجعلوه في الجفنة فصار ناراً، وكنت صبية يومئذ فأخذت

(١) يس: ٦٩.

(٢) يتيمة الدهر ١: ٤٠٦.

عظماً منه، فطيّنت عليه فسقط فاخترناه نصنع منه اللّعب، فلمّا جززناه بالسّكّين خرج عن مكانه نار، فعرفنا أنّه ذلك العظم فدفناه(١).

وفي (تذكرة السبط) أيضاً: جاء ابن زياد منزل الموصل في ثلاثين ألفاً، فجهّز إليه المختار إبراهيم بن الأشتر في ثلاثة آلاف وقيل في سبعة آلاف، وذلك في سنة سبع وستّين، فالتقى بابن زياد فقتله على الزّاب، وكان من غرق من أصحابه أكثر ممّن قتل(٢).

وذكر ابن جرير عن إبراهيم بن الأشتر أنّه قال: قتلت رجلاً شممت منه رائحة المسك على شاطي نهر جاذر، ضربته فقددته نصفين، وبعث ابن الأشتر برأس ابن زياد إلى المختار، فجلس في القصر وأُلقيت الرؤوس بين يديه، فألقاها في المكان الّذي وُضع فيه رأس الحسين عليه السلام وأصحابه، ونصب المختار رأس ابن زياد في المكان الّذي نصب فيه رأس الحسين عليه السلام، ثمّ ألقاه في اليوم الثّاني في الرّحبة مع الرؤوس(٣).

قال عمّار بن عمير: فبينا أنا واقف عند الرؤوس بالكناسة إذ قال النّاس: قد جاءت، قد جاءت، فإذا حيّة عظيمة تتخلّل الرّؤوس، حتّى دخلت في منخري ابن زياد وخرجت فغابت ساعة، ثمّ عادت ففعلت كذلك. وقيل: إنّما فعلت الحيّة ذلك بالقصر بين يدي المختار، فقال المختار: دعوها، دعوها. وفي رواية فعلت ذلك ثلاثة أيّام(٤).

وفي (معارف الصّاحب بن عبّاد): كان سبب موت يزيد أنّه سكر فقام يرقص، فسقط على رأسه فبدا دماغه(٥).

---

(١) أمالي الطوسي ٢: ٣٣٦ المجلس ٢٥.

(٢ و ٣) تذكرة ابن الجوزي: ٢٨٦، وروى الأخير الطبري في تاريخه ٤: ٥٥٥ سنة ٦٧.

(٤) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ٢٨٦.

(٥) لم أظفر بمصدر نقله.

وفي (حياة الحيوان) للدّميري: قال أبو القاسم الإصبهاني في (الترغيب والتّرهيب): قال قيس بن عبادة: بلغني أنّ الوحش كانت تصوم عاشوراء. وقال الفتح بن سخرب ـ وكان من الزّهاد ـ: كنت أُفتّت للنمل خبزاً في كلّ يوم فإذا كان يوم عاشوراء لم تأكله(١).

ومن عظم مصيبته سمّي يوم التاسع من محرم بتاسوعاء، لأنّه اليوم الّذي حوصر عليه السلام فيه، وسمّي يوم عاشره بعاشوراء، لأنّه اليوم الّذي قُتل فيه؛ قال ابن دريد في (جمهرته): وعاشوراء يوم سمّي في الإسلام ولم يعرف في الجاهليّة(٢).

وقال الفيروزآبادي في (قاموسه): إنّ تاسوعاء محدث(٣).

وفي (مناقب الكنجي الشّافعي) عن أبي قبيل قال: لمّا قُتل الحسين عليه السلام انكسفت الشّمس كسفة، حتّى بدت الكواكب نصف النّهار، حتّى ظننّا أنّها هي(٤).

وعن الزّهري: قال عبد الملك لي: أي واحد أنت إن أخبرتني أيّ علامة كانت يوم قتل الحسين بن عليّ؟ قلت: لم ترفع حصاة في بيت المقدس إلّا وجد تحتها دم عبيط. فقال لي عبد الملك: إنّي وإيّاك في هذا الحديث قرينان(٥).

وروى: أنّه لمّا اجتزوا رأس الحسين عليه السلام قعدوا في أوّل مرحلة يشربون ويتبجّحون بالرّأس، فخرج عليهم قلم من حديد من حائط فكتب بسطر دم:

---

(١) حياة الحيوان للدميري ٢: ٣٩٢ مادة (وحش).

(٢) جمهرة اللغة لابن دريد ٢: ٣٤٣ مادة (عشر).

(٣) القاموس المحيط ٣: ٩ مادة (تسع)، ونصه: «والتاسوعاء قبل يوم عاشوراء مولّد».

(٤ و ٥) كفاية الطالب للكنجي: ٢٩٦.

أتـرجـو أُمّـة قـتلت حسـيناً شفاعة جدّه يوم الحساب[1]

وروى عن ابن سيرين أنّه قال: لم تبك السّماء على أحد بعد يـحيى إلّا على الحسين عليه السلام[2].

وروى: أنّه لمّا أُجري الماء على قـبر الحسـين عليه السلام نـضب المـاء بـعد أربعين يوماً، وامتحى أثر القبر، فجاء أعرابي من بني أسد، فجعل يأخذ قبضة قبضة من التّراب ويشمّه، حتّى وقع على القبر، فبكى وقال: بأبي أنت وأُمّـي، ما كان أطيبك حيّاً وأطيب تربتك ميّتاً. ثمّ أنشأ يقول:

أرادوا ليـخفوا قـبره عـن عـدوّه وطيب تراب القبر دلّ على القبر[3]

وفـي (مـقاتل أبـي الفـرج): كـان السّـبب فـي كـرب (المـتوكّل) قـبر الحسين عليه السلام: أنّ بعض المغنّيات كانت تبعث بجواريها إليه قبل الخلافة يغنّين له إذا شرب، فلمّا وليها بعث إلى تلك المغنية فعرف أنّها غائبة، وكانت قد زارت قبر الحسين عليه السلام، وبلغها خبره فأسرعت الرّجوع، وبعثت إليـه بـجارية مـن جواريها كان يألفها، فقال لها: أين كنتم؟ قـالت: خـرجت مـولاتي إلى الحـجّ، وأخرجتنا معها ـ وكان ذلك في شعبان ـ فقال: إلى أين حججتم في شـعبان؟ قـالت: إلى قـبر الحسـين عليه السلام. فـاستطير غـضباً، وأتـى بـمولاتها فـحبست واستصفى أملاكها، وبعث برجل من أصحابه يقال له: الدّيزج ـ وكان يهوديّاً فأسلم ـ إلى قبر الحسين عليه السلام، وأمره بكرب قبره ومـحوه، وإخـراب كـلّ مـا حوله، فمضى لذلك وخرب ما حوله وهدم البناء، وكرب ما حوله نحو مائتي جريب، فلمّا بلغ إلى قبره لم يتقدّم إليه أحد، فأحضر قوماً من اليهود فكربوه،

---

(١) كفاية الطالب للكنجي: ٢٩١.

(٢) كفاية الطالب للكنجي: ٢٨٩.

(٣) كفاية الطالب للكنجي: ٢٩٣.

وأجرى الماء حوله، ووكّل به مسالح، بين كلّ مسلحتين ميل، لا يزوره زائر إلّا أخذوه، ووجّه به إليه.

فحدّثني محمّد بن الحسين الأشناني قال: بعد عهدي بالزّيارة في تلك الأيّام خوفاً، ثمّ عملت على المخاطرة بنفسي فيها، وساعدني رجل من العطّارين على ذلك، فخرجنا زائرين نكمن بالنّهار ونسير الليل، حتّى أتينا نواحي الغاضرية، وخرجنا منها نصف الليل، فسرنا بين مسلحتين وقد ناموا حتّى أتينا القبر، فخفي علينا فجعلنا نشمّه ونتحرّى جهته، حتّى أتيناه وقد قلع الصّندوق الّذي كان حواليه، وأُحرق وأُجري الماء عليه، فانخسف موضع اللّبن وصار كالخندق، فزرناه وأكببنا عليه فشممنا منه رائحة ما شممت مثلها كشيء من الطّيب، فقلت للعطّار الّذي كان معي: أيّ رائحة هذه؟ فقال: بلى والله ما شممت مثلها كشيء من العطر. فودّعناه، وجعلنا حول القبر علامات في عدّة مواضع، فلمّا قتل المتوكّل اجتمعنا مع جماعة من الطالبيّين والشّيعة، حتّى صرنا إلى القبر، فأخرجنا تلك العلامات وأعدناه إلى ما كان عليه[1].

وروى (أمالي ابن الشّيخ) عن يوحنا المتطبب النّصراني قال: وجّه إليّ سابور الكبير الخادم الرّشيدي في الليل، فصرت إليه، فمضى وأنا معه حتّى دخلنا على موسى بن عيسى الهاشمي، فوجدناه زائل العقل متّكئاً على وسادة، وإذا بين يديه طست فيه حشو جوفه،وكان الرّشيد أحضره من الكوفة، فقال سابور لخادم له: ما خبره؟ قال: كان من ساعته جالساً وحوله ندماؤه، وهو من أصحّ النّاس جسماً، إذ جرى ذكر الحسين عليه السلام فقال موسى: إنّ الرّافضة لتغلو فيه حتّى إنّهم -في ما عرفت- يجعلون تربته دواء. فقال له رجل هاشمي: قد كان لي علّة غليظة فتعالجت بكلّ علاج، فما نفعني حتّى

---

(١) المقاتل لأبي الفرج: ٢٩٥.

وصف لي كاتبي أن آخذ من هذه التّربة، فأخذت فنفعني الله بها. قال موسى: فبقي عندك منها شيء؟ قال: نعم. فوجّه من جاء منها بقطعة، فناولها موسى، فأخذها واستدخلها دبره استهزاء، فما هو إلّا أن استدخلها حتّى صاح: النّار النّار، الطّست الطّست. فجئناه بطست فأخرج فيها ما ترى. فقال لي سابور: انظر هل ترى من حيلة. فدعوت بشمعة، فإذا كبده وطحاله وريته وفؤاده خرج منه في الطّست. فقال: ما لأحد حيلة إلّا أن يكون عيسى الّذي كان يحيي الموت. فمات في السّحر. وكان يوحنّا يزور قبر الحسين عليه السلام، وهو على دينه، ثمّ أسلم وحسن إسلامه[1].

هذا، وفي معنى قوله عليه السلام: «فإنّني أنفس بهذين على الموت» قول الشاعر:

فإنّي بالجموح وأُم بكر ودولح فاعلموا حجؤضنين

«لئلّا ينقطع بها نسل رسول الله صلى الله عليه وآله» قال ابن أبي الحديد: فإن قلت: أيجوز أن يقال للحسن والحسين وولدهما أبناء رسول الله؟ قلت: نعم، لأنّ الله تعالى سمّاهم أبناءه في قوله: ﴿... ندع أبناءنا وأبناءكم...﴾[2]. وإنّما عنى الحسن والحسين ـ إلى أن قال ـ فإن قلت: أتقول: إنّ ابن البنت ابن على الحقيقة الأصلية أم على سبيل المجاز؟ قلت: لذاهب أن يذهب إلى أنّه حقيقة أصلية، لأنّ أصل الإطلاق الحقيقة، وقد يكون اللّفظ مشتركاً بين مفهومين، وهو في أحدهما أشهر، ولا يلزم من كونه أشهر في أحدهما ألّا يكون حقيقة في الآخر. ولذاهب أن يذهب إلى كونه مجازاً قد استعمله الشّارع، فجاز إطلاقه في كلّ حال، واستعماله كساير المجازات المستعملة. وممّا يدل على اختصاص ولد

(١) أمالي الطوسي ١: ٣٢٧ المجلس ١١.

(٢) آل عمران: ٦١.

فاطمة عليها السلام دون بني هاشم كافّة بالنّبيّ صلى الله عليه وآله أنّه ما كان يحلّ له أن ينكح بنات الحسن والحسين عليهما السلام -إلى أن قال- فإن قلت: قال الشاعر:

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهنّ أبناء الرّجال الأباعد

وقال حكيم العرب أكثم بن صيفي: «البنات يلدن الأعداء، ويورثن البعداء» قلت: إنّما قال الشّاعر ما قاله على المفهوم الأشهر، وليس في قول أكثم ما يدلّ على نفي بنوّتهم[1].

قلت: تحقيق المقام أنّ كون الحسن والحسين عليهما السلام ابني الرّسول صلى الله عليه وآله ممّا شهد به الكتاب والسّنة وإجماع الأمّة. أمّا الكتاب فقوله تعالى: ﴿... أبناءنا وأبناءكم...﴾[2]، وأمّا السنّة فالأخبار المتواترة الّتي مرّ بعضها من قول النّبيّ صلى الله عليه وآله لكلّ منهما «ابني» و «هما ابناي»[3]، وأمّا إجماع الأمّة فخطاب المؤالف والمخالف لهما بابن رسول الله، حتّى إنّ يزيد لمّا كان ينكت بقضيبه على ثنايا الحسين عليه السلام قال -بعد تمثله بأبيات ابن الزبعرى في يوم أُحد في قتلهم سبعين من أصحاب النّبيّ صلى الله عليه وآله، في قبال سبعين منهم قتلوا ببدر:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

إنشاءً من نفسه-:

لست من خندف إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل

وحتّى إنّ هارون الرّشيد لم يستطع الرّد على الكاظم عليه السلام في كونه ابن الرّسول صلى الله عليه وآله، مع كونه في مقام الرّد؛ ففي (مقاتل أبي الفرج الإصبهاني): لمّا حجّ الرّشيد ونزل المدينة اجتمع بنو هاشم وأبناء المهاجرين والأنصار

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٩.

(٢) آل عمران: ٦١.

(٣) مرّ في مواضع في هذا العنوان.

وباقي الوجوه ـ وكان فيهم موسى بن جعفر عليه السلام ـ فقال لهم الرّشيد: قوموا إلى زيارة الرّسول صلى الله عليه وآله. ثمّ نهض معتمداً على يد أبي الحسن موسى عليه السلام حتّى انتهى إلى القبر، فقال: السّلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يابن عمّ. افتخاراً على قبائل العرب الّذين حضروا معه، واستطالة عليهم بالنّسب. فنزع أبو الحسن موسى عليه السلام يده من يده، ثمّ تقدّم فقال: السّلام عليك يا رسول الله، السّلام عليك يا أبتاه. فتغيّر وجه الرّشيد ثمّ قال: يا أبا الحسن إنّ هذا لهو الفخر الجسيم[1].

وأمّا وجه كونهما ابنيه صلى الله عليه وآله فهو خصوصيّة تتفرّع على كون أمير المؤمنين عليه السلام بمنزلة نفس النّبيّ صلى الله عليه وآله، كما أفصح عنه قوله تعالى: ﴿...وأنفسنا وأنفسكم...﴾[2]؛ قال المأمون ـ كما روى المرتضى في (فصوله) ـ للرضا عليه السلام: أخبرني بأكبر فضيلة لأمير المؤمنين عليه السلام يدلّ عليها القرآن. فقال عليه السلام: فضيلته في المباهلة، قال جلّ جلاله: ﴿فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾[3]. فدعا النّبيّ صلى الله عليه وآله الحسن والحسين عليهما السلام فكانا ابنيه، ودعا فاطمة عليها السلام فكانت في هذا الموضع نساءه، ودعا أمير المؤمنين عليه السلام فكان نفسه بحكم الله عزّ وجلّ. فقال له المأمون: أليس قد ذكر الله الأبناء بلفظ الجمع، وانّما دعا النّبيّ صلى الله عليه وآله ابنيه خاصة، وذكر النساء بلفظ الجمع، وإنّما دعا النّبيّ صلى الله عليه وآله ابنته وحدها، فلم لا جاز أن يذكر الدّعاء لمن هو نفسه، ويكون المراد نفسه في الحقيقة دون غيره، فلا يكون لأمير المؤمنين عليه السلام ما ذكرت من الفضل؟ فقال له الرّضا عليه السلام: ليس بصحيح

(١) لم يوجد في مظانّه من مقاتل الطالبيين، لكن الحديث مشهور رواه المدائني عنه تذكرة الخواص: ٣٥٠، وغيره.

(٢ و ٣) آل عمران: ٦١.

ما ذكرت، وذلك أنّ الدّاعي إنّما يكون داعياً لغيره، كما يكون الآمر آمراً لغيره، ولا يصحّ أن يكون داعياً لنفسه في الحقيقة، كما لا يكون آمراً لها في الحقيقة، وإذ لم يدع النّبيّ صلى الله عليه وآله رجلاً في المباهلة إلّا أمير المؤمنين عليه السلام، فقد ثبت أنّه نفسه الّتي عناها تعالى في كتابه، وجعل حكمه ذلك في تنزيله. فقال المأمون: إذا ورد الجواب سقط السؤال[1]. فإذا كان أمير المؤمنين عليه السلام بمنزلة نفس النّبيّ صلى الله عليه وآله بنصّ القرآن، يكون ابنا أمير المؤمنين عليه السلام ابني النّبيّ صلى الله عليه وآله.

ويشهد لما قلنا ما رواه المسعودي في (مروجه) في أخبار الحسن عليه السلام، مسنداً عن عبّاس بن عبد المطلب، قال: كنت عند النّبيّ صلى الله عليه وآله إذ أقبل عليّ عليه السلام فلمّا رآه أسفر في وجهه، فقلت: يا رسول الله إنّك لتسفر في وجه هذا الغلام. فقال: ياعمّ رسول الله والله لله أشدّ حبّاً له منّي، إنّه لم يكن نبيّ إلّا وذريّته الباقية بعده من صلبه، وإنّ ذريتي بعدي من صلب هذا، إنّه إذا كان يوم القيامة دعي النّاس بأسمائهم وأسماء أُمّهاتهم ستراً من الله عليهم، إلّا هذا وشيعته فإنّهم يدعون بأسمائهم وأسماء آبائهم لصحّة ولادتهم[2].

وروى (الكافي): أنّ ابن غيلان المدائني قال للرّضا عليه السلام: بلغني أنّه من كان له حمل فنوى أن يسمّيه محمّداً ولد له غلام. فقال عليه السلام: من كان له حمل فنوى أن يسمّيه عليّاً ولد له غلام. ثم قال: (عليّ محمّد) و (محمّد عليّ) شيئاً واحداً[3].

وما رواه الخطيب في (تاريخه) في عنوان (عثمان بن محمّد بن إبراهيم المعروف بابن أبي شيبة) في أسناد عن فاطمة عليها السلام، قالت: قال رسول

---

(١) الفصول المختارة للمرتضى: ١٧ والنقل بتقطيع.

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٢: ٤٢٨.

(٣) الكافي للكليني ٦: ١١ ح ٢ ضمن حديث.

الله ﷺ: كلّ بني آدم ينتمون إلى عصبتهم إلّا ولد فاطمة، فأني أنا أبوهم، وأنا عصبتهم.

وفي خبر آخر عنها أيضاً، قالت: قال النّبي ﷺ: كل بني آدم ينتمون إلى عصبته غير ولد فاطمة، فأنا أبوهم وأنا عصبتهم[١].

وإلّا فالانتساب إنّما هو إلى الأب، فالهاشمي والأُموي من كان منتسباً بالأب إلى هاشم وأُميّة لا ريب في ذلك، ويشهد له أخبار الخاصّة والعامّة فضلاً عن العرف؛ روى ابن عبد البرّ في (استيعابه): أنّ وفد كندة لمّا قدموا على النّبي ﷺ قال له أبو الخير ـواسمه جفشيش ـ: أنتم منّا يا بني هاشم. فقال النّبيّ ﷺ: كذبتم، نحن بنو النّضر بن كنانة، لا نقفو أُمنّا ولا ننتفى من أبينا[٢].

هذا، ونسل النّبيّ ﷺ من الحسن والحسين عليهما السلام ابني أمير المؤمنين عليه السلام بعدد أسباط بني إسرائيل، ستّة من الحسن عليه السلام: واحد من ابنه زيد، وخمسة من ابنه الحسن المثنّى، وستّة من الحسين عليه السلام من ابنه السجّاد عليه السلام.

روى الحسن بن سعيد العسكري ـكما في (الخصال)ـ عن الرّضا عليه السلام قال: إنّ الله تعالى أخرج من إسرائيل ـوهو يعقوبـ اثني عشر سبطاً، ونشر من الحسن والحسين عليهما السلام اثني عشر سبطاً ـإلى أن قال بعد عدّ الاثني عشر من ولد يعقوبـ أمّا الحسن عليه السلام فانتشر منه ستّة أبطن: بنو الحسن بن زيد بن الحسن، وبنو عبد الله بن الحسن بن الحسن، وبنو إبراهيم بن الحسن بن الحسن، وبنو الحسن بن الحسن بن الحسن، وبنو داود بن الحسن بن

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١١: ٢٨٥.

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر ١: ٢٦٦.

الحسن، وبنو جعفر بن الحسن بن الحسن -إلى أن قال- في بني الحسين عليه السلام بنو محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام بطن، وبنو عبد الله بن عليّ الباهر، وبنو زيد بن علي، وبنو الحسين بن علي، وبنو عمر بن عليّ، وبنو عليّ بن عليّ[١].

وفي (عمدة الطالب): قد روي عن النّبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: سيكون من ولدي عدد نقباء بني إسرائيل[٢]. ومن ولد زيد بن الحسن: عبد العظيم الجليل المدفون بالرّي، ومنهم الدّاعي الكبير، والدّاعي الصّغير، ومنهم الملقب بـ(گيسودراز) والملقّب بـ(گلستانه)، ذكر تفصيلهم في (عمدة الطالب)[٣].

ومن بني عبد الله بن الحسن المثنى -ويقال لعبد الله: المحض- محمّد وإبراهيم اللذان خرجا على المنصور، ويحيى صاحب الديلم الّذي خرج على الرّشيد، وموسى الجون؛ وفي (تاريخ بغداد): خرج يوماً من عند الرّشيد فعثر بالبساط، فضحك الخدم وضحك الجند. فالتفت إلى هارون وقال: إنّه ضعف صوم لا ضعف سكر[٤].

وفي موسى الجون في الحسنيّين العدد، كما في موسى الكاظم عليه السلام في الحسينيّين، ومن بنيه الأمير أبو جعفر محمّد بن محمّد الثّائر، أوّل من ملك مكّة من بني موسى، وهم مبدأ تمكن الأشراف من حكومتها، وكان ذلك بعد سنة (٣٤٠) قُتل حاكم مكّة انكجوار التركي من قبل العزيز الفاطمي.

ومن بني إبراهيم بن الحسن المثنى -ويقال لإبراهيم: الغمر- محمّد بن إبراهيم الّذي يقال له الدّيباج الأصفر، ولمّا أُتي به المنصور قال له: أنت ديباج الأصفر؟ قال: نعم. قال: أما والله لأقتلنّك قتلة ما قتلتها أحداً من أهل بيتك. ثمّ

---

(١) الخصال للصدوق: ٤٦٥ ح ٥ والنقل بتقطيع.

(٢) عمدة الطالب للحسني: ٦٨.

(٣) عمدة الطالب: ٦٩، ١٧٣.

(٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٣: ٢٧ والنقل بتصرف.

أمر بأسطوانة مبنية ففرّغت، ثم أُدخل فيها، فبنيت عليه وهو حي.

ومن ولده إبراهيم طباطبا، ومن ولد طباطبا محمّد بن الحسين بن جعفر بن محمّد بن إبراهيم طباطبا، الّذي قال فيه (عمدة الطالب): قتله الشّراة بكرمان وصلب، فأخذتهم الزلزلة أربعين يوماً، حتّى أُنزل عن الخشبة فسكنت[1].

ومن بني الحسن المثلّث الحسين بن علي، صاحب فخ المعروف صاحب القضية الفاجعة، ومن ولد جعفر بن الحسن المثنى ابن الشّجري النّحوي صاحب (الأمالي).

ومن بني داود بن الحسن المثنى -وداود هو الّذي ورد فيه دعاء الاستفتاح، المعروف بدعاء أُمّ داود- عليّ بن طاووس رضي الدّين المعروف، صاحب الكرامات، وصاحب المصنّفات الكثيرة في الأدعية وغيرها، ومنها (الإقبال)، و (المهج)، وأخوه أحمد بن طاووس جمال الدّين صاحب (الرّجال)، وابن أخيه أحمد بن عبد الكريم بن طاووس غياث الدّين النسّابة، وابن أخيه الحسن مجد الدّين بن طاووس الّذي خرج إلى السّلطان هولاكوخان؛ قال في (عمدة الطالب): وصنّف له كتاب (البشارة) وسلم بواسطته الحلّة والنيل والمشهدين الشّريفين -المشهد العلوي، والمشهد الحسيني على ساكنيهما السّلام- من القتل والنّهب[2].

وأمّا الأسباط الحسينيّة فمن ولد الباهر أخي الباقر عليه السلام محمّد الأرقط؛ قال في (عمدة الطالب): قال أبو نصر البخاري: من يطعن في الأرقط فلا يطعن من حيث النّسب والعقب، وإنّما يطعنون لشيء جرى بينه وبين الصّادق جعفر بن محمّد عليه السلام ، يقال: إنّه بصق في وجه الصادق عليه السلام ، فدعا عليه، فصار أرقط

---

(١) عمدة الطالب: ٦٩، ١٧٣.

(٢) عمدة الطالب: ١٩٠.

الوجه، به نمش كريه المنظر[١].

ومنهم عبد الله بن أحمد الزّخي الّذي ظهر في أيّام المستعين، فأُخذ وحمل إلى سامراء مع عياله فمات، وصار عياله الى الحسن العسكري عليه السلام فبارك عليهم، ومسح يده على رأس زينب ـ بنته ـ ووهب لها خاتمه، وكان فضّة فصاغت منه حلقة، وماتت والحلقة في أذنها، وبلغت مائة سنة، وكانت سوداء الشعر.

وعدّ منهم نقيب النّقباء ببغداد، أيّام معزّ الدّولة أحمد بن عليّ بن محمّد الكوكبي، والشّريف النّسابة المصنّف الحسين بن جعفر، المعروف بابن خداع.

ومن ولد زيد الشهيد ـ وكان زيد خرج على هشام وكان هشام، قال له: ما أنت والخلافة وأنت ابن أمة؟ فقال له: وما يقصرك برجل أبوه رسول الله وهو ابن عليّ بن أبي طالب؟ فقُتل وصُلب؛ وفي (العمدة): وجدت عن بعضهم أنّه قال: لمّا قُتل زيد بن علي وصلب رأيت النّبيّ صلى الله عليه وآله تلك اللّيلة مستنداً إلى خشبته وهو يقول: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، أتفعلون هذا بولدي؟ وروى غير واحد أنّهم صلبوه مجرّداً، فنسجت العنكبوت على عورته من يومه[٢] ـ يحيى بن زيد صاحب الصّحيفة الّذي خرج أيّام الوليد بن يزيد، فقُتل ـ

ومنهم يحيى بن عمر الّذي خرج أيّام المستعين، فقُتل وحُمل رأسه إلى محمّد بن عبد الله بن طاهر، فجلس للتّهنئة، فدخل عليه أبو هاشم الجعفري وقال له: إنّك لتهنّأ بقتيل لو كان النّبيّ صلى الله عليه وآله حيّاً لعزّي فيه. فخرج وهو يقول:

يا بني طاهر كلوه مريئاً … إنّ لحم النّبيّ غير مريء

---

(١) عمدة الطالب: ٢٥٢.

(٢) عمدة الطالب: ٢٥٨.

ومن ولد عمر بن عليّ ـ وهو عمر الأشرف ـ النّاصر الكبير ملك الدّيلم، والنّاصر الصّغير جدّ المرتضى والرّضي لأمّهما، صاحب (النّاصريات في الفقه) الّذي شرحه المرتضى[1].

ومن ولد الحسين بن علي ـ وهو الحسين الأصغر ـ عليّ المرعش ابن عبيدالله بن محمّد بن الحسن بن الحسين الأصغر، جدّ السّادات المرعشية.

ومن ولده المنقديّون ملوك الرّي، ومن ولده العقيقيّون، ومن العقيقيين عليّ بن أحمد بن عليّ العقيقي، وأبوه أحمد بن عليّ العقيقي صاحبا كتاب رجال.

ومن ولده الجوانيّون، والأصل فيهم محمّد بن عبيد الله بن الحسين الأصغر، وابنه الحسين بن محمّد الجواني، خرج مع الرّضا عليه السلام إلى خراسان كما رواه الكشي[2]، وروى عن الجواد عليه السلام النصّ على الهادي عليه السلام كما رواه (الكافي)[3].

ومن ولد عليّ بن عليّ ـ وهو عليّ الأصغر ـ الحسن الأفطس؛ قال في (العمدة): قال أبو نصر البخاري: كان بين الأفطس وبين الصادق عليه السلام كلام، فتوجّه الطّعن عليه لذلك لا لشيء في نسبه[4].

وقال أبو الحسن العمري: كان صاحب راية محمّد بن عبد الله، ولمّا قتل النّفس الزّكية محمّد بن عبد الله اختفى الحسن الأفطس، فلمّا دخل جعفر

(١) المسائل الناصريات أحد تأليفات الشريف المرتضى، مطبوع بالحجر ضمن الجوامع الفقهية بايران، لكن ليس للناصر كتاب مسمّى بالناصريات كما يظهر من مقدّمة ناصريات المرتضى.

(٢) معرفة الرجال للكشي، اختياره: ٥٠٦ ح ٩٧٣.

(٣) الكافي للكليني ١: ٣٢٥ ح ٣، والظاهر أنّ هذا الحديث لم يوجد في نسخ الكافي إلّا في نسخة الصفواني، فراجع ذيل الحديث في الكافي، وجامع الرواة للأردبيلي ٢: ٤٤١.

(٤) عمدة الطالب: ٣٣٩.

الصّادق عليه السلام العراق ولقي أبا جعفر المنصور قال له: تريد أن تسدي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يداً؟ قال: نعم يا أبا عبد الله. قال: تعفو عن ابنه الحسن بن عليّ بن عليّ. فعفا عنه(١).

وقال أبو نصر البخاري: سمعت جماعة يقولون: إنّ الصادق عليه السلام كان يوصي لجماعة من عشيرته عند موته، فأوصى للأفطس الحسن بن علي بن علي بثمانين ديناراً، فقالت له عجوز في البيت: أتأمر له بذلك وقد قعد لك بخنجر في البيت يريد أن يقتلك؟ فقال: أتريدين أن أكون ممّن قال الله تعالى: ﴿...ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل...﴾(٢)؟ لأصلنّ رحمه وإن قطع، اكتبوا له بمائة دينار. قال البخاري: وهذه شهادات قاطعة من الصّادق عليه السلام أنّه ابن النّبيّ صلى الله عليه وآله(٣).

وابنه عبد الله بن الحسن ـ خرج مع الحسين بن عليّ ـ صاحب فخ، فأخذه الرّشيد وحبسه عند جعفر البرمكي؛ قال في (العمدة): فأمر جعفر ليلة النيروز بقتله وحزّ رأسه، وأهداه إلى الرّشيد في جملة هدايا النّيروز(٤).

ومنهم تاج الدّين بن مجد الدّين محمد بن الحسين الّذي كان في أوّل أمره واعظاً، واعتقده السلطان أولجايتو محمّد وولّاه نقابة نقباء الممالك بأسرها: العراق والرّي وخراسان وفارس وسائر ممالكه، وعانده وزيره رشيد الدّين، إلى أن قتله مع ولديه: شمس الدّين وشرف الدّين في سنة (٧١١)، وأظهر عوام بغداد والحنابلة التّشفي بالسيّد تاج الدّين، فقطّعوه قطعاً، وأكلوا لحمه، ونتفوا شعره، وبيعت الطّاقة من شعر لحيته بدينار، فغضب السّلطان

---

(١) عمدة الطالب: ٣٣٩.

(٢) البقرة: ٢٧.

(٣) عمدة الطالب للسيد الحسني: ٣٤.

(٤) عمدة الطالب: ٣٤٨.

وأمر أن يركب قاضي الحنابلة على حمار أعمى مقلوباً، يطاف به في أسواق بغداد وشوارعها، وأن لا يكون من الحنابلة قاض.

ومن ولده أيضاً الحسن بن عليّ بن الحسين المدائني الّذي كان خليفة أبي عبد الله بن الدّاعي على النّقابة، وكان له أحد وعشرون ولداً، كلّ منهم اسمه عليّ، لا يفرّق بينهم إلّا بالكنى.

وأمّا ولد محمّد الباقر عليه السلام فمنهم يكمل الأئمة الاثني عشر، الّذين لا يحتاج أحد منهم إلى وصف، كما لا يحتاج الشّمس والقمر؛ روى محمّد بن بابويه في (عيونه) قول النّبيّ صلى الله عليه وآله: «الإيمان إقرار باللّسان ومعرفة بالقلب، وعمل بالأركان» عن الرّضا عليه السلام عن أبيه الكاظم عليه السلام عن أبيه الصّادق عليه السلام عن أبيه الباقر عليه السلام عن أبيه زين العابدين عليه السلام عن أبيه الحسين سيّد شباب أهل الجنّة عليه السلام عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام عنه صلى الله عليه وآله، ثمّ روى عن حمزة ابن محمّد العلوي عن عبد الرّحمن بن أبي حاتم عن أبيه قال: لو قرئ هذا الأسناد على مجنون لبرأ[(١)].

وروى قوله صلى الله عليه وآله أيضاً: «الإيمان قول وعمل» عن أبي الصّلت عن الرّضا عليه السلام عن آبائه الكاظم عليه السلام ثمّ الصّادق عليه السلام ثمّ الباقر عليه السلام ثمّ السّجاد عليه السلام ثمّ السّبط عليه السلام ثمّ أمير المؤمنين عليه السلام عنه صلى الله عليه وآله ثمّ روى عن محمّد بن عبد الله بن طاهر: أنّ أحمد بن حنبل لمّا سمعه من أبي الصّلت قال له: ما هذا الأسناد؟ فقال له أبوه عبد الله بن طاهر ذي اليمينين: هذا سعوط المجانين إذا سعط به المجنون أفاق[(٢)].

وروى: أنّ المأمون لمّا جعل الرّضا عليه السلام ولي عهده صعد المنبر، وقال:

---

(١) عيون الاخبار للصدوق ١: ١٧٨ ح ٥.

(٢) عيون الاخبار للصدوق ١: ١٧٩ ح ٦، و ٢: ١٤٥ ح ١٨، و: ١٤٢ ح ١٠.

جاءتكم بيعة عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، والله لو قرئت هذه الأسماء على الصّمّ البكم لبرؤوا بإذن الله عزّوجلّ(١).

وروى أيضاً: أنّ عبد الله بن مطرف بن ماهان دخل يوماً على المأمون وعنده الرّضا عليه السلام، فقال له: ما تقول في أهل البيت؟ فقال: ما قولي في طينة عُجنت بماء الرّسالة، وشجرة غُرست بماء الوحي؟ هل ينفح منه إلّا مسك الهدى وعنبر التّقى؟! فدعا المأمون بحقّة فيها لؤلؤ فحشا فاه(٢).

وفي (تذكرة السّبط) عن (فضائل أحمد بن حنبل) عن عليّ بن ربيعة قال: لقيت زيد بن أرقم فقلت له: هل سمعت النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول: تركت فيكم الثّقلين، واحد منهما أكبر من الآخر؟ قال: نعم، سمعته يقول: تركت فيكم الثقلين: كتاب الله حبل ممدود بين السّماء والأرض، وعترتي أهل بيتي، ألا إنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، ألا فانظروني كيف تخلّفوني فيهما(٣)؟

وروى أيضاً عن (فضائله) عن النّبيّ صلى الله عليه وآله قال: النجوم أمان لأهل السّماء، فإذا ذهب النّجوم ذهب أهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض(٤).

وروى أيضاً عن صحيح مسلم عن زيد بن أرقم قال: قام فينا النّبيّ صلى الله عليه وآله خطيباً بماء يدعى خماً، بين مكّة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكّر، ثم قال: أمّا بعد ألا أيّها النّاس فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأُجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أوّلهما كتاب الله فيه الهدى والنّور، فخذوا بكتاب الله

(١ و ٢) عيون الاخبار للصدوق ١: ١٧٩ ح٦، و ٢: ١٤٥ ح١٨، و: ١٤٢ ح١٠.

(٣) تذكرة الخواص: ٣٢٢.

(٤) تذكرة الخواص: ٣٢٣.

واستمسكوا به. فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه، ثمّ قال: وأهل بيتي أُذكّركم الله في أهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي[١].

وروى (حلية أبي نعيم) في حذيفة بن أسيد مسنداً عنه، قال: قال النّبيّ ﷺ: أيّها النّاس إنّي فرطكم، وإنّكم واردون عليّ الحوض، فإنّي سائلكم حين تردون عليّ عن الثّقلين، فانظروا كيف تخلّفوني فيهما؟ الثّقل الأكبر: كتاب الله سببٌ طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، فاستمسكوا به لا تضلّوا ولا تبدّلوا، وعترتي أهل بيتي، فإنّه قد نبّأني اللّطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض[٢].

وروى أبو الفرج في كتابه (مرج البحرين) وابن قتيبة في (معارفه) عن أبي ذر قال: قال النّبيّ ﷺ: مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركب فيها نجا، ومن تخلّف عنها غرق[٣].

هذا ومرّ شطر من فضائل الحسنين عليهما السلام.

وأمّا زين العابدين عليه السلام فروى سبط ابن الجوزي: أنّه كان إذا توضأ اصفرّ لونه فيقال: ما هذا الّذي يعتادك عند الوضوء؟ فيقول: أتدرون بين يدي من أُريد أن أقف؟[٤].

وأنّه إذا قام إلى الصلاة أخذته رعدة، فيقال له: ما لك؟ فيقول: ما تدرون لمن أُريد أن أُناجي[٥]؟

وأنّه وقع حريق في داره وهو ساجد فقالوا: النّار النّار يابن رسول الله!

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٤: ١٨٧٣ ح٣٦، تذكرة الخواص: ٣٢٢.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم ١: ٣٥٥.

(٣) مرج البحرين لأبي الفرج عنه تذكرة الخواص: ٣٢٣، ومعارف ابن قتيبة: ٢٥٢.

(٤ و ٥) تذكرة الخواص: ٣٢٥.

فما رفع رأسه حتّى أُطفئت. فقيل له: ما الّذي ألهاك عنها؟ فقال: النّار الأُخرى[١].

وأنّه كان يستقي الماء لطهوره ولا يمكّن أحداً أن يعينه على طهوره، ويقضي ما فاته من ورده بالنّهار في الليل، وكان ورده في الليل والنهار ألف ركعة[٢].

وأنّه لمّا مات وجدوه يعول مائة أهل بيت بالمدينة، وكان يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل فيتصدّق به، ويقول: صدقة السّر تطفئ غضب الرّبّ. وكان أهل المدينة يقولون: ما فقدنا صدقة السّرّ حتّى مات عليّ بن الحسين عليه السلام[٣].

وأنّه دخل على محمّد بن أُسامة بن زيد في مرضه يعوده فجعل محمّد يبكي، فقال عليه السلام له: ما شأنك؟ فقال: عليّ دين. قال: كم هو؟ قال: خمسة عشر ألف دينار. فقال: هو عليّ[٤].

وأنّ هشام بن إسماعيل المخزومي والي المدينة كان يؤذيه ويشتم عليّاً عليه السلام على المنبر وينال منه، فلمّا ولّي الوليد بن عبد الملك الخلافة عزله وأمر به أن يوقف للنّاس؛ قال هشام: والله ما أخاف إلّا من عليّ بن الحسين، إنّه رجل صالح يسمع قوله. فأوصى علي بن الحسين عليه السلام أصحابه ومواليه وخاصّته أن لا يتعرضوا لهشام، ثمّ مرّ عليّ عليه السلام في حاجته فما عرض له، فناداه هشام وهو واقف للنّاس: ﴿...الله أعلم حيث يجعل رسالته...﴾[٥].

وأنّه عليه السلام خرج يوماً من المسجد فتبعه رجل فسبّه، فلحقته العبيد

---

(١) تذكرة الخواص: ٣٢٥.

(٢) تذكرة الخواص: ٣٢٦.

(٣) تذكرة الخواص: ٣٢٧.

(٤) تذكره الخواص: ٣٣١.

(٥) تذكرة الخواص: ٣٢٨، والآية ١٢٤ من سورة الأنعام.

والموالي فهمّوا بالرّجل، فقال: دعوه. ثمّ قال له: ما ستر الله عنك من أمرنا أكثر، ألك حاجة نعينك عليها؟ فاستحى الرّجل، فألقى عليه خميصة كانت عليه، وأعطاه ألف درهم، فكان الرّجل بعد ذلك إذا رآه يقول: أشهد أنك من أولاد الرّسول صلّى الله عليه وآله(١).

وأنّه كان بينه عليه السلام وبين الحسن بن الحسن بعض الأمر، فجاء الحسن إليه عليه السلام وهو جالس في المسجد مع أصحابه، فما ترك شيئاً إلّا قاله له وعليّ عليه السلام ساكت، وانصرف الحسن فجاء عليّ عليه السلام في الليل إلى بابه يعتذر إليه، فخرج إليه الحسن، فالتزمه وجعلا يبكيان حتّى رحمهما من كان حاضراً، ثم قال الحسن: والله لا عدت في أمر تكرهه أبداً. فقال عليّ عليه السلام: وأنت في حلّ ممّا قلت لي(٢).

وأنّه كان عنده عليه السلام قوم فاستعجل خادماً له، فأخرج شواء من التنّور، وأقبل الخادم عجلاً وبيده السّفود، وبين يدي عليّ عليه السلام ولد صغير له، فسقط السّفود على الصّغير فنشّ ومات، فبهت الخادم، فنظر إليه علي عليه السلام وقال له: أنت لم تتعمّد هذا، أنت حرّ لوجه الله تعالى. ثمّ أمر بموارأة الولد(٣).

وأنّه عليه السلام كان يقول في مناجاته: إلهنا وسيّدنا ومولانا لو بكينا حتّى تسقط أشفارنا، وانتحبنا حتّى تنقطع أصواتنا، وقمنا حتّى تيبس أقدامنا، وركعنا حتّى تنخلع أوصالنا، وسجدنا حتّى تتفقأ أحداقنا، وأكلنا تراب الأرض طول أعمارنا، وذكرناك حتّى تكلّ ألسنتنا ما استوجبنا بذلك محو سيّئة من سيّئاتنا(٤).

وأنّ هشام بن عبد الملك حجّ فاجتهد أن يستلم الحجر، فلم يمكنه من

---

(١) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ٣٣١.

(٢ و ٣ و ٤) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ٣٢٦، ٣٣١، ٣٣٢.

الزّحام، فجاء عليّ بن الحسين عليه السلام فوقف النّاس له، وتنحّوا عن الحجر حتّى استلمه، ولم يبق عند الحجر سواه، فقال هشام: من هذا؟ فقالوا: لا نعرفه. فقال الفرزدق: لكنّي أعرفه. ثم اندفع فقال:

هذا الّذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحلّ والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلّهم هذا التّقيّ النّقيّ الطّاهر العلم
يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم

- إلى أن قال - فغضب هشام وأمر بحبس الفرزدق بعسفان بين مكّة والمدينة، فبعث إليه عليّ عليه السلام بألف دينار فردّها، وقال: إنّما قلت ما قلت غضباً لله ورسوله، فما آخذ عليه أجراً. فقال عليّ عليه السلام: نحن أهل بيت لا يعود إلينا ما خرج منّا. فقبلها الفرزدق، وهجا هشاماً[1].

وروى المسعودي في (مروجه) أنّه أُتي بعليّ بن الحسين عليه السلام إلى مسلم بن عقبة وهو مغتاظ عليه، فتبرأ منه ومن آبائه، فلمّا رآه وقد أشرف عليه ارتعد وقام له وأقعده إلى جانبه، وقال له: سلني حوائجك. فلم يسأله في أحد ممّن قدّم إلى السّيف إلّا شفّعه فيه، ثمّ انصرف عنه، فقيل لعليّ عليه السلام: رأيناك تحرّك شفتيك، فما الّذي قلت؟ قال: قلت: «اللّهمّ ربّ السّماوات السّبع وما أظللن، والأرضين السّبع وما أقللن، ربّ العرش العظيم، ربّ محمّد وآله الطاهرين. أعوذ بك من شرّه وأدرأ بك في نحره، أسألك أن تؤتيني خيره وتكفيني شرّه». وقيل لمسلم: رأيناك تسبّ هذا الغلام وسلفه فلمّا أُتي به إليك رفعت منزلته؟ فقال: ما كان ذلك لرأي منّي، لقد مُلئ قلبي منه رعباً[2].

وفي (تذكرة السّبط): في (تذكرة ابن حمدون) قال الزّهري: حمل عبد

---

(١) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ٣٢٩، ٣٢٤.

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٧٠.

الملك عليّ بن الحسين عليه السلام مقيّداً من المدينة، فأثقله حديداً، ووكّل به حفظة. قال: فاستأذنتهم في وداعه فأذنوا، فدخلت عليه والقيود في رجليه والغل في يديه، فهو في قبّة فبكيت وقلت: وددت أنّي مكانك وأنت سالم. فقال: يا زهري أتظنّ أنّ ما ترى عليّ وفي عنقي يكرثني؟ أما لو شئت لما كان، وإنّه ليذكّرني عذاب الله، ثمّ أخرج رجليه من القيد، ويديه من الغل ثم قال: لا جزت معهم على ذا ميلين من المدينة. قال: فما مضت إلّا أربع ليال، وإذا قد قدم الموكّلون الّذين كانوا معه إلى المدينة يطلبونه فما وجدوه، فسألت بعضهم فقالوا: إنّا نراه متبوعاً، إنّه لنازل، ونحن حوله نرصده إذ طلع الفجر فلم نجده ووجدنا حديده. قال الزّهري: فقدمت بعد ذلك على عبد الملك فسألني عنه فأخبرته، فقال: قد جاءني يوم فقده الأعوان فدخل عليّ فقال: ما أنا وأنت؟ فقلت: أقم عندي. قال: لا أُحبّ. ثمّ خرج، فوالله لقد امتلأ قلبي منه خيفة[1].

وفي (فصول ابن الصّبّاغ المالكي) عن أبي عبد الله الزّاهد قال: لمّا ولّي عبد الملك بن مروان الخلافة كتب إلى الحجاج بن يوسف الثقفي: أمّا بعد فانظر دماء بني عبد المطّلب فاجتنبها، فإنّي رأيت آل أبي سفيان لمّا ولعوا فيها لم يلبثوا إلّا قليلاً. قال: وبعث بالكتاب سرّاً إلى الحجّاج، وقال له: اكتم ذلك. فكوشف بذلك عليّ بن الحسين عليهما السلام، فكتب من فوره إلى عبد الملك: أمّا بعد فإنّك كتبت في يوم كذا من شهر كذا إلى الحجّاج سرّاً في حقّنا لبني عبد المطّلب بما هو كيت وكيت، وقد شكر الله لك ذلك. قال: فلمّا نظر (عبد الملك الكتاب) وتأمّل فيه وجد تاريخه موافقاً لتاريخ كتابه الّذي كتبه إلى الحجّاج في اليوم والسّاعة[2].

---

(١) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ٣٢٩، ٣٢٤.

(٢) الفصول المهمّة لابن الصباغ: ٢٠٣، والاختصاص للمفيد: ٣٠٨، والنقل بتلخيص.

وروى في الجزء التاسع من (مجالس ثعلب) عن جويرية قال: ما أكل عليّ بن الحسين بقرابته من النبيّ صلى الله عليه وآله درهماً قط[(١)].

وعن طاووس قال: رأيت عليّ بن الحسين ساجداً في الحجر، فقلت: رجل صالح من أهل بيت طيب، لأسمعن ما يقول. فأصغيت إليه فسمعته يقول: «عبيدك بفنائك، مسكينك بفنائك، سائلك بفنائك، فقيرك بفنائك» فوالله ما دعوت بها في كرب قطّ إلّا كشف عنّي[(٢)].

ويأتي خبر جابر عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه يولد من الحسين مولود اسمه عليّ إذا كان يوم القيامة نادى منادي: ليقم سيّد العابدين. فيقوم ولده[(٣)].

وفي (عمدة الطالب) قال الجاحظ في رسالة له صنّفها في فضائل بني هاشم: وأمّا عليّ بن الحسين بن علي فلم أرَ الخارجي في أمره إلّا كالشّيعي، ولم أر الشّيعيّ إلّا كالمعتزلي، ولم أر المعتزلي إلّا كالعامّي، ولم أر العامي إلّا كالخاصّي، ولم أجد أحداً يتمارى في تفضيله ويشكّ في تقديمه[(٤)].

وفي (تاريخ الطبري): في كتاب المنصور إلى محمّد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن عليه السلام: وما ولد فيكم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله أفضل من عليّ بن الحسين عليه السلام[(٥)].

وروى في (ذيل تاريخه) عن يزيد بن عياض قال: أصاب الزّهري دماً خطأً فخرج وترك أهله، وضرب فسطاطاً، وقال: لا يظلّني سقف بيت. فمرّ به عليّ بن الحسين عليه السلام فقال: يابن شهاب قنوطك أشدّ من ذنبك، فاتّق الله

(١ و ٢) مجالس ثعلب ٢: ٤٢٦.

(٣) انظر ما نقل في تذكرة الخواص: ٣٣٧ عن المدائني الذي يأتي عن قريب.

(٤) عمدة الطالب للحسني: ١٩٤ عن فضائل بني هاشم للجاحظ، ونقله عن هذا الكتاب للجاحظ القندوزي في ينابيع المودة: ١٥٣ بفرق كثير.

(٥) تاريخ الطبري ٤: ١٩٨ سنة ١٤٥.

واستغفره وابعث إلى أهله بالدية، وارجع إلى أهلك. وكان الزّهري يقول: عليّ بن الحسين عليه السلام أعظم النّاس عليّ منّة[١].

وروى عن هشام بن عروة قال: كان عليّ بن الحسين عليه السلام يخرج على راحلته إلى مكّة ويرجع لا يقرعها[٢].

وأمّا الباقر عليه السلام فقالوا في (مفاخرات هاشم وأُميّة) وقد نقله ابن أبي الحديد: منه، ومن ابنه جعفر تعلّم الناس الفقه، وهو الملقّب بالباقر، باقر العلم، لقّبه به النّبيّ صلى الله عليه وآله ولم يخلق بعد، وبشّر به، ووعد جابر بن عبد الله الأنصاري برؤيته وقال: ستراه طفلاً، فإذا رأيته فأبلغه عنّي السّلام. فعاش جابر حتّى رآه، وقال له ما وصاه به النبيّ صلى الله عليه وآله [٣].

وفي كتاب المنصور إلى محمّد بن عبد الله المحض، جواباً عن كتابه الّذي كتب إليه، يفتخر بأنّه ليس في أُمّهاته أُم ولد -وقد رواه الطبري-: وما ولد فيكم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله أفضل من عليّ بن حسين عليه السلام وهو لأُمّ ولد، ولهو خير من جدّك حسن بن حسن، وما كان فيكم بعده مثل ابنه محمّد بن عليّ[٤].

وفي (تذكرة سبط ابن الجوزي) قال عطا: ما رأيت العلماء عند أحد منهم، أصغر علماً منهم عند أبي جعفر عليه السلام، لقد رأيت الحكم عنده كأنّه مغلوب، ويعنى بالحكم الحكم بن عتبة، وكان عالماً نبيلاً جليلاً في زمانه[٥].

وذكر المدائني عن جابر بن عبد الله أنّه أتى أبا جعفر محمّد بن عليّ إلى الكتّاب وهو صغير فقال له: النّبيّ صلى الله عليه وآله يسلّم عليك. فقيل لجابر: وكيف هذا؟

(١ و ٢) منتخب ذيل المذيل للطبري: ١١٩.

(٣) رواه الجاحظ في مفاخرات هاشم وأُميّة عنه شرح ابن أبي الحديد ٣: ٤٩١، شرح الكتاب ٢٨.

(٤) تاريخ الطبري ٤: ١٩٨ سنة ١٤٥.

(٥) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ٣٣٧، ٣٤٠.

فقال: كنت جالساً عند النّبيّ صلى الله عليه وآله والحسين عليه السلام في حجره وهو يداعبه، فقال: يا جابر يولد له مولود اسمه عليّ، إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم سيّد العابدين فيقوم ولده، ثمّ يولد له ولد اسمه محمّد فإن أدركته يا جابر فأقرئه منّي السّلام[(١)].

ونقل السّبط أيضاً: وكان أبو جعفر عليه السلام يحضر إخوانه فيطعمهم أطيب الطّعام، ويكسوهم أحسن الكسوة، ويهب لهم الدراهم الكثيرة، ويجيز بالخمسمائة إلى الألف درهم، ولا يملّ من مجالسة الاخوان[(٢)].

وروى عن أفلح مولاه قال: خرجت مع مولاي حاجّاً فلمّا دخل المسجد نظر إلى البيت، فبكى حتّى علا صوته، فقلت: بأبي وأُمّي إنّ النّاس ينظرون إليك فلو رفعت بصوتك قليلاً. فبكى وقال: ويحك لِمَ لا أبكي، لعلّ الله أن ينظر إليّ برحمة منه فأفوز بها عنده. ثمّ طاف بالبيت، وركع عند المقام، ورفع رأسه من سجوده فإذا موضعه مبتلّ من دموعه، وكان إذا ضحك يقول: اللّهمّ لا تمقتني[(٣)].

وروى أنّه عليه السلام قال: من عبد المعنى دون الاسم فإنّه يخبر عن غائب، ومن عبد الاسم دون المعنى فإنّه يعبد المسمّى، ومن عبد الاسم والمعنى فإنّه يعبد إلهين، ومن عبد المعنى بتقريب الاسم إلى حقيقة المعرفة فهو موحّد[(٤)].

وفي (عيون ابن قتيبة): دخل زيد بن علي على هشام فقال: ما فعل أخوك البقرة؟ فقال زيد: سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله باقراً، وتسميه بقرة. لقد اختلفتما[(٥)].

وروى عن جابر أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قال له: يا جابر إنّك ستعمر بعدي حتّى

(١ و ٢) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ٣٣٧، ٣٤٠.

(٣) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ٣٣٩، ٣٤٠.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) عيون الاخبار لابن قتيبة ١: ٢١٢.

يولد لي مولود اسمه كاسمي يبقر العلم بقراً، فإذا لقيته فأقرئه منّي السـلام. فكان جابر يتردّد في سكك المدينة بعد ذهاب بصره، وهو ينادي: يا باقر؛ حتى قال النّاس: قد جنّ جابر. فبينا ذات يوم هو بالبلاط إذ بصر بجارية يتوركها صبي. فقال لها: يا جارية من هذا الصّبي؟ قالت: محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب. فقال: أدنيه منّي. فأدنته فقبّل بين عينيه، وقال: يا حبيبي! رسول الله يقرئك السّلام. ثمّ قال: نعيت إليّ نفسي وربّ الكعبة. ثمّ انصرف إلى منزله وأوصى، فمات من ليلته[1].

وفي (بيان الجاحظ): جمع محمّد بن عليّ صلاح شأن الدّنيا بحذافيرها في كلمتين فقال: «إصلاح شأن جميع التّعايش والتّعاشر ملء مكيال ثلثاه فطنة، وثلثه تغافل». قال: لم يجعل لغير الفطنة نصيباً في الخير ولا حظّاً في الصّلاح، لأنّ الإنسان لا يتغافل إلّا عن شيء قد فطن له[2].

وأمّا أبو عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام، ففي (حلية أبي نعيم) عن عمرو بن أبي المقدام قال: كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمّد علمت أنّه من سلالة النّبيّين[3].

وعن ابن بسطام قال: كان جعفر بن محمّد عليه السلام يطعم حتّى لا يبقى لعياله شيء[4].

وعن ابن المقدام قال: وقع الذّباب على المنصور فذبّه عنه، فعاد فذبّه حتّى أضجره، فدخل جعفر بن محمّد عليه السلام عليه، فقال له المنصور: يا أبا عبد

---

(١) عيون الاخبار لابن قتيبة ١: ٢١٢.

(٢) البيان والتبيين للجاحظ ١: ١٠٧.

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم ٣: ١٩٣.

(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم ٣: ١٩٤.

الله لِمَ خلق الله الذّباب؟ قال: ليذلّ به الجبابرة[١].

وروى أنّ ابن شبرمة، وابن أبي ليلى، وأبا حنيفة دخلوا عليه عليه السلام فقال لابن أبي ليلى: من هذا معك؟ قال: هذا رجل له بصر ونفاذ في أمر الدّين. قال: لعلّه يقيس أمر الدّين برأيه؟ قال: نعم. فقال جعفر عليه السلام لأبي حنيفة: ما اسمك؟ قال: نعمان. قال: يا نعمان هل قست رأسك بعد؟ قال: كيف أقيس رأسي؟ قال: ما أراك تحسن شيئاً. هل علمت ما الملوحة في العينين، والمرارة في الأذنين، والحرارة في المنخرين، والعذوبة في الشّفتين؟ قال: لا. قال: ما أراك تحسن شيئاً. قال: فهل علمت كلمة أوّلها كفر وآخرها إيمان؟ قال: لا. فقال ابن أبي ليلى: يابن رسول الله أخبرني بهذه الأشياء الّتي سألته عنها. فقال: أخبرني أبي عن جدّي أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قال: إنّ الله بمنّه وفضله جعل لابن آدم الملوحة في العينين، لأنّهما شحمتان ولولا ذلك لذابتا، وإنّ الله بمنّه وفضله ورحمة على ابن آدم جعل المرارة في الأذنين، حجاباً من الدّوابّ، فإن دخلت الرأس دابّة والتمست إلى الدماغ، فإذا ذاقت المرارة التمست الخروج، وإنّ الله بمنّه وفضله ورحمة على ابن آم جعل الحرارة في المنخرين يستنشق بهما الريح، ولولا ذلك لأنتن الدّماغ، وانّ الله بمنّه وفضله ورحمة على ابن آدم جعل العذوبة في الشفتين يجد بهما استطعام كلّ شيء، ويسمع النّاس بها حلاوة منطقه. قال: فأخبرني عن الكلمة الّتي أوّلها كفر، وآخرها إيمان. فقال: إذا قال العبد: «لا إله» فقد كفر، فإذا قال: «إلّا الله» فهو إيمان.

ثم أقبل على أبي حنيفة فقال: يانعمان حدّثني أبي عن جدّي: أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قال: أوّل من قاس أمر الدّين برأيه إبليس، قال الله تعالى له: اسجد

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ٣: ١٩٨.

لآدم فقال: ﴿أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾[١] فمن قاس الدّين برأيه قرنه الله تعالى يوم القيامة بإبليس، لأنّه اتّبعه بالقياس. ثمّ قال جعفر: أيّهما أعظم قتل النفس أو الزّنا؟ قال أبو حنيفة: قتل النفس. قال: فإن الله عزّوجلّ قبل في قتل النفس شاهدين ولم يقبل في الزنا إلّا أربعة. ثمّ قال: أيّهما أعظم: الصلاة أم الصوم؟ قال: الصّلاة. قال: فما بال الحائض تقضي الصّوم، ولا تقضي الصلاة؟ فكيف ويحك يقوم لك قياسك؟ اتّق الله ولا تقس الدّين برأيك[٢].

وروى أبو الفرج في (مقاتله) بأسانيد عن عبد الأعلى بن أعين، ومحمّد ابن أبي الكرام الجعفري، وغيرهما أنّ جماعة من بني هاشم اجتمعوا بالأبواء، وفيهم إبراهيم بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس، وأبو جعفر المنصور، وصالح بن عليّ، وعبد الله بن الحسن، وابناه محمّد وإبراهيم، ومحمّد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، فقال صالح بن عليّ: قد علمتم أنّكم الّذين تمدّ النّاس أعينهم إليهم وقد جمعكم الله في هذا الموضع، فاعقدوا بيعة لرجل منكم، تعطونه إيّاها من أنفسكم، وتواثقوا على ذلك حتّى يفتح الله وهو خير الفاتحين. فحمد الله عبد الله بن الحسن وأثنى عليه، ثمّ قال: قد علمتم أنّ ابني هذا هو المهدي فهلموا نبايعه. وقال أبو جعفر المنصور: لأيّ شيء تخدعون أنفسكم؟ والله لقد علمتم ما النّاس إلى أحد أصور أعناقاً ولا أسرع إجابة منهم إلى هذا الفتى ـ يعني: محمّد بن عبد الله ـ قالوا: قد والله صدقت، إنَّ هذا لهو الّذي نعلم. فبايعوا جميعاً محمّداً، ومسحوا على يده.

قال عيسى بن عبد الله بن محمّد بن عمر بن عليّ: جاء رسول عبد الله بن

---

(١) الأعراف: ١٢، وص: ٧٦.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم ٣: ١٩٦.

الحسن إلى أبي: أن ايتنا فإنّنا مجتمعون لأمر. وأرسل بذلك إلى جعفر بن محمّد أيضاً، قال: فأرسلني أبي أنظر ما اجتمعوا عليه، وأرسل جعفر بن محمّد محمّد بن عبد الله الأرقط، فجئناهم فإذا بمحمّد بن عبد الله يصلّي على طنفسة، فقلت: أرسلني أبي إليكم لأسألكم لأيّ شيء اجتمعتم؟ فقال عبد الله: اجتمعنا لنبايع المهدي محمّد بن عبد الله. وجاء جعفر بن محمّد، فأوسع له عبد الله بن الحسن إلى جنبه، فتكلّم معه بمثل كلامه معي، فقال جعفر: لا تفعلوا فإنّ هذا الأمر لم يأت بعد، ولا والله لا ندعك وأنت شيخنا ونبايع ابنك. فغضب عبد الله، وقال: لقد علمت خلاف ما تقول، ولكن يحملك على هذا الحسد لابني. فقال: والله ما ذلك يحملني، ولكنّ هذا وإخوته وأبناءهم دونكم -وضرب بيده على ظهر أبي العبّاس، ثمّ ضرب بيده على كتف عبد الله بن الحسن- فقال: إنّها والله ما هي إليك ولا إلى ابنيك، ولكنّها لهم، وإنّهما لمقتولان. ثمّ نهض وتوكّأ على يد عبد العزيز بن عمران الزهري، وقال لي: أرأيت صاحب الرّداء الأصفر -يعني أبا جعفر المنصور-؟ قلت: نعم. قال: فإنّا والله نجده يقتله. قلت: أيقتل محمّداً؟ قال: نعم. فقلت في نفسي: حسده وربّ الكعبة. ثمّ قال: ووالله ما خرجت من الدّنيا حتّى رأيته قتلهما. قال: فلمّا قال جعفر ذلك نهض القوم فافترقوا ولم يجتمعوا بعد، وتبعه عبد الصّمد وأبو جعفر، فقالا: يا أبا عبد الله أتقول هذا؟ قال: أقوله وأعلمه.

وقال: كان محمّد بن عبد الله يسمّيه أهل بيته «المهدي» ويقدّرون أنّه الّذي جاءت فيه الرّواية، حتّى لم يشك أحد أنّه المهدي، وشاع ذلك له في العامّة، وبايعه رجال من بني هاشم جميعاً، من آل أبي طالب، وآل العبّاس، وسائر بني هاشم، ثمّ ظهر من جعفر بن محمّد عليه السلام قولٌ في أنّه لا يملك، وأنّ الملك

يكون في بني العبّاس، فانتبهوا من ذلك لأمر لم يكونوا يطمعون فيه[١].

وروى أبو الفرج أيضاً عن أمّ الحسين بنت عبد الله بن محمّد الباقر عليه السلام: قالت: قلت لعمّي جعفر بن محمّد: إنّي فديتك، ما أمر محمّد هذا؟ قال: فتنة، يقتل محمّد عند بيت رومي، ويقتل أخوه لأمّه وأبيه بالعراق، وحوافر فرسه بالماء[٢].

وروى عن ابن داحة أنّ جعفر بن محمّد عليه السلام قال لعبد الله بن الحسن: إنّ هذا الأمر والله ليس إليك، ولا إلى ابنيك، وانّما هو لهذا -يعني: السفّاح- ثم لهذا -يعني: المنصور- ثمّ لولده من بعده، لا يزال فيهم حتّى يؤمّروا الصّبيان ويشاوروا النساء. فقال عبد الله: والله يا جعفر ما اطلعك الله على غيبه، وما قلت هذا إلّا حسداً لابني. فقال: لا والله ما حسدت ابنك، وإنّ هذا -يعني أبا جعفر- يقتله على أحجار الزّيت، ثمّ يقتل أخاه بعده بالطفوف وقوائم فرسه في الماء. ثم قام مغضباً يجر رداءه، فتبعه أبو جعفر. فقال: أتدري ما قلت يا أبا عبد الله؟ قال: إي والله أدريه وإنّه لكائن. قال: فحدّثني من سمع أبا جعفر يقول: فانصرفت لوقتي فرتّبت عمّالي، وميّزت أموري تمييز مالك لها. قال: فلمّا ولّي أبو جعفر الخلافة سمّي جعفراً الصّادق، وكان إذا ذكره قال: قال لي الصادق جعفر بن محمّد كذا وكذا فبقيت عليه[٣].

قلت: وصار الأمر كما قال عليه السلام في بدء بني العبّاس وفي مآلهم في تأمير الصبيان ومشاورة النّساء؛ قال المسعودي في (تنبيهه): كان في المقتدر وفي أيّامه أمور لم يكن مثلها في الإسلام، منها أنّه ولّي الخلافة، وله ثلاث عشرة سنة وشهران وثلاثة أيّام، ومنها غلبة النّساء على الملك والتّدبير، حتّى إنّ جارية تعرف بمثل القهرمانة تجلس للنظر في مظالم الخاصّة والعامّة،

(١ و ٢ و ٣) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الاصبهاني: ١٥٧، ١٥٨، ١٦٨، ١٧١ والأول بتقطيع.

ويحضرها الوزير والكاتب والقضاة وأهل العلم[١].

وقال المسعودي أيضاً في (مروجه): بايع الأمين لابنه، وسمّاه النّاطق بالحقّ، وكان ابنه لا ينطق بأمر ولا يعرف حسناً ولا قبيحاً، ولم يخل من الحاجة إلى من يحضنه في قيامه وقعوده. فقال عليّ بن أبي طالب الأعمى البغدادي:

فعال الخليفة أعجوبة ... وأعجب منه فعال الوزير
وأعجب من ذا وذا أنّنا ... نبايع للطّفل فينا الصّغير
ومن ليس يحسن مسح انفه ... ولم يخل من متنه حجر ظير[٢]

وكان المنصور بعد خروج محمّد وإبراهيم عليه، وخوفه من غلبتهما يتذكر قول الصادق عليه السلام في ملكهم: «حتّى يؤمّروا الصّبيان ويشاوروا النّساء».

روى أبو الفرج عن أبي الحجّاج الجمّال قال: إنّي لقائم على رأس أبي جعفر، وهو يسألني عن مخرج محمّد إذ بلغه أنّ عيسى بن موسى هزم، وكان متّكئاً فجلس فضرب بقضيب معه مصلّاه، وقال: كلّا فأين لعب صبياننا بها على المنابر، ومشاورة النساء[٣]؟

وعن حفص بن حكيم: أنّ أبا جعفر وجل من إبراهيم حتّى جعل يقول: ويلك يا ربيع فكيف ولم ينلها أبناؤنا. فأين إمارة الصبيان[٤]؟

وروى أيضاً إخباره عليه السلام بمحروميّة عيسى بن موسى من نيل الخلافة، وقد كان السفاح جعله وليّ عهده بعد أخيه المنصور، فجعله المنصور ولي

(١) التنبيه والاشراف للمسعودي: ٣٢٨ والنقل بتلخيص.

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٣٩٧.

(٣ و ٤) المقاتل لأبي الفرج: ١٨٤، ٢٣١، ١٨٤.

عهده بعد ابنه المهدي، وخلعه المهدي رأساً، وكان قتل محمّداً وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن لإبقاء الأمر له؛ فروى أبو الفرج عن عليّ بن اسماعيل بن صالح بن ميثم أنَّ عيسى بن موسى لمّا قدم قال جعفر بن محمّد عليه السلام: أهو هو؟ قيل: من تعني يا أبا عبد الله؟ قال: المتلعب بدمائنا، والله لا يحلأ منها شيء(١).

وروى عن الرومي مولى جعفر بن محمّد عليه السلام قال: أرسلني جعفر بن محمّد أنظر ما يصنعون، فجئته فأخبرته أنّ محمّداً قتل، وأنّ عيسى قبض على عين أبي زياد. فأبلس طويلاً، ثمّ قال: ما يدعو عيسى إلى أن يسيء بنا ويقطع أرحامنا؟ فوالله لا يذوق هو ولا ولده منها شيئاً أبداً(٢).

وروى أنّه عليه السلام قال للمنصور: اردد عليّ عين أبي زياد آكل من سعفها. قال: إيّاي تكلّم بهذا الكلام، والله لأزهقنّ نفسك. قال: لا تعجل قد بلغت ثلاثاً وستّين وفيها مات أبي وجدّي عليّ بن أبي طالب، فعليّ كذا وكذا إن آذيتك بشيء أبداً(٣).

وروى عن يونس بن أبي يعقوب قال: حدّثنا جعفر بن محمّد من فيه إلى أُذني، قال: لمّا قُتل إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بباخمرى حسرنا من المدينة، ولم يترك فيها منّا محتلم حتّى قدمنا الكوفة، فمكثنا فيها شهراً نتوقّع فيها القتل، ثمّ خرج إلينا الرّبيع الحاجب، فقال: أين هؤلاء العلوية؟ أدخلوا على الخليفة رجلين منكم من ذوي الحجى. فدخلنا إليه أنا والحسن بن زيد، فلمّا صرت بين يديه قال لي: أنت الّذي تعلم الغيب؟ قلت: لا يعلم الغيب إلّا الله. قال:

---

(١) المقاتل لأبي الفرج: ١٨٤، ٢٣١، ١٨٤.

(٢) المقاتل لأبي الفرج: ١٨٤، ٢٣٢ ونقل الأخير بتلخيص.

(٣) المقاتل لأبي الفرج: ١٨٤.

أنت الّذي يجبى إليك هذا الخراج؟ قلت: إليك يجبى الخراج. قال: أتدرون لِمَ دعوتكم؟ قلت: لا. قال: أردت أن أهدم رباعكم، وأروّع قلوبكم، وأعقر نخلكم، وأترككم بالسّراة لا يقربكم أحد من أهل الحجاز وأهل العراق، فإنّهم لكم مفسدة. فقلت له: إنّ سليمان أُعطي فشكر، وإنّ أيوب أُبتلي فصبر، وإنّ يوسف ظُلِمَ فغفر، وأنت من ذلك النّسل. فتبسّم، وقال: أعد عليّ. فأعدت، فقال: مثلك فليكن زعيم القوم، وقد عفوت عنكم، ووهبت لكم جرم أهل البصرة. حدّثني الحديث الّذي حدّثتني عن أبيك عن آبائه عن النّبيّ صلى الله عليه وآله -إلى أن قال-: قلت: حدّثني أبي عن آبائه عن عليّ عن النّبيّ صلى الله عليه وآله: أنّ ملكاً من الملوك في الأرض كان بقي من عمره ثلاث سنين فوصل رحمه، فجعلها الله ثلاثين سنة. فقال: هذا الحديث أردت. أيّ البلاد أحبّ إليك؟ قلنا: المدينة. فسرّحنا إلى المدينة، وكفى الله مؤونته[1].

وفي (مروج الذهب): كان أبو سلمة لمّا قتل إبراهيم الإمام خاف انتقاض الأمر وفساده عليه، فبعث بمحمّد بن عبد الرّحمن بن أسلم -وكتب معه كتابين على نسخة واحدة- وإلى جعفر بن محمّد وإلى عبد الله بن الحسن يدعو كلّ واحد منهما إلى الشّخوص إليه، ليصرف الدعوة إليه ويجتهد في بيعة أهل خراسان له، وقال للرّسول: العجل العجل، فلا تكوننّ كوافد عاد. فقدم الرّسول المدينة على جعفر بن محمّد فلقيه ليلاً، فلمّا وصل إليه أعلمه أنّه رسول أبي سلمة، ودفع إليه كتابه. فقال له: وما أنا وأبو سلمة؟ أبو سلمة شيعة لغيري. قال له: إنّي رسول فتقرأ كتابه وتجيبه بما رأيت، فدعا بسراج، ثمّ أخذ كتاب أبي سلمة فوضعه على السّراج حتّى احترق، وقال للرّسول: عرّف صاحبك بما رأيت. ثمّ أنشأ يقول متمثّلاً بقول الكميت:

---

(١) المقاتل لأبي الفرج: ٢٣٢ بتلخيص.

أيا موقداً ناراً لغيرك ضوؤها ويا حاطباً في غير حبلك تحطب

فخرج الرّسول من عنده، وأتى عبد الله بن الحسن فدفع إليه الكتاب فقبّله وقرأه وابتهج، فلمّا كان الغد ركب حماراً حتّى أتى منزل جعفر بن محمّد، فلمّا رآه أكبر مجيئه، فقال له: يا أبا محمّد أمر ما جاء بك؟ قال: نعم. وهو أجلّ من أن يوصف. فقال: وما هو؟ قال: هذا كتاب أبي سلمة يدعوني إلى ما قبله، وقد قدمت عليه شيعتنا من أهل خراسان. فقال: ومتى كان أهل خراسان شيعة لك؟ أنت بعثت أبا مسلم إلى خراسان، وأنت أمرته بلبس السّواد، وهؤلاء الّذين قدموا العراق أنت كنت سبب قدومهم أو وجّهت فيهم، وهل تعرف منهم أحداً؟ فنازعه عبد الله الكلام...[١].

وقالوا في مفاخرات هاشم وأُميّة عن قبل هاشم لأُمية: وكان لنا مثل جعفر بن محمّد الذي ملأ الدّنيا علمه وفقهه[٢].

وفي (إرشاد محمّد بن محمّد بن النّعمان): أنّ أصحاب الحديث جمعوا أسماء الرّواة عن الصادق عليه السلام من الثّقات على اختلافهم في الآراء والمقالات، فكانوا أربعة آلاف رجل[٣].

وقال أحمد بن علي النّجاشي في (فهرسته): قال الحسن بن عليّ الوشا أدركت في هذا المسجد (يعني مسجد المدينة) تسعمائة شيخ، كلّ يقول: حدّثني جعفر بن محمّد[٤].

وروى الطبري كتاب المنصور إلى محمّد بن عبد الله بن الحسن وفيه: ما ولد فيكم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله أفضل من عليّ بن الحسين، وما كان

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٢٥٣.

(٢) مفاخرات هاشم وأُمية للجاحظ عنه شرح ابن أبي الحديد ٣: ٤٩٠، شرح الكتاب ٢٨.

(٣) إرشاد المفيد: ٢٧١.

(٤) فهرست النجاشي: ٢٩.

فيكم بعده مثل ابنه محمّد بن عليّ، ولا مثل ابنه جعفر[١].

وفي (حياة الحيوان) للدميري: الجفرة، بفتح الجيم: ما بلغت أربعة أشهر من أولاد المعز، وفصلت عن أُمّها، والذّكر جفر، سمّي بذلك لأنّه جفر جنباه، أي: عظما[٢].

قال ابن قتيبة في كتابه (أدب الكاتب): وكتاب الجفر جلد جفر، كتب فيه الإمام جعفر بن محمّد الصادق لآل البيت كلّ ما يحتاجون إلى علمه، وكلّ ما كان إلى يوم القيامة[٣].

قال الدميري: وإلى هذا الجفر أشار أبو العلاء المعرّي بقوله:

لقد عجبوا لأهل البيت لمّا أتاهم علمهم في مسك جفر
ومرآة المنجم وهي صغرى أرته كلّ عامرة وقفر[٤]

قال: وقيل: إنّ ابن تومرت المعروف بالمهدي ظفر بكتاب الجفر، فرأى فيه ما يكون على يد عبد المؤمن صاحب المغرب وقصّته وحليته واسمه، فأقام ابن تومرت مدّة يتطلّبه حتّى وجده وصحبه، وكان يكرّمه ويقدّمه على سائر أصحابه وينشد إذا أبصره:

تكاملت فيك أوصاف خصصت بها فكلّنا بك مسرور ومغتبط
السنّ ضاحكة والكفّ مانحة والنّفس واسعة والوجه منبسط[٥]

وفي (فصول ابن الصّباغ المالكي): قد نقل بعض أهل العلم أنّ كتاب الجفر الّذي بالمغرب، الّذي يتوارثه بنو عبد المؤمن بن عليّ،

(١) تاريخ الطبري ٢: ١٩٨ سنة ١٤٥.
(٢) حياة الحيوان للدميري ١: ١٩٧ مادة (جفر).
(٣) لم أجده في أدب الكاتب لابن قتيبة.
(٤ و ٥) حياة الحيوان للدميري ١: ١٩٧ مادة (جفر).

من كلام الصّادق جعفر بن محمّد[١].

وفي (فهرست النّجاشي) بعد عنوان هشام بن محمّد بن السّائب الكلبي النّسابة العالم بالأيّام والمشهور بالفضل والعلم: وله الحديث المشهور، قال: اعتللت علّة عظيمة نسيت علمي، فجلست إلى جعفر بن محمّد عليه السلام، فسقاني العلم في كأس، فعاد إليّ علمي»[٢].

وفي (معرفة رجال الكشي): روى حمدويه عن محمّد بن عيسى عن ابن أبي عمير عن هشام بن الحكم: أنّ أبا موسى البناء دخل على أبي عبد الله عليه السلام مع نفر من أصحابه، فقال عليه السلام لهم: «احتفظوا بهذا الشّيخ». قال: فذهب على وجهه في طريق مكّة فذهب من قزح فلم ير بعد ذلك[٣].

وروى (الكافي) عن عمرو بن أبي المقدام قال: كنت شاهداً عند البيت الحرام ورجل ينادي بأبي جعفر المنصور وهو يطوف، ويقول: إنّ هذين الرّجلين طرقا أخي ليلاً فأخرجاه من منزله، فلم يرجع إليّ، والله ما أدري ما صنعا به؟ فقال لهما أبو جعفر: وما صنعتما به؟ فقالا: كلّمناه ثمّ رجع إلى منزله. فقال لهما: وافياني غداة صلاة العصر في هذا المكان. فوافياه من الغد، وحضرته، فقال لجعفر بن محمّد عليه السلام وهو قابض على يده: اقض بينهم. فقال: اقض بينهم أنت. فقال له: بحقّي عليك إلّا قضيت بينهم. فخرج جعفر عليه السلام، فطرح له مصلّى قصب فجلس عليه، ثمّ جاء الخصماء فجلسوا قدّامه، فقال للرّجل: ما تقول؟ فقال: يابن رسول الله إنّ هذين طرقا أخي ليلاً فأخرجاه من منزله، فوالله ما رجع إليّ، ووالله ما أدرى ما صنعا به؟ فقال: ما تقولان؟ فقالا:

---

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ: ٢٢٣.

(٢) فهرست النجاشي: ٣٠٥.

(٣) معرفة الرجال للكشي، اختياره: ٣١٠ ح٥٦١ وأسناده «حمدويه وإبراهيم ابنا نصير قالا: حدّثنا محمّد بن عيسى...».

يابن رسول الله كلّمناه ثمّ رجع إلى منزله. فقال جعفر: ياغلام اكتب: «بسم الله الرّحمن الرّحيم. قال رسول الله ﷺ: كلّ من طرق رجلاً بالليل فأخرجه من منزله فهو له ضامن، إلّا أن يقيم البيّنة: أنّه قد ردّه إلى منزله». يا غلام نحّ هذا فاضرب عنقه. فقال: يابن رسول الله، والله ما قتلته أنا، ولكنّي أمسكته ثمّ جاء هذا، فوجأه فقتله. فقال: أنا ابن رسول الله، يا غلام، نحّ هذا واضرب عنق الآخر. فقال: والله يابن رسول الله ما عذّبته، ولكنّي قتلته بضربة واحدة. فأمر أخاه فضرب عنقه، ثمّ أمر بالآخر، فضرب جنبيه وحبسه في السّجن، ووقّع على رأسه بحبس عمره، ويضرب كلّ سنة خمسين جلدة[1].

وروى (الكافي) أيضاً، أنّ ربيعاً أتى المنصور في الطّواف، فقال له: مات فلان مولاك البارحة، فقطع فلان مولاك رأسه بعد موته. فاستشاط وغضب، فقال لابن شبرمة وابن أبي ليلى وعدّة معه من القضاة والفقهاء: ما تقولون في هذا؟ فكلّ قال: ما عندنا في هذا شيء. قال: فجعل يردّد المسألة في هذا ويقول: أقتله أم لا؟ فقالوا: ما عندنا في هذا شيء. فقال له بعضهم: قد قدم رجل السّاعة، فإن كان عند أحد علم شيء فعنده الجواب في هذا، وهو جعفر بن محمّد وقد دخل المسعى. فقال للرّبيع: اذهب إليه فقل له: لولا معرفتنا بشغل ما أنت فيه لسألناك أن تأتينا، ولكن أجبنا في كذا وكذا. فأتاه ربيع وهو على المروة فأبلغه الرّسالة، فقال عليه السلام له: قد ترى شغل ما أنا فيه، وقبلك العلماء والفقهاء فسلهم. قال: قد سألهم، ولم يكن عندهم فيه شيء. قال: فردّه إليه. فقال: أسألك إلّا أجبتنا، فليس عند القوم في هذا شيء. فقال عليه السلام: حتّى أفرغ. فلمّا فرغ جاء فجلس في جانب المسجد الحرام، فقال للرّبيع: اذهب إليه فقل له: عليه مائة دينار. فأبلغه، فقالوا له: فسله: كيف صار عليه مائة دينار؟

---

(١) الكافي للكليني ٧: ٢٨٧ ح٣.

فقال عليه السلام: في النّطفة عشرون، وفي العلقة عشرون، وفي المضغة عشرون، وفي العظم عشرون، وفي اللحم عشرون، ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾[١]، وهذا هو ميّت بمنزلته قبل أن ينفخ فيه الرّوح في بطن أمّه جنيناً. فأخبره الجواب فأعجبهم، وقالوا: ارجع إليه فسله: الدّنانير لمن هي، ألورثته أم لا؟ فقال عليه السلام: ليس لورثته منها شيء، إنّما هذا شيء أتى إليه في بدنه بعد موته، يُحجّ بها عنه، أو يُتصدق بها، أو تصير في سبيل من سبل الخير...[٢].

وروى (الكافي) أيضاً عن صفوان الجمّال قال: حملت أبا عبد الله عليه السلام في الحملة الثانية إلى الكوفة والمنصور فيها، فلمّا أشرف على الهاشمية ـ مدينة أبي جعفر ـ أخرج رجله من غزر الرّحل، ثمّ نزل ودعا ببغلة شهباء ولبس ثياب بيض وكمة بيضاء، فلمّا دخل عليه قال له المنصور: لقد تشبّهت بالأنبياء؟ فقال أبو عبدالله عليه السلام وأنّى تبعّدني من أبناء الأنبياء؟ فقال: لقد هممت أن أبعث إلى المدينة من يعقر نخلها، ويسبي ذرّيّتها. فقال: ولِمَ؟ قال: رفع إليّ أنّ مولاك المعلى بن خنيس يدعو إليك، ويجمع لك الأموال. فقال: والله ما كان. فقال: لست أرضى لك إلّا بالطّلاق والعتاق، والهدي والمشي. فقال عليه السلام: أبالأنداد من دون الله تأمرني أن أحلف؟ من لم يرض بالله فليس من الله في شيء. فقال: أتتفقه عليّ؟ فقال: وأنّى تبعّدني من الفقه وأنا ابن رسول الله؟ قال: فإنّي أجمع بينك وبين من سعى بك. قال: فافعل. فجاء الرّجل الّذي سعى به. فقال أبو عبد الله عليه السلام أهكذا؟ فقال: نعم والله الّذي لا إله إلّا هو عالم الغيب والشهادة الرّحمن الرّحيم لقد فعلت. فقال له أبو عبد الله عليه السلام: ويلك تمجّد الله فيستحيي من تعذيبك، ولكن قل: برئت من حول الله وقوّته وألجأت إلى حولي وقوّتي. فحلف

---

(١) المؤمنون: ١٤.

(٢) الكافي للكليني ٧: ٣٤٧ ح١.

بها الرّجل فلم يستتمّها حتّى وقع ميتاً[١].

ورواه ابن الصّباغ المالكي في (فصوله) مع زيادة ونقيصة[٢]. وروى (مهج ابن طاووس) إحضار المنصور له عليه السلام ليقتله مرّات، ودفع الله تعالى له عنه بدعائه عليه السلام[٣].

وروي أيضاً عن العبّاس الفقيمي: أنّ ابن أبي العوجاء وابن طالوت وابن الأعمى وابن المقفّع في نفر من الزّنادقة كانوا مجتمعين في الموسم بالمسجد الحرام، وأبو عبد الله جعفر بن محمّد عليه السلام إذ ذاك فيه يفتي النّاس، ويفسّر لهم القرآن، ويجيب عن المسائل بالحجج والبيّنات، فقال القوم لابن أبي العوجاء: هل لك في تغليط هذا الجالس وسؤاله عمّا يفضحه عند هؤلاء المحيطين به، فقد ترى فتنة الناس به، وهو علّامة زمانه؟ فقال لهم ابن أبي العوجاء: نعم. ثمّ تقدّم ففرّق النّاس، فقال له: إنّ المجالس أمانات ولابدّ لمن كان به سعال أن يسعل، أفتأذن لي في السّؤال؟ فقال عليه السلام له: سل إن شئت. فقال له: إلى كم تدوسون هذا البيدر، وتلوذون بهذا الحجر، وتعبدون هذا البيت المرفوع بالطّوب والمدر، وتهرولون حوله هرولة البعير إذا نفر؟ من فكّر في هذا وقدّر علم أنّه فعل غير حكيم ولا ذي نظر، فقل، فإنّك رأس هذا الأمر وسنامه، وأبوك أسّه ونظامه. فقال عليه السلام: إنّ من أضلّه الله وأعمى قلبه، استوخم الحق فلم يعذبه، وصار الشيطان وليّه وربّه، يورده مناهل الهلكة ولا يصدره. هذا بيت استعبد الله به خلقه، ليختبر طاعتهم في إتيانه، فحثّهم على تعظيمه وزيارته، وجعله قبلة للمصلّين له، فهو شعبة من رضوانه، وطريق

(١) الكافي للكليني ٦: ٤٤٥ ح٣.

(٢) الفصول المهمة لابن الصباغ: ٢٢٥.

(٣) مهج الدعوات لابن طاووس: ١٨.

مؤدّ إلى غفرانه، منصوب على استواء الكمال، ومجمع العظمة والجلال، خلقه الله تعالى قبل دحو الأرض بألفي عام، فأحقّ من أُطيع في ما أمر، وانتهي عمّا عنه زجر الله المنشئ للأرواح والصّور.

فقال له ابن أبي العوجاء: ذكرت فأحلت على غائب. فقال عليه السلام: ويلك كيف يكون غائباً من هو مع خلقه شاهد، إليهم أقرب من حبل الوريد، يسمع كلامهم ويعلم أسرارهم، لا يخلو منه مكان، ولا يشتغل به مكان، ولا إلى مكان أقرب من مكان، تشهد له بذلك آثاره، وتدلّ عليه أفعاله، والّذي بعثه بالآيات المحكمة والبراهين الواضحة، وهو محمّد صلى الله عليه وآله جاءنا بهذه العبادة، فإن شككت في شيء من أمره فسل عنه أوضّحه لك. فأبلس ابن أبي العوجاء، ولم يدر ما يقول، فانصرف من بين يديه، وقال لأصحابه: سألتكم أن تلتمسوا لي خمرة، فألقيتموني على جمرة. قالوا له: اسكت لقد فضحتنا بحيرتك وانقطاعك، وما رأينا اليوم أحقر منك في مجلسه. فقال لهم: ألي تقولون؟ إنّه ابن من حلق رؤوس من ترون. وأومأ بيده إلى أهل الموسم[1].

وروي أيضاً: أنّ أبا شاكر الدّيصاني وقف ذات يوم في مجلسه، فقال: إنّك لأحد النّجوم الزّواهر، وكان آباؤك بدوراً بواهر، وأُمّهاتك عقيلات عباهر، وعنصرك من أكرم العناصر، وإذا ذكر العلماء فعليك تثنى الخناصر، خبّرنا أيّها البحر الزاخر ما الدليل على حدوث العالم؟ فقال عليه السلام: من أقرب الدّليل على ذلك ما أظهره لك. ثمّ دعا ببيضة فوضعها في راحته، وقال: هذا حصن ملموم، داخله غرقئ رقيق يطيف به كالفضة السائلة والذهبة المائعة، أتشكّ في ذلك؟

(١) ارشاد المفيد: ٢٨٠، وكنز الفوائد للكراجكي: ٢٣٠ عن العباس الفقيمي، وأخرجه بفرق الكليني في الكافي ١: ١٩٧ ح ١، والصدوق في التوحيد: ٢٥٣ ح ٤ عن عيسى بن يونس، وأخرجه الصدوق في علل الشرائع: ٤٠٣ ح ٤ وأماليه: ٤٩٢ ح ٤ المجلس ٩٠ عن الفضل بن يونس.

قال أبو شاكر: لا شكّ في ذلك. قال عليه السلام: ثمّ إنّه ينفلق عن صورة كالطاووس، أدخله شيء غير ما عرفت؟ قال: لا. قال: فهذا الدليل على حدوث العالم. فقال أبو شاكر دللت فأوضحت وذكرت فأوجزت، وقد علمت أنّا لا نقبل إلّا ما أدركناه بأبصارنا، أو سمعناه بآذاننا، أو ذقناه بأفواهنا، أو شممناه بأنوفنا، أو لمسناه ببشرتنا. فقال عليه السلام: ذكرت الحواس الخمس، وهي لا تنفع في الاستنباط إلّا بدليل، كما لا تقطع الظّلمة بغير مصباح. قال: يريد عليه السلام أنّ الحواس بغير عقل لا توصل إلى معرفة الغائبات، وأن الّذي تراه من حدوث الصورة معقول بني العلم به على محسوس[1].

وروي عن أحمد بن محسن الميثمي قال: كنت عند أبي منصور المتطبب، فقال: أخبرني رجل من أصحابي، قال: كنت أنا وابن أبي العوجاء، وعبد الله بن المقفّع في المسجد الحرام، فقال ابن المقفّع: ترون هذا الخلق ـ وأومأ بيده إلى موضع الطّواف ـ ما منهم أحد أوجب له اسم الانسانية إلّا ذلك الشّيخ الجالس ـ يعني: أبا عبد الله عليه السلام ـ فأمّا الباقون فرعاع وبهائم. فقال له ابن أبي العوجاء: وكيف أوجبت هذا الاسم لهذا الشّيخ دون هؤلاء؟ قال: لأنّي رأيت عنده ما لم أره عندهم. فقال له ابن أبي العوجاء: لابدّ من اختبار ما قلت فيه منه. فقال له ابن المقفّع: لا تفعل فإنّي أخاف أن يفسد عليك ما في يدك. فقال: ليس ذا رأيك، ولكن تخاف أن يضعف رأيك عندي في إحلالك إيّاه المحلّ الّذي وصفت. فقال ابن المقفّع: أمّا إذ توهمت عليّ هذا فقم إليه وتحفّظ ما استطعت من الزّلل، ولا تثن عنانك إلى استرسال فيسلّمك إلى عقال، وسمه ما لك أو عليك.

قال: فقام ابن أبي العوجاء، وبقيت أنا وابن المقفّع جالسين، فلمّا رجع

---

(١) توحيد الصدوق: ٢٩٢ ح١ وأماليه: ٢٨٨ ح٥ المجلس ٥٦، وإرشاد المفيد: ٢٨١.

إلينا ابن أبي العوجاء قال: ويلك يابن المقفّع ما هذا ببشر، وإن كان في الدّنيا روحاني يتجسّد إذا شاء ظاهراً، ويتروّح إذا شاء باطناً فهو هذا.

فقال له: وكيف ذلك؟ قال: جلست إليه، فلمّا لم يبق عنده غيري ابتدأني فقال: إن يكن الأمر على ما يقول هؤلاء، وهو على ما يقولون ـ يعني أهل الطواف ـ فقد سلموا وعطبتم، وان يكن الأمر على ما تقولون ـ وليس كما تقولون ـ فقد استويتم وهم. فقلت له: يرحمك الله وأي شيء نقول، وأيّ شيء يقولون؟ ما قولي وقولهم إلّا واحداً. فقال: وكيف يكون قولك وقولهم واحداً وهم يقولون: إنّ لهم معاداً وثواباً وعقاباً، ويدينون بأنّ في السّماء إلهاً، وأنّها عمران، وأنتم تزعمون أنّ السّماء خراب ليس فيها أحد؟ قال: فاغتنمتها منه، فقلت له: ما منعه إن كان الأمر كما يقولون أن يظهر لخلقه، ويدعوهم إلى عبادته حتّى لا يختلف منهم اثنان؟ ولِمَ احتجب عنهم، وأرسل إليهم الرسل، ولو باشرهم بنفسه كان أقرب إلى الإيمان به؟

فقال لي: ويلك وكيف احتجب عنك من أراك قدرته في نفسك: نشوؤك ولم تكن، وكبرك بعد صغرك، وقوّتك بعد ضعفك، وضعفك بعد قوّتك، وسقمك بعد صحّتك، وصحتك بعد سقمك، ورضاك بعد غضبك، وغضبك بعد رضاك، وحزنك بعد فرحك، وفرحك بعد حزنك، وحبّك بعد بغضك، وبغضك بعد حبّك، وعزمك بعد أناتك، وأناتك بعد عزمك، وشهوتك بعد كراهتك، وكراهتك بعد شهوتك، ورغبتك بعد رهبتك، ورهبتك بعد رغبتك، ورجاؤك بعد يأسك، ويأسك بعد رجائك، وخاطرك بما لم يكن في وهمك، وعزوب ما أنت معتقده عن ذهنك. قال: وما زال يعدّد عليّ قدرته الّتي هي في نفسي الّتي لا أدفعها، حتّى ظننت أنّه سيظهر في ما بيني وبينه[1].

(١) الكافي للكليني ١: ٧٤ ح ٢، وتوحيد الصدوق: ١٢٥ ح ٤.

وروي أيضاً عن هشام بن الحكم قال: كان بمصر زنديق تبلغه عن أبي عبد الله عليه السلام أشياء، فخرج إلى المدينة ليناظره ـ إلى أن قال ـ فقال له أبو عبدالله عليه السلام: أتعلم أنّ للأرض تحتاً وفوقاً؟ قال: نعم. قال: فدخلت تحتها؟ قال: لا. قال: فما يدريك ما تحتها؟ قال: لا أدري، إلّا أنّي أظنّ أن ليس تحتها شيء. فقال عليه السلام: فالظن عجز لما لا تستيقن. ثمّ قال: أفصعدت السّماء؟ قال: لا. قال: أفتدري ما فيها؟ قال: لا. قال: عجباً لك لم تبلغ المشرق ولم تبلغ المغرب، ولم تنزل الأرض، ولم تصعد السّماء، ولم تجز هناك فتعرف ما خلفهنّ، وأنت جاحد بما فيهنّ، وهل يجحد العاقل ما لا يعرف. قال الزّنديق: ما كلّمني بهذا أحد غيرك.

فقال عليه السلام: فأنت من ذلك في شكّ، فلعلّه هو ولعلّه ليس هو. فقال الزّنديق: ولعل ذلك. فقال عليه السلام: أيّها الرجل ليس لمن لا يعلم حجّة على من يعلم، ولا حجّة للجاهل. يا أخا أهل مصر تفهّم عنّي؟ فإنّا لا نشكّ في الله أبداً، أما ترى الشمس والقمر والليل والنّهار يلجان فلا يشتبهان، ويرجعان قد اضطرا ليس لهما مكان إلّا مكانهما، فإن كانا يقدران على أن يذهبا فلِمَ يرجعان؟ وإن كانا غير مضطرين فلِمَ لا يصير الليل نهاراً والنّهار ليلاً؟ اضطرّا والله يا أخا أهل مصر إلى دوامهما، والّذي اضطرّهما أحكم منهما، وأكبر. فقال الزّنديق: صدقت.

ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام: يا أخا أهل مصر! إنّ الّذي تذهبون إليه وتظنّون أنّه الدّهر، إن كان الدّهر يذهب بهم لِمَ لا يردّهم؟ وإن كان يردّهم، لِمَ لا يذهب بهم؟ القوم مضطرّون يا أخا أهل مصر! لم السّماء مرفوعة والأرض موضوعة؟ لِمَ لا يسقط السّماء على الأرض؟ لِمَ لا تنحدر الأرض فوق طبقاها ولا يتماسكان؟ ولا يتماسك من عليها؟ قال الزّنديق: أمسكهما الله ربّهما وسيّدهما. قال: فآمن الزّنديق على يدي أبي عبد الله عليه السلام. فقال له حمران:

جعلت فداك إن آمنت الزنادقة على يديك فقد آمن الكفّار على يدي أبيك[١].

وروي أنّ عبد الله الدّيصاني قال لهشام بن الحكم: ألك ربّ؟ فقال: بلى. قال: أقادر هو؟ قال: نعم، قادر قاهر. قال: يقدر أن يدخل الدّنيا كلّها البيضة لا تكبر البيضة، ولا تصغر الدّنيا. قال هشام: النظرة. فقال: قد أنظرتك حولاً. ثمّ خرج هشام إلى أبي عبد الله عليه السلام، فقال له: أتاني عبد الله الديصاني بمسألة ليس المعوّل فيها إلّا على الله وعليك، قال لي كيت وكيت. فقال عليه السلام له: كم حواسك؟ قال: خمس. قال: أيّها أصغر؟ قال: النّاظر. قال: وكم قدر النّاظر. قال: مثل العدسة أو أقلّ منها. فقال له: يا هشام فانظر أمامك، وفوقك، واخبرني بما ترى. فقال: أرى سماءً وأرضاً ودوراً، وقصوراً، وبراري، وجبالاً، وأنهاراً. فقال له عليه السلام: إنّ الّذي قدر أن يدخل الّذي تراه العدسة أو أقلّ منها قادر على أن يدخل الدّنيا كلّها البيضة لا تصغر الدّنيا، ولا تكبر البيضة. فأكبّ هشام عليه، وقبّل يديه ورأسه ورجليه، وقال: حسبي. وانصرف إلى منزله، وغدا عليه الدّيصاني فقال له: إنّي جئتك مسلّماً، ولم أجئك متقاضياً للجواب. فقال له هشام: إن كنت جئت متقاضياً فهاك الجواب. فخرج الدّيصاني عنه حتّى أتى باب أبي عبد الله عليه السلام. ـ إلى أن قال ـ قال الدّيصاني: دلّني على معبودي، ولا تسألني عن اسمي. فقال عليه السلام له: اجلس، وإذا غلام له صغير في كفّه بيضة يلعب بها، فقال: ناولني يا غلام. فناوله: فقال: يا ديصاني هذا حصن مكنون له جلد غليظ، وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق، وتحت الجلد الرقيق ذهبة مائعة، وفضّة ذائبة، فلا الذّهبة المائعة تختلط بالفضّة الذّائبة، ولا الفضّة الذائبة تختلط بالذّهبة المائعة، فهي على حالها لم يخرج منها خارج مصلح فيخبر عن صلاحها، ولا دخل فيها مفسد فيخبر عن فسادها، لا يدرى للذّكر خلقت أم

(١) الكافي للكليني ١: ٧٢ ح ١، وتوحيد الصدوق: ٢٩٣ ح ٤.

للأنثى، تنفلق عن مثل ألوان الطواويس، أترى لها مدبّراً؟ قال: فأطرق مليّاً ثمّ قال: أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأنّ محمّداً عبده ورسوله وأنّك إمام وحجّة[1].

وروي أيضاً في خبر أنّه عليه‌السلام قال لزنديق: لا يخلو قولك: «إنّهما اثنان» من أن يكونا قديمين قويّين، أو يكونا ضعيفين، أو يكون أحدهما قويّاً والآخر ضعيفاً، فإن كانا قويّين، فلِمَ لا يدفع كلّ واحد منهما صاحبه ويتفرّد بالتدبير؟ وإن زعمت: أنّ أحدهما قويّ والآخر ضعيف، ثبت أنّه واحد كما نقول للعجز الظاهر في الثاني. فإن قلت: إنّهما اثنان، لم يخل من أن يكونا متّفقين من كلّ جهة، أو مفترقين من كلّ جهة، فلمّا رأينا الخلق منتظماً، والفلك جارياً، والتّدبير واحداً، والليل والنّهار والشمس والقمر، دلّ صحّة الأمر والتدبير وائتلاف الأمر على أنّ المدبّر واحد. ثم يلزمك إن ادّعيت اثنين فرجة ما بينهما حتّى يكونا اثنين، فصارت الفرجة ثالثاً بينهما قديماً معهما، فيلزمك ثلاثة، فإن ادّعيت ثلاثة لزمك ما قلت في الاثنين، حتّى تكون بينهم فرجة فيكونوا خمسة، ثمّ يتناهى في العدد إلى ما لا نهاية له في الكثرة. قال هشام: فكان من سؤال الزّنديق أن قال: فما الدّليل عليه؟ فقال عليه‌السلام: وجود الأفاعيل دلّت على أنّ صانعاً صنعها، ألا ترى أنّك إذا نظرت إلى بناء مشيّد مبنيّ علمت أنّ له بانياً، وإن كنت لم تر الباني ولم تشاهده؟ قال: فما هو؟ قال عليه‌السلام: شيء بخلاف الأشياء. ارجع بقولي إلى إثبات معنى، وأنّه شيء بحقيقة الشّيئيّة، غير أنّه لا جسم ولا صورة، ولا يُحسّ ولا يجسّ ولا يدرك بالحواسّ الخمس، ولا تدركه الأوهام ولا تنقصه الدّهور، ولا تغيّره الأزمان[2].

---

(١) الكافي للكليني ١: ٧٩ ح ٤ والنقل بتلخيص يسير.

(٢) الكافي للكليني ١: ٨٠ ح ٥، وتوحيد الصدوق: ٢٤٣ ح ١.

وفي (المناقب): أنّ رجلاً من الحاجّ نام في مسجد المدينة واستيقظ، فتوهّم أنّ هميانه سُرق، فرأى جعفر الصادق عليه السلام مصلّياً، ولم يعرفه فتعلّق به، وقال له: أنت أخذت همياني. قال: ما كان فيه؟ قال: ألف دينار. فحمله إلى داره، ووزن له ألف دينار، وعاد إلى منزله ووجد هميانه، فعاد إلى جعفر عليه السلام معتذراً بالمال، فأبى قبوله، وقال: شيء خرج من يدي لا يعود إليّ. فسأل الرّجل عنه، فقيل له: هذا جعفر الصّادق. قال: لا جرم هذا فعال مثله(١).

وفي (فصول ابن الصّباغ المالكي): روى أنّ داود بن عليّ قتل المعلى بن خنيس ـ مولى كان لجعفر الصادق عليه السلام ـ فأخذ ماله، فبلغ ذلك جعفراً فدخل إلى داره، ولم يزل ليله كلّه قائماً إلى الصباح، ولمّا كان وقت السّحر سمع منه وهو يقول في مناجاته: يا ذا القوّة القويّة، ويا ذا المال الشّديد، ويا ذا العزّة الّتي كلّ خلقك لها ذليل، اكفنا هذا الطاغية، وانتقم لنا منه. فما كان إلّا ارتفعت الأصوات بالصراخ والعويل، وقيل: مات داود فجأة(٢).

وقال ابن الصباغ المالكي أيضاً: ولمّا بلغ جعفر الصّادق قول الحكم بن عبّاس الكلبي:

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة ... ولم أرَ مهدياً على الجذع يصلب

فرفع جعفر يديه إلى السماء، وهما يرتعشان فقال: اللهمّ سلّط على الحكم بن عبّاس الكلبي كلباً من كلابك. فبعثه بنو أُمية إلى الكوفة، فافترسه الأسد في الطريق، فاتّصل ذلك بالصّادق فخرّ ساجداً، وقال: الحمد لله الذي أنجزنا ما وعدنا(٣).

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب ٤: ٢٧٤.

(٢) الفصول المهمة لابن الصباغ: ٢٢٦.

(٣) الفصول المهمة لابن الصباغ: ٢٢٧.

وقال صاحب (عمدة الطالب): يقال لمحمّد بن عبد الله بن علي بن الحسين عليه السلام: الأرقط، قال ذلك أبو الحسن العمري: قال أبو نصر البخاري: من يطعن في الأرقط فلا يطعن فيه من حيث النّسب والعقب، وإنّما يطعنون لشيء جرى بينه وبين جعفر بن محمّد الصادق، يقال: إنّه بصق في وجه الصادق، فدعا عليه فصار أرقط الوجه به نمش كريه المنظر. وأمّا نسبه فلا مطعن فيه[1].

وروى (الكافي) عن صفوان بن يحيى قال: قال لي جعفر بن محمّد بن الأشعث: أتدري ما كان سبب دخولنا هذا الأمر ومعرفتنا به، وما كان عندنا منه ذكر، ولا معرفة شيء ممّا عند الناس؟ إنّ أبا جعفر -يعني: أبا الدوانيق- قال لأبي: ابغ لي رجلاً له عقل يؤدي عنّي. فقال له: إنّي قد أصبت لك هذا فلان بن مهاجر خالي. قال: فائتني به. فأتاه به، فقال له: خذ هذا المال وائت المدينة، وائت عبد الله بن الحسن، وعدّة من أهل بيته فيهم جعفر بن محمّد فقل لهم: إنّي رجل غريب من أهل خراسان، وبها شيعة من شيعتكم وجّهوا إليكم بهذا المال، وادفع إلى كلّ منهم كذا وكذا، فإذا قبضوا المال فقل: إنّي رسول، وأُحبّ أن يكون معي خطوطكم بقبضكم ما قبضتم. فأخذ المال وأتى المدينة، فرجع إلى أبي الدّوانيق وأبي عنده، فقال له: ما وراءك؟ قال: أتيت القوم، وهذه خطوطهم بقبضهم المال، خلا جعفر بن محمّد، فإنّي أتيته وهو يصلّي في مسجد النّبيّ صلى الله عليه وآله فجلست خلفه، وقلت: حتّى ينصرف فأذكر له ما ذكرت لأصحابه. فعجّل وانصرف ثم التفت إليّ وقال: يا هذا اتّق الله، ولا تغرّ أهل بيت محمّد، فإنّهم قريبو العهد بدولة بني مروان، فكلّهم محتاج. فقلت: وما ذاك؟ فأدنى رأسه منّي، وأخبرني بجميع ما جرى بيني وبينك كأنّه كان ثالثنا. فقال

(١) عمدة الطالب للحسيني: ٢٥٢، والنقل بتصرف يسير.

له أبو جعفر: يابن مهاجر اعلم أنّه ليس من أهل بيت نبوّة إلّا وفيه محدَّث، وأنَّ جعفر بن محمّد محدَّثنا اليوم. فكانت هذه الدّلالة سبب قولنا بهذه المقالة[١].

وعن المفضل بن عمر: أنّ المنصور وجّه إلى الحسن بن زيد ـ وهو واليه على الحرمين ـ أن أحرق على جعفر بن محمّد داره. فألقى النّار في دار أبي عبد الله عليه السلام فأخذت النار في الباب والدهليز، فخرج أبو عبد الله عليه السلام يتخطى النّار، ويمشي فيها، ويقول: أنا ابن أعراق الثّرى، أنا ابن إبراهيم خليل الله[٢].

وفي (تاريخ اليعقوبي): قال إسماعيل بن علي بن عبد الله بن العباس: دخلت على أبي جعفر المنصور يوماً، وقد اخضلت لحيته بالدّموع، فقال لي: ما علمت ما نزل بأهلك؟ فقلت: وما ذاك؟ قال: فإنّ سيّدهم وعالمهم وبقية الأخيار منهم توفي. فقلت: ومن هو؟ قال: جعفر بن محمّد. فقلت: أعظم الله أجر أمير المؤمنين، وأطال لنا بقاءه. فقال لي: إنّ جعفراً كان ممّن قال الله فيه: ﴿ثمّ أورثنا الكتاب الّذين اصطفينا من عبادنا﴾[٣] كان ممّن اصطفى الله، وكان من السابقين بالخيرات[٤].

وفي (الكافي) عن أبي أيّوب النّحوي قال: بعث إليّ المنصور في جوف الليل، فأتيته فدخلت عليه وهو جالس على كرسي، وبين يديه شمعة وفي يده كتاب، فلمّا سلّمت عليه رمى بالكتاب إليّ وهو يبكي، فقال لي: هذا كتاب محمّد بن سليمان يخبرنا أنّ جعفر بن محمّد قد مات، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون ـ ثلاثاً ـ وأين مثل جعفر؟ ثمّ قال لي: اكتب. قال: فكتبت صدر الكتاب، ثمّ قال:

---

(١) الكافي للكليني ١: ٤٧٥ ح٦.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ٤: ٢٣٦.

(٣) فاطر: ٣٢.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢: ٣٨٣ والنقل بتلخيص.

اكتب إن كان أوصى إلى رجل واحد بعينه فقدّمه واضرب عنقه. فرجع إليه الجواب: أنّه قد أوصى إلى خمسة، وأحدهم أبو جعفر المنصور ومحمّد بن سليمان وعبد الله وموسى وحميدة. قال النضر بن سويد: فقال المنصور: ليس إلى قتل هؤلاء سبيل[1].

قلت: ولو لم يكن للصادق عليه السلام إلّا ما بيّنه للمفضل بن عمر، من حكم الله تعالى في خلق الإنسان، وتنقله في أحواله، وفي أقسام الحيوان والسباع والطّيور، وفي السّماء، والشمس، والقمر، والنّجوم، والفلك، والليل، والنّهار، والحرّ والبرد، والرّياح والأرض، والماء، والهواء، والنار، والمطر، والصّحو، والجبال، والأنهار، والأحجار، والأشجار، وما فيها من العبر، وفي حكمة الآفات الحادثة في بعض الأزمان، وقد جمعها المفضل في كتاب الذي يضطر كلّ ملحد إلى الإقرار بالصانع، لكفاه عليه السلام دليلاً على إمامته، وكونه آية من آيات الله تعالى وحجّة على خلقه، مع أنّه ملأ الدّنيا من علمه، بل أئمّة العامّة أيضاً علومهم منتهية إليه. فأحمد بن حنبل قرأ على الشافعي، والشافعي قرأ على محمّد بن الحسن، ومحمّد بن الحسن قرأ على أبي حنيفة، وأبو حنيفة قرأ عليه عليه السلام، كما صرّح بذلك ابن أبي الحديد في أوّل (شرحه)[2].

وأمّا الكاظم موسى بن جعفر عليه السلام فنقل ابن الصّباغ المالكي عن سبط ابن الجوزي و (معالم الجنابذي)، و (كرامات قاضي القضاة الرامهرمزي) عن شقيق البلخي قال: خرجت حاجّاً في سنة (١٤٩) فنزلت القادسية، فبينما أنا أنظر في زينتهم وكثرتهم إذ نظرت إلى شاب حسن الوجه شديد السمرة، نحيف، فوق ثيابه ثوب صوف مشتمل بشملة، وفي رجليه نعل، وقد جلس

(١) الكافي للكليني ١: ٣١٠ ح١٣، ١٤.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٦ المقدمة.

منفرداً، فقلت في نفسي: هذا الفتى من الصوفيّة، ويريد أن يخرج مع النّاس فيكون كلّاً عليهم في طريقهم، والله لأمضين إليه ولأوبخنّه. فدنوت منه، فلمّا رآني مقبلاً نحوه قال: يا شقيق ﴿اجتنبوا كثيراً من الظّنّ إنّ بعض الظّنّ إثم﴾[(١)] فتركني وولّى، فقلت في نفسي: إنّ هذا لأمر عظيم تكلّم على ما في خاطري، ونطق باسمي، هذا عبد صالح لألحقنه وأسأله الدّعاء، وأن يحلّلني ممّا ظننته به. فغاب عنّي ولم أره، فلمّا نزلنا واقصة فإذا هو واقف يصلّي، فقلت: هذا صاحبي أمضي إليه وأستحلّه. فصبرت حتّى فرغ من صلاته، فالتفت إليّ وقال: يا شقيق ﴿وإنّي لغفّار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثمّ اهتدى﴾[(٢)] ثمّ قام ومضى وتركني، فقلت: هذا الفتى من الأبدال قد تكلّم على سرّي مرّتين. فلمّا نزلنا (زبالة) إذا أنا بالفتى قائم على البئر، وأنا أنظر إليه، وبيده ركوة يريد أن يستسقي فيها الماء، فسقطت الرّكوة من يده في البئر، فرمق إلى السماء بطرفه وسمعته يقول: «أنت ربّي إذا ظمئت إلى ماء، وقوتي إذا أردت طعاماً. إلهي وسيّدي مالي سواك فلا تعدمنيها». فوالله لقد رأيت الماء ارتفع إلى رأس البئر، والرّكوة طافية عليه، فمدّ يده وأخذها ملآن ـ إلى أن قال ـ ثمّ صلّى خلف المقام، ثمّ خرج يريد الذّهاب، فخرجت خلفه أُريد السّلام عليه، وإذا بجماعة قد أطافوا به يميناً وشمالاً، ومن خلفه وقدّامه، وإذا حشم وموالي، وأتباع قد خرجوا معه، فقلت لهم: من هذا؟ فقالوا: موسى بن جعفر...[(٣)].

وقال ابن الصّباغ أيضاً: قال صاحب (نثر الدّر): ذكر لموسى بن جعفر

---

(١) الحجرات: ١٢.

(٢) طه: ٨٢.

(٣) الفصول المهمة لابن الصباغ: ٢٣٣.

أنّ الهادي قد همّ بك. فقال لمن يليه: ما تشيرون به عليه؟ قالوا: نرى أن تتباعد عنه، وأن تغيّب شخصك عنه. فتبسّم ثمّ قال:

زعمت سخينة أن ستغلب ربّها وليغلبنّ مغالب الغلّاب

ثمّ رفع يده إلى السماء، فقال: إلهي كم من عدوّ لي شحذ ظبة مديته، وداف لي قواتل سمومه، ولم تنم عنّي عين حراسته، فلمّا رأيت ضعفي عن احتمال الفوادح، وعجزي عن كلمات الجوانح، صرفت ذلك عنّي بحولك وقوّتك لا بحولي وقوّتي، وألقيته في الحفيرة الّتي احتفرها لي، خائباً ممّا أمّله في دنياه، متباعداً عمّا يرجوه في أُخراه، فلك الحمد على قدر ما عممتني فيه من نعمك، وما توليتني به من جودك وكرمك. اللهمّ فخذه بقوّتك، وافلل حدّه عنّي بقدرتك، واجعل له شغلاً في ما يليه، وعجزاً به عمّا ينويه. اللهمّ وأعدني عليه عدوة حاضرة تكون من غيظي شفاء، ومن حنقي عليه وفاء، وصل اللهمّ دعائي بالإجابة، وانظم شكايتي بالتّغير، وعرّفه عمّا قليل ما وعدت به من الإجابة لعبيدك المضطرّين، إنّك ذو الفضل العظيم، والمنّ الجسيم. ثمّ انصرفوا عنه. فلمّا كان بعد مدّة يسيرة اجتمعوا، لقراءة الكتاب الوارد عليه عليه السلام بموت موسى الهادي(١).

وروى (عيون ابن بابويه) الّذي صنّفه للصّاحب بن عباد مسنداً عن الفضل بن الرّبيع قال: كنت أحجب الرّشيد، فأقبل عليّ يوماً غضباناً، وبيده سيف يقلّبه، فقال لي بقرابتي من النّبيّ لإن لم تأتني بابن عمّي لآخذنّ الّذي فيه عيناك. فقلت: بمن؟ فقال: بهذا الحجازي. قلت: وأيّ حجازي؟ قال: موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب. فخفت من الله أن أجيء به، ثمّ فكّرت في النّقمة، فقلت له: أفعل. فقال: ايتني بسوّاطين، وهبّارين،

---

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ: ٢٣٥.

وجلّادين. فأتيته بذلك، ومضيت إلى منزل موسى بن جعفر فأتيت إلى خربة فيها كوخ من جرائد النخل، فإذا أنا بغلام أسود، فقلت له: استأذن لي على مولاك. فقال: ليس له حاجب ولا بوّاب. فولجت إليه، فإذا بغلام أسود بيده مقصّ، يأخذ اللحم من جبينه وعرنين أنفه، من كثرة سجوده، فقلت له: السّلام عليك يابن رسول الله أجب الرّشيد. فقال: ما له ولي؟ أما تشغله نعمته عنّي؟ ثمّ وثب مسرعاً وهو يقول: لولا أنّي سمعت خبراً عن جدّي صلّى الله عليه وآله أنّ طاعة السّلطان للتّقية واجبة ما جئت. فقلت: استعدّ للعقوبة. فقال: أليس معي من يملك الدّنيا والآخرة؟ ولن يقدر اليوم على سوء بي. فرأيته وقد أدار يده على رأسه ثلاث مرّات. فدخلت على الرّشيد فإذا هو كأنّه امرأة ثكلى، فلمّا رآني قال: يا فضل. قلت: لبيك. قال: جئتني بابن عمّي؟ قلت: نعم. قال: لا تكون أزعجته؟ فقلت له: لا. قال: ائذن له بالدخول. فأذنت له، فلمّا رآه وثب إليه وعانقه، وقال له: مرحباً بابن عمّي ما الّذي قطعك عن زيارتنا؟ فقال: سعة مملكتك وحبّك للدّنيا. فقال: ايتوني بحقّة الغالية. فأُتي بها، فغلقه بيده، ثمّ أمر أن يحمل بين يديه خلع وبدرتا دنانير. فقال موسى بن جعفر: والله لولا أن أُزوّج بها من عزّاب بني أبي طالب، لئلّا ينقطع نسله ما قبلتها. ثمّ تولى وهو يقول: الحمد لله ربّ العالمين. فقال الفضل للرّشيد: أردت أن تعاقبه فخلعت عليه وأكرمته؟ فقال: يا فضل إنّك لمّا مضيت لتجيئني به رأيت أقواماً قد أحدقوا بداري، بأيديهم حراب قد غرزوها في أصل الدّار، ويقولون: إن آذى ابن رسول الله خسفنا به وبداره الأرض، وإن أحسن إليه تركناه وانصرفنا.

قال الفضل: فتبعت موسى عليه السلام وقلت له: ما الّذي قلت حتّى كفيت أمر الرّشيد؟ فقال: دعاء جدّي عليّ عليه السلام، كان إذا دعا به ما برز إلى عسكر إلّا هزمه، ولا إلى فارس إلّا قهره، وهو دعاء كفاية البلاء: اللهمّ بك أُساور، وبك أُحاول، وبك أنتصر وبك أموت، وبك أحيا. أسلمت نفسي إليك، وفوّضت أمري عليك،

ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العلّي العظيم. اللهمّ إنّك خلقتني ورزقتني، وسترتني عن العباد، وبلطفك خوّلتني وأغنيتني، وإذا هويت رددتني، وإذا عثرت قوّمتني، وإذا مرضت شفيتني، وإذا دعوت أجبتني، يا سيّدي ارض عنّي، فقد أرضيتني[1].

وعن إبراهيم بن هاشم القمّي عن بعض أصحابه قال: لمّا حبس الرّشيد موسى بن جعفر عليه السلام جنّ عليه الليل وخاف من ناحية هارون أن يقتله، فجدّد موسى بن جعفر طهوره فاستقبل بوجهه القبلة، وصلّى لله أربع ركعات ثمّ دعا بهذه الدّعوات: يا مخلّص الشّجر من بين رمل وطين، ويا مخلّص اللبن من بين فرث ودم، ويا مخلّص الولد من بين مشيمة ورحم، ويا مخلّص النّار من بين الحديد والحجر خلّصني من يد هارون. فلمّا دعا بهذه الدّعوات أتى هارون رجل أسود في منامه، وبيده سيف قد سلّه فوقف على رأسه، وقال: اطلق موسى بن جعفر، وإلّا ضربت علاوتك بسيفي هذا. فخاف من هيبته. فقال للحاجب: اذهب إلى السّجن فأطلق عن موسى بن جعفر. قال: إلى أن حبسه الثانية فلم يطلقه، حتّى سلّمه إلى السندي بن شاهك وقتله بالسّم[2].

وعن سفيان بن نزار قال: كنت يوماً على رأس المأمون، فقال: أتدرون من علّمني التشيّع؟ فقال القوم جميعاً: لا والله ما نعلم. قال: الرّشيد. قيل له: وكيف ذلك، والرّشيد كان يقتل أهل هذا البيت؟ قال: كان يقتلهم على الملك -والملك عقيم- ولقد حججت معه سنة، فلمّا صار إلى المدينة تقدّم إلى حجّابه، وقال: لا يدخل عليّ رجل من أهل المدينة ومكّة من أبناء المهاجرين والأنصار، وبني هاشم، وسائر بطون قريش إلّا نسب نفسه، وكان الرّجل إذا دخل عليه

---

(١) عيون الأخبار للصدوق ١: ٦٢ ح٥.

(٢) عيون الأخبار للصدوق ١: ٧٦، والنقل بتلخيص.

قال: أنا فلان بن فلان حتّى ينتهي إلى جدّه من هاشمي أو قرشي أو مهاجري أو أنصاري، فيصله من المال بخمسة آلاف دينار، وما دونها إلى مائتي دينار، على قدر شرفه وهجرة آبائه.

قال: فإذا أنا ذات يوم واقف إذ دخل الفضل بن الرّبيع فقال: على الباب رجل يزعم أنّه موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب. فأقبل علينا ونحن قيام على رأسه: أنا والأمين والمؤتمن، وساير القوّاد، فقال: احفظوا على أنفسكم. ثم قال لآذنه: ائذن له، ولا ينزل إلّا على بساطي. فبينا نحن كذلك إذ دخل شيخ قد أنهكته العبادة، كأنّه شنّ بال قد كلم من السجود وجهه وأنفه. فلمّا رأى الرّشيد رمى بنفسه عن حمار كان ركبه، فصاح الرّشيد: لا والله إلّا على بساطي. فمنعه الحجّاب من الترجّل، ونظرنا إليه بالإجلال والإعظام، فما زال يسير على حماره حتّى صار إلى البساط، والحجاب والقواد محدقون به فنزل، فقام إليه الرّشيد واستقبله إلى آخر البساط، وقبّل وجهه وعينيه، وأخذ بيده حتّى صيّره في صدر المجلس، وأجلسه معه فيه، وجعل يحدّثه، ويقبل بوجهه عليه، ويسأله عن أحواله.

ثمّ قال له: يا أبا الحسن ما عليك من العيال؟ فقال: يزيدون على الخمسمائة. قال: كلّهم أولادك؟ قال: لا، أكثرهم موالي وحشم، فأمّا الولد فلي نيف وثلاثون: الذكران منهم كذا والنّسوان كذا. قال: فلِمَ لا تزوّج النّسوان من بني عمومتهن وأكفائهن؟ قال: اليد تقصر عن ذلك. قال: فما حال الضّيعة؟ قال: تعطي في وقت وتمنع في آخر. قال: فهل عليك دين؟ قال: نعم نحو عشرة آلاف دينار. فقال الرّشيد: يابن عم أنا أُعطيك ما تزوّج به الذّكران والنّسوان، وتقضي الدّين، وتعمّر الضياع. فقال له: وصلتك رحم يابن عم، وشكر الله لك هذه النّيّة الجميلة، والرّحم ماسة، والقرابة واشجة، والنّسب واحد، والعبّاس عمّ النّبيّ وصنو أبيه، وعمّ علي بن أبي طالب وصنو أبيه، وما أبعدك الله من أن

تفعل ذلك وقد بسط يدك، وأكرم عنصرك، وأعلى محتدك. فقال: أفعل ذلك وكرامة. فقال: إنّ الله تعالى قد فرض على ولاة عهده أن ينعشوا فقراء الأمّة، ويقضوا عن الغارمين، ويؤدوا عن المثقل، ويكسوا العاري، ويحسنوا إلى العاني، وأنت أولى من يفعل ذلك. فقال: أفعل.

ثمّ قام فقام الرّشيد لقيامه، وقبّل عينيه ووجهه، ثمّ أقبل عليّ وعلى الأمين والمؤتمن، فقال: يا عبد الله ويا محمّد، ويا إبراهيم امشوا بين يدي عمّكم وسيّدكم وخذوا بركابه، وسوّوا عليه ثيابه، وشيّعوه إلى منزله. فأقبل عليّ أبو الحسن موسى بن جعفر سرّاً بيني وبينه فبشّرني بالخلافة، وقال لي: إذا ملكت هذا الأمر فأحسن إلى ولدي. ثمّ انصرفنا.

وكنت أجرأ ولد أبي عليه، فلمّا خلا المجلس قلت له: من هذا الرّجل الّذي قد أعظمته وأكرمته وأجللته، وقمت من مجلسك إليه فاستقبلته، وأقعدته في صدر المجلس وجلست دونه، ثمّ أمرتنا بأخذ الرّكاب له؟ قال: هذا إمام النّاس، وحجّة الله على خلقه، وخليفته على عباده. فقلت: أوليست هذه الصّفات كلّها لك وفيك؟ فقال: أنا إمام الجماعة في الظّاهر بالغلبة والقهر، وموسى بن جعفر إمام حقّ، والله يا بنيّ إنّه لأحق بمقام النّبي صلى الله عليه وآله منّي ومن الخلق جميعاً، ووالله لو نازعتني في هذا الأمر لأخذت الذي فيه عيناك، فإنّ الملك عقيم.

فلمّا أراد الرحيل من المدينة إلى مكّة أمر بصرّة سوداء فيها مائتا دينار، وقال للفضل: اذهب بهذه الى موسى بن جعفر، وقل له: يقول الخليفة: نحن في ضيقة، وسيأتيك برّنا بعد الوقت. قال المأمون: فقمت وفي صدري حيرة. فقلت له: تعطي أبناء المهاجرين والأنصار وسائر قريش ومن لا تعرف حسبه ونسبه خمسة آلاف دينار إلى ما دونها، وتعطي موسى بن جعفر، وقد أعظمته وأجللته مائتي دينار؟ فقال: اسكت لا أمّ لك، فإنّي لو أعطيت هذا ما ضمنته، ما كنت آمنته أن يضرب وجهي غداً بمائة ألف سيف من شيعته

ومواليه، وفقر هذا وأهل بيته أسلم لي ولكم من بسط أيديهم وأعينهم...»[١].

وروى خبراً آخر بمضمونه، وفي آخره قال المأمون: قال أبي: هذا وارث علم النبييّن، إن أردت العلم الصّحيح فعند هذا. قال المأمون: فحينئذ انغرس في قلبي محبّتهم[٢].

وفي (أخبار طوال أبي حنيفة الدينوري): ذكر عن الأصمعي قال: دخلت على الرّشيد -وكنت غبت عنه حولين بالبصرة- فأومأ إليّ بالجلوس قريباً منه، فجلست في خفّ النّاس، ثمّ قال لي: يا أصمعي ألا تحبّ محمّداً وعبد الله -إلى أن قال- قال الرّشيد: كيف ترى أدبهما؟ قلت له: ما رأيت مثلهما في ذكائهما، وجودة ذهنهما -إلى أن قال- فضمّهما الرّشيد إلى صدره، وسبقته عبرته حتّى تحدرت دموعه، ثمّ أذن لهما حتّى إذا نهضا وخرجا قال لي: كيف بكم إذا ظهر تعاديهما، وبدا تباغضهما، ووقع بأسهما بينهما حتى تسفك الدّماء ويودّ كثير من الأحياء أنّهم موتى؟ قلت له: هذا شيء قضى به المنجّمون عند مولدهما، أو شيء أخبر به العلماء في أمرهما؟ قال: لا، بل شيء أخبر به العلماء من الأوصياء عن الأنبياء في أمرهما. قالوا: فكان المأمون يقول في خلافته: قد كان الرّشيد سمع جميع ما جرى بيننا من موسى بن جعفر. فلذلك قال ما قال[٣].

وروى الخطيب في عنوان مقابر بغداد: عن الحسن بن إبراهيم أبي علي الخلال قال: ما همّني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر فتوسّلت به إلّا سهّل الله تعالى لي ما أحبّ[٤].

(١) عيون الأخبار للصدوق ١: ٧٢ح١١.

(٢) عيون الأخبار للصدوق ١: ٧٥ح١٢.

(٣) الأخبار الطوال للدينوري: ٣٨٤، والنقل بتصرف في اللفظ.

(٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١: ١٢٠.

وقال الدميري في (حياة حيوانه): كان الشافعي يقول: قبر موسى بن جعفر التّرياق المجرب[١].

وقال السّيوطي في (تاريخ خلفائه): وفي سنة ثمانين (أي: بعد الأربعمائة) جعل النّاصر ـ الخليفة العبّاسي ـ مشهد موسى الكاظم أمناً لمن لاذ به. قال: وكان النّاصر يتشيّع ويميل إلى مذهب الامامية[٢].

وروى أبو الفرج في (مقاتله) عن يحيى بن الحسن قال: كان موسى بن جعفر عليه السلام إذا بلغه عن الرّجل ما يكره بعث إليه بصرّة دنانير ـ وكانت صراره ما بين الثلاثمائة إلى المائتي دينار ـ فكانت صرار موسى مثلاً[٣].

وروى الخطيب عن ربيع أنّ المهدي لمّا حبس موسى بن جعفر رأى في النّوم عليّ بن أبي طالب وهو يقول: ﴿فهل عسيتم إن تولّيتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾...[٤]

وعنه أيضاً: أنّ رجلاً من آل عمر كان إذا رأى موسى بن جعفر يشتم عليّاً عليه السلام، ويؤذيه إذا لقيه، فقال له بعض مواليه: دعنا نقتله. فقال: لا. ثمّ مضى راكباً حتى قصده في مزرعة له فتواطأها فصاح: لا تدس بزرعنا فلم يصغ إليه، وأقبل حتّى نزل عنده، وجعل يضاحكه، وقال له: كم غرمت على زرعك هذا؟ قال مائة دينار. قال: فكم ترجو أن تربح؟ قال: لا أدري. قال: إنّما سألتك كم ترجو؟ قال: مائة أُخرى. فأخرج ثلاثمائة دينار فوهبها له، فقام فقبّل رأسه، فلمّا دخل المسجد بعد ذلك وثب العمري فسلّم عليه وجعل يقول. ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ قال: فوثب أصحابه عليه فشاتمهم، وكان بعد ذلك كلّما

---

(١) لم أجده في مظانه من حياة الحيوان.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٤٥١، ٤٥٢.

(٣) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج: ٣٣٢.

(٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٣: ٣٠، والآية ٢٢ من سورة محمّد.

دخل موسى عليه السلام خرج يسلّم عليه ويقوم له، فقال موسى لمن قال له ذلك القول: أيما كان خيراً ما أردتم أو ما أردت[١]؟

وروى الخطيب عن عيسى بن محمّد القرظي قال: زرعت بطيخاً وقثّاء وقرعاً في موضع بالجوانية، على بئر يقال لها: أم عظام. فلمّا استوى الزرع بغتني الجراد، فأتى على الزرع كلّه، وكنت غرمت على الزرع، وفي ثمن جملين مائة وعشرين ديناراً، فبينما أنا جالس طلع موسى بن جعفر فسلّم، ثمّ قال: أيش حالك؟ فقلت: أصبحت كالصّريم، بغتني الجراد فأكل زرعي. قال: وكم غرمت؟ قلت: مائة وعشرين ديناراً مع ثمن الجملين. فقال: يا عرفة زن له مائة وخمسين دنياراً، فربحك ثلاثين ديناراً والجملين. فقلت: يا مبارك ادخل وادع لي فيها. فدخل ودعا، وحدّثني عن النّبيّ صلى الله عليه وآله أنه قال: تمسّكوا ببقية المصائب. قال: ثمّ علقت عليه الجملين، وسقيته فجعل الله فيها البركة، زكت فبعت منها بعشرة آلاف[٢].

وروى المرتضى في (غرره) عن أيّوب بن الحسين الهاشمي قال: قدم على الرّشيد رجل من الأنصار يقال له: نفيع ـ وكان عرّيفا ـ فحضر بابه يوماً، ومعه عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، وحضر موسى بن جعفر عليه السلام على حمار له، فتلقّاه الحاجب بالبشر والإكرام، وأعظمه من كان هناك، وعجّل له الإذن، فقال نفيع لعبد العزيز: من هذا الشّيخ؟ قال: أو ما تعرفه؟ قال: لا. قال: هذا شيخ آل أبي طالب موسى بن جعفر. فقال: ما رأيت أعجز من هؤلاء! القوم يفعلون هذا برجل يقدر أن يزيلهم عن السّرير، أما لئن خرج لأسوئنّه. فقال له عبد العزيز: لا تفعل، فإنّ هؤلاء أهل بيت قلّما تعرّض أحد لهم في خطاب إلّا

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٣: ٢٨، والنقل بتصرف.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٣: ٢٩، والنقل بتصرف.

وصموه في الجواب وصمة، يبقى عارها عليه مدى الدّهر.

قال: وخرج موسى عليه السلام فقام إليه نفيع وأخذ بلجام حماره، فقال: من أنت؟ فقال: يا هذا إن كنت تريد النسب، فأنا ابن محمّد حبيب الله، ابن إسماعيل ذبيح الله، ابن إبراهيم خليل الله، وإن كنت تريد البلد، فهو الّذي فرض الله على المسلمين -وعليك إن كنت منهم- الحجّ إليه، وإن كنت تريد المفاخرة، فوالله ما رضي مشركو قومي مسلمي قومك أكفاءً لهم، حتّى قالوا: يا محمّد أخرج إلينا أكفاءنا من قريش. وإن كنت تريد الصّيت والاسم، فنحن الّذين أمر الله تعالى بالصّلاة عليهم في الصلوات الفرائض في قوله: «اللهمّ صلّ على محمّد وآله» ونحن آله، خلّ عن الحمار. فخلّى عنه ويده ترعد، وانصرف بخزي، فقال له عبد العزيز: ألم أقل لك[١]؟

وفي (تذكرة سبط ابن الجوزي): ذكر الزّمخشري في (ربيع الأبرار): أنّ هارون كان يقول لموسى: خذ فدكاً. وهو يمتنع، فلمّا ألحّ عليه قال: ما آخذها إلّا بحدودها. قال: وما حدّها؟ قال: الحدّ الأوّل عدن. فتغيّر وجه الرّشيد، قال: والحدّ الثاني؟ قال: سمرقند. فأربدّ وجهه. قال: والحدّ الثالث؟ قال: إفريقية. فاسودّ وجهه. قال: والحدّ الرابع؟ قال: سيف البحر ممّا يلي الخزر وارمينية. فقال هارون: فلم يبق لنا شيء. فتحوّل في مجلسه، فقال موسى: قد أعلمتك أنّي إن حدّدتها لم تردّها. فعند ذلك عزم على قتله...[٢]

وروى أبو الفرج في (مقاتله): أنّ الحسين بن عليّ صاحب فخ قال لموسى بن جعفر في الخروج. فقال: إنّك مقتول فاجد الضّراب فإنّ القوم

(١) أمالي المرتضى المسمى بالغرر والدرر ١: ١٩٨ المجلس ١٩.

(٢) تذكرة الخواص لابن الجوزي: ٣٥٠.

فسّاق يظهرون إيماناً، ويضمرون نفاقاً وشركاً[١].

وفي (فصول ابن الصبّاغ المالكي): روى إسحاق بن عمّار قال: لمّا حبس هارون موسى دخل عليه السّجن ليلاً أبو يوسف، ومحمّد بن الحسن صاحبا أبي حنيفة ـ وأرادا أن يختبراه بالسّؤال، لينظرا مكانه من العلم. قال: وجاء بعض الموكّلين به، وقال له: إنّ نوبتي قد فرغت، وأريد الانصراف إلى غد. فإن كان لك حاجة تأمرني أن آتيك بها معي غداً إذا جئتك؟ فقال: ما لي حاجة، انصرف. ثمّ قال لأبي يوسف ومحمّد بن الحسن: إنّي لأعجب من هذا الرجل يسألني أن أكلّفه حاجة يأتيني بها معه غداً إذا جاء، وهو ميّت في هذه اللّيلة. فأمسكا عن سؤاله وقاما وقالا: أردنا أن نسأله عن الفرض والسّنّة، وأخذ يتكلّم معنا في علم الغيب، والله لنرسل خلف الرّجل من يبيت عند باب داره، وننظر ماذا يكون من أمره. فأرسلا شخصاً، فلمّا كان أثناء الليل، وإذا بالصراخ والواعية. فقيل لهم: ما الخبر؟ قالوا: مات صاحب البيت فجأة. فعاد الرّسول وأخبرهما ذلك، فتعجبا من ذلك غاية العجب[٢].

وروى (الأغاني) في جعيفران مسنداً عن صالح بن عطيّة قال: كان أبو جعيفران عليّ بن أصفر يتشيّع، فظهر على ابنه جعيفران أنّه خالفه إلى جارية له سرية، فطرده عن داره، وحجّ، فشكا ذلك إلى موسى بن جعفر، فقال له موسى: إن كنت صادقاً عليه فليس يموت حتّى يفقد عقله، وإن كنت قد تحقّقت ذلك عليه فلا تساكنه في منزلك، ولا تطعمه شيئاً من مالك، وأخرجه عن ميراثك بعد وفاتك. فقدم فطرده وأخرجه عن منزله، وسأل الفقهاء عن حيلة يشهد بها في ماله حتّى يخرجه عن ميراثه، فدلّوه على السّبيل إلى ذلك، فأشهد

(١) مقاتل الطالبيين: ٢٩٨، في صدر حديث.

(٢) الفصول المهمة لابن الصباغ: ٢٤١.

به، وأوصى إلى رجل، فلمّا مات جاز الرّجل ميراثه، ومنع منه جعيفران فاستعدى عليه أبا يوسف القاضي، فأحضر الوصي، وسأل جعيفران البيّنة على نسبه وتركة أبيه، وأحضر الوصي بيّنة يشهدون على أبيه بما كان احتال به عليه، فلم ير أبو يوسف ذلك شيئاً، وعزم على أن يورّثه، فكتب الوصي رقعة خبّره فيها بحقيقته، وما أفتى به موسى بن جعفر، ودفعها إلى صديق لأبي يوسف، فدفعها إليه، فلمّا قرأها دعا الوصي، واستحلفه أنّه قد صدق في ذلك، فحلف باليمين الغموس، فقال له: اغد عليّ مع صاحبك. فحضر وحضر جعيفران معه، فحكم عليه أبو يوسف للوصي، فلمّا أمضى الحكم عليه وسوس جعيفران، واختلط منذ يومئذ[1].

ورواه (نوادر وصيّة الكافي) ناسباً لأبيه إلى جدّه بلفظ (عليّ بن السّري) ومسمّياً لجعيفران جعفراً[2]. والظّاهر أنّه إنّما أمر الرّجل بإخراجه من ميراثه لعلمه عليه السلام بكونه من زنا؛ فروى (الأغاني) أنّ جعيفران اطّلع يوماً في الحبّ، فرأى وجهه قد تغيّر وعفي شعره، فقال:

ما جعفر لأبيه	ولا له بشبيه
أضحى لقوم كثير	فكلّهم يدّعيه
والأُمّ تضحك منهم	لعلمها بأبيه[3]

وأنّ أبا يوسف كان عارفاً بأنّه عليه السلام حكم لذلك، فأنفذ حكمه عليه السلام، وإلّا فإنّ الزّنا بالسرية للأب لا يوجب الحرمان من ميراثه، لا على قواعد العامّة، ولا على قواعد الخاصّة.

---

(١) الأغاني لأبي الفرج ٢٠: ١٨٨، والنقل بتصرف.

(٢) الكافي للكليني ٧: ٦١ ح ١٥، بفرق كثير.

(٣) الأغاني لأبي الفرج ٢٠: ١٩٥، والنقل بتصرف.

وروى في (مقاتله) بأسانيد عن النوفلي، ويحيى بن الحسن العلوي، وغيرهما: أنّ الرّشيد جعل ابنه محمّداً في حجر جعفر بن محمّد بن الأشعث، فحسده يحيى بن خالد بن برمك على ذلك، وقال: إن أفضت الخلافة إليه زالت دولتي ودولة ولدي، فاحتال على جعفر ـ وكان يقول بالإمامة ـ حتّى داخله وآنس إليه، وكان يكثر غشيانه في منزله فيقف على أمره، ويرفعه إلى الرشيد، ويزيد عليه في ذلك بما يقدح في قلبه، ثمّ قال يوماً لبعض ثقاته: أتعرفون لي رجلاً من آل أبي طالب ليس بواسع الحال يعرّفني ما أحتاج إليه من أخبار موسى بن جعفر؟ فدلّ على عليّ بن إسماعيل بن جعفر، فحمل إليه يحيى مالاً، وكان موسى عليه السلام يأنس إليه ويصله، وربما أفضى إليه بأسراره. فلمّا طلب ليشخص به أحسّ موسى عليه السلام بذلك، فدعاه، فقال له: إلى اين يابن أخي؟ قال: إلى بغداد. قال: وما تصنع به؟ قال: عليّ دين، وأنا مملق.

قال: فإنّي أقضي دينك، وأفعل بك، وأصنع. فلم يلتفت إلى ذلك، فعمل على الخروج، فاستدعاه موسى عليه السلام وقال له: أنت خارج؟ فقال له: نعم لابدّ من ذلك. فقال له: انظر يابن أخي واتّق الله لا توتم أولادي، وأمر له بثلاثمائة دينار وأربعة آلاف درهم.

فخرج عليّ بن إسماعيل حتّى أتى يحيى بن خالد، فتعرف منه خبر موسى بن جعفر، فرفعه إلى الرشيد، فسأله عن عمّه، فسعى به إليه، وقال له: إنّ الأموال تحمل إليه من المشرق والمغرب، وأنّ له بيوت أموال، وأنّه اشترى ضيعة بثلاثين ألف دينار فسمّاها اليسيرة، وقال له صاحبها وقد أحضره المال: لا آخذ هذا النقد، ولا آخذ إلّا نقداً كذا وكذا. فأمر بذلك المال فردّ، وأعطاه ثلاثين ألف دينار من النّقد الّذي سأل بعينه. فسمع ذلك منه الرّشيد، فأمر له بمائتي الف درهم يسبب له على بعض النّواحي، فاختار كور المشرق، ومضت رسله لقبض المال، ودخل هو في بعض الأيّام إلى الخلاء، فخرجت

حشوته كلّها فسقطت، وجهدوا في ردّها فلم يقدروا فوقع لما به، وجاءه المال، وهو ينزع. فقال: وما أصنع به وأنا أموت؟

قال: وحجّ الرشيد في تلك السنة فبدأ بقبر النّبيّ صلى الله عليه وآله، فقال: يا رسول الله إنّي أعتذر إليك من شيء أُريد أن أفعله، أُريد أن أحبس موسى بن جعفر، فإنّه يريد التّشتّت بين أُمّتك وسفك دمائها، ثمّ أمر به فأخذ من المسجد فأُدخل إليه، وأخرج من داره بغلان عليهما قبتان مغطّاتان هو في إحداهما، ووجّه مع كلّ واحدة منهما خيلاً، وأخذ بواحدة على طريق البصرة، وأُخرى على طريق الكوفة ليعمي على النّاس أمره، وكان عليه السلام في الّتي مضت إلى البصرة، فأمر الرّسول أن يسلّمه إلى عيسى بن جعفر بن المنصور، ـوكان على البصرة حينئذ ـ فمضى به فحبسه عنده سنة.

ثمّ كتب الى الرشيد: أن خذه منّي وسلّمه إلى من شئت، وإلّا خلّيت سبيله، فقد اجتهدت أن آخذ عليه حجّة، فما أقدر على ذلك، حتّى إنّي لأتسمّع عليه إذا دعا لعلّه يدعو عليّ أو عليك، فما أسمعه يدعو إلّا لنفسه يسأل الله الرّحمة والمغفرة. فوجّه من تسلّمه منه، وحبسه عند الفضل بن الرّبيع ببغداد، فبقي عنده مدّة طويلة، وأراده الرّشيد على شيء من أمره فأبى، فكتب إليه ليسلّمه إلى الفضل بن يحيى فتسلمه منه، وأراد ذلك منه فلم يفعله، وبلغه أنّه عنده في رفاهية وسعة وهو حينئذ بالرّقة، فأنفذ مسرور الخادم إلى بغداد على البريد، وأمره: أن يدخل من فوره على موسى فيعرف خبره، فان كان الأمر على ما بلغه أوصل كتاباً منه كتبه إلى العبّاس بن محمّد وأمره بامتثاله، وأوصل كتاباً منه إلى السّندي بن شاهك يأمره بطاعة العبّاس بن محمّد. فقدم مسرور، فنزل دار الفضل لا يدري أحد ما يريد، ثمّ دخل على موسى فوجده على ما بلغ الرّشيد، فمضى من فوره إلى العبّاس بن محمّد والسّندي، وأوصل الكتابين إليهما، فلم يلبث الناس أن خرج الرّسول يركض إلى الفضل فركب

معه، وخرج دهشاً حتى دخل على العبّاس، فدعا العبّاس، بالسّياط وعقابين، فوجّه بذلك إليه السّندي فأمر بالفضل، فجرّد ثمّ ضربه مائة سوط، وخرج متغيّر اللّون بخلاف ما دخل، فذهبت قوّته فجعل يسلّم يميناً وشمالاً، وكتب مسرور بالخبر إلى الرّشيد، فأمر بتسليم موسى إلى السندي، وجلس مجلساً حافلاً وقال: أيّها النّاس إنّ الفضل بن يحيى قد عصاني، وخالف طاعتي ورأيت أن ألعنه فالعنوه. فلعنه، النّاس من كلّ ناحية حتّى ارتجّ البيت والدّار بلعنه، فبلغ يحيى بن خالد الخبر فركب إلى الرّشيد، فدخل من غير الباب الّذي يدخل منه النّاس، حتّى جاءه من خلفه وهو لا يشعر، ثمّ قال له: التفت إليّ. فأصغى إليه فزعاً. فقال له: إنّ الفضل حدث، وأنا أكفيك ما تريد. فانطلق وجهه وسرّ، فقال له يحيى: غضضت من الفضل بلعنك إيّاه فشرّفه بإزالة ذلك عليّ. فأقبل على النّاس فقال: إنّ الفضل كان قد عصاني في شيء فلعنته، وقد تاب وأناب إلى طاعتي، فتولّوه. فقالوا: نحن أولياء من واليت، وأعداء من عاديت، وقد تولّيناه.

ثم خرج يحيى على البريد حتّى وافى بغداد، فماج الناس وارجفوا بكلّ شيء، وأظهر أنّه ورد لتعديل السّواد، والنّظر في أمر العمّال، وتشاغل ببعض ذلك، ثمّ دخل ودعا بالسّندي وأمره، فلفّه على بساط، وقعد الفراشون النّصارى على وجهه.

وأمر موسى بن جعفر عليه السلام عند وفاته السّندي: أن يحضر مولى له ينزل عند دار العبّاس بن محمّد، في مشرعة القصب ليغسّله، ففعل ذلك.

قال السّندي: وسألته أن يأذن لي في أن أكفّنه، فأبى وقال: إنّا أهل بيت مهور نسائنا، وحجّ صرورتنا، وأكفان موتانا من أطهر أموالنا، وعندي كفني. فلمّا مات أُدخل عليه الفقهاء، ووجوه أهل بغداد، وفيهم الهيثم بن عدي، فنظروا إليه لا أثر به، وشهدوا على ذلك، وأُخرج فوضع على الجسر ببغداد، فنودي:

هذا موسى بن جعفر قد مات، فانظروا إليه.

وعن بعض الطّالبيين: نودي عليه: هذا موسى بن جعفر الّذي تزعم الرافضة أنّه لا يموت، فانظروا إليه[١].

ورواه (الإرشاد) وزاد بعد ذكر طلب عيسى بن جعفر من هارون تسلّم الكاظم عليه السلام منه، وروى أنّ بعض عيون عيسى رفع إليه أنّه يسمعه كثيراً يقول في دعائه وهو محبوس عنده: اللهمّ إنّك تعلم أنّي كنت أسألك أن تفرغني لعبادتك، اللهمّ وقد فعلت، فلك الحمد»[٢].

وروى (الكافي) عنه عليه السلام قال: إنّ الله عزّوجلّ غضب على الشّيعة، فخيّرني نفسي أو هم، فوقيتهم والله بنفسي[٣].

وفي (فرق شيعة الحسن بن موسى النوبختي) وفي رواية: أنّ الكاظم عليه السلام دفن بقيوده، وأنّه أوصى بذلك[٤].

وروى (الكافي) عن الحسن بن محمّد بن بشار قال: حدّثني شيخ من أهل قطيعة الرّبيع، من العامّة ببغداد، ممّن كان ينقل عنه قال: قال لي: قد رأيت بعض من يقولون بفضله من أهل هذا البيت، فما رأيت مثله قط في فضله ونسكه. فقلت له: من، وكيف رأيته؟ قال: جمعنا أيّام السّندي بن شاهك ثمانين رجلاً من الوجوه المنسوبين إلى الخير، فأدخلنا على موسى بن جعفر، فقال لنا السّندي: يا هؤلاء انظروا إلى هذا الرّجل هل حدث به حدث؟ فإنّ النّاس يزعمون أنّه قد فعل به، ويكثرون في ذلك، وهذا منزله وفراشه موسّع عليه غير مضيّق، ولم يرد به أمير المؤمنين سوءاً، وإنّما ينتظر به أن يقدم فيناظر

(١) مقاتل الطالبيين: ٣٢٣ ـ ٣٢٦.

(٢) الإرشاد للمفيد: ٢٩٨.

(٣) الكافي للكليني ١: ٢٦٠ ح ٥.

(٤) فرق الشيعة للنوبختي: ٨٥.

أمير المؤمنين، وهذا هو صحيح موسّع عليه في جميع أُموره، فسلوه. قال: ونحن ليس لنا همّ إلّا النّظر إلى الرّجل، وإلى فضله وسمته. فقال موسى بن جعفر: أمّا ما ذكر من التّوسعة، وما أشبهها فهو على ما ذكر، غير أنّي أُخبركم أيّها النّفر أنّي قد سُقيت السّمّ في سبع تمرات، وأنا غداً أخضرّ وبعد غد أموت. قال: فنظرت إلى السّندي بن شاهك يضطرب، ويرتعد مثل السّعفة[1].

وروى (العيون) عن أحمد بن عبد الله القزويني عن أبيه، قال: دخلت على الفضل بن الرّبيع، وهو جالس على سطح، فقال لي: ادن. فدنوت حتّى حاذيته ثمّ قال لي: اشرف على البيت في الدّار. فأشرفت فقال: ما ترى في البيت؟ قلت: ثوباً مطروحاً. فقال: انظر حسناً. فتأمّلت، فقلت: رجل ساجد. فقال: أتعرفه؟ قلت: لا. قال: هذا مولاك. قلت: ومن مولاي؟ قال: تتجاهل عليّ؟ فقلت: لا أعرف لي مولى. فقال: هذا موسى بن جعفر، إنّي أتفقده الليل والنهار، فلا أجده في وقت من الأوقات إلّا على الحالة التي أُخبرك بها. إنّه يصلّي الفجر، فيعقّب ساعة في دبر صلاته إلى أن تطلع الشّمس، ثمّ يسجد سجدة فلا يزال ساجداً حتّى تزول الشّمس، وقد وكّل من يترصد له الزّوال، فلست أدري متى يقول الغلام: قد زالت الشّمس ـ إذ وثب فيبتدئ الصّلاة من غير أن يحدث حدثاً، فاعلم أنّه لم ينم في سجوده ولا أغفى، ولا يزال إلى أن يفرغ من صلاة العصر، فإذا صلّى العصر يسجد سجدة، فلا يزال ساجداً حتّى تغيب الشّمس، فإذا غابت الشّمس، وثب من سجدته فصلّى المغرب من غير أن يحدث حدثاً، ولا يزال في صلاته وتعقيبه إلى أن يصلّي العتمة، وإذا صلّى العتمة أفطر على شوى يؤتى به، ثمّ يجدّد الوضوء ثمّ يسجد ثمّ يرفع رأسه، فينام نومة خفيفة، ثمّ يقوم فيجدّد الوضوء، فلا يزال يصلّي في جوف الليل، فلست أدري متى

(١) الكافي للكليني ١: ٢٥٨ ح٢.

يقول الغلام: إنّ الفجر قد طلع. إذ قد وثب هو لصلاة الفجر، فهذا دأبه منذ حوّل إليّ. فقلت: اتّق الله، ولا تحدثنّ في أمره حدثاً يكون فيه زوال النعمة، فقد تعلم أنّه لم يفعل أحد بأحد منهم سوءاً إلّا كانت نعمته زائلة. فقال: قد أرسلوا إليّ غير مرّة يأمرونني بقتله، فلم أجبهم إلى ذلك، وأعلمتهم أنّي لا أفعل ذلك، ولو قتلوني ما أجبتهم إلى ما سألوني. قال: فلمّا كان بعد ذلك حوّل إلى الفضل بن يحيى البرمكي فحبس عنده أياماً، وكان الفضل بن الرّبيع يبعث إليه كلّ يوم مائدة حتّى مضى ثلاثة أيّام ولياليها، فلمّا كان الليلة الرّابعة قدّمت إليه مائدة الفضل بن يحيى، فرفع يده إلى السّماء، فقال: يا ربّ إنّك تعلم أنّي لو أكلت هذا قبل اليوم كنت أعنت على نفسي. قال: فأكل فمرض، فلمّا كان من الغد جاءه الطبيب، فعرض عليه خضرة في بطن راحته ـ وكان السّمّ الّذي سمّ به قد اجتمع في ذلك الموضع ـ فانصرف الطّبيب إليهم، وقال: هو والله أعلم بما فعلتم به. ثمّ توفّي عليه السلام[1].

وعن الثّوباني قال: كانت لأبي الحسن موسى عليه السلام في بضع عشرة سنة كلّ يوم سجدة بعد انفضاض الشّمس إلى وقت الزّوال، فكان هارون ربّما صعد سطحاً يشرف على المجلس الّذي حبس فيه، فكان يراه ساجداً، فقال يوماً: يا ربيع ما ذاك الثّوب الّذي أراه كلّ يوم في ذلك الموضع؟ قال: ما ذاك بثوب، وإنّما هو موسى بن جعفر له كلّ يوم سجدة بعد طلوع الشّمس إلى وقت الزّوال. فقال: أما إنّ هذا من رهبان بني هاشم. قلت: فمالك قد ضيّقت عليه في الحبس؟ قال: هيهات لابدّ من ذلك[2].

وعن الحسن بن عبد الله الصّيرفي عن أبيه قال: توفّي موسى بن

---

(١) عيون الأخبار للصدوق ١: ٨٦ ح ١٠.

(٢) عيون الأخبار للصدوق ١: ٧٧ ح ١٤ و: ٨١ ح ٥.

جعفر عليه السلام في يد السّندي، فحمل على نعش ونودي عليه: هذا إمام الرّافضة فاعرفوه. فلمّا أُتي به مجلس الشّرطة قام أربعة نفر فنادوا: ألا من أراد أن يرى الخبيث ابن الخبيث موسى بن جعفر فليخرج. وخرج سليمان بن أبي جعفر من قصره إلى الشّط، فسمع الصّياح والضوضاء، فقال لغلمانه ولولده: ما هذا؟ قالوا: السّندي بن شاهك ينادي على موسى بن جعفر على نعشه. فقال لولده: يوشك أن يفعل به هذا في الجانب الغربي، فإذا عبر به فانزلوا مع غلمانكم فخذوه من أيديهم، فإن مانعوكم فاضربوهم، وأخرقوا ما عليهم من السّواد. فلمّا عبروا به نزلوا إليهم فأخذوه من أيديهم، وضربوهم، وخرقوا عليهم سوادهم، ووضعوه في مفرق أربعة طرق، وأقاموا المنادين ينادون: ألا من أراد أن يرى الطيّب ابن الطيّب موسى بن جعفر فليخرج. وحضر الخلق، وغسّل وحنّط بحنوط فاخر، وكفّنه بكفن فيه حبرة استعملت له بألفي وخمسمائة دينار عليها القرآن، واحتفى ومشى في جنازته ملبباً مشقوق الجيب إلى مقابر قريش، فدفنه هناك، وكتب بخبره إلى الرّشيد. فكتب إليه الرّشيد: وصلتك رحم يا عم، وأحسن الله جزاك، والله ما فعل السّندي ما فعل عن أمرنا[1].

وفي (الارشاد): وكان عليه السلام يدعو كثيراً: اللّهم إنّي أسألك الراحة عند الموت، والعفو عند الحساب[2]. وكان من دعائه عليه السلام: عظم الذّنب من عبدك، فليحسن العفو من عندك[3].

وفيه: وكان الإمام بعد أبيه عليه السلام، لاجتماع خلال الفضل فيه والكمال، ولنّص أبيه عليه، وكان مولده بالأبواء سنة ثمان وعشرين

---

(١) عيون الأخبار للصدوق ١: ٧٧ ح ١٤ و: ٨١ ح ٥.

(٢ و ٣) إرشاد المفيد: ٢٩٦.

ومائة، وقبض عليه السلام ببغداد في حبس السّندي، لستّ خلون من رجب سنة ثلاث وثمانين ومائة، وله يومئذ خمس وخمسون سنة، فكانت مدّة خلافته بعد أبيه خمساً وثلاثين سنة، وكان أفقه أهل زمانه وأحفظهم لكتاب الله، وأحسنهم صوتاً بالقرآن، وكان إذا قرأ يحزن ويبكي السّامعون لتلاوته، وكان النّاس بالمدينة يسمّونه زين المتهجدين، وسمّي بالكاظم لما كظمه من الغيظ، وصبر عليه من فعل الظالمين به، حتّى مضى قتيلاً في وثاقهم[١].

قلت: ويقال له عليه السلام: أبو الحسن الماضي لقول ابنه الرّضا عليه السلام ـ لمّا كان يُسأل هل مات؟ ـ: نعم مضى كما مضى آباؤه[٢]. ردّاً على الواقفة في قولهم بعدم موته ومضيّه، ويقال له: أبو الحسن الأوّل، والرّضا عليه السلام الثاني، والهادي عليه السلام الثالث.

وأمّا أبو الحسن الرّضا عليه السلام، فقال المسعودي في (مروجه): إنّ المأمون أمر في سنة مائتين بإحصاء ولد العبّاس من رجالهم ونسائهم، وصغيرهم وكبيرهم، فكان عددهم ثلاثة وثلاثين ألفاً، وبعث برجاء بن أبي الضّحاك وياسر الخادم إلى عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام لإشخاصه، فحمل إليه مكرّماً وصل إليه وهو بمدينة مرو، فأنزله أحسن إنزال، وأمر بجمع خواصّ الأولياء، وأخبرهم أنّه نظر في ولد العبّاس، وولد عليّ عليه السلام فلم يجد في وقته أحداً أفضل ولا أحقّ بالأمر من عليّ بن موسى، فبايع له بولاية العهد، وضرب اسمه على الدّنانير والدّراهم، وزوّج ابنه محمّد بن عليّ بن موسى بابنته أمّ الفضل، وأمر بإزالة السّواد من اللباس والأعلام، ونمي ذلك إلى من بالعراق

---

(١) ارشاد المفيد: ٢٨٨، ٢٩٨، والنقل بتلخيص.

(٢) معرفة الرجال للكشي، اختياره: ٤٦٣ ح ٨٨٣، ضمن حديث، والنقل بالمعنى.

من ولد العبّاس، فأعظموه إذ علموا أنّ في ذلك خروج الأمر عنهم[١].

وفي (تاريخ الطبري): ذكر أنّ عيسى بن محمّد بن أبي خالد بينما هو في ما هو فيه من عرض أصحابه بعد منصرفه من عسكره إلى بغداد إذ ورد عليه كتاب من الحسن بن سهل، يعلمه أنّ المأمون قد جعل عليّ بن موسى وليّ عهده من بعده ـ وذلك أنّه نظر في بني العبّاس وبني عليّ فلم يجد أحداً هو أفضل ولا أورع ولا أعلم منه، وأنّه سمّاه الرّضا من آل محمّد، وأمره بطرح لبس الثّياب السّود ولبس ثياب الخضرة ـ وذلك يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة (٢٠١)، ويأمره أن يأمر من قبله من أصحابه والجند والقوّاد وبني هاشم بالبيعة له، وأن يأخذهم بلبس الخضرة في أقبيتهم وقلانسهم وأعلامهم، ويأخذ أهل بغداد جميعاً بذلك[٢].

وروى أبو الفرج في (مقاتله) بأسانيد: أنّ المأمون وجّه إلى جماعة من آل أبي طالب فحملهم إليه من المدينة، وفيهم عليّ بن موسى، فأخذ بهم على طريق البصرة، وكان المتولّي لاشخاصهم المعروف بالجلودي من أهل خراسان، فقدم بهم على المأمون فأنزلهم داراً، وأنزل عليّ بن موسى داراً، ووجّه إلى الفضل بن سهل، فأعلمه أنّه يريد العقد له، وأمره بالاجتماع مع أخيه الحسن بن سهل على ذلك، ففعل واجتمعا بحضرته فجعل الحسن يعظّم ذلك عليه، ويعرّفه ما فيه من إخراج الأمر من أهله، فقال له: إنّي عاهدت الله أن أُخرجها إلى أفضل آل أبي طالب إن ظفرت بالمخلوع، وما أعلم أحداً أفضل من هذا الرجل. فاجتمعا معه على ما أراد، فأرسلهما إلى عليّ بن موسى فعرضا ذلك عليه فأبى فلم يزالا به، وهو يأبى ذلك، ويمتنع منه، إلى أن قال له أحدهما:

(١) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٤٤٠، والنقل بتصرف يسير.

(٢) تاريخ الطبري ٧: ١٣٩ سنة ٢٠١.

إن فعلت، وإلّا فعلنا بك وصنعنا. وتهدّداه، ثمّ قال له أحدهما: والله أمرني بضرب عنقك إذا خالفت ما يريد. ثمّ دعا به المأمون فامتنع، فقال له قولاً شبيهاً بالتهدد. ثمّ قال له: إنّ عمر جعل الشّورى في ستّة أحدهم جدّك، وقال: من خالف فاضربوا عنقه، ولابدّ من قبول ذلك، فأجابه.

ثمّ جلس المأمون في يوم خميس، وخرج الفضل فأعلم النّاس برأي المأمون، وأنّه ولّاه عهده، وسمّاه الرّضا، وأمرهم بلبس الخضرة، والعود لبيعته في الخميس الآخر على أن يأخذوا رزق سنة، فلمّا كان ذلك اليوم ركب النّاس من القوّاد والقضاة وغيرهم من النّاس في الخضرة، وجلس المأمون، ووضع للرّضا عليه السلام وسادتين عظيمتين حتّى لحق بمجلسه وفرشه، وأجلس الرّضا عليه السلام عليهما في الخضرة، وعليه عمامة وسيف، ثمّ أمر ابنه العبّاس فبايع له أوّل الناس، فرفع الرّضا عليه السلام يده، فتلقى بظهرها وجه نفسه وببطنها وجوههم. فقال له المأمون: ابسط يدك للبيعة. فقال له: إنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله هكذا كان يبايع. فبايعه النّاس، ووضعت البدر، وقامت الخطباء والشّعراء فجعلوا يذكرون فضل الرّضا عليه السلام وما كان من أمر المأمون فيه -إلى أن قال- ثمّ قال المأمون للرّضا عليه السلام: قم فاخطب النّاس. فقام وقال بعد حمد الله والثناء عليه: إنّ لنا عليكم حقاً برسول الله صلى الله عليه وآله، ولكم علينا حقّ به، فإذا أدّيتم إلينا ذلك وجب علينا الحقّ لكم. ولم يذكر عنه غير هذا في ذاك المجلس(١).

وروى أيضاً عن محمّد بن أبي عمر المدني وغيره عن عبد الجبّار بن سعيد يخطب تلك السنّة على منبر رسول الله بالمدينة، أنّه قال في الدّعاء: وأصلح وليّ عهد المسلمين عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ عليه السلام.

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٣٧٥.

ســــــتّة آبـــاؤهم مـــا هـــــم   هم خير من يشرب صوب الغمام[١]

وفي (تذكرة سبط ابن الجوزي): ذكر عبد الله بن أحمد المقدسي في كتاب أنساب القرشيين نسخة يرويها: عليّ بن موسى الرّضا عن أبيه موسى عن أبيه جعفر عن أبيه محمّد عن أبيه عليّ عن أبيه الحسين عن أبيه عليّ عليه السلام عن النّبيّ صلى الله عليه وآله. ثم قال: أسناد لو قرئ على مجنون برأ[٢].

وفيه أيضاً: أنّه لمّا جعل المأمون الرّضا وليّ عهده شغبت بنو العبّاس ببغداد عليه وخلعوه من الخلافة، وولّوا إبراهيم بن المهدي والمأمون بمرو، وتفرّقت قلوب شيعة بني العبّاس عنه. فقال له عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام: النّصح لك واجب، والغشّ لا يحلّ لمؤمن، إنّ العامة تكره ما فعلت معي، والخاصة تكره الفضل بن سهل، فالرأي أن تنحّينا عنك، حتّى يستقيم لك الخاصّة والعامّة، فيستقيم أمرك ـ إلى أن قال ـ وفيه يقول أبو نواس:

قيل لي أنت أوحد النّاس في   كلّ كلام من المقال بديه
لك في جوهر الكلام فنون   ينثر الدّر في يدي مجتنيه
فعلى ما تركت مدح ابن موسى   والخصال الّتي تجمّعن فيه
قلت لا أهتدي لمدح إمام   كان جبريل خادماً لأبيه[٣]

وروى محمّد بن بابويه في (عيونه) الّذي صنّفه للصّاحب بن عباد عن ياسر الخادم، قال: كان الرّضا عليه السلام إذا خلا جمع حشمه كلّهم عنده الصّغير والكبير. فيحدّثهم ويأنس بهم ويؤنسهم، وكان إذا جلس على المائدة لا يدع صغيراً ولا كبيراً، حتّى السّائس والحجام إلّا أقعده معه على مائدته. قال ياسر: فبينا نحن عنده إذ سمعنا وقع القفل الّذي كان على باب المأمون إلى دار

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٣٧٦، ٣٧٧ عن محمّد بن أبي عمر ويحيى بن الحسن العلوي.

(٢ و ٣) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ٣٥٢، ٣٥٥، ٣٥٨.

الرّضا عليه السلام، فقال لنا: قوموا تفرّقوا فقمنا عنه، فجاء المأمون ومعه كتاب طويل، فأراد الرّضا عليه السلام أن يقوم فأقسم عليه المأمون بحقّ النّبيّ صلى الله عليه وآله أن لا يقوم، ثمّ جاء حتّى انكبّ عليه، وقبّل وجهه، وقعد بين يديه، فقرأ ذلك الكتاب عليه، فإذا فيه «فتح لبعض قرى كابل» كان فيه «إنّا فتحنا قرية كذا وكذا» فقال له الرّضا عليه السلام: وسرّك فتح قرية من قرى الشرك؟ فقال المأمون: أوليس في ذلك سرور؟ فقال: اتق الله في أمّة محمّد وما ولّاك الله وخصّك به، فإنّك قد ضيّعت أمر المسلمين، وفوّضت ذلك إلى غيرك يحكم فيهم بغير حكم الله، وقعدت في هذه البلاد وتركت بيت الهجرة ومهبط الوحي، وإنّ المهاجرين والأنصار يظلمون دونك و (لا يرقبون في مؤمن إلّا ولا ذمّة)، ويأتي على المظلوم دهر يتعب فيه نفسه، ويعجز عن نفقته، ولا يجد من يشكو إليه حاله، ولا يصل إليك، فاتّق الله في أمور المسلمين، وارجع إلى بيت النّبوّة ومعدن المهاجرين والأنصار، أما علمت أنّ والي المسلمين مثل العمود في وسط الفسطاط، من أراده أخذه؟

قال المأمون: يا سيّدي فما ترى؟

قال: أرى أن تخرج من هذه البلاد، وتتحوّل إلى موضع آبائك وأجدادك، وتنظر في أمور المسلمين ولا تكلهم إلى غيرك.

فقال: نعم يا سيدي ما قلت هو الرّأي. فخرج وأمر أن يقدّم النّجائب، فبلغ ذلك ذا الرّياستين فغمّه غمّاً شديداً، وقد كان غلب على الأمر، ولم يكن للمأمون عنده رأي، فلم يجسر أن يكاشفه، ثمّ قوي بالرّضا عليه السلام جدّاً، فجاء ذو الرّياستين إلى المأمون، فقال له: ما هذا الرّأي الذي أمرت به؟ قال: أمرني سيّدي أبو الحسن عليه السلام بذلك وهو الصّواب. قال: ما هذا الصّواب؟ قتلت بالأمس أخاك وأزلت الخلافة عنه، وبنو أبيك معادون لك، وجميع أهل العراق، وأهل بيتك والعرب، ثمّ أحدثت هذا الحدث الثاني: ولّيت ولاية العهد لأبي

الحسن وأخرجتها من بني أبيك، والعامّة والفقهاء والعلماء، وآل بني العبّاس لا يرضون بذلك، وقلوبهم متنافرة عنك. فالرّأي أن تقيم بخراسان حتّى تسكن قلوب النّاس على هذا الأمر ويتناسوا ما كان من أمر أخيك، وها هنا مشائخ قد خدموا الرّشيد، وعرفوا الأمر فاستشرهم في ذلك، فإن أشاروا بذلك فامضه، فقال المأمون: مثل من؟ قال: عليّ بن أبي عمران، وابن يونس، والجلودي ـ وهؤلاء هم الّذين نقموا بيعة الرّضا عليه السلام، ولم يرضوا به، فحبسهم المأمون بهذا السّبب ـ فقال المأمون: نعم. فلمّا كان الغد جاء أبو الحسن عليه السلام فدخل على المأمون، وقال له: ما صنعت؟ فحكى له ما قال ذو الرّياستين، ودعا المأمون بهؤلاء النّفر فأخرجهم، فأوّل من أُدخل عليه عليّ بن أبي عمران، فنظر إلى الرّضا عليه السلام بجنب المأمون، فقال للمأمون: أُعيذك بالله أن تخرج هذا الأمر الّذي جعله الله لكم، وتجعله في أيدي أعدائكم، ومن كان آباؤك يقتلهم ويشرّدهم في البلاد. فقال المأمون: يابن الزّانية، وأنت بعد على هذا؟ قدّمه يا حرسي فاضرب عنقه. فضرب عنقه، وأُدخل ابن يونس، فلما نظر إلى الرّضا عليه السلام بجنب المأمون قال له: هذا الّذي بجنبك والله صنم يُعبد من دون الله. قال له المأمون: يابن الزّانية وأنت بعد على هذا؟ يا حرسي قدّمه فاضرب عنقه. فضرب عنقه. ثمّ أُدخل الجلودي ـ وكان الرّشيد في خلافته لمّا خرج محمّد بن جعفر بن محمّد بالمدينة، وبعثه وأمره إن ظفر به أن يضرب عنقه، وأن يغير على دور آل أبي طالب، وأن يسلب نساءهم ولا يدع على واحدة منهنّ إلّا ثوباً واحداً. ففعل الجلودي ذلك، وقد كان مضى موسى بن جعفر عليه السلام، فصار الجلودي إلى باب دار الرّضا عليه السلام فهجم على داره بخيله، فلمّا نظر إليه الرّضا عليه السلام جعل النّساء كلّهن في بيت، ووقف على باب البيت، فقال الجلودي: لابدّ من أن أدخل البيت فأسلبهنّ كما أمرني الخليفة. فقال له الرّضا عليه السلام: أنا أسلبهنّ لك، وأحلف أنّي لا أدع عليهنّ شيئاً حتّى قراطهنّ

وخلاخلهنّ إلّا أخذته. فلم يزل يطلب إليه، ويحلف له حتّى سكن. فدخل الرّضا عليه السلام عليهنّ فلم يدع عليهنّ شيئاً إلّا أخذه منهنّ، وجميع ما كان في الدّار من قليل ولا كثير ـ فلمّا كان هذا اليوم وأُدخل الجلودي على المأمون قال الرضا عليه السلام للمأمون: هب لي هذا الشيخ. فقال المأمون: يا سيّدي هذا الّذي فعل ببنات النّبي صلى الله عليه وآله ما فعل من سلبهن، فنظر الجلودي إلى الرّضا عليه السلام وهو يكلّم المأمون فظنّ أنّه يعين عليه لما كان فعله. فقال للمأمون: أسألك بالله وبخدمتي للرّشيد أن لا تقبل قول هذا فيّ. فقال: يا أبا الحسن قد أقسمني ونحن نبرّ قسمه. ثمّ قال: لا والله لا أقبل قوله فيك، ألحقوه بصاحبيه. فقدّم فضرب عنقه، وقد كان المأمون أمر أن يقدّم النّواب وردّها ذو الرّياستين. فلمّا قتل المأمون هؤلاء علم أنّه قد عزم على الخروج فقال الرّضا عليه السلام للمأمون: ما صنعت بتقديم النّواب؟ فقال: مرهم يا سيّدي أنت بذلك. فخرج عليه السلام وصاح بالناس قدّموا النّواب. فكأنّما وقعت فيهم النّيران. فأقبلت النّواب تتقدّم وتخرج. ـ إلى أن قال بعد ذكر أخذ الفضل بن سهل كتاب أمان من المأمون ـ: وإنّ المأمون أعطاه كلّ ما أحبّ، وكتب له بخطّه: أنّي قد حبوتك بكذا وكذا من الأموال، والضّياع والسّلطان. وبسط له أمله، وطلب الفضل منه عليه السلام إمضاءه لكونه ولي العهد. فقال عليه السلام له: يا فضل لك علينا هذا ما اتّقيت الله تعالى.

قال ياسر: فنغّص عليه أمره في كلمة واحدة، فخرج فلمّا كان بعد ذلك بأيّام ورد على الفضل كتاب من أخيه الحسن: بأنّي نظرت في تحويل هذه السّنة في النّجوم فوجدت أنّك تذوق في شهر كذا يوم الأربعاء حرّ الحديد وحرّ النّار، فأرى أن تدخل أنت والرّضا والمأمون في الحمام في هذا اليوم فتحتجم فيه، وتصبّ الدّم على بدنك ليزول نحسه عنك. فبعث الفضل إلى المأمون، وسأله أن يدخل الحمام معه ويسأل الرّضا أيضاً ذلك ـ إلى أن قال ـ فكتب الرّضا عليه السلام إلى المأمون لست بداخل غداً الحمّام، فإنّي رأيت النّبيّ صلى الله عليه وآله

في النّوم في هذه الليلة يقول لي: يا عليّ لا تدخل الحمّام غداً، فلا أرى لك، ولا للفضل أن تدخلا الحمام غداً. فكتب إليه المأمون: صدقت يا سيّدي وصدق النّبيّ صلى الله عليه وآله لست بداخل الحمام غداً، وأمّا الفضل فهو أعلم وما يفعله ـ إلى أن قال ـ فلمّا صلّى الرّضا عليه السلام الصّبح قال لنا: قولوا نعوذ بالله من شرّ ما ينزل في هذا اليوم. فلمّا كان قريباً من طلوع الشّمس قال الرّضا عليه السلام: اصعد السّطح فاستمع هل تسمع شيئاً؟ فلمّا صعدت سمعت الضجّة، فإذا بالمأمون قد دخل من الباب الّذي كان إلى داره من دار الرّضا عليه السلام يقول: يا سيّدي آجرك الله في الفضل. وكان قد دخل الحمّام، فدخل عليه قوم بالسّيوف، فقتلوه واجتمع القوّاد والجند من كان من رجال الفضل على باب المأمون، فقالوا: اغتاله وقتله فلنطلبنّ بدمه. فقال المأمون للرّضا عليه السلام: يا سيّدي ترى أن تخرج إليهم وتفرّقهم. قال ياسر: فركب الرّضا عليه السلام وقال لي: اركب. فلمّا خرجنا من الباب نظر الرّضا عليه السلام إليهم، وقد جاؤوا بالنّيران ليحرقوا الباب، فصاح بهم ـ وأومأ بيده إليهم ـ تفرّقوا. قال ياسر: فوالله أقبل النّاس يقع بعضهم على بعض، وما أشار إلى أحد إلّا ركض ومرّ[1].

وفي (فصول ابن الصّبّاغ المالكي) لمّا جعل المأمون الرّضا عليه السلام وليّ عهده كان في حاشيته أُناس قد كرهوا ذلك، وخافوا خروج الخلافة من بني العبّاس، وعودها إلى بني فاطمة، فحصل عندهم من الرّضا نفور، وكان عادة الرّضا إذا جاء إلى دار المأمون ليدخل عليه بادر من في الدّهليز من الحجّاب بالقيام له والسّلام عليه، ويرفعون له السّتر حتّى يدخل، فلمّا حصلت لهم هذه النفرة تفاوضوا في ذلك، فبينما هم إذ جاء يدخل، فقالوا: نعرض عنه، ولا نرفع له السّتر، واتّفقوا على ذلك، فلم يملكوا أنفسهم أن قاموا وسلّموا، ورفعوا له

---

(١) عيون الأخبار للصدوق ٢: ١٥٧ ح ٢٤.

السّتر، فلمّا دخل أقبل بعضهم على بعض يتلاومون على ما فعلوا، وقالوا: الكرّة الثانية إذا جاء لا نرفعه له، فلمّا كان اليوم الثاني وجاء على عادته قاموا وسلّموا، ولم يرفعوا السّتر فجاءت ريح شديدة فرفعت السّتر أكثر ممّا كانوا يرفعونه، فدخل ثم سكنت، ثمّ عند خروجه جاءت الرّيح من الجانب الآخر فرفعته له وخرج، فأقبل بعضهم على بعض، وقالوا: إنّ لهذا الرّجل عند الله منزلة[١].

وفيه: روى الحاكم أبو عبد الله الحافظ بأسناده عن أبي حبيب قال: رأيت النّبيّ صلى الله عليه وآله في المنام، وكأنّه قد نزل في المسجد الّذي ينزله الحجّاج من بلدنا في كلّ سنة، وكأنّي قد مضيت إليه وسلّمت عليه، ووقفت بين يديه، فوجدت عنده طبقاً من خوص المدينة فيه تمر صيحاني، وكأنّه قبض قبضة من ذلك التّمر فناولنيها فعددتها، فوجدتها ثماني عشرة تمرة، فتأوّلتها أنّي أعيش بعدد كلّ تمرة سنة. فلمّا كان بعد عشرين يوماً وأنا في أرض لي إذ جاءني من أخبرني بقدوم أبي الحسن الرّضا عليه السلام من المدينة، ونزوله في ذلك المسجد، ورأيت النّاس يسعون إلى السّلام عليه من كلّ جانب، فمضيت نحوه فإذا هو جالس في الموضع الّذي رأيت النّبيّ صلى الله عليه وآله فيه، وتحته حصير مثل الحصير الّذي رأيته تحت النّبيّ صلى الله عليه وآله، وبين يديه طبق من خوص وفيه تمر صيحاني، فسلّمت فردّ عليّ، فاستدناني وناولني قبضة من ذلك التمر، فإذا هي بعدد ما ناولني النّبيّ صلى الله عليه وآله في النوم ثماني عشرة حبّة، فقلت: زدني. فقال: لو زادك النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لزدناك[٢].

وروى الحاكم أيضاً باسناده عن سعيد بن سعد أنّ الرّضا عليه السلام نظر إلى

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ: ٢٤٤.

(٢) الفصول المهمّة لابن الصّباغ: ٢٤٧، ٢٥١.

رجل فقال: يا عبد الله أوص بما تريد، واستعدّ لما لابدّ منه، فمات الرّجل بعد ذلك بثلاثة أيّام[١].

وعن الحسين بن موسى قال: كنّا حول أبي الحسن الرّضا عليه السلام، ونحن شباب من بني هاشم إذ مرّ علينا جعفر بن علي العلوي وهو رثّ الهيئة، فنظر بعضنا إلى بعض مستزرين لهيئته، فقال الرّضا عليه السلام: سترونه عن قريب كثير المال كثير الخدم، فما مضى إلّا شهر واحد حتّى ولّي إمرة المدينة وحسنت حالته، وكان يمرّ علينا وحوله الخدم والحشم يسيرون بين يديه[٢].

وفيه قال إبراهيم بن العبّاس: سمعت العبّاس يقول: ما سئل الرّضا عن شيء إلّا علمه، ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزّمان إلى وقت عصره، وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كلّ شيء، فيجيبه الجواب الشّافي، وكان قليل النّوم كثير الصّوم، لا يفوته صيام ثلاثة أيّام في كلّ شهر، ويقول: ذلك صيام الدّهر، وكان كثير المعروف والصّدقة سرّاً، وأكثر ما يكون ذلك منه في الليالي المظلمة، وكان جلوسه في الصّيف على حصير، وفي الشّتاء على مسح[٣].

وفيه أيضاً: أورد صاحب كتاب (تاريخ نيسابور) في كتابه: أنّ الرّضا عليه السلام لمّا دخل إلى نيسابور كان في قبة مستورة بالسّقلاط على بغلة شهباء، وقد شق نيسابور، فعرض له الإمامان الحافظان للأحاديث النّبويّة أبو زرعة الرّازي، ومحمّد بن أسلم الطّوسي، ومعهما خلائق لا يحصون من طلبة العلم، وأهل الأحاديث وأهل الرّواية والدّراية، فقالا له: أيّها السّيّد الجليل ابن السّادة الأئمّة بحقّ آبائك الأطهرين، وأسلافك الأكرمين إلّا ما أريتنا وجهك الميمون المبارك، ورويت لنا حديثاً عن آبائك عن جدّك محمّد صلى الله عليه وآله نذكرك به. قال: فاستوقف له البغلة، وأمر غلمانه بكشف المظلّة عن القبّة، وأقرّ عيون تلك

(١ و ٢ و ٣) الفصول المهمّة لابن الصّباغ: ٢٤٧، ٢٥١.

الخلائق برؤية طلعته المباركة، فكانت له ذؤابتان على عاتقه، والنّاس كلّهم قيام على طبقاتهم ينظرون إليه، وهم من بين صارخ وباك ومتمرّغ في التّراب، ومقبّل لحافر بغلته، وعلا الضّجيج، فصاحت الأئمة والعلماء: معاشر النّاس اسمعوا وعوا، وانصتوا لسماع ما ينفعكم، ولا تؤذونا بكثرة صراخكم وبكائكم، وكان المستملي أبو زرعة، ومحمّد بن أسلم. فقال عليّ الرّضا: حدّثني أبي موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصّادق عن أبيه محمّد الباقر عن أبيه عليّ زين العابدين عن أبيه الحسين الشهيد بكربلا عن أبيه عليّ بن أبي طالب، قال: حدّثني حبيبي، وقرّة عيني رسول الله صلى الله عليه وآله قال: حدّثني جبرئيل قال: سمعت ربّ العزّة سبحانه وتعالى يقول: كلمة لا إله إلّا الله حصني فمن قالها دخل حصني، ومن دخل حصني أمن من عذابي. ثمّ أرخى السّتر وسار، فعدّوا أهل المحابر والدويّ الّذين كانوا يكتبون، فأنافوا على عشرين ألف.

قال الأُستاد أبو القاسم القشيري: اتصل هذا الحديث بهذا السند ببعض الأُمراء السّامانيّة فكتبه بالذّهب، وأوصى بأن يدفن معه في قبره، فرئي في النّوم بعد موته، فقيل له: ما فعل الله؟ قال: قد غفر الله لي[(١)].

وروى مضمونه محمّد بن بابويه في (عيونه) بأسناده عن إسحاق بن راهويه، وزاد في آخره: فلمّا مرّت الرّاحلة نادانا: «بشروطها وأنا من شروطها». وقال: إنّ من شروطها الإقرار بكون الرّضا عليه السلام إماماً مفترض الطّاعة[(٢)].

وفي (فصول ابن الصّباغ المالكي): ذكر المدائني أنّ الرّضا لمّا جلس ذلك المجلس، وهو لابس تلك الخلع والخطباء يتكلّمون، وتلك الألوية تخفق

---

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ: ٢٥٣، ٢٥٦.

(٢) عيون الأخبار للصدوق ٢: ١٣٤ ح٤.

على رأسه نظر إلى بعض مواليه ممّن كان يختص به، وقد داخله من السّرور ما لا عليه مزيد وذلك لما رأى، فأشار إليه الرّضا فدنا منه، وقال له في أُذنه سرّاً: لا تشغل قلبك بشيء ممّا ترى من هذا الأمر، ولا تستبشر فإنّه لا يتمّ[١].

وفيه، وفي عهد كتبه المأمون للرّضا عليه السلام بخطّه: فلمّا انقضت النبوّة، وختم الله بمحمّد الرسالة جعل قوام الدّين، ونظام أمر المسلمين في الخلافة ونظامها، والقيام بشرايعها وأحكامها، ولم يزل أمير المؤمنين منذ أفضت إليه الخلافة، وحمل مشاقّها، واختبر مرارة طعمها ومذاقها، مسهراً لعينه، منضياً لبدنه، مطيلاً لفكره في ما فيه عزّ الدين، وقمع المشركين، وصلاح الأُمّة، وجمع الكلمة، ونشر العدل، وإقامة الكتاب والسّنّة، ومنعه ذلك من الخفض والدّعة، ومهنأ العيش محبّة أن يلقى الله سبحانه وتعالى مناصحاً له في دينه وعباده، ومختاراً لولاية عهده، ورعاية الأُمّة من بعده أفضل من يقدر عليه في دينه وورعه وعلمه، وأرجاهم للقيام بأمر الله تعالى وحقّه مناجياً لله تعالى بالاستخارة في ذلك، ومسألة إلهامه ما فيه رضاه، وطاعته في آناء ليله ونهاره، معملاً فكره ونظره في ما فيه طلبه والتماسه في أهل بيته من ولد عبد الله بن عباس وعليّ بن أبي طالب، مقتصراً في من علم حاله ومذهبه منهم على علمه، وبالغاً في المسألة في من خفي عليه أمره جهده وطاقته حتّى استقصى أُمورهم معرفة، وابتلى أخبارهم مشاهدة، واستبرأ أحوالهم معاينة، وكشف ما عندهم مساءلة، وكانت خيرته ـ بعد استخارة الله تعالى، وإجهاده نفسه في قضاء حقّه في عباده وبلاده في الفئتين جميعاً ـ عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام لمّا رأى من فضله البارع، وعلمه الذائع، وورعه الظّاهر الشائع، وزهده الخالص النّافع، وتخليته

---

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ: ٢٥٣، ٢٥٦.

من الدّنيا، وتفرده عن النّاس، وقد استبان له ما لم تزل الأخبار عليه منطبقة، والألسن عليه متّفقة، والكلم فيه جامعة، والأخبار واسعة، ولما لم نزل نعرفه به من الفضل يافعاً، وناشئاً، وحدثاً، وكهلاً. فلذلك عقد له بالعهد والخلافة من بعده واثقاً بخيرة الله تعالى في ذلك، إذ علم الله تعالى أنّه فعله إيثاراً له وللدّين، ونظراً للإسلام والمسلمين، وطلباً للسلامة وثبات الحجّة، والنّجاة في اليوم الّذي يقوم فيه النّاس لربّ العالمين.

ودعا أمير المؤمنين ولده، وأهل بيته، وخاصّته، وقوّاده، وخدمه فبايعوه الكلّ مطيعين مسارعين مسرورين عالمين بإيثار أمير المؤمنين طاعة الله على الهوى في ولده وغيرهم ممّن هو أشبك رحماً، وأقرب قرابة، وسمّاه الرّضا إذ كان رضيّاً عند الله تعالى، وعند النّاس، وقد آثر طاعة الله، والنظر لنفسه، وللمسلمين والحمد لله ربّ العالمين. وكتب بيده في يوم الاثنين لسبع خلون من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين.

قال: وكتب الرّضا بيده على ظهر العهد: «أقول وأنا عليّ بن موسى بن جعفر: إنّ أمير المؤمنين عضّده الله بالسّداد، ووفّقه للرّشاد، عرف من حقّنا ما جهله غيره، وإنّه جعل إليّ عهده والإمرة الكبرى إن بقيت بعده، والجامعة والجفر يدلّان على ضدّ ذلك، وما أدري ما يفعل بي ولا بكم ﴿إنّ الحكم إلّا لله يقصّ الحقّ وهو خير الفاصلين﴾»...[1]

وفي (فواتح الميبدي): كان الرّضا عليه السلام واقفاً على الجفر، وكان ورّاثه يستخرجون أحوال العالم من الجفر، والمأمون بايع الرّضا في سنة (٢٠١) وكتب له عهداً، فكتب الرّضا على ظهر عهد المأمون: «الجامعة والجفر يدلّان على ضدّ ذلك، وما أدري ما يفعل بي ولا بكم ﴿إن الحكم إلّا لله

---

(١) الفصول المهمّة لابن الصباغ: ٢٥٧، والآية ٥٧ من سورة الأنعام.

يقصّ الحق، وهو خير الفاصلين﴾»[١].

وفي (تاريخ اليعقوبي): توفّي الرضا عليه السلام بقرية يقال لها: النّوقان، قيل: إنّ عليّ بن هشام أطعمه رماناً فيه سمّ، وأظهر المأمون عليه جزعاً شديداً. فحدّثني أبو الحسن بن أبي عباد قال: رأيت المأمون يمشي في جنازته حاسراً في مبطنة بيضاء، وهو بين قائمتي النعش يقول: إلى من أروح بعدك يا أبا الحسن، وأقام عند قبره ثلاثة أيّام يؤتى في كلّ يوم برغيف وملح فيأكله[٢].

قلت: أي المأمون؟ وفي (فصول ابن الصّبّاغ المالكي) أيضاً ممّا نقل إلي بالاستماع أنّ المأمون وجد في يوم عيدٍ انحرافَ مزاجٍ أحدث عنده ثقلا له عن الخروج إلى الصلاة، فقال للرّضا: قم يا أبا الحسن اركب وصلِّ بالنّاس العيد. فامتنع، قال: قد علمت ما كان بيني وبينك من الشّروط فاعفني. فقال: انّما أُريد أن أُنوّه بذكرك ليشتهر أمرك بأنّك وليّ عهدي، وألحّ عليه في ذلك، فقال: إن اعفيتني كان أحبّ إليّ، وإن أبيت إلّا أن أخرج فإنّما أخرج على الصّفة التي كان يخرج عليها النّبيّ صلّى الله عليه وآله. فقال: افعل كيف أردت.

وأمر المأمون القوّاد والجند، وأعيان دولته بالرّكوب في خدمته إلى المصلّى، فركب النّاس إلى بيته، وحضر القوّاد، والمؤذّنون والمكبّرون إلى بابه ينتظرون أن يخرج فخرج إليهم، وقد اغتسل، ولبس أفخر ثيابه، وتعمّم بعمامة قطن، وألقى طرفاً منها على عاتقه، ومسّ طيباً وأخذ عكازاً في يده، وخرج ماشياً ولم يركب، وقال لمواليه وأتباعه: افعلوا كما فعلت. ففعلوا كفعله، وساروا بين يديه عند شروق الشّمس رافعين أصواتهم بالتّكبير والتّهليل، فلمّا رآه القوّاد والجند على تلك الحالة لم يسعهم إلّا أن نزلوا عن

---

(١) فواتح الميبدي: ١٨٥.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ٤٥٣ والنقل بتلخيص.

خيولهم ومراكبهم وساروا بين يديه، وتركوا مراكبهم مع غلمانهم خلف النّاس، وكان الرّضا عليه السلام كلّما كبّر كبّر النّاس تكبيرة واحدة، وكلّما هلّل هلّلوا تهليلة وهم سائرون بين يديه، حتّى خيّل للنّاس أنّ الحيطان والجدران يجاوبهم بالتّكبير والتّهليل، وتزلزلت مرو، وارتفع البكاء والضجيج. فبلغ ذلك المأمون، فقال له الفضل: إن بلغ الرّضا المصلّى هكذا افتتن النّاس به، وخفنا على دمائنا وأرواحنا، وعليك في نفسك فابعث إليه يردّ. فبعث إليه: قد كلّفناك، ولا نحبّ أن تلحقك مشقّة ارجع إلى بيتك يصلّي بالناس غيرك.

ورواه ابن طلحة الشافعي في (مطالبه) وفيه: فخرج الرّضا، وعليه قميص قصير أبيض، وعمامة بيضاء لطيفة وهما من قطن، وفي يده قضيب، فأقبل ماشياً يؤمّ المصلّى، وهو يقول: «السّلام على أبويّ آدم ونوح. السّلام على أبويّ إبراهيم وإسماعيل. السّلام على أبويّ محمّد وعليّ. السّلام على عباد الله الصالحين». فلمّا رآه الناس هرعوا إليه، وانثالوا عليه لتقبيل يده، فأسرع بعض الحاشية إلى الخليفة المأمون، وقال له: تدارك النّاس واخرج إليهم وصلّ بهم وإلّا خرجت الخلافة منك الآن[1].

وفيه أيضاً: قال دعبل الخزاعي: لمّا قلت قصيدتي «مدارس آيات» قصدت بها الرّضا عليه السلام وهو بخراسان وليّ عهد المأمون، فأحضرني المأمون وسألني عن خبري، ثمّ قال لي: أنشدني «مدارس آيات خلت من تلاوة» فقلت: ما أعرفها. فقال: يا غلام! أحضر أبا الحسن الرّضا. فلم تكن ساعة إلّا حضر. فقال له: سألت دعبلاً عن «مدارس آيات خلت من تلاوة» فذكر أنّه لا يعرفها. فقال لي: أنشده. فأخذت فيها فأنشدتها، فاستحسنها المأمون. فأمر لي بخمسين ألف درهم، وأمر لي الرّضا عليه السلام بقريب من ذلك. فقلت: يا

---

(١) رواه ابن الصباغ في الفصول المهمّة: ٢٦٠، وابن طلحة في مطالب السؤول: ٨٦.

سيّدي إن رأيت أن تهب لي شيئاً من ثيابك ليكون كفني؟ فقال: نعم. ثمّ دفع لي قميصاً قد ابتذله، ومنشفة لطيفة، وقال لي: احفظ هذا تحرس به. ثمّ دفع إليّ الفضل بن سهل وزير المأمون صلة، وحملني على برذون أصفر خراساني، وكنت أُسايره في يوم مطير، وعليه مطير خز، وبرنس. فأمر لي به ودعا بغيره، وقال: إنّما آثرتك به خير ممطر. فأُعطيت به ثمانين ديناراً، فلم تطب نفسي ببيعه، ثمّ كررت راجعاً إلى العراق، فلمّا صرت في بعض الطريق خرج علينا الأكراد فأخذونا فكان ذلك اليوم يوماً مطيراً، فبقيت في قميص خلق متأسّفاً من جميع ما كان معي على القميص والمنشفة، ومفكّراً في قول سيّدي الرضا عليه السلام إذا مرّ بي واحد من الأكراد الحرامية تحته الفرس الّذي حملني عليه الفضل ذو الرّياستين، وعليه الممطر، ووقف بالقرب منّي ليجتمع إليه أصحابه، وهو ينشد: «مدارس آيات خلت من تلاوة» ويبكي. فقلت: يا سيّدي لمن هذه القصيدة؟ فقال: وما أنت وذلك ويلك. فقلت: لي سبب أُخبرك به. فقال: هي أشهر بصاحبها من أن يجهل. فقلت: من؟ قال: دعبل بن عليّ الخزاعي شاعر آل محمّد ـ جزاه الله خيراً ـ فقلت له: يا سيّدي فأنا والله دعبل وهذه قصيدتي. قال: ويلك ما تقول؟ قلت: الأمر أشهر من ذلك. فاسأل أهل القافلة فاستحضر منهم جماعة، وسألهم عنّي. فقالوا: هذا دعبل بن عليّ الخزاعي. فقال: قد أطلقت كلّ ما أُخذ من القافلة خلالة فما فوقها كرامة لك. ثم نادى في أصحابه: من أخذ شيئاً فليردّه. فردّ على النّاس جميع ما أُخذ منهم، ورجع عليّ جميع ما كان معي، فحرست أنا والقافلة ببركة ذلك القميص والمنشفة[1].

ورواه (العيون) عن أبي الصّلت الهروي هكذا: قال: دخل دعبل على الرّضا عليه السلام بمرو فقال له: إنّي قد قلت قصيدة، وآليت أن لا أُنشدها

---

(١) مطالب السؤول لابن طلحة: ٨٥.

أحداً قبلك. فقال عليه السلام: هاتها. فأنشده:

مدارس آيات خلت من تـلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات

فلما بلغ إلى قوله:

أرى فيئهم في غيرهـم متقسّماً وأيديهم مـن فـيئهم صـفرات

بكى الرّضا عليه السلام وقال له: صدقت يا خزاعي. ولمّا بلغ إلى قوله:

إذا وتروا مدّوا إلى واتريهم أكُـفّاً عن الأوتار منقبضات

جعل عليه السلام يقلّب كفيه، ويقول: أجل والله منقبضات. فلمّا بلغ إلى قوله:

لقد خفت في الدّنيا وأيّام سعيها وإنّي لأرجو الأمن بـعد وفـاتي

قال عليه السلام: آمنك الله يوم الفزع الأكبر. فلما انتهى إلى قوله:

وقـبر بـبغداد لنـفس زكـيّة تضمّنها الرّحمن في الغرفات

قال: أفلا ألحق لك بهذا الموضع بيتين بهما تمام قصيدتك؟ قال: بـلى. قال عليه السلام:

وقبر بطوس يالها من مـصيبة توقد فـي الأحشـاء بـالحرقات

إلى الحشر حتّى يبعث الله قائماً يـفرّج عـنّا الهـمّ والكـربات

قال: يابن رسول الله هذا القبر الّذي بطوس قبر مـن؟ قـال: قـبري، ولا تنقضي الأيّام والليالي حتّى تصير طوس مختلف شيعتي وزواري، ألا فمن زارني في غربتي بطوس كان معي في درجتي يوم القيامة، مـغفوراً له، ثـم نهض عليه السلام وأمر دعبل أن لا يبرح، فلمّا كان بعد ساعة خرج الخادم إليه بمائة دينار رضوية، وقال له: يقول لك مولاي: اجعلها في نفقتك. فقال: والله ما لهذا جئت ولا قلت القصيدة طمعاً، وردّ الصرّة، وسأل ثوباً من ثيابه. فأنـفذ عليه السلام إليه جبّة خز مع الصّرة، وقال للخادم: قل له: خذ هذه الصرّة فإنّك سـتحتاج إليها. فأخذهما وانصرف، وسار من مرو في قافلة فلمّا بلغ (ميان كوهان) وقع عليهم اللّصوص فأخذوا القافلة بأسرها وكـتفوهم وفـيهم دعـبل، وجـعلوا

يقسمون القافلة بينهم، فتمثّل رجل منهم بقول دعبل:

أرى فيئهم في غيرهم متقسّماً وأيديهم مـن فـيئهم صـفرات

فقال له دعبل: لمن هذا البيت؟ فقال: لرجل من خزاعة يقال له: دعبل. قال: فأنا دعبل. فوثب الرّجل إلى رئيسهم وكان يصلّي على رأس تلّ وكـان مـن الشّيعة فأخبره فجاء، وقال له: أنت دعبل؟ فقال: نعم. فقال: أنشدني القصيدة. فأنشدها فحلّ كتافه، وكتاف جميع القافلة، وردّ عليهم ما أُخذ منهم لكـرامـة دعبل، وسار دعبل حتّى وصل إلى قم، فسألوه أن ينشدهم القصيدة فأمرهم أن يجتمعوا في الجامع فصعد المنبر فأنشدهم، فوصلوه من المـال والخلع بشيء كثير، واتّصل بهم خبر الجبّة، فسألوه أن يـبيعها مـنهم بألف ديـنار، فأبى، فقالوا: فشيئاً منها. فأبى وسار فلمّا خرج من البلد لحق بـه قـوم مـن الأحداث، وأخذوا الجبّة، فرجع إلى قم، وسألهم ردّها. فقالوا: لا سبيل لك إلى الجبّة، فخذ ثمنها ألف دينار. فأبى، فلمّا يئس من ردّهم سألهم أن يدفعوا إليه شيئاً منها، فأجابوه ودفعوا ثمن باقيها ألف دينار، فانصرف إلى وطنه، فوجد اللصوص قد أخذوا جميع ما كان في منزله، فباع مائة ديناره عليه السلام من الشيعة كلّ دينار بـمائة درهـم، فـحصل فـي يـده عشـرة آلاف درهـم، فـذكر قـول الرّضا عليه السلام: إنّك ستحتاج إلى الدّنانير. وكانت له جارية لها مـن قـلبه مـحل، فرمدت رمداً عظيماً، فقال أهل الطبّ: أمّا العين اليمنى فقد ذهبت، وأمّا اليسرى فنرجو أن تسلم. فذكر ما كان معه من وصلة الجبّة، فـمسحها عـلى عـيني الجارية وعصبها بعصابة من أوّل الليل، فأصبحت وعيناها أصحّ مما كانتا قبل ببركته عليه السلام[1].

وروى أبو الفرج في (مقاتله) عن الحسن بـن عـليّ الخـفاف عـن أبـي

(١) عيون الأخبار للصدوق ٢: ٢٦٧ ح ٣٤.

الصلت قال: دخل المأمون إلى الرضا عليه السلام يعوده، فوجده يجود بنفسه، فبكى وقال: اعزز عليّ يا أخي بأن أعيش ليومك، وقد كان لي في بقائك أمل، وأغلظ عليّ من ذلك وأشدّ أنّ النّاس يقولون: إنّي سقيتك سمّاً وأنا إلى الله من ذلك بريء. فقال له الرّضا عليه السلام: صدقت -إلى أن قال- فحضره المأمون قبل أن يحفر قبره، وأمر أن يحفر إلى جانب أبيه ثم أقبل علينا، فقال: حدّثني صاحب هذا النّعش أنّه يحفر له قبر، فيظهر فيه ماء وسمك، احفروا. فحفروا، فلمّا انتهوا إلى اللّحد نبع فيه ماء وظهر فيه سمك، ثم غاض الماء فدفن فيه الرّضا عليه السلام[1].

وفي (فصول ابن الصّباغ المالكي) و (مناقب ابن طلحة الشافعي) -واللفظ للثاني-: قال: كان هرثمة بن أعين في خدم الخليفة إلّا أنّه كان محبّاً لأهل البيت إلى الغاية. قال طلبني سيّدي الرّضا عليه السلام، قال: إنّي مطلعك على أمر يكون عندك سرّاً لا تظهره وأنا حيّ، وإلّا كنت خصمك عند الله تعالى، اعلم أنّني بعد أيّام آكل عنباً ورمّاناً مفتوتاً فأموت، ويقصد المأمون أن يجعل مدفني خلف قبر أبيه، وأنّ الله تعالى لا يقدره على ذلك، وأنّ الأرض تشتدّ، فلا يستطيع أحد حفر شيء منها، وإنّما قبري في الموضع الفلاني -وعيّنه لي- فإذا متّ وجهزت فأعلمه بجميع ما قلت لك، وقل له: يتأنّ في الصّلاة عليّ، فإنّه يأتي رجل عربي متلثم على بعير مسرع، وعليه وعثاء السّفر، فينزل عن بعيره، ويصلّي عليّ، ثمّ اقصد المكان الّذي عيّنته لك، فاحفر شيئاً يسيراً من وجه الأرض تجد قبراً محفوراً في قعره ماء أبيض، فإذا كشفته ينضب الماء فهو مدفني.

قال: فوالله ما طالت الأيّام حتّى أكل عنباً ورمّاناً كثيراً فمات، فدخلت

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٣٨٠.

على الخليفة فوجدته يبكي عليه، فقلت له: عاهدني الرّضا على أمر أقوله لك؟ وقصصت عليه تلك القصّة من أوّلها إلى آخرها، وهو يتعجّب ممّا أقوله. فأمر بتجهيزه، فلمّا تجهّز تأنّى في الصّلاة عليه، وإذا برجل قد أقبل من الصّحراء على بعير مسرعاً، فلم يكلّم أحداً، ثمّ دخل على جنازته وصلّى عليه وخرج، وصلّى النّاس عليه، وأمر المأمون بطلب الرّجل ففاتهم، ولم يعلموا له خبراً. ثمّ أمر بأن يحفر له خلف قبر الرّشيد، فعجز الحافرون، فذهب إلى موضع ضريحه الآن، فبقدر ما كشف وجه الأرض ظهر قبر محفور، وإذا في قعره ماء أبيض كما قال، فأعلمت المأمون فحضر وأبصر الصّورة الّتي ذكرها، فنضب الماء فدفن فيه، ولم يزل المأمون يتعجّب من قوله، وكلّما خلوت في خدمته يقول لي: يا هرثمة كيف قال لك أبو الحسن؟ فأُعيد عليه الحديث، فيتلهف عليه(١).

ورواه ابن بابويه في (عيونه) عن تميم بن عبد الله بن تميم القرشي عن أبيه عن محمّد بن يحيى عن محمّد بن خلف الطاطري عن هرثمة بأبسط(٢).

وفي (مقاتل ابي الفرج): اختلف في أمر وفاته وكيف كان سبب السّمّ الّذي سقيه، فذكر محمّد بن عليّ بن حمزة أنّ منصور بن بشير ذكر عن أخيه عبد الله بن بشير أنّ المأمون أمره أن يطوّل أظفاره، ففعل، ثم أخرج إليه شيئاً يشبه التّمر الهندي، وقال له: افركه واعجنه بيديك جميعاً. ففعل ثمّ دخل على الرّضا. فقال: ما خبرك؟ قال: أرجو أن أكون صالحاً. فقال له: هل جاءك أحد من المترفّقين اليوم؟ قال: لا. فغضب وصاح على غلمانه، وقال له: فخذ ماء الرّمان اليوم فإنّه ممّا لا يستغنى عنه. ثمّ دعا برمّان فأعطاه عبد الله بن بشير، وقال له:

---

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ، ومطالب السؤول لابن طلحة: ٨٦.

(٢) عيون الأخبار للصدوق ١: ٢٤٨ ح ١.

اعصر ماءه بيدك. ففعل وسقاه المأمون الرّضا بيده فشربه، فكان ذلك سبب وفاته، ولم يلبث إلّا يومين حتّى مات.

قال محمّد بن عليّ بن حمزة وبلغني عن أبي الصّلت الهروي أنّه دخل على الرّضا عليه السلام بعد ذلك، فقال له: يا أبا الصّلت قد فعلوها ـ أي قد سقوني السّمّ ـ وجعل يوحّد الله ويمجّده.

قال محمّد بن علي: وسمعت محمّد بن الجهم يقول: إنّ الرّضا عليه السلام كان يعجبه العنب فأُخذ له عنب، وجعل في موضع أقماعه الأبر، فتركت أيّاماً ثمّ نزعت، فأكل منه في علّته فقتله، وذكر أنّ ذلك من لطيف السّموم[1].

وروى أبو الفرج أيضاً في عبد الله بن موسى بن عبد الله المحض: أنّ المأمون كتب إليه وهو متوارٍ منه يعطيه الأمان، ويضمن له أن يولّيه العهد من بعده كما فعل بعليّ بن موسى، ويقول: ما ظننت أنّ أحداً من آل أبي طالب يخافني بعدما عملته بالرّضا، فكتب إليه عبد الله بن موسى: وصل كتابك وفهمته، تختلني عن نفسي ختل القانص، وتحتال عليّ حيلة المغتال القاصد لسفك دمي، وعجبت من بذلك العهد، وولايته لي بعدك كأنّك تظنّ أنّه لم يبلغني ما فعلته بالرّضا عليه السلام، ففي أيّ شيء ظننت أنّي أرغب من ذلك؟ أفي الملك الّذي غرّتك نضرته وحلاوته؟ فوالله لأن أقذف وأنا حيّ في نار تتأجّج أحبّ إليّ من أن ألي أمراً بين المسلمين، أو أشرب شربة من غير حلّها مع عطش شديد قاتل، أم في العنب المسموم الّذي قتلت به الرّضا عليه السلام[2]؟

وفي (كامل ابن الأثير): جدّد محمود الغزنوي عمارة المشهد بطوس الّذي فيه قبر عليّ بن موسى الرضا، والرشيد وأحسن عمارته ـ وكان أبوه

---

(١) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج: ٣٧٧.

(٢) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج: ٤١٦.

سبكتكين أخربه ـ وكان أهل طوس يؤذون من يزوره فمنعهم عن ذلك، وكان سبب فعله أنّه رأى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في المنام وهو يقول له: «إلى متى هذا»؟ فعلم أنّه يريد أمر المشهد. فأمر بعمارته[1].

وأمّا الجواد عليه السلام فروى محمّد بن محمّد بن النّعمان في (إرشاده) مسنداً عن محمّد بن حمزة عن محمّد بن عليّ الهاشمي. قال: دخلت على أبي جعفر محمّد بن عليّ عليهما السلام صبيحة عرسه ببنت المأمون ـ وكنت تناولت من الليل دواء، فأوّل من دخل عليه في صبيحته أنا ـ وقد أصابني العطش، وكرهت أن أدعو بالماء، فنظر أبو جعفر عليه السلام في وجهي وقال: أراك عطشان؟ قلت: أجل. قال: يا غلام اسقنا ماء. فقلت في نفسي: السّاعة يأتونه بماء مسموم، واغتممت لذلك، فأقبل الغلام ومعه الماء، فتبسّم في وجهي، ثمّ قال: يا غلام ناولني الماء فشرب، ثمّ ناولني فشربت وأطلت عنده، فعطشت فدعا بالماء ففعل كما فعل في المرّة الأُولى فشرب، ثمّ ناولني فشربت وتبسّم. قال محمّد ابن حمزة: فقال لي محمّد بن عليّ الهاشمي: والله، إنّي أظنّ أنّ أبا جعفر يعلم ما في النفوس كما يقول الرّافضة[2].

وعن الرّيان بن شبيب قال: لمّا أراد المأمون أن يزوّج ابنته أُمّ الفضل أبا جعفر محمّد بن عليّ بلغ ذلك العبّاسيين، فغلظ عليهم واستكبروه، وخافوا أن ينتهي الأمر معه إلى ما انتهى إليه مع الرّضا، فخاضوا في ذلك، واجتمع منهم أهل بيته الأدنون منه، فقالوا: ننشدك الله أن تقيم على هذا الأمر الّذي قد عزمت عليه من تزويج ابن الرّضا، فإنّا نخاف أن تُخرج به عنّا أمراً قد ملّكناه الله، وتنزع منّا عزّاً قد ألبسناه، فقد عرفت ما بيننا وبين هؤلاء القوم قديماً وحديثاً،

---

(١) الكامل لابن الاثير ٩: ٤٠١ سنة ٤٢١.

(٢) الإرشاد للمفيد: ٣٢٥.

وما كان عليه الخلفاء الراشدون قبلك من تبعيدهم والتّصغير بهم، وقد كنّا في وهلة من عملك مع الرّضا ما عملت حتّى كفانا الله المهمّ من ذلك، فالله الله أن تردّنا إلى غمّ قد انحسر عنّا، فاصرف رأيك عن ابن الرّضا، واعدل إلى من تراه من أهل بيتك يصلح لذلك دون غيره. فقال لهم المأمون: أمّا ما بينكم وبين آل أبي طالب، فأنتم السّبب فيه، ولو أنصفتم القوم لكانوا أولى بكم، وأمّا ما كان يفعله من قبلي بهم، فقد كان به قاطعاً للرّحم، وأعوذ بالله من ذلك، ووالله ما ندمت على ما كان منّي من استخلاف الرضا، ولقد سألته أن يقوم بالأمر فأنزعه عن نفسي، فأبى ﴿وكان أمر الله قدراً مقدوراً﴾[1]، وأمّا أبو جعفر محمّد بن عليّ فقد اخترته لتبرّزه على كافّة أهل الفضل، في العلم والفضل، مع صغر سنّه والاعجوبة فيه بذلك، وأنا أرجو أن يظهر للنّاس ما قد عرفته منه، فيعلموا أنّ الرّأي ما رأيت. فقالوا: إنّ هذا الفتى وإن راقك منه هذيهُ فإنّه صبي لا معرفة له، ولا فقه، فأمهله حتّى يتأدّب ويتفقّه في الدّين، ثمّ اصنع ما تراه بعد ذلك. فقال لهم: ويحكم أنا أعرف بهذا الفتى منكم، وإنّ هذا من أهل بيت علمهم من الله ومن إلهامه، لم يزل آباؤه أغنياء في علم الدّين والأدب عن الرّعايا النّاقصة عن حدّ الكمال، فإن شئتم فامتحنوه بما يتبيّن لكم ما وصف به من حاله. قالوا: فخلّ بيننا وبينه لننصب من يسأله بحضرتك عن شيء من فقه الشّريعة، فإن أصاب الجواب لم يكن لنا اعتراض في أمره. فقال لهم: شأنكم وذاك. فخرجوا من عنده واجتمع رأيهم على مسألة يحيى بن أكثم ـ وهو يومئذ قاضي الزّمان ـ على أن يسأله مسألة لا يعرف الجواب فيها، ووعدوه بأموالٍ نفيسةٍ على ذلك، وعادوا إلى المأمون فسألوه أن يختار لهم يوماً للاجتماع، فأجابهم، فاجتمعوا في اليوم الّذي اتّفقوا عليه وحضر معهم يحيى،

(١) الأحزاب: ٣٨.

فأمر المأمون أن يفرش لأبي جعفر دست ويجعل له فيه مسورتان. ففعل ذلك.

وخرج أبو جعفر عليه السلام ـ وهو يومئذ ابن تسع سنين وأشهر ـ فجلس بين المسورتين، وجلس يحيى بين يديه، وقام النّاس في مراتبهم، والمأمون جالس في دست متّصل بدست أبي جعفر عليه السلام، فقال يحيى للمأمون: أتأذن لي أن أسأل أبا جعفر؟ فقال: استأذن منه. فأقبل عليه يحيى، فقال: أتأذن ـ جعلت فداك ـ في مسألة؟ قال: سل إن شئت. قال: ما تقول في محرم قتل صيداً؟ فقال له أبو جعفر عليه السلام: قتله في حلّ أو حرم، عالماً كان أم جاهلاً، عمداً قتله أم خطأ، حرّاً كان أم عبداً، صغيراً كان أم كبيراً، مبتدئاً كان أم معيداً. من ذوات الطّير كان الصّيد أم من غيرها، من صغار الصّيد كان أم من كبارها، مصرّاً على ما فعل أو نادماً، في الليل كان قتله للصّيد أم نهاراً، محرماً كان بالحج أم بالعمرة؟ فتحيّر يحيى وبان في وجهه العجز والانقطاع، ولجلج حتّى عرف جماعة أهل المجلس أمره.

فقال المأمون: الحمد لله على التوفيق لي في الرّأي، ثمّ نظر إلى أهل بيته، وقال لهم: عرفتم الآن ما كنتم تنكرونه؟ ثمّ أقبل على أبي جعفر عليه السلام، فقال له: أتخطب يا أبا جعفر؟ قال: نعم. فقال له: اخطب ـ جعلت فداك ـ فقد رضيتك لنفسي، وأنا مزوّجك أُمّ الفضل ابنتي، وإن رغم قوم لذلك.

فقال أبو جعفر عليه السلام: الحمد لله إقراراً بنعمته، ولا إله إلّا الله إخلاصاً لوحدانيّته، وصلّى الله على محمّد سيّد بريّته، والأصفياء من عترته. أمّا بعد فقد كان من فضل الله على الأنام أن أغناهم بالحلال عن الحرام، فقال سبحانه: ﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصّالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم﴾[1]. ثمّ إنّ محمّد بن عليّ بن موسى

---

(١) النور: ٣٢.

يخطب أمّ الفضل بنت عبد الله المأمون، وقد بذل لها من الصّداق مهر جدّته فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وهو خمسمائة درهم جياد، فهل زوّجته يا أمير المؤمنين بها على هذا الصّداق؟ قال المأمون: نعم قد زوّجتك يا أبا جعفر أمّ الفضل ابنتي على الصّداق، فهل قبلت النكاح؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: قد قبلت ذلك ورضيت به. قال: فأمر المأمون أن يقعد النّاس على مراتبهم في الخاصّة والعامّة. ولم نلبث أن سمعنا أصواتاً تشبه أصوات الملّاحين في محاوراتهم، فإذا بخدم يجرّون سفينة مصنوعة من الفضّة مشدودة بالحبال من الإبريسم على عجل مملوة من الغالية، فأمر المأمون أن يخضب لحى الخاصّة من تلك الغالية، ثمّ مدّت إلى دار العامّة فطيّبوا منها، ووضعت الموائد فأكل النّاس، وخرجت الجوائز إلى كلّ قوم على قدرهم، فلمّا تفرّق النّاس وبقي من الخاصّة من بقي، قال المأمون لأبي جعفر عليه السلام: إن رأيت ـجعلت فداكـ أن تذكر الفقه في ما فصّلته من وجوه قتل المحرم الصّيد لنعلمه.

فقال عليه السلام: نعم، إنّ المحرم إذا قتل صيداً في الحلّ، وكان الصّيد من ذوات الطير، وكان من كبارها فعليه شاة، فإن أصابه في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً، فإذا قتل فرخاً في الحلّ فعليه حمل قد فطم من اللّبن، فإذا قتله في الحرم فعليه حمل وقيمة الفرخ، وإن كان من الوحش ـوكان حمار وحشـ فعليه بقرة، وإن كان نعامة فعليه بدنه، وإن كان ظبياً فعليه شاة، فإن قتل شيئاً من ذلك في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً هدياً بالغ الكعبة، وإذا أصاب المحرم ما يجب الهدْي فيه، وكان إحرامه بالحجّ نحره بمنى، وإن كان بالعمرة نحره بمكّة. وجزاء الصّيد على العالم والجاهل سواء، وفي العمد له المأثم، وهو موضوع عنه في الخطأ. والكفّارة في الحرّ على نفسه، وفي العبد على سيّده، والصّغير لا كفّارة عليه، وهي على الكبير واجبة. والنّادم يسقط عنه بندمه عقاب الآخرة، والمصرّ يجب عليه العقاب في الآخرة. فقال المأمون: أحسنت

يا أبا جعفر، أحسن الله إليك. فإن رأيت أن تسأل يحيى عن مسألة كما سألك. فقال أبو جعفر عليه السلام ليحيى: أسألك؟ قال: ذلك إليك ـ جعلت فداك ـ فإن عرفت جواب ما تسألني عنه، وإلّا استفدته منك. فقال له أبو جعفر عليه السلام: أخبرني عن رجل نظر إلى امرأة في أوّل النهار فكان نظره إليها حراماً، فلمّا ارتفع النّهار حلّت له، فلمّا زالت الشّمس حرمت عليه، فلمّا كان وقت العصر حلّت له، فلمّا غربت الشّمس حرمت عليه، فلمّا دخل عليه وقت عشاء الآخرة حلّت له، فلمّا كان انتصاف الليل حرمت عليه، فلمّا طلع الفجر حلّت له. ما حال هذه المرأة؟ وبماذا حلّت وحرمت عليه؟ فقال له يحيى: والله ما أهتدي إلى جواب هذا السؤال، ولا أعرف الوجه فيه، فإن رأيت أن تفيدناه. فقال عليه السلام: هذه أمة لرجل نظر إليها أجنبي في أوّل النّهار، فكان نظره إليها حراماً، فلمّا ارتفع النّهار ابتاعها من مولاها فحلّت له، فلمّا كان عند الظّهر أعتقها فحرمت عليه، فلمّا كان وقت العصر تزوّجها فحلّت له، فلمّا كان وقت المغرب ظاهر منها فحرمت عليه، فلمّا كان وقت العشاء الآخرة كفّر عن الظّهار فحلّت له، فلمّا كان نصف الليل طلّقها واحدة فحرمت عليه، فلمّا كان عند الفجر راجعها فحلّت له.

قال: فأقبل المأمون على من حضره من أهل بيته، فقال لهم: هل فيكم أحد يجيب عن هذه المسألة أو يعرف القول في ما تقدّم من السّؤال؟ قالوا: لا والله إنّ الخليفة أعلم بما رأى. فقال لهم: ويحكم إنّ أهل هذا البيت خصّوا من الخلق بما ترون من الفضل، وإنّ صغر السّنّ فيهم لا يمنعهم من الكمال، أما علمتم أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله افتتح دعوته بدعاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو ابن عشر سنين، وقبل منه الإسلام وحكم له به، ولم يدع أحداً في سنّه غيره، وبايع الحسن والحسين عليهما السلام، وهما دون ستّ سنين، ولم يبايع صبياً غيرهما؟ أفلا تعلمون الآن ما اختصّ الله به هؤلاء القوم وأنّهم ذرّيّة بعضهم من بعض، وأنّه يجري لآخرهم ما يجري لأوّلهم؟

قالوا: صدقت. ثمّ نهض القوم.

فلمّا كان من الغد حضر النّاس وحضر أبو جعفر عليه السلام، وصار القوّاد والحجّاب والخاصّة والعامّة لتهنئة المأمون وأبي جعفر عليه السلام، فأخرج ثلاثة أطباق من الفضّة فيها بنادق مسك وزعفران معجون، وفي أجواف تلك البنادق رقاع مكتوبة بأموال جزيلة وعطايا سنّية وإقطاعات، فأمر المأمون بنثرها على القوم في خاصّته. فكان كلّ من وقع في يده بندقة أخرج الرّقعة التي فيها والتمسه، وأطلق له. ووضعت البدر، فنثر ما فيها على القوّاد وغيرهم، وانصرف النّاس وهم أغنياء بالجوائز والعطايا، وتقدّم المأمون بالصّدقة على كافّة المساكين، ولم يزل مكرماً لأبي جعفر عليه السلام معظّماً لقدره مدّة حياته، يؤثره على ولده وجماعة أهل بيته[١].

وروى محمّد بن يعقوب عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه قال: استأذن على أبي جعفر عليه السلام قوم من أهل النواحي من الشّيعة، فأذن لهم، فدخلوا فسألوه في مجلس واحد عن ثلاثين ألف مسألة، فأجاب عليه السلام وله عشر سنين[٢].

وبإسناده عن أبي هاشم الجعفري قال: صلّيت مع أبي جعفر عليه السلام في مسجد المسيب، وكان فيه سدرة يابسة، فدعا بماء وتهيّأ تحت السّدرة فعاشت، وأورقت، وحملت من عامها[٣].

وروى في اسناد آخر أنّ عمر بن فرج الرّخجي خاطب الجواد عليه السلام، فقال له: أظنّك سكران؟ فقال عليه السلام: اللهمّ إن كنت تعلم أنّي أمسيت لك صائماً، فأذقه طعم الحرب، وذلّ الأسر. قال: فوالله إن ذهبت الأيّام حتّى حرب ماله وما كان

(١) الإرشاد للمفيد: ٣١٩.

(٢) الكافي للكليني ١: ٤٩٦ ح٧.

(٣) الكافي للكليني ١: ٤٩٧ ح٩، بتلخيص.

له، ثمّ أُخذ أسيراً[١].

وفي التاريخ شرح حربه في ماله وذلّ أسره؛ ففي (الطبري): غضب المتوكّل في سنة ثلاث وثلاثين ومائتين على عمر بن فرج، وحبسه وقيّده وصادره، وأخذ ضياعه وأثاثه وجواريه[٢].

وفي (مروج المسعودي): في سنة ثلاث وثلاثين ومائتين سخط المتوكّل على عمر بن فرج الرّخجي، وكان من عليّة الكتّاب، وأخذ منه مالاً وجواهر نحو مائة ألف وعشرين ألف دينار، وأخذ من أخيه نحواً من مائة ألف وخمسين ألف دينار -إلى أن قال- ثمّ غضب عليه غضبة ثانية، وأمر أن يصفع في كلّ يوم، فأحصي ما صفع فكان ستّة آلاف صفعة، وألبسه جبّة صوف، ثمّ رضي عنه، وسخط عليه ثالثة وأحدر إلى بغداد، وأقام بها حتّى مات[٣].

وفي (عمدة الطالب): إنّ الجواد عليه السلام دخل على عليّ العريضي، فقام له، وأجلسه في موضعه، ولم يتكلّم حتّى قام، فقال له أصحاب مجلسه: أتفعل هذا مع أبي جعفر وأنت عمّ أبيه؟! فضرب بيده على لحيته، وقال: إذا لم ير الله هذه الشّيبة أهلاً للإمامة، أراها أنا أهلاً للنّار[٤].

وأمّا الهادي عليه السلام فقال سبط ابن الجوزي: قال علماء السّير: أشخصه المتوكّل من المدينة إلى بغداد، لأنّ المتوكّل كان يبغض عليّاً عليه السلام وذرّيته، فبلغه مقام عليّ بن محمّد بالمدينة، وميل النّاس إليه، فخاف منه، فدعا يحيى ابن هرثمة، وقال له: اذهب إلى المدينة وانظر في حاله، وأشخصه إلينا. قال

---

(١) الكافي للكليني ١: ٤٩٧ ح١٠، بتلخيص.

(٢) تاريخ الطبري ٧: ٣٤٧ سنة ٢٣٣، والنقل بالمعنى.

(٣) مروج الذهب للمسعودي ٤: ١٩.

(٤) عمدة الطالب للسيد الحسيني: ٢٤٢، والكشي في معرفة الرجال (اختياره): ٤٢٩ ح٨٠٣.

يحيى: فذهبت إلى المدينة، فلمّا دخلتها ضجّ أهلها ضجيجاً عظيماً ما سمع النّاس بمثله خوفاً على عليّ بن محمّد، وقامت الدّنيا على ساق، لأنّه كان محسناً إليهم ملازماً للمسجد، ولم يكن عنده ميل إلى الدّنيا. قال يحيى: فجعلت أسكّنهم، وأحلف لهم أنّي لم أومر فيه بمكروه، وأنّه لا بأس عليه. ثمّ فتّشت منزله، فلم أجد فيه إلّا مصاحف وأدعية وكتب العلم، فعظم في عيني، وتوليت خدمته بنفسي، وأحسنت عشرته. فلمّا قدمت به بغداد بدأت بإسحاق بن إبراهيم الطاهري -وكان والياً على بغداد- فقال لي: يا يحيى إنّ هذا الرّجل قد ولده رسول الله صلى الله عليه وآله وأنّ المتوكّل من تعلم، وإن حرضته عليه قتله، وكان النّبيّ صلى الله عليه وآله خصمك يوم القيامة. فقلت له: والله ما وقفت منه إلّا على كلّ أمر جميل. ثمّ صرت به إلى سرّ من رأى، فبدأت بوصيف التّركي، فقال: والله لئن سقطت منه شعرة لا يطالب به سواك. فعجبت كيف وافق قوله قول إسحاق! فلمّا دخلت على المتوكّل سألني عنه، فأخبرته بحسن سيرته وورعه وزهادته، وأنّي فتّشت داره فلم أجد فيها غير المصاحف وكتب العلم، وأنّ أهل المدينة خافوا عليه. فأكرمه المتوكّل، وأنزله معه سرّ من رأى، فاتّفق مرض المتوكّل بعد ذلك، فنذر إن عوفي ليتصدّقنّ بدراهم كثيرة. فعوفي، فسأل الفقهاء عن ذلك، فلم يجد عندهم فرجاً، فبعث إليه فسأله فقال: يتصدّق بثلاثة وثمانين. فقال المتوكّل: من أين لك هذا؟ فقال: من قوله تعالى: ﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين...﴾[1] والمواطن الكثيرة هي هذه الجملة، وذلك لأنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله غزا سبعاً وعشرين غزاة وبعث خمساً وخمسين سرية، وآخر غزواته يوم حنين. فعجب المتوكّل والفقهاء من هذا الجواب، وقال له: هذا الواجب، وتصدّق أنت بما أحببت. -إلى أن قال- وقال يحيى: تذاكر الفقهاء

(١) التوبة: ٢٥.

بحضرة المتوكّل: مَن حلق رأس آدم؟ فلم يعرفوا، فقال المتوكّل: أرسلوا إلى عليّ بن محمّد. فأحضروه، فقال: حدّثني أبي عن جدّي عن أبيه عن جدّه، قال: إنّ الله تعالى أمر جبرئيل أن ينزل بياقوتة من يواقيت الجنّة، فنزل بها فمسح بها رأس آدم، فتناثر الشّعر منه، فحيث بلغ نورها صار حرماً[1].

وروى المسعودي في (مروجه) عن ابن عرفة النّحوي عن المبرد قال: قال المتوكّل لأبي الحسن عليّ بن محمّد: ما يقول ولد أبيك في العبّاس؟ قال: وما يقول ولد أبي يا أمير المؤمنين في رجل افترض الله طاعة بنيه على خلقه، وافترض طاعته على بنيه؟ قال: فأمر له بمائة ألف درهم.

وإنّما أراد أبو الحسن عليه السلام بقوله: «طاعته على بنيه» طاعة الله على بنيه، فعرّض[2].

وفيه: وقد كان سُعي بأبي الحسن عليّ بن محمّد إلى المتوكّل، وقيل له: إنّ في منزله سلاحاً وكتباً وغيرها من شيعته. فوجّه إليه ليلاً من الأتراك وغيرهم من هجم عليه في منزله على غفلة ممّن في داره، فوجده في بيت وحده مغلق عليه وعليه مدرعة من شعر، ولا بساط في البيت إلّا الرّمل والحصى، وعلى رأسه ملحفة من الصوف متوجّهاً إلى ربّه، يترنّم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد، فأُخذ على ما وجد عليه، وحمل إلى المتوكّل في جوف الليل، فمثل بين يديه، والمتوكّل يشرب وفي يده كأس، فلمّا رآه أعظمه وأجلسه إلى جنبه، ولم يكن في منزله شيء ممّا قيل فيه ولا حالة يتعلّل عليه بها، فناوله المتوكّل الكأس الّذي في يده، فقال: يا أمير المؤمنين ما خامر لحمي ودمي قطّ، فاعفني منه. فأعفاه، وقال: أنشدني شعراً أستحسنه. فقال:

---

(١) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ٣٥٩.

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٤: ١٠.

إنّي لقليل الرّواية للأشعار. فقال: لابدّ أن تنشدني. فأنشده:

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم غلب الرّجال فما أغنتهم القلل
وأُستنزلوا بعد عزّ عن معاقلهم فأُودعوا حفراً يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما قبروا أين الأسرة والتّيجان والحلل
أين الوجوه الّتي كانت منعّمة من دونها تُضرب الأستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءَلهم تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طالما أكلوا دهراً وما شربوا فأصبحوا بعد طول الأكل قد أُكلوا
وطالما عمروا دوراً لتحصنهم ففارقوا الدّور والأهلين وانتقلوا
وطالما كنزوا الأموال وادّخروا فخلّفوها على الأعداء وارتحلوا
أضحت منازلهم قفراً معطّلة وساكنوها إلى الأجداث قد رحلوا

قال: فأشفق كلّ من حضر على عليّ، وظنّ أن بادرة تبدر منه إليه. قال: والله لقد بكى المتوكّل بكاءً طويلاً حتّى بلّت دموعه لحيته، وبكى من حضره، ثمّ أمر برفع الشّراب[1].

وروى (المروج) أيضاً ما نقله (تذكرة سبط ابن الجوزي) في بعث المتوكّل يحيى بن هرثمة لإشخاصه عليه السلام وزاد بعد قوله: و «أحسنت عشرته» قال: فبينا أنا نائم يوماً من الأيّام والسّماء صاحية والشمس طالعة، إذ ركب وعليه ممطر، وقد عقد ذنب دابته فعجبت من فعله، فلم يكن بعد ذلك إلّا هنيهة حتّى جاءت سحابة، فأرخت عزاليها ونالنا من المطر أمر عظيم جدّاً، فالتفت إليّ وقال: أنا أعلم أنك أنكرت ما رأيت، وتوهمت أنّي علمت من الأمر ما لا تعلمه، وليس ذلك كما ظننت، ولكن نشأت بالبادية فأنا أعرف الرّياح الّتي يكون في عقبها المطر. فلمّا أصبحت هبّت ريح لا تخلف،

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٤: ١١.

وشممت منها رائحة المطر فتأهبت[١].

وروت الشّيعة الخبر بطريق آخر؛ فروى الرّاوندي في (خرائجه) عن يحيى قال: دعاني المتوكّل، فقال لي: اختر ثلاثمائة رجل ممّن تريد، واخرجوا إلى الكوفة فخلّفوا أثقالكم فيها، واخرجوا على طريق البادية إلى المدينة، وأحضروا عليّ بن محمّد بن الرّضا إليّ معظّماً مبجّلاً، ففعلت وخرجت، وكان من أصحابي قائد من الشّراة، وكاتب يتشيّع، وأنا على مذهب الحشوية، وكان ذلك الشّاري يناظر الكاتب، وكنت أستريح إلى مناظرتهما لقطع الطّريق.

فلمّا انتصف المسافة قال الشّاري للكاتب: أليس من قول صاحبكم ـ يعني عليّاً عليه السلام ـ: إنّه ليس بقعة من الأرض إلّا وهي قبر أو ستكون قبراً. انظر إلى هذه البرّية، أين من يموت في هذه البريّة العظيمة، حتّى تمتلي قبوراً؟ وتضاحكنا ساعة من كلام الشّاري إذ انخذل الكاتب في أيدينا، ثمّ سرنا حتّى دخلنا المدينة، فقصدت باب أبي الحسن، ودخلت عليه فقرأ كتاب المتوكّل وقال: انزلوا وليس من جهتي خلاف. فلمّا صرت إليه من الغد، وكنّا في تموز أشدّ ما يكون من الحرّ، فإذا بين يديه خيّاط، وهو يقطع من ثياب غلاظ الخفاتين له ولغلمانه ـ إلى أن قال ـ فسرنا حتّى صرنا إلى موضع المناظرة في القبور ارتفعت سحابة وأرعدت وأبرقت، حتّى إذا صارت على رؤوسنا، أرسلت علينا برداً مثل الصّخور، وقد شدّ أبو الحسن على نفسه، وعلى غلمانه الخفاتين، ولبسوا اللّبابيد والبرانس، وقال لغلمانه: ادفعوا إلى يحيى لبّادة، وإلى الكاتب برنساً، وتجمعنا والبرد يأخذنا حتّى قتل من أصحابي ثمانين رجلاً، وزالت السّحابة، ورجع الحرّ كما كان، فقال: يا يحيى مر من بقي من أصحابك ليدفن من قد مات، ثمّ قال: هكذا يملأ الله البريّة قبوراً. قال: فرميت

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٤: ٨٤.

نفسي عن دابّتي وعدوت، فقبّلت ركابه ورجله، وقلت: أشهد أنّكم خلفاء الله...[١].

وقال المسعودي في (مروجه) أيضاً: قد ذكرنا خبر عليّ بن محمّد مع زينب الكذّابة بحضرة المتوكّل، ونزوله عليه السلام إلى بركة السّباع، وتذللها له، ورجوع زينب عمّا ادّعته من أنّها ابنة الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، وأنّ الله تعالى أطال عمرها إلى ذلك الوقت، في كتابنا (أخبار الزّمان)[٢].

وقال فيه: حدّثني محمّد بن فرج قال: حدّثني أبو دعامة قال: أتيت عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى عائداً في علّته الّتي كانت وفاته منها في هذه السّنة، فلمّا هممت بالانصراف، قال لي: يا أبا دعامة قد وجب حقّك أفلا أُحدّثك بحديث تسرّ به؟ فقلت له: ما أحوجني إلى ذلك يابن رسول الله؟ قال: حدّثني أبي محمّد بن عليّ، قال: حدّثني أبي عليّ بن موسى، قال: حدّثني أبي موسى بن جعفر، قال: حدّثني أبي جعفر بن محمّد، قال: حدّثني أبي محمد بن علي، قال: حدّثني أبي عليّ بن الحسين، قال: حدّثني أبي الحسين ابن عليّ، قال: حدّثني أبي عليّ بن أبي طالب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اكتب يا علي. قلت: وما أكتب؟ قال لي: اكتب: بسم الله الرّحمن الرّحيم الإيمان ما وقّرته القلوب، وصدّقته الأعمال، والإسلام ما جرى به اللسان، وحلّت به المناكحة» قال أبو دعامة. فقلت: يابن رسول الله، ما أدري والله أيّهما أحسن، الحديث أم الاسناد؟ فقال: إنّها لصحيفة بخطّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله نتوارثها صاغراً عن كابر[٣].

وقال محمّد بن محمّد بن النّعمان المفيد في (إرشاده): روى الحسين بن

(١) الخرائج للراوندي، عنه البحار ٥٠: ١٤٢ ح٢٧.

(٢ و ٣) مروج الذهب للمسعودي ٤: ٨٥، ٨٦.

الحسن الحسني، قال: حدّثني أبو الطيّب يعقوب بن ياسر، قال: كان المتوكّل يقول: ويحكم قد أعياني أمر ابن الرضا، وجهدت أن يشرب معي، وأن ينادمني، فامتنع، وجهدت أن أجد فرصة في هذا المعنى، فلم أجدها. فقال له بعض من حضر: إن لم تجد من ابن الرّضا ما تريده من هذا الحالة، فهذا أخوه موسى قصّاف عزّاف يأكل ويشرب، ويتعشّق ويتخالع فأحضره وأشهره، فإنّ الخبر يشيع عن ابن الرّضا بذلك، فلا يفرّق النّاس بينه وبين أخيه، ومن عرفه اتّهم أخاه بمثل فعاله. فقال: اكتبوا بإشخاصه مكرّماً. فأُشخص مكرماً، فتقدّم المتوكّل أن يلقاه جميع بني هاشم، والقوّاد، وسائر النّاس، وعمل على أنّه إذا وافى أقطعه قطيعة، وبنى له فيها، وحوّل إليها الخمّارين والقيان، وتقدّم بصلته وبرّه، وأفرد له منزلاً سريّاً يصلح أن يزوره هو فيه. فلما وافى موسى تلقّاه أبو الحسن عليه السلام في قنطرة وصيف ـوهو موضع يتلقّى فيه القادمون ـ فسلّم عليه ووفّاه حقّه، ثمّ قال له: إنّ هذا الرّجل قد أحضرك ليهتكك، ويضع منك، فلا تقرّ له أنّك شربت نبيذاً قطّ، واتّق الله يا أخي أن ترتكب محظوراً. فقال له موسى: وإنّما دعاني لهذا، فما حيلتي؟ قال: فلا تضع من قدرك، ولا تعص ربّك، ولا تفعل ما يشينك، فما غرضه إلّا هتكك. فأبى عليه موسى، فكرّر عليه أبو الحسن عليه السلام القول والوعظ، وهو مقيم على خلافه، فلمّا رأى أنّه لا يجيب، قال: أما إنّ المجلس الّذي تريد الاجتماع معه عليه لا تجتمع عليه أنت وهو أبداً. قال: فأقام موسى ثلاث سنين يبكّر كلّ يوم إلى باب المتوكّل، فيقال له: قد تشاغل اليوم. فيروح ويبكر، فيقال له: قد سكر. فيبكر، فيقال له: قد شرب دواء. فمازال على هذا ثلاث سنين حتّى قتل المتوكّل ولم يجتمع معه على شراب[1].

وأمّا الحسن العسكري عليه السلام، فروى محمّد بن يعقوب الكليني عن

---

(١) الإرشاد للمفيد: ٣٣١.

الحسن بن محمّد الأشعري، ومحمّد بن يحيى العطّار، وغيرهما، وروى محمّد بن عليّ بن بابويه القمي بأسناده عن سعد بن عبد الله القمي، وروى محمّد بن الحسن الطوسي بأسناده عن عبد الله بن جعفر الحميري عن جماعة من آل سعد بن مالك، وآل طلحة قالوا: كان أحمد بن عبيد الله بن خاقان على الضّياع والخراج بقم، فجرى في مجلسه يوماً ذكر العلوية ومذاهبهم ـ وكان شديد النّصب والانحراف عن أهل البيت عليهم السلام ـ فقال: ما رأيت ولا عرفت بسرّ من رأى رجلاً من العلويّة مثل الحسن بن علي بن محمّد بن عليّ الرّضا في هديه وسكونه، وعفافه ونبله، وكبرته عند أهل بيته، وبني هاشم، وتقديمهم إيّاه على ذوي السّنّ منهم والخطر، وكذلك كانت حاله عند القوّاد والوزراء، وعامّة الناس، فأذكر يوماً أنّي كنت قائماً على رأس أبي، وهو يوم مجلسه للنّاس إذ دخل حجّابه، فقالوا: أبو محمّد بن الرّضا بالباب. فقال بصوت عال: ائذنوا له. فتعجّبت من جسارتهم أن يكنّوا رجلاً بحضرة أبي، ولم يكن يكنّى عنده إلّا خليفة أو ولي عهد، أو من أمر السلطان أن يكنّى، فدخل رجل أسمر حسن القامة، جميل الوجه، جيّد البدن، حديث السّنّ له جلالة وهيئة حسنة، فلما نظر إليه أبي قام فمشى إليه خطى، ولا أعلمه فعل هذا بأحد من بني هاشم والقوّاد، فلمّا دنا منه عانقه، وقبل وجهه وصدره، وأخذ بيده، وأجلسه على مصلّاه الّذي كان عليه، وجلس إلى جنبه، مقبلاً عليه بوجهه، وجعل يكلّمه ويفديه بنفسه، وأنا متعجّب ممّا أرى منه إذ دخل الحاجب فقال: الموفّق قد جاء. ـوكان الموفّق إذا دخل على أبي تقدّمه حجّابه وخاصّة قوّاده، فقاموا بين مجلس أبي وبين باب الدّار سماطين إلى أن يدخل ويخرج ـ فلم يزل أبي مقبلاً عليه يحدّثه حتّى إذا نظر إلى غلمان الخاصّة فقال حينئذ له: «إذا شئت جعلني الله فداك»، ثمّ قال: خذوا به خلف السّماطين لا يراه هذا ـيعني الموفّق ـ فقام وقام أبي، فعانقه ومضى.

فقلت لحجّاب أبي وغلمانه: ويحكم من هذا الّذي كنّيتموه بحضرة أبي وفعل به أبي هذا الفعل؟ فقالوا: هذا علوي يقال له: الحسن بن عليّ يعرف بابن الرّضا. فازددت تعجّباً، ولم أزل يومي ذلك قلقاً متفكّراً في أمره وأمر أبي، وما رأيته منه حتّى كان الليل وكانت عادته أن يصلّي العتمة، ثمّ يجلس فينظر في ما يحتاج إليه من المؤامرات، وما يرفعه إلى السلطان، فلمّا صلّى وجلس جئت وجلست بين يديه، وليس عنده أحد، فقال لي: يا أحمد ألك حاجة؟ فقلت: نعم يا أبه، فإن أذنت، سألتك؟ قال: أذنت. قلت: من الرّجل الّذي رأيتك بالغداة فعلت به من الإجلال والكرامة والتبجيل، وفديته بنفسك وأبويك؟ فقال: ذاك إمام الرّافضة: الحسن بن عليّ المعروف بابن الرّضا. ثمّ سكت ساعة وأنا ساكت، ثمّ قال: يا بني لو زالت الإمامة عن خلفاء بني العبّاس ما استحقّها أحد من بني هاشم غيره، لفضله وعفافه وصيانته وزهده وعبادته وجميل أخلاقه وصلاحه، ولو رأيت أباه، رأيت رجلاً جزلاً نبيلاً فاضلاً.

قال: فازددت قلقاً وتفكّراً وغيظاً على أبي، وما سمعته منه فيه، ورأيت من فعله به، فلم يكن لي همّة بعد ذلك إلّا السؤال عن خبره، والبحث عن أمره، فما سألت أحداً من بني هاشم والقوّاد، والكتّاب، والقضاة، والفقهاء، وسائر الناس، إلّا وجدته عندهم في غاية الإجلال والإعظام، والمحل الرّفيع، والقول الجميل، والتّقديم له على جميع أهل بيته ومشائخه، فعظم قدره عندي إذ لم أر له وليّاً ولا عدوّاً إلّا وهو يحسن القول فيه والثّناء عليه. فقال له بعض من حضر مجلسه من الأشعريين: فما خبر أخيه جعفر، وكيف كان منه في المحلّ؟ فقال: ومن جعفر حتّى يسأل عن خبره أو يقرن بالحسن؟ جعفر معلن بالفسق، وفاجر شرّيب للخمور، أقل من رأيته من الرّجال، وأهتكهم لنفسه، خفيف قليل في نفسه، ولقد ورد على السّلطان وأصحابه في وقت وفاة الحسن ما تعجّبت منه، وما ظننت أنّه يكون، وذلك أنّه لمّا اعتلّ الحسن بعث

إلى أبي: أنّ ابن الرّضا قد اعتلّ. فركب من ساعته إلى دار الخلافة، ثمّ رجع مستعجلاً ومعه خمسة من خدم أمير المؤمنين، كلّهم من ثقاته وخاصّته فيهم نحرير، وأمرهم بلزوم دار الحسن، وتعرّف خبره وحاله، وبعث إلى نفر من المتطبّبين، فأمرهم بالاختلاف إليه، وتعاهده صباحاً ومساء، فلمّا كان بعد ذلك بيومين أُخبر أنّه قد ضعف، فأمر المتطبّبين بلزوم داره، وبعث إلى قاضي القضاة، فأحضره مجلسه، وأمره أن يختار عشرة ممّن يوثق به في دينه وورعه وأمانته، فبعث بهم إلى دار الحسن وأمرهم بلزومه ليلاً ونهاراً، فلم يزالوا هنالك حتّى توفّي، فلمّا ذاع خبر وفاته صارت سرّ من رأى ضجّة واحدة، فبعث السلطان إلى داره من فتّشها وفتّش حجرها، وختم على جميع ما فيها، وطلبوا أثر ولده وجاؤوا بنساء يعرفن الحمل، فدخلن على جواريه ينظرون إليهنّ، فذكر بعضهنّ انّ هناك جارية بها حمل، فجعلت في حجرة، ووكّل بها نحرير الخادم وأصحابه ونسوة معهم.

ثمّ أخذوا بعد ذلك في تهيئته، وعطّلت الأسواق وركب بنو هاشم، والقوّاد، والكتّاب، والقضاة، والمعدّلون، وسائر النّاس إلى جنازته، فكانت سرّ من رأى يومئذ شبيهاً بالقيامة، فلمّا فرغوا من تهيئته، بعث السّلطان إلى أبي عيسى ابن المتوكّل فأمره بالصّلاة عليه، فلمّا وضعت الجنازة للصّلاة دنا أبو عيسى منه فكشف عن وجهه، فعرضه على بني هاشم من العلويّة والعبّاسية، والقوّاد، والكتّاب، والقضاة، والمعدّلين وقال: «هذا الحسن بن عليّ بن محمّد بن الرّضا مات حتف أنفه على فراشه، وحضره من خدم أمير المؤمنين وثقاته فلان وفلان، ومن القضاة فلان وفلان، ومن المتطبّبين فلان وفلان»، ثمّ غطى وجهه، وصلّى عليه، وأمر بحمله، فحمل من وسط داره، فدفن في البيت الّذي دفن فيه أبوه. فلمّا دفن أخذ السّلطان النّاس في طلب ولده، وكثر التفتيش في المنازل والدّور، وتوقّفوا عن قسمة ميراثه، ولم يزل الّذين وكّلوا

بحفظ الجارية الّتي توهّم عليها الحمل حتّى توهّم بطلان الحمل، فلمّا بطل الحمل عنهنّ قسّم ميراثه بين أمّه وأخيه جعفر، وادّعت أمّه وصيّته، وثبت ذلك عند القاضي فجاء جعفر أخوه بعد ذلك إلى أبي، فقال: اجعل لي مرتبة أخي، وأنا أوصل إليك في كلّ سنة عشرين ألف دينار، فزبره أبي وأسمعه ما كره، وقال له: يا أحمق إنّ السّلطان جرّد سيفه في الّذين زعموا أنّ أباك وأخاك أئمة، ليردّهم عن ذلك فلم يتهيّأ له ذلك، فإن كنت عند شيعة أبيك وأخيك إماماً، فلا حاجة بك إلى السلطان يرتّبك مراتبهم، ولا غير سلطان، وإن لم تكن عندهم بتلك المنزلة لم تنلها بنا. فاستقلّه أبي عند ذلك واستضعفه، وأمر أن يحجب، فلم يأذن له في الدّخول حتّى مات أبي، وخرجنا وهو على تلك الحال، والسّلطان يطلب أثر ولد الحسن إلى اليوم، وهو لا يجد إلى ذلك سبيلاً وشيعته مقيمون على أنّه مات، وخلّف ولداً يقوم مقامه في الإمامة[١].

وروى محمّد بن يعقوب عن عليّ بن محمّد عن محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن موسى بن جعفر عن عليّ بن عبد الغفّار قال: دخل العبّاسيون وصالح بن عليّ، وغيره من المنحرفين عن هذه النّاحية على صالح بن وصيف عندما حبس أبا محمّد عليه السلام، فقال لهم صالح: وما أصنع قد وكّلت به رجلين أشرّ ما قدرت عليه، فقد صارا من العبادة والصّلاة والصّيام إلى أمر عظيم، فقلت لهما: ما فيه؟ فقالا: ما نقول في رجل يصوم النّهار، ويقوم الليل كلّه لا يتكلّم، ولا يتشاغل، وإذا نظرنا إليه ارتعدت فرائصنا، فيداخلنا ما لا

(١) أخرجه الكليني مسنداً في الكافي ١: ٥٠٣ ح١، ورواه الفتال مجرداً في الروضة ١: ٢٤٩، كلاهما عن الحسن بن محمد الأشعري ومحمد بن يحيى وغيرهما، ورواه عن طريق الكليني أيضاً المفيد مسنداً في الارشاد: ٣٣٨، والطبرسي مجرداً في أعلام الورى: ٣٧٦، وأخرجه ابن بابويه الصدوق مسنداً في كمال الدين: ٤٠، والطوسي مسنداً مختصراً في الغيبة: ١٣١، كلاهما عن سعد بن عبد الله القمي، ورواه الطوسي مسنداً اشارة في الفهرست: ٣٥، ومجرداً اشارة في رجاله: ٤٤٨ عن عبد الله بن جعفر الحميري، ورواه اشارة بلا اسناد النجاشي في الفهرست: ٦٤.

نملكه من أنفسنا؟ فلمّا سمعوا ذلك انصرفوا خائبين[1].

وعنه: عن أبي عليّ محمّد بن عليّ بن إبراهيم عن أحمد بن الحرث القزويني، قال: كنت مع أبي بسرّ من رأى، وكان أبي يتعاطى البيطرة في مربط أبي محمّد عليه السلام، وكان عند المستعين بغل لم ير مثله حسناً وكبراً، وكان يمنع ظهره اللجام والسّرج، وقد كان جمع عليه الرّائضة فلم تكن له حيلة في ركوبه، فقال له بعض ندمائه: ألا تبعث إلى الحسن بن عليّ بن الرّضا حتّى يجيء، فإمّا أن يركبه، وإمّا أن يقتله فتستريح منه؟ فبعث إليه عليه السلام ومضى أبي معه. قال أبي: لمّا دخل الدّار كنت معه، فنظر إلى البغل واقفاً في صحن الدّار، فعدل إليه، فوضع يده على كفله فنظرت إلى البغل وقد عرق حتّى سال العرق منه، ثمّ سار إلى المستعين فسلّم عليه فرحّب به، فقال: يا أبا محمّد ألجم هذا البغل. فقال لأبي: ألجمه يا غلام. فقال المستعين: ألجمه أنت. فوضع طيلسانه، ثمّ قام فألجمه ثمّ رجع إلى مجلسه، وقعد. فقال له: يا أبا محمّد أسرجه. فقال لأبي: يا غلام أسرجه. فقال: أسرجه أنت. فقام ثانية فأسرجه، ورجع. فقال له: ترى أن تركبه؟ فقال: نعم. فركبه من غير أن يمتنع عليه، ثمّ ركضه في الدّار، ثمّ حمله على الهملجة فمشى أحسن مشي يكون، ثمّ رجع فنزل، فقال له المستعين: كيف رأيته؟ قال: ما رأيت مثله حسناً وفراهة، وما يصلح أن يكون مثله إلّا لأمير المؤمنين. فقال: يا أبا محمّد فإنّ أمير المؤمنين قد حملك عليه، فقال عليه السلام لأبي: خذه يا غلام. فأخذه أبي فقاده[2].

وعنه: عن محمّد بن إبراهيم المعروف بابن الكردي عن محمّد بن عليّ بن إبراهيم بن موسى بن جعفر قال: ضاق بنا الأمر، فقال لي أبي: امض بنا

---

(١) الكافي للكليني ١: ٥١٢ ح٢٣.

(٢) الكافي للكليني ١: ٥٠٧ ح٤.

حتّى نصير إلى هذا الرّجل ـ يعني: أبا محمّد ـ فإنّه قد وصف لي عنه سماحة. فقلت: تعرفه؟ فقال: ما أعرفه ولا رأيته قط. فقصدناه، فقال لي أبي ـ وهو في طريقه ـ: ما أحوجنا أن يأمر لنا بخمسمائة درهم: مائتان للكسوة، ومائتان للدقيق، ومائة للنفقة! قال: وقلت في نفسي: ليته أمر لي بثلاثمائة درهم اشتري بمائة حماراً، ومائة للنفقة، ومائة للكسوة، وأخرج إلى الجبل. فلمّا وافينا الباب خرج إلينا غلامه. فقال: يدخل عليّ بن إبراهيم ومحمّد ابنه. فلمّا دخلنا عليه وسلّمنا، قال لأبي: ما خلّفك عنّا إلى هذا الوقت؟ فقال: يا سيّدي استحييت أن ألقاك على هذه الحال. فلمّا خرجنا من عنده جاءنا غلامه، فناول أبي صرّة، فقال: هذه خمسمائة درهم: مائتان للكسوة، ومائتان للدّقيق، ومائة للنفقة. وأعطاني صرّة، فقال: هذه ثلاثمائة درهم، اجعل مائة في ثمن حمار، ومائة للكسوة، ومائة للنفقة، ولا تخرج إلى الجبل، وصر إلى سوراء. فصار إلى سوراء وتزوّج بامرأة ودخله اليوم ألف دينار، ومع هذا يقول بالوقف. قال محمّد بن إبراهيم: فقلت له: ويحك أتريد أمراً أبين من هذا؟ فقال: هذا أمر قد جرينا عليه[1].

وعنه: عن إسحاق بن محمّد النخعي قال: حدّثني إسماعيل بن محمّد بن عليّ بن إسماعيل بن علي بن عبد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب قال: قعدت لأبي محمّد على ظهر الطريق، فلما مرّ بي شكوت إليه الحاجة، وحلفت أنّه ليس عندي درهم فما فوقه، ولا غداء ولا عشاء. فقال: تحلف بالله كاذباً، وقد دفنت مائتي دينار، وليس قولي هذا دفعاً لك عن العطيّة، أعطه يا غلام ما معك. فأعطاني غلامه مائة دينار، ثمّ أقبل عليّ فقال: إنّك تحرمها أحوج ما تكون إليها ـ يعني الدّنانير التي دفنت ـ وصدق وكان كما قال، دفنت مائتي دينار، وقلت:

---

(١) الكافي للكليني ١: ٥٠٦ و ٥٠٩ ح ٣ و ١٤.

يكون ظهراً وكهفاً لنا. فاضطررت ضرورة شديدة إلى شيء أنفقه، وانغلقت عليّ أبواب الرّزق، فنبشت عنها، فإذا ابن لي قد عرف موضعها، فأخذها وهرب، فما قدرت منها على شيء[1].

وأمّا الحجّة بن الحسن المهدي القائم ـ صلوات الله عليه وعلى آبائه ـ فأخبار العامّة به عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام متواترة كروايات الخاصّة عنهما، وعن باقي الأئمّة عليهم السلام حتّى صنّف جمع من العامّة فيه، كأبي نعيم الاصبهاني والكنجي الشافعي، وأبي صالح السّليلي، وزكريّا بن يحيى، ونعيم بن حمّاد، وجمع آخر.

ولتواتر الخبر بالمهدي ضلّت الكيسانيّة في محمّد بن الحنفيّة، فتوهمّوا أنّه القائم الّذي يغيب، ثم يظهر وأنّه غاب في شعب جبل رضوى فقال كثير عزة ـ وكان كيسانياً ـ مشيراً إليه:

وسبط لا يذوق الموت حتّى ... تقود الخيل يقدمها اللواء

وقال السيد الحميري وقت كيسانيّته:

ألا قل للامام فدتك نفسي ... أطلت بذلك الجبل المقاما
أضرّ بمعشر والوك منّا ... وسمّوك الخليفة والإماما
وعدّوا أهل هذي الأرض طرّاً ... مقامك فيهمُ ستّين عاماً
وما ذاق ابن خولة طعم موت ... ولا وارت له أرض عظاما
لقد أمسى بمورق شعب رضوى ... تراجعه الملائكة الكراما

وقال أيضاً:

يا شعب رضوى مالمن بك لا يرى ... وبنا إليه من الصّبابة أشوق
حتّى متى وإلى متى وكم الّذي ... يابن الوصيّ وأنت حيّ ترزق

(١) الكافي للكليني ١: ٥٠٦ و ٥٠٩ ح ٣ و ١٤.

ثمّ ضلّ جمع في محمّد بن عبد الله بن الحسن الّذي قتله المنصور؛ قال أبو الفرج: كان أهل بيته يسمّونه المهدي، ويقدّرون أنّه الّذي جاءت فيه الرّواية، حتّى لم يشك أحد أنّه المهدي، وشاع ذلك له في العامّة، وبايعه رجال من بني هاشم جميعاً، من آل أبي طالب وآل العبّاس، وساير بني هاشم، ثمّ ظهر من جعفر بن محمّد عليه السلام قول في أنّه لا يملك، وأنّ الملك يكون في بني العبّاس، فانتبهوا من ذلك لأمر لم يكونوا يطمعون فيه[1].

وممّن قال بقائميّته المغيرة بن سعيد وأصحابه، وزادوا له في حديث النّبيّ صلى الله عليه وآله المتواتر: «لا تذهب الدّنيا حتّى يبعث الله رجلاً من أهل بيتي يواطي اسمه اسمي حتّى يملأها قسطاً»[2] فقرة: «واسم أبيه اسم أبي»[3] حتّى ينطبق عليه، ووضعوا له خبراً بأنّ اسم أُمّه على ثلاثة أحرف أوّلها هاء، وآخرها دال[4]؛ لكون اسم أمّه هنداً.

ولتواتر الخبر بالمهدي وبعلاماته كان يعرفه خلفاء بني أُمية؛ فروى أبو الفرج أنّه قيل لمروان بن محمّد: إنّ محمّد بن عبد الله يدّعي هذا الأمر، ويتسمّى بالمهدي فقال: مالي وله، ما هو به ولا من أبيه، وإنّه لابن أُمّ ولد. ولم يهجه مروان حتّى قتل[5].

ولتواتر الخبر بالمهدي، ادّعى المنصور ذلك بعد خلافته في ابنه فسمّاه المهدي، وكان اسم المنصور نفسه عبد الله، فلمّا زادوا لمحمّد بن عبد الله

---

(١) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج: ١٥٧، بتقطيع.

(٢ و ٣) هذا حديث رزين جيش عن عبد الله بن مسعود عن النّبيّ صلى الله عليه وآله، يحضرني ثلاثة وستون من أسانيده، منها ما أخرجه أبو داود بخمس طرق في سننه ٤: ١٠٦ ح ٤٢٨٢، والترمذي بطريقين في سننه ٤: ٥٠٥ ح ٢٢٣٠ و ٢٢٣١ توجد فقرة: «اسم أبيه اسم أبي» في تسعة عشر منها.

(٤) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج: ١٥٨.

(٥) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج: ١٦٢.

المحض في حديث النّبيّ صلى الله عليه وآله. «واسم أبيه اسم أبي» أراد تطبيق ذلك على ابنه ذاك، فكتب إلى الآفاق في أخذ البيعة لابنه ما لفظه: «فإنّ اسم المهديّ محمّد ابن أمير المؤمنين، واسم أبيه اسم أبيه» وهو يعلم بطلان ادعائه كبطلان ادعاء محمّد بن عبد الله المحض.

فروى أبو الفرج: أنّ المنصور أرسل مولى له إلى مجلس محمّد بن عبد الله يسمع ما يقول على المنبر، فسمعه يقول: إنّكم لا تشكّون أنّي أنا المهديّ. فأُخبر المنصور بذلك، فقال: كذب بل المهدي ابني[1].

وروي عن مسلم بن قتيبة قال: قال المنصور لي: قد خرج محمّد بن عبد الله، وتسمّى بالمهدي، ووالله ما هو به. وأُخرى أقولها لك لم أقلها لأحد قبلك، ولا أقولها لأحد بعدك: وابني والله ما هو بالمهدي الّذي جاءت به الرّواية، ولكنّي تيمّنت به وتفألت به[2].

وكان ابنه جعفر يستهزئ بأبيه في تسمية أخيه المهدي بما أجلّ الكتاب عن ذكره.

وكان المنصور يعلم أصله الصّحيح الّذي تقوله الإمامية أخذاً عن المعصومين عليهم السلام، لسماعه ذلك عن الباقر عليه السلام؛ فروى محمّد بن محمّد بن النّعمان المفيد في (إرشاده) بأسناده عن سيف بن عميرة قال: كنت عند المنصور، فقال لي ابتداء: يا سيف لابد من مناد ينادي من السّماء باسم رجل من ولد أبي طالب ـ إلى أن قال ـ يا سيف لولا أنّني سمعت من أبي جعفر محمّد بن عليّ يحدّثني به، وحدّثني به أهل الأرض كلّهم ما قبلته منهم، ولكنّه محمّد بن عليّ[3].

---

(١) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج: ١٦٧، بتلخيص.

(٢) المقاتل لأبي الفرج: ١٦٦.

(٣) الإرشاد للمفيد: ٣٥٨.

ولما قلنا عن تواتر الخبر بالمهديّ ادّعت الأُمويّة ذلك لسليمان بن عبد الملك؛ قال الجاحظ في كتابه (مفاخرات هاشم وأُمية): قالت أُميّة ومنّا سليمان كان جواداً خطيباً جميلاً صاحب سلامة ودعة وحبّ للعافية، وقرب من النّاس حتّى سمّي المهدي، وقيلت الأشعار في ذلك[1].

وكذلك لتواتر الخبر به ادّعاه أوّل ملوك العلويّة ملوك إفريقية، فتسمّى بالمهديّ وهو ـ إن صحّ نسبه ـ عبيد الله بن محمّد بن عبد الله بن ميمون بن إسماعيل بن جعفر الصّادق عليه السلام؛ قال الجزري في (كامله): دولته دولة اتسعت أكناف مملكتها، وطالت مدّتها، ملكت إفريقية في سنة (٢٩٦)، وانقرضت بمصر سنة (٥٦٧) ـ إلى أن قال ـ وفي سنة (٣٠٣) خرج المهدي بنفسه إلى تونس وقرطاجنة وغيرهما يرتاد موضعاً على ساحل البحر يتّخذ فيه مدينة، وكان يجد في الكتب خروج أبي يزيد على دولته، ومن أجله بنى المهديّة، فلم يجد موضعاً أحسن ولا أحصن من موضع المهدية، وهي: جزيرة متّصلة بالبرّ كهيئة كف متّصل بزند، فبناها وجعلها دار ملكه، وجعل لها سوراً محكماً وأبواباً عظيمة، وزن كل مصراع مائة قنطار، فلمّا ارتفع السّور، أمر رامياً يرمي بالقوس سهماً إلى ناحية المغرب، فرمى سهمه فانتهى إلى موضع المصلّى، فقال: إلى موضع هذا يصل صاحب الحمار ـ يعني أبا يزيد الخارجي لأنّه كان يركب حماراً ـ وأمر أن ينقر دار صناعته في الجبل، حتّى تسع مائتي شيني وعليها باب مغلق، ونقر في أرضها أهراء للطّعام، ومصانع للماء، وبنى فيها القصور والدّور. فلمّا فرغ منها، قال: اليوم أمنت على الفاطميّات ـ يعني بناته ـ. ولمّا رأى إعجاب النّاس بها، قال: هذه لساعة من نهار. وكان كذلك، لأنّ

---

(١) رواه الجاحظ في مفاخرات هاشم وأُمية عنه شرح ابن أبي الحديد ٣: ٤٨٦، شرح الكتاب ٢٨.

أبا يزيد وصل إلى موضع السّهم، ووقف فيه ساعة، وعاد ولم يظفر[١].

وإليه أشار النّعماني في (غيبته) في ردّ المدّعين له المهدويّة فقال ـ بعد ذكر أخبار في ملبس القائم عليه السلام، ومطعمه، وأعماله، وصفة أصحابه، وإمداد الملائكة له ـ: فتأمّلوا، يا من وهب الله له بصيرة وعقلاً، وفتحه تمييزاً ولباً، هذا الّذي قد جاء من الرّوايات في صفة القائم عليه السلام وسيرته وما خصّه الله تعالى به من الفضل، وما يؤيّده الله به من الملائكة، وما يلزمه نفسه عليه السلام من خشونة الملبس، وجشوبة المطعم، واتعاب النّفس والبدن في طاعة الله تعالى والجهاد في سبيله، وغسل الظلم والجور والطغيان وبسط الإنصاف والعدل والإحسان، وصفة من معه في أصحابه الّذين جاءت الرّوايات بعدّتهم وهم (٣١٣) رجلاً، وأنّهم حكّام الأرض وعمّاله عليها، وبهم يفتح شرق الأرض وغربها مع من يؤيّده الله به من الملائكة ـ إلى أن قال ـ فتأمّلوا بعد هذا ما يدّعيه المبطلون، ويفتخر به الطّائفة البائنة المبتدعة من أنّ الّذي هذا وصفه، وهذه حالة ومنزلته من الله ـ جلّ وعزّ ـ هو صاحبهم الّذين يدّعون له بحيث هو في أربعمائة ألف عنان، وأنّ في داره أربعة آلاف خادم رومي وصقالبي، وانظروا هل سمعتم ورويتم لو بلغكم عن النّبيّ صلى الله عليه وآله وعن الأئمة الطّاهرين عليهم السلام أنّ القائم بالحقّ هذه صفته الّتي يصفونه بها، وأنّه يظهر، ويقوم بعد ظهوره بحيث هو في هذه السّنين الطويلة، وهو في هذه العدّة العظيمة ينافقه أبو يزيد الأُموي، فمرّة يظهر عليه ويهزمه، ومرّة يظهر هو على أبي يزيد، ويقيم بعد ظهوره وقوّته وانتشار أمره بالمغرب، والدّنيا هي على ما هي عليه؟...»[٢].

---

(١) الكامل لابن الأثير ٨: ٣٤ و ٩٤ سنة ٢٩٦، ٣٠٣ والنقل بتصرف يسير.

(٢) الغيبة للنعماني: ١٦٢.

ولكون الأخبار بالمهديّ بتلك المثابة، ادعته الناووسية للصّادق عليه السلام والواقفية للكاظم عليه السلام والإسماعيلية لإسماعيل بن جعفر.

ومن علاماته المحتومة المتواترة ظهور السفياني، حتّى إنّ عليّ بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية، الّذي خرج أيّام الأمين وغلب على دمشق، كان يدّعي أنّه السفياني المعهود، ويشهد لشهرته أنّ جمعاً زعموا أنّ خالد بن يزيد بن معاوية وضع ذكر السّفياني حين غلبه مروان على الملك. ذكر ذلك (نسب قريش مصعب)[1].

وروى (تذكرة سبط ابن الجوزي) عن ابن عمر، قال: قال النّبيّ صلى الله عليه وآله: «يخرج في آخر زمان رجل من ولدي اسمه كاسمي، وكنيته ككنيتي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً»، وقال: هذا حديث مشهور، وقد أخرج أبو داود والزّهري عن عليّ عليه السلام بمعناه، وفيه: «لو لم يبق من الدّهر إلّا يوم واحد لبعث الله من أهل بيتي من يملأ الأرض عدلاً» قال: وذكره في روايات كثيرة[2].

وفيه: قال السّدي: يجتمع المهديّ وعيسى بن مريم، فيجيء وقت الصلاة، فيقول المهدي لعيسى: تقدّم. فيقول عيسى: أنت أولى بالصلاة. فيصلّي عيسى وراءه مأموماً[3].

وفيه: وعامّة الإمامية على أن الخلف الحجّة موجود، وأنّه حيّ يرزق ويحتجّون على حياته بأدلّة: منها أنّ جماعة طالت أعمارهم كالخضر والياس، فإنّه لا يدرى كم لهما من السّنين، وأنّهما يجتمعان كلّ سنة، ويأخذ هذا من شعر هذا، وهذا من شعر هذا؛ وفي التوراة: أنّ ذا القرنين عاش ثلاثة آلاف

---

(١) نسب قريش للزبيري: ١٢٩، ١٣١، والنقل بالمعنى.

(٢) رواه سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص: ٣٦٣، وأخرجه أبو داود في سننه ٤: ١٠٧ ح٤٢٨٣.

(٣) رواه سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص: ٣٦٤.

سنة. والمسلمون يقولون: ألفا وخمسمائة. وقال محمّد بن إسحاق: عاش عوج بن عناق ثلاثة آلاف سنة وستمائة سنة ولد في حجر آدم وعناق أُمّه، وقتله موسى بن عمران وأبوه سيحان، وعاش الضّحاك وهو بيور اسب ألف سنة، وكذلك طهمورث، وأمّا من الأنبياء فخلق كثير بلغوا الألف وزادوا عليها، كآدم ونوح وشيث ونحوهم، وعاش قينان تسعمائة سنة، وعاش مهلائيل ثمانمائة، وعاش نفيل بن عبد الله سبعمائة سنة، وعاش سطيح الكاهن ـ واسمه ربيعة بن عمرو ـ ستمائة سنة، وعاش عامر بن الظرب خمسمائة سنة، وكان حاكم العرب، وكذا تيم الله بن ثعلبة، وكذا سام بن نوح، وعاش الحرث بن مضاض الجرهمي أربعمائة سنة، وهو القائل:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصّفا.

وكذا أرفخشد، وعاش قسّ بن ساعدة ثلاثمائة وثمانين سنة، وعاش كعب بن جمجمة الدّوسي ثلاثمائة وتسعين سنة...[١]

قلت: إنّ الامامية استدلّوا بما قال من وجود جمع معمّرين لإمكانه، ردّاً على مخالفيهم في استحالة ذلك، ويستدلّون على وقوعه بما رووه في طرقهم عن أمير المؤمنين عليه السلام من قوله لكميل: «اللهمّ بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجّة، إمّا ظاهراً مشهوراً، أو خائفاً مغموراً لئلّا تبطل حجج الله وبيّناته». وقد نقله النهج[٢]، وقال ابن أبي الحديد عند شرحه للكلام: «وهذا يكاد يكون تصريحاً بمذهب الإمامية، إلّا أنّ أصحابنا يحملونه على أنّ المراد به الأبدال»[٣]. ويقال له: لو قبل كلّ جزاف لبطلت الدّيانات طرّاً.

---

(١) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ٣٦٤.

(٢) رواه الشريف الرضي في نهج البلاغة ٤: ٣٧ الحكمة ١٤٧.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٣١٣ شرح الحكمة ١٤٧.

وروى محمّد بن عليّ بن بابويه في (إكماله) ـ الّذي صنّفه بإرشاد الحجّة عليه السلام له في المَنام بتأليف كتاب غيبة الأنبياء عليهم السلام، ردّاً على القائلين بعدم الفايدة في وجود إمام غائب ـ نصوصاً كثيرة فيه عن النّبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة وكثير منها من طرقهم، ونقتصر منها على خبرين:

أحدهما: ما رواه مسنداً عن سدير الصّيرفي، قال: كنت دخلت أنا والمفضّل بن عمر وأبو بصير وأبان بن تغلب على مولانا أبي عبد الله الصّادق عليه السلام، فرأيناه جالساً على التّراب، وعليه مسح خيبري مطوق بلا جيب، مقصر الكمّين، وهو يبكي بكاء الوالدة الثّكلى ذات الكبد الحرّى، قد نال الحزن من وجنتيه، وشاع التغيّر في عارضيه، واملأ الدّموع لحجريه وهو يقول: سيّدي غيبتك نفت رقادي، وضيّقت عليه مهادي، وابتزّت منّي راحة فؤادي. سيّدي غيبتك وصّلت مصابي بفجائع الأبد ـ إلى أن قال ـ فاستطارت قلوبنا ولهاً، وتصدّعت قلوبنا جزعاً، فقلنا: لا أبكى الله يابن خير الورى عينيك. فزفر زفرة، وقال: ويلكم نظرت في كتاب الجفر صبيحة هذا اليوم، وهو الكتاب المشتمل على علم المنايا والبلايا، وعلم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة الّذي خصّ الله به محمّداً صلى الله عليه وآله والأئمّة من بعده، وتأمّلت مولد قائمنا وغيبته، وإبطاءه وطول عمره، وبلوى المؤمنين في ذلك الزّمان، وتولد الشّكوك في قلوبهم من طول غيبته، وارتداد أكثرهم عن دينهم، وخلعهم ربقة الإسلام من أعناقهم الّتي قال الله تعالى: ﴿وكلّ إنسان ألزمناه طائره في عنقه...﴾[1] يعني الولاية، فاستولت عليّ الأحزان. فقلنا: كرّمنا بإشراكك إيّانا في بعض ما أنت تعلمه من علم ذلك. قال: إنّ الله تعالى أدار للقائم منّا ثلاثة، أدارها لثلاثة من الرّسل: قدّر مولده تقدير مولد موسى عليه السلام، وقدّر غيبته تقدير غيبة

---

(١) الاسراء: ١٣.

عيسى عليه السلام، وقدّر إبطاءه بتقدير إبطاء نوح، وجعل له من بعد ذلك عمر العبد الصالح ـ أعني الخضر عليه السلام ـ دليلاً على عمره. فقلنا: اكشف لنا عن وجوه هذه المعاني:

قال: أمّا مولد موسى. فإنّ فرعون لمّا وقف على أنّ زوال ملكه على يده، أمر باحضار الكهنة، فدلّوه على نسبه، وأنّه يكون من بني إسرائيل، ولم يزل يأمر أصحابه بشقّ بطون الحوامل من نساء بني إسرائيل، حتّى قتل في طلبه نيفاً وعشرين ألف مولود، وتعذّر عليه الوصول إلى قتل موسى لحفظ الله تعالى إيّاه. كذلك بنو أُمية وبنو العبّاس لمّا وقفوا على أنّ زوال ملك الأُمراء والجبابرة منهم على يد القائم منّا ناصبونا العداوة، ووضعوا سيوفهم في قتل آل الرسول وإبادة نسله، طمعاً منهم في الوصول إلى قتل القائم، ويأبى الله أن يكشف أمره لواحد من الظلمة، إلّا أن يتمّ نوره ولو كره المشركون.

وأمّا غيبة عيسى عليه السلام فإنّ اليهود والنصارى اتّفقوا على أنّه قتل، فكذّبهم الله تعالى بقوله: ﴿...وما قتلوه وما صلبوه ولكنّ شبّه لهم...﴾[1]. كذلك غيبة القائم، فإنّ الأُمّة ستنكرها لطولها، فمن قائل يهذي: بأنّه لم يولد، وقائل يقول: إنّه ولد ومات. وقائل يقول: إنّ حادي عشرنا كان عقيماً. وقائل يمرق ويتعدّى إلى ثالث عشر. وقائل يقول: إنّ روح القائم ينطق في هيكل غيره.

وأمّا إبطاء نوح فإنّه لمّا استنزلت العقوبة بعث الله تعالى جبرئيل معه سبع نوايات، وقال: إنّ الله تعالى يقول: إنّ هؤلاء خلائقي لست أبيدهم إلّا بعد توكيد الدّعوة، فعاود اجتهادك في الدّعوة، واغرس هذا النوى، فإنّ لك في نباتها إذا أثمرت الفرج، وبشّر بذلك من اتّبعك. قال: فلمّا نبتت الأشجار وزها

---

(١) النساء: ١٥٧.

الثّمر استنجز من الله العدة، فأمره تعالى أن يغرس نوى تلك الأشجار، ويعاود الصّبر والاجتهاد. فأخبر بذلك الطوائف الّتي آمنت به، فارتدّ منهم ثلاثمائة، وقالوا: لو كان ما يدّعيه نوح حقّاً لما وقع في وعد ربه خلف. ثمّ إنّ الله تعالى لم يزل يأمره عند كلّ مرّة بأن يغرسها إلى سبع مرّات، فما زالت تلك الطوائف ترتد منهم طائفة بعد طائفة، إلى أن عاد إلى نيف وسبعين رجلاً، فأوحى تعالى عند ذلك إليه: الآن أسفر الصّبح عن الليل حين صرّح الحقّ محضه، وصفا الكدر بارتداد كلّ من كانت طينته خبيثة، فلو أنّي أهلكت الكفّار وأبقيت من قد ارتدّ من الطوائف التي كانت آمنت بك، لما كنت أنجزت وعدي السّابق للمؤمنين الّذين أخلصوا التوحيد من قومك، واعتصموا بحبل نبوّتك بأنّي استخلفهم في الأرض، وأمكّن لهم دينهم لكي يخلص العبادة لي، وكيف يكون الاستخلاف والتّمكين وبذل الأمن لهم مع ما كنت أعلم من ضعف يقين الّذين ارتدّوا وخبث طينتهم؟ وكذلك القائم عليه السلام فإنّه تمتدّ أيّام غيبته، فيصرّح الحقّ عن محضه، ويصفو الايمان بارتداد كلّ من كانت طينته خبيثة من الشّيعة الّذين يحسّ عليهم النفاق ـ إلى أن قال ـ وأمّا العبد الصّالح ـ أعني الخضر عليه السلام ـ فإنّ الله تعالى ما طوّل عمره لنبوّة قدّرها له، ولا كتاب ينزّله عليه، ولا لشريعة ينسخ بها شريعة من قبله من الأنبياء، ولا لإمامة يلزم عباده الاقتداء بها، ولا لطاعة يفرضها له، بل إنّ الله تعالى لمّا كان في سابق علمه أن يقدّر من عمر القائم عليه السلام ما يقدّر طول عمر العبد الصّالح في غير سبب يوجب ذلك إلّا لعلّة الاستدلال به على عمر القائم، وليقطع بذلك حجّة المعاندين لئلّا يكون للنّاس على الله حجّة[1].

وثانيهما: ما رواه عن أحمد بن زياد الهمداني عن عليّ بن إبراهيم بن

(١) كمال الدين للصدوق: ٣٥٢ ح ٥٠.

هاشم القمي عن أبيه عن عبد السّلام بن صالح الهروي، قال: سمعت دعبل بن علي الخزاعي يقول: أنشدت مولاي الرّضا عليّ بن موسى عليه السلام قصيدتي الّتي أوّلها:

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات

فلمّا انتهيت إلى قولي:

خروج إمام لا محالة خارج يقوم على اسم الله والبركات

يميّز فينا كلّ حقّ وباطل ويجزي على النّعماء والنّقمات

بكى الرّضا عليه السلام بكاءً شديداً، ثمّ رفع رأسه إليّ فقال لي: يا خزاعي نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين، فهل تدري مَن هذا الإمام ومتى يقوم؟ فقلت: لا يا مولاي، إلاّ أنّي سمعت بخروج إمام منكم يطهّر الأرض من الفساد، ويملؤها عدلاً. فقال: يا دعبل الامام بعدي محمّد ابني، وبعد محمّد ابنه عليّ، وبعد عليّ ابنه الحسن، وبعد الحسن ابنه الحجّة القائم المنتظر في غيبته المطاع في ظهوره، لو لم يبق من الدّنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله عزّوجلّ ذلك اليوم حتّى يخرج، فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً. وأمّا (متى) فإخبار عن الوقت، فقد حدّثني أبي عن أبيه عن آبائه عليهم السلام أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قيل له: يا رسول الله متى يخرج القائم من ذرّيتك؟ فقال صلى الله عليه وآله: مثله مثل السّاعة الّتي ﴿...لا يجلّيها لوقتها إلّا هو ثقلت في السّماوات والأرض لا تأتيكم إلّا بغتة...﴾[1].

وروى مسنداً عن جابر الجعفي عن الباقر عليه السلام قال: سأل عمر عليّاً عليه السلام عن المهدي، فقال: يابن أبي طالب أخبرني عن المهدي، ما اسمه؟ فقال: أمّا اسمه فلا. إنّ حبيبي وخليلي عهد إليّ أن لا أُحدّث باسمه حتّى يبعثه الله تعالى،

(١) كمال الدين للصدوق: ٣٧٢ ح٦ و ٦٤٨ ح٣، والآية ١٨٧ من سورة الأعراف.

وهو في ما استودع الله تعالى رسوله في علمه[١].

وروى أبو الفرج في (مقاتله) بأسانيد عن سفيان بن أبي ليلى قال: أتيت الحسن بن عليّ عليه السلام حين بايع معاوية، فوجدته بفناء داره وعنده رهط، فقلت: السّلام عليك يا مذلّ المؤمنين. فقال: عليك السلام يا سفيان انزل ـ إلى أن قال ـ فقال لي: ما جاء بك يا سفيان؟ قلت: حبّكم، والّذي بعث محمّداً بالهدى ودين الحقّ. قال: فابشر يا سفيان، فإنّ الدّنيا تسع البرّ والفاجر حتّى يبعث الله إمام الحقّ من آل محمّد عليهم السلام[٢].

وفي (النهج) يعطف الهوى على الهدى ـ إلى أن قال ـ تخرج له الأرض أفاليذ كبدها، وتلقي إليه سلماً مقاليدها، فيريكم كيف عدل السّيرة، ويحيي ميّت الكتاب والسّنّة[٣].

«قوله: قال الرضا أبو الحسن» هذا كلام ابن أبي الحديد[٤] لا المصنّف، لخلو (الخطية) عنه.

«قوله عليه السلام: املكوا عنّي هذا الغلام من أعلى الكلام وأفصحه» من الغريب عدم وجوده في (ابن ميثم)[٥].

١٣
من خطبة (١٥٠)

وَإِنَّمَا ٱلْأَئِمَّةُ قُوَّامُ ٱللّٰهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَعُرَفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ، لَا يَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ، وَلَا يَدْخُلُ ٱلنَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ.

---

(١) كمال الدين للصدوق: ٣٧٢ ح٦ و ٦٤٨ ح٣، والآية ١٨٧ من سورة الأعراف.

(٢) المقاتل لأبي الفرج: ٤٤، والنقل بتقطيع.

(٣) هذا بعض من الخطبه ١٣٦ في نهج البلاغة ٢: ٢١.

(٤) يوجد هذا في شرح ابن أبي الحديد ٣: ٩، وشرح ابن ميثم ٤: ١٤.

(٥) لفظ شرح ابن ميثم ٤: ١٤ مثل المصرية أيضاً.

«وإنّما الأئمّة قوّام الله على خلقه» واضح أنّ مراده عليه السلام بالأئمّة: أئمّة أهل البيت عليهم السلام لا المتقدّمون عليه، ولو فرض أنّ الأمر كما تقول العامّة، من كونه عليه السلام غير منصوص عليه، ولم يكن المتقدّمون عليه مخالفين لنصّ الله ورسوله، فإنّ كونهم الباغين عليه بتقدّمهم مع قرابته بالنّبيّ صلى الله عليه وآله وبعدهم عنه، ومع علمه وجهلهم، ومع ورعه وعدم تحرجهم، وغير ذلك، أمر مقطوع؛ ﴿...وأُولو الأرحام بعضهم أولى ببعض...﴾[1]، ﴿...قل هل يستوي الّذي يعلمون والّذين لا يعلمون...﴾[2]، ﴿أم حسب الّذين اجترحوا السّيئات أن نجعلهم كالّذين آمنوا وعملوا الصّالحات...﴾[3] وشكاياته عليه السلام عنهم متواترة؛ فقول ابن أبي الحديد في شرح العنوان: «أصحابنا كافة قائلون بصحّة هذه القضيّة، وهي أنّه لا يدخل الجنّة إلّا من عرف الأئمّة، ألا ترى أنّهم يقولون: الأئمة بعد النّبي صلى الله عليه وآله فلان وفلان. ويعدونهم واحداً واحداً، فلو أن إنساناً لا يقول بذلك لكان عندهم فاسقاً، والفاسق لا يدخل الجنّة عندهم أبداً»[4] مغالطةٌ، فإنّما الكلام في الصّغرى: أئمّة الحق من هم؟ والكبرى مفروغ عنها.

وتوهّم الخوئي أنّ مراده بالأئمّة: أئمتنا، فاعترض عليه بأنّ مجرّد معرفتهم وتعدادهم لا يكفي، وإنّما اللّازم معرفتهم بوصف الإمامة والخلافة[5]، فإنّه واضح أنّ مراد ابن أبي الحديد بأصحابه: المعتزلة، وهم قائلون بإمامة الثلاثة، وكان الحقّ أن يقول له: كيف يكون من قال: إنّ له

---

(١) الأنفال: ٧٥.

(٢) الزمر: ٩.

(٣) الجاثية: ٢١.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٢٥.

(٥) شرح الخوئي ٤: ١٨٦، والنقل بتقطيع.

شيطاناً يعتريه[١]. ومن منع النّبيّ ﷺ من الوصيّة، وقال: إنّه ليهجر[٢]. ومن فعل أفعالاً استحلّ المسلمون بها دمه، ولم يوجبوا تجهيزه بل أباحوا إحراق جسده، قوّامه تعالى على خلقه، عرفاءه على عباده؟ ﴿...فما لكم كيف تحكمون﴾[٣]؟

«وعرفاؤه على عباده» قال النّبيّ ﷺ لأمير المؤمنين عليه السلام: ثلاثة أقسم أنّهنّ حقّ: إنّك والأوصياء من بعدك عرفاء لا يعرف الله إلّا بسبيل معرفتكم، وعرفاء لا يدخل الجنّة إلّا من عرفكم وعرفتموه، وعرفاء لا يدخل النّار إلّا من أنكركم وأنكرتموه. رواه (الخصال) في باب الثلاثة[٤].

وروى (عيون ابن بابويه) عن ابن المتوكّل عن الأسدي عن الصّولي عن يوسف بن عقيل عن إسحاق بن راهويه، قال: لمّا وافى أبو الحسن الرّضا نيسابور، وأراد أن يخرج منها إلى المأمون، اجتمع عليه أصحاب الحديث، فقالوا له: يا بن رسول الله ترحل عنّا ولا تحدّثنا بحديث فنستفيده منك؟ ـ إلى أن قال بعد ذكر روايته عليه السلام لهم عن آبائه عن النّبيّ ﷺ عن الله تعالى قال: «لا إله إلّا الله حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي» ـ فلمّا مرّت الراحلة نادى: بشروطها، وأنا من شروطها[٥].

وروى محمّد بن يعقوب في (كافيه) عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه، قال:

---

(١) قوله: «ان لي شيطاناً يعتريني» نقله في ضمن خطبة له بعد البيعة الطبري في تاريخه ٢: ٤٦٠ السنة ١١ وابن راهويه في مسنده وأبو ذر الهروي في الجامع عنهما منتخب كنز العمّال ٢: ١٦١ وغيرهم.

(٢) حديث منع عمر النّبيّ ﷺ من الوصية أخرجه البخاري في صحيحه ١: ٣٢، و ٤: ٧، ٢٧١ وغيره، مرّ تخريجه في أواخر العنوان ٣ من هذا الفصل.

(٣) يونس: ٣٥.

(٤) الخصال للصدوق: ١٨٣ ح ١٥٠ باب الثلاثة.

(٥) عيون الأخبار للصدوق ٢: ١٣٤ ح ٤.

قال محمّد بن فلان الواقفي: كان لي ابن عمّ يقال له: الحرّ بن عبد الله، وكان من أعبد أهل زمانه، وكان يتّقيه السّلطان لجدّه في الدّين واجتهاده، وربما استقبل السلطان بكلام صعب يعظه، ويأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر. وكان السّلطان يحتمله لصلاحه، فلم يزل هذه حاله حتّى كان يوم من الأيّام إذ دخل عليه أبو الحسن موسى عليه السلام وهو في المسجد، فرآه فأومأ إليه، فأتاه فقال له: يا أبا عليّ ما أحبّ إليّ ما أنت فيه وأسرّني، إلّا أنّه ليست لك معرفة. قال: جعلت فداك، وما المعرفة؟ قال: اذهب فتفقه واطلب الحديث. قال: عمّن؟ قال: عن فقهاء أهل المدينة، ثمّ أعرض عليّ الحديث. قال: فذهب فكتب ثمّ جاءه فقرأه عليه، فأسقط كلّه، ثمّ قال له: اذهب فاعرف المعرفة -وكان الرّجل معنياً بدينه- فلم يزل يترصّد أبا الحسن عليه السلام حتّى خرج إلى ضيعة له، فلقيه في الطّريق، فقال له: جعلت فداك، إنّي أحتجّ عليك بين يدي الله تعالى، فدلّني على المعرفة. فأخبره عليه السلام بأمر أمير المؤمنين عليه السلام وما كان بعد النّبيّ صلى الله عليه وآله وأخبره بأمر الرجلين، وما كان، ثمّ قال له: فمن كان بعد أمير المؤمنين؟ قال: الحسن، ثمّ الحسين عليهما السلام - حتّى انتهى إلى نفسه، ثمّ سكت فقال له: جعلت فداك، فمن هو اليوم؟ قال: إن أخبرتك تقبل؟ قال: نعم، جعلت فداك. قال: أنا هو. قال: فشيء استدّل به. قال: اذهب إلى تلك الشجرة -وأشار إلى أم غيلان- فقل لها: يقول لك موسى بن جعفر: اقبلي. فأتاها، قال: فرأيتها والله تخدّ الأرض خدّاً حتّى وقفت بين يديه، ثمّ أشار إليها فرجعت، فأقرّ به عليه السلام، ثمّ لزم الصّمت والعبادة، فكان لا يراه أحد يتكلّم بعد ذلك[1].

وقال المفيد: اتّفقت الإماميّة على أنّ من أنكر أحداً من الأئمّة، وجحد ما أوجبه الله تعالى لهم من فرض الطّاعة فهو كافر ضالّ مستحقّ للخلود.

---

(١) الكافي للكليني ١: ٣٥٢ ح٨، بهذا الاسناد وباسناد آخر.

وأجمعت المعتزلة على خلاف ذلك، وأنكروا كفر من ذكرناه، وحكموا لبعضهم بالفسق خاصّة، ولبعضهم بما دون الفسق من العصيان[١].

«لا يدخل الجنّة إلّا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النّار إلّا من أنكرهم وأنكروه»

قال أبو عبد الله جعفر بن محمّد الصّادق عليه السلام: خرجت أنا وأبي حتّى إذا كنّا بين القبر والمنبر إذا هو بأُناس من الشيعة فسلّم عليهم، ثمّ قال: إنّي والله لأُحبّ رياحكم وأرواحكم، فأعينوني على ذلك بورع واجتهاد، واعلموا أنّ ولايتنا لا تنال إلّا بالورع والاجتهاد، ومن ائتمّ منكم بعبد فليعمل بعمله. أنتم شيعة الله وأنتم أنصار الله، وأنتم السّابقون الأوّلون، والسّابقون الآخرون، والسّابقون في الدّنيا، والسّابقون في الآخرة إلى الجنّة، قد ضمنا لكم الجنّة بضمان الله، وضمان رسول الله صلى الله عليه وآله. والله ما على درجة الجنّة أكثر أرواحاً منكم، فتنافسوا في فضائل الدّرجات، أنتم الطّيبون ونساؤكم الطّيبات. كلّ مؤمنة حوراء عيناء، وكلّ مؤمن صدّيق، ولقد قال أمير المؤمنين عليه السلام لقنبر: يا قنبر أبشر وبشّر واستبشر، فوالله لقد مات النّبيّ صلى الله عليه وآله وهو على أُمته ساخط إلّا الشّيعة...[٢].

وكيف لا يكون كما قال عليه السلام من عدم دخول الجنّة إلّا من عرفهم بعد عدم قبول عبادة إلّا بولايتهم، وعدم صحّة صلاة إلّا بالصلاة عليهم؟ وإن كان ابن الزّبير يترك الصلاة على النّبيّ صلى الله عليه وآله في صلاته وخطبه لبغض أهل بيته[٣].

وبدّل معاوية وباقي بني أُميّة الصلاة عليهم عليهم السلام بالسّب لهم.

وفي (مروج المسعودي): كان أهل حرّان ـ قاتلهم الله ـ حين أُزيل لعن

(١) أوائل المقالات للمفيد: ٤٩، والنقل بالمعنى.

(٢) أخرجه الكليني في الكافي ٨: ٢١٢ و ٢١٤ ح ٢٥٩ و ٢٦٠ بطريقين، والصدوق في فضائل الشيعة: ٩ ح ٨ بطريقين، والطبري في بشارة المصطفى: ١٣.

(٣) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٧٩.

أمير المؤمنين عليه‌السلام عن المنابر يوم الجمعة امتنعوا عن إزالته، وقالوا: لا صلاة إلّا بلعن أبي تراب. وأقاموا على ذلك سنة حتّى كان من أمر المشرق وظهور المسودة ما كان[١].

ولعمري، لو كنت كشقيق البلخي أو معروف الكرخي في العرفان، ولم تعرفهم لم يعرفك الله. وأما صحّة كليّة الحصر في قوله عليه‌السلام: «ولا يدخل النّار إلّا من أنكرهم وأنكروه» ـ مع دخول العاصين الّذين لا ينكرونهم النّار ـ فيمكن أن تكون بوجوه، أحدها: أن لا يدخلونها دخولاً مخلداً، وثانيها: أن يكون الحصر إضافياً من حيث إنكار رجال الدّين، ولو كان في العمل من أوّل العابدين، وثالثها: بأنّ من عصى الله تعالى ينكرهم عليهم‌السلام، وينكرونه لقولهم عليهم‌السلام: «لا تنال ولايتنا إلّا بالعمل»[٢]. وأمّا القول بعدم دخول فسّاق الشّيعة أيضاً النّار، فمخالف للقرآن والسّنّة المقطوعة.

١٤
من الخطبة (١٨٥)

ومن خطبة له عليه‌السلام تختص بذكر الملاحم:

أَلَا بِأَبِي وَأُمِّي هُمْ مِنْ عِدَّةٍ، أَسْمَاؤُهُمْ فِي السَّمَاءِ مَعْرُوفَةٌ، وَفِي الْأَرْضِ مَجْهُولَةٌ. أَلَا فَتَوَقَّعُوا مَا يَكُونُ مِنْ إِدْبَارِ أُمُورِكُمْ، وَانْقِطَاعِ وُصَلِكُمْ، وَاسْتِعْمَالِ صِغَارِكُمْ ذَاكَ حَيْثُ تَكُونُ ضَرْبَةُ السَّيْفِ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَهْوَنَ مِنَ الدِّرْهَمِ مِنْ حِلِّهِ. ذَاكَ حَيْثُ يَكُونُ الْمُعْطَى أَعْظَمَ أَجْراً من الْمُعْطِي. ذَاكَ حَيْثُ تَسْكَرُونَ مِنْ غَيْرِ شَرَابٍ، بَلْ مِنَ النِّعْمَةِ وَالنَّعِيمِ، وَتَحْلِفُونَ مِنْ غَيْرِ اضْطِرَارٍ، وَتَكْذِبُونَ مِنْ غَيْرِ إِحْرَاجٍ. ذَاكَ

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٢٤٥.

(٢) جاءت هذه العبارة في حديث مرور الباقر عليه‌السلام على اناس من الشيعة، ومرّ تخريجه آنفاً.

إِذَا عَضَّكُمُ ٱلْبَلَاءُ، كَمَا يَعَضُّ ٱلْقَتَبُ غَارِبَ ٱلْبَعِيرِ. مَا أَطْوَلَ هَذَا ٱلْعَنَاءَ، وَأَبْعَدَ هَذَا الرَّجَاءَ!

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ، أَلْقُوا هَذِهِ الأَزِمَّةَ الَّتِي تَحْمِلُ ظُهُورُهَا ٱلْأَثْقَالَ مِنْ أَيْدِيكُمْ، وَلَا تَصَدَّعُوا عَلَى سُلْطَانِكُمْ فَتَذُمُّوا غِبَّ فِعَالِكُمْ، وَلَا تَقْتَحِمُوا مَا ٱسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ فَوْرِ نَارِ ٱلْفِتْنَةِ، وَأَمِيطُوا عَنْ سَنَنِهَا، وَخَلُّوا قَصْدَ السَّبِيلِ لَهَا، فَقَدْ لَعَمْرِي يَهْلِكُ فِي لَهَبِهَا الْمُؤْمِنُ، وَيَسْلَمُ فِيهَا غَيْرُ الْمُسْلِمِ.

إِنَّمَا مَثَلِي بَيْنَكُمْ كَمَثَلِ السِّرَاجِ فِي الظُّلْمَةِ يَسْتَضِيءُ بِهِ مَنْ وَلَجَهَا، فَاسْمَعُوا أَيُّهَا النَّاسُ وَعُوا، وَأَحْضِرُوا آذَانَ قُلُوبِكُمْ تَفْهَمُوا.

أقول: الأصل فيه ما رواه المدائني في (صفينه) قال: خطب عليّ عليه السلام بعد انقضاء أمر النهروان، فذكر طرفاً من الملاحم قال: «إذا كثرت فيكم الأخلاط، واستولت الأنباط ـ إلى أن قال ـ فيابن خيرة الآباء، متى تنتظر البشير بنصر قريب من ربّ رحيم؟ ألا فويل للمتكبرين عند حصاد الحاصدين، وقتل الفاسقين عصاة ذي العرش العظيم، فبأبي وأُمّي من عدّة قليلة، أسماؤهم في الأرض مجهولة، قد دان حينئذ ظهورهم، ولو شئت لأخبرتكم بما يأتي، ويكون من حوادث دهركم، ونوائب زمانكم، وبلايا أيّامكم وغمرات ساعاتكم، ولكنّه أفضيه إلى من أفضيه إليه، مخافة عليكم ونظراً لكم، علماً منّي بما هو كائن، وما يلقون من البلاء الشّامل، ذاك عند تمرّد الأشرار، وطاعة أُولي الخسار، ذاك أوان الحتف والدّمار، ذاك إدبار أمركم، وانقطاع أصلكم وتشتّت أنفسكم، وإنّما يكون ذلك عند ظهور العصيان، وانتشار الفسوق حيث يكون الضّرب بالسّيف أهون على المؤمن من اكتساب درهم حلال، حين لا تنال المعيشة إلّا بمعصية الله في سمائه، حين تسكرون من غير شراب، وتحلفون من غير اضطرار، وتظلمون من غير منفعة، وتكذبون من

غير إحراج، تتفكّهون بالفسوق، وتتنابزون بالمعصية، قولكم البهتان، وحديثكم الزّور، وأعمالكم الغرور. فعند ذلك لا تأمنون البيات، فياله من بيات ما أشد ظلمته، ومن صائح ما أفظع صوته! ذلك بيات لا يتمنى صاحبه صباحه. فعند ذلك تقتلون، وبأنواع البلاء تضربون، وبالسّيف تحصدون، وإلى النار تصيرون، ويعضّكم البلاء كما يعضّ الغارب القتب. يا عجباً كلّ العجب بين جمادى ورجب، من جمع اشتات، وحصد نبات، ومن أصوات بعدها أصوات! سبق القضاء سبق القضاء». قال رجل من أهل البصرة لرجل من أهل الكوفة إلى جانبه: أشهد أنّه كاذب على الله ورسوله. قال الكوفي: وما يدريك؟ قال: فوالله ما نزل عليه السلام عن المنبر حتّى فلج الرّجل، فحمل إلى منزله في شقّ محمل، فمات من ليلته.

نقله عن المدايني ابن أبي الحديد في موضع آخر[1] وغفل عنه هنا، كما أنّ ابن ميثم قال ـ عند قوله عليه السلام: «كنتم جند المرأة...» ـ: رويت الخطبة مع إضافات وهي: «هل علمت أنّ بين الّتي تسمّى البصرة والّتي تسمّى الابلّة أربعة فراسخ، وستكون في الّتي تسمّى الابلّة موضع أصحاب العشور، يقتل في ذلك الموضع من أمّتي سبعون ألفاً شهيدهم يومئذ بمنزلة شهداء بدر؟ فقال له المنذر: يا أمير المؤمنين ومن يقتلهم فداك أبي وأمّي؟ قال: يقتلهم إخوان الجنّ، وهم جيل كأنّهم الشّياطين، سود ألوانهم، منتنة أرياحهم، شديد كلبهم، قليل سلبهم، طوبى لمن قتلهم، وطوبى لمن قتلوه، ينفر لجهادهم في ذلك الزّمان قوم هم أذلّة عند المتكبرين من أهل ذلك الزمان، مجهولون في الأرض، معروفون في السّماء، تبكي السماء عليهم وسكّانها، والأرض

(١) رواه عن المدائني ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٤٩، شرح الخطبة ٦٩.

وسكّانها. قال: ثم هملت عيناه بالبكاء»[١].

قول المصنّف: «تختص بذكر الملاحم» في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٢] ولكن في (الخطّية) بدله: «في الملاحم» وليس في (المصرية) الأُولى رأساً والثّانية أخذه من (ابن أبي الحديد) كما يفهم من رمزه. والملاحم: جمع الملحمة؛ وفي (الصحاح): الملحمة: الوقعة العظيمة في الفتنة[٣].

قوله عليه السلام: «ألا بأبي وأُمّي هم من عدّة، أسماؤهم في السّماء معروفة، وفي الأرض مجهولة» قال ابن أبي الحديد: الإمامية تقول: المراد بالعدّة الأئمّة الأحد عشر من ولده عليه السلام. وغيرهم يقول: إنّه عنى الأبدال الّذين هم أولياء الله[٤].

قلت: ما قاله من ترهات المتصوّفة الّتي لم تشهد بها عيان، ولا قام عليها برهان؛ ونقل الخطيب عن الكتاني أحد مشايخهم أنّه قال: النقباء ثلاثمائة، والنّجباء سبعون، والأبدال أربعون، والأخيار تسعة، والعمد أربعة، والغوث واحد. فمسكن النقباء المغرب، ومسكن النّجباء مصر، ومسكن الأبدال الشام، والأخيار سيّاحون في الأرض، والعمد في زوايا الأرض، ومسكن الغوث في مكّة»[٥].

وفي خبر عن الرّضا الأبدال هم الأئمّة عليهم السلام لأنّهم بدل الأنبياء[٦].

(١) هذه الخطبة نقلها ابن ميثم متفرقة في شرحه ١: ٢٨٩، وفي مواضع أُخرى، وجمعها المجلسي في الفتن من البحار: ٤١٥.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢١٣، وشرح ابن ميثم ٤: ١٨٢.

(٣) صحاح اللغة للجوهري ٥: ٢٠٢٧ مادة (لحم).

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢١٣.

(٥) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٣: ٧٥.

(٦) الاحتجاج للطبرسي: ٤٣٧، والنقل بالمعنى.

والإمامية لم تقل: إنّ المراد الأئمةُ عليهم السلام معيّناً بل كلامه عليه السلام محتمل لهم ولأصحاب القائم عليه السلام، بل هو الظّاهر، لأنّ الخطبة في ذكر الملاحم، وما يلحق النّاس من الشّدّة، وفيها كما عرفت الأصل: «فيابن خيرة الإماء متى تنتظر؟ ابشر بنصر قريب من ربّ رحيم». وفيها أيضاً كما عرفت: «قد دان حينئذ ظهورهم» فإنّه ظاهر في ظهورهم دفعة، والأئمّة عليهم السلام إنّما كان ظهورهم متدرّجاً، والاثنان أو الثّلاثة منهم كانوا في زمانه عليه السلام، وأيضاً فيها: «دنا خسوف البيداء» وخسْف البيداء من علامات قيام القائم وظهوره.

والأئمّة عليهم السلام لم تكن أسماؤهم في الأرض مجهولة، بل كونهم حجج الله ومفترضي الطاعة كالنّبيّ صلى الله عليه وآله عند العامّة مجهولة، أمّا أسماؤهم فمعروفة عندهم لا سيّما الحسنان عليهما السلام، فشهرة اسمهما مثله عليه السلام، وبعدهما الرّضا عليه السلام، وإنّما أسماء أصحاب القائم عليه السلام مجهولة في الأرض حتّى عند الخاصّة، ولكن في السماء معروفة.

روى النّعماني في (غيبته) عن الصّادق عليه السلام قال: إذا قام القائم عليه السلام نزلت سيوف القتال، على كلّ سيف اسم الرّجل واسم أبيه[1].

وروى ابن بابويه في (إكماله) عن أُبيّ بن كعب عن النّبيّ صلى الله عليه وآله خبراً في الاثني عشر، إلى أن قال بعد ذكر الثّاني عشر: يجمع الله عزّوجلّ له من أقاصي البلاد ـ على عدد أهل بدر ـ ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وله صحيفة مختومة فيها عدد أصحابه بأسمائهم وأنسابهم وبلدانهم...[2].

وقال النّعماني: جاءت الروايات بعدّتهم وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر

---

(١) الغيبة للنعماني: ١٦٢ في صدر حديث.

(٢) اكمال الدين للصدوق: ٢٦٨ في حديث طويل باسناده عن الحسين عليه السلام عن النّبيّ صلى الله عليه وآله واما أُبي بن كعب فهو مخاطب النّبيّ صلى الله عليه وآله لا راوي الحديث.

رجلاً، وأنّهم حكّام الأرض وعماله عليها، وبهم يفتح شرق الأرض وغربها مع من يؤيّده الله به من الملائكة[١].

هذا، وروى الكشي: أنّ أبا ذر دخل على النّبيّ ﷺ ومعه جبرئيل عليه السلام، فقال جبرئيل: من هذا يا رسول الله؟ قال: أبو ذر. قال: أما إنّه في السّماء أعرف منه في الأرض، سله عن كلمات يقولهن إذا أصبح. فسأله النّبيّ ﷺ فقال: إذا أصبحت أقول: اللهم إنّي أسألك الإيمان بك، والعافية من جميع البلايا، والشّكر على العافية، والغنى عن النّاس[٢].

«ألا فتوقّعوا ما يكون من إدبار أُموركم وانقطاع وصلكم واستعمال صغاركم» قد عرفت أنّ المدائني نقل بدله: «ذاك إدبار أمركم، وانقطاع أصلكم، وتشتّت أنفسكم»[٣].

وكيف كان، فحصل ما قاله عليه السلام بعده أيّام معاوية ويزيد، وعبد الملك وبنيه.

«ذاك حيث تكون ضربة السّيف على المؤمن أهون من الدّرهم من حلّه» قد عرفت أنّ المدائني نقل بدله: «وإنّما يكون ذلك عند ظهور العصيان، وانتشار الفسوق حيث يكون الضرب بالسّيف أهون على المؤمن من اكتساب درهم حلال، حين لا تنال المعيشة إلّا بمعصية الله في سمائه»[٤]. ومراده عليه السلام عدم رعاية النّاس لقوانين الإسلام.

«ذاك حيث يكون المعطى أعظم أجراً من المعطي» قال ابن أبي الحديد: لأنّ أكثر من يعطي ويتصدّق في ذلك الزّمان يكون ماله حراماً، فلا أجر له في

---

(١) الغيبة للنعماني: ١٦٣.

(٢) أخرجه الكشي في معرفة الرجال (اختياره): ٢٥ ح٤٩، والنقل بتلخيص.

(٣ و ٤) نقله عن المدائني ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٥٠، شرح الخطبة ٦٩.

التصدّق به، ثمّ أكثرهم يقصد الرياء والسّمعة بالصدقة أو لهوى نفسه أو لخطرة من خطراته، ولا يفعل الحسن لأنّه حسن، ولا الواجب لوجوبه، فتكون اليد السّفلى خيراً من اليد العليا، عكس ما ورد في الأثر، وأمّا المعطى فإنّه يكون ذا عيال لا يلزمه أن يبحث عن المال: أحرام هو أم حلال؟ فإذا أخذه ليسدّ به خلّته ويصرفه في قوت عياله، كان أعظم أجراً ممّن أعطاه، وخطر لي فيه معنى آخر وهو: أن يكون صاحب المال الحرام إنّما يصرفه في أكثر الأحوال وأغلبها في الفساد وارتكاب المحظور، كما قال: «من اكتسب مالاً من منهاوش أذهبه الله في منهابر»، فإذا أخذه الفقير منه على وجه الصدقة فقد فوّت عليه صرفه في تلك القبائح[1].

قلت: بل المراد ما يأخذه أئمة الحقّ عليهم السلام وأتباعهم من خلفاء الجور، فإن استيلاءهم على المال حيث كان بغير حقّ لم يكن في إعطائهم أجر، بخلاف الّذي يأخذ نفسه حقّه ويضعه في موضعه الّذي أمره الله تعالى به، مع أنّ ما خطر له بلا معنى، لأنّه إنّما يصدق أنّ الفقير فوّت عليه صرفه في القبيح إذا كان أخذه منه قهراً، والفقير بل كلّ الرّعايا لا يستطيعون ذلك.

وكيف كان، فالفقرة ليست في رواية المدائني[2].

«ذاك حيث تسكرون من غير شراب بل من النّعمة والنّعيم» ومرّ عن رواية المدائني: «حين تسكرون من غير شراب»[3].

«وتحلفون من غير اضطرار» مع أنّه تعالى قال: ﴿ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم...﴾[4].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢١٣.

(٢ و ٣) نقله عن المدائني ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٥٠، شرح الخطبة ٦٩.

(٤) البقرة: ٢٢٤.

«وتكذبون من غير إحراج» أي: من غير إلجاء، أو من غير أن تعدّوا كذبكم حرجاً وإثماً؛ وقد قال تعالى: ﴿إنّما يفتري الكذب الّذين لا يؤمنون...﴾[١].

«ذاك إذا عضّكم» الأصل في العض: إذا أخذ بالأسنان.

«البلاءكما يعضّ القَتَب» بفتحتين؛ وفي (الصّحاح): القتب: رحل صغير على قدر السنام[٢].

«غارب البعير» وفي (الصحاح): الغارب: ما بين السّنام إلى العنق، ومنه قولهم: حبلك على غاربك[٣].

قال ابن أبي الحديد: هذا الكلام غير متّصل بما قبله. قال: «وقد ذكرنا هذه الخطبة أو أكثرها في ما تقدّم»[٤].

قلت: ذكر الخطبة عند شرح قوله عليه السلام: «يا أهل العراق إنّما أنتم كالمرأة الحامل» وفي (٦٨) وقد نقلناها منه هنا[٥]، ويفهم منها أنّ المصنّف أسقط بين هذا وما قبله فقرات، وهي: «فعند ذلك لا تأمنون البيات. ـ إلى قوله ـ: وبأنواع البلاء تضربون، وبالسّيف تحصدون، وإلى النّار تصيرون»، ولفظه بدل: «ذاك إذا عضّكم...»: «ويعضّكم...»، إلاّ أنَّ المصنّف لم يعلم أخذها من رواية المدائني، بدليل زيادته ماليس في تلك ونقصه، لكن ربط الكلام يقتضي سقوط شيء.

«ما أطول هذا العناء، وأبعد هذا الرجاء» قال ابن أبي الحديد: هذا حكاية كلام شيعته وأصحابه[٦].

---

(١) النحل: ١٠٥.

(٢) صحاح اللغة للجوهري ١: ١٩٨ مادة (قتب).

(٣) صحاح اللغة ١: ١٩٣ مادة (غرب).

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢١٤.

(٥) يأتي في العنوان ٣٧ من الفصل التاسع.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢١٤.

قلت: لم يعلم ما قاله، وأيّ مانع من أن يكون إنشاء منه عليه السلام؟ والحكاية إنّما تصحّ بإسقاط القول، وإبقاء المقول، ولم نقف على مثله في كلامه عليه السلام، وإن كان في القرآن كثيراً كقوله تعالى: ﴿يوسف أعرض عن هذا...﴾[١].

وكيف كان، فليس هذا الكلام في رواية المدائني، وكذا ما بعده[٢].

«أيّها النّاس ألقوا هذه الأزمّة الّتي تحمل ظهورها الأثقال من أيديكم» قال ابن أبي الحديد: الظّهور هنا: هي الإبل أنفسها، والأثقال: المآثم، وإلقاء الأزمّة: ترك اعتماد القبيح. فهذا عمومه، وأمّا خصوصه فتعريض بما كان عليه أصحابه من الغدر، ومخامرة العدو عليه وإظهار الغشّ له[٣].

قلت: ما قاله من أنّ المراد بالظّهور نفس الإبل غلط، بل المراد بها ظهور النّاس، كما في قوله تعالى: ﴿...وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم...﴾[٤]. مع أنّه لو كان المراد بالظّهور الإبل، لم تكن الأثقال بمعنى الأوزار كما قال، بل بمعنى الأحمال، كما في قوله تعالى: ﴿وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلّا بشقّ الأنفس...﴾[٥].

وإنّما تكون الأثقال بمعنى الأوزار، إذا كان المراد بالظّهور ظهور النّاس، كما قلنا وكما في قوله: ﴿وليحملنّ أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم...﴾[٦].

ثمّ كأنّ في الكلام استخداماً، فظاهر (ظهورها) ظهور الأزمّة، والمراد ظهور صاحبات الأزمّة، ويمكن أن يكون الأصل في قوله: «ألقوا هذه الأزمّة

---

(١) يوسف: ٢٩.

(٢) نقله عن المدائني ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٥٠، شرح الخطبة ٦٩.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢١٤.

(٤) الأنعام: ٣١.

(٥) النحل: ٧.

(٦) العنكبوت: ١٣.

الّتي»: «ألقوا أزمّة هذه الّتي» فيكون وقع في الكلام تقديم وتأخير، والمراد في الجميع: لا تكونوا قائدين للجبابرة الدّاعين إلى المنكرات؛ قال تعالى: ﴿ولا تركنوا إلى الّذين ظلموا فتمسّكم النّار...﴾[1].

«ولا تصدّعوا» في (الصحاح): تصدع القوم: تفرّقوا.

«على سلطانكم» جعله ابن أبي الحديد تفسيراً لما قبله الّذي قال: إنّه تعريض لأصحابه في ما كانوا عليه[2].

قلت: وحيث عرفت اشتمال الخطبة على ذكر القائم عليه السلام يمكن أن يكون المراد: النّهي عن القيام على سلاطين الجور مالم تكن دولة أئمّة الحق، فكان أئمّتنا عليهم السلام ينهون أصحابهم عن الخروج على سلطان وقتهم قبل قيام قائمهم عليه السلام.

«فتذمّوا غبّ فعالكم» أي: عاقبة عملكم؛ فكان الطّالبيون يخرجون على ملوك بني أُميّة وبني العبّاس، ويعاونهم الشّيعة رجاء أن يحصل لهم فرج، لكن كان بالعكس يصير الأمر عليهم أشدّ، كما في خروج زيد بن عليّ على هشام بن عبد الملك، وابنه يحيى على الوليد بن يزيد، ومحمّد وإبراهيم ابني عبد الله المحض على المنصور.

«ولا تفتحموا» في (الصحاح): قحم في الأمر قحوماً: رمى بنفسه فيه من غير رويه[3].

«ما استقبلتم من فور» في (الصحاح): فارت القدر تفور فوراً وفوراناً: جاشت، ومنه قولهم: ذهبت في حاجة فلان ثمّ أتيت فلاناً

---

(١) هود: ١١٣.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢١٤.

(٣) صحاح اللغة ٥: ٢٠٠٦ مادة (قحم).

من فوري. أي: قبل أن أسكن[١].

«نار الفتنة» فإنّ استقبال فوران نارها يوجب إحراقكم وإهلاككم.

«وأميطوا» في (الصحاح): حكى أبو عبيد: مطت عنه وأمطت، إذا تنحيت عنه[٢].

«عن سننها» أي: وجهها، ويجوز في سين السّنن الضّم والفتح والكسر.

«وخلّوا قصد السّبيل لها» الظّاهر أنّ المعنى: خلّوا سبيلاً تقصده نار الفتنة لها، فيكون من إضافة الصّفة إلى الموصوف، مع كون المصدر بمعنى المفعول.

«فقد لعمري يهلك في لهبها» لهب النّار: لسانها.

«المؤمن ويسلم فيها غير المسلم» لأنّ المؤمن يريد أن يطفئ نار الفتنة، ولا يقدر عليه لشدّتها، وهي تحرقه بتعرّضه لها، وغير المسلم لا يقوم في قبالها فيسلم؛ وكان في زمان خلفاء الجور الفجرة والكفرة في أمان، والمؤمن المخلص في الخوف والفزع، كما أنّ في زمان معاوية من نسب إليه التّشيّع يؤاخذوه، ومن تحقّق إلحاده لم يتعرّض له أحد.

«إنّما مثلي بينكم كمثل السّراج في الظّلمة» وفسّر قوله تعالى: ﴿...إنّما أنت منذر ولكلّ قوم هاد﴾[٣] به عليه السلام[٤].

«ليستضيء» هكذا في (المصرية)، والصّواب: (يستضيء) كما في (ابن

---

(١) صحاح اللغة ٢: ٧٨٣ مادة (فور).

(٢) صحاح اللغة ٣: ١١٦٢ مادة (ميط).

(٣) الرعد: ٧.

(٤) رواه عاصم بن حميد في أصله: ٤١، والصفار بطرق في البصائر: ٤٩ ـ ٥١ ح ٢ ـ ٩، والفرات في تفسيره: ٧٦، والقمي في تفسيره ١: ٣٥٩، والصدوق في كمال الدين: ٦٦٧ ح ١٠، والنعماني في الغيبة: ٦٩، وابن جرير وابن مردويه وأبو نعيم في المعرفة والديلمي وابن النجار والضياء في المختارة، عنهم الدر المنثور ٤: ٤٥ وغيرهم.

أبي الحديد وابن ميثم والخطّية)[١] ولأنّه لا مورد للام هنا.

«به من ولجها» أي: دخل الظّلمة.

«فاسمعوا أيّها النّاس وعوا» اي: اجعلوا آذانكم كالوعاء لمقالي.

«واحضروا» من باب الافعال.

«آذان قلوبكم تفهموا» لأنّ آذان الرؤوس بدون آذان القلوب بلا فائدة.

١٥
من الخطبة (١٨٧)

وَٱلْهِجْرَةُ قائِمَةٌ عَلَى حَدِّهَا الأَوَّلِ. مَا كَانَ لِلّهِ فِي أَهْلِ الأَرْضِ حَاجَةٌ مِنْ مُسْتَسِرِّ ٱلْأُمَّةِ وَمُعْلِنِها. لَا يَقَعُ ٱسْمُ ٱلْهِجْرَةِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ ٱلْحُجَّةِ فِي ٱلْأَرْضِ، فَمَنْ عَرَفَهَا وَأَقَرَّ بِهَا فَهُوَ مُهَاجِرٌ. وَلَا يَقَعُ ٱسْمُ الاسْتِضْعَافِ عَلَى مَنْ بَلَغَتْهُ ٱلْحُجَّةُ، فَسَمِعَتْهَا أُذُنُهُ وَوَعَاهَا قَلْبُهُ.

إِنَّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ، لَا يَحْمِلُهُ إِلَّا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ ٱمْتَحَنَ ٱللّهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ، وَلَا يَعِي حَدِيثَنَا إِلَّا صُدُورٌ أَمِينَةٌ، وَأَحْلَامٌ رَزِينَةٌ.

«والهجرة قائمة على حدّها الأوّل» قال ابن أبي الحديد: هذا كلام يختصّ بأمير المؤمنين عليه السلام، وهو من أسرار الوصيّة، لأنّ النّاس يروون عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «لا هجرة بعد الفتح»[٢]، فشفّع عمّه العبّاس في نعيم ابن مسعود الأشجعي أن يستثنيه، فاستثناه. وهذه الهجرة الّتي يشير إليها أمير المؤمنين عليه السلام ليست تلك الهجرة، بل هي الهجرة إلى الإمام، قال: «إنّها قائمة

---

(١) يوجد اللام في شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢١٣، وشرح ابن ميثم ٤: ١٨٣ أيضاً.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٢: ١٣٤، ومسلم في صحيحه ٣: ١٤٨٩ ح ٨٥، والترمذي في سننه ٤: ١٤٨، ح ١٥٩٠ والدارمي في سننه ٢: ٢٣٩، وغيرهم، عن ابن عباس وفي الباب عن مجاشع بن مسعود وأبي سعيد وعبد الله ابني عمرو وعمر وصفوان بن أمية وعائشة وعبد الله بن حبشي.

على حدّها الأوّل» مادام التّكليف باقياً[1].

قلت: ما قاله صواب، إلّا أنّه لا منافاة بين كلامه عليه السلام والرواية عن النّبيّ صلى الله عليه وآله، لأنّ مراد النّبيّ صلى الله عليه وآله بقوله: «لا هجرة بعد الفتح» انتفاء الموضوع بالنّسبة إلى مكّة، لأنّ مكّة بعد فتحها صارت كالمدينة يعبد الله فيها جهرة، فعدم الهجرة منها لا ينافي الهجرة من ساير بلاد الكفر فرضاً، وإنّما قال عليه السلام ذلك مقدّمة لغرضه، من كون الهجرة إلى الإمام كالهجرة إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله، وإلّا ففي عصره عليه السلام وإن كان الإسلام فتح الأرض شرقاً وغرباً، إلّا أنّه لمّا كان رجال قاموا على خلافه من يوم وفاة النّبيّ صلى الله عليه وآله إلى آخر عمره عليه السلام، صار الأمر مثل أوّل الإسلام.

«ما كان لله في أهل الأرض حاجة» قال ابن أبي الحديد: أي ما دام التّكليف باقياً. قال: وقال الرّاوندي: (ما) هاهنا نافية، أي: لم يكن لله في أهل الأرض من حاجة، وهذا ليس بصحيح، لأنّه إدخال كلام منقطع بين كلامين يتّصل أحدهما بالآخر[2].

وقال ابن ميثم: غير بعيد أن تكون نافية مع اتّصال الكلام بما قبله، ووجهه أنّه لمّا رغّب النّاس في طلب الدّين والعبادة، فكأنّه أراد أن يرفع حكم الوهم، بما عساه يُحكم به عند تكرار طلب الله للدّين والعبادة من حاجته تعالى إليها من خلقه، حيث كرّر طلبه منهم بتواتر الرّسل والأوامر الشرعية، ويصير معنى الكلام: أنّ الهجرة باقية على حدّها الأوّل في صدقها على المسافرين لطلب الدّين، فينبغي للنّاس أن يهاجروا في طلبه إلى أئمّة الحق، وليس ذلك لأنّ لله تعالى إلى أهل الأرض ممّن أسرّ دينه أو أظهره حاجة، فإنّه

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢١٦.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢١٦، وشرح الراوندي ٢: ٤٤٥.

تعالى الغني المطلق[١].

قلت: الإنصاف أنّه لا مناسبة هنا لـ(ما) النّافية، وليس المحلّ محلّ التّوهم حتّى يحتاج إلى الدّفع، فإنّه لو كان قوله عليه السلام: «الهجرة قائمة على حدّها الأوّل» موهماً لاحتياجه تعالى، كان بيان كلّ حكم من أحكام الشّريعة كذلك، وإنّما لدفع التوهّم موضع، كقوله تعالى: ﴿...تخرج بيضاء من غير سوء...﴾[٢]. وكقول الشاعر:

فسقى ديارك غير مفسدها
صوب الرّبيع وديمة تهمي

ثمّ الغريب أنّ الخوئي[٣] تبع ابن ميثم في كون (ما) نافية، ولكن نسب إلى ابن ميثم جعله (ما) مصدرية، مثل ابن أبي الحديد.

«من مستسرّ الأمّة ومعلنها» قال ابن أبي الحديد: (من) زائدة من قولك: ما جاءني من أحد[٤].

قلت: يشترط في زيادة (من) تقدّم نفي أو شبهه، وكون مدخولها نكرة كما في ما مثّل به، والأمران مفقودان في كلامه عليه السلام، والصّواب كون (من) لبيان الجنس، كما نقله ابن ميثم عن الرّاوندي بكونها بيان (أهل الأرض)[٥].

«لا يقع اسم الهجرة على أحد إلّا بمعرفة الحجّة في الأرض، فمن عرفها وأقرّ بها فهو مهاجر» كأنّه بيان لمعنى الهجرة الحقيقيّة، فإنّ الأشياء لها ظواهر وحقايق، والأصل الثاني لعدم ترتّب الثّمرة إلّا عليها، فيمكن أن يهاجر إنسان إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله ويكون منافقاً، كما في كثير ممّن هاجر مع النّبيّ صلى الله عليه وآله، وممّن هاجر

---

(١) شرح ابن ميثم ٤: ١٩٦.

(٢) القصص: ٣٢.

(٣) شرح الخوئي ٥: ١٨٦، ١٨٧.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢١٦.

(٥) شرح ابن ميثم ٤: ١٩٦، وشرح الراوندي ٢: ٤٤٥.

إليه، ومنهم المغيرة بن شعبة الّذي كفّ زياداً عن الشّهادة على زناه، بأنّه يرى وجه رجل لا يخزى على لسانه أحد من المهاجرين، واعتذر عثمان عن تولية أخيه لأُمّه الوليد بن عقبة ـ الّذي سماه الله تعالى فاسقاً في القرآن ـ باستعمال عمر للمغيرة، وصرّح عبد الرّحمن بن عوف حكم عمر في الشورى لما اختار عثمان، وقال له المغيرة: «لو اخترت غيره لم نرض به» بأنّه منافق. فقال له: لو كنت اخترت غيره أيضاً كنت تقول له ذلك.

كما يمكن أن يكون الباقي في بلده مجدّاً في طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله، فيكون أفضل من المهاجرين، كما في أُويس القرني الذّي قال فيه النّبيّ صلى الله عليه وآله ما قال[1].

وروى محمّد بن سعد كاتب الواقدي في (طبقاته): أنّه قدم ثلاثة نفر من بني عبس على النّبيّ صلى الله عليه وآله فقالوا: إنّه قدم علينا قراؤنا فأخبرونا أنّه: «لا إسلام لمن لا هجرة له» ولنا أموال ومواش هي معاشنا، فإن كان لا إسلام لمن لا هجرة له، بعناها وهاجرنا؟ فقال النّبيّ صلى الله عليه وآله: اتّقوا الله حيث كنتم، فلن يلتكم من أعمالكم شيئاً، ولو كنتم بصمد وجازان[2].

وفي خبر: المهاجر من هجر ما نهى الله عنه[3].

ويشهد لقوله عليه السلام: إنّ الأصل في الإسلام وهجرته معرفة الحجّة ما تواتر عن النّبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: الأئمّة اثنا عشر من قريش[4]. ولا ينطبق ذلك إلّا على مذهب الإمامية، وأمّا العامّة فحيارى في تفسير كلامه صلى الله عليه وآله كما لا يخفى

(١) جاءت عدّة أحاديث في فضائل أُويس القرني، منها ما أخرجه مسلم في صحيحه ٤: ١٩٦٨ ح٢٢٣ ـ ٢٢٥، وجمع بعض طرقه السيوطي في الجامع الصغير ٢: ٣٦، والمتقي في منتخب كنز العمال ٥: ٢٨٩.

(٢) الطبقات لابن سعد ١ ق٢: ٤٢.

(٣) صحيح البخاري ١: ١١ و ٤: ١٢٧ بأربعة طرق، وغيره.

(٤) حديث جابر بن سمرة مرّ تخريجه في أواخر العنوان ٨ من هذا الفصل.

على من راجع (خلفاء السّيوطي) فيه[1].

مع أنّه روى جمع من العامّة أسماء الأئمّة عليهم السلام بأعيانهم؛ روى أخطب خوارزم منهم في كتابه مسنداً عن أبي سلمى راعي النّبيّ صلى الله عليه وآله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ليلة أُسري بي إلى السماء قال لي الجليل جلّ وعلا: ﴿آمن الرّسول بما أُنزل إليه من ربّه﴾[2] فقلت: «والمؤمنون» قال: صدقت يا محمّد، من خلّفت في أُمّتك؟ قلت: خيرها. قال: عليّ بن أبي طالب؟ قلت: نعم يا ربّ. قال: يا محمّد إنّي اطّلعت إلى الأرض اطلاعة، فاخترتك منها، فشققت لك اسماً من أسمائي، فلا أُذكر في موضع إلّا ذكرت معي، فأنا المحمود وأنت محمّد. ثمّ اطّلعت الثّانية فاخترت عليّاً، وشققت له اسماً من أسمائي، فأنا الأعلى وهو عليّ. يا محمّد إنّي خلقتك وخلقت عليّاً وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة من ولده من سنخ نور من نوري، وعرضت ولايتكم على أهل السماوات وأهل الأرض، فمن قبلها كان عندي من المؤمنين، ومن جحدها كان عندي من الكافرين، يا محمّد لو أنّ عبداً من عبيدي عبدني حتى ينقطع أو يصير كالشنّ البالي، ثمّ أتاني جاحداً لولايتكم ما غفرت له، حتّى يقرّ بولايتكم. يا محمّد أتحبّ أن تراهم؟ قلت: نعم يا ربّ. فقال لي: التفت عن يمين العرش. فالتفتّ فإذا أنا بعليّ، وفاطمة، والحسن، والحسين، وعليّ بن الحسين، ومحمّد بن عليّ، وجعفر بن محمّد، وموسى بن جعفر، وعليّ بن موسى، ومحمّد بن عليّ، وعليّ بن محمّد، والحسن بن عليّ، والمهديّ في ضحضاح من نور قيام يصلّون، وهو في وسطهم ـ يعني المهدي ـ كأنّه كوكب درّي. قال: يا محمّد هؤلاء الحجج، وهو الثائر من عترتك، وعزّتي وجلالي إنّه الحجّة الواجبة

---

(١) نقل السيوطي بعض أقوال أهل السّنة في ذلك في تاريخ الخلفاء ٩ ـ ١٢، وقد مرّ في العنوان ١ من هذا الفصل.

(٢) البقرة: ٢٨٥.

لأوليائي، والمنتقم من أعدائي[١].

وروى أيضاً مسنداً عن الحارث وسعد بن بشير عن عليّ عليه السلام قال: قال النّبيّ صلى الله عليه وآله: أنا واردكم على الحوض، وأنت يا عليّ السّاقي، والحسن الرائد، والحسين الآمر، وعليّ بن الحسين الفارط، ومحمّد بن عليّ الناشر، وجعفر بن محمّد السائق، وموسى بن جعفر محصي المحبّين والمبغضين وقامع المنافقين، وعليّ بن موسى مزيّن المؤمنين، ومحمّد بن عليّ منزل أهل الجنّة درجاتهم، وعليّ بن محمّد خطيب شيعته ومزوّجهم من الحور العين، والحسن بن عليّ سراج أهل الجنّة يستضيئون به، والمهديّ شفيعهم يوم القيامة، حيث لا يأذن الله إلّا لمن يشاء ويرضى[٢].

وروى مسنداً عن سلمان قال: دخلت على النّبيّ صلى الله عليه وآله وإذا الحسين على فخذه، وهو يقبّل عينيه، ويلثم فاه، ويقول: إنّك سيّد ابن سيّد أبو سادة، إنّك إمام ابن إمام أبو أئمّة، إنّك حجّة ابن حجّة أبو حجج تسعة من صلبك، تاسعهم قائمهم[٣].

هذا ثمّ الّذي وجدنا في النّسخ[٤]: «فمن عرفها وأقرّ بها» والضميران راجعان إلى «الحجّة في الأرض» والحجّة في الأرض شخص لا معنى كقوله تعالى: ﴿... حجّتهم داحضة...﴾[٥]. فالظّاهر كون الأصل: (فمن عرفه وأقرّ به) وصحّف في النّسخ الأوّلية.

---

(١) أخرجه أخطب خوارزم في مقتل الحسين ١: ٩٥، والطوسي في الغيبة: ٩٥.

(٢) مقتل الحسين لأخطب خوارزم ١: ٩٤.

(٣) أخرجه أخطب خوارزم في مقتل الحسين ١: ١٤٥، والصدوق في كمال الدين: ٢٦٢ ح٩، وعيون الأخبار ١: ٤١ ح١٧ والخصال: ٤٧٥ ح٣٨، والخزاز في كفاية الأثر: ٤٥.

(٤) كذا في نهج البلاغة ٢: ١٢٩، وشرح ابن أبي الحديد ٣: ٢١٣، وشرح ابن ميثم ٤: ١٩٢.

(٥) الشورى: ١٦.

«ولا يقع اسم الاستضعاف على من بلغته الحجّة» الظّاهر أنّ الحجّة هنا بمعنى البرهان، والبيّنة فيصح تأنيث مسنده قبله، وإرجاع ضمير المؤنث إليها بعده بخلاف سابقها، ولعل الحجّة هنا صارت لتوهم اتحاد المراد منها مع الحجّة ثمة.

«فسمعتها أذنه ووعاها قلبه» قال الرّاوندي كما نقل ابن أبي الحديد وابن ميثم: ويمكن أن يشير بهذا الكلام إلى آيتين، إحداهما: ﴿إن الّذين توفّاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنّا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأُولئك مأواهم جهنّم...﴾[١]، فيكون مراده على هذا: أنّه لا يقع اسم الاستضعاف على من عرف الامام وبلغته أحكامه ووعاها قلبه، إن بقي في وطنه ولم يتجشم السّفر إلى الامام، كما لم يصدق على هؤلاء المذكورين في الآية. والثانية: قوله تعالى بعد ذلك: ﴿إلّا المستضعفين من الرّجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً * فأُولئك عسى الله أن يعفو عنهم...﴾[٢]، فالمراد على هذا: أنّه ليس من عرف الامام وبلغه خبره بمستضعف، كهؤلاء الّذين استثناهم من الظّالمين[٣].

قلت: الصّواب كونه إشارة إلى الآيتين، لأنّ معنى كلامه عليه السلام: أنّ من بلغته الحجّة وسمعها ووعاها ليس بمستضعف، حتّى يمكن شمول العفو له، فليس بمعذور، وقد قال عترته عليهم السلام: إنّ المستضعف من لم يتميّز بين الحقّ والباطل كبعض النّساء، وكثير من العبيد والإماء، ومثل البلهاء[٤].

---

(١) النساء: ٩٧.

(٢) النساء: ٩٨ ـ ٩٩.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢١٦، وشرح ابن ميثم ٤: ١٩٧، وشرح الراوندي ٢: ٤٤٥، والنقل بالمعنى.

(٤) الكافي للكليني ٢: ٤٠٤ ـ ٤٠٦ ح١ ـ ١٢ وغيره.

«إنّ أمرنا صعب مستصعب لا يحمله إلّا عبد مؤمن» هكذا في (ابن أبي الحديد) و(المصرية)[١]، وليست كلمة «مؤمن» في (ابن ميثم والخطّية)[٢].

«امتحن الله قلبه للإيمان» قال ابن أبي الحديد: وهذه الكلمة قد قالها عليه السلام مراراً، ووقفت في بعض الكتب على خطبة من جملتها: إنّ قريشاً طلبت السّعادة فشقيت، وطلبت النّجاة فهلكت، وطلبت الهدى فضلّت، ألم يسمعوا ويحهم قوله تعالى: ﴿والّذين آمنوا واتّبعتهم ذرّيتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرّيتهم...﴾[٣]؟ فأين المعدل والمنزع عن ذرّية الرّسول الّذين شيّد الله بنيانهم فوق بنيانهم، وأعلى رؤوسهم فوق رؤوسهم، واختارهم عليهم؟ ألا إنّ الذّرية أفنان أنا شجرتها، ودوحة أنا ساقها، وإنّي من أحمد بمنزلة الضوء من الضوء، كنّا ظلالاً تحت العرش قبل خلق البشر، وقبل خلق الطّينة الّتي كان منها البشر أشباحاً عالية لا أجساماً نامية، إنّ أمرنا صعب مستصعب لا يعرف كنهه إلا الثّلاثة: ملك مقرّب، أو نبيّ مرسل، أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان. فإذا انكشف لكم سرّ ووضح لكم أمر فاقبلوه، وإلّا فاسكتوا تسلموا، وردّوا علمنا إلى الله، فإنّكم في أوسع ممّا بين السّماء والأرض[٤].

قلت: إنّه أقرّ أنّه عليه السلام قال هذه الكلمة مراراً، وروى كلامه هذا، ويعترف بتواتر الخبر عن النّبيّ صلى الله عليه وآله: «إنّ عليّاً مع الحقّ، والحقّ مع عليّ يدور حيثما دار»[٥]. واقتصر من (حمل أمرهم عليهم السلام) على مجرّد اللّفظ، حيث شارك

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢١٣.

(٢) لفظ شرح ابن ميثم ٤: ١٩٣ مثل المصرية أيضاً.

(٣) الطور: ٢١.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢١٧.

(٥) أخرجه ابن عساكر في تأريخه عنه ذيل ترجمة علي عليه السلام ٣: ١٥٦، والبزار في مسنده عنه مجمع الزوائد ٧: ٢٣٦، وابن مردويه في مناقبه عنه احقاق الحق ٥: ٦٣١، بفرق بين الألفاظ وفي الباب عن علي عليه السلام وأمّ سلمة.

بينه عليه السلام وبين المتقدّمين عليه، ولم يحمل أمرهم عليهم السلام على الحقيقة إلّا الإمامية، فإنّهم قالوا ـ كما صرّح به في (اعتقادات الصّدوق) ـ: «إنّهم أُولو الأمر الذين أمر الله بطاعتهم، وإنّهم شهداء على النّاس، وإنّهم أبواب الله والسّبيل إليه والأدلة عليه، وإنّهم عيبة علمه وتراجمة وحيه وأركان توحيده، وإنّهم معصومون من الخطأ والزّلل، وإنّهم الّذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً، وإنّ لهم المعجزات والدلائل، وإنّهم أمان لأهل الأرض كما أنّ النّجوم أمان لأهل السّماء، ومثَلهمْ في هذه الأُمّة كسفينة نوح من ركبها نجا، وكباب حطّة، وإنّهم عباد الله المكرمون الّذين ﴿لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾[١]، ونعتقد أنّ حبّهم إيمان وبغضهم كفر، وأنّ أمرهم أمر الله، ونهيهم نهي الله، وطاعتهم طاعة الله، ومعصيتهم معصية الله، ووليّهم وليّ الله، وعدوّهم عدوّ الله، ونعتقد أنّ الأرض لا تخلو من حجّة الله على خلقه إمّا ظاهراً أو خائفاً مغموراً»[٢].

قال الخوئي في بعض النّسخ: «لا يتحمله إلّا ملك مقرّب أو نبيّ مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان»[٣].

قلت: ما ذكره كلامُه عليه السلام في غير النّهج، ولو كان فيه لنقله ابن أبي الحديد أو ابن ميثم، ولابدّ أنّه كان حاشية خلطته تلك النّسخة بالمتن، ويشهد لكونه من كلامه عليه السلام ـ غير ما نقله ابن أبي الحديد عن بعض الكتب ـ ما رواه الصّدوق مسنداً عن سدير: أنّه سأل الصّادق عليه السلام عن قول أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ أمرنا صعب مستصعب لا يقرّ به إلّا ملك مقرّب أو نبيّ مرسل أو عبد

---

(١) الأنبياء: ٢٧.

(٢) الاعتقادات للصدوق: ٣٦.

(٣) شرح الخوئي ٥: ١٨٩.

امتحن الله قلبه للايمان». فقال عليه السلام: إنّ في الملائكة مقرّبين وغير مقرّبين، ومن الأنبياء مرسلين وغير مرسلين، ومن المؤمنين ممتحنين وغير ممتحنين، فعرض أمركم هذا على الملائكة، فلم يقرّ به إلّا المقرّبون، وعرض على الأنبياء، فلم يقرّ به إلّا المرسلون، وعرض على المؤمنين، فلم يقرّ به إلّا الممتحنون[1].

وعن كتاب (اللبيات) لابن شريعة الواسطي يرفعه إلى ميثم التمّار قال: بينا أنا في السّوق إذا أتى أصبغ بن نباتة فقال: ويحك يا ميثم لقد سمعت من أمير المؤمنين عليه السلام حديثاً صعباً شديداً. قلت: وما هو؟ قال: سمعتهُ يقول: إنّ حديث أهل البيت صعب مستصعب، لا يحتمله إلّا ملك مقرّب، أو نبيّ مرسل، أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان. قال: فقمت من فورتي فأتيت عليّاً عليه السلام فقلت: حديث حدّثني به أصبغ عنك قد ضقت به ذرعاً. فقال: ما هو؟ فأخبرته، فتبسّم ثمّ قال: اجلس يا ميثم، أوكلّ علم يحتمله عالم؟ إنّ الله تعالى قال للملائكة: ﴿... إنّي جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدّماء ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك قال إنّي أعلم ما لا تعلمون﴾[2] فهل رأيت الملائكة احتملوا العلم؟ قلت: وإنّ هذا أعظم من هذا. قال: والأُخرى أنّ موسى بن عمران أنزل الله عليه التّوراة، فظنّ أن لا أحد أعلم منه، فأخبره أنّ في خلقه أعلم منه، وذلك إذ خاف على نبيّه العجب، فدعا ربّه أن يرشده إلى العالم، فجمع الله بينه وبين الخضر، فخرق السّفينة فلم يحتمل ذلك موسى، وقتل الغلام فلم يحتمله، وأقام الجدار فلم يحتمله؛ وأمّا المؤمنون فإنّ نبيّنا يوم غدير خم أخذ بيدي، فقال: «اللّهمّ من كنتُ مولاه فعليّ مولاه» فهل رأيت

---

(١) معاني الأخبار للصدوق: ٤٠٧ ح٨٣، البصائر للصفار: ٤٦ ح١، وشرح ابن أبي الحديد ٣: ٢١٧.

(٢) البقرة: ٣٠.

أحداً احتمل ذلك إلّا من عصم الله؟ فابشروا، ثمّ ابشروا، فقد خصّكم الله بما لم يخصّ به الملائكة، والنّبيّين، والمرسلين في أمر النّبيّ صلى الله عليه وآله وعلمه، فحدّثوا عن فضلنا ولا حرج، وعن عظيم أمرنا ولا إثم. ثمّ قال عليه السلام: قال النّبيّ صلى الله عليه وآله: أمرنا معاشر الأنبياء أن نخاطب الناس على قدر عقولهم[١].

«ولا يعي» أي: لا يستمع.

«حديثنا إلّا صدور أمينة» لا كلّ صدر.

«وأحلام» أي: عقول.

«رزينة» أي: رفيعة لا كلّ حلم؛ وفي الخبر: أتى الحسين عليه السلام أُناس فقالوا له: يا أبا عبد الله حدّثنا بفضلكم الّذي جعل الله لكم. فقال: إنّكم لا تحتملونه ولا تطيقونه. قالوا: بلى نحتمل. قال: إن كنتم صادقين فليتنحّ اثنان، وأُحدّث واحداً، فإن احتمله حدّثتكم. فتنحّى اثنان وحدّث واحداً. قال: فقام طائر العقل ومرّ على وجهه، وكلّمه صاحباه، فلم يردّ عليهما شيئاً، وانصرفوا[٢].

أيضاً في الخبر: دخل زرارة على الباقر عليه السلام، فسأله عمّا عنده من أحاديث الشيعة، فقال زرارة: قد هممت أن أوقد لها ناراً ثمّ أحرقها. قال: ولِمَ؟ هات ما أنكرت منها؛ ما كان علم الملائكة حيث قالوا: ﴿...أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدّماء...﴾[٣].

هذا، وروى الكشي عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: إن علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله، وقد آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بينهما فما ظنّك بسائر الخلق[٤]؟

---

(١) رواه ابن شريعة في اللبيات عنه بحار الأنوار ٢٥: ٣٨٣ ح٣٨، والفرات الكوفي في تفسيره: ٦، والطبري في بشارة المصطفى: ١٤٨.

(٢) أخرجه الراوندي في الخرائج عنه البحار ٢٥: ٣٧٨ ح٢٦.

(٣) أخرجه العياشي في تفسيره ١: ٣١ ح ٩ والنقل بتلخيص. والآية ٣٠ من سورة البقرة.

(٤) رواه الكشي في معرفة الرجال (اختياره): ١٧ ح ٤٠.

وعن الباقر عليه السلام قال: دخل أبو ذر على سلمان وهو يطبخ قدراً له، فبينا هما يتحدّثان إذ انكبت القدر على وجهها على الأرض، فلم يسقط من مرقها ولا من ودكها شيء، فعجب من ذلك أبو ذر عجباً شديداً، وأخذ سلمان القدر فوضعها على حالها الأوّل على النّار ثانية وأقبلا يتحدّثان، فبينا هما كذلك إذا انكبّت القدر على وجهها، فلم يسقط منها شيء من مرقها ولا من ودكها، فخرج أبو ذر وهو مذعور من عند سلمان، فبينا هو متفكّر إذ لقي أمير المؤمنين عليه السلام على الباب، فلمّا أن بصر به أمير المؤمنين عليه السلام قال له: يا أبا ذر ما الّذي أخرجك من عند سلمان، وما الّذي أذعرك؟ قال له أبو ذر: يا أمير المؤمنين رأيت سلمان صنع كذا وكذا فعجبت من ذلك! فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا أباذر، إنّ سلمان لو حدّثك بما يعلم لقلت: رحم الله قاتل سلمان...[1].

هذا، وممّا ينسلك في الباب من الهزل ما رواه (الأغاني): أنّ رجلاً شهد عند قاض بشهادة، فقيل له: من يعرفك؟ قال ابن أبي عتيق. فبعث إليه يسأله عنه، فقال: عدل رضي. فقيل له: أكنت تعرفه قبل اليوم؟ قال: لا، ولكنّي سمعته ينشد:

غيّضن من عبراتهن وقلن له ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فعلمت أنّ هذا لا يرسخ إلّا في قلب مؤمن، فشهدت له بالعدالة[2].

١٦
من الخطبة (٢٣١)

ومن كلام له عليه السلام:

أَلَا وَإِنَّ ٱللِّسَانَ بَضْعَةٌ مِنَ ٱلْإِنْسَانِ، فَلَا يُسْعِدُهُ ٱلْقَوْلُ إِذَا ٱمْتَنَعَ، وَلَا

---

(١) رواه الكشي في معرفة الرجال (اختياره): ١٤ ح٣٣.

(٢) لم أجده في الأغاني.

يُمْهِلُهُ ٱلنُّطْقُ إِذَا ٱتَّسَعَ، وَإِنَّا لَأُمَرَاءُ ٱلْكَلاَمِ، وَفِينَا تَنَشَّبَتْ عُرُوقُهُ، وَعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ غُصُونُهُ.

قال ابن أبي الحديد: قال عليه السلام ذلك في واقعة اقتضت أن يقوله، وذلك أنّه أمر ابن اُخته جعدة بن هبيرة المخزومي أن يخطب النّاس يوماً، فصعد المنبر فحصر، ولم يستطع الكلام، فقام أمير المؤمنين عليه السلام ، فتسنّم ذروة المنبر، وخطب خطبة طويلة ذكر الرّضي رحمه الله منها هذه الكلمات. وقال الجاحظ في كتاب (البيان والتّبيين): إن عثمان صعد المنبر، فأرتج عليه فقال: إنّ أبا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالاً، وأنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام خطيب(١).

قلت: كان عثمان في فعاله أكثر ارتجاجاً منه في مقاله، وكان عبد الله بن عامر أحسن منه في اعتذاره؛ خطب يوم أضحى فأُرتج عليه، فقال: لا أجمع عليكم عيّاً ولؤماً، من أخذ شاة من السوق فهي له وثمنها عليّ.

قال ابن أبي الحديد أيضاً: قال المدائني: لمّا حصر عبد الله بن عامر بن كريز على المنبر بالبصرة ـ وكان خطيباً ـ، شقّ عليه ذلك، فقال له زياد بن أبيه ـ وكان خليفته ـ: أيّها الأمير لا تجزع، فلو أقمت على المنبر عامّة من ترى أصابهم أكثر ممّا أصابك. فلمّا كانت الجمعة تأخّر عبد الله بن عامر، وقال زياد للنّاس: إنّ الأمير اليوم موعوك. فقيل لرجل من وجوه اُمراء القبائل: قم فاصعد المنبر. فلمّا صعد، حصر فقال: الحمد لله الّذي يرزق هؤلاء. وبقي ساكتاً فأنزلوه، وأصعدوا آخر من الوجوه، فلمّا استوى قائماً قابل بوجهه النّاس، فوقعت عينه على صلعة رجل، فقال: أيّها النّاس، إنّ هذا الأصلع قد منعني الكلام، اللهمّ فالعن هذه الصّلعة. فأنزلوه، وقالوا لوازع اليشكري: قم إلى المنبر

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣: ١٨٤.

فتكلّم. فلمّا صعد ورأى النّاس، قال: أيّها النّاس إنّي كنت اليوم كارهاً لحضور الجمعة، ولكن امرأتي حملتني على إتيانها، وأنا أشهدكم أنّها طالق ثلاثاً. فأنزلوه. فقال زياد لعبد الله بن عامر: كيف رأيت؟ قم الآن فاخطب[1].

وقال الجاحظ: قال المدائني: خطب مروان بن الحكم فحصر، فقال: اللّهمّ إنّا نحمدك، ونستعينك ونشكرك بك[2].

قلت: الّذي وجدت في (بيان الجاحظ): وخطب أمير المؤمنين الموالي ـ وهكذا لقبه ـ خطبة نكاح فحصر، فقال: «اللهمّ إنّا نحمدك ونستعينك، ولا نشكرك»[3]، لا مروان بن الحكم كما قال.

وفي (الطبري): كان ثابت بن قطنة خليفة عامل خراسان فحصر، فقال: من يطع الله ورسوله فقد ضلّ. وارتجّ عليه فلم ينطق بكلمة، فلمّا نزل عن المنبر، قال:

فإن لم أكن يوماً خطيباً فإنّني　　　بسيفي إذا جدّ الوغى لخطيب

فقيل له: لو قلت هذا على المنبر لكنت خطيباً. فقال حاجب الفيل اليشكري يعيّره حصره:

أبا العلاء لقد لاقيت معضلة　　　يوم العروبة من كرب وتخنيق
تلوى اللسان إذا رمت الكلام به　　　كما هوى زلق من شاهق النيق
لمّا رمتك عيون النّاس ضاحية　　　أنشأت تحرض لمّا قمت بالرّيق
أما القران فلا تهدى لمحكمة　　　من القران ولا تهدى لتوفيق[4]

وفي (عيون ابن قتيبة): ولّي رجل من بني هاشم يعرف بالدّندان بحر

(١ و ٢) شرح ابن أبي الحديد ٣: ١٨٥.
(٣) البيان والتبيين للجاحظ ٢: ٢٧٣.
(٤) تاريخ الطبري ٥: ٣٨٦ سنة ١٠٦.

اليمامة، فلمّا صعد المنبر، أُرتج عليه فقال: حيّا الله هذه الوجوه، وجعلني فداها، إنّي قد أمرت طائفي بالليل أن لا يرى أحداً إلّا أتاني به، وإن كنت أنا هو. ثمّ نزل[١].

وقال ابن أبي الحديد: قال الجاحظ: خطب السّفاح أوّل يوم صعد فيه المنبر. فأُرتج عليه، فقال عمّه داود بن عليّ: أيّها النّاس إنّ أمير المؤمنين يكره أن يتقدّم قوله فيكم فعله، ولأثر الأفعال أجدى عليكم من تشقيق المقال، وحسبكم كتاب الله علماً فيكم، وابن عمّ النّبيّ ﷺ خليفته عليكم[٢].

قلت: وقال المسعودي: كان المعتضد في سنة تسع وسبعين ومائتين ركب يوم الفطر إلى مصلّى اتّخذه بالقرب من داره، فصلّى بالنّاس وكبّر في الرّكعة الأُولى ستّ تكبيرات، وفي الأخيرة تكبيرة واحدة، ثمّ صعد المنبر، فحصر ولم تسمع له خطبة؛ ففي ذلك يقول بعض الشعراء:

حصر الامام ولم يبيّن خطبة ... للنّاس في حلٍّ ولا إحرام
ماذاك إلّا من حياء لم يكن ... ما كان من عيٍّ ولا إفحام[٣]

وفي (تاريخ بغداد): اجتمع الكسائي واليزيدي عند الرّشيد فحضرت صلاة يجهر فيها، فقدّموا الكسائي يصلّي فأُرتج عليه في قراءة: ﴿قل يا أيّها الكافرن﴾[٤] فلمّا أن سلّم قال اليزيدي: قارئ أهل الكوفة يرتج عليه في ﴿قل يا أيّها الكافرون﴾. فحضرت صلاة يجهر فيها فقدّموا اليزيدي فارتجّ عليه في سورة الحمد. فلمّا أن سلّم قال:

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢: ٢٥٨.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٨٥، ولم يصرح بالنقل عن الجاحظ.

(٣) مروج الذهب للمسعودي ٤: ١٤٥.

(٤) الكافرون: ١.

احفظ لسانك لا تقل فتبتلى إنّ البلاء موكّل بالمنطق[١]

وفيه: قال الكسائي صلّيت بهارون فاعجبتني قراءتي، فغلطت في آية ما أخطأ فيها صبي قطّ: أردت أن أقول: ﴿...لعلّهم يرجعون﴾[٢] فقلت: لعلّهم ترجعين؛ فوالله ما اجترأ هارون أن يقول لي: أخطأت. ولكن لمّا سلّمت، قال لي: يا كسائي أيّ لغة هذه؟ قلت: قد يعثر الجواد. قال: أمّا هذا فنعم[٣].

وفيه قال خلف: كان الكسائي إذا كان شعبان وضع له منبر، فقرأ هو على الناس في كلّ يوم نصف سبع يختم ختمتين في شعبان، وكنت أجلس أسفل المنبر، فقرأ يوماً في سورة الكهف: ﴿...أنا أكثر منك...﴾[٤] فنصب أكثر فعلمت أنّه وقع فيه، فلمّا فرغ، أقبل الناس يسألون عن العلّة في (أكثر)، لِمَ نصبه؟ فثرت في وجوههم أنّه أراد في فتحه (أقلَّ): إن ترن أنا أقل منك مالاً. فقال الكسائي: «أكثرُ» فمحوه من كتبهم. قال: ثمّ قال لي: يا خلف يكون أحد بعدي يسلم من اللحن؟ قلت: لا، أما إذا لم تسلم أنت فليس يسلم أحد بعدك، قرأت القرآن صغيراً، وأقرأت النّاس كبيراً، وطلبت الآثار فيه والنّحو[٥].

وفي (الطبري): قال الواقدي: وفي سنة (٦٥) عزل ابن الزّبير أخاه عبيدة عن الكوفة لأنّه خطب، فقال: قد رأيتم ما صنع بقوم في ناقة قيمتها خمسمائة درهم. فسمّي مقوّم النّاقة، فبلغ ذلك ابن الزّبير، فقال: إنّ هذا لهو التكلّف. وعزله[٦].

---

(١) رواه الخطيب في تاريخ بغداد ١١: ٤٠٨.

(٢) آل عمران: ٧٢ وتسع آيات أُخرى من القرآن.

(٣) رواه الخطيب في تاريخ بغداد ١١: ٤٠٧، والنقل بتصرف يسير.

(٤) الكهف: ٣٤.

(٥) رواه الخطيب في تاريخ بغداد ١١: ٤٠٨.

(٦) تاريخ الطبري ٤: ٤٨٣ سنة ٦٥.

«ألا إنّ اللسان بضعة من الإنسان» قالوا: ما المرء إلّا بأصغريه: جنانه ولسانه. وقال خالد بن صفوان: ما الإنسان لولا اللسان إلّا صورة ممثّلة أو بهيمة مهملة.

«فلا يسعده القول إذا امتنع» كان الفرزدق يقول: أنا أشعر تميم، وربما أتت عليّ ساعة: نزع ضرس أهون عليّ من قول بيت.

وكان عبد ربه اليشكري عاملاً لعيسى بن موسى على المدائن، فصعد المنبر فأُرتج عليه، فسكت ثمّ قال: والله إنّي لأكون في بيتي فيجيء على لساني ألف كلمة، فإذا قمت على أعوادكم هذه جاء الشيطان فمحاها في صدري، ولقد كنت وما في الأيّام يوم أحبّ إليّ من يوم الجمعة، فصرت وما في الأيّام أبغض إليّ من يوم الجمعة، وما ذلك إلّا لخطبتكم هذه.

وقال عليّ بن الجهم الشّاعر: لمّا أفضت الخلافة إلى جعفر المتوكّل أهدى إليه النّاس أقدارهم، وأهدى إليه ابن طاهر هدية فيها مائة وصيفة ووصيف، وفي الهدية جارية يُقال لها: محبوبة. كانت لرجل من أهل الطّائف، قد أدّبها وثقّفها وعلّمها من صنوف العلم، وكانت تحسن ما يحسنه علماء النّاس، فحسن موقعها من المتوكّل، وحلّت من قلبه محلّاً جليلاً لم يكن أحد يعدلها عنده. قال ابن الجهم: فدخلت عليه يوماً للمنادمة، فلمّا استقرّ بي المجلس قام فدخل بعض المقاصير، ثمّ خرج وهو يضحك، فقال: ويلك يا عليّ دخلت فرأيت قينة قد كتبت في خدها بالمسك: جعفر، فما رأيت أحسن منه، فقل فيه شيئاً. فقلت: يا سيّدي أنا وحدي أو أنا ومحبوبة؟ قال: بل أنت ومحبوبة. فدعوت بدواة وقرطاس، فسبقتني محبوبة إلى القول، ثمّ أخذت العود فترنمت حتّى صاغت لحناً، ثمّ قالت للمتوكّل: تأذن لي؟ فقال: نعم، فغنّت:

لئن أودعت خطّاً من المسك خدّها   لقد أودعت قلبي من الوجد أسطرا

فيامن لمملوك يظل مليكه مطيعاً له في ما أسرّ وأجهرا

وتعلّلت خواطري حتّى كأنّي ما أحسن حرفاً من الشعر، فقال لي المتوكّل: ويلك ما أمرتك؟ فقلت: يا سيّدي أقلني، فوالله لقد عزب عن ذهني. فلم يزل يضرب بذلك على رأسي، ويعيّرني به إلى أن مات.

وذكروا أنّ هارون قال في ليلة بيتاً ورام أن يشفعه بآخر، فامتنع القول عليه، فقال عليّ بالعبّاس بن أحنف. فلمّا طرق ذعر وفزع أهله، فلمّا وقف بين يديه، قال له: وجّهت إليك لبيت قلته، ورمت أن أشفعه بمثله، فامتنع القول عليّ. فقال له: دعني حتى يرجع إليّ نَفَسي، فإنّي قد تركت عيالي على حال من القلق عظيمة. فانتظره هنيهة، ثمّ أنشد البيت:

جنان قد رأيناها ولم تر مثلها بشراً

فقال العبّاس:

يزيدك وجهها حسناً إذا ما زدته نظراً

قال: زدني. فقال:

إذا ما الليل مال عليـ ـك بالإظلام واعتكرا

ودجّ فلم تر قمراً فأبرزها ترى قمرا

فقال الرّشيد: قد ذعرناك وأفزعنا عيالك، فأقل الواجب أن نعطيك ديتك. وأمر له بعشرة آلاف وصرفه.

وفي (الأغاني) عن أبي دهبل الجمحي: لمّا قلت أبياتي الّتي قلت فيها:

إعلم بأنّي لمن عاديت مظطغن ضباً وأنّي عليك اليوم محسود

قلت: فيها نصف بيت:

وإنّ شكرك عندي لا انقضاء له

ثمّ اُرتج عليّ، فأقمت حولين لا أقع على تمامه، حتّى سمعت رجلاً من الحاجّ في الموسم يذكر لبنان، فقلت: ما لبنان؟ فقال: جبل بالشّام.

فأتممت نصف البيت:

مادام بالهضب من لبنان جلمود[1]

«ولا يمهله النّطق إذا اتّسع» في (العقد الفريد) صعد خالد بن عبد الله القسري المنبر فأُرتج عليه، فمكث ملياً لا يتكلّم، ثمّ تهيأ له الكلام، فتكلّم فقال: أمّا بعد فإنّ هذا الكلام يجيء أحياناً ويعزب أحياناً، فيسيح عند مجيئه سيبه، ويعزّ عند عزوبه طلبه، ولرّبما كوبر فأبى، وعولج فنأى، فالتأنّي لمجيئه خير من التّعاطي لأبيّه، وتركه عند تنكّره أفضل من طلبه عند تعذّره، وقد يرتج على البليغ لسانه، ويختلج من الجري جنانه، وسأعود فأقول إن شاء الله[2].

وقيل: إنّ أوّل ما أنشأ الحريري من (مقاماته) ـ وهي ثمانٍ وأربعون مقامة ـ بالبصرة فعرضها ببغداد على أنوشروان الوزير، فاستحسنها وأمره أن يضيف إليها ما شاكلها، فقال: أفعل ذلك في رجوعي إلى البصرة، وتجمع خاطري بها. ثمّ انحدر إليها فصنع أربعين مقامة، ثمّ اصعد إلى بغداد، فعرضها عليها فاستحسنها، واتّهمه من كان يحسده بأنّها ليست من عمله، فإن كان صادقاً فليصنع مقامة اُخرى، فقال: سأصنع، وجلس في منزله ببغداد أربعين يوماً فلم يتهيّأ له تركيب كلمتين، والجمع بين لفظتين، وسوّد كثيراً من الكاغذ، فلم يصنع شيئاً، فعاد إلى البصرة والنّاس يقعون فيه، فما غاب عنهم إلّا مديدة، حتّى عمل عشراً اُخرى، وأضافها إلى تلك، فعلم أنّها من عمله.

وقال العجاج: قلت أُرجوزتي الّتي أوّلها:

بكيت والمحتزن البكيّ والدّهر بالإنسان دواري

وأنا بالرّمل، فانثالت عليّ قوافيها انثيالاً، وأنّي لأُريد اليوم دونها في

---

(١) الأغاني لأبي الفرج ٧: ١٣٠.

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه ٤: ٢٠٣.

الأيّام الكثيرة فما أقدر عليه. ولبعضهم:

قد يعترض الشّعر البكيّ لسانه وتعيي القوافي المرء وهو خطيب

«وإنّا لأُمراء الكلام» لبعضهم في خطيب:

فإذا تكلّم خلته متكلّما بجميع ألسن الخطباء

فكأنّ آدم علّمه الّذي قد كان علّمه من الأسماء

أيضاً:

إذا ما انتدى خاطباً لم يقل له أطل القول أو قصّر

طبيب بداء فنون الكلا م لم يعي يوماً ولم يهذر

فإن هو أطنب في خطبة قضى للمقلّ على المكثر

ولابن ميادة:

فجرنا ينابيع الكلام وبحره فأصبح فيه ذو الرّواية يسبح

وما الشعر إلّا شعر قيس وخندف وشعر سواهم كلفة وتملح

ويكفي في تصديق ما قاله عليه السلام من كونهم أُمراء الكلام هذا الكتاب الّذي جمعه الرّضيّ -رضوان الله عليه- من كلامه عليه السلام الّذي هو تالي القرآن لفظاً ومعنىً[١]. وقد جمع البحراني من أدعيته عليه السلام صحيفة[٢]، والنّوري أُخرى[٣].

وفي (الحلية) قال سفيان الثوري: ما حاجّ عليّ عليه السلام أحداً إلّا حجّه[٤].

وفي (خلفاء) القتيبي: إنّ عبد الله بن أبي محجن الثقفي قدم إلى معاوية فقال: يا أمير المؤمنين اني أتيتك من عند الغبي الجبان البخيل ابن أبي طالب. فقال معاوية: لله أنت! أتدري ما قلت؟ أما قولك الغبي، فوالله لو أنّ ألسن النّاس

(١ و ٢ و ٣) جمع الشريف الرضي نهج البلاغة، وهو أشهر من أن يوصف. واما الصحيفة العلوية الأُولى -فقد جمعها الشيخ- فهو للشيخ عبد الله السماهيجي البحراني، والصحيفة العلوية الثانية جمعها المحدّث حسين النوري صاحب المستدرك، وذكر الطهراني (في الذريعة ١٥: ٢٣) صحيفة ثالثة للسيّد مهدي الغريفي البحراني.

(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم ٧: ٣٤.

جمعت فجعلت لساناً واحداً لكفاها لسان عليّ...[١].

وفي (عيون ابن قتيبة): وفد الحسن عليه السلام على معاوية الشّام، فقال عمرو بن العاص: إنّ الحسن رجل أفّه، فلو حملته على المنبر فتكلّم، فسمع النّاس من كلامه، عابوه. فأمره فصعد المنبر فتكلّم، فأحسن، وكان في كلامه أن قال: أيّها النّاس لو طلبتم ابنا لنبيّكم ما بين جابرس إلى جابلق لم تجدوه غيري، وغير أخي ﴿وإن أدري لعلّه فتنة لكم ومتاع إلى حين﴾[٢]. فساء ذلك عمراً وأراد أن يقطع كلامه، فقال: يا أبا محمّد هل تنعت الرّطب؟ فقال: أجل تلفحه الشّمال، وتخرجه الجنوب، وينضجه برد الليل بحرّ النّهار. قال: يا أبا محمّد هل تنعت الخراءة؟ قال: نعم تبعد الممشى في الأرض الصحصح حتّى تتوارى من القوم، ولا تستقبل القبلة، ولا تستدبرها، ولا تستنجي بالرّوثة ولا العظم، ولا تبول في الماء الراكد. وأخذ عليه السلام في كلامه[٣].

وروى المدائني أيضاً: أنّ معاوية سأل الحسن عليه السلام بعد الصّلح أن يخطب النّاس، فامتنع فناشده أن يفعل، فوضع له كرسي فجلس عليه ثمّ قال: الحمد لله الّذي توحّد في ملكه، وتفرّد في ربوبيته، ﴿يؤتي الملك من يشاء﴾ وينزعه عمّن يشاء، والحمد لله الّذي أكرم بنا مؤمنكم، وأخرج من الشّرك أوّلكم، وحقن دماء آخركم، فبلاؤنا عندكم قديماً وحديثاً أحسن البلاء، إن شكرتم أو كفرتم. أيّها النّاس إنّ ربّ عليّ كان أعلم بعليّ حين قبضه إليه، ولقد اختصه بفضل لم تعتدّوا بمثله، ولم تجدوا مثل سابقته، فهيهات هيهات طالما قلبتم له الأمور حتّى أعلاه الله عليكم، وهو صاحبكم، وعدوّكم في بدر

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ١١٤.

(٢) الأنبياء: ١١١.

(٣) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢: ١٧٢.

وأخواتها، جرّعكم رنقاً وسقاكم علقاً، وأذلّ رقابكم وأشرقكم بريقكم، فلستم ملومين على بغضه، وايم الله لا ترى أُمّة محمّد ﷺ خفضاً ما كانت سادتهم وقادتهم بني أُميّة، ولقد وجّه الله إليكم فتنة لن تصدروا عنها حتّى تهلكوا، لطاعتكم طواغيتكم وانضوائكم إلى شياطينكم، فعند الله احتسب ما مضى وما ينتظر من سوء دعتكم وحيف حكمكم. ثمّ قال: يا أهل الكوفة لقد فارقكم بالأمس سهم من مرامي الله، صائب على أعداء الله، نكّال على فجّار قريش، لم يزل آخذاً بحناجرها، جاثماً على أنفاسها، ليس بالملومة في أمر الله، ولا بالسّروقة لمال الله، ولا بالفروقة في حرب أعداء الله، أعطى الكتاب خواتمه وعزائمه، دعاه فأجابه، وقاده فاتّبعه. لا تأخذه في الله لومة لائم، فصلوات الله عليه ورحمته. ثمّ نزل، فقال معاوية: أخطأ عجل أو كاد، وأصاب متثبّت أو كاد، ماذا أردت من خطبة الحسن[1]؟

وروى أبو الفرج: أنّ معاوية لمّا سلّم الحسن عليه السلام الأمر إليه أمره أن يخطب، وظنّ أنّه سيحصر، فقال في خطبته: إنّما الخليفة من سار بكتاب الله، وسنّة نبيّه ﷺ، وليس الخليفة من سار بالجور، ذلك ملك ملّك ملكاً يتمتّع به قليلاً، ثمّ تنقطع لذّته وتبقى تبعته ﴿وإن أدري لعلّه فتنة لكم ومتاع إلى حين﴾[2].

وروى الطبرسي عن موسى بن عقبة أنّه قيل لمعاوية: إنّ الناس قد رموا أبصارهم إلى الحسين، فلو قد أمرته يصعد المنبر ويخطب، فإنّ فيه حصراً أو في لسانه كلالة. فقال لهم معاوية: قد ظننّا ذلك بالحسن فلم يزل حتّى عظم في أعين النّاس وفضحنا. فلم يزالوا به حتّى قال للحسين: يا أبا عبد

(١) نقله عن المدائني ابن أبي الحديد في شرحه ٤: ١٠، شرح الكتاب ٣١.

(٢) المقاتل لأبي الفرج: ٤٧، والآية ١١١ من سورة الأنبياء.

الله لو صعدت المنبر فخطبت. فصعد الحسين عليه السلام المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على النّبيّ صلى الله عليه وآله، فسمع رجلاً يقول: من هذا الّذي يخطب؟

فقال الحسين عليه السلام: «نحن حزب الله الغالبون، وعترة رسوله الأقربون، وأهل بيته الطيّبون، وأحد الثقلين اللذين جعلنا رسول الله صلى الله عليه وآله ثاني كتاب الله تبارك وتعالى، الّذي فيه تفصيل كلّ شيء لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، والمعوّل علينا في تفسيره، ولا يبطئنا تأويله بل نتّبع حقائقه، فأطيعونا، فإنّ طاعتنا مفروضة إن كانت بطاعة الله ورسوله مقرونة؛ قال عزّوجلّ ﴿...أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرّسول...﴾[1]. وقال: ﴿...ولو ردّوه إلى الرّسول وإلى أُولي الأمر منهم لعلمه الّذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتّبعتم الشّيطان إلّا قليلاً﴾[2]. وأُحذّركم الإصغاء إلى هتوف الشّيطان بكم، فإنّه لكم عدوّ مبين فتكونوا كأوليائه الّذين قال لهم: ﴿...لا غالب لكم اليوم من النّاس، وإنّي جار لكم فلمّا تراءت الفئتان نكص على عقبيه، وقال إنّي بريء منكم...﴾[3] فتلقون للسيوف ضرباً، وللرّماح ورداً، وللعمد حطماً، وللسهام غرضاً. ثمّ لا يقبل من نفس إيمانها ﴿لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً﴾[4] قال معاوية: حسبك يا أبا عبد الله، قد أبلغت[5].

وروى الطّبري: أنّ الحسين عليه السلام خطب النّاس يوم الطّف، فحمد الله وأثنى عليه، وذكر الله بما هو أهله وصلّى على محمّد صلى الله عليه وآله وعلى ملائكته

---

(١) النساء: ٥٩.

(٢) النساء: ٨٣.

(٣) الانفال: ٤٨.

(٤) الأنعام: ١٥٨.

(٥) الاحتجاج للطبرسي: ٢٩٨.

وأنبيائه، فلم يسمع متكلّم قط قبله ولا بعده أبلغ في منطق منه[١].

وروى محمّد بن أبي طالب في (مقتله): أنّ الحسين عليه السلام تقدّم يوم الطّف حتّى وقف بازاء القوم، فجعل ينظر إلى صفوفهم كأنّهم السّيل، ونظر إلى ابن سعد واقفاً في صناديد الكوفة، فقال: الحمد لله الذي خلق الدّنيا فجعلها دار فناء وزوال، متصرّفة بأهلها حالاً بعد حال، فالمغرور من غرّته، والشّقيّ من فتنته، فلا تغرنّكم الدّنيا، فإنّها تقطع رجاء من ركن إليها، وتخيّب طمع من طمع فيها، وأراكم قد اجتمعتم على أمر قد أسخطتم الله فيه عليكم، وأعرض بوجه الكريم عنكم، وأحلّ بكم نقمته، وخيّبكم رحمته، فنعم الرّبّ ربّنا، وبئس العبيد أنتم، أقررتم بالطّاعة، وآمنتم بالرّسول صلى الله عليه وآله، ثمّ إنّكم زحفتم إلى ذرّيته وعترته تريدون قتلهم، لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم، فتبّاً لكم ولما تريدون ﴿إنّا لله وإنّا إليه راجعون﴾[٢] هؤلاء قوم ﴿كفروا بعد إيمانهم﴾ ﴿فبعداً للقوم الظالمين﴾[٣]. فقال عمر بن سعد: ويلكم كلّموه فإنّه ابن أبيه، والله لو وقف فيكم هكذا يوماً جديداً لما انقطع ولما حصر[٤].

وقد جمعوا من أدعيته عليه السلام صحيفة[٥]، ولو لم يكن له إلّا دعاؤه في يوم عرفة لكفاه في كونه من أُمراء الكلام.

وفي الخبر لمّا دعا الحسن والحسين عليهما السلام بأمر أبيهما عليه السلام بدعوات في الاستسقاء ـ سئل سلمان الفارسي: إنّه شيء علماه؟ فقال: ويحكم ألم

(١) رواه الطبري في تاريخه ٤: ٣٢٢ سنة ٦١، وأبو مخنف في مقتل الحسين: ٨٤ ضمن خطبة، والنقل بتقطيع.

(٢) البقرة: ١٥٦.

(٣) المؤمنون: ٤١ ـ ٤٤.

(٤) رواه محمد بن أبي طالب الحائري في مقتله عنه مقتل الحسين للمقرم: ٢٢٧، وابن شهر آشوب في مناقبه ٤: ١٠٠ بتفاوت بين الألفاظ.

(٥) هي الصحيفة الحسينية لمحمد حسين المرعشي الشهرستاني، المطبوعة في ايران.

تسمعوا قول النّبي صلى الله عليه وآله حيث يقول: أُجريت الحكمة على لسان أهل بيتي[١]؟

وجمعوا من كلام السّجّاد عليه السلام خمس صحايف من الدعاء والمناجاة[٢]، لو اجتمعت العرب، وكلّ ذي أدب أن يأتوا بمثلها لعجزوا، وقال ابن شهر آشوب: ذكر فصاحة الصحيفة الكاملة عند بليغ في البصرة، فقال: خذوا عنّي أملي عليكم، وأخذ القلم، وأطرق رأسه فما رفعه حتّى مات[٣].

ويكفيه دعاؤه المعروف بدعاء أبي حمزة، فإنّ فقراته في غاية القرب من آيات القرآن، ومنها: فإنّ قوماً آمنوا بألسنتهم ليحقنوا به دماءهم، فادركوا ما أمّلوا، وإنّا آمنّا بك بألسنتنا وقلوبنا، لتعفو عنّا فأدركنا ما أمّلنا[٤].

وذكروا أنّ عبد الملك لمّا كتب إليه عليه السلام يعنّفه في تزوّجه بأمته بعد عتقها، فأجابه عليه السلام رمى بكتابه عليه السلام إلى ابنه سليمان، فقال: لشدّ ما فخر عليك. فقال: يا بنيّ لا تقل ذلك، فإنّها ألسن بني هاشم الّتي تفلق الصّخر، وتغرف من بحر، إنّ عليّ بن الحسين عليه السلام ـ يا بنيّ ـ يرتفع من حيث يتّضع النّاس[٥].

ولو أردنا إشباع الكلام في المقام لطال الكلام.

هذا، وروي أنّ إبراهيم بن العبّاس الصّولي قال لأبي تمام الطّائي ـ وقد كان أبو تمام أنشده شعراً له في المعتصم ـ: يا أبا تمام أُمراء الكلام رعية

---

(١) من لا يحضره الفقيه للصدوق ١: ٣٢٨ ح١٧، والحميري في قرب الاسناد: ٧٣.

(٢) الصحيفة الأُولى هي الصحيفة التي تروى بطرق عن الامام الباقر وزيد عن السجاد عليه السلام، والصحيفة الثانية للشيخ الحرّ صاحب الوسائل، والثالثة للأفندي التبريزي صاحب الرياض، والرابعة للمحدّث النوري صاحب المستدرك، والخامسة للسيد الأمين صاحب أعيان الشيعة، وذكر الطهراني (في الذريعة ١٥: ٢١) صحيفة سادسة للمولى صالح المازندراني.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ٤: ٤٠٦.

(٤) مصباح المتهجد للطوسي: ٥٢٤، والبلد الأمين للكفعمي: ٢٠٥.

(٥) الكافي للكليني ٥: ٣٤٤ ح٤ ضمن حديث.

لإحسانك. فقال له أبو تمام: ذلك لأنّي استضيء بك وأرد شريعتك[1].

«وفينا تنشّبت» في (الصحاح): نشب الشيء في الشيء -بالكسر- نشوباً، أي: علق فيه[2].

«عروقه وعلينا تهدّلت غصونه» في (الصحاح): تهدّلت أغصان الشجرة، أي: تدلّت[3].

روى (الكافي) عن عبد الله بن مصعب الزبيري، قال: جلسنا إلى الكاظم عليه السلام في مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله فتذاكرنا أمر النّساء، فأكثرنا الخوض، وهو ساكت لا يدخل في حديثنا بحرف، فلمّا سكتنا، قال: أمّا الحرائر فلا تذكروهنّ، ولكن خير الجواري ما كان لك فيها هوى، وكان لها عقل وأدب، فلست تحتاج إلى أن تأمر ولا تنهى، ودون ذلك ما كان لك فيها هوى، لها عقل وليس لها أدب، فأنت تحتاج إلى الأمر والنّهي، ودونها ما كان لك فيها هوى وليس لها عقل ولا أدب، فتصبر عليها لمكان هواك فيها، وجارية ليس لك فيها هوى، وليس لها عقل، ولا أدب فتجعل في ما بينك وبينها البحر الأخضر. قال الزّبيري: فأخذت بلحيتي فأردت أن أضرط فيها، لكثرة خوضنا لما لم نقم فيه على شيء، ولجمعه الكلام، فقال لي: مه إن فعلت لم أُجالسك[4].

١٧
من الخطبة (١٥٢)

قَدْ خَاضُوا بِحَارَ ٱلْفِتَنِ، وَأَخَذُوا بِالْبِدَعِ دُونَ السُّنَنِ؛ وَأَرَزَ الْمُؤْمِنُونَ، وَنَطَقَ الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ.

---

(١) أسقط الشارح هنا شرح فقرة: «وانّا لأمراء الكلام».

(٢) صحاح اللغة ١: ٢٤٤ مادة (نشب).

(٣) صحاح اللغة ٥: ١٨٤٨ مادة (هدل).

(٤) الكافي للكليني ٥: ٣٢٢ ح ٢.

نَحْنُ الشِّعَارُ وَالْأَصْحَابُ، وَالْخَزَنَةُ وَالْأَبْوَابُ، وَلَا تُؤْتَى الْبُيُوتُ إِلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا، فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقاً.

«قد خاضوا بحار الفتن» قال ابن أبي الحديد: إنّ هذا متّصل بكلام لم يحكه الرّضي رحمه الله، وهو ذكر قوم من أهل الضلال[1].

قلت: قوله عليه السلام في العنوان «نحن الشعار والأصحاب والخزنة والأبواب» يدلّ على أنّ مراده عليه السلام بهذا الكلام: المتقدّمون عليه، سواء جعلناه متّصلاً بما قبله أو لا.

ويوضّح ما ذكرنا، من أنّه عليه السلام جعل المتقدّمين عليه خائضين في بحار الفتن، أنّهم لمّا دعوه إلى بيعة أبي بكر وقادوه إليه لاذ بقبر النّبيّ صلى الله عليه وآله، يصيح وينادي ﴿ابن أُمّ إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني﴾[2].

نقل ذلك ابن قتيبة وغيره[3]؛ فتمثله عليه السلام بكلام هارون أخي موسى عليهما السلام يدلّ على أنّهم في تقديمهم لأبي بكر صاروا مثل بني إسرائيل في عبادتهم العجل.

«وأخذوا بالبدع دون السّنن» قد جمع الإمامية البدع الّتي أحدثها الثّلاثة للنّاس، في قبال سنن النّبيّ صلى الله عليه وآله في كتبهم الكلامية.

«وأرز» بتقديم الرّاء.

«المؤمنون» الأصل في (أرز) التجمّع، كتجمّع الحيّة؛ قال أبو الأسود: إنّ فلاناً إذا سئل أرز، وإذا ادعى اهتز[4].

وقد كان المؤمنون ـ كسلمان، وأبي ذر والمقداد، وعمّار، وحذيفة

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٢٨.

(٢) الأعراف: ١٥٠.

(٣) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ١٣.

(٤) نقله عنه في لسان العرب ٥: ٣٠٥ مادة (ارز).

ونظرائهم في أيّام الثلاثة ـ ساكنين مختفين؛ روى الجواهري في (سقيفته): أنّ عمّاراً نادى يوم الشّورى: يا معشر المسلمين إنّا قد كنّا ـ وما كنّا نستطيع الكلام ـ قلّة وذلّة فأعزّنا الله بدينه، وأكرمنا برسوله، فالحمد لله ربّ العالمين. يا معشر قريش إلى متى تصرفون هذا الأمر عن أهل بيت نبيّكم، تحوّلونه هاهنا مرّة وهاهنا مرّة، وما أنا آمن أن ينزعه الله منكم ويضعه في غيركم، كما نزعتموه من أهله ووضعتموه في غير أهله؟ فقال له هاشم بن الوليد بن المغيرة: يابن سميّة لقد عدوت طورك، وما عرفت قدرك، ما أنت، وما رأت قريش لأنفسها؟ إنّك لست في شيء من أمرها، وأمارتها فتنح عنها». وتكلّمت قريش بأجمعها فصاحوا بعمّار وانتهروه، فقال: الحمد لله ربّ العالمين مازال أعوان الحقّ أذلّاء، ثمّ قام فانصرف...[1]

ويظهر منه ﴿...لمن كان له قلب أو ألقى السّمع وهو شهيد﴾[2] أنّ دين إخواننا دين قريش أعداء النّبيّ صلى الله عليه وآله لا دين النّبيّ صلى الله عليه وآله.

«ونطق الضّالّون المكذّبون» كالوليد بن عقبة الفاسق بنصّ القرآن[3]، والمغيرة بن شعبة المنافق بإجماع الأمّة، ومروان بن الحكم طريد النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ولعينه.

ومن المضحك أنّ أهل الشّام لمّا أرادوا بيعة مروان بعد يزيد قالوا: إنّ مروان ما كان في الاسلام صدع إلّا كان هو يشعبه، فقاتل عليّاً يوم الجمل و.

ولعمر الله، إن كان الإسلام إسلاماً وضعه قريش لإخواننا، في كون أولئك أئمّته ـ وفي رأسهم أبو سفيان الّذي قال لخليفتهم الثالث لمّا بويع: فوالله

---

(١) السقيفة للجوهري: ٩٠.

(٢) ق: ٣٧.

(٣) انظر السجدة: ١٨، والحجرات: ٦، كما روى في شأن نزولهما، جمع بعض رواياته السيوطي في الدر المنثور ٥: ١٧٧، و٦: ٨٧.

ما جنّة ولا نار، فأديروا الخلافة بينكم معشر قريش إدارة الكرة ـ كان قيام عليّ الّذي جعله الله تعالى نفس النّبيّ ﷺ صدعاً في الإسلام، إسلام صنعوه، أيّ صدع.

«نحن الشّعار والأصحاب، والخزنة والأبواب» روى أبو بكر الجوهري في (سقيفته) عن أبي زيد، عن هارون بن عمر، عن محمّد بن سعيد بن الفضل، عن أبيه، عن الحرث بن كعب، عن عبد الله بن أبي أوفى الخزاعي، قال: كان خالد بن سعيد بن العاص من عمّال النّبيّ ﷺ باليمن، فلمّا قبض النّبيّ ﷺ جاء المدينة، وقد بايع النّاس أبا بكر، فاحتبس عن أبي بكر، فلم يبايعه أيّاماً وقد بايع النّاس، وأتى بني هاشم فقال: أنتم الظّهر والبطن، والشّعار دون الدّثار، والعصا دون اللحاء، فاذا رضيتم رضينا، وإذا سخطتم سخطنا، حدّثوني إن كنتم قد بايعتم هذا الرّجل؟ قالوا: نعم. قال: على برد ورضا من جماعتكم قالوا: نعم. قال: فأنا أرضى وأُبايع إذا بايعتم، أما والله يا بني هاشم إنّكم الطّوال الشّجر الطّيّبو الثّمر. ثمّ إنّه بايع أبا بكر، وبلغت أبا بكر فلم يحفل، واضطغنها عليه عمر، فلمّا ولّاه أبو بكر الجند الّذي استنفر إلى الشّام قال له عمر: أتولّي خالداً وقد حبس عليك بيعته، وقال لبني هاشم ما قال وقد جاء بورق من اليمن وعبيد وحبشان ودروع ورماح؟ ما أرى أن تولّيه، وما آمن خلافه. فانصرف عنه أبو بكر وولّى أبا عبيدة بن الجراح، ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة[1].

وما فيه من أنّ بيعتهم هل كانت على برد؟ فقالوا: نعم، كان على برد إرادة إحراقهم بالنّار، وعلى رضا أيضاً، كان بعد القود له، كما يقاد الجمل المخشوش. كما كتب إليه معاوية يعنّفه به، وذيل الخبر يكشف عن خافية.

---

(١) السقيفة للجوهري: ٥٢.

ثمّ إذا كانوا هم الظّهر والبطن للنّبيّ صلى الله عليه وآله، والشّعار له دون الدّثار، والطوال الشجر والطّيّبو الثّمر، هل كانت بيعة قريش للرّجل إلّا جوراً وزوراً وفجوراً؟!

قال ابن أبي الحديد: واعلم أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لو فخر بنفسه، وبالغ في تعديد مناقبه وفضائله التي آتاه الله واختصّه بها، وساعده على ذلك فصحاء العرب كافة لم يبلغوا إلى معشار ما نطق به النّبيّ الصادق صلى الله عليه وآله وسلم في أمره، ولست أعني بذلك الأخبار العامّة الشايعة التي يحتجّ بها الإماميّة على إمامته، كخبر الغدير، وخبر المنزلة، وقصّة براءة، وخبر المناجاة، وقصّة خيبر، وخبر الدّار بمكّة في ابتداء الدعوة، ونحو ذلك، بل الأخبار الخاصّة التي رواها فيه أئمّة الحديث التي لم يحصل أقل القليل منها لغيره، وأنا أذكر من ذلك شيئاً يسيراً ممّا رواه علماء الحديث الّذين لا يتّهمون فيه، وجلّهم قائلون بتفضيل غيره عليه، فروايتهم فضائله توجب سكون النّفس ما لا توجبه رواية غيرهم.

قلت: كلامه موهم أنّ أخبار الغدير، وأخبار المنزلة، وأخبار البراءة، وأخبار المناجاة، وأخبار خيبر، وأخبار ابتداء الدعوة لم يروها أئمّة حديثهم، وهو مغالطة منه. فكما رووا ما قال رووا تلك، وإنّما الإمامية احتجوا بها على إمامته عليه السلام، وإذا لم تكن تلك دالّة لم يكن ما استدلّ به على وجود الصانع، وعلى نبوّة النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً دالاً.

وكيف كان، فنقل أربعة وعشرين حديثاً من أبي نعيم، وأحمد بن حنبل، وغيرهما، ونقتصر على نقل ماله مزيد ربط بالعنوان، مثل ثانيها: قال النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لوفد ثقيف: لتسلمنّ أو لأبعثنّ إليكم رجلاً منّي -أو قال عديل نفسي- فليضربنّ أعناقكم.

ومثل ثامنها: قال النّبيّ صلى الله عليه وآله: أنا أوّل من يدعى به يوم القيامة -إلى أن

قال ـ ثمّ يدعى بعليّ بن أبي طالب لقرابته منّي ومنزلته عندي، ويدفع إليه لوائي لواء الحمد، آدم ومن دونه تحت ذلك اللواء. ثمّ قال لعليّ عليه السلام: فتسير به حتى تقف بيني وبين إبراهيم الخليل، ثمّ يكسى حلّة وينادي مناد من العرش: نعم الأب أبوك إبراهيم، ونعم الأخ أخوك عليّ؛ أبشر فإنّك تدعى إذا دعيت، وتكسى إذا كسيت، وتحيى إذا حييت.

ومثل تاسعها: قال النّبي صلى الله عليه وآله لأنس: أوّل من يدخل عليك من هذا الباب إمام المتّقين، ويعسوب الدّين، وخاتم الوصيين، وقائد الغرّ المحجّلين. فقلت: اللّهم اجعله رجلاً من الأنصار، فجاء عليّ، فقال النّبيّ صلى الله عليه وآله: من جاء؟ فقلت: عليّ. فقام إليه مستبشراً فاعتنقه، ثمّ جعل يمسح عرق وجهه، فقال: يا رسول الله لقد رأيت منك اليوم تصنع بي شيئاً ما صنعته بي قبل؟ قال: وما يمنعني وأنت تؤدي عنّي، وتسمعهم صوتي، وتبيّن لهم ما اختلفوا من بعدي؟

ومثل عاشرها: قال النّبيّ صلى الله عليه وآله: ادعوا لي سيّد العرب عليّاً. فقالت عايشة: ألست سيّد العرب؟ فقال: أنا سيّد ولد آدم، وعليّ سيّد العرب. فلمّا جاء أرسل إلى الأنصار فأتوه، فقال لهم: يا معشر الأنصار ألا أدلّكم على ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا أبداً؟ قالوا: بلى. قال: هذا عليّ فأحبّوه بحبّي، وأكرموه بكرامتي، فإنّ جبرئيل أمرني بالّذي قلت لكم عن الله عزّوجلّ.

ومثل ثاني عشرها: قال النّبيّ صلى الله عليه وآله: من سرّه أن يحيا حياتي ويموت مماتي، ويسكن جنّة عدن الّتي غرسها ربّي، فليوال عليّاً من بعدي، وليوال وليّه، وليقتد بالأئمّة من بعدي، فإنّهم عترتي خلقوا من طينتي، ورزقوا فهماً وعلماً، فويل للمكذّبين لهم من اُمّتي القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي.

ومثل ثالث عشرها: في قصّة أخذه عليه السلام جارية من سبي اليمن؛ قال النّبيّ صلى الله عليه وآله: دعوا لي عليّاً ـ يكرّرها ـ إنّ عليّاً منّي وأنا من عليّ، وإنّ حظّه في

الخمس أكثر ممّا أخذ، وهو وليّ كلّ مؤمن من بعدي.

ومثل رابع عشرها: قال النّبيّ صلّى الله عليه وآله: كنت أنا وعليّ نوراً بين يديّ الله عزّوجلّ قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام -إلى أن قال- حتّى صرنا في عبد المطّلب فكان لي النّبوّة، ولعليّ الوصيّة.

ومثل سادس عشرها: في قصّة استقائه ليلة بدر؛ قال النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: فأوحى الله إلى جبرئيل وميكائيل وإسرافيل: أن تأهبّوا لنصر محمّد وأخيه وحزبه. فهبطوا من السماء لهم لغط يذعر من يسمعه. فلمّا حاذوا البئر سلّموا عليه من عند آخرهم إكراماً له وإجلالاً، وقال: لتؤتينّ يا عليّ يوم القيامة بناقة من نوق الجنّة فتركبها، وركبتك مع ركبتي، وفخذك مع فخذي حتّى تدخل الجنّة.

ومثل عشرينها: كانت لجماعة من الصحابة أبواب شارعة في مسجد النّبيّ صلّى الله عليه وآله، فقال النّبيّ صلّى الله عليه وآله يوماً: سدّوا كلّ باب في المسجد إلّا باب عليّ. فسدّت، فقال في ذلك قوم حتّى بلغ النّبيّ صلّى الله عليه وآله فقام فيهم، فقال: إنّ قوماً قالوا في سدّ الأبواب، وتركي باب عليّ؛ إنّي ما سددت ولا فتحت، ولكنّي أُمرت بأمر فاتّبعته.

ومثل الحادي وعشرينها: دعا النّبيّ صلّى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام في غزاة الطائف، فانتجاه وأطال نجواه حتّى كره ذلك قوم من الصّحابة، فقال قائل منهم: لقد طال نجوى ابن عمه. فبلغه ذلك، فجمع منهم قوماً ثمّ قال: إنّ قائلاً قال: لقد أطال اليوم نجوى ابن عمّه؛ أما إنّي ما انتجيته، ولكن الله انتجاه.

ومثل الثالث وعشرينها: في تزويجه؛ قال النّبيّ صلّى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام: ألا تعلمين أنّ الله اطلع إلى الأرض فاختار منها أباك؟ ثمّ اطلع إليها ثانية فاختار منها بعلك؟

ومثل الرّابع وعشرينها: عن الثعلبي لمّا نزل ﴿إذا جاء نصر الله...﴾[١] بعد انصرافه من غزاة حنين جعل النّبيّ صلى الله عليه وآله يكثر «سبحان الله» و «استغفر الله»، ثمّ قال: يا عليّ إنّه قد جاء ما وعدت به: جاء الفتح ودخل النّاس في دين الله أفواجاً، وإنّه ليس أحد أحقّ منك بمقامي لقدمك في الإسلام، وقربك منّي، وصهرك، وعندك سيّدة نساء العالمين، وقبل ذلك ما كان من بلاء أبي طالب عندي حين نزل القرآن، فأنا حريص على أن أُراعي ذلك لولده.

قال ابن أبي الحديد ـ بعد نقل تلك الأخبار ـ: واعلم أنّا إنّما ذكرنا هذه الأخبار هاهنا، لأنّ كثيراً من المنحرفين عنه عليه السلام إذا مرّوا على كلامه في نهج البلاغة أو غيره ـ المتضمّن للتحدّث بنعمة الله عليه من اختصاصه بالرّسول صلى الله عليه وآله وتميزه إيّاه عن غيره ـ ينسبونه فيه إلى التّيه والزّهو والفخر، ولقد سبقهم بذلك قوم من الصّحابة؛ قيل لعمر: ولِّ عليّاً أمر الجيش والحرب. فقال: هو أتيه من ذلك. وقال زيد بن ثابت: ما رأينا أزهى من عليّ وأُسامة. فأردنا بإيراد هذه الأخبار عند تفسير قوله عليه السلام: «نحن الشّعار والأصحاب، ونحن الخزنة والأبواب» أن ننبّه على عظيم منزلته عند الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم، وأنّ من قيل في حقّه ما قيل لو رقى إلى السّماء، وعرج في الهواء، وفخر على الملائكة والأنبياء تعظّماً وتبجّحاً لم يكن ملوماً، بل كان بذلك جديراً، فكيف وهو عليه السلام لم يسلك قط مسلك التعظّم والتكبّر في شيء من أقواله، ولا من أفعاله؟ وكان ألطف البشر خُلقاً، وأكرمهم طبعاً، وأشدّهم تواضعاً، وأكثرهم احتمالاً، وأحسنهم بشراً، وأطلقهم وجهاً حتّى نسبه من نسبه إلى الدعابة والمزاح، وهما خلقان ينافيان التكبّر والاستطالة، وإنّ ما كان يذكره أحياناً ما يذكره من هذا النّوع نفثة مصدور، وشكوى مكروب، وتنفس مهموم، ولا

---

(١) النصر: ١.

يقصد به إذا ذكره إلّا شكر النّعمة وتنبيه الغافل على ما خصّه الله به من الفضيلة، فإنّ ذلك من باب الأمر بالمعروف، والحض على اعتقاد الحقّ، والصّواب في أمره، والنّهي عن المنكر الّذي هو تقديم غيره عليه في الفضل، فقد نهى الله سبحانه عن ذلك، فقال: ﴿...أفمن يهدي إلى الحقّ أحقّ أن يتّبع أمّن لا يهدّي إلّا أن يهدى فمالكم كيف تحكمون﴾[1].

قلت: الأمر كما ذكر، إلّا أنّ لازمه ضلال المتقدّمين عليه، لا مجرّد عدم أفضليتهم.

«ولا تؤتى البيوت إلّا من أبوابها، فمن أتاها من غير أبوابها سمّي سارقاً»

ننشد إخواننا السّنّة ـ بعد نقلهم ما قال النّبيّ صلى الله عليه وآله فيه عليه السلام مع جعلهم المتقدّمين عليه وسايط بينهم وبين النّبيّ صلى الله عليه وآله ـ: هل هم إلّا سرّاق أتوا البيوت من غير أبوابها؟ وهل أتى البيوت من أبوابها إلّا شيعته عليه السلام الّذين لم يسلكوا غير مسلكه؟ وما فعله إخواننا من الجمع بينه وبين المتقدّمين، هل هو إلّا الجمع بين الضدّين، والقول باجتماع النّقيضين؟ فلو كان المتقدّمون عليه على شيء، كان الأمويون وأتباعهم في توليهم للمتقدّمين عليه، وتبرئهم منه عليه السلام، وسبّهم له أقرب إلى الصّواب منهم، لأنّهم ما خالفوا بداهة العقول في الجمع بين الأضداد، كالقول بالتوحيد وبالأنداد، وقد أجمعوا على الرواية عن أبي ذر ـ الّذي أُجمع على أنّه ما أقلّت الغبراء، ولا أظلّت الخضراء على أصدق لهجة منه ـ[2] أنّه أخذ بحلقة باب الكعبة، وقال: «أيّها النّاس من عرفني فقد عرفني، ومن أنكرني فأنا أبو ذر، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّما مثل أهل بيتي

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٢٩ ـ ٤٣١، والآية ٣٥ من سورة يونس.

(٢) أخرج حديث النّبيّ صلى الله عليه وآله: «ما أقلّت الغبراء ولا أظلّت الخضراء من رجل أصدق لهجة من أبي ذر» ابن ماجه في سننه ١: ٥٥ ح١٥٦، والترمذي في سننه ٥: ٦٦٩ ح٣٠٨١، وأحمد بثلاث طرق في مسنده ٢: ١٦٣، ١٧٥، ٢٢٣، وغيرهم عن عبد الله بن عمرو، وفي الباب عن علي عليه السلام وأبي ذر وأبي الدرداء وغيرهم.

فيكم مثل سفينة نوح، من دخلها نجا، ومن تخلّف عنها هلك»[١]. وقد أجمعوا أيضاً على أنّه ﷺ قال: «تفترق أُمّتي على ثلاث وسبعين فرقة: إحداها في الجنّة، والباقية في النّار»[٢]، فيتشكّل منهما صغرى وكبرى، نتيجتهما أنّ الشيعة فقط أهل النّجاة.

هذا، والأصل في قوله عليه السلام: «ولا تؤتى البيوت إلّا من أبوابها...» قوله تعالى: ﴿...وليس البرّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكنّ البرّ من اتّقى واتوا البيوت من أبوابها...﴾[٣].

وننشدهم: أنّ بعد قول النّبيّ ﷺ: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب»[٤] هل يكون الأخذ بقول غيره إلّا أخذاً عن غير النّبيّ ﷺ، أم لا؟

١٨
من الخطبه (١٥٢) أيضاً

بعد ما مرّ منها:

فِيهِمْ كَرَائِمُ القرآنِ، وَهُمْ كُنُوزُ الرَّحْمنِ، إنْ نَطَقُوا صَدَقُوا، وَإنْ صَمَتُوا لَمْ يُسْبَقُوا.

«فيهم كرائم القرآن» من كرائم القرآن التي نزل فيهم عليهم السلام:

---

(١) أخرجه أبو يعلى والبزار بطريقين في مسنديهما عنهما المطالب العالية ٤: ٧٥ ح٤٠٠٣، ٤٠٠٤، والصدوق في كمال الدين: ٢٣٩ ح٥٩، وغيرهم.

(٢) سنن أبي داود ٤: ١٩٨ ح٤٥٩٧، و سنن الترمذي ٥: ٢٥، و ٢٦ ح٢٦٤٠، ٢٦٤١، وسنن ابن ماجه ٢: ١٣٢٢ ح٣٩٩٢، وسنن الدارمي ٢: ٢٤١، ومسند أحمد ٢: ٣٣٢، و ٤: ١٠٢، وغيرهم.

(٣) البقرة: ١٨٩.

(٤) هذا حيث مشهور، أخرجه بهذا اللفظ الحاكم بطريقين في المستدرك، والطبراني في معجمه الكبير، وابن عدي بطريقين في الكامل والعقيلي في الضعفاء عنهم الجامع الصغير ١: ١٠٨، وغيرهم.

١ ـ ﴿...إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾[١].

٢ ـ ﴿...فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثمّ نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾[٢].

٣ـ ﴿إنّما وليّكم الله ورسوله والّذين آمنوا الّذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزّكاة وهم راكعون* ومن يتولّ الله ورسوله والّذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾[٣].

٤ ـ ﴿ثم أورثنا الكتاب الّذين اصطفينا من عبادنا...﴾[٤].

٥ ـ ﴿...قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى...﴾[٥].

٦ ـ ﴿...أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأُولي الأمر منكم...﴾[٦].

٧ـ ﴿...ولو ردّوه إلى الرّسول وإلى أُولي الأمر منهم لعلمه الّذين يستنبطونه منهم...﴾[٧].

٨ـ ﴿بل هو آيات بيّنات في صدور الّذين أُوتوا العلم...﴾[٨].

٩ ـ ﴿شهد الله أنّه لا إله إلّا هو والملائكة وأُولو العلم...﴾[٩].

---

(١) الاحزاب: ٣٣.

(٢) آل عمران: ٦١.

(٣) المائدة: ٥٥ ـ ٥٦.

(٤) فاطر: ٣٢.

(٥) الشورى: ٢٣.

(٦) النساء: ٥٩.

(٧) النساء: ٨٣ .

(٨) العنكبوت: ٤٩.

(٩) آل عمران: ١٨.

١٠ ـ ﴿...فاسألوا أهل الذّكر إن كنتم لا تعلمون﴾[١].

١١ ـ ﴿...فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون...﴾[٢].

١٢ ـ ﴿إنّ الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً... إنّ هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً﴾[٣].

قال الكنجي الشّافعي ـ بعد ذكر أخبار من طرقهم في نزول آيات (هل أتى) فيهم عليهم السلام: سمعت بمكّة من شيخ الحرم بشير التبريزي في تفسير ﴿ويطعمون الطعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً﴾[٤]: أنّ السائل الأوّل كان جبرئيل، والثّاني ميكائيل، والثّالث إسرافيل[٥].

وروى نصر بن مزاحم في (صفّينه): أنّ معاوية بن صعصعة بن أخي الأحنف كتب مع كتاب عمّه إلى قومه في دعوتهم إلى نصرة أمير المؤمنين عليه السلام:

وإنّ عليّاً خير حاف وناعل ... فلا تمنعوه اليوم جهداً ولا جدّاً

إلى أن قال:

ومن نزلت فيه ثلاثون آية ... تسمّيه فيها مؤمناً مخلصاً فردا

سوى موجبات جئن فيه وغيرها ... بها أوجب الله الولاية والودّا[٦]

وروت العامّة والخاصّة عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: نزل القرآن أرباعاً: ربع فينا، وربع في عدوّنا، وربع سنن وأمثال، وربع

---

(١) النحل: ٤٣.

(٢) التوبة: ١٠٥.

(٣) الإنسان: ٥ ـ ٢٢.

(٤) الإنسان: ٨.

(٥) كفاية الطالب للكنجي: ٢٠٥، والنقل بتصرف.

(٦) وقعة صفين لابن مزاحم: ٢٦، والنقل بتقطيع.

فرائض وأحكام، ولنا كرائم القرآن[١].

هذا، ونقل ابن أبي الحديد وابن ميثم[٢] بدل «القرآن»: «الإيمان»، وفسّره الأوّل بالنّوافل[٣]، والثاني بالأخلاق الفاضلة[٤].

«وهم كنوز الرّحمن» قال أبو جعفر عليه السلام: والله إنّا لخزّان الله في سمائه وأرضه، لا على ذهب ولا على فضّة إلّا على علمه[٥].

«إن نطقوا صدقوا» لأنّ الصادق الكامل من اتّصف بصفات وردت في قوله عزّوجلّ: ﴿...ولكنّ البرّ من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيّين وآتى المال على حبّه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السّبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضرّاء وحين البأس...﴾. فقال تعالى: ﴿...أُولئك الذين صدقوا وأُولئك هم المتّقون﴾[٦]. وكانوا مستجمعين لجميعها.

وأما تلقيبهم للأوّل بالصّديق فمجرد اسم كلقباء العبّاسيّين، فلم يكن كصاحبه من الصّابرين حين البأس يوم خيبر، فضلاً عن عريه عن باقي الصّفات.

«وإن صمتوا لم يسبقوا» في (المناقب): سأل المتوكّل ابن الجهم: من

---

(١) رواه شرف الدين في كنز جامع الفوائد عنه البحار ٢٤: ٤٠٥ ح١، والفرات بطرق في تفسيره: ١، ٢، ٨٩ والعياشي في تفسيره ١: ٩ ح١، وغيرهم.

(٢) لفظ شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٣٢، وشرح ابن ميثم ٣: ٢٤٩ في متن الخطبة: «القرآن»، لكن عند الشرح: «الايمان».

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٣٢.

(٤) شرح ابن ميثم ٣: ٢٤٩.

(٥) الكافي للكليني ١: ١٩٢ ح٢، البصائر للصفار: ١٢٤ ح٣.

(٦) البقرة: ١٧٧.

أشعر النّاس؟ فذكر شعراء الجاهلية والإسلام، ثمّ سأل الهادي عليه السلام، فقال: أشعرهم الجماني حيث يقول:

لقد فاخرتنا من قريش عصابة | بمدّ خدود وامتداد أصابع
فلمّا تنازعنا المقال قضى لنا | عليهم بما تهوى نداء الصّوامع
ترانا سكوتاً والشّهيد بفضلنا | عليهم جهير الصّوت في كلّ جامع
فإنّ رسول الله أحمد جدّنا | ونحن بنوه كالنّجوم الطوالع

قال المتوكّل: وما نداء الصّوامع؟ قال: «أشهد ألّا إله إلّا الله، وأشهد أنّ محمّداً رسول الله» محمّد جدّي أم جدّك؟ فضحك المتوكّل ثم قال: هو جدّك، لا ندفعك عنه[1].

١٩
الحكمته (١٠٩)

وقال عليه السلام:

نَحْنُ النُّمْرُقَةُ الْوُسْطَى بِهَا يَلْحَقُ التَّالِي، وَإِلَيْهَا يَرْجِعُ الْغَالِي.

أقول: رواه (تحف العقول) هكذا: إذا سمعتم من حديثنا ما لا تعرفونه، فردّوه إلينا وقفوا عنده، وسلّموا إذا تبيّن لكم الحقّ، ولا تكونوا مذاييع عجلى؛ فإلينا يرجع الغالي، وبنا يلحق المقصر. من تمسّك بنا لحق، ومن تخلّف عنّا محق، من اتّبع أمرنا لحق، ومن سلك غير طريقنا سحق. لمحبّينا أفواج من رحمة الله، ولمبغضينا أفواج من سخط الله. طريقنا القصد، وأمرنا الرّشد[2].

«نحن النّمرقة الوسطى» في (القاموس): النّمرق والنّمرقة ـ مثلثة ـ الوسادة الصغيرة أو الميثرة أو الطنفسة فوق الرّحل. ثمّ قال: والنمرقة

(١) مناقب ابن شهر آشوب ٤: ٤٠٦.

(٢) تحف العقول لابن شعبة: ١١٦ ضمن وصاياه الأربعمائة.

ـبالكسر ـ من السّحاب: ما كان بينه فتوق[١].

وفي (الأساس): ونمارق مصفوفة: وسائد، وقال أوس:

إذا ناقة شـدّت بـرحـل ونـمرق   إلى حكم بعدي فضل ضلالها[٢]

والوسطى ـفي كلامه عليه السلام ـ نظير (الأوسط) في كلام النّبيّ صلى الله عليه وآله: خير الأمور أوسطها. بقرينة قوله عليه السلام بعد: بها يلحق التالي، وإليها يرجع الغالي.

واحتمال (ابن أبي الحديد)[٣] كون الوسطى بمعنى: الفضلى، في غير محلّه، وإنّما (الفضلى) حكمه لا معناه. فقد عرفت أنّه عليه السلام قال: إنّ أوسط الأمور خيرها وأفضلها.

كانوا عليهم السلام على حدّ الوسط في أمورهم، مجانبين عن التّفريط والإفراط، كما قال تعالى: ﴿والّذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً﴾[٤].

روى (الكافي) عن الوليد بن صبيح قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فجاء سائل، فأعطاه، ثمّ جاء آخر، فأعطاه، ثمّ جاء آخر، فقال: يوسع الله عليك. ثم قال: إنّ رجلاً لو كان له مال يبلغ ثلاثين أو أربعين ألف درهم، ثمّ شاء ألّا يبقى منها إلّا وضعها في حق لفعل، فيبقى لا مال له، فيكون من الثّلاثة الّذين يُرد دعاؤهم. قلت: من هم؟ قال: أحدهم: رجل كان له مال فأنفقه في وجهه. ثمّ قال: يا ربّ ارزقني ...[٥].

وروى عن عجلان قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فجاء سائل، فقام إلى

---

(١) القاموس المحيط ٣: ٢٨٦ مادة (نمرق).

(٢) أساس البلاغة: ٤٧٣ مادة (نمرق).

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٢٨٩.

(٤) الفرقان: ٦٧.

(٥) الكافي للكليني ٢: ٥١٠ ح١.

مكتل فيه تمر، فملأ يده فناوله، ثمّ جاء آخر فسأله، فقام فأخذ بيده فناوله، ثمّ جاء آخر فسأله، فقام فأخذه بيده فناوله، ثم جاء آخر، فقال: الله رازقنا وإيّاك. ثمّ قال: إنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله كان لا يسأله أحد من الدّنيا شيئاً إلّا أعطاه، فأرسلت إليه امرأة ابناً لها، فقالت: انطلق إليه فاسأله، فإن قال لكَ: ليس عندنا شيء فقل: أعطني قميصك. قال: فأخذ قميصه، فرمى به إليه، فأدّبه الله عزّوجلّ على القصد، فقال: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كلّ البسط فتقعد ملوماً محسوراً﴾[1].

وذكروا أنّ هارون لمّا قدم المدينة لقاه الكاظم عليه السلام على بغلة، فاعترض عليه في ذلك. فقال: إنّها تطأطأت عن خيلاء الخيل، وارتفعت عن ذلّة العير، وخير الأمور أوسطها[2].

وذكروا أنّ أبا حنيفة قال للصّادق عليه السلام: عجب النّاس منك أمس وأنت بعرفة تماكس ببُدنك أشدّ مكاس يكون! فقال عليه السلام: وما لله من الرّضا أن أُغبن في مالي؟ فقال أبو حنيفة: لا والله، وما لله في هذا من الرضا قليل ولا كثير، وما نجيئك بشيء إلّا جئتنا بما لا مخرج لنا منه[3].

«**بها يلحق التّالي**» كان محمّد بن المنكدر يقول: ما كنت أرى أنّ مثل عليّ بن الحسين عليهما السلام يدع خلفاً أفضل منه، حتّى رأيت ابنه محمّد بن عليّ، فأردت أن أعظه فوعظني. فقال له أصحابه: بأيّ شيء وعظك؟ قال: خرجت إلى بعض نواحي المدينة في ساعة حارّة فلقيته ـ وكان رجلاً بادناً ثقيلاً ـ وهو متّكئ على غلامين أسودين، فقلت في نفسي: سبحان الله، شيخ من أشياخ قريش في

(١) الكافي للكليني ٤: ٥٥ ح٧، والآية ٢٩ من سورة الاسراء.

(٢) المقاتل لأبي الفرج: ٣٣٣، والارشاد للمفيد: ٢٩٧.

(٣) الكافي للكليني ٤: ٥٤٦ ح٣٠.

هذه السّاعة، على هذه الحال في طلب الدّنيا! أما لأعظنّه. فدنوت منه فسلّمت عليه، فردّ عليّ بنهر وهو يتصابّ عرقاً، فقلت: شيخ من أشياخ قريش في هذه السّاعة على هذا الحال في طلب الدّنيا! أرأيت لو جاءك أجلك، وأنت على هذه الحال، ما كنت تصنع؟ فقال: لو جاءني الموت وأنا على هذه الحال، جاءني وأنا في طاعة من طاعات الله عزّوجلّ، أكفّ بها نفسي وعيالي عنك وعن النّاس، وإنّما كنت أخاف أن يأتيني وأنا على معصية من معاصي الله. فقلت: صدقت يرحمك الله، أردت أن أعظك فوعظتني[١].

وفي (تاريخ اليعقوبي)، في وقعة الحرّة: فكان الرّجل من قريش يؤتى به، فيقال: بايع على أنّك عبد قنّ ليزيد. فيقول: لا. فيضرب عنقه، فأتاه عليّ بن الحسين عليه السلام، فقال: علامَ يريد يزيد أن أُبايعك؟ قال: على أنّك أخ وابن عم. فقال: وإن أردت أن أُبايعك على أنّي عبد قنّ فعلت. فقال: ما أجشمك هذا. فلمّا أن رأى الناس إجابة عليّ بن الحسين قالوا: هذا ابن رسول الله يبايعه على ما يريد. فبايعوه على ما أراد[٢].

«وإليها يرجع الغالي» دخل جابر الأنصاري على أبي جعفر الباقر عليه السلام، فقال له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت والفقر أحبّ إليّ من الغنى، والمرض أحبّ إليّ من الصّحّة، والموت أحبّ إليّ من الحياة. فقال عليه السلام: لكنّا أهل البيت ما أراده الله لنا من الفقر أو الغنى، والمرض أو الصحّة، والموت أو الحياة هو أحب إلينا. فقال جابر: صدقت يابن رسول الله وصدق جدّك، أنت باقر العلوم[٣].

---

(١) الارشاد للمفيد: ٢٦٣، والفصول المهمة لابن الصباغ: ٢١٣.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٥١.

(٣) لم أجده بهذا السياق، نعم رويت هذه القصّة بين الامام الحسن عليه السلام وأبي ذر، أخرجه ابن عساكر في ترجمة الحسن عليه السلام: ١٥٨ ح٢٧١، ورواه ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٢٧٤، شرح الخطبة ٤٥.

قوله عليه السلام في رواية (التّحف): «من تمسّك بنا لحق»[١]؛ في (الطبري): قتل يوم الجمل من بني ذهل خمسة وثلاثون رجلاً، فقال رجل لأخيه وهو يقاتل: يا أخي ما أحسن قتالنا إن كنّا على حقّ؟ قال: فإنّا على الحقّ، إنّ الناس أخذوا يميناً وشمالاً، وإنّما تمسّكنا بأهل بيت نبيّنا. فقاتلا حتّى قتلا[٢].

أيضاً «ومن تخلّف عنّا محق، ومن سلك غير طريقنا سحق» عن (أوائل أبي هلال العسكري) قام أبو الهيثم إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: كنت ـ والله ـ احقّ قريش بشكر قريش، نصرت نبيّهم حيّاً، وقضيت عنه الحقوق ميّتاً، والله ما بغيهم إلّا على أنفسهم، ولا نكثوا إلّا بيعة الله[٣].

أيضاً: «لمحبّينا أنواع من رحمة الله...»؛ روى (أمالي المفيد) عن الأصبغ قال: دخل الحارث الهمداني على أمير المؤمنين عليه السلام في نفر من الشّيعة، وكنت فيهم، فجعل الحارث يتأوّد في مشيته، ويخبط الأرض بمحجنه ـ وكان مريضاً ـ فأقبل عليه أمير المؤمنين عليه السلام ـ وكانت له منه منزلة ـ فقال: كيف تجدك يا حارث؟ فقال: نال الدّهر منّي، وزادني أواراً وغليلاً اختصام أصحابك ببابك. قال: وفيم خصومتهم؟ قال: فيك وفي الثلاثة قبلك، فمن مفرط منهم غالٍ، ومقتصد، ومبغضٍ قالٍ، ومتردّد مرتاب، لا يدري أيقدّم أم يحجم؟ فقال: حسبك يا أخا همدان، ألا إنّ خير شيعتي النّمط الأوسط، إليهم يرجع الغالي، وبهم يلحق التّالي. فقال الحارث: فداك أبي وأُمي لو كشفت الرّين عن قلوبنا وجعلتنا في ذلك على بصيرة من أمرنا.

---

(١) تحف العقول: ١١٦.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٥٣٠ سنة ٣٦.

(٣) نقله عن أوائل أبي هلال المجلسي في الفتن من البحار: ١٥٣ ضمن خطبة.

قال عليه السلام: إنّ دين الله لا يعرف بالرّجال، بل بآية الحقّ، فاعرف الحقّ تعرف أهله. يا حارث إنّ الحقّ أحسن الحديث، والصّادع به مجاهد، وبالحقّ أُخبرك، ثمّ خبّر به من كان له حصافة من أصحابك. ألا إنّي عبد الله، وأخو رسوله، وصدّيقه الأوّل، صدّقته وآدم بين الرّوح والجسد، ثمّ إنّي صدّيقة الأوّل في أُمّتكم حقّاً، فنحن الأوّلون، ونحن الآخرون، ونحن خاصّته وخالصته، وأنا صنوه، ووصيّه ووليّه، وصاحب نجواه وسرّه، أُوتيت فهم الكتاب وفصل الخطاب، وعلم القرون والأسباب، واستودعت ألف مفتاح، يفتح كلّ مفتاح ألف باب، يفضي كلّ باب إلى ألف ألف عهد، وأُمددت بليلة القدر نفلاً، وأنّ ذلك يجري لي ولمن استحفظ من ذرّيتي ما جرى اللّيل والنّهار، حتّى يرث الله الأرض ومن عليها، وأُبشّرك يا حارث تعرفني عند الممات، وعند الصّراط، وعند الحوض، وعند المقاسمة. قال الحارث: وما المقاسمة؟ قال: مقاسمة النّار، أُقاسمها قسمة صحيحة، أقول: هذا وليّي فاتركيه، وهذا عدوّي فخذيه.

قال: ثمّ أخذ عليه السلام بيد الحارث، وقال: أخذت بيدك كما أخذ رسول الله بيدي وقال لي ـ وقد شكوت إليه حسد قريش والمنافقين لي ـ: إنّه إذا كان يوم القيامة أخذت بحبل الله وبحجزته، وأخذت أنت يا عليّ بحجزتي، وأخذ ذريّتك بحجزتك، وأخذت شيعتكم بحجزتكم، فماذا يصنع الله بنبيّه؟ وماذا يصنع نبيّه بوصيّه؟ خذها إليك يا حارث قصيرة من طويلة: أنت مع من أحببت، ولك ما اكتسبت ـ يقولها ثلاثاً ـ. فقام الحارث يجرّ رداءه، وهو يقول: ما أُبالي بعدها متى لقيت الموت أو لقيني[1].

(١) أمالي المفيد: ٣ ح٣ المجلس ١، وغيره، وقد مرّ تخريجه في العنوان ٤ من هذا الفصل، والنقل بتصرف يسير.

٢٠
الحكمة (٢١)

وقال عليه السلام:

لَنَا حَقٌّ، فَإِنْ أُعْطِينَاهُ وَإِلَّا رَكِبْنَا أَعْجَازَ الإِبِـلِ، وَإِنْ طَالَ السُّرَى.

«وهذا القَولُ مِنْ لطيفِ الكلامِ وفَصِيحِهِ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّا إِنْ لَمْ نُعْطَ حَقَّنَا كُنَّا أَذِلَّاءَ، وَذلِكَ أَنَّ الرَّدِيفَ يَرْكَبُ عَجُزَ البَعِيرِ، كَالْعَبْدِ والْأَسِيرِ وَمَنْ يَجْرِي مَجْراهما».

أقول: روى الطبري: أنّه عليه السلام تكلّم بذلك يوم الشّورى مع زيادة هكذا: «الحمد لله الّذي بعث محمّداً صلى الله عليه وآله منّا نبيّاً، وبعثه إلينا رسولاً، فنحن بيت النبوّة، ومعدن الحكمة، وأمان أهل الأرض، ونجاة لمن طلب، لنا حقّ إن نعطه نأخذه، وإن نمنعه نركب أعجاز الإبل، ولو طال السّرى، لو عهد إلي رسول الله صلى الله عليه وآله عهداً لأنفذنا عهده، ولو قال لنا قولاً لجادلنا عليه حتّى نموت. لن يسرع أحد قبلي إلى دعوة حق وصلة رحم، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله. اسمعوا كلامي، وعوا منطقي عسى أن تروا هذا الأمر من بعد هذا المجمع، تنتضي فيه السّيوف وتخان فيه العهود»[١].

ورواه (غريب) ابن قتيبة إلى قوله: «وصلة رحم». وبعده: «والأمر إليك يابن عوف على صدق اليقين وجهد النّصح. استغفر الله لي ولكم»[٢].

قال ابن أبي الحديد: هذا الكلام تزعم الإماميّة أنّه قاله يوم السّقيفة أو في تلك الأيام، ويذهب أصحابنا إلى أنّه قاله يوم الشّورى[٣].

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٣٠٠ سنة ٢٤.

(٢) غريب الحديث لابن قتيبة ٢: ١٣٩.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٢٥٢.

قلت: كون ذاك الكلام قاله عليه السلام يوم السّقيفة أو يوم الشّورى ليس بمذهب، حتّى يفصل بين أصحابه والإماميّة، وإنّما في مثله يرجع إلى مستنده، وفي مستنده صرّح بوروده يوم الشّورى كما عرفته من الطبري، ونقله هو عن أبي عبيد في الجمع بين غريبيه[١]، ونقله ابن ميثم عن القتيبي في (غريبه)، والأزهري في (تهذيبه)[٢]، ولعلّه رأى ذلك في كلام الراوندي قاله حدساً، فنسبه إلى الإمامية[٣]، وهذا ابن شهر آشوب أحد علماء الإماميّة صرّح بأنّه عليه السلام قال هذا الكلام لابن عوف يوم الشورى[٤].

ثمّ كونه يوم الشورى لا يثبت له إمضاءه عليه السلام يوم السقيفة. فقد قال عليه السلام ذلك اليوم أقوالاً أشدّ من هذا، كما تقف عليه في محلّه.

«لنا حقّ فإن أُعطيناه» روى الطبري في (ذيله) عن المنهال بن عمرو قال: دخلت على عليّ بن الحسين عليه السلام فقلت: كيف أصبحت أصلحك الله؟ قال: ما كنت أرى أنّ شيخاً من أهل المصر مثلك لا يدري كيف أصبحنا؟ فأمّا إذا لم تدرا، فسأُخبرك: أصبحنا في قومنا بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون إذ كانوا يذبّحون أبناءهم ويستحيون نساءهم، وأصبح شيخنا وسيّدنا يُتقرّب إلى عدوّنا بشتمه وسبّه على المنابر -إلى أن قال- فلئن كانت العرب صدقت أنّ لها فضلاً على العجم، وصدقت قريش أنّ لها الفضل على العرب، لأنّ محمّداً منها، فلقد فأصبحوا يأخذون بحقّنا ولا يعرفون لنا حقّاً، فهكذا أصبحنا إذا لم

---

(١) رواه عنه ابن أبي الحديد في شرحه ٤: ٢٥٢.

(٢) نقله عن ابن قتيبة والأزهري ابن ميثم في شرحه ٥: ٢٤٩، والراوندي في شرحه ٣: ٢٧٠. والظاهر أخذ ابن ميثم عن الراوندي.

(٣) لم يتعرّض الراوندي في شرحه ٣: ٢٧٠ إلى ذلك، وظنّ الشارح لا مورد له.

(٤) المناقب لابن شهر آشوب ١: ٢٧٤.

تعلم كيف أصبحنا؟ قال: فظننت أنّه أراد أن يسمع من في البيت[1].

وفي (تاريخ بغداد): توفّي محمّد بن جعفر الصادق بخراسان فركب المأمون لشهوده، فلمّا نظر إلى السرير نزل فترجّل، ورفع عن تراقيه، ثمّ دخل بين العمودين فلم يزل بينهما حتّى وضع، وتقدّم فصلّى عليه، ثمّ حمله حتّى بلغ به القبر، ثمّ دخل قبره، فلم يزل فيه حتّى بني عليه، ثمّ خرج فقام على القبر وهو يدق، فقال له عبد الله بن الحسن: إنّك قد تعبت فلو ركبت. فقال له المأمون: إنّ هذه رحم قطعت من مائتي سنة. قال الحسن بن محمّد بن يحيى: قال جدّي: ... وروى في هذا الحديث أنّه قال: هذا حقّ ضيّع من مائتي سنة[2].

قلت: أي من يوم وفاة النّبي صلى الله عليه وآله.

«وإلّا ركبنا أعجاز الإبل وإن طال السّرى» قد عرفت المراد منه من بيان الرضي رضوان الله عليه.

هذا، وفي السّير: دخل أبو بجيلة الشّاعر على السّفاح، فقال له: أفتأذن لي في إنشادك؟ فقال له: لعنك الله ألست القائل في مسلمة بن عبد الملك:

أمسلم إنّي يابن كلّ خليفة ويا فارس الهيجا ويا جبل الأرض
شكرتك إنّ الشكر حبل من التّقى وما كلّ من أوليته نعمة يقضي
وأحييت لي ذكري وما كان خاملاً ولكنّ بعض الذكر أنبه من بعض

قال: فأنا الذي أقول:

لما رأينا استمسكت يداكا كنّا أناساً نرهب الملاكا
ونركب الأعجاز والأوراكا من كلّ شيء ما خلا الاشراكا
وكلّ ما قلته في سواكا زور وقد كفّر هذا ذاكا

---

(١) منتخب ذيل المذيل للطبري: ١٢٠.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب ٢: ١١٥، والنقل بتلخيص.

فرضي عنه وأجازه.

وقال الشاعر:

وما عن رضى كان الحمار مطيتي ولكنّ من يمشي سيرضى بما ركب

وفي الأمثال: ركب في الطّلب أعجاز الإبل.

هذا، وعبّر عليه السلام يوم الشورى عن حاله بعد أخذ حقّه استعارة بما مر، وأوضح المراد في أوّل انتقال الأمر إليه عليه السلام، فروى المدائني عن عبد الله بن جنادة: أنّه عليه السلام خطب يومئذ. فقال: أمّا بعد، فإنّه لمّا قبض الله نبيّه صلى الله عليه وآله قلنا: نحن أهله وورثته وعترته وأولياؤه دون النّاس، لا ينازعنا سلطانه أحد، ولا يطمع في حقّنا طامع، إذ انبرى لنا قومنا، فغصبونا سلطان نبيّنا. فصارت الإمرة لغيرنا، وصرنا سوقة يطمع فينا الضعيف ويتعزّز علينا الذليل، فبكت الأعين منّا لذلك، وخشنت الصدور، وجزعت النفوس، وايم الله لولا مخافة الفرقة بين المسلمين، وأن يعود الكفر، ويبور الدّين لكنّا على غير ما كنّا لهم...[1]

٢١
الحكمة (١١١)

وقال عليه السلام ـ وَقد تُوُفِّيَ سَهْلُ بنُ حُنَيْفِ الأَنْصاريُّ بالْكُوفَةِ بَعْدَ مَرْجعِهِ مِنْ صِفِّينَ مَعَه، وَكَانَ أَحَبَّ النَّاس إليه ـ:

لَوْ أَحَبَّنِي جَبَلٌ لَتَهَافَتَ.

«وَمَعْنى ذَلِك أنَّ الْمِحْنَةَ تَغْلُظُ عَلَيْهِ، فَتُسْرِعُ لَمَصَائِبُ إِلَيْهِ، وَلَا يُفْعَلُ ذَلِكَ إِلّا بِالأَتْقِيَاءِ الأَبْرَارِ، والْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَار، وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ عليه السلام:

مَنْ أَحَبَّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَلْيَسْتَعِدَّ لِلْفَقْرِ جِلْبَاباً.

---

(١) نقله عن المدائني ابن أبي الحديد في شرحه ١: ١٠١.

وَقَدْ يُؤَوَّلُ ذَلِكَ عَلَى مَعْنًى آخَرَ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ ذِكْرِهِ».

أقول: القول الأوّل الخاصّ بسهل رواه الخاصّة فقط، والثّاني العام العامّة على ما وقفنا.

أمّا الأوّل ففي (كتاب محمّد بن مثنى الحضرمي) من الأصول الأربعمائة: عن جعفر بن محمّد بن شريح، عن ذريح المحاربي، عن أبي عبدالله عليه السلام. وذكر سهل بن حنيف، فقال: كان من النّقباء. فقلت له: من نقباء نبيّ الله الاثني عشر؟ فقال: نعم كان من الّذين اختيروا من السّبعين. فقلت له: كفلاء على قومهم؟ فقال: نعم، إنّهم رجعوا وفيهم دم، فاستنظروا النّبي صلى الله عليه وآله إلى قابل، فرجعوا ففرغوا من دمهم، فاصطلحوا، وأقبل النّبيّ صلى الله عليه وآله معهم. وذكر سهلاً، فقال أبو عبد الله عليه السلام: ما سبقه أحد من قريش، ولا من النّاس بمنقبة. وأثنى عليه، وقال: لمّا مات جزع أمير المؤمنين عليه السلام جزعاً شديداً، وصلّى عليه خمس صلوات، وقال: لو كان معي جبل لارفضّ[(١)].

وأمّا الثاني فرواه ابن قتيبة وأبو عبيد[(٢)].

قول المصنّف: «وكان أحبّ» هكذا في (المصرية)، والصواب (من أحبّ) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية)[(٣)].

«النّاس إليه» ولذلك صلّى عليه السلام عليه خمس صلوات، كما عرفت من خبر كتاب محمّد بن المثنى[(٤)]، كما صلّى النّبيّ صلى الله عليه وآله على عمّه حمزة أربع عشرة صلاة.

«لو أحبّني جبل لتهافت» أي: تساقط قطعة قطعة، وقد عرفت ذكر الخبر

---

(١) رواه محمّد بن مثنى الحضرمي في أصله: ٨٦.

(٢) نقله عن غريب الحديث لابن قتيبة وأبي عبيد المرتضى في أماليه ١: ١٣ المجلس ٢.

(٣) لفظ شرح ابن أبي الحديد ٤: ٢٨٩ مثل المصرية، ولفظ شرح ابن ميثم ٥: ٢٩٨: «كان من أحب».

(٤) مرّ نقله في صدر هذا العنوان.

بدل التهافت: «لأرفضّ، والمعنى واحد؛ ففي (الصحاح): وكلّ متفرّق ذاهب مرفضّ. قال القطامي:

أخوك الّذي لا يملك الحسّ نفسه وترفضّ عند المحفظات الكتائف[١]

قول المصنّف: «معنى ذلك أنّ المحنة» أي: الامتحان.

«تغلظ عليه فتسرع المصائب إليه» في حديث الأربعمائة عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: والّذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، للبلاء أسرع إلى المؤمن من أغدار السّيل من أعلى التّلعة إلى أسفلها، ومن ركض البراذين[٢].

«ولا يفعل ذلك إلّا بالأتقياء الأبرار» فحيث إنّ الأُمور مقسومة من الله تعالى بين عباده، فمن آتاه الله الآخرة لا يؤتيه الدّنيا، كما أنّ من آتاه الحذاقة والكمال لا يؤته الرّياسة والمال، فذكروا أنّ المقتدر لمّا خلع وبويع ابن المعتزّ، أخبر الطبري بذلك، فقال: فمن رشّح للوزارة؟ قيل: ابن الجراح. قال: فمن ذكره للقضاء؟ فقيل: ابن المثنى. فأطرق قليلاً، ثمّ قال: إنّ هذا أمر لا يتمّ، ولا ينتظم. قيل له: وكيف؟ قال: كلّ واحد من هؤلاء الذين سمّى متقدّم في معناه على الرّتبة في أبناء جنسه، والزّمان مدبر والدّنيا مولية، وما أرى هذا إلّا إلى اضمحلال، ولا يكون لمدّته طول. فكان الأمر كما قال[٣].

«والمصطفين الأخيار» في (تاريخ اليعقوبي) قدم على عليّ عليه السلام أبو مريم القرشي المكّي -وكان صديقاً له- فلمّا رآه قال: ما أقدمك يا أبا مريم؟ قال: والله ما جئت في حاجة، ولكن عهدي بك قديم فأحببت أن أراك، ولو اجتمع أهل الأرض عليك، لأقمتهم على الطريق. فقال: يا أبا مريم والله إنّي لصاحبك

---

(١) صحاح اللّغة ٣: ١٠٧٩ مادة (رفض).

(٢) رواه ضمن حديث الاربعمائة الصدوق في الخصال: ٦٢١ وابن شعبة في تحف العقول: ١١١.

(٣) روى هذا المعنى الطبري في تاريخه ٨: ٢٥١ سنة ٢٩٦، والقرطبي في صلة تاريخ الطبري: ١٨ سنة ٢٩٦.

الّذي تعلم، ولكنّي منيت بشرار خلق الله ـ إلّا من رحم الله ـ يدعونني فآبى عليهم، ثمّ أُجيبهم فيتفرّقون عنّي، والدنيا محنة الصالحين، جعلنا الله وإيّاك منهم، ولولا ما سمعت من حبيبي أنّه يقول، لضاق ذرعي غير هذا الضيق، سمعته يقول: الجهد والبلاء أسرع إلى من أحبّ الله وأحبّني من السّيل إلى مجاريه[١].

«وهذا مثل قوله عليه السلام: من أحبّنا أهل البيت فليستعد للفقر جلباباً» ورواه أبو عبيد، وابن قتيبة في (غريبيهما) هكذا: «من أحبّنا أهل البيت فليعدّ للفقر جلباباً أو تجفافاً»[٢].

وفي (الصحاح): الجلباب: الملحفة؛ قالت امرأة من هذيل ترثي قتيلاً:

تمشي النسور إليه وهي لاهية مشيَ العذارى عليهنّ الجلابيب[٣]

والتّجفاف: لبس الفرس.

روى الصّفار عن الأصبغ قال: كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام، فأتاه رجل فسلّم عليه، ثمّ قال له: إنّي والله لأُحبك في الله، وأُحبك في السّرّ كما أُحبك في العلانية، وأدين الله بولايتك في السّرّ كما أُدين بها في العلانية. وبيد أمير المؤمنين عليه السلام عود فتطأطأ رأسه، ثم نكت بعوده في الأرض ساعة، ثمّ رفع رأسه إليه فقال: إنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله حدّثني بألف حديث لكلّ حديث ألف باب، وأنّ أرواح المؤمنين تلتقي في الهواء فتشامّ، فما تعارف منها ايتلف، وما تناكر منها اختلف، ويحك لقد كذبت! فما أعرف وجهك في الوجوه، ولا اسمك في الأسماء. ثمّ دخل عليه آخر، فقال له: إنّي أُحبك في الله، وأُحبك في السّر كما

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٠٥.

(٢) رواه عنهما المرتضى في أماليه ١: ١٣ المجلس ٢.

(٣) صحاح اللغة ١: ١٠١ مادة (جلب).

أُحبّك في العلانية، وأدين الله بولايتك في السّرّ كما أدين الله بها في العلانية فنكت عليه السلام بعوده الثّانية ثم رفع رأسه إليه، فقال له: صدقت إنّ طينتنا طينة مخزونة أخذ الله ميثاقها من صلب آدم، فلم يشذّ منها شاذّ، ولا يدخل فيها داخل من غيرها، اذهب واتخذ للفقر جلباباً، فإنّي سمعت النّبيّ صلى الله عليه وآله يقول: والله الفقر أسرع إلى محبينا من السّيل إلى بطن الوادي. ورواه (أمالي) الشيخ[1].

ولكن روى (معاني الأخبار): عن أحمد بن المبارك قال: إنّ رجلاً قال للصّادق عليه السلام: حديث يروى: أنّ رجلاً قال لأمير المؤمنين عليه السلام: إنّي أُحبّك. فقال له: أعدّ للفقر جلباباً. فقال: ليس هكذا قال، إنّما قال له: أعددت لفاقتك جلباباً. يعني: يوم القيامة[2].

ويمكن الجمع بكون لفظ (الفقر) في خبر الصّفار، وخبر أبي عبيد، وابن قتيبة من وهم الرّاوي، والأصل: البلاء، كما يشهد له خبر الاربعمائة المتقدّم، وخبر أبي مريم المتقدّم، لكن روى (الأسد): عن عثمة أنّ رجلاً من الأنصار رأى بوجه النّبيّ صلى الله عليه وآله أثر الجوع، فأتى بيته فلم يجد فيه شيئاً، فأتى بني قريظة فآجر نفسه على كلّ دلو بتمرة، حتّى جمع حفنة أو كفّاً ثمّ رجع بالتّمر فوضعه بين يدي النّبيّ صلى الله عليه وآله، فقال صلى الله عليه وآله له: إنّي لأظنّك تحبّ الله ورسوله؟ قال: أجل والذي بعثك بالحقّ، لأنت أحبّ إليّ من نفسي وولدي وأهلي ومالي. قال: أمّا لا فاصطبر للفاقة، وأعدّ للبلاء تجفافاً، فوالّذي بعثني بالحقّ لهي أسرع إلى من يحبّني من هبوط الماء من رأس الجبل إلى أسفله[3].

«وقد يؤوّل» من التأويل.

---

(١) أخرجه الصفاري البصائر: ٤١١ ح٢، وأبو علي الطوسي في أماليه ٢: ٢٣ المجلس ١٤.

(٢) معاني الأخبار للصدوق: ١٨٢ ح١.

(٣) أسد الغابة ٣: ٢٨٧.

«ذلك» أي: قوله «من أحبّنا فليستعدّ للفقر جلباباً».

«على معنى آخر ليس هذا موضع ذكره» الظّاهر أنّه أراد ما ذكره أبو عبيد، فإنّه قال: إنّه عليه السلام لم يرد الفقر في الدّنيا، ألا ترى أنّ في من يحبّهم مثل ما في ساير النّاس من الغنى؟ وإنّما أراد الفقر يوم القيامة، وأخرج الكلام مخرج الوعظ والنصيحة والحثّ على الطاعات، فكأنّه أراد: من أحبّنا فليعدّ لفقره يوم القيامة ما يجبره من الثّواب، والتقرّب إلى الله تعالى والزلفى عنده[١].

قلت: ما ذكره أبو عبيد معنى صحيح، إلّا أنّ لفظ الخبر آب عن الحمل عليه، وقد عرفت أنّ خبر (المعاني) ذكر ذاك المعنى، وحكم بكون لفظه غير ذاك اللفظ، وكونه بلفظ: «أعددت لفاقتك، أي: في القيامة جلباباً». ولو فرض صحّة الخبر فالظاهر معنى قاله ابن قتيبة، وهو: أنّ من أحبّنا فليصبر على التقلّل من الدّنيا، وليأخذ نفسه بالكفّ عن أعراضها[٢].

وذكر المرتضى في (غرره) قولهما، ويمكن أن يكون في الخبر وجه ثالث، هو: أن أحد وجوه معنى لفظة (الفقر) أن يحزّ أنف البعير حتّى يخلص إلى العظم أو قريب منه، ثمّ يلوى عليه حبل يذلل به الصّعب. بعير مفقور به: فعل به ذلك. فيحتمل على هذا أنّه عليه السلام أراد: أنّ من أحبّنا فليلزم نفسه، وليحطمها وليقدها إلى الطاعات، وليصرفها عمّا تميل إليه طباعها من الشهوات، وليذللها على الصبر على ما ذكرناه، ومشقّة ما أُريد منها، كما يفعل ذلك بالبعير الصّعب. وهذا وجه ثالث في الخبر لم يذكر[٣].

قلت: هو أيضاً معنى بعيد خلاف المتبادر من اللفظ، وكيف كان: فروي عن أبي خليفة الفضل بن حباب الجمحي قال:

(١ و ٢) أمالي المرتضى ١: ١٣ المجلس ٢، والنقل بتلخيص.

(٣) قاله المرتضى في أماليه المسمى بالغرر والدرر ١: ١٣، والنقل بتصرف يسير.

شيبان والكبش حدّثاني شـيخان بـالله عـالمان
قـالا إذا كـنت فـاطميا فاصبر على نكبة الزمان

وفي السير: كتب الحسين عليه السلام إلى الأحنف يدعوه إلى نفسه، فلم يرد جواباً، وقال: قد جرّبنا آل أبي الحسن، فلم نجد عندهم إيالة للملك، ولا جمعاً للمال، ولا مكيدة في الحرب[١].

وفي (عيون ابن قتيبة): قال الشّعبي: ما لقينا من آل أبي طالب؟ إن أحببناهم قتلونا، وإن أبغضناهم أدخلونا النّار[٢].

وقيل لابن عمر: إنّ الحسين عليه السلام توجّه إلى العراق. فلحقه وناشده الله أن يرجع فأبى، فقال ابن عمر: أما إنّي سأُحدّثك حديثاً: إنّ جبرئيل عليه السلام أتى النّبيّ صلى الله عليه وآله فخيّره بين الدّنيا والآخرة فاختار الآخرة. وأنّكم بضعة من النّبي صلى الله عليه وآله، والله، لا تليها أنت ولا أحد من أهل بيتك، وما صرفها الله عنكم إلّا لما هو خير لكم[٣].

وفي (مقاتل أبي الفرج): ـفي حديث سفيان بن أبي ليلى الّذي قال للحسن عليه السلام: أذللت رقابنا حين أعطيت هذا الطاغية البيعة ـ قال الحسن عليه السلام له: ما جاءنا بك يا سفيان؟ قال: حبّكم. فقال عليه السلام فأبشر يا سفيان، فإنّي سمعت عليّاً يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يرد عليَّ الحوض أهل بيتي ومن أحبّهم من أُمّتي كهاتين ـيعني: السّبابتين ـ أو كهاتين ـيعني: السّبابة والوسطى ـ إحداهما تفضل على الأُخرى. أبشر يا سفيان، فإنّ الدّنيا تسع البر والفاجر، حتّى يبعث الله إمام الحقّ من آل محمّد عليهم السلام[٤].

---

(١) الفائق للزمخشري ١: ٥٢ مادة (اول)، بفرق يسير.

(٢) عيون الاخبار لابن قتيبة ١: ٢١٢.

(٣) عيون الأخبار لابن قتيبة ١: ٢١١، والنقل بتلخيص.

(٤) المقاتل أبي الفرج: ٤٤.

ثمّ حبّهم عليهم السلام من الفرائض وإن سمّوا محبّيهم روافض؛ وفي (فواتح الميبدي) روى الكشاف والواحدي: أنّه لمّا نزلت ﴿...قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى...﴾[1]، سألوا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: أُمرنا بمحبّة من؟ فقال ثلاث مرّات: عليّ وفاطمة وابناهما[2].

وروى الترمذي عن المقداد قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: معرفة آل محمّد براءة من النّار، وحبّ آل محمّد جواز من الصراط، والولاية لآل محمّد أمان من العذاب[3].

٢٢
من الخطبة (٩٨)

وَخَلَّفَ فِينَا رَايَةَ ٱلْحَقِّ، مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ، وَمَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ، دَلِيلُهَا مَكِيثُ ٱلْكَلَامِ، بَطِيءُ ٱلْقِيَامِ، سَرِيعٌ إِذَا قَامَ، فَإِذَا أَنْتُمْ أَلَنْتُمْ لَهُ رِقَابَكُمْ، وَأَشَرْتُمْ إِلَيْهِ بِأَصَابِعِكُمْ، جَاءَهُ ٱلْمَوْتُ فَذَهَبَ بِهِ، فَلَبِثْتُمْ بَعْدَهُ مَاشَاءَ ٱللَّهُ، حَتَّى يُطْلِعَ ٱللَّهُ لَكُمْ مَنْ يَجْمَعُكُمْ وَيَضُمُّ نَشْرَكُمْ، فَلاَ تَطْمَعُوا فِي غَيْرِ مُقْبِلٍ، وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ مُدْبِرٍ. فَإِنَّ ٱلْمُدْبِرَ عَسَى أَنْ تَزِلَّ إِحْدَى قَائِمَتَيْهِ وَتَثْبُتَ ٱلْأُخْرَى، فَتَرْجِعَا حَتَّى تَثْبُتَا جَمِيعاً. أَلَا إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللّه عَلَيْهِ وَآلِهِ كَمَثَلِ نُجُومِ ٱلسَّمَاءِ: إِذَا خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ، فَكَأَنَّكُمْ قَدْ تَكَامَلَتْ مِنَ ٱللَّهِ فِيكُمُ ٱلصَّنَائِعُ، وَأَرَاكُمْ مَاكُنْتُمْ تَأْمُلُونَ.

---

(١) الشورى: ٢٣.

(٢) رواه الزمخشري في الكشاف ٤: ٢١٩ وعنه وعن الواحدي الميبدي في الفواتح: ١٩٦، وأخرجه الطبراني وابن أبي حاتم والحاكم في مناقب الشافعي عنهم الكاف الشاف ٤: ٢٢٠ وابن المنذر وابن مردويه عنهما الدر المنثور ٦: ٧، والجويني في فرائد السمطين ٢: ١٣ ح ٣٥٩ وغيرهم.

(٣) رواه عن الترمذي الميبدي في الفواتح: ١٩٦، لكن لم يوجد هذا في سنن الترمذي.

«وخلّف فينا راية الحق» قال ابن أبي الحديد: إنّ المراد براية الحقّ الثّقلان المخلّفان: الكتاب والعترة[١].

وقال ابن ميثم: المراد بها الكتاب والسنّة[٢].

قلت: كلّ منهما وإن كان معنى صحيحاً إلّا أنّ الظاهر أنّ المراد براية الحقّ هنا: الكتاب بالخصوص، لقوله عليه السلام بعد: «دليلها مكيث الكلام...» جاعلاً للعترة دليل الكتاب، وحينئذ فقوله عليه السلام هنا نظير قوله عليه السلام في الخطبة الأُولى: «وخلّف فيكم ما خلّفت الأنبياء في أممها ـ إذ لم يتركوهم هملاً بغير طريق واضح، ولا علم قائم ـ: كتاب ربّكم فيكم»[٣].

وأمّا الرايةُ في كلامه عليه السلام في خبر عبيد بن كرب عنه عليه السلام: «أنّ لنا أهل البيت راية من تقدّمها مرق، ومن تأخر عنها محق، ومن تبعها لحق»[٤] القائمُ عليه السلام بالخصوص، ورووا الخبر في علاماته عليه السلام.

«من تقدّمها» بالحكم في قبالها، كمن أمر بغسل الرّجلين في قبال حكمها بمسحهما.

«مرق» أي: خرج من الدّين.

«ومن تخلّف عنها» بعدم العلم بأحكامها.

«زهق» أي: هلك.

«ومن لزمها» بالالتزام بما فيها.

«لحق» بها ويصل إلى المقصد.

«دليلها مكيث الكلام» قد عرفت أنّ المراد من دليل راية الحق ـ وهي

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٨٩.

(٢) شرح ابن ميثم ٣: ٧.

(٣) رواه الشريف الرضي ضمن خطبة في نهج البلاغة ١: ٢٥.

(٤) أخرجه الصدوق في كمال الدين: ٦٥٤ ح٢٣.

الكتاب ـ: العترة عليهم السلام، لكونهم كتاب الله الناطق الدّال على حكم كتابه الصّامت.

وقال ابن أبي الحديد في شرح الجملة: وقلّة الكلام من صفات المدح، وكثرته من صفات الذمّ. قالت جارية ابن السّماك: ما أحسن كلامك لو لا أنّك تكثر ترداده...[1]

قلت: مكيثُ الكلام غير قليل الكلام، إنّما هو من يتكلّم عن رويّة وتدبّر ولو كثر كلامه، وفي قباله سريع الكلام: من يتكلّم عن غير تدبّر ولو قلّ كلامه. فالحكايات التي نقلها هنا، والأخبار التي ذكرها هنا بلا ربط، وتطويل بلا طائل.

«بطيء القيام، سريع إذا قام» المراد أنّه لا يفعل شيئاً حتّى يوجد المقتضي له ويصير ذا حكمة، فما لا يكون كذلك لا يقرب منه؛ فدعا أبو سفيان والعبّاس أمير المؤمنين عليه السلام بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله إلى أن يبايعاه، فما توجّه إليهما[2]، لأنّ قيامه عليه السلام في ذاك الوقت لتصدّي الإمرة لم يكن صلاحاً، لأنّه بعد تعاقد قريش على عدم تخلية الأمر له، ولو كان قام لانجر إلى اضمحلال أصل الاسلام، كما أنّه إذا وجد المقتضى لا يدع الفرصة، فأُشير عليه عليه السلام بأن لا يتبع طلحة والزبير، ويدع معاوية والشام، فخالف من أشار عليه، وجدّ في الطّلب وأوجد الجمل وصفين.

ونقل ابن أبي الحديد في شرح هاتين الفقرتين قول المتنبي:

وما قلت للبدر أنت اللجين ... ولا قلت للشّمس أنت الذّهب

فيقلق منه البعيد الأناة ... ويغضب منه البطيء الغضب

ونقل المثل:

يريك الهوينى والأُمور تطير

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٩٠.

(٢) السقيفة للجوهري: ٤٢، وغيره.

وقال: يضرب لمن ظاهره الأناة وباطنه الإبرام. ونقل أشياء أُخر كثيرة لا ربط لشيء منها سوى قول الشّاعر منها:

مسبل في الحيّ أحوى رفل وإذا يغزو فسمع أزل[١]

«فإذا أنتم ألنتم له رقابكم، وأشرتم إليه جاءه الموت فذهب به» قال ابن أبي الحديد: خطب بها أمير المؤمنين عليه السلام في الجمعة الثالثة من خلافته، وكنّى فيها عن حال نفسه، وأعلمهم فيها أنّهم سيفارقونه، ويفقدونه بعد اجتماعهم عليه وطاعتهم، وهكذا وقع الأمر، فإنّه نقل أنّ أهل العراق لم يكونوا أشد اجتماعاً عليه من الشّهر الّذي قتل عليه السلام فيه[٢].

قلت: فيه أوّلاً: من أين أنّ مراده عليه السلام بقوله: «فإذا أنتم ألنتم له رقابكم وأشرتم إليه» شهر قتله كما قال؟ بل الظّاهر أنّ مراده عليه السلام: انتقال أصل الخلافة الظاهرية إليه، لأنّه عليه السلام في أيّام الثلاثة لم يكن عندهم إلّا كأحد الصحابة في عدم بسط يد له، بل كان تحت الشّدّة، فإنّ حال من يراقبه الملوك ويعدّونه رقيباً لهم معلومٌ؛ وفي كتاب معاوية إلى محمّد بن أبي بكر مشيراً إلى أبي بكر وعمر وإليه عليه السلام: «ولقد همّا به الهموم، وأرادا به العظيم» وإنّما في أيّام خلافته لين له الرّقاب، وأُشير إليه بالأصابع.

وثانياً: من قال: إنّ أهل العراق لم يكونوا أشد اجتماعاً عليه من شهر قتل فيه؟ كيف، وبعد التّحكيم صار أمره عليه السلام مضطرباً غاية الاضطراب، حتّى بعد رجوعه عن حرب الخوارج نهى النّاس عن دخول البلد، ليشخصوا إلى معاوية، فلم يعتنوا به، وكان معاوية يغير كلّ يوم على بلاده عليه السلام غير الكوفة، ويصيح عليه السلام بهم في الدفاع، ولم يصغوا إليه عليه السلام حتّى قتل ـ صلوات الله عليه ـ

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٩٠.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٨٩، ١٩٢.

أسفاً، وحينئذ فلابد أنّ مراده عليه السلام: أن لبثه فيهم أيّام خلافته قليل، فلم تكمل السّنة الرابعة من قيامه عليه السلام.

«فلبثتم بعده ما شاء الله» ولا يعلم مدّة لبثهم غير الله.

«حتّى يطلع الله لكم من يجمعكم ويضم نشركم» بظهور قائم آل محمّد عليهم السلام؛ وقال ابن ميثم: قيل هو الإمام المنتظر، وقيل: هو قائم بني العبّاس بعد انقضاء دولة بني أُميّة[1].

قلت: كيف يحتمل إرادته عليه السلام قائم بني العبّاس، وكلامه عليه السلام في دليل راية الحقّ بعده عليه السلام؟ فمن يجمع النّاس، ويضمّ نشرهم على راية الحقّ غير قائم أهل البيت عليهم السلام؟ وإذا لم يكن المراد دليل راية الحقّ، فأيّ فرق بين قائم العباسية وقائم الأُموية، في جمع أمر النّاس على السلطنة الدنيوية؟

وقال ابن أبي الحديد: كلامه عليه السلام إشارة إلى المهدي الّذي يظهر في آخر الوقت، إلّا أنّه عند أصحابنا غير موجود الآن وسيوجد وعند الإمامية أنّه موجود[2].

قلت: فما يفعل بقوله عليه السلام هنا: «مثل آل محمّد صلّى الله عليه وآله كمثل نجوم السماء إذا خوى نجم طلع نجم»[3]، وبقوله عليه السلام في خطبة مرّت في أوّل الفصل: «لا تخلو الأرض من قائم لله حجّة إمّا ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً»[4]؟

«فلا تطمعوا في غير مقبل» قال أيوب بن نوح للرّضا عليه السلام: نرجو أن تكون صاحب هذا الأمر، وأن يردّه الله إليك من غير سيف، فقد بويع لك، وضربت الدّراهم باسمك. فقال عليه السلام: ما منّا أحد اختلفت إليه الكتب، وسئل عن المسائل،

---

(١) شرح ابن ميثم ٣: ٨.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٩٢.

(٣) رواهما الشريف الرضي في نهج البلاغة ١: ١٩٤ ضمن الخطبة ٩٨ و ٤: ٣٧ ضمن الحكمة ١٤٧.

(٤) المصدر نفسه.

وأشارت إليه إلّا اعتلّ ومات على فراشه، حتّى يبعث الله عزّوجلّ لهذا الأمر رجلاً خفي المولد والمنشأ، حتّى خفي في نسبه(١).

وقال عبد الله بن عطا للباقر عليه السلام: إنّ شيعتك بالعراق كثيرون، فوالله ما في أهل بيتك مثلك، فكيف لا تخرج؟ فقال: يا عبد الله بن عطا قد أمكنت الحشو من أُذنيك والله ما أنا بصاحبكم(٢).

«ولا تيأسوا من مدبر» قال الهادي عليه السلام: إذا رفع عليكم من بين أظهركم، فتوقعوا الفرج من تحت أقدامكم(٣).

وقال الباقر عليه السلام: إذا دار الفلك وقال النّاس: مات القائم أو هلك، بأيّ واد سلك، وقال الطالب أنى يكون ذلك، وقد بليت عظامه؟ فعند ذلك فارجوه، فإذا سمعتم به فأتوه، ولو حبواً على الثّلج(٤).

وعن الأصبغ: ذكر عند أمير المؤمنين عليه السلام القائم عليه السلام فقال: أما ليغيبنّ حتّى يقول الجاهل: ما لله في آل محمّد حاجة(٥).

«فإن المدبر» والمراد به القائم الّذي نهى عن اليأس عنه.

«عسى أن تزل» وزاد ابن أبي الحديد «به»(٦).

«إحدى قائمتيه وتثبت الأُخرى» فلا يسقط.

«وترجعا» هكذا في (المصرية) والصواب: (فترجعا) كما في

---

(١) الكافي للكليني ١: ٣٤١ ح٢٥ والغيبة للنعماني: ١١٢.

(٢) أخرجه الصدوق بطريقين في كمال الدين: ٣٢٥ ح٢ والكليني في الكافي ١: ٣٤٢ ح٢٦، والنعماني بطريقين في الغيبه: ١١١ في صدر حديث.

(٣) الكافي للكليني ١: ٣٤١ ح٢٤ عن الهادي عليه السلام، والغيبة للنعماني: ١٢٤ عن الرضا عليه السلام.

(٤) كمال الدين للصدوق: ٣٢٦ ح٥.

(٥) أخرجه الصدوق بطريقين كمال الدين: ٣٠٢ ح٩، و: ٣٠٣ ح١٥، والنعماني في الغيبة: ١٠١.

(٦) شرح ابن أبي احديد ٢: ١٨٩.

(ابن أبي الحديد وابن ميثم)[١].

«حتّى تثبتا جميعاً» ولعلّ الإتيان بضمير التثنية في (ترجعا، وتثبتا) إن صحّ النقل، لعدم تعيّن الزّالّة، فيحتمل كونها كلاًّ منهما.

وكيف كان، فعن الصادق عليه السلام قال: المنتظر الثاني عشر هو المفرّج للكرب عن شيعته بعد ضنك شديد، وبلاء طويل، وجزع وخوف، فطوبى لمن أدرك ذلك الزمان[٢].

«ألا إنّ مثل آل محمّد صلى الله عليه وآله كمثل نجوم السّماء إذا خوى نجم» في (الصحاح): خوت النجوم: إذا سقطت، ولم تمطر في نوئها[٣].

«طلع نجم» مكانه قال لقيط بن زرارة:

وإنّي من القوم الّذين علمتهم إذا مات منهم سيّد قام صاحبه
نجوم سماء كلّما غاب كوكب بدا كوكب تأوي إليه كواكبه

لمّا مات السّجاد عليه السلام قال محمّد بن المنكدر: ما كنت أظنّ أنّه يدع ولداً أفضل منه، حتّى رأيت ابنه محمّد بن عليّ، أردت أن أعظه فوعظني[٤].

ولمّا مات الباقر عليه السلام دخل سالم بن أبي حفصة على الصادق عليه السلام معزّياً له، فقال له: ذهب والله من كان يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله. فلا يسأل عمّن بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله، والله لا يرى مثله أبداً. فقال له الصادق عليه السلام: قال الله تبارك وتعالى: إنّ من عبادي من يتصدّق بشق تمرة، فأُربيها كما يربي أحدكم فلوه؛ حتى يجعلها مثل جبل أُحد. فخرج سالم إلى أصحابه، فقال: ما رأيت أعجب من هذا! كنّا نستعظم قول الباقر عليه السلام: «قال رسول الله» بلا واسطة. فقال

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٨٩، لكن لفظ شرح ابن ميثم ٣: ٦ مثل المصرية.

(٢) كمال الدين للصدوق: ٣٢٤ ح ٥، والغيبة للنعماني: ٥٧، والنقل بتقطيع.

(٣) صحاح اللغة ٦: ٢٣٣٢ مادة (خوى)، والنقل بتقطيع.

(٤) الارشاد للمفيد: ٢٦٣، والنقل بتصرف، وقد مرّ الحديث بتمامه في العنوان ١٩ من هذا الفصل.

ابنه «قال الله» بلا واسطة(١).

وقال زيدي لإمامي من أصحاب الصادق عليه السلام: قد مات إسماعيل الّذي كنتم تمدّون أعناقكم إليه، وجعفر شيخ كبير يموت غداً أو بعد غد، فتبقون بلا إمام. فلم يدر ما يقول له، فأخبر الصادق عليه السلام بمقالته، فقال عليه السلام: هيهات هيهات، أبى الله -والله- أن ينقطع هذا الأمر حتّى ينقطع الليل والنهار، فإذا رأيته فقل له: هذا موسى بن جعفر يكبر ويزوّجه، فيولد له ولد، فيكون خلفاً إن شاء الله(٢).

وكتب ابن قياما الواقفي إلى الرضا عليه السلام: كيف تكون إماماً وليس لك ولد؟ فأجابه عليه السلام: وما علمك أنّه لا يكون لي ولد؟ والله لا تمضي الأيّام والليالي حتّى يرزقني الله ولداً ذكراً، يفرّق به بين الحقّ والباطل(٣).

وقال أحمد بن محمّد: خرج عن أبي محمّد العسكري عليه السلام حين قتل الزّبيري: هذا جزاء من اجترأ على الله وأوليائه، يزعم أنّه يقتلني وليس لي عقب، فكيف رأى قدرة الله فيه؟ قال: وولد له ولد سمّاه «م ح م د» في سنة ستّ وخمسين ومائتين(٤).

وروى الشيخ في (غيبته) -توقيعاً عن الحجّة عليه السلام إلى جماعة قالوا: إنّ أبا محمّد عليه السلام مضى ولا خلف له-: أوما رأيتم كيف جعل الله لكم معاقل تأوون إليها، وأعلاماً تهتدون بها من لدن آدم عليه السلام إلى أن ظهر الماضي عليه السلام، كلّما غاب علم بدا علم، وإذا أفل نجم طلع نجم؟ فلمّا قبضه الله إليه ظننتم أنّ الله

(١) أمالي الطوسي ١: ١٢٥ المجلس ٥، والنقل بتصرف في اللفظ.

(٢) كمال الدين للصدوق: ٦٥٧ ح ٢.

(٣) الكافي للكليني ١: ٣٢٠ ح ٤، وأخرجه بعنوان المشافهة لا المكاتبة الكشي في معرفة الرجال (اختياره) ٥٥٣ ح ١٠٤٤.

(٤) الكافي للكليني ١: ٣٢٩ ح ٥.

تعالى أبطل دينه، وقطع السّبب بينه وبين خلقه؟ كلا ما كان ذلك ولا يكون حتّى تقوم السّاعة[١].

«فكأنّكم قد تكاملت من الله فيكم الصّنائع» أي: نعمه الخاصّة.

«وأراكم ما تأملون» من ظهور القائم عليه السلام؛ في خبر جابر الجعفي، عن الباقر عليه السلام: كأنّي بأصحاب القائم عليه السلام وقد أحاطوا بما بين الخافقين، فليس من شيء إلّا وهو مطيع لهم، حتّى سباع الأرض وسباع الطير[٢].

وفي خبر آخر عنه عليه السلام: إذا قام قائمنا عليه السلام وضع يده على رؤوس العباد، فجمع بها عقولهم، وكملت بها أحلامهم[٣].

وعن الصّادق عليه السلام: وإنّ الرّجل منهم ليعطى قوّة أربعين رجلاً، وإنّ قلبه لأشدّ من زبر الحديد، ولو مرّوا بجبال الحديد لقلعوها...[٤].

وقال ابن ميثم: وجدت له عليه السلام ـ في أثناء بعض خطبه في اقتصاص ما يكون بعده ـ فصلاً يجري مجرى الشّرح لهذا الوعد، وهو أن قال: «يا قوم اعلموا علماً يقيناً إنّ الّذي يستقبل قائمنا من أمر جاهليتكم ليس بدون ما استقبل الرّسول من أمر جاهليتكم ـ وذلك أنّ الأُمّة كلّها يومئذ جاهلية ـ إلّا من رحم الله. فلا تعجلوا فيعجل الخرق بكم، واعلموا أنّ الرفق يمن، وفي الأناة بقاء وراحة، والإمام أعلم بما ينكر، ولعمري لينزعَنّ عنكم قضاء السوء، وليقبضنّ عنكم المرائين، وليعزلنّ عنكم أُمراء الجور، وليطهّرنّ الأرض من كلّ غاش، وليعملنّ فيكم بالعدل، وليقومنّ فيكم بالقسطاس المستقيم، ليتمنين أحياؤكم لأمواتكم رجعة الكرّة عمّا قليل فيعيشوا إذن، فإنّ ذلك كائن لله، أنتم بأحلامكم

---

(١) الغيبة للطوسي: ١٧٣، والنقل بتقطيع.

(٢) كمال الدين للصدوق: ٦٧٣ ح ٢٥ في صدر حديث.

(٣) كمال الدين للصدوق: ٦٧٥ ح ٣٠، والكافي للكليني ١: ٢٥ ح ٢١.

(٤) كمال الدين للصدوق: ٦٧٣ ح ٢٦.

كفّوا ألسنتكم، وكونوا من وراء معايشكم، فإنّ الحرمان سيصل إليكم، وإن صبرتم واحتسبتم وائتلفتم، إنّه طالب وتركم، ومدرك لثأركم، وآخذ بحقّكم، وأُقسم بالله قسماً حقّاً: ﴿إنّ الله مع الّذين اتّقوا، والّذين هم محسنون﴾[١].

وروى الطبري في إسلام عدي بن حاتم: أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قال له: يا عدي بن حاتم إنّما يمنعك من الدخول في هذا الدين لما ترى من حاجتهم، فوالله ليوشكنّ المال يفيض فيهم حتّى لا يوجد من يأخذه -إلى أن قال- قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت، ورأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف شيئاً حتّى تحجّ هذا البيت، وايم الله لتكونن الثالثة ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه[٢].

قلت: ولابد أنّ فيضان المال حتّى لا يوجد من يأخذه إنّما في عصر ظهوره عليه السلام، فروي: أنّ أصحاب الزكاة يجيئون بزكاتهم إلى المحاويج من شيعته، فلا يقبلونها فيصرّونها ويدورون في دورهم، فيخرجون إليهم فيقولون: لا حاجة لنا إلى دراهمكم -إلى أن قال- ويجتمع إليه أموال أهل الدّنيا كلّها من بطن الأرض وظهرها، فيقول النّاس: تعالوا إلى ما قطعتم فيه الأرحام وسفكتم فيه الدّم الحرام، وركبتم فيه المحارم، فيعطي عطاء لم يعط أحد قبله[٣].

٢٣
من الخطبة (١٠٣)

فَمَا ٱحْلَوْلَتْ لَكُمُ ٱلدُّنْيَا فِي لَذَّتِهَا، وَلَا تَمَكَّنْتُمْ مِنْ رَضَاعِ أَخْلَافِهَا، إلّا

(١) شرح ابن ميثم ٣: ٩، والآية ١٢٨ من سورة النحل.

(٢) تاريخ الطبري ٢: ٣٧٧ سنة ٩.

(٣) رواه علي بن عبد الحميد في الغيبة عنه البحار ٥٢: ٣٩٠ ح٢١٢، والنقل بتصرف يسير.

مِنْ بَعْدِما صَادَفْتُمُوهَا جَائِلاً خِطَامُهَا، قَلِقاً وَضِينُهَا، قَدْ صَارَ حَرَامُهَا عِنْدَ أَقْوَامٍ بِمَنْزِلَةِ ٱلسِّدْرِ ٱلْمَخْضُودِ، وَحَلاَلُهَا بَعِيداً غَيْرَ مَوْجُودٍ، صَادَفْتُمُوهَا جَائِلاً خِطَامُهَا، قَلِقاً وَضِينُهَا، قَدْ صَارَ حَرَامُهَا عِنْدَ أَقْوَامٍ بِمَنْزِلَةِ ٱلسِّدْرِ ٱلْمَخْضُودِ، وَحَلاَلُهَا بَعِيداً غَيْرَ مَوْجُودٍ، وَصَادَفْتُمُوهَا وَٱللّهِ ظِلّاً مَمْدُوداً إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ، فَالأَرْضُ لَكُمْ شَاغِرَةٌ، وَأَيْدِيكُمْ فِيهَا مَبْسُوطَةٌ، وَأَيْدِي ٱلْقَادَةِ عَنْكُمْ مَكْفُوفَةٌ، وَسُيُوفُكُمْ عَلَيْهِمْ مُسَلَّطَةٌ، وَسُيُوفُهُمْ عَنكُمْ مَقْبُوضَةٌ. أَلَا إِنَّ لِكُلِّ دَمٍ ثَائِراً، وَلِكُلِّ حَقٍّ طَالِباً، وَإِنَّ ٱلثَّائِرَ فِي دِمَائِنَا كَالْحَاكِمِ فِي حَقِّ نَفْسِهِ، وَهُوَ ٱللّهُ ٱلَّذِي لَا يُعْجِزُهُ مَنْ طَلَبَ، وَلَا يَفُوتُهُ مَنْ هَرَبَ.

أقول: ورواه (الإرشاد) هكذا: «الحمد لله، والسّلام على رسول الله. أمّا بعد، فإنّ رسول الله ﷺ رضيني لنفسه أخاً، واختصّني له وزيراً. أيّها النّاس أنا أنف الهدى وعيناه، فلا تستوحشوا من طريق الهدى لقلّة من يغشاه، من زعم أنّ قاتلي مؤمن فقد قتلني. ألا وإنّ لكل دم ثائراً يوماً ما، وإنّ الثائر في دمائنا، والحاكم في حقّ نفسه، وحقّ ذوي القربى واليتامى والمساكين، وابن السّبيل الّذي لا يعجزه ما طلب لا يفوته من هرب، ﴿وسيعلم الّذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون﴾(١) وأقسم بالله الّذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لتنتحرنّ عليها يا بني أُمية ولتعرفنّها في أيدي غيركم، ودار عدوكم عمّا قليل وستعلمنّ نبأه بعد حين(٢).

ورواه القمي في (تفسيره) مسنداً عن الصّادق عليه السلام هكذا: «قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام بعدما بويع بخمسة أيّام، فقال فيها: واعلموا أنّ لكلّ حقّ طالباً، ولكلّ دم ثائراً، والطالب بحقّنا كقيام الثائر بدمائنا، والحاكم في حقّ

---

(١) الشعراء: ٢٢٧.

(٢) الارشاد للمفيد: ١٤٧.

نفسه هو العادل الّذي لا يحيف، والحاكم الذي لا يجور، وهو الله الواحد القهّار. واعلموا أنّ على كلّ شارع بدعة وزرّه ووزر كلّ مقتد به من بعده، من غير أن ينتقص من أوزار العاملين شيء...»[١].

«فما احلولت» أي: ما صار حلواً؛ قال الجوهري: حلا الشيء يحلو حلاوة، واحلولى مثله[٢].

«لكم الدّنيا في لذّتها» ومذاقها.

«ولا تمكنتم من رضاع» مصدر رضع الصّبي أُمّه، وقولهم: لئيم راضع. أصله رجل كان يرضع إبله أو غنمه، ولا يحلبها لئلّا يسمع صوت حلبه فيُطلب منه.

«أخلافها» الأخلاف: جمع الخلف بالكسر؛ وفي (الصحاح): الخلف: حلمة ضرع النّاقة، القادمان والآخران[٣].

قال ابن أبي الحديد: الخطاب لمن في عصره من الصحابة والتابعين[٤].

وقال ابن ميثم: لبني أُمية ونحوهم[٥].

والأوّل أصح لأنّ صيرورة الدّنيا حلواً لهم، وتمكنهم من رضاع ثديها إنّما كان من زمن الأوّلين، وإنّما نال بنو أُميّة ما نالوا بواسطتهم.

«إلّا من بعدما» هكذا في (المصرية)، والصواب: (إلّا من بعده)، أي: بعد النّبي صلى الله عليه وآله كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٦].

---

(١) تفسير القمي ١: ٣٨٤.

(٢) صحاح اللغة للجوهري ٦: ٢٣١٧ مادة (حلو).

(٣) صحاح اللغة ٤: ١٣٥٣ مادة (خلف).

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٠١.

(٥) شرح ابن ميثم ٣: ٢٥.

(٦) لفظ شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٠٠ وشرح ابن ميثم ٣: ٢٣ مثل المصرية أيضاً.

قال ابن أبي الحديد: فصانه الله تعالى في أيّام حياته عن أن يفتح عليه الدّنيا، وأكرمه عن ذلك، فلم يفتح عليكم البلاد، ولا درّت عليكم الأموال، ولا أقبلت الدّنيا نحوكم، وما دالت الدولة لكم، إلّا من بعده[١].

خطب عتبة بن غزوان في إمارته البصرة من قبل عمر ـ وهو الّذي اختطّ البصرة ـ فقال: ولقد رأيتني سابع سبعة من رسول الله صلى الله عليه وآله وقد تسلقت أفواههم من أكل الشجر، ولقد رأيتنا أنا وسعد استبقنا بردة فاشتققناها، فأخذت أنا نصفها وسعد نصفها، واليوم ما منّا رجل إلّا وقد أصبح أميراً على مصر، ولقد بلغني أنّه لم تكن نبوّة إلّا وسننسخ ملكاً.

ولمّا هزم خالد بن الوليد عجم البسط، وكانوا بسطوا البسط، وصفّوا الأطعمة فلم يمهلهم، ووقف على طعامهم فقعدوا عليه، وجعل من لم ير الأرياف، ولا يعرف الرّقاق يقول: ما هذه الرّقاق البيض؟ وجعل من قد عرفها يجيبهم، ويقول لهم مازحاً: هل سمعتم برقيق العيش؟ فيقولون: نعم. فيقول: هو هذا. فسمّي الرّقاق؛ قال الطبري: وكانت العرب تسمّيه القرى[٢].

«**صادفتموها**» أي: وجدتموها.

«**جائلاً**» من الجولان.

«**خطامها**» أي: زمامها.

«**قلقاً**» أي: مضطرباً.

«وضينها» قال الجوهري: الوضين للهودج بمنزلة البطان للقتب، والتصدير للرحل، والحزام للسّرج[٣].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٠١.

(٢) تاريخ الطبري ٢: ٥٦٢ سنة ١٢.

(٣) صحاح اللغة للجوهري ٦: ٢٢١٤ مادة (وضن).

«قد صار حرامها عند أقوام بمنزلة السّدر المخضود» من: خضدت الشجر: قطعت شوكه، فهو خضيد ومخضود. فيسهل عليه تناول ثمره.

«وحلالها بعيداً غير موجود» لعدم ورع في النّاس يتّقون من الحرام.

قال ابن أبي الحديد وفي شرح قوله عليه السلام: «صادفتموها» إلى هنا: ذكر عليه السلام أنّهم صادفوها -يعني الدّنيا- وقد صعبت على من يليها ولاية حقّ، كما تستصعب النّاقة على راكبها إذا كانت جائلة الخطام، ليس زمامها يمكّن راكبها من نفسه، قلقة الوضين لا يثبت هودجها تحت الراكب. حرامها سهل التناول على من يريده، كالسدر الذي خضد عنه شوكه فصار ناعماً أملس، وحلالها غير موجود لغلبة الحرام عليه، وكونه صار مغموراً مستهلكاً بالنسبة، وهذا إشارة إلى ما كان يقوله دائماً من استبداد الخلفاء قبله دونه بالأمر، وأنّه كان الأولى والأحقّ[1].

قلت: ما قاله من أنّه عليه السلام كان دائماً يقول باستبدادهم حقّ، وتأويل أصحابه له باطل، لكن الظاهر أنّ كلامه عليه السلام ليس في هذا المقام، بل في مقام أنّ الدّنيا إنّما فتحت على المتقدّمين عليه بفتح فارس والرّوم، حيث إنّ الدّنيا صارت متزلزلة بأُولئك وزال اقتدارهم، وكانوا مشغولين بالنهب والسلب، ولم يتمكّن أُمراؤهم من ردعهم، وإنّما كان من دولتهم مجرّد اسم ومحض صورة، كما لا يخفى على من راجع السير.

«وصادفتموها والله ظلاً ممدوداً إلى أجل معدود» قال ابن أبي الحديد: ذكر عليه السلام أنّ الدّنيا فانية، وأنّها ظل ممدود إلى أجل معدود[2].

وقال ابن ميثم: كنّى بذلك عن زوالها بعد حين تهديداً لهم به[3].

(١ و ٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٠١.

(٣) شرح ابن ميثم ٣: ٢٦.

قلت: وفي ما قالاه: أوّلاً: إنّه لو كان المعنى ما ذكراه، لم يكن الكلام محتاجاً إلى قوله: «وصادفتموها»، وكان يقول: وإنّها والله ظل ممدود إلى أجل معدود.

وثانياً: إنّه لا يناسب الظّل الممدود الفناء والزّوال، بل الظّل الزّائل كما قالوا:

إنّما الدّنيا كظلّ زائل

كيف والظّل الممدود ورد في وصف نعيم الجنّة؟ قال تعالى: ﴿وظل ممدود﴾[1].

وثالثاً: إنّه لا يناسب سياق الكلام سابقه ولاحقه، والظاهر بشهادة السّوق أنّ المراد: أنّهم صادفوا الدّنيا بعد النّبيّ ﷺ مصفّى العيش مدّة مديدة.

«فالأرض لكم شاغرة» يقال: شغر الرّجل المرأة. أي: رفع رجلها للنكاح، والظّاهر أنّ المراد أنّ الأرض كانت لكم شاغرة كشغرِ رِجل المرأة للرجل.

قالوا: لمّا فتح موسى بن نصير الأندلس غنموا من الذهب والفضة حتى نعلوا دوابهم بمسامير الذهب والفضة. ولما ضربوا الأوتاد لخيولهم في جدار كنيسة من كنايسها لم تلج، فنظروا فإذا بصفايح الذهب والفضّة خلف بلاط الرّخام. ولمّا فتح طليطلة، وجد فيها بيتاً كان فيه أربعة وعشرون تاجاً من ملوك الأندلس، كلّما هلك ملك جعل تاجه في ذلك البيت، وكتب على التّاج اسم صاحبه وابن كم هو، ويوم ولي ويوم مات. ووجدوا أيضاً مائدة عليها اسم سليمان بن داود، وليس لها أرجل قاعدتها منها، وكانت من ذهب وفضّة خليطين، فهي تتلوّن صفرة وبياضاً، مطوّقة بثلاثة أطواق: طوق لؤلؤ، وطوق

---

(١) الواقعة: ٣٠.

ياقوت، وطوق زمرد. ودلّهم رجل على كنز فنزلوا فيه، فسال عليهم من الزّبرجد والياقوت ما لم يروا مثله قط، وأمّا الذّهب والفضّة والمتاع فلم يكن يحصيه أحد[١].

«وأيديكم فيها مبسوطة» تفعلون ما تشاؤون.

«وأيدي القادة» من الله.

«عنكم مكفوفة» أي: مشدودة.

«وسيوفكم عليهم مسلّطة» فتقتلونهم.

«وسيوفهم عنكم مقبوضة» فلا يستطيعون القصاص منكم؛ روى (الروضة): عن الصادق عليه السلام قال: إنّ الله عزّوجلّ أعفى نبيّكم أن يلقى من أمته ما لقيت الأنبياء من أممها، وجعل ذلك علينا[٢].

وفي (تاريخ اليعقوبي): أنّه لما قتل يوسف بن عمر زيد بن عليّ بن الحسين أحرق جسده، وذرى نصفه في الفرات، ونصفه في الزّرع، وقال: والله يا أهل الكوفة لأدعنّكم تأكلونه في طعامكم، وتشربونه في مائكم[٣].

وفي (عيون ابن بابويه): دخل دعبل الخزاعي على الرّضا عليه السلام بمرو، فقال له: يا بن رسول الله إنّي قد قلت فيك قصيدة، وآليت على نفسي ألّا أُنشدها أحداً قبلك. فقال: هاتها. فأنشده:

مدارس آيات خلت من تلاوة   ومنزل وحي مقفر العرصات

إلى أن قال:

إذا وتروا مدّوا إلى واتريهم   أكفّاً عن الأوتار منقبضات

---

(١) الكامل لابن الأثير ٤: ٥٦٤ ـ ٥٦٦ سنة ٩٢، والنقل بالمعنى.

(٢) الكافي للكليني ٨: ٢٥٢ ح ٣٥٢ كتاب الروضة.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢: ٣٢٦.

جعل ابو الحسن عليه السلام يقلّب كفّيه ويقول: أجل والله منقبضات[١].

وقال ابن أبي الحديد: أعاد الشكوى والتألّم فقال: «وأيديكم في الدّنيا مبسوطة ـ إلى ـ وسيوفهم مقبوضة»، وكأنّه كان يرمز إلى ما سيقع من قتل الحسين عليه السلام وأهله، كأنّه يشاهد ذلك عياناً[٢].

قلت: بل أشار إلى إرادة قتلهم له يوم السّقيفة، ويوم الشّورى لو لم يبايع؛ قال ابن قتيبة في قصّة السقيفة: وبقي عمر ومعه قوم، فأخرجوا علياً فمضوا به إلى أبي بكر، فقالوا له: بايع. فقال: إن أنا لم أفعل فمه؟ قالوا: إذن والله الّذي لا إله إلّا هو نضرب عنقك. قال: إذن تقتلون عبد الله، وأخا رسوله. قال عمر: أمّا عبد الله فنعم، وأمّا أخو رسوله فلا[٣].

وقال في يوم الشورى: خرج عبد الرّحمن (ابن عوف) إلى المسجد، فجمع النّاس، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: إنّي نظرت في أمر النّاس، فلم أرهم يعدلون بعثمان، فلا تجعل يا عليّ سبيلاً إلى نفسك فإنّه السّيف لا غير. ثمّ أخذ بيد عثمان فبايعه[٤].

وكان حقّ الكلام أن يقول: أشار إلى إرادة قتل الأوّلين له لو لم يبايعهم، وإرادة قتل طلحة والزّبير وعايشة له عليه السلام ولابنيه الحسن والحسين عليهما السلام لو ظفروا بذلك يوم الجمل، وإلى قتل معاوية للحسن عليه السلام، وابنه للحسين عليه السلام، وقتل باقي بني أُمية والعبّاسية لباقي أهل بيته وشيعتهم.

قال الباقر عليه السلام ـ وقد نقله ابن أبي الحديد في عنوان اختلاف الخبر ـ لبعض أصحابه: يا فلان ما لقينا من ظلم قريش إيّانا، وتظاهرهم علينا، وما

---

(١) عيون اخبار الرضا ٢: ٢٦٧ ح ٣٤.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٠١.

(٣) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ١٣.

(٤) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ٢٧.

لقي شيعتنا ومحبّونا من الناس! إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قبض، وقد أخبر أنّا أولى النّاس بالنّاس، فتمالأت علينا قريش حتّى أخرجت الأمر عن معدنه، واحتجّت على الأنصار بحقّنا وحجّتنا -إلى أن قال- ثمّ لم نزل أهل البيت نستذل، ونستضام، ونقصى، ونمتهن، ونحرم، ونقتل، ونخاف، ولا نأمن على دمائنا ودماء أوليائنا، ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعاً يتقرّبون به إلى أوليائهم، وقضاة السوء وعمّال السوء في كلّ بلدة، فحدّثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة، ورووا عنّا ما لم نقله، وما لم نفعله ليبغّضونا إلى الناس، وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن عليه السلام، فقتلت شيعتنا بكلّ بلدة، وقطعت الأيدي والأرجل على الظّنة، وكان من يذكر بحبّنا والانقطاع إلينا سجن، أو نهب ماله، أو هدمت داره...[1].

وفي زيارة لهم عليهم السلام رواها عليّ بن طاووس: يا مواليّ فلو عاينكم المصطفى، وسهام الأُمّة مغرقة في أكبادكم، ورماحهم مشرعة في نحوركم، وسيوفها مولغة في دمائكم، يشفي أبناء العواهر غليل الفسق من ورعكم، وغيظ الكفر من إيمانكم، وأنتم بين صريع في المحراب قد فلق السّيف هامته، وشهيد فوق الجنازة قد شكّت أكفانه بالسّهام، وقتيل بالعراء قد رفع فوق القناة رأسه، ومكبّل في السجن قد رُضّت بالحديد أعضاؤه، ومسموم قد قطعت بجرع السّم أمعاؤه، وشملكم عباديد تفنيهم العبيد، وأبناء العبيد[2].

ثمّ أيّ شيء يفيده تخصيصه كلامه عليه السلام بقتل الحسين عليه السلام، مع أنّ المؤسّس ليزيد لم يكن إلّا صدّيقهم وفاروقهم، كما كان لأبيه؟

(١) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ١٥، شرح الخطبة ٢٠٨.

(٢) نقله ابن طاووس في مصباح الزائر وصاحب المزار الكبير فيه عنهما البحار ١٠٢: ١٦٩ ضمن زيارة جامعة.

فروى (مروج المسعودي)، و (صفين نصر)، وغيرهما: أنّ محمّد بن أبي بكر كتب إلى معاوية: كيف تقاتل علياً عليه السلام وهو وليّ النّبيّ صلى الله عليه وآله وأنت عدوّه؟ فأجابه بأنّه اقتدى في ذلك بأبيه الصدّيق وصديقه الفاروق(١).

وروى (أنساب البلاذري): أنّ ابن عمر كتب إلى يزيد يطعن فيه لما قتل الحسين عليه السلام فأجبه بأنّه أسس له ذلك أبوه الفاروق(٢).

وفي (بلاغات نساء البغدادي) قالت زينب: وسيعلم من بوّأك ومكّنك من رقاب المؤمنين(٣).

نعم قتل الحسين عليه السلام كان أظهر مصاديق كلامه، وأشهر شنائع قريش أعداء أهل البيت. وفي (معجم الحموي): قال دعبل فيه عليه السلام:

رأس ابن بنت محمّد ووصيّه ... يا للرّجال على قناة ترفع
والمسلمون بمنظر وبمسمع ... لا جازع من ذا ولا متخشّع(٤)

وفي (الأغاني): قال دعبل:

وليس حيٌّ من الأحياء نعلمه ... من ذي يمان ومن بكر ومن مضر
إلّا وهم شركاء في دمائهم ... كما تشارك ايسار على جزر
قتل وأسر وتحريق ومنهبة ... فعل الغزاة بأرض الرّوم والخزر(٥)

وفي (معجم الحموي): قال نصر الله بن مجلى: رأيت في المنام عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقلت له: يا أمير المؤمنين تفتحون مكّة فتقولون: من دخل دار

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٣: ١٢، ووقعة صفين لابن مزاحم: ١١٩ وأنساب الأشراف للبلاذري ٢: ٣٩٦.

(٢) رواه عن أنساب الأشراف ابن طاووس في الطرائف ١: ٢٤٧ ح٣٤٨، لكن لم يوجد في ترجمة الإمام الحسين عليه السلام، ولا في ترجمة يزيد في أنساب الأشراف.

(٣) بلاغات النساء للبغدادي: ٣٦.

(٤) معجم الادباء للحموي ١١: ١١٠.

(٥) الأغاني لأبي الفرج ٢٠: ١٨٠.

أبي سفيان فهو آمن. ثمّ يتمّ على ولدك الحسين يوم الطّف ما تم؟ فقال: أما سمعت أبيات ابن الصيفي في هذا؟ فقلت: لا. فقال: اسمعها منه. فلمّا استيقظت، بادرت إلى دار الحيص بيص، فخرج إليّ، فذكرت له الرؤيا فأجهش بالبكاء، وحلف بالله أنّه ما سمعها منه أحد، وأنّه نظمها في ليلته هذه، ثمّ أنشدني:

ملكنا فكان العفو منّا سجية ... فلمّا ملكتم سال بالدّم أبطح
وحلّلتم قتل الأسارى وطالما ... غدونا عن الأسرى نعفّ ونصفح
فحسبكم هذا التفاوت بيننا ... وكلّ إناء بالّذي فيه ينضح(١)

وفي (المعجم) أيضاً: قال ابن وصيف الناشي:

بني أحمد قلبي لكم يتقطّع ... بمثل مصابي فيكم ليس يسمع

إلى أن قال:

عجبت لكم تفنون قتلاً بسيفكم ... ويسطو عليكم من لكم كان يخضع
كأنّ رسول الله أوصى بقتلكم ... وأجسامكم في كلّ أرض توزّع(٢)

وفي (معجم الحموي) أيضاً: كان الخالع في المسجد الذي بين الوراقين والصّاغة في بغداد، والمسجد غاصّ بالنّاس، وإذا رجل قد وافى وعليه مرقعة، وفي يده سطيحة وركوة، ومعه عكاز، وهو شعث، فسلّم على الجماعة بصوت يرفعه، ثمّ قال: أنا رسول فاطمة الزّهراء عليها السلام. فقالوا: مرحباً بك وأهلاً، ورفعوه. فقال: أتعرّفون لي أحمد المزّوق النّائح؟ فقالوا: هاهو جالس. فقال: رأيت مولاتنا في النوم. فقالت لي: امض إلى بغداد واطلبه، وقل له: نح على ابني بشعر النّاشي الّذي يقول فيه:

بني أحمد قلبي لكم يتقطّع ... بمثل مصابي فيكم ليس يسمع

---

(١) معجم الادباء للحموي ١١: ٢٠٦.

(٢) معجم الادباء للحموي ١٣: ٢٩٢.

وكان النّاشي حاضراً فلطم لطماً عظيماً على وجهه، وتبعه أحمد المزّوق، والنّاس كلّهم، وكان أشد النّاس في ذلك النّاشي المزوق، ثمّ ناحوا بتلك القصيدة في ذلك اليوم إلى أن صلّى النّاس الظهر وتقوّض المجلس، وجهدوا بالرّجل أن يقبل شيئاً منهم، فقال: والله لو أُعطيت الدّنيا ما أُخذتها، أكون رسول مولاتي ثمّ آخذ عوضاً؟!(١).

وفي (الطبري): لمّا أتي المختار بعبد الله بن أسيد الجهني، ومالك بن النّسير البديّ، وحمل بن مالك المحاربي، قال لهم: يا أعداء الله قتلتم من أمرتم بالصلاة عليه في الصلاة؟ فأمر بقطع يدي البديّ ورجليه، وترك في نزف دمه حتّى يموت، لكونه صاحب برنس الحسين عليه السلام، وقتل الآخرين بالسيف(٢).

وفي (فواتح الميبدي) ينسب إلى أبي حنيفة هذه الأبيات:

حبّ اليهود لآل موسى ظاهر	وولاؤهم لبني أخيه باد
وإمامهم من نسل هارون الأُلى	بهم اقتدوا ولكلّ قوم هاد
وكذا النّصارى يكرمون محبة	لمسيحهم نجراً من الأعواد
ومتى توالى آل أحمد مسلم	قتلوه أو سمّوه بالإلحاد
هذا هو الدّاء العياء لمثله	ضلّت حلوم حواضر وبواد
لم يحفظوا حقّ النبيّ محمّد	في آله والله بالمرصاد(٣)

قلت: يقال لقائل الأبيات: هذا الداء العياء من أئمتكم، أليس فاروقكم دبّر الأمر لعثمان رئيس بني أُمية أعداء النّبيّ، وأعداء أهل بيته، وأعداء دينه حتّى يفعلوا ما فعلوا؟

---

(١) معجم الادباء للحموي ١٣: ٢٩٢.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٥٢٩ سنة ٦٦، والنقل بالمعنى.

(٣) فواتح الميبدي: ١٩٨.

وضلال حلوم حاضريهم وباديهم في محلّه، لأنّ دينهم دين متناقض ومتضاد، ومثله محال في العقول.

«ألا إنّ لكلّ دم ثائراً، ولكلّ حقّ طالباً، وإنّ الثائر في دمائنا» في (الصحاح): الثائر: الّذي لا يُبقي على شيء حتّى يدرك ثاره، ويقال أيضاً: هو ثاره: أي قاتل حميمه؛ قال جرير:

قتلوا أباك وثاره لم يقتل

وقولهم: يا ثارات فلان. أي: يا قتلة فلان[1].

وفي (الأساس): ثأرت حميمي وبحميمي، إذا قتلت قاتله، فعدوّك مثؤور، وحميمك مثؤر به؛ قال قيس بن الخطيم:

وثارت عدياً والخطيم فلم أضع وصية أشياخ جعلت إزاءها

وثاري عند فلان: أي: ذحلي. وجمع الثار الّذي هو معنى فقيل: «يا لثارات الحسين» أُريد: تعالين ياثاراته، أي: يا ذحوله، فهو أوان طلبكنّ[2].

«كالحاكم في حقّ نفسه، وهو الله الذي لا يعجزه من طلب» كائناً من كان.

«ولا يفوته من هرب» في أي مكان كان.

وفي رواية الحسين بن ثوير: عن الصادق عليه السلام في زيارة الحسين عليه السلام: السلام عليك يا قتيل الله وابن قتيله، السلام عليك يا ثار الله وابن ثاره[3].

وروى (العقد الفريد) مسنداً عن الزّهري قال: خرجت مع قتيبة أُريد المصيصة، فقدمنا على عبد الملك، فإذا هو قاعد في إيوان له وإذا سماطان من الناس على باب الإيوان، فإذا أراد حاجة قالها للّذي يليه حتّى تبلغ المسألة باب

(١) صحاح اللغة ٢: ٦٠٣ مادة (ثأر).

(٢) أساس البلاغة للزمخشري: ٤٢ مادة (ثأر)، والنقل بتقطيع.

(٣) الكافي للكليني ٤: ٥٧٦ ح ٢ وكامل الزيارات لابن قولويه: ١٩٩ ح ٢ ضمن زيارة طويلة.

الايوان، ولا يمشي أحد بين السّماطين. قال الزهري فجئنا فقمنا على باب الايوان، فقال عبد الملك للّذي عن يمينه: هل بلغكم أيّ شيء أصبح في بيت المقدس ليلة قتل الحسين بن عليّ عليه السلام؟ ـ إلى أن قال ـ قال الزهري: فدعيت فمشيت بين السّماطين وانتسبت له، وقلت: حدّثني فلان: أنّه لم يرفع تلك الليلة ـ التي صبيحتها قتل الحسين بن علي بن أبي طالب ـ حجر في بيت المقدس إلّا وجد تحته دم عبيط. قال عبد الملك: صدقت حدّثني الّذي حدّثك، وإنّي وإيّاك في هذا الحديث لغريبان[١].

وفي باب نقش خواتيم (الكافي) عن أبي الحسن عليه السلام: كان على خاتم عليّ بن الحسين عليه السلام: خزي وشقي قاتل الحسين بن عليّ عليه السلام[٢].

وروى (مجالس ثعلب) في أوائل ثانيه مسنداً عن السّدي قال: أتيت كربلا أبيع البز بها، فعمل لنا شيخ من طيّ طعاماً فتعشينا عنده، فذكرنا قتل الحسين عليه السلام، فقلت: ما شرك في قتله أحد إلّا مات بأسوء ميتة. فقال: ما أكذبكم يا أهل العراق! فأنا في من شرك في ذلك. فلم نبرح حتّى دنا من المصباح وهو يتّقد بنفط، فذهب يخرج الفتيلة بإصبعه، فأخذت النّار فيها، فأخذ يطفئها بريقه، فأخذت النّار في لحيته، فعدا فألقى نفسه في الماء فرأيته كأنّه حُمَمَة[٣].

وروى الطبري في (ذيله) عن شيخ من النّخع قال: قال الحجاج: من كان له بلاء فليقم. فقام قوم، فذكروا، وقام سنان بن أنس، فقال: أنا قاتل الحسين. فقال: بلاء حسن، ورجع إلى منزله. فاعتقل لسانه، وذهب

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه ٥: ١٢٦، والنقل بتقطيع.

(٢) الكافي للكليني ٦: ٤٧٣ ح٦.

(٣) مجالس ثعلب ٢: ٤٠٧.

عقله. فكان يأكل ويحدث مكانه[١].

ومن العجب أنّهم وثّقوا عمر بن سعد قاتل سيّد شباب أهل الجنّة، ومن شهد الله بطهارته، وبكونه ابن الرّسول، ومن باهل به النّبيّ ﷺ! نقل توثيقه تهذيب المزّي عن أحمد بن عبدون العجلي[٢].

وأغرب أنّهم جعلوا قتله حقّاً! فعن ابن حجر في شرح القصيدة الهمزية: قال ابن المالكي: ما قتل الحسين إلّا بسيف جدّه[٣].

ومن العجب أنّهم يرون شيعتهم شرّاً من الكفّار! ففي (الطبري): أنّ معاوية بن قرة المزني قاضي البصرة أدخل سنان رمحه في عين رجل من عسكر المختار بعد هزيمتهم، وأخذ يخضخض عينه بسنان رمحه، ويقول: هم أحل دماً من الترك والديلم[٤].

ولا غرو في ذلك بعد معاملتهم مع حجج الله ما عاملوا.

وروى أبو الفرج في (مقاتله): أنّ عيسى بن موسى ولي عهد المنصور الّذي قتل محمّداً وإبراهيم لمّا قدم، قال جعفر بن محمّد عليه السلام: أهو هو؟ قيل: من تعني يا أبا عبد الله؟ قال: المتلعب بدمائنا والله لا يحلأ منها بشيء[٥].

قلت: أشار عليه السلام إلى خلعه.

وفي (مروج المسعودي) في يحيى بن عمر الطالبي الّذي قتل في سنة (٢٥٠) أيّام المستعين، وحمل رأسه إلى بغداد، ودخل النّاس إلى ابن طاهر يهنّئونه بالفتح، قال أبو هاشم الجعفري:

---

(١) منتخب ذيل المذيل للطبري: ٢٥.

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر ٧: ٤٥٠، لكن تهذيب الكمال للمزّي لم أظفر على نسخته.

(٣) لم أظفر بمصدر نقله.

(٤) تاريخ الطبري ٤: ٥٦١ سنة ٦٧، والنقل بالمعنى.

(٥) المقاتل لأبي الفرج: ١٨٤، ٤٢٣.

يا بـني طـاهر كـلوه وبـيا إنّ لحـم النّبيّ غـير مـري
إنّ وتـراً يكـون طـالبه الله لوتر بالفوت غير حـري[١]

وفي (مقاتل أبي الفرج) أيضاً في يحيى ذاك: قال أبو هاشم الجـعفري لمحمّد بن عبد الله طاهر: قد جئتك مهنّئاً بما لو كان رسول الله حيّاً لعزّي به. قال: وأمر محمّد بن عبد الله حينئذ أُخته ونسوة من حرمه بالشّخوص إلى خراسان، وقال: إنّ هذه الرؤوس من قتلى أهل هذا البيت، لم تدخل بيت قوم قطّ إلّا خرجت منه النّعمة، وأزالت عنه الدّولة[٢].

وكتب عبد الملك إلى الحجّاج: أمّا بعد، فجنّبني دماء بني عبد المطلب، فإنّي رأيت آل أبي سفيان لمّا ولعوا فيها لم يلبثوا بعدها إلّا قليلاً.

وروى المسعودي عن ابن الغنوي عن ابن أبي عباد الجليس قال: رأى المعتضد بالله ـ وهو في سجن أبيه ـ كأنّ شيخاً جالساً على دجلة، يمدّ يده إلى ماء دجلة فيصير في يده وتجفّ دجلة، ثمّ يردّه من يده، فتعود دجلة كما كانت، فسأل عنه. فقيل له: هذا عليّ بن أبي طالب عليه السلام. فقام إليه وسلّم عليه. فقال: يا أحمد إنّ هذا الأمر صائر إليك فلا تتعرّض لولدي ولا تؤذهم. فقال: السّمع والطاعة يا أمير المؤمنين[٣].

٢٤
من الخطبة (١٦٤)

أَيُّها النَّاسُ لَوْ لَمْ تَتَخاذَلُوا عَنْ نصرِ الحَقِّ، وَلَمْ تَهِنُوا عَنْ تَوْهِينِ اَلْبَاطِلِ، لَمْ يَطْمَعْ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ، وَلَمْ يَقْوَ مَنْ قَوِيَ عَلَيْكُمْ.

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٤: ٦٤، ١٨١.

(٢) المقاتل لأبي الفرج: ١٨٤، ٤٢٣.

(٣) مروج الذهب للمسعودي ٤: ٦٤ و ١٨١.

لَكِنَّكُمْ تِهْتُمْ مَتَاهَ بني إسرائِيلَ. وَلَعَمْرِي لَيُضَعَّفَنَّ لَكُمُ التِّيهُ مِنْ بَعْدِي أَضْعافاً بِمَا خَلَّفْتُمُ الحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ، وَقَطَعْتُمُ الأَدْنَى، وَوَصَلْتُمُ الأَبْعَدَ. واعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنِ اتَّبَعْتُمُ الدَّاعِيَ لَكُمْ، سَلَكَ بِكُمْ مِنْهَاجَ الرَّسُولِ، وَكُفِيتُمْ مؤونة الاعْتِسَافِ، وَنَبَذْتُمُ الثِّقْلَ الْفادِحَ عَنِ الأَعْناقِ.

أقول: رواه الكليني في (روضة كافيه) وزاد قبله: «أيّها النّاس إنّ المنتحلين للإمامة من غير أهلها كثير»[1].

«أيّها النّاس لو لم تتخاذلوا عن نصر الحقّ» تخاذل النّاس بعد نبيّهم صلى الله عليه وآله عن نصر الحقّ، نصر أهل بيته، فاستشفع نساء أمير المؤمنين عليه السلام إليهم بسيّدة نساء العالمين، التي قال النّبيّ صلى الله عليه وآله فيها بإقرار الأوّل والثاني كما نقله ابن قتيبة: «رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحبّ فاطمة ابنتي فقد أحبّني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني»[2] فلم ينجع.

ففي (خلفاء ابن قتيبة): وخرج عليّ كرّم الله وجهه يحمل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله على دابة ليلاً في مجالس الأنصار، تسألهم النصرة، فكانوا يقولون: يابنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرّجل، ولو أنّ زوجك وابن عمّك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به. فيقول عليّ كرّم الله وجهه: أفكنت أدع رسول الله صلى الله عليه وآله في بيته لم أدفنه، وأخرج أُنازع النّاس بسلطانه؟ فقالت فاطمة: ما صنع أبو الحسن إلاّ ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم[3].

(١) رواه الكليني في الكافي ٨: ٦٦ كتاب الروضة ضمن خطبة.

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ١٤.

(٣) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ١٢.

«ولم تهنوا» أي: تضعفوا.

«عن توهين» أي: تضعيف.

«الباطل» خرجت عايشة عليه عليه السلام ـ وقد قال تعالى لها: ﴿وقرن في بيوتكنّ ولا تبرّجن تبرّج الجاهلية الأولى...﴾[1]. وقال تعالى فيها وفي صاحبتها حفصة: ﴿...وإن تظاهرا عليه فإنّ الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهيراً﴾[2]. وضرب عزّوجلّ لهما، رامزاً بكفرهما باطناً، مثلاً باعتراف عمر كما في (الكشّاف) في قوله جلّ وعلا: ﴿ضرب الله مثلاً للّذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الدّاخلين﴾[3] ـ فتبادر إلى نصرها آلاف وكانوا يقولون:

يا أيّها الناس عليكم أُمّكم فإنّها صلاتكم وصومكم

وكانوا يشمّون بعر جملها ويقولون: ريح بعره أطيب من المسك.

وكذلك طلحة والزّبير حاصرا عثمان حتّى قتل، وكان عليه السلام عن ذلك بمعزل، فخرجا عليه عليه السلام بطلب ثاره، فقتلا آلافاً من عباد الله الصالحين، وكان بطلان دعواهما ودعوى عايشة من الوضوح بمثابة أنكرها مثل المغيرة بن شعبة، الذي كان منافقاً، وكان أوّل من أمر بسبّه عليه السلام مقيماً خطباء في ذلك ليسرّ معاوية؛ ففي (خلفاء ابن قتيبة) لمّا نزل طلحة والزّبير وعايشة بأوطاس، قال المغيرة: أيّها النّاس إن كنتم إنّما خرجتم مع أُمّكم فارجعوا بها خيراً لكم، وإن كنتم غضبتم لعثمان فرؤساؤكم قتلوا عثمان، وإن كنتم نقمتم على عليّ شيئاً

---

(١) الاحزاب: ٣٣.

(٢) رواه من طرق كثيرة السيوطي في الدر المنثور ٦: ٢٣٩ ـ ٢٤١ والفيروز آبادي في السبعة من السلف: ١٣٥ ـ ١٤٣. والآية ٤ من سورة التحريم.

(٣) الكشاف للزمخشري ٤: ٥٦٣، والآية ١٠ من سورة التحريم.

فبيّنوا ما نقمتم عليه[١].

«لم يطمع فيكم من ليس مثلكم، ولم يقومنْ قوي عليكم» من بني أُميّة أيّام عثمان، فإنّ استيلاء الأراذل على الناس أثر قهري لرذيلة خذلان الحقّ ونصر الباطل؛ قالوا: كان ابن عمر يبغض سلمان رضي الله عنه لمّا رآه يوم السقيفة يقول: «كرديد و نكرديد». فلمّا رأى مروان -عدوّ الإسلام- على منبر النّبيّ صلى الله عليه وآله، قال: رحم الله سلمان قال ما قال بعلم[٢].

ولو كانوا لم يتخاذلوا عن منع الأوّل والثاني لم يطمع فيه الثّالث، ولو لم يكن الثالث لم يطمع فيه معاوية، اللعين بن اللعين على لسان النّبيّ صلى الله عليه وآله والمحارب له إلى أن أسلم كرهاً، فاستسلم ولم يسلم، ولو لم يكن معاوية لم يطمع فيه السكّير القمّير القردي يزيد، ولو لم يكن هو لم يطمع فيه بنو مروان طريد النّبيّ صلى الله عليه وآله والشجرة الملعونة في القرآن. ولذا قال النظام في جواب كلام عبد الملك، الّذي قرأه في السير في وصف نفسه: «إنّه ليس الخليفة الضعيف -يعني عثمان- ولا المداهن -يعني معاوية- ولا المافون -يعني يزيد» -: أيّها الرجل لو لم يكن أُولئك كنت أبعد من الخلافة من الثّرى إلى الثريا.

«لكنّكم تهتم» أي: تحيّرتم.

«متاه بني إسرائيل» قال ابن أبي الحديد: جاء في المسانيد الصحيحة أنّ النّبي صلى الله عليه وآله قال: لتركبن سنن من كان قبلكم حذو النّعل بالنّعل، والقذة بالقذة حتّى لو دخلوا جحر ضبّ لدخلتموه. فقيل: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن إذن[٣]؟

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ٦٣.

(٢) الشافي للمرتضى عنه الفتن من البحار: ٧٦، والاحتجاج للطبرسي: ٧٦.

(٣) رواهما ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٤٧٠.

قال: ومن الأخبار الصحيحة أيضاً أمتهوّكون أنتم كما تهوّكت اليهود والنصارى[١]؟

وفي (صحيح البخاري ومسلم): أنّه سيجاء يوم القيامة بأُناس من أُمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فإذا رأيتهم اختلجوا دوني قلت: أي ربّ أصحابي. فيقال لي: إنّك لا تدري ما عملوا بعدك. فأقول ما قال العبد الصالح: ﴿...وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلمّا توفّيتني كنت أنت الرّقيب عليهم وأنت على كلّ شيء شهيد﴾[٢].

قال: وفي (الصحيحين) أيضاً: عن زينب بنت جحش قالت: استيقظ النّبيّ صلّى الله عليه وآله يوماً من نومه محمرّاً وجهه وهو يقول: لا إله إلّا الله، ويل للعرب من شرّ قد اقترب! فقلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصّالحون؟ فقال: نعم إذا كثر الخبيث[٣].

قال: وفي (الصحيحين) أيضاً: يُهلك أُمّتي هذا الحي من قريش. قالوا: يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال: لو أنّ النّاس اعتزلوهم[٤].

قلت: لم يذكر المراد من هذه الأخبار، والخبر الأخير يوضّح أنّه صلّى الله عليه وآله أشار إلى يوم السقيفة، فإنّه مشتمل على أنّ قريشاً تهلك أُمّته، وكان الثاني استند في تقديم الأوّل إلى أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله قال: الأئمّة من قريش[٥].

---

(١) رواهما ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٤٧٠.

(٢) صحيح البخاري ٤: ٢٢١، وصحيح مسلم ٤: ١٧٩٣ ـ ١٨٠٠ ح٢٦ ـ ٢٩، ٣٢، ٤٠، ورواه عنهما ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٤٧٠، والآية ١١٧ من سورة المائدة.

(٣) أخرجه البخاري بطريقين في صحيحه ٤: ٢٢٢، ٢٣٣، ومسلم بأربع طرق في صحيحه ٤: ٢٢٠٧، ٢٢٠٨ ح١، ٢، ورواه عنهما ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٤٧٠.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ٤: ٢٢٢، ومسلم بطريقين في صحيحه ٤: ٢٢٣٦ ح٧٤، ورواه عنهما ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٤٧٠.

(٥) رواه الشريف الرضي في ضمن خطبة في نهج البلاغة ٢: ٢٧ الخطبة ١٤٢ عن عليّ عليه السلام، وللحديث طرق كثيرة.

فإن قيل: فلعلّه صلى الله عليه وآله أشار إلى بني أُمية، فإنّهم أيضاً كانوا من قريش.

قلت: نعم. لكن إنّما يعبّر باسمهم الخاص كبني هاشم، وإنّما يعبّر عن الأوّلين بقريش لعدم شهرة تيم وعدي.

ولقد أفصح أمير المؤمنين عليه السلام عن أنّ مراد النّبيّ صلى الله عليه وآله يوم السقيفة في جعلهم في تقديم الأوّل كمتبعي العجل؛ ففي (خلفاء ابن قتيبة): ولمّا أحضروا عليّاً للبيعة لحق بقبر النّبيّ صلى الله عليه وآله ويصيح وينادي ﴿...ابن أُمّ إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني...﴾[١].

وأوضح من ذلك كلمات سيّدة النّساء صلوات الله عليها وخطبها في ذلك[٢].

«ولعمري ليضعّفنّ لكم التّيه من بعدي أضعافاً بما» ليست كلمة (بما) في (ابن ميثم والخطيّة)[٣].

«خلّفتم الحقّ وراء ظهوركم، وقطعتم الأدنى ووصلتم الأبعد» قال (ابن أبي الحديد): يعني بالأدنى نفسه، ووصلكم الأبعد يعني معاوية[٤].

قلت: فكما معاوية أبعد منه عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله كذلك صدّيقهم وفاروقهم، فلِمَ حمل اللفظ العام جزافاً واتّباعاً للهوى على معنى خاص، مع أنّ معاوية كان أقرب إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله من الأوّل والثاني، فإنّه والنّبيّ صلى الله عليه وآله من بني عبد مناف، وأين من ذلك تيم وعدي؟ ولمّا أراد عمر نفسه يوم الشورى إشراك عثمان مع أمير المؤمنين عليه السلام ـ مع كونهما من حيث العمل كالنّور والظلمة، والحي والميّت ـ قال مغالطة: إنّهما من بني عبد مناف. ليقرّب جعله

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ١٣، والآية ١٥٠ من سورة الأعراف.

(٢) مرّ تخريج خطبتيها المعروفتين في العنوان ١١ من الفصل الأوّل.

(٣) لفظ شرح ابن ميثم ٣: ٣١٦ مثل المصرية أيضاً.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٧٠.

رديفاً له عليه السلام. وما يفعل ابن أبي الحديد بقوله عليه السلام ـ لما سمع احتجاج الرّجلين في قبال الأنصار بأنّهما من قومه قريش ـ: «احتجّوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة»[1].

ولعمر الله، لقد صدق ـ صلوات الله عليه ـ في تضعيف التّيه لهم أضعافاً على بني إسرائيل، لتركهم مثل أمير المؤمنين عليه السلام وأهل بيته المعصومين، واتّباعهم لمثل الرّجلين، مع منعهما النّبيّ صلى الله عليه وآله عن الوصيّة، وتخلّفهما عن الشّخوص في جيش أُسامة مع تأكيده ساعة بعد ساعة في تجهيزه حتّى لعن المتخلّف[2]، وتركهما لجنازة نبيّهم صلى الله عليه وآله، وإرادتهما إحراق أهل بيته[3]، وتوطئتهما مع باقي قريش في جعل الأمر بينهم، بإقرارهم بذلك في قصّة عمر مع ابن عبّاس[4]، وفي نهرهم لمقداد وعمّار يوم الشّورى[5]. فاحتاجوا لذلك إلى إنكار الضروريات والتشكيك في المتواترات وجحد البديهيات، وإلّا فكونه عليه السلام أدنى إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله من الأوّل والثاني أمر بديهي. فلم يقول هذا الرّجل: المراد به الأموي؟ وقد قال عليه السلام يوم السقيفة ـ كما اعترف به ابن قتيبة ـ: الله الله يا معشر المهاجرين لا تخرجوا سلطان محمّد في العرب عن داره وقعر بيته إلى دوركم وقعور بيوتكم، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في النّاس وحقّه، فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أحقّ النّاس به، لأنّا أهل البيت، ونحن أحق بهذا الأمر منكم ما كان فينا القارئ لكتاب الله، الفقيه في دين الله، العالم بسنن رسول الله صلى الله عليه وآله المضطلع بأمر الرّعية، المدافع عنهم الأُمور

---

(١) رواه الشريف الرضي ضمن خطبة في نهج البلاغة ١: ١١٦ الخطبة ٦٥.

(٢) لعن النبيّ صلى الله عليه وآله المتخلف عن جيشه، رواه الجوهري في السقيفة: ٧٥ مسنداً، وغيره مجرداً.

(٣) حديث احراق بيت فاطمة عليها السلام مرّ تخريجه في شرح (الطلقاء) في العنوان ١١ من هذا الفصل.

(٤) تاريخ الطبري ٣: ٢٨٩ سنة ٢٣.

(٥) السقيفة للجوهري: ٨٤، ٨٥، وغيره.

السيّئة، القاسم بينهم بالسّوية، والله إنّه لفينا، فلا تتّبعوا الهوى فتضلّوا عن سبيل الله فتزدادوا من الحقّ بعداً[1].

وصاروا بذلك مستحقّين لمثل وقعة الحرّة التي أباح صاحبها نساء المدينة لجيشه، وأخذ منهم البيعة على أنّهم عبدقن ليزيد، وصاروا بذلك شركاء أربابهم في كلّ ظلم ورد على أهل بيت نبيّهم من ذاك اليوم إلى الأبد، حتّى في قتل أمير المؤمنين عليه السلام والحسين عليه السلام وباقي أهل البيت، حتّى في ما لم يتصدّوا، وحتّى من كان منهم اليوم مثل بني إسرائيل في زمان النّبيّ صلى الله عليه وآله وأسلافهم، ومثل قوم صالح في شركتهم مع عاقر الناقة في الوزر مع عدم التصدي.

«واعلموا أنّكم إن اتبعتم الدّاعي لكم» يعني به نفسه عليه السلام.

«سلك بكم منهاج الرّسول» وقد اعترف به فاروقهم فقال له عليه السلام يوم الشورى ـ كما قال ابن قتيبة وغيره ـ: إنّك أحرى القوم إن وليتها أن تقيم على الحقّ المبين والصراط المستقيم[2]. وإن كان لمّا سمع ابنه عبد الله ذلك منه، قال له: فلِمَ لا تستخلفه؟ قال: أكره أن أتحملها حيّاً وميّتاً لكن ما أصلب وجهه، كما أنّه ما أقلّ شعوراً اتباعه! فكيف دبّر الأمر لعثمان؟

«وكفيتم مؤونة الاعتساف» قال الجوهري: العسف: الأخذ على غير الطريق، وكذلك التعسف والاعتساف[3].

والمراد: خبط أئمّتهم في أحكام الشرع.

«ونبذتم الثّقل الفادح» أي: طرحتم الحمل الثقيل الذي لا تطيقونه.

«عن الأعناق» وروي: أنّه عليه السلام قال في بعض خطبه: «أيّتها الأمّة المتحيّرة

(١ و ٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ١٢، ٢٥.

(٣) صحاح اللغة للجوهري ٤: ١٤٠٣ مادة (عسف).

بعد نبيّها، أما إنّكم لو قدّمتم من قدّم الله وأخّرتم من أخّر الله، وجعلتم الولاية والوراثة حيث جعلها الله، ما عال ولي الله، ولا طاش سهم من فرائض الله، ولا اختلف اثنان في حكم الله، ولا تنازعت الأمّة في شيء من أمر الله، إلّا علم ذلك عندنا من كتاب الله فذوقوا وبال ما قدّمت أيديكم وما الله بظلّام للعبيد ﴿...وسيعلَم الّذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون﴾[1].

وإن شئت الاطّلاع على اختلافهم في الأصول والفروع، وتناقضاتهم وخبطاتهم، وأقوالهم على خلاف مقتضى العقول، فارجع إلى (ملل الشهرستاني). ولو كانواعليهم‌السلام متصدّين للأمر لم يستطع أحد يقول برأيه في قبالهم، كما لم يستطع أحد أن يقول شيئاً في مقابل الرّسول صلى‌الله‌عليه‌وآله، واختلاف الشيعة في مسائل فقههم أيضاً نتيجة تقدّم أولئك، فكانوا كثيراً ما يفتون بالتّقية، وإلّا فكلام آخرهم كلام أوّلهم، وكلام أوّلهم كلام النّبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله، وكلام النّبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله كلام الله تعالى.

٢٥
الخطبة (١٠٣)

أَلَا وإِنَّ أَبْصَرَ ٱلْأَبْصَارِ مَا نَفَذَ فِي ٱلْخَيْرِ طَرْفُهُ. أَلَا إِنَّ أَسْمَعَ ٱلْأَسْمَاعِ مَا وَعَى التَّذْكِيرَ وَقَبِلَهُ. أَيُّهَا النَّاسُ ٱسْتَصْبِحُوا مِنْ شُعْلَةِ مِصْبَاحٍ وَاعِظٍ مُتَّعِظٍ، وَٱمْتَاحُوا مِنْ صَفْوِ عَيْنٍ قَدْ رُوِّقَتْ مِنَ ٱلْكَدَرِ. عِبَادَ ٱللّهِ لَا تَرْكَنُوا إِلَى جَهَالَتِكُمْ، وَلَا تَنْقَادُوا إِلَى أَهْوَائِكُمْ. فَإِنَّ النَّازِلَ بِهَذَا المَنْزِلِ نَازِلٌ بِشَفَا جُرُفٍ هَارٍ يَنْقُلُ الرَّدَى عَلَى ظَهْرِهِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ لرأيٍ يُحْدِثُه بَعْدَ رأيٍ، يُرِيدُ أَنْ يُلْصِقَ مَا لَا يَلْتَصِقُ، وَيُقَرِّبَ مَا لَا يَتَقَارَبُ. فَاللّهَ ٱللّهَ أَنْ تَشْكُوا إِلَى مَنْ لَا يُشْكِي شَجْوَكُمْ وَلَا يَنْقُضُ

(١) الكافي للكليني ٧: ٧٨ ح١، ٢ بطريقين، والآية ٢٢٧ من سورة الشعراء.

بِرَأْيِهِ مَا قَدْ أُبرِمَ لَكُمْ. إِنَّه لَيْسَ عَلَى ٱلْامَامِ إِلَّا مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ: ٱلْابْلاَغُ فِي المَوْعِظَةِ، وَالاجْتِهَادُ فِي النَّصِيحَةِ، وَٱلْاحْيَاءُ لِلسُّنَّةِ، وَإِقَامَةُ ٱلْحُدُودِ عَلَى مُسْتَحِقِّيهَا، وَإِصْدَارُ السُّهْمَانِ عَلَى أَهْلِهَا. فَبَادِرُوا ٱلْعِلْمَ مِنْ قَبْلِ تَصْوِيحِ نَبْتِهِ، وَمِنْ قَبْلِ أَنْ تُشْغَلُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ مُسْتَثَارِ ٱلْعِلْمِ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ، وَٱنْهَوْا غَيْرَكُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَتَنَاهَوْا عَنْهُ، فَإِنَّمَا أُمِرْتُمْ بِالنَّهْيِ بَعْدَ التَّنَاهِي.

«ألا وإنّ أبصر الأبصار ما نفذ» أي: دخل.

«في الخير طرفه» أي: عينه؛ قال تعالى: ﴿لا يرتد إليهم طرفهم...﴾[1].

«ألا إنّ أسمع الأسماع ما وعى» بفتح العين، أي: حفظ.

«التّذكير» الذي سمعه من المذكّر.

«وقبله» وبصر وسمع ليسا كذلك، ليسا بسمع وبصر بل عين وأُذن بلا ثمر؛ قال تعالى: ﴿... ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها...﴾[2] ولذا وصفهم تعالى بالصّم والعمى.

«أيّها النّاس استصبحوا من شعلة مصباح واعظ متّعظ» يعني عليه السلام نفسه، كان يعظ النّاس بما يعمل به، لا ككثير وعظهم مجرد قول؛ وروي عن السّجاد عليه السلام قال: مثلنا في كتاب الله كمثل مشكاة، فنحن المشكاة والمشكاة الكوة فيها مصباح[3].

وروي مثله عن الرّضا عليه السلام في ما كتب إلى عبد الله بن جندب وزاد:

(١) إبراهيم: ٤٣.

(٢) الأعراف: ١٧٩.

(٣) كنز الفوائد لشرف الدين عنه البحار ٢٣: ٣١١ ح١٦ عن السّجاد عليه السلام، وتفسير القمي ٢: ١٠٤ ضمن الكتاب المذكور عن الرضا عليه السلام، وتفسير الفرات: ١٠٤، وكنز جامع الفوائد لشرف الدين عنه البحار ٢٣: ٣٢٤ ح٤٠ ضمن كتاب الرضا عليه السلام إلى عبد الله بن جندب عن السجاد عليه السلام.

فالنّور عليّ عليه السلام يهدي الله لولايتنا من أحبّ، وحقّ على الله أن يبعث وليّنا مشرقاً وجهه(١).

«وامتاحوا» في (الصحاح): الماتح: المستقي وكذلك المتوح تقول: متح الماء يمتحه متحاً إذا نزحه، والماتح الّذي ينزل البئر فيملأ الدّلو(٢).

وفي (الأساس): ماح الماء يميحه وامتاحه(٣).

ولا يصح هنا إلّا الثاني لأنّه ليس في العين نزح، وامتاحوا أيضاً من الميح، فقول ابن ميثم: الماتح: الجاذب للدّلو من البئر(٤) في غير محلّه.

روي أنّه سئل الرضا عليه السلام عن قوله عزّوجلّ: ﴿قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين﴾(٥)، فقال: ماؤكم أبوابكم، أي: الأئمة عليهم السلام. والأئمّة أبواب الله بينه وبين خلقه ﴿...يأتيكم بماء معين﴾(٦) يعني بعلم الامام(٧).

وعن الصادق عليه السلام في قوله عزّوجلّ: ﴿وألّو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً﴾(٨): لأفدناهم علماً كثيراً يتعلّمونه من الأئمّة(٩).

---

(١) كنز الفوائد لشرف الدين عنه البحار ٢٣: ٣١١ ح١٦ عن السّجاد عليه السلام، وتفسير القمي ٢: ١٠٤ ضمن الكتاب المذكور عن الرضا عليه السلام، وتفسير الفرات: ١٠٤، وكنز جامع الفوائد لشرف الدين عنه البحار ٢٣: ٢٢٤ ح٤٠ ضمن كتاب الرضا عليه السلام إلى عبد الله بن جندب عن السجاد عليه السلام.

(٢) صحاح اللغة للجوهري ١: ٤٠٣ مادة (متح)، و ١: ٤٠٨ مادة (ميح).

(٣) اساس البلاغة: ٤٤٠ مادة (ميح).

(٤) شرح ابن ميثم ٣: ٢٤.

(٥ و ٦) الملك: ٣٠.

(٧) تفسير القمي ٢: ٣٧٩.

(٨) الجن: ١٦.

(٩) رواه الطبرسي في مجمع البيان ١٠: ٣٧٢، وشرف الدين بطريقين في كنز جامع الفوائد عنه البحار ٢٤: ٢٨، ٢٩ ح٦.

وقال الصدوق: قال محمّد بن الحسن بن أبي خالد الأشعري الملقّب بشنبولة:

بئر معطّلة وقصر مشرف مثل لآل محمّد مستطرف
فالنّاطق القصر المشيّد منهم والصامت البئر التي لا تنزف[1]

«من صفو عين» أي: عين صافية.

«قد روّقت» أي: صفّيت.

«من الكدر» قال الشاعر:

لو كنت ماء كنت غير كدر[2]

«عباد الله لا تركنوا» أي: لا تعتمدوا ولا تسكنوا.

«إلى جهالتكم» قال الباقر عليه السلام لأبي حمزة الثمالي: يخرج أحدكم فراسخ فيطلب لنفسه دليلاً، وأنت بطرق السماء أجهل منك بطرق الأرض، فاطلب لنفسك دليلاً[3].

«ولا تنقادوا» أي: لا تكونوا متّبعين.

«إلى أهوائكم» هكذا في (المصرية)، والصواب: (لأهوائكم) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية)[4]؛ قال الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿...أفكلّما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذّبتم وفريقاً تقتلون﴾[5]: جاءكم محمّد صلى الله عليه وآله بما لا تهوى أنفسكم بموالاة عليّ عليه السلام

٧.

(١) معاني الأخبار للصدوق: ١١٢، وغيره.

(٢) لسان العرب ٥: ١٣٤ مادة (كدر).

(٣) الكافي للكليني ١: ١٨٤ ح ١٠.

(٤) لفظ شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢١٧، وشرح ابن ميثم ٣: ٢٣ مثل المصرية أيضاً.

(٥) البقرة: ٨٧.

فاستكبرتم، ففريقاً من آل محمّد كذّبتم وفريقاً تقتلون[١].

«فإنّ النّازل بهذا المنزل» أي: الرّكون إلى جهالته والمنقاد لهواه.

«نازل بشَفا» بفتح الشين؛ قال تعالى: ﴿...وكنتم على شفا حفرة من النّار...﴾[٢] أي: طرفها وحرفها.

«جرف» في (الصحاح): الجرف والجرف، مثل عسر وعسر: ما تجرفته السّيول، وأكلته من الأرض. ومنه قوله تعالى: ﴿...على شفا جرف هار...﴾[٣].

«هار» في (الصحاح): هار الجرف يهور هوراً وهووراً فهو هائر، ويقال أيضاً: جرف هار. خفضوه في موضع الرّفع، وأرادوا هائراً وهو مقلوب من الثّلاثي إلى الرّباعي، كما قلبوا شائك السّلاح إلى شاكي السّلاح[٤].

قال الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ذلك بأنّهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم﴾[٥]: كرهوا ما أنزل الله تعالى في عليّ عليه السلام فأحبط أعمالهم[٦].

ولمّا قال عمر لابن عباس ـ كما في (الطبري) وغيره ـ: إنّ قريشاً كرهت أن يجمعوا لكم النّبوّة والخلافة، قال ابن عبّاس له: ﴿ذلك بأنّهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم﴾[٧].

«ينقل الرّدى» أي: أسباب هلكته من (ردي) بالكسر، أي: هلك.

«على ظهره من موضع إلى موضع» فيكون قتل نفسه بيده؛ وفي (الأمثال):

---

(١) الكافي للكليني ١: ٤١٨ ح٣١، والعياشي في تفسيره ١: ٤٩ ح٩٨.

(٢) آل عمران: ١٠٣.

(٣) صحاح اللغة ٤: ١٣٣٦ مادة (جرف)، والآية ١٠٩ من سورة التوبة.

(٤) صحاح اللغة ٢: ٨٥٦ مادة (هور).

(٥) محمّد: ٩.

(٦) تفسير القمي ٢: ٣٠٢، وتفسير محمد بن العباس عنه البرهان ٤: ١٨٢ ح ٢.

(٧) تاريخ الطبري ٣: ٢٨٩ سنة ٢٣، والآية ٩ من سورة محمّد.

كالباحث عن حتفه بظلفه[١]. وكالباحث عن الشّفرة[٢].

«لرأي يحدثه بعد رأي، يريد أن يلصق ما لا يلتصق ويقرّب ما لا يتقارب» كآراء عمر في ميراث الجدّ، فنقلوا عنه مائة رأي فيه، وكآراء أبي حنيفة، فيفتي اليوم بأُمور عظام، كقتل من فعل كذا، وحلّية فرج امرأة كانت كذا، ويفتي غداً بخلافها مع أنّ دين الله تعالى لا يصاب بالعقول، ومن قاس كان أبعد عن دينه من الأرض إلى السماء، فالقتل مع كونه أشدّ من الزّنا يثبت بشاهدين، والزّنا لا يثبت إلّا بأربعة، والحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة مع كون الصلاة أعظم وجوباً من الصوم؛ وأوّل من قاس إبليس قال تعالى له: ﴿...ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي...﴾[٣] قال: ﴿أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾[٤].

وغرضه عليه السلام وجوب الرجوع بعد النّبيّ صلى الله عليه وآله إلى أهل بيته الّذين يقولون ما يقولون عنه صلى الله عليه وآله لا عن رأي.

«فالله الله أن تشكوا» من شكا يشكو.

«إلى من لا يشكي» من أشكى يشكي، أي: لا يزيل.

«شجوكم» أي: همّكم وحزنكم.

«ولا ينقض برأيه ما قد أبرم» أي: احكم.

«لكم» قال ابن أبي الحديد: ويروى بدل «ولا ينقض...»: «ومن ينقض برأيه ما قد أبرم لكم»[٥].

---

(١) لسان العرب لابن منظور ٢: ١١٤ مادة (بحث)، ولفظه: «كباحثة عن حتفها بظلفها».

(٢) مجمع الأمثال للميداني ٢: ١٥٧.

(٣) ص: ٧٥.

(٤) ص: ٧٦.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢١٧.

قلت: لم ينقل ابن ميثم[١] غيره، ونسخته بخطّ المصنّف فهو المتعيّن، مع أنّه لا معنى للأوّل إلّا بتكلّف، وأمّا الثاني فلا غبار عليه.

وقد نقض فاروقهم ما أبرمه الله تعالى لعباده برأيه من متعة الحجّ، ومتعة النساء، فقال: متعتان كانتا على عهد رسول الله أنهي عنهما، وأعاقب عليهما[٢].

وقد نقض برأيه ما أبرمه الله تعالى بقوله: ﴿...وأُولو الأرحام بعضهم أولى ببعض...﴾[٣] من تقديم بعض الطبقات على بعض، كالوالدين والأولاد على الجدّين والإخوة والأخوات، وهم على الأعمام والأخوال، فرأى لهم التّعصيب[٤].

وقد نقض برأيه ما أبرمه الله تعالى لعباده من تقديم ذي الفرضين، كالزّوجين والوالدين على ذي فرض واحد، كالبنات والأخوات بورود النّقص على الأخير، فرأى لهم العول بجعل النّقص على الفريقين[٥]، إلى غير ذلك ممّا فصّل في محلّه.

«إنّه ليس على الإمام إلّا ما حمّل من أمر ربّه» ﴿وما على الرسول إلّا البلاغ﴾[٦].

«الإبلاغ في الموعظة» هكذا في (المصرية)، والصواب: (الإبلاغ في الموعظة) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية)[٧].

---

(١) شرح ابن ميثم ٣: ٢٤.

(٢) رواه الطحاوي وأبو صالح في نسخته عنهما منتخب كنز العمال ٦: ٦٠٤، وغيرهما.

(٣) الأنفال: ٧٥.

(٤ و ٥) روى بعض أقضية عمر في الفرائض بالتعصيب والعول المتقي في منتخب كنز العمال ٤: ٢٠٥ الفصل الأول.

(٦) العنكبوت: ١٨.

(٧) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢١٨، لكن لفظ شرح ابن ميثم ٣: ٢٤ «إلّا البلاغ».

كان عليه السلام يعظ النّاس عموماً وخصوصاً، ليلاً ونهاراً، كتباً وشفاهاً، قريبه وبعيده، وليّه وعدوّه، كما كانت الأنبياء عليهم السلام كذلك، قال تعالى حكاية عن نوح: ﴿قال رب إنّي دعوت قومي ليلاً ونهاراً﴾(١).

وقد كان عليه السلام كلّ ليلة بعد صلاة العشاء يقبل بوجهه على النّاس ويقول لهم: تجهّزوا رحمكم الله فقد نودي فيكم بالرّحيل، وإنّ أمامكم عقبة كؤوداً، ومنازل مخوفة مهولة لابدّ من الورود عليها، والوقوف عندها، واعلموا أنّ ملاحظ المنية نحوكم دانية، وكأنّكم بمخالبها، وقد نشبت فيكم، وقد دهمتكم منها مظلعات الأُمور، ومفظعات المحذور، فقطّعوا علائق الدّنيا، واستظهروا بزاد التّقوى(٢).

وكان عليه السلام كلّ نهار يضع الدّرة على منكبه، ويمشي إلى السوق، ويقف على أهله صنفاً صنفاً، وينادي: معاشر النّاس قدّموا الاستخارة، وتبرّكوا بالسّهولة، واقتربوا من المبتاعين، وتزيّنوا بالحلم، وتناهوا عن اليمين، وجانبوا الكذب، وتجافوا عن الظّلم، وأنصفوا المظلومين، ولا تقربوا الرّبا، وأوفوا الكيل والميزان ﴿ولا تبخسوا النّاس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾(٣). ثمّ ينشدهم:

تفنى اللذاذة ممّن نال صفوتها ... من الحرام ويبقى الإثم والعار
تبقى عواقب سوء في مغبتها ... لا خير في لذّة من بعدها النّار(٤)

ويقرأ لأُولي الرياسة: ﴿تلك الدّار الآخرة نجعلها للّذين لا يريدون علوّاً

---

(١) نوح: ٥.
(٢) الامالي الصدوق: ٤٠٢ ح٧ المجلس ٧٥، بفرق يسير.
(٣) هود: ٨٥.
(٤) الامالي الصدوق: ٤٠٢ ح٦ المجلس ٧٥، بفرق يسير.

في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتّقين﴾[١]. ويكفيك هذا الكتاب في إبلاغه عليه السلام في الموعظة.

«والاجتهاد» أي: السعي.

«في النّصيحة» لأنّ الامام كالنّبيّ وجوده لطف من الله على عباده، فالواجب عليه السّعي والاجتهاد في نجاة العباد من النّار، وفي تخفيف عذابهم؛ ولذا لمّا سمع الحسين عليه السلام في قصر بني مقاتل بكون عبيد الله بن الحرّ الجعفي هناك بعث إليه يدعوه فأبى أن يأتيه، فذهب بنفسه إليه وحثّه على نصرته، فأبى، فقال له: فإن لا تنصرنا فاتّق الله أن تكون ممّن يقاتلنا، فوالله لا يسمع واعيتنا أحد ثمّ لا ينصرنا إلّا هلك[٢].

«والإحياء للسّنة» أي: سنّة النّبيّ صلى الله عليه وآله لا غيره؛ فلمّا شرط عبد الرحمن بن عوف عليه عليه السلام يوم الشورى سنّة الشيخين إن أراد أن يبايعه قال عليه السلام: لا سنّة إلّا سنّة النّبيّ صلى الله عليه وآله. فنزل عليه السلام عن حقّه[٣] ليفهم النّاس بطلان مسلكهم، وكونهم مبتدعين على خلاف كتاب الله وسنّة رسوله.

ولمّا جعل المأمون عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام وليّ عهده، وحضر العيد سأله أن يركب ويحضر ويخطب، لتطمئنّ قلوب النّاس، ويعرفوا فضله، فقال له: قد علمت ما كان بيني وبينك من الشروط في دخول هذا الأمر، فإن أعفيتني فهو أحبّ إليّ، وإلّا خرجت كما كان النّبيّ صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام يخرج. فقال: اخرج كما تحبّ. وأمر المأمون القوّاد والنّاس أن يبكّروا إلى بابه، فقعد النّاس له في الطرقات والسطوح، من الرجال والنساء والصبيان، واجتمع

---

(١) مجمع البيان للطبرسي ٧: ٢٦٨، والآية ٨٣ من سورة القصص.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٠٧ سنة ٦١.

(٣) أخرج هذا المعنى البلاذري في أنساب الأشراف ٥: ٢٢، والجوهري في السقيفة: ٨٥، و الطبري في تاريخه ٣: ٣٠١ سنة ٢٣، وغيرهم.

القوّاد على بابه، فلمّا طلعت الشّمس قام فاغتسل وتعمّم بعمامة بيضاء من قطن، وألقى طرفاً منها على صدره وطرفاً بين كتفيه، وتشمّر ثمّ قال لجميع مواليه: افعلوا مثل ما فعلت. فأخذ بيده عكازة وهم بين يديه، وهو حاف قد شمّر سراويله إلى نصف السّاق، وعليه ثياب مشمّرة، فلمّا قام ومشينا بين يديه، رفع رأسه إلى السّماء وكبّر أربع تكبيرات، فخيّل إليهم أنّ الهواء والحيطان تجاوبه، والقوّاد والنّاس على الباب وقد تزيّنوا ولبسوا السّلاح، فلمّا طلعوا عليهم، وطلع عليه السلام وقف على الباب، وقال: الله أكبر الله أكبر الله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام، والحمد لله على ما أبلانا. ورفع بذلك صوته، ورفعوا أصواتهم، فتزعزت مرو من البكاء والصّياح، فقالها ثلاث مرّات، فسقط القوّاد عن الدّواب ورموا بخفافهم لمّا نظروا إليه، ولم يتمالك النّاس من البكاء والصيحة، وكان عليه السلام يمشي ويقف في كلّ عشر خطوات، فكبّر الله أربع مرّات يتخيّل إليهم أنّ السماء والأرض والحيطان تجاوبه، فبلغ المأمون ذلك، فقال له الفضل بن سهل: إن بلغ الرضا المصلّى على هذا افتتن به النّاس، فالرأي أن تسأله أن يرجع. فبعث إليه بالرّجوع، فدعا بخفه، فلبسه ورجع[1].

«وإقامة الحدود على مستحقيها» قال النّبيّ صلى الله عليه وآله كما روى (الكافي): ساعة من إمام عدل أفضل من عبادة سبعين سنة، وحدّ يقام لله في الأرض أفضل من مطر أربعين صباحاً[2].

روي عن الصادق عليه السلام: كان عليّ عليه السلام إذا أُتي بغلام وجارية لم يدركا لا يبطل حدّاً من حدود الله، كان يأخذ السّوط بيده ومن وسطه أو من ثلثه، ثمّ

---

(١) الكافي للكليني ١: ٤٨٨ ح٧، وعيون الأخبار للصدوق ٢: ١٤٧ ح٢١، والإرشاد للمفيد: ٣١٢.

(٢) الكافي للكليني ٧: ١٧٥ ح٨.

يضرب به على قدر أسنانهم[١].

وفي (مروج المسعودي): لمّا شاع بالكوفة أمر الوليد بن عقبة في شربه هجم عليه جماعة، منهم أبو زينب بن عوف الأزدي، وجندب بن زهير الأزدي، وغيرهما فوجدوه سكران مضطجعاً على سريره لا يعقل، فأيقظوه من رقدته فلم يستيقظ، ثمّ تقايأ عليهم ما شرب من الخمر، فانتزعوا خاتمه من يده، وخرجوا من فورهم إلى المدينة، فأتوا عثمان فشهدوا عنده: أنّه شرب الخمر. فقال: وما يدريكما أنّه شرب خمر؟ قالا: هي الخمر التي كنّا نشربها في الجاهلية. وأخرجا خاتمه فدفعاه إليه، فدفع في نحورهما وقال: تنحّيا عنّي. فخرجا وأتيا عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأخبراه بالقصّة، فأتى عثمان وهو يقول: دفعت الشّهود، وأبطلت الحدود. فقال له عثمان: فما ترى؟ قال: أرى أن تبعث إلى صاحبك، فإن أقاما الشهادة عليه في وجهه، ولم يدل بحجّة أقمت عليه الحدّ. فلمّا حضر الوليد دعاهما عثمان، فأقاما الشهادة عليه ولم يدل بحجّة، فألقى عثمان السوط إلى عليّ عليه السلام، فقال عليّ عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام: قم يا بني فأقم عليه ما أوجب الله عليه. فقال: يكفيه بعض من ترى. فلمّا نظر إلى امتناع الجماعة عن إقامة الحدّ عليه توقّياً لغضب عثمان لقرابته منه، أخذ عليّ عليه السلام السوط ودنا منه، فلمّا أقبل نحوه سبّه الوليد، وقال: يا صاحب مكس. فقال عقيل بن أبي طالب ـ وكان ممّن حضر ـ: إنّك لتتكلّم يابن أبي معيط كأنّك لا تدري من أنت؟ إنّما أنت علج من أهل صفورية ـ كان ذكر أنّ أباه كان يهودياً منها ـ فأقبل الوليد يروغ من عليّ عليه السلام فاجتذبه فضرب به الأرض، وعلاه بالسّوط. فقال عثمان: ليس لك أن تفعل به هذا. قال: بلى وشرّاً من هذا، إذا فسق

---

(١) الكافي للكليني ٧: ١٧٦ ح١٣، والمحاسن للبرقي: ٢٧٣ ح٣٧٧، والفقيه للصدوق ٤: ٥٣ ح١٤، والتهذيب للطوسي ١٠: ١٤٦ ح١٠، ضمن حديث.

ومنع من حقّ الله تعالى أن يؤخذ منه[1].

وفاروقهم عطّل الحدّ على المغيرة، فمنع زياداً عن إقامة الحدّ عليه، لاحتياجه إليه في دهائه، وكان مقرّاً بذلك، فكان إذا رأى المغيرة قال ـكما في (أغاني أبي الفرج)ـ: والله ما أظنّ أبا بكرة كذب عليك، وما رأيتك إلّا خفت أن أُرمى بالحجارة[2] من السماء. وكان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: لئن ظفرت بالمغيرة لاتبعته حجارة[3]. وقال الحسن عليه السلام لمعاوية: والله سائل عمر عن تعطيله الحدّ على المغيرة[4].

«وإصدار السّهمان» في (الصحاح): السّهم: النّصيب، والجمع السّهمان[5].

«على أهلها» ولمّا قيل له عليه السلام: لو فضّلت الأشراف كان أجدر أن يناصحوك، غضب وقال: أتأمروني أن أطلب النّصر بالجور في من ولّيت عليه[6]؟

وروى المدائني: أنّ ابن عبّاس كتب إلى الحسن عليه السلام بعد أبيه: واعلم أنّ عليّاً أباك إنّما رغب النّاس عنه إلى معاوية أنّه آسى بينهم في الفيء، وسوّى بينهم في العطاء فثقل عليهم[7].

ولمّا سأله عقيل أخوه صاعاً زائداً على سهمه من بيت المال، أحمى له حديدة وأدناها منه، فضجّ فقال عليه السلام له: ثكلتك الثواكل أتئنّ

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٢: ٣٣٥.

(٢) الأغاني لأبي الفرج ١٦: ٩٩.

(٣) الكافي للكليني ٧: ١٨٢ ح٨، والتهذيب للطوسي ١٠: ٤٢ ح١٥٢، والاستبصار ٤: ٢١٥ ح١٢، وغيرهم.

(٤) المفاخرات للزبير بن بكار عنه شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٠٤، شرح الخطبة ٨٢ ضمن حديث طويل، والنقل بالمعنى.

(٥) صحاح اللغة ٥: ١٩٥٦ مادة (سهم).

(٦) رواه الشريف الرضي ضمن خطبة في نهج البلاغة ٢: ٦ الخطبة ١٢٤.

(٧) نقله عن المدائني ابن أبي الحديد في شرحه ٤: ٩، شرح الحكمة ٢٠٥ ضمن كتاب.

من أذى ولا أئن من لظى[١]؟

«**فبادروا العلم من قبل تصويح**» أي: ييبس.

«**نبته**» وفي (الأساس): صوّحت الرّيحُ والحرّ البقل: يبسته حتى تشقّق، وصوّح بنفسه وتصوّح[٢].

وكلامه عليه السلام هذا في معنى قوله عليه السلام: سلوني قبل أن تفقدوني[٣].

«**ومن قبل أن تشغلوا بأنفسكم عن مستثار العلم**» هكذا في (المصرية)، والصواب: ما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية)[٤]: «مستثار العلم».

وفي (الصحاح): ثوّر البرك واستثارها، أي: أزعجها، وأنهضها[٥].

وفي (الأساس): واستثرته: هيّجته، قال:

أثار اللّيث في عرّيس غيل ... له الويلات ممّا يستثير[٦]

«**من عند أهله**» قالت الشّراح: أي: من قبل أن تشغلوا بالفتن عنه من عندهم[٧].

قلت: ويمكن أن يراد به الشغل بحضور الموت عنه كذلك، نظير قوله تعالى: ﴿وأنفقوا ممّا رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول ربِّ لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصّدّق وأكن من الصّالحين﴾[٨]، وقوله تعالى:

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب ٢: ١٠٩، وغيره.

(٢) أساس البلاغة: ٢٦١ مادة (صوح).

(٣) رواه الشريف الرضي ضمن خطبة في نهج البلاغة ٢: ١٣٠ الخطبة ١٨٧.

(٤) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢١٨، لكن في شرح ابن ميثم ٣: ٢٤ «مستنار» أيضاً.

(٥) صحاح اللغة ٢: ٦٠٦ مادة (ثور).

(٦) أساس البلاغة: ٤٩ مادة (ثور).

(٧) هذا معنى قول ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٢١٨، وابن ميثم في شرحه ٣: ٢٩.

(٨) المنافقون: ١٠.

﴿أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرّطت في جنب الله...﴾[(١)].

«وانهوا عن المنكر، وتناهوا عنه فإنّما أمرتم بالنّهي بعد التناهي» ﴿كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾[(٢)]، ﴿...ما أُريد أن أُخالفكم إلى ما أنهاكم عنه...﴾[(٣)].

٢٦
من الخطبة (١٦٧)

وَإِنَّمَا طَلَبُوا هَذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَداً لِمَنْ أَفَاءَهَا ٱللَّهُ عَلَيْهِ، فأرادُوا رَدَّ ٱلْأُمُورِ عَلَى أَدْبَارِهَا، وَلَكُمْ عَلَيْنَا ٱلْعَمَلُ بِكِتَابِ ٱللَّهِ تَعَالَى وَسيرة رَسُول ٱللَّه صلى الله عليه وآله، وَٱلْقِيَامُ بِحَقِّهِ وَالنَّعْشُ لِسُنَّتِهِ.

«وإنّما طلبوا» أي: أصحاب الجمل.

«هذه الدّنيا حسداً» أي: لحسدهم.

«لمن أفاءها الله» أي: أرجعها، أي: الخلافة.

«عليه» بعد الثلاثة كما جعلها له النّبيّ صلى الله عليه وآله من الله تعالى.

«فأرادوا ردّ الأمور على أدبارها» وغصبها أخيراً أيضاً كالابتداء؛ وقال ابن أبي الحديد: هذا الكلام لا يشعر بأنّه عليه السلام كان يعتقد أنّ الأمر له، وأنّه غلب عليه ثمّ رجع إليه، ولكنّه محمول على أنّه من رسول الله صلى الله عليه وآله بمنزلة الجزء من الكلّ، وأنّهما من جوهر واحد، فلمّا كان الوالي قديماً هو رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ تخلّل بين ولايته، وولاية أمير المؤمنين عليه السلام ولايات غريبة سمّي ولايته فيئاً ورجوعاً، لأنّها رجعت إلى الدوحة الهاشمية، وبهذا يجب أن يتأوّل قوله عليه السلام: «فأرادوا

(١) الزمر: ٥٦.

(٢) المائدة: ٧٩.

(٣) هود: ٨٨.

ردّ الأُمور على أدبارها» أي: أرادوا انتزاع الخلافة من بني هاشم كما انتزعت أوّلاً، وإقرارها في بيوت بعيدة عن هذا البيت، أُسوة بما وقع من قبل[١].

قلت: لازم كونه عليه السلام مع النّبيّ صلى الله عليه وآله من جوهر واحد، وكونه بمنزلة الجزء منه، هو اعتقاده كون الأمر له أوّلاً، وأنّه غلب عليه بل وفوق ذلك، وأنّ المنازع له، والمنتزع منه سلطانه كالمنازع للنّبيّ صلى الله عليه وآله وكالمنتزع من النّبيّ صلى الله عليه وآله سلطانه. ولعمر الله لو فرض نشر النّبيّ صلى الله عليه وآله ورجوعه إلى الدّنيا لدفعوه عن مقامه كما دفعوا أمير المؤمنين عليه السلام. ولقد أفصح عن ذلك من خلفائهم ـ من كان أعرف، وأعلم من الثلاثة بمراتب، وأقرب منهم إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله بدرجات لكونه من هاشم ـ المنصور العبّاسي. فلمّا خرج عليه محمّد الحسني بالمدينة قال: لو خرج عليّ صاحب قبرها كنت مضطراً إلى قتاله وقتله، فالملك عقيم.

ثمّ ما يفعل بكلماته الصريحة، والمحفوفة بالشواهد، والقرائن في باقي المواطن؟ فمن كلامه عليه السلام يوم السقيفة كما في (خلفاء ابن قتيبة): الله الله يا معشر المهاجرين لا تخرجوا سلطان محمّد في العرب عن داره وقعر بيته إلى دوركم وقعور بيوتكم، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في النّاس وحقّه، فوالله ـ يا معشر المهاجرين ـ لنحن أحقّ الناس به صلى الله عليه وآله لأنّا أهل البيت، ونحن أحقّ بهذا الأمر منكم ما كان فينا القارئ لكتاب الله، الفقيه في دين الله، العالم بسنن رسول الله، المضطلع بأمر الرّعيّة، المدافع عنهم الأُمور السيئة، القاسم بينهم بالسويّة، والله إنّه لفينا، فلا تتبعوا الهوى فتضلّوا عن سبيل الله فتزدادوا من الحقّ بعداً[٢].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٧٣.

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ١٢.

ولكون كلامه عليه السلام بهذه المثابة من الصراحة قال له -عليه السلام- بشير بن سعد أبو نعمان بن بشير الأنصاري -مع كونه أوّل من بايع أبا بكر حتّى قبل عمر، حسداً له لابن عمّه سعد بن عبادة أن ينال الأمر-: ولو كان هذا الكلام سمعته منك الأنصار قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلفت عليك.

ومن كلامه عليه السلام بعد بيعة النّاس له ما رواه المدائني عن عبد الله بن جنادة، قال: قدمت من الحجاز أُريد العراق في أوّل إمارة عليّ عليه السلام فمررت بمكّة، فاعتمرت ثم قدمت المدينة، فدخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله إذ نودي للصلاة جامعة، فاجتمع النّاس، وخرج عليّ متقلّداً سيفه، فشخصت الأبصار نحوه فحمد الله، وصلّى على رسوله ثم قال: أمّا بعد، فإنّه لمّا قبض الله نبيّه صلى الله عليه وآله قلنا: نحن أهله وورثته وعترته وأولياؤه دون النّاس، لا ينازعنا سلطانه أحد ولا يطمع في حقّنا طامع، إذ انبرى لنا قومنا، فغصبونا سلطان نبيّنا، فصارت الإمرة لغيرنا، وصرنا سوقة يطمع فينا الضعيف، ويتعزّز علينا الذّليل، فبكت الأعين منّا لذلك، وخشنت الصدور، وجزعت النّفوس، وايم الله لولا مخافة الفرقة بين المسلمين، وأن يعود الكفر، ويبور الدين لكنّا غير ما كنّا لهم(١).

فهل ترى كلاماً أصرح منه في مغلوبيّته ومظلوميّته، وغاصبيّة المتقدّمين عليه؟

«ولكم علينا العمل بكتاب الله تعالى، وسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله والقيام بحقّه والنّعش» أي: الرفع.

«لسنّته» كلامه عليه السلام هذا دالّ على أنّ المناط في استحقاق الخلافة والإمامة: الخروج عن عهدة العمل بكتاب الله تعالى وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله كما

---

(١) نقله عن المدائني ابن أبي الحديد في شرحه ١: ١٠١، شرح الخطبة ٢٢.

ينبغي، كما هو مذهب الإمامية، دون بيعة الأُمة كما هو مسلك العامّة.

ومثل كلامه عليه السلام في ذلك كلام ابنيه الحسن والحسين صلوات الله عليهما؛ روى أبو الفرج في (مقاتله) مسنداً: أنّ معاوية أمر الحسن عليه السلام أن يخطب لمّا سلّم الأمر إليه، وظنّ أنّه سيحصر، فقال في خطبته: إنّما الخليفة من سار بكتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله، وليس الخليفة من سار بالجور، ذلك مَلِك مُلّك ملكاً يمتّع به قليلاً ثمّ تنقطع لذّته، وتبقى تبعته ﴿وإن أدري لعلّه فتنة لكم ومتاع إلى حين﴾(١).

وفي (الإرشاد) عن الكلبي والمدائني: أنّ الحسين عليه السلام لمّا بعث ابن عمّه مسلم بن عقيل إلى أهل الكوفة كتب إليهم معه كتاباً وفي جملته: فلعمري ما الإمام إلّا الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الدّائن بدين الحق، الحابس نفسه على ذات الله(٢).

وكلامهم حجّة، حيث إنّهم أهل العصمة، وشهد الكتاب بطهارتهم في قوله عزّوجلّ: ﴿... إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾(٣)، وشهد النّبيّ صلى الله عليه وآله ـ في المتواتر عنه صلى الله عليه وآله ـ بكونهم مثل الكتاب في الحجّية في قوله صلى الله عليه وآله: إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض(٤).

وكذلك كلامه عليه السلام هذا دالّ على بطلان خلافة الأوّلين، حيث إنّه كان لهما سنّة في مقابل سنّة النّبيّ صلى الله عليه وآله، كما أنّه عليه السلام ترك حقّه يوم الشورى، لمّا شرط عليه عليه السلام عبد الرحمن بن عوف العمل بسنّتهما،

---

(١) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج: ٤٧، والآية ١١١ من سورة الأنبياء.

(٢) الإرشاد للمفيد: ٢٠٤.

(٣) الأحزاب: ٣٣.

(٤) هذا حديث الثقلين مرّ تخريجه في شرح فقرة «إليهم يفيء الغالي» في العنوان ٤ من هذا الفصل.

ليعلم النّاس بطلان أمرهما[١].

وكذلك نبّه على ذلك بعد خروج الخوارج من أصحابه عليه السلام، وبيعة غيرهم له عليه السلام بيعة ثانية غير بيعة أوّل خلافته، وفي (خلفاء ابن قتيبة): فبايعوه على التسليم والرّضا، وشرط عليهم كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وآله، فجاء رجل من خثعم، فقال له عليّ عليه السلام: بايع على كتاب الله وسنّة نبيّه. قال: لا، ولكن أُبايعك على كتاب الله وسنّة نبيّه وسنّة أبي بكر وعمر فقال عليّ عليه السلام: -وما يدخل سنّة أبي بكر وعمر مع كتاب الله وسنّة نبيّه، إنّما كانا عاملين بالحقّ حيث عملا؟ فأبى الخثعمي إلّا سنّة أبي بكر وعمر، وأبى عليّ عليه السلام أن يبايعه إلّا على كتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله، فقال له حيث ألحّ عليه: تبايع؟ قال: لا، إلّا على ما ذكرت. فقال له عليّ عليه السلام: أما والله لكأنّي بك قد نفرت في هذه الفتنة، وكأنّي بحوافر خيلي قد شدخت وجهك. فلحق بالخوارج فقتل يوم النّهروان. قال قبيصة: فرأيته يوم النّهروان قتيلاً قد وطئت الخيل وجهه، وشدخت رأسه ومثّلت به، فذكرت قول عليّ وقلت: لله درّ أبي الحسن ما حرّك شفتيه قطّ بشيء إلّا كان كذلك! ورواه الطبري أيضاً[٢].

فلو كان مذهب السنّة القائلين بسنّة أبي بكر وعمر حقّاً، لكان أمير المؤمنين عليه السلام مجانباً للحقّ بعيداً عنه بمراحل، لا دائراً مدار الحقّ كما تواتر عن النّبيّ صلى الله عليه وآله فيه عليه السلام[٣]، وشهد به الدّراية الضرورية؟ وكان معاوية يكتب إلى عمّاله أن يقتلوا من كان على دين عليّ. فكتب الحسين عليه السلام إليه: دين عليّ

(١) هذا المعنى رواه البلاذري في أنساب الاشراف ٥: ٢٢، وغيره، مرّ تخريجه في أوائل هذا العنوان.

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ١٤٦، وتاريخ الطبري ٤: ٥٦ سنة ٣٧.

(٣) هذا المعنى روي عن سعد بن أبي وقاص وعلي عليه السلام وأم سلمة وغيرهم، وقد مرّ تخريجه في أواخر العنوان ٥ من هذا الفصل.

دين النّبيّ ﴿...قاتلهم الله أنّى يؤفكون﴾[١].

٢٧
الحكمة (٢٠٩)

وَقَالَ عليه السلام: لَتَعْطِفَنَّ ٱلدُّنْيَا عَلَيْنَا بَعْدَ شِمَاسِهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ عَلَى وَلَدِهَا. وَتَلَا عِقِيبَ ذَلِكَ: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَارِثِينَ﴾[٢].

أقول: روى المصنّف في (خصائصه) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: لتعطفنّ الدّنيا...[٣]

وروى الكراجكي في (كنزه) عن ربيعة بن ناجد قال: سمعت علياً عليه السلام يقول في هذه الآية: ﴿ونريد أن نمنّ على الّذين استضعفوا في الأرض...﴾[٤]: «لتعطفنّ هذه الدّنيا على أهل البيت كما تعطف الضّروس على ولدها»[٥].

«لتعطفنّ الدّنيا بعد شماسها» في (الصحاح): شمس الفرس شموساً وشماساً، أي: منع ظهره[٦].

«عطف الضّروس على ولدها» في (الصحاح): ناقة ضروس: سيّئة الخلق تعضّ حالبها. ومنه قولهم: هي بجنّ ضراسها. أي: بحدثان نتاجها، وإذا كانت كذلك حامت عن ولدها؛ قال بشر:

---

(١) رواه الكشي في معرفة الرجال (اختياره): ٥٠، واحتجاج الطبرسي في الاحتجاج: ٢٩٧، والنقل بتصرف في اللفظ، والآية ٣٠ من سورة التوبة.

(٢) القصص: ٥.

(٣) خصائص الأئمة للشريف الرضي: ٤٠.

(٤) القصص: ٥.

(٥) رواه شرف الدين في كنز جامع الفوائد عنه البحار ٢٤: ١٧٠ ح٥، ولم يخرجه الكراجكي في كنزه بل الظاهر أنّ الشارح توهّم أنّ رمز «كنز» في البحار يشير إلى كنز الكراجكي.

(٦) صحاح اللغة ٢: ٩٣٧ مادة (شمس).

عطفنا لهم عطف الضروس من الملا بشهباء لا يمشي الضّـراء رقيبها[١]

وروي: أنّ الصادق عليه السلام كان يقول:

لكـلّ أنـاس دولة يـرقبونها ودولتنا في آخر الدّهر تظهر[٢]

«وتلا عقيب ذلك» أي: شاهداً لعطف الدّنيا عليهم أخيراً: ﴿ونريد أنّ نمنّ على الّذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾. وبعدها: ﴿ونمكّن لهم في الأرض ونُري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾[٣].

قال القمي: أخبر الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وآله بما لقى موسى عليه السلام وأصحابه من فرعون من القتل والظلم، ليكون تعزية له في ما يصيبه في أهل بيته من أُمته، ثمّ بشّره بعد تعزيته أنّه يتفضّل عليهم بعد ذلك، ويجعلهم خلفاء في الأرض وأئمّة على أُمّته يقول: ﴿...منهم ما كانوا يحذرون﴾[٤] أي: من آل محمّد، ولو كانت نزلت في موسى لقال: منه ما كانوا يحذرون. ولم يقل ﴿منهم﴾[٥].

وقال ابن أبي الحديد: والإمامية تزعم أنّ ذلك وعد منه بالإمام الغائب الّذي يملك الأرض في آخر الزّمان، وأصحابنا يقولون إنّه وعد بإمام يملك الأرض ويستولي على الممالك، ولا يلزم من ذلك أنّه لابد أن يكون موجوداً، وأن يكون غائباً إلى أن يظهر، بل يكفي في صحّة هذا الكلام أن يخلق في آخر الوقت[٦].

قلت: الإماميّة إنّما قالوا إنّه إشارة إلى الإمام المنتظر، وأمّا وجوده

---

(١) صحاح اللغة ٢: ٩٣٩ مادة (ضرس).

(٢) أمالي الصدوق: ٣٩٦ ح٣ المجلس ٧٤.

(٣ و ٤) القصص: ٦.

(٥) تفسير القمي ٢: ١٣٣، والنقل بتلخيص.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٣٣٦.

وغيبته فيثبتونه بأدلّة أُخرى عقليّة ونقليّة، وقد مرّ من النّقليّة قوله عليه السلام: «لا تخلو الأرض من قائم لله بحجّة إمّا ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً»[١] وقوله عليه السلام: «إذا خوى نجم طلع نجم»[٢].

وقال ابن أبي الحديد أيضاً: وقال بعض أصحابنا: إنّه إشارة إلى ملك السّفاح والمنصور[٣].

قلت: لابد إن كان ذاك البعض من النّصاب، وكيف يصحّ قوله ولم يكن شماس الدّنيا على أهل بيته في زمان العبّاسيين أقل من زمان الأُمويين؟

هذا، ومثل تلك الآية في البشارة لأهل بيته عليه السلام قوله تعالى: ﴿ولقد كتبنا في الزّبور من بعد الذّكر أنّ الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الّذين من قبلهم وليمكّننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدّلنّهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً...﴾[٥].

ولم يكن عباد صالحون ولا مؤمنون عاملون للصالحات مثل أهل البيت عليهم السلام، فلابد ـ بمقتضى الآيتين ـ أن يرثوا الأرض ويستلخفوا فيهما حسبما وعد تعالى، ونرى أنّ ذلك لم يتّفق في زمان الأحد عشر منهم، فلابد أن يكون في عصر ثاني عشرهم، وحيث إنّ الجميع بمنزلة نفس واحدة يصدق بإرثه الأرض إرثهم، وباستخلافه فيها، وتمكين الله تعالى له دينه الذي ارتضاه له، وتبديل خوفه بالأمن، استخلافهم وتمكينهم وتبديل خوفهم

(١) مرّ في العنوان ١ من هذا الفصل.

(٢) مرّ في العنوان ٢٢ من هذا الفصل.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٣٣٦.

(٤) الأنبياء: ١٠٥.

(٥) النور: ٥٥.

صلوات الله عليهم أجمعين.

٢٨
من الخطبة (٨٥)

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ وَ ﴿أَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ وَٱلْأَعْلَامُ قَائِمَةٌ، وَٱلْآيَاتُ واضِحَةٌ، وَٱلْمَنَارُ مَنْصُوبَةٌ، فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ، بَلْ كَيْفَ تَعْمَهُونَ وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ، وَهُمْ أَزِمَّةُ ٱلْحَقِّ وَأَعْلَامُ ٱلدِّينِ؟! وَأَلْسِنَةُ الصِّدْقِ؟! فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ ٱلْقُرْآنِ، وَرِدُوهُمْ وُرُود ٱلْهِيمِ ٱلْعِطَاشِ.

أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوهَا مَنْ خَاتمِ النَّبِيِّينَ ﷺ: «إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ، وَيَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنَّا وَلَيْسَ بِبَالٍ» فَلاَتَقُولُوا بِمَا لاَتَعْرِفُونَ، فَإِنَّ أَكْثَرَ ٱلْحقِّ فِيما تُنْكِرُونَ، وَأَعْذِرُوا مَنْ لاَحُجَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِ، وَأَنَا هُوَ.

أقول: رواه النّعماني في (غيبته) فقال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته المشهورة التي رواها الموافق والمخالف: ألا إنّ العلم الذي هبط به آدم من السماء إلى الأرض، وجميع ما فضّلت به النّبيّون إلى خاتم النّبيين. في عترة خاتم النّبيين، فأين يتاه بكم، بل أين تذهبون؟...[1].

«فأين تذهبون» في (تاريخ أحمد بن أبي يعقوب): بلغ عثمان أنّ أبا ذر يقعد في مسجد النّبيّ ﷺ، ويجتمع إليه النّاس فيحدّث بما فيه الطّعن عليه، وأنّه وقف بباب المسجد فقال: أيّها النّاس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني، فأنا أبو ذر الغفاري، أنا جندب بن جنادة الربذي ﴿إنّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين* ذرّية بعضها من بعض والله سميع عليم﴾[2]. محمّد الصّفوة من نوح، فالأوّل من إبراهيم والسلالة من

---

(١) غيبة النعماني: ٢٨.

(٢) آل عمران: ٣٣ ـ ٣٤.

إسماعيل والعترة الهادية من محمّد، إنّه شرف شريفهم، واستحقوا الفضل في قوم هم فينا كالسّماء المرفوعة، أو كالكعبة المستورة، أو كالقبلة المنصوبة، أو كالشمس الضاحية، أو كالقمر الساري، أو كالنجوم الهادية، أو كالشجرة الزيتونة أضاء زيتها، وبورك زبدها، ومحمّد وارث علم آدم وما فضّل به النّبيّون، وعليّ بن أبي طالب وصيّ محمّد ووارث علمه. أيّتها الأُمّة المتحيرة بعد نبيّها، أما لو قدّمتم من قدّم الله، وأخّرتم من أخّر الله، وأقررتم الولاية والوراثة في أهل بيت نبيّكم، لأكلتم من فوق رؤوسكم ومن تحت أقدامكم، ولما عال وليّ الله، ولا طاش سهم من فرائض الله، ولا اختلف اثنان في حكم الله إلّا وجدت علم ذلك عندهم من كتاب الله وسنّة نبيّه. فأمّا إذا فعلتم ما فعلتم، فذوقوا وبال أمركم ﴿وسيعلم الّذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون﴾[١].

وروى ابن قتيبة في (معارفه) مسنداً عن خش بن المعتمر قال: جئت وأبو ذر آخذ بحلقة باب الكعبة، وهو يقول: أنا أبو ذر الغفاري، من لم يعرفني فأنا جندب صاحب رسول الله ﷺ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا[٢].

«وأنّى» أي: وكيف.

«تؤفكون» أي: تخدعون بمتابعة الثلاثة ولم يكونوا يعرفوا شيئاً من واضح الكتاب والسّنّة، فضلاً عن مشكلهما، فلم يعرف أبو بكر معنى (الأبّ) لمّا سئل عنه مع أنّه فسّره القرآن.

وفي (خلفاء ابن قتيبة): قال أبو بكر في احتضاره: ليتني كنت سألت

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٧١، والآية ٢٢٧ من سورة الشعراء.

(٢) رواه ابن قتيبة في المعارف: ٢٥٢.

النّبيّ صلى الله عليه وآله عن ميراث بنت الأخ والعمّة، فإنّ في نفسي من ذاك شيئاً"[١].

وفيه: أنّ عمر قال في احتضاره لابنه ـ لمّا آيسه الطبيب ـ: ناولني الكتف فلو أراد الله أن يمضي ما فيه، أمضاه. فمحاه بيده[٢].

ورووا عنه مائة قضية في ميراث الجدّ.

وأنّى يؤفكون ويتركون من علّمه النّبيّ صلى الله عليه وآله ألف باب من العلم يفتح من كلّ باب ألف باب[٣]، ويتّبعون مثل أولئك؟! ﴿...أفمن يهدي إلى الحقّ أحقّ أن يتّبع أمّن لا يهدّي إلّا أن يهدى فمالكم كيف تحكمون﴾[٤].

وقد قال الصادق عليه السلام لابن أبي ليلى: أتقضي بين الناس؟ قال: نعم. قال: بأيّ شيء؟ قال: بكتاب الله. قال: فما لم تجد؟ قال: بالسنّة، فإذا لم أجد فبقول الصحابة. قال: فإذا اختلفوا فبقول مَن تأخذ؟ قال: من أردت، وأُخالف الباقين. قال: فهل تخالف علياً عليه السلام فيما بلغك أنّه قضى به؟ قال: ربما خالفته إلى غيره منهم. قال: ما تقول يوم القيامة إذا قال النّبيّ صلى الله عليه وآله: بلغ الرّجل عنّي قول فخالفه؟ قال: أين خالفت قول النّبيّ صلى الله عليه وآله؟ قال: أما بلغك أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قال: أقضاكم عليّ؟ قال: نعم. قال: فإذا خالفت قوله تخالف قول النّبيّ صلى الله عليه وآله. فاصفر وجه ابن أبي ليلى وسكت[٥].

«والأعلام» أي: العلائم في خلفاء النّبيّ صلى الله عليه وآله.

«قائمة» في تنويه النّبي صلى الله عليه وآله بهم، والتّنبيه عليهم.

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ١٩ وغيره.

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ٢١.

(٣) حديث «الألف باب» أخرجه الجويني في الفرائد ١: ١٠١ ح ٧٠ وجمع كثير آخر، وقد مرّ تخريجه في العنوان ٥ من الفصل الثاني.

(٤) يونس: ٣٥.

(٥) احتجاج الطبرسي: ٣٥٣، والنقل بتصرف في اللفظ.

بل بشّر بهم الأوّلون كما بشّروا بالنّبيّ ﷺ؛ قال السروي: روى الكلبي عن الشرقي بن القطامي عن تميم بن وعلة المرّي عن الجارود بن المنذر العبدي ـ وكان نصرانياً ـ فأسلم عام الحديبية، فأنشأ يقول:

يا نبي الهدى أتتك رجال ... قطعت فدفدا وافرت جبالا

جابت البيد والمهامه حتّى ... غالها من طوي السّرى ما غالا

أخبر الأوّلون باسمك فينا ... وبأسماء بعده تتتالى

فقال لهم النّبيّ ﷺ: أفيكم من يعرف قسّ بن ساعدة الأيادي؟ فقال الجارود: كلّنا نعرفه، غير أنّي من بينهم عارف بخبره واقف على أثره. فقال له سلمان: أخبرنا عنه. فقال: لقد شهدت قسّاً وقد خرج من ناد من أندية أياد إلى ضحضح ذي قتاد، وسمر وغياد، وهو مشتمل بنجاد، فوقف في أُضحيان ليل كالشمس رافعاً إلى السماء وجهه وإصبعه، فدنوت منه، فسمعته يقول: اللهمّ ربّ السماوات الأرفعة، والأرضين الممرعة، بحقّ محمّد وثلاثة محامد معه، وعليّين الأربعة، وفاطمة والحسنين الأبرعة، وجعفر وموسى التّبعة، سمّي الكليم الضّرعة، أُولئك النّقباء الشّفعة، والطريق المهيعة. راشة الأناجيل، ومحاة الأضاليل، ونقاة الأباطيل، الصادقو القيل، عدد نقباء بني إسرائيل، فهم أوّل البداية، وعليهم تقوم السّاعة، وبهم تنال الشفاعة، ولهم من الله فرض الطاعة، اسقنا غيثاً مغيثاً. ثمّ قال: ياليتني مدركهم بعد لأي من عمري ومحياي. ثمّ أنشأ يقول:

أقسم قسّ قسما ... ليس به مكتتما

لو عاش ألفي سنة ... لم يلق منها سأما

حتى يلاقي أحمداً ... والنّجباء الحكما

هم أوصياء أحمد ... أفضل من تحت السما

يعمى الأنام عنهم ... وهم ضياء للعمى

لست بناس ذكرهم حتّى أحلّ الرّجما

ثمّ قال الجارود: أنبئني يا رسول الله بخبر هذه الأسماء، لم نشهدها، وأشهدنا قسّا ذكرها. فقال: يا جارود ليلة أسري بي إلى السماء أوحى الله عزّوجلّ إليّ أن سل من قد أرسلنا قبلك من رسلنا علامَ بعثوا؟ قلت: علامَ بعثوا؟ قال: على نبوّتك، وولاية عليّ بن أبي طالب والأئمة منكما، ثمّ عرفني الله تعالى بهم وبأسمائهم ـ ثمّ ذكر النّبيّ صلى الله عليه وآله أسماءهم واحداً واحداً إلى المهديّ عليه السلام ـ وقال: قال لي الرّب تبارك وتعالى: هؤلاء أوليائي، وهذا المنتقم من أعدائي ـ يعني المهدي ـ عليه السلام[1].

قوله في الخبر: «والحسنين» بلفظ الجمع لا التثنية، المراد: السّبطان مع الحسن العسكري عليهم السلام، والمراد بثلاثة محامد في الخبر: الباقر، والجواد، والمهدي عليهم السلام، والمراد بعليين الأربعة: أمير المؤمنين، والسّجاد، والرّضا، والهادي عليهم السلام، وقوله في الخبر: «وجعفر ـ إلى ـ الصّرعة» ويكون التّبعة إشارة إلى كثرة أتباع جعفر، لأنّهم كانوا يقولون للشّيعة الجعفرية، ويكون (الصّرعة) إشارة إلى حبس هارون للكاظم، حتّى قتله في الحبس بعد مدّة.

وقال السّروي أيضاً: قال الزهري: قال لي عبد الملك بن مروان: وجد وكيلي في مدينة الصّفر التي بناها سليمان بن داود، على سورها، أبياتاً منها:

هذا مقاليد أهل الأرض قاطبة والأوصياء له أهل المقاليد

هم الخلائف اثنا عشرة حججا من بعده الأوصياء السّادة الصّيد

حتى يقوم بأمر الله قائمهم من السّماء اذا ما باسمه نودي[2]

«والآيات» أي: العلامات الّتي عيّنها الله تعالى لعباده.

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب ١: ٢٨٧.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ١: ٢٨٨.

«واضحة» ليس بها خفاء.

«والمنار» في (الصحاح): المنار: علم الطريق[١].

«منصوبة» لكيلا تضلّوا؛ قال سلمان الفارسي في خطبته ـ كما روى (رجال الكشي) ـ: فاذا رأيتم ـ أيّها النّاس ـ الفتن كقطع الليل المظلم، يهلك فيها الراكب الموضع، والخطيب المصقع، والرأس المتبوع، فعليكم بآل محمّد صلّى الله عليه وآله، فإنّهم القادة إلى الجنّة والدّعاة إليها إلى يوم القيامة، وعليكم بعليّ عليه السلام، فوالله لقد سلّمنا عليه بالولاء مع نبيّنا صلّى الله عليه وآله وسلّم، فما بال القوم أحسد؟ فقد حسد قابيل هابيل، أكفر؟ فقد ارتدّ قوم موسى عن الأسباط، ويوشع، وشمعون، وابني هارون شبر وشبير، والسبعين الّذين اتّهموا موسى على قتل هارون، فأخذتهم الرّجفة من بغيهم، ثمّ بعث الله أنبياء مرسلين وغير مرسلين، فأمر هذه الأُمّة كأمر بني إسرائيل، فأين يذهب بكم؟ ما أنا وفلان وفلان؟ ويحكم والله ما أدري أتجهلون أم تتجاهلون؟ أنسيتم أم تتناسون؟ أنزلوا آل محمّد منكم منزلة الرأي من الجسد، بل منزلة العينين من الرأس، والله لترجعن كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض بالسّيف[٢].

«فأين يتاه بكم» أي: يتحيّر بكم حتّى تتركون أهل العصمة وتتبعون أهل الرّجس والخباثة.

أيا أهل شرع الله زالت حلومكم ... أم اختدعت من قلّة الفهم والأدب

صلاتكمُ معْ من وحجّكمُ بمن ... وغزوكم في من أجيبوا بلا كذب

صلاتكم والحجّ والغزو ويلكم ... لشرّاب خمر عاكفين على الرّيب

«بل كيف تعمهون» أي: تتحيرون.

---

(١) صحاح اللغة ٢: ٨٣٩ مادة (نور).

(٢) معرفة الرجال للكشي (اختياره) ٢٠ ح٤٧ ضمن خطبة طويلة.

«وبينكم عترة نبيّكم وهم أزمّة» جمع الزّمام.

«الحقّ وأعلام الدّين» أي: راياته، أو جباله.

«وألسنة الصّدق» في القول والفعل؛ قال ابن أبي الحديد: عترة النّبيّ صلى الله عليه وآله أهله الأدنون ونسله، وليس بصحيح قول من قال: إنّهم رهطه وإن بعدوا. وإنّما قال أبو بكر يوم السقيفة أو بعده: «نحن عترة النّبيّ صلى الله عليه وآله وبيضته التي فقئت عنه» على طريق المجاز، لأنّهم بالنّسبة إلى الأنصار عترة له لا في الحقيقة، ألا ترى أنّ العدناني يفاخر القحطاني، فيقول: أنا ابن عمّ النّبيّ صلى الله عليه وآله؟ ليس يعني أنّه ابن عمّه على الحقيقة، بل هو بالاضافة إلى القحطاني كان ابن عمّه، وإنّما استعمل ذلك ونطق به مجازاً، فان قدر مقدر أنّه على طريق حذف المضافات، أي: ابن ابن عم أب الأب إلى عدد كثير في البنين والآباء، فكذلك أراد أبو بكر: أنّهم عترة أجداده على طريق حذف المضاف، وقد بيّن عترته صلى الله عليه وآله مَن هي، لمّا قال: «إنّي تارك فيكم الثّقلين ـ فقال ـ عترتي أهل بيتي». وبيّن في مقام آخر: من أهل بيته، حيث طرح عليهم كساء وقال ـ حين نزلت ﴿...إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت...﴾[1] ـ: اللّهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرّجس[2].

قلت: وكما بيّن صلى الله عليه وآله عترته عند نزول الآية بيّن موضع الآية، وإن مزجها معاند وهم بآيات الأزواج تلبيساً وتدليساً، فكان صلى الله عليه وآله ستّة أشهر لمّا نزل: ﴿وأمر أهلك بالصلاة...﴾[3] يأتي إلى باب عليّ وفاطمة عليهما السلام ويقول: «الصلاة الصلاة ﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾[4].

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٣٠.

(٣) طه: ١٣٢.

(٤) الاحزاب: ٣٣.

رواه الطبري في (ذيله) والثعلبي، في (تفسيره) عن أبي الحمراء عنه صلى الله عليه وآله، وأخطب الخطباء عن أبي سعيد الخدري عنه صلى الله عليه وآله، (وسنن أبي داود)، و (موطأ مالك) عن أنس عنه صلى الله عليه وآله[1].

فيفهم أن ترتيب القرآن كان هكذا: (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً) ـ إلى أن قال ـ وكيف يصحّ أن يقول تعالى لأزواج النّبيّ صلى الله عليه وآله: ﴿...إنّما يريد الله ليذهب عنكم...﴾ كما أدرجوه فيها؟

وروى (الأغاني) مسنداً عن إبراهيم بن سعد الأسدي عن أبيه قال: رأيت النّبيّ صلى الله عليه وآله في المنام، فقال لي: أتعرف الكميت بن زيد الأسدي؟ قلت: يا رسول الله عمّي، ومن قبيلتي. قال: أتحفظ من شعره شيئاً؟ قلت: نعم. قال: أنشدني. فأنشدته حتّى بلغت إلى قوله في قصيدة له:

فمالي إلّا آل أحمد شيعة ومالي إلّا مشعب الحقّ مشعب

فقال لي النّبي صلى الله عليه وآله: إذا أصبحت فاقرأ عليه السلام، وقل له: قد غفر الله لك بهذه القصيدة[2].

وروى (عيون ابن بابويه) عن الرّيان بن الصّلت قال: حضر الرّضا عليه السلام مجلس المأمون بمرو، وقد اجتمع في مجلسه جماعة من علماء العراق وخراسان، فقال المأمون: أخبروني عن معنى هذه الآية: ﴿ثمّ أورثنا

---

(١) منتخب ذيل المذيل للطبري: ٨٣، وتفسير الثعلبي عنه الطرائف ١: ١٢٨ ح١٩٨ والعمدة ١: ٢١ وغيرهما عن أبي الحمراء، ومناقب الخوارزمي: ٢٣ وغيره عن أبي سعيد، وسنن الترمذي ٥: ٣٥٢ ح٣٢٠٦، ومسند أحمد ٣: ٢٥٩، والطرائف لابن طاووس ١: ١٢٨ ح١٩٩، والعمدة لابن البطريق ١: ٢٣ عن سنن ابي داود وموطأ مالك عن أنس، لكن لم يوجد هذا الحديث في الأصلين.

(٢) الأغاني لأبي الفرج ١٧: ٢٦، والنقل بتصرف يسير.

الكتاب الّذين اصطفينا من عبادنا...﴾[1]. فقالت العلماء: أراد عزّوجلّ بذلك الأُمة كلّها. فقال المأمون للرّضا عليه السلام: ما تقول أنت؟ فقال: لا أقول كما قالوا، ولكنّي أقول: أراد العترة الطاهرة -إلى أن قال- فقال المأمون: من العترة الطاهرة؟ فقال عليه السلام: الّذين وصفهم الله عزّوجل في كتابه فقال: ﴿...إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾[2]، وهم الذين قال فيهم النّبيّ صلى الله عليه وآله: «إنّي مخلّف فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، ألا إنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلّفوني فيهما؟ أيّها الناس لا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم». فقالت العلماء: أخبرنا يا أبا الحسن عن العترة، أهم الآل أم غير الآل؟ فقال: هم الآل. قالوا: فهذا النّبيّ يؤثر عنه أنّه قال: «أُمّتي آلي» وهؤلاء أصحابه يقولون بالخبر المستفاض الذي لا يمكن دفعه: «آل محمّد أُمّته». فقال عليه السلام: أخبروني، هل تحرم الصدقة على الآل؟ قالوا: نعم. قال: فتحرم على الأُمة؟ قالوا: لا. قال: فهذا فرق بين الآل والأُمّة، ويحكم أين يذهب عنكم أضربتم عن الذكر صفحاً أم أنتم قوم مسرفون؟ أما علمتم أنّه وقعت الوراثة والطهارة على المصطفين المهتدين دون سايرهم؟ قالوا: ومن أين؟ قال عليه السلام: من قوله عزّوجلّ: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذرّيتهما النّبوّة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون﴾[3]. فصارت وراثة النّبوّة والكتاب للمهتدين دون الفاسقين[4].

«فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن» ممّا نزل فيهم عليهم السلام؛ وفي خبر الرّيان بن الصّلت المتقدّم: قال المأمون للرضا عليه السلام: هل فضّل الله العترة على ساير

---

(١) فاطر: ٣٢.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

(٣) الحديد: ٢٦.

(٤) عيون الأخبار للصدوق ١: ١٧٩ ح ١.

النّاس في محكم كتابه؟ فقال عليه السلام: نعم. قال: أين ذلك؟ قال: في قوله عزّوجلّ: ﴿إنّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين * ذرّية بعضها من بعض...﴾(١). وقال عزّوجلّ في موضع آخر: ﴿أم يحسدون النّاس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً﴾(٢) ثمّ ردّ المخاطبة في أثر هذا الى ساير المؤمنين، فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم...﴾(٣) يعني الّذين قرنهم بالكتاب والحكمة. وقالت العلماء: أخبرنا: هل فسّر الله تعالى الاصطفاء للعترة؟ فقال عليه السلام: فسّره في الظاهر سوى الباطن في اثني عشر موطناً. فأوّل ذلك: قوله عزّوجلّ: «وأنذر عشيرتك الأقربين ورهطك منهم المخلصين»(٤). هكذا في قراءة أُبي بن كعب وهي ثابتة في مصحف عبد الله بن مسعود. وهذه منزلة رفيعة، وفضل عظيم، وشرف عال حين عنى الله بذلك: إنذار الآل، فذكره للنّبيّ صلى الله عليه وآله؛ فهذه واحدة. والآية الثانية: في الاصطفاء قوله عزّوجلّ: ﴿...إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾(٥) وهذا هو الفضل الّذي لا يجهله أحد إلّا معاند ضالّ، لأنّه لا فضل بعد الطهارة ينتظر.

وأمّا الآية الثالثة: فحين ميّز الله الطاهرين من خلقه، فأمر نبيّه صلى الله عليه وآله بالمباهلة بهم في آية الابتهال، فقال عزّ من قائل: ﴿فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا

---

(١) آل عمران: ٣٣ و ٣٤.

(٢) النساء: ٥٤.

(٣) النساء: ٥٩.

(٤) هذه قراءة أُبي ابن كعب في الآية ٢١٤ من سورة الشعراء، كما رواها الصدوق في عيون الاخبار ١: ١٨١ عن الرضا عليه السلام عن أُبي، وروى هذه القراءة عن ابن مسعود والباقر عليه السلام والصادق عليه السلام وعمرو ابن مرّة وغيرهم.

(٥) الأحزاب: ٣٣.

وأنفسكم ثمّ نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾(١). فأبرز النبيّ صلى الله عليه وآله عليّاً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وقرن أنفسهم بنفسه، فهل تدرون ما معنى قوله: ﴿وأنفسنا وأنفسكم﴾؟ قالوا: عنى به نفسه. قال: غلطتم، إنّما عنى بها عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وممّا يدلّ على ذلك قول النّبيّ صلى الله عليه وآله: «لينتهين بنو وليعة أو لأبعثنّ عليهم رجلاً كنفسي» يعني عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وعنى بالأبناء الحسن والحسين عليهما السلام، وعنى بالنّساء فاطمة عليها السلام. فهذه خصوصية لا يتقدّمهم فيها أحد وفضل لا يلحقهم فيه بشر، وشرف لا يسبقهم إليه خلق، إذ جعل نفس عليّ كنفسه؛ فهذه الثالثة.

وأمّا الرابعة: فإخراجه النّاس من مسجده ما خلا العترة، حتّى تكلّم النّاس في ذلك، وتكلّم العبّاس. فقال: يا رسول الله تركت عليّاً وأخرجتنا؟ فقال النّبيّ صلى الله عليه وآله: ما أنا تركته وأخرجتكم، ولكنّ الله تركه وأخرجكم. وفي هذا تبيان قوله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى». قالوا: وأين هذا من القرآن؟ قال: قوله عزّوجلّ: ﴿وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوّءا لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلةً...﴾(٢). ففي هذه الآية منزلة هارون من موسى، وفيها أيضاً منزلة عليّ عليه السلام من النّبيّ صلى الله عليه وآله، ومع هذا دليل ظاهر في قوله صلى الله عليه وآله: «ألا إنّ هذا المسجد لا يحلّ لجنب إلّا لمحمّد وآله». فقالوا: يا أبا الحسن هذا الشرح، وهذا البيان لا يوجد إلّا عندكم معشر أهل البيت. قال: ومن ينكر لنا ذلك، والنّبيّ صلى الله عليه وآله يقول: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها فمن أراد المدينة فليأتها من بابها». ففي ما أوضحنا وشرحنا من الفضل والشرف والتقدمة والاصطفاء والطهارة ما لا ينكره إلّا معاند.

---

(١) آل عمران: ٦١.

(٢) يونس: ٨٧.

والآية الخامسة: قوله تعالى: ﴿وآت ذا القربى حقّه...﴾[١] فلمّا نزلت هذه الآية على النّبي صلى الله عليه وآله قال: ادعوا لي فاطمة. فدعيت. فقال: يا فاطمة هذه فدك، وهي ممّا لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، وهي لي خاصّة دون المسلمين، وقد جعلتها لك لما أمرني الله به، فخذيها لك ولولديك.

والآية السادسة: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودة في القربى...﴾[٢].

وهذه خصوصيّة للنّبيّ صلى الله عليه وآله إلى يوم القيامة، وخصوصية للآل دون غيرهم، وذلك أنّه تعالى حكى عن نوح أنّه قال: ﴿وياقوم لا أسألكم عليه مالاً إن أجري إلّا على الله وما أنا بطارد الّذين آمنوا إنّهم ملاقوا ربّهم ولكنّي أراكم قوماً تجهلون﴾[٣]، وحكى عن هود أنّه قال: ﴿لا أسألكم عليه أجراً إن أجري إلّا على الذي فطرني أفلا تعقلون﴾[٤]، وقال تعالى لنبيّه محمّد صلى الله عليه وآله قل يا محمّد: ﴿...لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى...﴾[٥]. ولم يفترض الله مودّتهم إلّا وقد علم أنّهم لا يرتدّون عن الدّين أبداً، ولا يرجعون إلى ضلال أبداً، وأحرى أن يكون الرّجل وادّاً للرجل، فيكون بعض أهل بيته عدوّاً له، فلا يسلم له قلب الرّجل، فأحبّ تعالى أن لا يكون في قلب النّبيّ صلى الله عليه وآله على المؤمنين شيء، ففرض الله عليهم مودّة ذوي القربى، فمن أخذ بها وأحبّ النّبيّ صلى الله عليه وآله وأحب أهل بيته لم يستطع النّبيّ صلى الله عليه وآله أن يبغضه، ومن تركها، ولم يأخذ بها، وأبغض أهل بيته فعلى النّبيّ صلى الله عليه وآله أن يبغضه، لأنّه قد ترك فريضة من فرائض الله عزّوجلّ، فأيّ فضيلة، وأيّ شرف يتقدّم هذا أو يدانيه؟ ولمّا أنزل تعالى هذه

(١) آل عمران: ٦١.

(٢) الشورى: ٢٣.

(٣) هود: ٢٩.

(٤) هود: ٥١.

(٥) الشورى: ٢٣.

الآية على نبيّه صلى الله عليه وآله قام في أصحابه، فحمد الله تعالى، وأثنى عليه، وقال: أيّها النّاس إنّ الله قد فرض لي عليكم فرضاً، فهل أنتم مؤدوه؟ فلم يجبه أحد، فقال: أيّها الناس إنّه ليس بذهب ولا فضّة، ولا مأكول، ولا مشروب. فقالوا: هات إذن. فتلا عليهم: ﴿...قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى...﴾[(١)]، فقالوا: أما هذه فنعم. فما وفى بها أكثرهم، وما بعث الله تعالى نبيّاً إلّا وأوحى إليه: أن لا يسأل قومه أجراً، لأنّه تعالى يوفي أجر الأنبياء، وأمّا محمّد صلى الله عليه وآله فـفرض الله طاعته ومودّة قرابته على أُمّته، وأمره أن يجعل أجره فيهم، ليؤدوه في قرابته بمعرفة فضلهم الّذي أوجب تعالى لهم، فإنّ المودّة إنّما تكون على قدر معرفة الفضل، فلمّا أوجب الله تعالى ذلك لثقل وجوب الطاعة، فتمسّك بها قوم، أخذ الله تعالى ميثاقهم على الوفاء، وعاند فيه أهل الشقاق والنفاق، وألحدوا فـي ذلك، فصرفوه عن حدّه الّذي حدّه عزّوجلّ فقالوا: القرابة هـي العـرب كـلّها، وأهل دعوته. فعلى أيّ الحالتين كان، فقد علمنا أنّ المودّة في القرابة، فأقربهم من النّبيّ صلى الله عليه وآله أولاهم بالمودّة، وكلّما قربت القرابة كانت المودّة للقرابة على قدرها. وما أنصفوا نبيّ الله صلى الله عليه وآله في حيطته ورأفته، وما منّ الله به على أُمّـته ممّا تعجز الألسن عن وصف الشكر عليه ألّا يؤدّوه في ذريّته وأهل بيته، وأن لا يجعلوهم فيهم بمنزلة العين من الرّأس، حفظاً لرسول الله صلى الله عليه وآله فيهم وحبّاً لهم، فكيف؛ والقرآن ينطق به ويدعو إليه، والأخبار ثابتة بأنّهم أهل المـودّة، والّذين فرض الله مودّتهم، ووعد الجزاء عـليها؟ فـما وفـى أحـد بـها مـؤمناً مخلصاً إلّا استوجب الجنّة، لقوله عزّوجلّ في هذه الآية: ﴿... والذيـن آمـنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنّات لهم ما يشاؤون عند ربّـهم ذلك هـو الفضل الكبير * ذلك الذي يبشّر الله عباده الّذين آمنوا وعملوا الصالحات قل

---

(١) الشورى: ٢٣.

لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى...﴾[١] مفسراً ومبيّناً.

وأمّا الآية السابعة: فقوله تعالى: ﴿إنّ الله وملائكته يصلّون على النّبيّ يا أيّها الّذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً﴾[٢]، وقد علم المعاندون منهم أنّه لمّا نزلت هذه الآية قيل: يا رسول الله قد عرفنا التسليم عليك، فكيف الصلاة عليك؟ فقال: تقولون: «اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد كما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم إنّك حميد مجيد». فهل بينكم في هذا خلاف؟ قالوا: لا، وقال المأمون هذا ممّا لا خلاف فيه أصلاً، وعليه إجماع الأُمّة.

قال المأمون: فهل عندك في الآل شيء أوضح من هذا في القرآن؟ قال: نعم. أخبروني عن قوله عزّوجلّ: ﴿يس * والقرآن الحكيم * إنّك لمن المرسلين * على صراط مستقيم﴾[٣] فمن عنى بقوله: ﴿يس﴾؟ قالوا: ﴿يس﴾: محمّد لم يشكّ فيه أحد. قال عليه السلام: فإن الله عزّوجلّ أعطى محمّداً وآل محمّد عليهم السلام من ذلك فضلاً لا يبلغ أحد كنه وصفه، وذلك أنّه عزّوجلّ لم يسلّم على أحد إلّا على الأنبياء، فقال تعالى: ﴿سلام على نوح في العالمين﴾[٤]. ﴿سلام على إبراهيم﴾[٥]، ﴿سلام على موسى وهارون﴾[٦] ولم يقل: سلام على آل نوح. سلام على آل إبراهيم. سلام على آل موسى وهارون. وقال: ﴿سلام على آل ياسين﴾[٧] يعني: آل محمّد صلوات الله عليهم فقال المأمون:

---

(١) الشورى: ٢٢ ـ ٢٣.

(٢) الأحزاب: ٥٦.

(٣) يس: ١ ـ ٤.

(٤) الصافات: ٧٩.

(٥) الصافات: ١٠٩.

(٦) الصافات: ١٢٠.

(٧) الصافات: ١٣٠ هذه قراءة نافع وابن عامر ويعقوب من القرّاء العشرة، كما نقل عنهم الداني في التيسير: ١٨٧ وابن الجزري في النشر ٢: ٣٦٠، وروى عن علي عليه السلام وابن عباس وابي مالك وعمر.

إنّ في معدن النبوّة شرح هذا وبيانه.

وأمّا الآية الثامنة: فقوله عزّوجل: ﴿واعلموا أنّما غنمتم من شيء فأنّ لله خمسه وللرّسول ولذي القربى...﴾[١]. فقرن سهم ذي القربى بسهمه وبسهم رسوله صلى الله عليه وآله. فهذا أيضاً فصل بين الآل والأمّة، لأنّه عزّوجل جعلهم في حيّز، وجعل النّاس في حيّز دون، ورضي لهم ما رضي لنفسه واصطفاهم فيه، فبدأ بنفسه ثمّ ثنّى برسوله ثمّ بذي القربى، فكلّ ما كان من الفيء والغنيمة، وغير ذلك ممّا رضيه عزّوجلّ لنفسه، رضيه لهم، فقال وقوله الحقّ: ﴿واعلموا أنّما غنمتم من شيء فأنّ لله خمسه وللرّسول ولذي القربى...﴾[٢] فهذا تأكيد مؤكّد، وأثر قائم لهم إلى يوم القيامة في كتاب الله الناطق الّذي: ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾[٣].

وأمّا قوله: ﴿واليتامى والمساكين﴾[٤] فإنّ اليتيم إذا انقطع يتمه خرج من الغنائم، ولم يكن له فيها نصيب، وكذلك المسكين إذا انقطع مسكنته لم يكن له نصيب من المغنم، ولا يحل له أخذه، وسهم ذي القربى قائم إلى يوم القيامة فيهم، للغنيّ والفقير منهم، لأنّه لا أحد أغنى من الله عزّوجلّ ولا من رسوله، فجعل منها لنفسه سهماً ولرسوله سهماً، وما رضيه لنفسه ولرسوله صلى الله عليه وآله رضيه لهم، وكذلك الفيء، ما رضيه منه لنفسه ولنبيّه رضيه لذي القربى، كما أجراهم في الغنيمة، فبدأ بنفسه جلّ جلاله، ثمّ برسوله، ثمّ بهم، وقرن سهمهم بسهمه وسهم رسوله، وكذلك في الطاعة، قال: ﴿يا أيّها الّذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأولي الأمر منكم...﴾[٥] فبدأ بنفسه

(١ و ٢) الأنفال: ٤١.

(٣) فصّلت: ٤٢.

(٤) الأنفال: ٤١.

(٥) النساء: ٥٩.

ثمّ برسوله ثمّ بأهل بيته، وكذلك ولايتهم مع ولاية الرّسول مقرونة بولايته، كما جعل سهمهم مع سهم الرسول ﷺ مقروناً بسهمه من الغنيمة والفيء، فتبارك الله وتعالى ما أعظم نعمته على أهل هذا البيت، فلمّا جاءت قصة الصدقة نزّه نفسه ورسوله وأهل بيته، فقال: ﴿إنّما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله...﴾[١]. فهل تجد في شيء من ذلك أنّه عزّوجلّ سمّى لنفسه أو لرسوله أو لذي القربى؟ لأنّه لمّا نزّه نفسه عن الصدقة ونزّه رسوله نزّه أهل بيته، لا بل حرّم عليهم، لأنّ الصدقة محرّمة على محمّد وآل محمّد، وهي أوساخ أيدي النّاس لا تحلّ لهم، لأنّهم طُهّروا من كلّ دنس ووسخ، فلمّا طهّرهم الله واصطفاهم رضي لهم ما رضي لنفسه، وكره لهم ما كره لنفسه عزّوجلّ.

وأمّا التاسعة: ﴿...فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾[٢]. فنحن أهل الذكر، فاسألوا إن كنتم لا تعلمون. فقالوا: إنّما عنى الله بذلك اليهود والنصارى. فقال: سبحان الله! وهل يجوز ذلك، إذن يدعوننا إلى دينهم، ويقولون: إنّه أفضل من دين الإسلام؟ فقال المأمون: فهل عندك شرح بخلاف ما قالوا؟ فقال عليه السلام: نعم. الذكر: رسول الله ﷺ، ونحن أهله، وذلك بيّن في كتاب الله عزّوجلّ حيث يقول في سورة الطلاق: ﴿...فاتّقوا الله يا أُولي الألباب الّذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكراً * رسولاً يتلو عليكم آيات الله مبيّنات...﴾[٣]. فالذّكر رسول الله ﷺ ونحن أهله.

---

(١) التوبة: ٦٠.

(٢) النحل: ٤٣، والأنبياء: ٧.

(٣) الطلاق: ١٠ ـ ١١.

وأمّا العاشرة: فقوله عزّوجلّ: ﴿حرّمت عليكم أمّهاتكم وبناتكم...﴾[١]. فأخبروني هل تصلح ابنتي، وابنة ابني، وما تناسل من صلبي للنّبيّ صلى الله عليه وآله أنّ يتزوّجها لو كان حيّاً؟ قالوا: لا. قال: فأخبروني هل كانت ابنة أحدكم تصلح له أن يتزوّجها لو كان حيّاً؟ قالوا: نعم. قال عليه السلام: ففي هذا بيان، لأنّي من آله ولستم أنتم من آله، ولو كنتم من آله لحرمت عليه بناتكم، كما حرم عليه بناتي.

وأمّا الحادية عشرة: فقوله عزّوجلّ حكاية عن قول رجل مؤمن من آل فرعون: ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربّي الله...﴾[٢]. كان ابن خال فرعون فنسبه إلى فرعون بنسبه، ولم يضفه إليه بدينه، وكذلك خصصنا نحن إذ كنّا من آل النّبيّ صلى الله عليه وآله بولادتنا منه، وعممنا النّاس بالدّين.

وأمّا الثانية عشرة: فقوله عزّوجلّ: ﴿وأمر أهلك بالصّلاة واصطبر عليها...﴾[٣]. فخصّنا الله تعالى بهذه الخصوصية، إذ أمرنا مع الأمّة بإقامة الصلاة، ثم خصّنا من دون الأمّة، فكان النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يجيء إلى باب علي وفاطمة عليهما السلام. بعد نزول هذه الآية تسعة أشهر، كلّ يوم عند حضور كلّ صلاة خمس مرّات، فيقول: «الصّلاة رحمكم الله». وما أكرم الله أحداً من ذراري الأنبياء بمثل هذه الكرامة التي أكرمنا بها، وخصّنا من دون جميع أهل ملّتهم. فقال المأمون والعلماء: جزاكم الله أهل بيت نبيّكم عن هذه الأمّة خيراً، فما نجد الشّرح والبيان في ما اشتبه علينا إلّا عندكم[٤].

---

(١) النساء: ٢٣.

(٢) غافر: ٢٨.

(٣) طه: ١٣٢.

(٤) عيون الاخبار للصدوق ١: ١٧٩ ح١.

وفي (تاريخ اليعقوبي): قال إسماعيل بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس: دخلت على أبي جعفر المنصور يوماً، وقد اخضلت لحيته بالدموع، فقال لي: ما علمت ما نزل بأهلك؟ فقلت: وما ذاك؟ قال: فإنّ سيّدهم وعالمهم، وبقيّة الأخيار منهم توفّي. فقلت: ومن هو؟ قال: جعفر بن محمّد. فقلت: أعظم الله أجرك. فقال لي: إنّ جعفراً كان ممّن قال الله فيه: ﴿ثمّ أورثنا الكتاب الّذين اصطفينا من عبادنا...﴾[1]. وكان ممّن اصطفى الله وكان من السابقين بالخيرات[2].

وفيه أيضاً: أنّ آخر ما نزل على النّبيّ صلى الله عليه وآله: ﴿...اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا...﴾[3]. وهي الرواية الصحيحة الثابتة الصريحة، وكان نزولها يوم النص على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام بغدير خم.

«وردوهم ورود الهيم العطاش» الأصل في الهيم: العطش، يقال: قوم هيم. أي: عطاش، ثم غلب على الإبل العطاش؛ قال تعالى: ﴿فشاربون شرب الهيم﴾[4]. وحينئذ فذكره عليه السلام (العطاش) بعد (الهيم) تأكيد.

روى المالكي في (فصوله): أنّ أبا ذر أخذ بحلقة باب الكعبة وقال: سمعت النّبي صلى الله عليه وآله يقول: اجعلوا أهل بيتي منكم مكان الرّأس، فإنّ الجسد لا يهتدي إلّا بالرّأس، ولا يهتدي الرأس إلّا بالعينين[5].

وروى أبو بصير ـ كما في (الارشاد) ـ قال: دخلت المدينة وكانت معي

---

(١) فاطر: ٣٢.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ٣٨٣.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢: ١١٢، والنقل بتلخيص، والآية ٣ من سورة المائدة.

(٤) الواقعة: ٥٥.

(٥) الفصول المهمة لابن الصباغ: ٢٦، والنقل بتقطيع.

جويرية لي فأصبت منها، ثمّ خرجت إلى الحمام، فلقيت أصحابنا الشيعة وهم متوجهون إلى جعفر بن محمّد عليهما السلام، فخفت أن يسبقوني ويفوتني الدخول إليه؛ فمشيت معهم حتّى دخلت الدّار، فلمّا مثلت بين يدي أبي عبد الله عليه السلام نظر إليّ، ثمّ قال: يا أبا بصير أما علمت أنّ بيوت الأنبياء وأولاد الأنبياء لا يدخلها الجنب؟ فاستحييت وقلت له: يابن رسول الله إنّي لقيت أصحابنا فخشيت أن يفوتني الدّخول معهم، ولن أعود إلى مثلها. وخرجت[1].

«أيّها الناس خذوها» أي: الجملة التي أقولها.

«من» هكذا في (المصرية)، والصواب: (عن) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)[2].

«خاتم النبيين صلّى الله عليه وآله وسلّم» لا عنّي.

«إنّه يموت من مات منّا وليس بميّت» روى الصفار وابن قولويه عن الصادق عليه السلام قال: ما من نبيّ ولا وصيّ يبقى في الأرض أكثر من ثلاثة أيّام، حتى يرفع بروحه وعظمه ولحمه إلى السماء، وإنّما يؤتى موضع آثارهم، ويبلغ بهم من بعيد السّلام، ويسمعونهم على آثارهم من قريب[3].

وقال شيخنا المفيد في (مقالاته): الأنبياء والأئمة عليهم السلام يحلّ بهم الموت، وخالفنا فيه المنتمون إلى التفويض، وطبقات الغلاة، وينقلون من تحت التراب، فيسكنون بأجسامهم وأرواحهم جنّة الله تعالى، فيكونون فيها أحياء يتنعمون إلى يوم القيامة، يستبشرون بمن يلحق بهم من صالحي أُممهم وشيعتهم، ويلقونه بالكرامات، وينتظرون من يرد عليهم من أمثال السابقين

(١) الارشاد للمفيد: ٢٧٣.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٣٠، لكن لفظ شرح ابن ميثم ٢: ٢٩٩ «من» أيضاً.

(٣) البصائر للصفار: ٤٦٥ ح٩، وكامل الزيارات لابن قولويه: ٣٢٩ ح٣.

في الديانات، وأنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة عليهم السلام لا يخفى عليهم بعد الوفاة أحوال شيعتهم في دار الدّنيا، بإعلام الله تعالى لهم ذلك حالاً بعد حال، ويسمعون كلام المناجي لهم في مشاهدهم المكرّمة العظام، بلطيفة من لطائف الله أبانهم بها من جمهور العباد، وتبلغهم المناجاة من بعيد كما جاءت به الرواية، وهذا مذهب فقهاء الامامية كافّة وحملة الآثار منهم، ولست أعرف فيه لمتكلّميهم من قبل مقالات، وبلغني عن بني نوبخت خلاف فيه، ولقيت جماعة من المقصّرين عن المعرفة ممّن ينتمي إلى الإمامية أيضاً يأبونه، وقد قال تعالى: ﴿ولا تحسبنّ الّذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربّهم يرزقون* فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالّذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألّا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[1]. وما يتلو هذا من كلام، وقال في قصّة مؤمن آل يس: ﴿قيل ادخل الجنّة قال يا ليت قومي يعلمون* بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين﴾[2]. وقال النّبيّ صلى الله عليه وآله: «من سلّم عليّ عند قبري سمعته، ومن سلّم عليّ من بعيد بلّغته»[3]. ثمّ الأخبار في تفصيل ما ذكرناه من الجملة عن أئمة آل محمّد عليهم السلام بما وصفناه نصّاً ولفظاً كثيرة، وليس هذا الكتاب موضع ذكرها[4].

«ويبلى من بلي منّا وليس يبال» من: بلي الثوب وأبلاه: جعله بالياً؛ قال العجاج:

والمرء يبليه بلاء السّربال ... كرّ الليالي واختلاف الأحوال

---

(١) آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧٠.

(٢) يس: ٢٦ ـ ٢٧.

(٣) رواه المفيد مجرداً في أوائل المقالات: ٨٥، والعيون والمحاسن عنه الفصول المختارة: ٩٥، وبفرق يسير مسنداً البيهقي في شعب الايمان عنه الجامع الصغير ٢: ١٧٥، وأبو علي الطوسي في أماليه ١: ١٦٩ المجلس ٦.

(٤) أوائل المقالات للمفيد: ٨٤، والنقل بتلخيص.

وعن النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في خبر عرض الأعمال عليه صلى الله عليه وآله وسلم، قالوا: وقد رممت يا رسول الله؟ فقال: إنّ الله تعالى حرّم لحومنا على الأرض أن تطعم منها شيئاً[1].

وفي (الفقيه) عن الصادق عليه السلام: أنّ الله عزّوجلّ حرّم عظامنا على الأرض، وحرّم لحومنا على الدّود أن يطعم منها شيئاً[2].

فيمكن حمل كلامه عليه السلام: «ويبلى من بلي منّا» على أنّه جرى على الظاهر، وأنّه لو فرض كونه بالياً في الظّاهر كباقي النّاس لم يكن ببال في الحقيقة، كما قال النّمري:

فإن يك أفنته الليالي فأوشكت فإنّ له ذكراً سيفني اللياليا

وقال آخر:

ردّت صنايعه عليه حياته فكأنّه من نشرها منشور

«فلا تقولوا بما لا تعرفون، فإنّ أكثر الحقّ في ما تنكرون» في (صفين نصر) تكلّم أصحابه عليه السلام بعد رفع المصاحف، فقال الحضين بن المنذر ـ وكان أحدثهم سنّاً ـ: إنّما بُني هذا الدّين على التسليم فلا تدفعوه بالقياس، ولا تهدموه بالشبهة فإنّا ـ والله ـ لولا أنّا لا نقبل إلّا ما نعرف لأصبح الحقّ في أيدينا قليلاً، ولو تركنا ما نهوى لكان الباطل في أيدينا كثيراً، وأنّ لنا رداعياً قد حمدنا ورده وصدره، وهو المأمون على ما قال، المأمون على ما فعل، فإن قال: لا. قلنا: وإن قال: نعم. قلنا: نعم[3].

وكيف لا يكون أكثر الحقّ في ما ينكر النّاس، وقد أنكر مثل موسى عليه السلام

---

(١) سنن النسائي ٣: ٩١، وسنن ابن ماجه ١: ٣٤٥ ح١٠٨٥، وغيرهما، والنقل بتصرف.

(٢) الفقيه للصدوق ١: ١٢١ ح٢٣.

(٣) وقعة صفين لابن مزاحم: ٤٨٥.

أفعال العبد الصالح: من خرق السفينة، وإقامة الجدار، وقتل الغلام[١]؟

«واعذروا» أي: اجعلوا معذوراً.

«من لا حجّة لكم عليه وأنا هو» فإنّه عليه السلام كان مؤيّداً من عند الله تعالى في كلّ فعل وقول، معلّماً من النّبيّ صلى الله عليه وآله في كلّ أمر، وهم كانوا أهل جهالة وبطالة.

وروى سبط ابن الجوزي في (تذكرته): أنّ الله تعالى قال لنبيّه صلى الله عليه وآله: وانصب أهل بيتك علماً للهداية، وأودع أسرارهم من سرّي بحيث لا يشكل عليهم دقيق، ولا يغيب عنهم خفي، واجعلهم حجّتي على بريّتي، والمنبّهين على قدري، والمطلعين على أسرار خزائني[٢].

وروى أيضاً عنه عليه السلام: أنّه ذكر نور النّبيّ صلى الله عليه وآله، ثمّ قال: ثمّ لم يزل ذلك النّور ينتقل فينا، ويتشعشع في غرائزنا، فنحن أنوار السماوات والأرض، وسفن النجاة، وفينا مكنون العلم، وإلينا مصير الأُمور، وبمهدينا تقطع الحجج، فهو خاتم الأئمة، ومنقذ الأُمّة، ومنتهى النّور، وغامض السرّ، فليهن من استمسك بعروتنا، وحشر على محبّتنا[٣].

٢٩
من الخطبة (١٤٨)

حَتَّى إذَا قَبَضَ ٱللّهُ رَسُولَهُ صلى الله عليه وآله رَجَعَ قَوْمٌ عَلى ٱلْأَعْقَابِ، وَغَالَتْهُمُ السُّبُلُ، وَٱتّكَلُوا عَلَى ٱلْوَلَائِجِ، وَوَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ، وَهَجَرُوا السَّبَبَ ٱلَّذِي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ، وَنَقَلُوا الْبِنَاءَ عَنْ رَصِّ أَسَاسِهِ، فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ. مَعَادِنُ كُلِّ خَطِيئَةٍ، وَأَبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ فِي غَمْرَةٍ. قَدْ مَارُوا فِي ٱلْحَيْرَةِ، وَذَهَلُوا فِي السَّكْرَةِ. عَلَى سُنَّةٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ، مِنْ مُنْقَطِعٍ

(١) جاءت قصّة موسى عليه السلام والعبد الصالح في الآيات ٦٠ ـ ٨٢ من سورة الكهف.

(٢ و ٣) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ١٢٩، ١٣٠ ضمن خطبة.

إِلَى ٱلدُّنْيَا رَاكِنٍ، أَوْ مُفَارِقٍ لِلدِّينِ مُبَايِنٍ.

«حتّى إذا قبض الله رسوله صلّى الله عليه وآله» فيه تصريح بما تقوله الإمامية، من ارتداد الناس بعد وفاة النّبيّ صلّى الله عليه وآله ارتداداً معنوياً، إلّا من عصم الله من شيعته المخلصين.

«رجع قوم على الأعقاب» ﴿...أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم...﴾[1].

قال أبو المقدام للباقر عليه السلام: إنّ العامّة يزعمون أنّ بيعة أبي بكر حيث اجتمع النّاس كانت رضى لله، وإنّ الله ما كان ليضلّ أُمّة محمّد من بعده. فقال عليه السلام: أوما تقرؤون كتاب الله؟ أوليس الله يقول: ﴿وما محمّد إلّا رسول قد خلت من قبله الرّسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً وسيجزي الشاكرين﴾[2]؟ فقلت له: إنّهم يفسّرونه على وجه آخر، ويقولون: كيف يمكن كفرهم بعد ايمانهم؟ فقال: أوليس الله عزّوجلّ قد أخبر عن الّذين من قبلهم من الأمم: أنّهم قد اختلفوا من بعد ما جاءتهم البيّنات، حيث قال: ﴿...وآتينا عيسى بن مريم البيّنات وأيّدناه بروح القدس ولو شاء اللّه ما اقتتل الّذين من بعدهم من بعدما جاءتهم البيّنات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكنّ الله يفعل ما يريد﴾[3]؟ وفي هذا ما يستدلّ به على أنّ أصحاب محمّد صلّى الله عليه وآله قد اختلفوا من بعده: فمنهم من آمن، ومنهم من كفر.

وفي (استيعاب ابن عبد البر) في عنوان بسر بن أرطاة: روى شعبة وسفيان الثوري عن المغيرة بن النّعمان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، قال: قال النّبيّ صلّى الله عليه وآله: إنّكم محشورون إلى الله عزّوجلّ عراة عزّلاً ـ فذكر

(١ و ٢) آل عمران: ١٤٤.

(٣) الكافي للكليني ٨: ٢٧٠ ح٣٩٨، والآية ٢٥٣ من سورة البقرة.

الحديث وفيه ـ: فأقول: يا رب أصحابي! فيقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنّ هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم[١].

وروى مسنداً عن أبي حازم عن سهل بن سعد، قال: قال النّبيّ ﷺ: إنّي فرطكم على الحوض، من مرّ عليّ يشرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً، وليردنّ عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم. قال أبو حازم: فسمعني النّعمان بن أبي عيّاش، فقال: هكذا سمعت من سهل؟ قلت: نعم. قال: فإنّي أشهد على أبي سعيد الخدري، سمعته وهو يزيد فيها: فأقول: إنّهم منّي. فيقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول: سحقاً سحقاً لمن غيّر بعدي[٢].

«وغالتهم السّبل» يقال: غاله: إذا أخذه من حيث لم يدر؛ قال حارثة في ابنه زيد بن حارثة لمّا ذهبت به بنو القين:

فوالله ما أدري وإن كنت سائلاً أغالك سهل الأرض أم غالك الجبل

وكلامه عليه السلام إشارة إلى قوله تعالى: ﴿...ولا تتّبعوا السّبل فتفرّق بكم عن سبيله...﴾[٣].

«واتّكلوا» أي: اعتمدوا.

«على الولائج» هكذا في النسخ[٤]، والظاهر وقوع سقط، وأنّ الأصل: «على غير الولائج». فوليجة الرّجل خاصته وبطانته، فيكون إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أم حسبتم أن تتركوا ولمّا يعلم الله الّذين جاهدوا منكم ولم يتّخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون﴾[٥].

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ١: ١٦٠.

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر ١: ١٥٩.

(٣) الأنعام: ١٥٣.

(٤) كذا في نهج البلاغة ٢: ٣٦، وشرح ابن أبي الحديد ٢: ٤١٧، وشرح ابن ميثم ٣: ٢١٦.

(٥) التوبة: ١٦.

ويحتمل أن يكون الأصل: «واتّكلوا على الولائج من دون الله».

«ووصلوا غير الرّحم» أي: غير رحم النّبي صلى الله عليه وآله، حيث تركوا أهل بيته وقطعوا رحمه التي أُمروا بوصلها، وقد قال تعالى: ﴿الّذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أُولئك هم الخاسرون﴾[1].

«وهجروا» أي: تركوا.

«السّبب» هكذا في النسخ[2]، ولا يبعد أن يكون محرّف (النّسب) بشهادة قوله:

«الّذي أُمروا بمودّته» قال تعالى: ﴿...قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى...﴾[3].

وقال ابن أبي الحديد: قوله عليه السلام: «وهجروا السّبب...»، إشارة إلى قول النّبيّ صلى الله عليه وآله: «خلّفت فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، حبلان ممدودان من السماء إلى الأرض، لا يفترقان حتّى يردا عليّ الحوض». فعبّر أمير المؤمنين عن أهل البيت بلفظ السّبب، لمّا كان النّبيّ صلى الله عليه وآله قال: «حبلان». والسّبب في اللغة: الحبل...[4]

«ونقلوا البناء عن رصّ أساسه» من إضافة الصفة مع كون المصدر بمعنى المفعول، أي: أساسه المرصوص، كما قال تعالى: ﴿...بنيان مرصوص﴾[5]. أي: ملصق بعضه ببعض.

---

(١) البقرة: ٢٧.

(٢) كذا في نهج البلاغة ٢: ٣٦، وشرح ابن أبي الحديد ٢: ٤١٧، وشرح ابن ميثم ٣: ٢١٦.

(٣) الشورى: ٢٣.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤١٧.

(٥) الصف: ٤.

«فبنوه في غير موضعه» وقال تعالى: ﴿ذريّة بعضها من بعض...﴾[1].

وقد سأل السّلطان سنجر بن ملكشاه السلجوقي الحكيم سنائي ـ الشاعر ـ عن مذهبه، فأجابه بقصيدة، وهي بالفارسية، ومنها هذه الأبيات:

از پی سلطان ملک شه چون نمیداری روا

تخت وتاج سلطنت جز آنکه سنجر داشتن

از پی سلطان دین از چه همی داری روا

جز عليّ و عترتش محراب و منبر داشتن[2]

وروى (أمالي الشيخ) في مجلسه العشرين عن عليّ بن الحسين عليه السلام في صلح عمّه عليه السلام قال: قال الحسن عليه السلام: إنّ معاوية بن صخر زعم أنّي رأيته للخلافة أهلاً، ولم أرَ نفسي لها أهلاً، كذب معاوية ايم الله، لأنّا أولى النّاس بالنّاس، في كتاب الله وعلى لسان رسوله، غير أنّا أهل البيت لم نزل مخوّفين، مظلومين، مضطهدين منذ قبض الله النّبيّ صلى الله عليه وآله، فالله بيننا وبين من ظلمنا حقّنا ونزل على رقابنا، وحمل النّاس على أكتافنا، ومنعنا سهمنا في كتاب الله، ومنع أُمّنا فاطمة إرثها. إنّا لا نسمّي أحداً، ولكن أقسم بالله، لو أنّ الناس سمعوا قول الله وقول رسوله، لأعطتهم السماء قطرها، والأرض بركتها، ولما اختلف في هذه الأُمّة سيفان، ولأكلوها خضراء إلى يوم القيامة، وما طمعت فيها يا معاوية. ولكن لمّا أخرجت سالفاً من معدنها، وزحزحت عن قواعدها، تنازعتها قريش بينها، وترامتها كترامي الكرة حتّى طمعت فيها أنت ـ يا معاوية ـ وأصحابك من بعدك. وقد قال النّبيّ صلى الله عليه وآله: ما ولّت أمّة أمرها رجلاً قط

---

(١) آل عمران: ٣٤.

(٢) ترجمة البيتين: إن كنت تأبى أن يخلف ملكشاه (أحد ملوك الدولة السلجوقية) في العرش والتاج سوى سنجر (خليفة ملكشاه) فكيف تصبر على أن يخلف سلطان الدين (النبيّ صلى الله عليه وآله) في المحراب والمنبر سوى علي وعترته عليهم السلام.

وفيهم من هو أعلم منه، لم يزل أمرهم سفالاً حتّى يرجعوا إلى ما تركوا؛ وقد تركت بنو إسرائيل -وكانوا أصحاب موسى- هارون أخاه وخليفته ووزيره، وعكفوا على العجل، وأطاعوا فيه سامريّهم وهم يعلمون أنّه خليفة موسى. وقد سمعت هذه الأمّة قول النّبيّ صلى الله عليه وآله لأبي: «إنّه منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي»، وقد رأوا النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حين نصّبه لهم بغدير خم، ونادى له بالولاية ثم أمرهم أن يبلغ الشاهد الغائب وقد خرج النبيّ صلى الله عليه وآله حذاراً من قومه إلى الغار، لمّا أجمعوا أن يمكروا به، لمّا لم يجد عليهم أعواناً، ولو وجد عليهم أعواناً لجاهدهم. وقد كفّ أبي وناشدهم، واستغاث أصحابه، فلم يغث، ولو وجد عليهم أعواناً ما أجابهم، وقد جعل في سعة كما جعل النّبيّ صلى الله عليه وآله في سعة، وقد خذلتني الأمّة فبايعتك يابن حرب، ولو وجدت عليك أعواناً ما بايعتك، وقد جعل الله هارون في سعة إذ استضعفه قومه، وكذلك أنا وأبي في سعة حين تركتنا الأمّة ...[1].

وروى الجوهري في (سقيفته) عن جرير عن المغيرة: أنّه لمّا بويع أبو بكر، قال سلمان: أصبتم الخير، ولكن أخطأتم المعدن[2].

وروى عن حبيب بن أبي ثابت، قال: قال سلمان يومئذ: أصبتم ذا السنّ منكم، ولكنكم أخطأتم أهل بيت نبيّكم، أما لو جعلتموها فيهم ما اختلف منكم اثنان، ولأكلتموها رغداً[3].

ورووا أيضاً عن سلمان، قال يومئذ: أصبتم وأخطأتم، أصبتم سنّة الأوّلين، وأخطأتم أهل بيت نبيّكم. وقال: ما أدري أنسيتم أم تناسيتم؟ أجهلتم أم تجاهلتم؟ وقال: والله، لو أعلم أنّي أعزّ لله ديناً، أو أمنع لله ضيماً

(١) الامالي للطوسي ٢: ١٧٨ المجلس ٣ ضمن حديث طويل.

(٢ و ٣) أخرجهما الجوهري في السقيفة: ٦٧. ولم يصرّح بكون الثاني رواية حبيب بن أبي ثابت.

لضربت بسيفي قدماً قدماً[١].

وروى إبراهيم الثقفي عن يحيى الحماني عن عمرو بن حريث عن حبيب بن أبي ثابت عن ثعلبة بن يزيد الحماني عن عليّ عليه السلام، قال: في ما عهد إلى النّبيّ الأُمّي صلى الله عليه وآله: أنّ الأمّة ستغدر بك[٢].

وفي (خلفاء ابن قتيبة): لمّا جاؤوا بعليّ إلى بيعة أبي بكر قال: «الله الله يا معشر المهاجرين، لا تخرجوا سلطان محمّد في العرب عن داره وقعر بيته إلى دوركم وقعور بيوتكم، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في النّاس وحقّه، فوالله ـ يا معشر المهاجرين ـ لنحن أحقّ النّاس به، لأنّا أهل البيت، ونحن أحقّ بهذا الأمر منكم ما كان فينا القارئ لكتاب الله، الفقيه في دين الله، العالم بسنن رسول الله، المضطلع بأمر الرّعيّة، المدافع عنهم الأُمور السّيئة، القاسم بينهم بالسّوية، والله إنّه لفينا. فلا تتّبعوا الهوى فتضلّوا عن سبيل الله، فتزدادوا من الحقّ بعداً». قال: فقال بشير بن سعد الأنصاري: لو كان هذا الكلام سمعته الأنصار منك يا عليّ قبل بيعتها لأبي بكر، ما اختلف عليك اثنان[٣].

وفيه: وخرج عليّ كرّم الله وجهه يحمل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله على دابة ليلاً في مجالس الأنصار، تسألهم النصرة، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرّجل، ولو أنّ زوجك وابن عمّك سبق إلينا قبل أبي بكر، ما عدلنا به. فيقول عليّ كرّم الله وجهه: أفكنت أدع رسول الله صلى الله عليه وآله في بيته لم أدفنه، وأخرج أُنازع الناس سلطانه؟ فقالت فاطمة: ما صنع أبو الحسن إلّا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم[٤].

---

(١) السقيفة لسليم بن قيس: ٩٠ بفرق يسير.

(٢) تاريخ الثقفي عنه تلخيص الشافي ٣: ٥٠، والجوهري في السقيفة: ٦٩.

(٣ و ٤) رواه ابن قتيبة في الإمامة والسياسة ١: ١٢.

وروى الطبراني عن الدّبري عن عبد الرّزاق عن أبيه عن مينا عن ابن مسعود قال: كنت مع النّبيّ صلى الله عليه وآله ليلة وفد الجنّ، فلمّا انصرف تنفس، قلت: ما شأنك يا رسول الله؟ قال: نعيت إليّ نفسي. قلت: فاستخلف. قال: من؟ قلت: أبو بكر. فسكت، ثمّ مضى ساعة ثمّ تنفّس. قلت: ما شأنك؟ قال: نعيت إليّ نفسي. قلت: فاستخلف. قال: من؟ قلت: عمر. فسكت، ثمّ مضى ساعة ثمّ تنفس، فقلت: ما شأنك؟ قال: نعيت إليّ نفسي. قلت: فاستخلف. قال: من؟ قلت: عليّ بن أبي طالب. قال: أما والّذي نفسي بيده لئن أطاعوه ليدخلنّ الجنّة أجمعين[1].

وروى أيضاً عن محمّد بن عبد الله الحضرمي، عن عليّ بن الحسين بن بردة العجلي الذّهبي، عن يحيى بن يعلى الأسلمي، عن حرب بن صبيح، عن سعيد بن مسلم، عن أبي مرّة الصنعاني، عن أبي عبد الله الجدلي، عن ابن مسعود قال: استتبعني رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة الجنّ -إلى أن قال- قال: وما أظن أجلي إلّا قد اقترب. قلت: يا رسول الله ألا تستخلف أبا بكر؟ فأعرض عنّي، فرأيت أنّه لم يوافقه، فقلت: يا رسول الله ألا تستخلف عمر؟ فأعرض عنّي، فرأيت أنّه لم يوافقه، فقلت: يا رسول الله ألا تستخلف عليّاً؟ قال: ذاك والذي لا إله غيره لو بايعتموه، وأطعتموه أدخلكم الجنّة أكتعين[2].

وإنّما طعن ابن الجوزي -لنصبه- في الخبر الأوّل بكون مينا في طريقه شيعياً، وأمّا الخبر الثاني فلم يطعن فيه كما صرّح به السيوطي[3].

«معادن كلّ خطيئة، وأبواب كلّ ضارب في غمرة» أي: شدّة، وغمرات الموت: شدائده؛ ولقد أقرّ معاوية ويزيد في جوابيهما لكتابي محمّد بن أبي بكر، وعبد الله بن عمر -لما طعنا فيهما بقتال أمير المؤمنين عليه السلام، وقتل سيّد

(١ و ٢) أخرجه الطبراني في معجمه عنه اللآلئ المصنوعة ١: ١٦٨.

(٣) اللآلئ المصنوعة ١: ١٦٨.

شباب أهل الجنّة ـ بأنّ أبويهما هما اللّذان أسسّا لهما الأمر، وهما تابعان لهما في أعمالهما، كما رواه نصر بن مزاحم، وأبو الفرج والمسعودي والبلاذري وغيرهم[١].

وروى (أغاني أبي الفرج) عن محمّد بن سهل صاحب الكميت: أنّه أنشد أبا عبد الله جعفر بن محمّد، فكثر البكاء حين أتى على هذا البيت:

يصيب به الرّامون عن قوس غيرهم فيا آخراً أسدى له الغيّ أوّل

ورفع أبو عبد الله يديه، وقال: اللهمّ اغفر للكميت ما قدّم وما أخّر، وما أسرّ وما أعلن، وأعطه حتّى يرضى[٢].

«قد ماروا» قال الجوهري: مار: أي تحرّك وجاء وذهب[٣].

«في الحيرة» أي: في التّحير.

«وذهلوا» أي: غفلوا.

«في السّكرة» فيكون مورهم أشدّ مور، وذهولهم أشدّ ذهول.

«على سنّة من آل فرعون» على سيرتهم وطريقتهم؛ فكما أنّ فرعون استخفّ قومه، وقال لهم: ﴿...أنا ربّكم الأعلى﴾[٤] فأطاعوه، قال لهم الثّاني: إنّ الأول صاحب نبيّكم في الغار، ورضيه في صلاته بكم لدينكم، فكيف لا ترضونه لدنياكم، ولا تبايعونه؟ فجعل أمر الخلافة أدون من إمام الجماعة،

---

(١) جواب معاوية لمحمد بن أبي بكر رواه نصر بن مزاحم في وقعة صفين: ١١٩، والمسعودي في مروج الذهب ٣: ١٢، والبلاذري في أنساب الاشراف ٢: ٣٩٦، ولم أجده عن أبي الفرج، لا في الأغاني ولا في المقاتل، وجواب يزيد لابن عمر رواه عن أنساب الأشراف ابن طاووس في الطرائف ١: ٢٤٧ ح٣٤٨، لكن لم يوجد في ترجمة الامام الحسين عليه السلام، ولا ترجمة يزيد من أنساب الأشراف.

(٢) الأغاني ١٧: ٢٤، والنقل بتصرف.

(٣) صحاح اللغة للجوهري ٢: ٨٢٠ مادة (مور).

(٤) النازعات: ٢٤.

مع أنّهم يجوّزون الصلاة خلف كلّ فاسق، مضافاً إلى ما في كونه صاحب الغار من العوار، وما في تقديمه للصّلاة من الشّنار، فهل حيرة فوق هذا، وهل سكرة أشدّ من هذا؟

«من منقطع إلى الدّنيا راكن» إليها ككثير من المهاجرين والأنصار الّذين أسلموا زمن النّبيّ صلى الله عليه وآله طوعاً، لكن بعده اتّبعوا الأوّل طمعاً أن ينالوا ثروة أو إمرة، ولم يبق مع أمير المؤمنين عليه السلام بعد النّبيّ صلى الله عليه وآله إلّا ثلاثة أو أربعة، وبعد شهرين صاروا سبعة، وهم الّذين صلّوا معه عليه السلام على سيّدة النساء صلوات الله عليها. وليس ذئبان ضاريان في غنم بأكثر فساداً من حبّ جاه الدّنيا ومالها للمرء المسلم في دينه.

«أو مفارق للدّين مبائن» أي: منفصل عن الدّين، كعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وخالد بن الوليد، وعكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو، وأبي سفيان، وإبنيه يزيد ومعاوية، ونظرائهم من المنافقين والمؤلّفة الذين أسلموا بعد غلبة الإسلام كرهاً، بأنّهم شدّوا أمر أبي بكر، فضلا عن أن بايعوه وتابعوه؛ قال الجاحظ في (بيانه:) قال الحسن بن عليّ لحبيب بن مسلمة: ربّ مسير لك في غير طاعة الله. فقال: أمّا مسيري إلى أبيك فلا. قال: بلى ولكنّك أطعت معاوية على دنيا قليلة، فلعمري لئن كان قام بك في دنياك لقد قعد بك في دينك، ولو أنّك إذ فعلت شرّاً قلت خيراً، كنت كما قال الله تعالى: ﴿...خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيّئاً...﴾[1]. ولكنّك كما قال تعالى: ﴿كلّا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾[2].

هذا، وقال ابن أبي الحديد بعد العنوان: فإن قلت: أليس الفصل صريحاً

---

(١) التوبة: ١٠٢.

(٢) البيان والتبيين للجاحظ ٢: ٩٩، والآية ١٤ من سورة المطففين.

في تحقيق مذهب الإمامية؟ قلت: لا، بل نحمله على أنّه عليه السلام عنى اعداءه الّذين حاربوه من قريش، وغيرهم من أفناء العرب في أيّام صفّين، وهم الّذين نقلوا البناء، وهجروا السّبب، ووصلوا غير الرحم، واتّكلوا على الولائج، وغالتهم السّبل، ورجعوا على الأعقاب، كعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومروان بن الحكم، والوليد بن عقبة، وحبيب بن مسلمة وبسر بن أرطاة، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وحوشب، وذوي الكلاع، وشرحبيل بن الصمت، وأبي الأعور السلمي، وغيرهم ممّن تقدّم، ذكرنا له في الفصول المتعلّقة بصفين، وأخبارها. فإنّ هؤلاء نقلوا الإمامة عنه إلى معاوية، فنقلوا البناء عن رصّ أصله إلى غير موضعه.

قال: فإن قلت: لفظ الفصل يشهد بخلاف ما تأوّلته، لأنّه عليه السلام قال: «حتّى إذا قبض اللّه رسوله رجع قوم على الأعقاب» فجعل رجوعهم على الأعقاب عقيب قبض الرّسول صلى الله عليه وآله، وما ذكرته أنت كان بعد قبض الرّسول صلى الله عليه وآله بنيّف وعشرين سنة. قلت: ليس يمتنع أن يكون هؤلاء المذكورون رجعوا على الأعقاب لمّا مات النّبيّ صلى الله عليه وآله، وأضمروا في أنفسهم مشاقّة أمير المؤمنين عليه السلام وأذاه، وقد كان فيهم من يتحكّك به في أيّام أبي بكر، وعمر، وعثمان، ويتعرّض له، ولم يكن أحد منهم ولا من غيرهم يقدم على ذلك في حياة النّبيّ صلى الله عليه وآله. ولا يمتنع أيضاً أن يريد برجوعهم على الأعقاب ارتدادهم عن الإسلام، فإنّ كثيراً من أصحابنا يطعنون في ايمان بعض من ذكرناه، ويعدّونهم من المنافقين، وقد كان سيف النّبيّ صلى الله عليه وآله يقمعهم ويردعهم عن إظهار ما في أنفسهم من النّفاق، فأظهر قوم منهم بعده ما كانوا يضمرونه من ذلك، خصوصاً فيما يتعلّق بأمير المؤمنين عليه السلام، الّذي ورد في حقّه: «ما كنّا نعرف المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا ببغض عليّ بن أبي طالب» وهو

خبر محقّق مذكور في الصّحاح[1].

قال: فإن قلت: يمنعك من هذا التأويل قوله: «ونقلوا البناء عن رصّ أساسه فجعلوه في غير موضعه». وذلك لأنّ (إذا) ظرف، والعامل فيها قوله: «رجع قوم على الأعقاب»، وقد عطف عليه قوله: «ونقلوا البناء». فإذا كان الرجوع على الأعقاب واقعاً في الظرف المذكور ـوهو وقت قبض الرّسول ـ وجب أن يكون نقل البناء الى غير موضعه واقعاً في ذلك الوقت أيضاً، لأنّ أحد الفعلين معطوف على الآخر، ولم ينقل أحد وقت قبض الرّسول صلى الله عليه وآله البناء إلى معاوية عن أمير المؤمنين عليه السلام، وإنّما نقل عنه إلى شخص آخر، وفي إعطاء العطف حقّه إثبات مذهب الإمامية صريحاً.

قلت: إذا كان الرّجوع على الأعقاب واقعاً وقت قبض النّبيّ صلى الله عليه وآله، فقد قمنا بما يجب من وجود عامل في الظّرف، ولا يجب أن يكون نقل البناء إلى غير موضعه واقعاً في تلك الحال أيضاً، بل يجوز أن يكون واقعاً في زمان آخر، إمّا بأن يكون الواو للاستيناف لا للعطف، أو بأن يكون للعطف في مطلق الحدث، لا في وقوع الحدث في عين ذلك الزّمان المخصوص، كقوله تعالى: ﴿...حتّى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيّفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقضّ فأقامه...﴾[2]. فالعامل في الظرف ﴿استطعما﴾ ويجب أن يكون استطعامهما وقت إتيانهما أهلها لا محالة، ولا يجب ان تكون جميع الأفعال المذكورة المعطوفة واقعة في حال الإتيان أيضاً، ألا ترى أنّ من جملتها ﴿فأقامه﴾ ولم يكن إقامة الجدار حال إتيانهما القرية، بل متراخياً عنه بزمان ما، اللهمّ إلّا أن يقول قائل: أشار بيده إلى الجدار، فقام، أو قال له: قم. فقام، لأنّه

---

(١) سنن الترمذي ٥: ٦٣٥ ح٣٧١٧ عن أبي سعيد الخدري.

(٢) الكهف: ٧٧.

لا يمكن أن يجعل إقامة الجدار مقارنة للإتيان إلّا على هذا الوجه، وهذا لم يكن، ولا قاله مفسّر. ولو كان قد وقع على هذا الوجه لما قال له: ﴿...لو شئت لاتّخذت عليه أجراً﴾؛ لأنّ الأجر إنّما يكون على احتمال عمل فيه مشقّة، وإنّما يكون فيه مشقّة إذا بناه بيده، وباشره بجوارحه وأعضائه.

قال: واعلم أنّا نحمل كلام أمير المؤمنين عليه السلام على ما يقتضيه سؤدده الجليل، ومنصبه العظيم، ودينه القويم، من الإغضاء عمّا سلف ممّن سلف، فقد كان صاحبهم بالمعروف برهة من الدهر. فإمّا أن يكون ما كانوا فيه حقّهم، أو حقّه، فتركه لهم رفعاً لنفسه عن المنازعة، أو لما رآه من المصلحة. وعلى أي التقديرين، فالواجب علينا أن نطبّق بين آخر أفعاله وأقواله بالنّسبة إليهم، وبين أوّلها، فإنّ بعد تأويل من يتأوّله من كلامه، فليس بأبعد من تأويل أهل التوحيد والعدل الآيات المتشابهة في القرآن، ولم يمنع بعدها من الخوض في تأويلها محافظة على الأصول المقرّرة، فكذلك هاهنا[1].

قلت: إنّما كان الأولى له أن يريح نفسه ويقول ـ ككثير من نصّابهم ـ إنّه وإن صرّح أنّ النّاس ارتدّوا بعد النّبيّ صلى الله عليه وآله إلّا أنّا لا نقبل قوله، وأنّا لا نقبل أقوال النّبيّ صلى الله عليه وآله فيه. فقد صرّح فاروقهم لمّا منع النّبي صلى الله عليه وآله من الوصيّة: بأنّه علم ما أضمر النّبيّ صلى الله عليه وآله من تعيينه لعليّ، إلّا أنّي منعته من ذلك، لأنّه لم يكن صلاح الأمّة، فكيف نقبل ما يقوله من نفسه ويدّعيه لنفسه، ولا يذكر هذه التأويلات التي توجب التهوّع، ولا يخرج في تطويلاته إلى كلام البلهاء، واصلاحه حال المتقدّمين عليه عليه السلام بتأويلاته كما قال الشاعر:

تروح إلى العطار تبغي شبابها وهل يصلح العطار ما أفسد الدّهر

وهل حمله قوله عليه السلام: «حتّى إذا قبض الله رسوله صلى الله عليه وآله رجع قوم على

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤١٨.

الأعقاب» على من ذكر من ابن العاص، والمغيرة، ومروان، وباقيهم يصحّح مذهبهم؟ وما يفعل بأمّ مؤمنيهم الّتي ولاؤها ـ عندهم كأبيها وصاحبه ـ جزء دينهم؟ فإنّها كانت السّبب الأعظم في تزلزل أمر أمير المؤمنين عليه السلام واستيلاء معاوية، وأمّا من سمّاه فكان الناس يعرفونهم بالنّفاق قديماً وحديثاً، ومن كان يعتني بهم، لولا عايشة في الجمل الّذي سبّب صفيّن والنهروان، حتّى انجرّ الأمر إلى ما انجرّ من خلافة معاوية؟

وإذا عدّ ابن الزبير فلِمَ لم يعدّ أباه حواريهم، وطلحة أحد عشرتهم وستّتهم وولاؤهما أيضاً عندهم ركن الدّين؟ وهما أيضاً كأميرة مؤمنيهم كانا العامل الأهم، والسبب الأعظم في تزلزل أمر أمير المؤمنين عليه السلام وانتقال السلطان إلى معاوية. فكتب معاوية الى سعيد بن العاص: «فقد أيّدتكم بأسد وتيم». مريداً بأسد الزبير وبتيم طلحة. فكان معاوية كتب إلى كلّ منهما: «أنّه أخذ البيعة بالشام له، ولصاحبه على أنّ الأمر للمقدّم، ثمّ لصاحبه من بعده». وكان كتب الى يعلى بن أميّة: «وقد كتبت إلى طلحة أن يلقاك بمكّة، حتّى يجتمع رأيكما على إظهار الدعوة، والطلب بدم عثمان». فكان معاوية لم ير نفسه أهلاً للقيام في قباله عليه السلام، حتّى يكتب الى طلحة والزبير: أنّه أحكم الأمر لهما حتّى يزلزلا أمره، فيتمكّن من القيام عليه.

ولِمَ عدّ المغيرة، ولم يعضد المغيرة معاوية وقت قيام أمير المؤمنين عليه السلام، بل عاضد أمير المؤمنين عليه السلام بنصحه على السياسة الدنيوية، بأن يكتب إلى معاوية بإقراره على عمله، ثمّ يعزله بعد استقرار أمره، وإن لم يقبل أمير المؤمنين عليه السلام ذلك منه على حسب وظيفته الدينية، فكان عليه السلام ملتزماً بالجري على حاق الشريعة. بخلاف صدّيقهم وفاروقهم، فإنّهما في قيامهما فزعا إلى المغيرة، لأن يرى لهما رأياً يستحكم به أمرهما، فرأى لهما أن يعرضا على العبّاس عمّ النّبيّ صلى الله عليه وآله تشريكه، تضعيفاً لأمر أمير المؤمنين؛

قال ابن قتيبة في (خلفائه) بعد ذكره إباء أمير المؤمنين عليه السلام عن بيعة أبي بكر: ثمّ خرج (أبو بكر) فأتى المغيرة بن شعبة. فقال: الرّأي يا أبا بكر أن تلقوا العبّاس، فتجعلوا له في هذه الإمرة نصيباً يكون له ولعقبه، وتكون لكما الحجّة على عليّ وبني هاشم، إذا كان العبّاس معكم. فانطلق أبو بكر وعمر وأبو عبيدة والمغيرة حتّى دخلوا على العبّاس[١].

والعبّاس وإن لم يقبل ذلك وأنكره وقال لأبي بكر ـ كما في (الخلفاء) أيضاً ـ: إن كنت برسول الله طلبت فحقنا أخذت، وإن كنت بالمؤمنين طلبت فنحن منهم متقدّمون فيهم، وإن كان هذا الأمر إنّما يجب لك بالمؤمنين فما وجب إذ كنّا كارهين، فأمّا ما بذلت لنا، فإن يكن حقّاً لك فلا حاجة لنا فيه، وإن يكن حقّاً للمؤمنين فليس لك أن تحكم عليهم، وإن كان حقّنا لم نرض عنك فيه ببعض دون بعض...[٢].

الا أنّ أصل تصدّي أبي بكر صار سبباً لانتقال الأمر إلى جبابرة بني العبّاس، كجبابرة بني أُمية، فلو كان ابن أبي الحديد قال: إنّ المغيرة صار دخيلاً في انتقال الأمر منه عليه السلام إلى أبي بكر، كان له وجه، وإلّا فإنّه أيّام ادعاء معاوية الأمر في قباله عليه السلام لم يحارب أمير المؤمنين عليه السلام ولا نصر معاوية، بل اعتزل لدهائه لينظر كيف يصير عاقبة الأمر، بل صرّح في أهل الجمل الطالبين بدم عثمان: أنّهم قتلته، وأنّ الحقّ معه عليه السلام[٣].

وكذلك عدّه سعيد بن العاص غلط، فإنّه مع كونه من بني أُمية منع معاوية من قيامه؛ فروى الزّبير بن بكار: أنّ معاوية كتب إليه: إنّ كتاب مروان ورد عليّ من ساعة وقعت النازلة، تقبل به البرد بسير المطيّ الوجيف تتوجس

(١ و ٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ١٥.

(٣) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ٦٣.

توجّس الحيّة الذكر خوف ضربة الفأس، وقبضة الحاوي، ومروان الرّائد لا يكذب أهله فعلامَ الافكاك يابن العاص؟ ولات حين مناص، ذلك أنّكم يا بني أُميّة عمّا قليل تسألون أدنى العيش من أبعد المسافة، فينكركم من كان منكم عارفاً، ويصدّ عنكم من كان لكم واصلاً، متفرّقين في الشعاب، تتمنون لمظة المعاش. إنّ أمير المؤمنين (يعني عثمان) عتب عليه فيكم، وقتل في سبيلكم، ففيم القعود عن نصرته، والطلب بدمه وأنتم بنو أبيه وذوو رحمه، وأقربوه وطلّاب ثأره؟ أصبحتم مستمسكين بشظف معاش زهيد عمّا قليل ينزع منكم عند التخاذل وضعف القوى، فإذا قرأت كتابي هذا فدبّ دبيب البرء في الجسد النحيف، وسر سير النجوم تحت الغمام، واحسد حسد الذّرة في الصيف لانحجارها في الصرد، فقد أيّدتكم بأسد وتيم -إلى أن قال- فكتب إليه سعيد: أمّا بعد، فإنّ الحزم في التثبّت والخطأ في العجلة، والشّؤم في البدار، والسّهم سهمك مالم ينبض به الوتر، ولن يرد الحالب في الضرع اللبن. ذكرت حق أمير المؤمنين علينا (أي عثمان) وقرابتنا منه، وأنّه قتل فينا، فخصلتان ذكرهما نقص والثالثة تكذب، وأمرتنا بطلب دم عثمان، فأيّ جهة تسلك -فيها أبا عبد الرحمن- ردمت الفجاج، وأُحكم الأمر عليك، وولّي زمامه غيرك؟ فدع مناواة من لو كان افترش فراشه صدر الأمر لم يعدل به غيره، وقلت: كأنّا عن قليل لا نتعارف؛ فهل نحن إلّا حي من قريش، إن لم تنلنا الولاية، لم يضق عنّا الحقّ؟ انّها خلافة منافية. وبالله أقسم قسماً مبروراً لئن صحّت عزيمتك على ما ورد به كتابك لألفينّك بين الحالبين طليحاً، وهبني أخالك بعد خوض الدّماء تنال الظفر، هل في ذلك عوض من ركوب المآثم، ونقص الدّين؟ أمّا أنا فلا على بني أُمية ولا لهم. أجعل الحزم داري، والبيت سجني، وأتوسد الإسلام، واستشعر العافية. فاعدل أبا عبد الرحمن زمام راحلتك إلى محجّة الحق، واستوهب العافية لأهلك، واستعطف النّاس على قومك، وهيهات من قبولك ما أقول حتّى

يفجّر مروان ينابيع الفتن تأجّج في البلاد، وكأنّي بكما عند ملاقاة الأبطال تعتذران بالقدر، ولبئس العاقبة الندامة، وعمّا قليل يضحّ لك الأمر[١].

والمغيرة أيضاً دعاه أمير المؤمنين عليه السلام إلى نصرته، فاعتذر بإرادته الاعتزال، لما علم أنّ أعداءه عليه السلام لا يخلّونه يصفو له الأمر؛ ففي (خلفاء ابن قتيبة): أنّ عليّاً عليه السلام قال للمغيرة: هل لك في الله؟ قال: فأين هو يا أمير المؤمنين؟ قال: تأخذ سيفك فتدخل معنا في هذا الأمر، فتدرك من سبقك، وتسبق من معك، فإنّي أرى أموراً لابدّ للسيوف أن تُشحذ لها وتقطف الرؤوس بها. فقال المغيرة: إنّي والله ـ يا أمير المؤمنين ـ ما رأيت عثمان مصيباً ولا قتله صواباً، وإنّها لظلمة تتلوها ظلمات، فأُريد يا أمير المؤمنين ـ إن أذنت لي ـ أن أضع سيفي وأنام في بيتي، حتّى تنجلي الظّلمة ويطلع قمرها، فنسري مبصرين نقفوا آثار المهتدين، ونتقي سبيل الجائرين. قال علي: قد أذنت لك، فكن من أمرك على ما بدا لك. فقام عمّار فقال: معاذ الله يا مغيرة! تقعد أعمى بعد أن كنت بصيراً، يغلبك من غلبته ويسبقك من سبقته؟ انظر ما ترى وما تفعل، فأمّا أنا فلا أكون إلّا في الرعيل الأوّل. فقال له المغيرة: يا أبا اليقظان إيّاك أن تكون كقاطع السلسلة، فرّ من الضّحل فوقع في الرّمضاء. فقال عليّ لعمّار: دعه فإنّه لن يأخذ من الآخرة إلّا ما خالطته الدّنيا، أما والله يا مغيرة إنّها المثوبة المؤدّية، تؤدّي من قام فيها إلى الجنّة ولما اختار بعدها، فإذا غشيناك فنم في بيتك. فقال المغيرة: أنت والله يا أمير المؤمنين أعلم منّي، ولئن لم أُقاتل معك لا أُعين عليك، فإن يكن ما فعلت صواباً فإيّاه أردت، وإن يكن خطأً فمنه

---

(١) كتاب معاوية الى سعيد رواه الزبير بن بكار في الموفقيات عنه شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٦١، شرح الخطبة ١٨٢، وجواب سعيد نقله في المصدر: ٥٦٣.

نجوت، ولي ذنوب كثيرة لا قِبل لي بها إلّا الاستغفار منها[١].

وإنّما طوّلت في الاستشهاد بالتاريخ ليظهر لك خبطه في التمثيل كالممثّل وإنّما المغيرة في مَن وممّن نقل البناء يوم السقيفة، كما مرّ، وقال الجوهري: سمعت ابن شبّه يحدّث رجلاً بحديث لم أحفظ أسناده: أنّ المغيرة مرّ بأبي بكر وعمر، وهما جالسان على باب النّبيّ صلى الله عليه وآله حين قبض، فقال: وما يُقعدكما؟ قالا: ننتظر هذا الرّجل يخرج فنبايعه ـ يعنيان علياً ـ فقال: أتريدون أن تنظروا خيل الحلبة من أهل هذا البيت، وشعوها في قريش تتّسع؟ فقاما إلى سقيفة بني ساعدة...[٢].

وممّا يوضّح ما قلنا من أنّ مراده عليه السلام برجوع قوم على الأعقاب عقيب وفاته صلى الله عليه وآله: ما قلناه من المنافقين والطلقاء، الذين هم شدّوا أمر أبي بكر يوم السقيفة، كما هو صريح الفصل ـ وتشكيكه الرّكيك لا أثر له ـ ما رواه الزّبير بن بكار في (موفقيّاته) عن ابن مخرمة عن إبراهيم بن سعد عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، قال: لمّا بويع أبو بكر واستقرّ أمره ندم قوم كثير من الأنصار على بيعته، ولام بعضهم بعضاً، وذكروا عليّ بن أبي طالب، وهتفوا باسمه، وإنّه في داره لم يخرج إليهم، وجزع لذلك المهاجرون وكثر في ذلك الكلام، وكان أشدّ قريش على الأنصار نفر منهم، وهم سهيل بن عمرو أحد بني عامر بن لؤي، والحرث بن هشام وعكرمة بن أبي جهل المخزوميان، وهؤلاء أشراف قريش الّذين حاربوا النّبيّ صلى الله عليه وآله ثم دخلوا في الاسلام، وكلّهم موتور قد وتره الأنصار، أمّا سهيل بن عمرو فأسره مالك بن الدّخشم يوم بدر، وأمّا الحرث بن هشام فضربه عروة بن عمرو فجرحه يوم بدر، وهو فارّ

(١) رواه ابن قتيبة في الإمامة والسياسة ١: ٥٠.

(٢) السقيفة للجوهري: ٦٧.

عن أخيه، وأمّا عكرمة بن أبي جهل فقتل أباه ابنا عفرة، وسلبه درعه يوم بدر زياد ابن لبيد، وفي أنفسهم ذلك.

فلمّا اعتزلت الأنصار تجمّع هؤلاء، فقام سهيل فقال: يا معشر قريش: إنّ هؤلاء القوم قد سمّاهم الله الأنصار، وأثنى عليهم في القرآن، فلهم بذلك حظّ عظيم وشأن غالب، وقد دعوا إلى أنفسهم وإلى عليّ بن أبي طالب، وعليّ في بيته لو شاء لردّهم، فادعوهم إلى صاحبكم وإلى تجديد بيعته، فإن أجابوكم وإلّا قاتلوهم. فوالله إني لأرجو الله أن ينصركم عليهم كما نُصرتم بهم.

ثمّ قام الحرث، فقال: إن يكن الأنصار تبوّأت الدّار والايمان من قبل، ونقلوا النّبيّ صلى الله عليه وآله إلى دورهم من دورنا فآووا ونصروا، ثمّ ما رضوا حتّى قاسمونا الأمور وكفونا العمل، فإنّهم قد لهجوا بأمرٍ إن ثبتوا عليه فانّهم قد خرجوا ممّا وسموا به، وليس بيننا وبينهم معاتبة إلّا السيف، وإن نزعوا عنه فقد فعلوا الأَولى بهم والمظنون معهم.

ثمّ قام عكرمة بن أبي جهل، فقال: والله لولا قول رسول الله: «الأئمّة من قريش» ما أنكرنا إمرة الأنصار، ولكانوا لها أهلاً، ولكنّه قول لا شك فيه ولا خيار، وقد عجّلت الأنصار علينا، والله ما قبضنا عليهم الأمر، ولا أخرجناهم من الشورى، وإنّ الّذي هم فيه من فلتات الأُمور ونزغات الشيطان، وما لا يبلغه المنى، ولا يحمله الأمل. اعذروا إلى القوم، فإن أبوا فقاتلوهم، فوالله لو لم يبق من قريش كلّها إلّا رجل واحد لصيّر الله هذا الأمر فيه.

وحضر أبو سفيان، فقال: يا معشر قريش إنّه ليس للأنصار أن يتفضّلوا على الناس حتّى يقرّوا بفضلنا عليهم، فإن يفعلوا فحسبنا حيث انتهى بنا، وإلّا فحسبهم حيث انتهى بهم، وايم الله لئن بطروا المعيشة وكفروا النّعمة لنضربنّهم على الاسلام كما ضربونا عليه. فأمّا عليّ بن أبي طالب، فأهل ـ والله ـ أن نسوّده على قريش وتطيعه الأنصار.

فلمّا بلغ الأنصار قول هؤلاء الرّهط، قام خطيبهم ثابت بن قيس بن شماس، فقال: يا معشر الأنصار إنّما كان يكبر عليكم هذا القول لو قاله أهل الدّين من قريش، فأمّا إذا كان من أهل الدّنيا، ولا سيما من أقوام كلّهم موتور، فلا يكبرنّ عليكم، إنّما الرّأي والقول مع الأخيار من المهاجرين، فإن تكلّمت رجال قريش الّذين هم أهل الآخرة مثل كلام هؤلاء، فعند ذلك قولوا ما أحببتم، وإلّا فامسكوا. وقال حسّان بن ثابت يذكر ذلك:

تنادى سهيل وابن حرب وحارث وعكرمة الشاني لنا ابن أبي جهل[1]

وقال أيضاً الزبير بن بكار: وكان خالد بن الوليد شيعة لأبي بكر ومن المنحرفين عن عليّ، فقام خطيباً. ثم نقل خطبته بطولها[2].

وقوله: «إنّ هؤلاء نقلوا الإمامة عنه إلى معاوية...» كلام مختل بلا محصّل، فإنّه عليه السلام كان عند جمهور المسلمين إماماً وخليفة، وعدم انقياد معاوية وكورة الشام له غير مضر، فكان في عصر أكثر الخلفاء خوارج كذلك، وإنّما كان عمرو بن العاص لمّا جعله معاوية حكماً، قال: إنّي خلعت عليّاً ونصبت معاوية. ولم يكن لفعله وقوله أثر، وإنّما كانت معاضدة هؤلاء لمعاوية سبباً لسلطنة معاوية بعده عليه السلام وعدم بقاء الخلافة لأهل بيته، وكما أن السبب لذلك فعل الأوّلين، فكانوا يقولون: هم قدّموه لنا. كما في كتاب معاوية إلى محمّد بن أبي بكر، ولابدّ أن يكونوا يقولون لهم: أنتم قدّمتموه لنا.

كما أنّ ما طوّله في معنى العطف وتمثيله بالآية تطويل بلا طائل، وشطط وغلط، فعطف كلامه عليه السلام بالواو، وعطف الآية بالفاء، وقد أجابوه عن ذلك.

وقوله: «إنّ الاستطعام كان وقت إتيان القرية لا إقامة الجدار إلّا أن يقول

(١ و ٢) الموفقيات للزبير بن بكار عنه شرح ابن أبي الحديد ٢: ٩، شرح الخطبة ٦٥.

قائل: أشار إلى الجدار فقام...»[1] كلام مضحك، فأيّ مانع أن نقول: كانت إقامة الجدار أيضاً وقت الإتيان؟ فهذه أُمور عرفيّة، فإنّ معنى الآية إنّ في وقت إتيان القرية عمل عملين: عمل أوّلاً الاستطعام، وعمل ثانياً إقامة الجدار، ولِمَ استدلّ على عدم إقامة الجدار بالإشارة باتخاذ الأُجر؟ فإنّه مجرّد فرض لا يحتاج في نفيه إلى استدلال، مع أنّه لو فرض وقوعه، أيّ مانع أن يقول له موسى: ﴿...لو شئت لاتّخذت عليه أجراً﴾[2] لأنّ إشارته لم تكن إشارة عادية بل من قبل الله، فكانت أعظم من عمل فيه مشقّة.

ولم ينحصر الشكاية من الأوّلين به عليه السلام، فشيعته كانوا مثله أيضاً؛ روى الجوهري في (سقيفته) عن محمّد بن قيس الأسدي عن معروف بن سويد قال: كنت بالمدينة أيّام بويع عثمان، فرأيت رجلاً في المسجد جالساً وهو يصفق بإحدى يديه على الأُخرى والناس حوله، ويقول: واعجبا من قريش واستئثارهم بهذا الأمر على أهل هذا البيت معادن الفضل، ونجوم الأرض، ونور البلاد! والله إنّ فيهم لرجلاً ما رأيت رجلاً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أولى منه بالحقّ، ولا أقضى بالعدل، ولا آمر بالمعروف، ولا أنهى عن المنكر، فسألت عنه، فقيل: هذا مقداد. فتقدّمت إليه، وقلت: أصلحك الله، من الرّجل الذي تذكره؟ فقال: ابن عمّ نبيّك رسول الله صلى الله عليه وآله عليّ بن أبي طالب. قال: فلبثت ما شاء الله، ثمّ إنّي لقيت أبا ذر فحدّثته ما قال مقداد، فقال: صدق. قلت: فما يمنعكم أن تجعلوا هذا الأمر فيهم؟ قال: أبى ذلك قومهم...[3].

وأمّا قول ابن أبي الحديد: «واعلم أنّا نحمل كلام أمير المؤمنين عليه السلام

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤١٨.

(٢) الكهف: ٧٧.

(٣) السقيفة للجوهري: ٨١.

على ما يقتضيه سؤدده الجليل، ومنصبه العظيم، ودينه القويم، من الإغضاء عمّا سلف»[١]. فإنّما الإغضاء عمّا سلف لمن رجع أخيراً، وجبر ما جرح أوّلاً، وأمير المؤمنين عليه السلام ليس عمله خلاف قول الله تعالى ورضاه، والله تعالى لا يرضى إلّا عمّن تاب وأناب، لا من أذنب وألّب، ولم يكن ذلك إليه عليه السلام، كما لم يكن إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فقال تعالى له: ﴿...إنْ تستغفر لهم سبعين مرّة فلن يغفر الله لهم...﴾[٢]. وكيف يعفو الله تعالى عمّن صار سبباً لجميع الفتن والأحداث التي حدثت في الإسلام، والأحداث التي تحدث إلى يوم القيامة؟ وكيف يقول: عفا أمير المؤمنين عليه السلام، وقد كان يتظلّم إلى حال احتضاره، ولم يستقرّ به المنبر في أيّامه إلّا كان يتظلّم؟

وقول ابن أبي الحديد: «فالواجب علينا أن نطبّق بين آخر أفعاله وأقواله بالنسبة إليهم، وبين أوّلها»[٣] لا يغني عنه من الله شيئاً؛ وروى إبراهيم الثقفي أنّ عبد الرحمن بن أبي ليلى قال لأمير المؤمنين عليه السلام: إنّا كنّا نقول: لو رجعت إليكم بعد النّبيّ صلى الله عليه وآله لم ينازعكم فيها أحد. والله ما أدري ما أقول إذا سئلت، أزعم أنّ القوم كانوا أحقّ بما كانوا فيه منك، فعلام نصبك النّبيّ صلى الله عليه وآله بعد حجّة الوداع، وقال: «أيّها النّاس من كنت مولاه فعليّ مولاه»؟ وإن قلت: أنت أولى منهم بما كانوا فيه، فعلام نتولّاهم؟ فقال عليه السلام: يا عبد الرّحمن إنّ الله تعالى قبض نبيّه، وأنا يوم قبضه أولى بالناس منّي بقميصي هذا، وقد كان من النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إليّ عهد لو خزموني بأنفي لأقررت سمعاً لله وطاعة؛ وإنّ أوّل ما انتقصنا بعد النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إبطال حقّنا في الخمس، فلمّا رقّ أمرنا طمعت رعيان

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤١٨.

(٢) التوبة: ٨٠.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤١٨.

البهم من قريش فينا ـ إلى أن قال ـ وإنّما يعرف الهدى بقلّة من يأخذه من النّاس، فإذا سكت فاعفوني فإذا جاء أمر تحتاجون فيه إلى الجواب أجبتكم، فكفّوا عنّي ما كففت عنكم. فقال عبد الرّحمن: فأنت يا أمير المؤمنين كما قال الأوّل:

لعمري لقد أيقظت من كان نائماً وأسمعت من كانت له أذنان[١]

وأمّا قوله: «وقد كان صاحبهم بالمعروف برهة من الدّهر». فيقال له: إنّما كانت مصاحبتهم بالمعروف بعد إتمام الحجّة عليهم يوم تمكّن من المحاجة، كيوم السقيفة يوم أبي بكر، ويوم الشورى يوم عثمان، وأمّا يوم عمر فلم يمكنه التكلّم، لأنّه كانت سلطنته مستقرة فوّضها أبو بكر إلى عمر، والإمام كالكعبة يؤتى ولا يأتي، ولم يكن له عليه السلام رغبة في السلطنة من حيث السلطنة، بل كان يريدها لإقامة الحق، كما صرّح عليه السلام بذلك في الشقشقية[٢]، ولم يكن عليه السلام مثل أولئك الذين صاروا عاراً على الاسلام بتركهم جنازة نبيّهم بلا تجهيز، ومنازعتهم على الرياسة، وجعلهم تسلية أهل بيته إحضار النّار لإحراقهم.

وأمّا قول ابن أبي الحديد: «إنّ بعد تأويل ما نتأوّله من كلامه فليس بأبعد من تأويل أهل التوحيد والعدل الآيات المتشابهة»[٣] فيقال له: بل بينهما بعد المشرقين، لأنّ كلامه عليه السلام ليس بمتشابه، بل كالآيات المحكمات، مع أنّ كثيراً من المتشابهات ـ كقوله تعالى: ﴿...يد الله فوق أيديهم...﴾[٤]، وكقوله جلّ

---

(١) نقله عنه المفيد في أماليه: ٢٢٢ المجلس ٢٦.

(٢) رواه الشريف الرضي في نهج البلاغة ١: ٣٠ الخطبة ٣.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤١٨.

(٤) الفتح: ١٠.

وعلا: ﴿ويبقى وجه ربّك ذو الجلال والاكرام﴾[١]ـ أهل العرف يفهمون أنّها استعارات، وأنّ ظاهرها غير مراد. وأمّا القول بأنّ أمير المؤمنين عليه السلام رضي عن الثلاثة، وأمضى أفعالهم، وصحّح نتايج أعمالهم، فليس بأبعد من أن يقال: إنّ الجمع بين عبادة الله، وعبادة الأصنام والأوثان غير ضائر. ومن أن يقال: إنّ موسى عليه السلام لم يكن مخالفاً لفرعون، وإنّ محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن منكراً لأبي جهل. وإن كان إخواننا يلتزمون بالجمع بين الضّدّين؛ ففي (الاستيعاب) رأى عمرو بن شرحبيل في النّوم عمّاراً وأصحابه في روضة، وذا ظليم وذا الكلاع في روضة. فقيل: وكيف، وقد قتل بعضهم بعضاً؟ فقال: وجدوا الله واسع المغفرة[٢].

ولعمري إنّ هذا دين حنيفة التي أكلت ربها عام المجاعة، لا الدّين الحنيف الذي أمر الله عباده باتّباعه ومدح أتباعه.

٣٠
من الخطبة (١٨٨)

ٱلْزَمُوا ٱلْأَرْضَ، وَٱصْبِرُوا عَلَى ٱلْبَلَاءِ، وَلَا تُحَرِّكُوا بِأَيْدِيكُمْ وَسُيُوفِكُمْ فِي هَوَى أَلْسِنَتِكُمْ، وَلَا تَسْتَعْجِلُوا بِمَا لَمْ يُعَجِّلْهُ ٱللّٰهُ لَكُمْ. فَإِنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ عَلَى فِرَاشِهِ وَهُوَ عَلَى مَعْرِفَةِ حَقِّ رَبِّهِ وَحَقِّ رَسُولِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ مَاتَ شَهِيداً، وَوَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى ٱللّٰهِ، وَٱسْتَوْجَبَ ثَوَابَ مَانَوَى مِنْ صَالِحِ عَمَلِهِ، وَقَامَتِ ٱلنِّيَّةُ مَقَامَ إِصْلَاتِهِ لِسَيْفِهِ، وَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ مُدَّةً وَأَجَلاً.

«الزموا الأرض واصبروا على البلاء» قال ابن أبي الحديد: أمر أصحابه أن

(١) الرحمن: ٢٧.

(٢) رواه ابن عبد البر في الاستيعاب ١: ٤٨٧، والنقل بالمعنى.

يثبتوا ولا يعجلوا في محاربة من كان مخالطاً لهم من ذوي العقائد الفاسدة، كالخوارج ومن كان يبطن هوى معاوية، وليس خطابه هذا تثبيطاً لهم عن حرب أهل الشام، كيف، وهو لا يزال يقرعهم ويوبّخهم عن التقاعد والابطاء في ذلك؟ ولكنْ قوم من خاصّته كانوا يطلعون على ما عند قوم من أهل الكوفة، ويعرفون نفاقهم وفسادهم، ويرومون قتلهم وقتالهم، فنهاهم عن ذلك، وكان يخاف فرقة جنده وانتشار حبل عسكره، فأمرهم بلزوم الأرض والصبر على البلاء[١].

وقال ابن ميثم: الخطاب خاص بمن يكون بعده بدلالة سياق الكلام، ولزوم الأرض كنايةٌ عن الصبر في مواطنهم، وقعودهم عن النّهوض بجهاد الظالمين في زمن عدم قيام الإمام بالحقّ بعده[٢].

وقال الخوئي: الأظهر ما قاله ابن أبي الحديد[٣].

قلت: بل الصواب ما قاله ابن ميثم، كما يشهد له أخبار أهل بيته؛ فروى أنّ عبد الحميد الواسطي قال للباقر عليه السلام: لقد تركنا أسواقنا انتظاراً لهذا الأمر. فقال عليه السلام: أترى من حبس نفسه على الله عزّوجلّ لا يجعل الله له مخرجاً؟ بلى والله ليجعلنّ له مخرجاً. رحم الله عبداً حبس نفسه علينا، رحم الله عبداً أحيا أمرنا[٤].

«ولا تحرّكوا بأيديكم وسيوفكم في هوى» هكذا في (المصرية)، والصواب: (وهوى) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٥].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٢٠.

(٢) شرح ابن ميثم ٤: ٢١٠.

(٣) شرح الخوئي ٥: ٢٠٦.

(٤) كمال الدين للصدوق: ٦٤٤ ح ٢، والمحاسن للبرقي: ١٧٣ ح ١٤٨ في صدر حديث.

(٥) لفظ شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢١٩، وشرح ابن ميثم ٤: ٢٠٢ مثل المصرية أيضاً.

«ألسنتكم» روى النعماني في (غيبته) عن أبي الجارود، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أوصني. فقال: أُوصيك بتقوى الله، وأن تلزم بيتك، وتقعد في دهماء هؤلاء النّاس، وإيّاك والخوارج منّا فإنّهم ليسوا على شيء، ولا إلى شيء، واعلم أنّ لبني أُميّة ملكاً لا يستطيع الناس أن تردعه، وأنّ لأهل الحقّ دولة إذا جاءت ولّاها الله من يشاء منّا أهل البيت، من أدركها منكم كان عندنا في السّنام الأعلى، وإن قبضه الله قبل ذلك جازله...[١].

«ولا تستعجلوا بما لم يعجّله الله لكم» روى النّعماني عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه...﴾[٢] قال: هو أمرنا أمر الله عزّوجلّ لا يستعجل به، يؤيّده ثلاثة أجناد: الملائكة والمؤمنون والرّعب، وخروجه عليه السلام كخروج النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك قوله تعالى: ﴿كما أخرجك ربّك من بيتك بالحق...﴾[٣].

وعنه عليه السلام قال لمّا قيل له: متى هذا الأمر؟ ـ كذب المتمنّون، وهلك المستعجلون، ونجا المسلّمون، وإلينا تصيرون[٤].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: مثل من خرج منّا أهل البيت قبل قيام القائم مثل فرخ طار ووقع من وكره، فتلاعبت به الصّبيان[٥].

وروى ابن بابويه في (معانيه) عن الرّضا عليه السلام في تفسير قول جدّه الصادق عليه السلام في خروج إبراهيم بن عبد الله بن الحسن: «اتقوا الله، واسكنوا ما

---

(١) الغيبة للنعماني: ١٢٩، ١٣٢.

(٢) النحل: ١.

(٣) الغيبة للنعماني: ١٣٢، والآية ٥ من سورة الأنفال.

(٤) الغيبة للنعماني: ١٣١.

(٥) الغيبة للنعماني: ١٣٣ في ذيل حديث.

سكنت السماء والأرض». يعني: ما سكنت السماء من النّداء باسم صاحبك (أي: القائم عليه السلام)، وما سكنت الأرض من الخسف بالجيش[١].

«فإنّه من مات منكم على فراشه وهو على معرفة حقّ ربّه وحقّ رسوله وأهل بيته مات شهيداً، ووقع أجره على الله» روى النّعماني في (غيبته) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من مات منكم على هذا الأمر منتظراً، كان كمن هو في الفسطاط الّذي للقائم عليه السلام[٢].

وعنه عليه السلام: من سرّه أن يكون من أصحاب القائم عليه السلام فلينتظر، وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر، فإن مات وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل أجر من أدركه...[٣].

«واستوجب ثواب ما نوى من صالح عمله» روى النّعماني في (غيبته) عن حمران بن أعين قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: اعرف إمامك، فإذا عرفته لم يضرّك تقدّم هذا الأمر أم تأخّر، فإنّه عزّوجلّ يقول: ﴿يوم ندعو كلّ أناس بإمامهم...﴾[٤] فمن عرف إمامه كان كمن هو في فسطاطه (أي: القائم) عليه السلام[٥].

وروى (محاسن البرقي) عن أبي عروة السلمي عن الصادق عليه السلام: أنّ الله يحشر النّاس على نيّاتهم يوم القيامة[٦].

وعن أبي عثمان العبدي عنه عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام قال النّبيّ صلى الله عليه وآله: لا قول إلّا بعمل، ولا قول ولا عمل إلّا بنيّة، ولا قول ولا عمل ولا نيّة

---

(١) معاني الأخبار للصدوق: ٢٦٦ ح١.

(٢) الغيبة للنعماني: ١٣٣.

(٣) الغيبة للنعماني: ١٣٤.

(٤) الاسراء: ٧١.

(٥) الغيبة للنعماني: ٢٣٠.

(٦) المحاسن للبرقي: ٢٦٢ ح٣٢٥.

إلّا بإصابة السنة[١].

وروى عنه عليه السلام: أنّ العبد المؤمن الفقير ليقول: يا رب ارزقني حتّى أفعل كذا وكذا من البرّ ووجوه الخير. فإذا علم الله ذلك منه بصدق نيّته كتب الله له من الأجر مثل ما يكتب له لو عمله، إنّ الله واسع كريم[٢].

وروى (العلل) عن زيد الشحّام قال للصادق عليه السلام: سمعتك تقول: نيّة المؤمن خير من عمله. فكيف تكون النيّة خيراً من العمل؟ قال: لأنّ العمل ربما كان رياءً للمخلوقين، والنيّة خالصة لربّ العالمين، فيعطي عزّوجلّ على النيّة ما لا يعطي على العمل، وأنّ العبد لينوي من نهاره أن يصلّي بالليل فتغلبه عينه فينام، فيثبت الله له صلاته، ويكتب نفسه تسبيحاً ويجعل نومه عليه صدقة[٣].

وروى عن أبي جعفر عليه السلام: نيّة المؤمن أفضل من عمله، وذلك لأنّه ينوي من الخير ما لا يدركه، ونيّة الكافر شرّ من عمله، وذلك لأنّ الكافر ينوي الشرّ ويأمل من الشرّ ما لا يدركه[٤].

«وقامت النّية مقام إصلاته لسيفه» أي: إخراجه من غمده؛ روى النعماني: أنّ أبا بصير قال لأبي عبد الله عليه السلام: أتراني أدرك القائم عليه السلام؟ فقال: يا أبا بصير ألست تعرف إمامك؟ فقال: بلى والله، وأنت هو. فقال: والله ما تبالي يا أبا بصير أن لا تكون محتبياً بسيفك في ظل رواق القائم عليه السلام[٥].

وروى (الكافي) عن الصادق عليه السلام قال: إنّما خُلّد أهل النّار في النار، لأنّ

(١) المحاسن للبرقي: ٢٢١ ح ١٣٤، والكافي ١: ٧٠ ح ٩، والبصائر للصفّار: ٣١ ح ٤، والمقنعة للمفيد: ٤٨، والتهذيب ٤: ١٨٦ ح ٣.

(٢) المحاسن للبرقي: ٢٦١ ح ٣٢٠، والكافي للكليني ٢: ٨٥ ح ٣.

(٣) علل الشرائع للصدوق: ٥٢٤ ح ١.

(٤) علل الشرائع للصدوق: ٥٢٤ ح ٢.

(٥) الغيبة للنعماني: ٢٣٠.

نيّاتهم كانت في الدّنيا أن لو خُلّدوا فيها أن يعصوا الله أبداً، وإنّما خُلّد أهل الجنّة في الجنّة، لأنّ نيّاتهم كانت في الدّنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً، فبالنيّات خُلّد هؤلاء وهؤلاء. ثمّ تلا قوله تعالى: ﴿قل كلٌّ يعمل على شاكلته...﴾[١]. قال: على نيّته[٢].

«وأنّ لكلّ شيءٍ مدّةً وأجلاً» أي: وقتاً، فما دام لم تنقض مدّته لا يحصل ذاك الشيء.

وفي حديث (الصحيفة السّجادية) المذكور في سندها، قال المتوكّل بن هارون: قال لي الصادق عليه السلام: كيف قال لك يحيى بن زيد: إنّ عمّي محمّد بن عليّ وابنه جعفر دعوا النّاس إلى الحياة، ونحن دعوناهم إلى الموت؟ قلت: نعم، قد قال لي ابن عمّك يحيى ذلك ـ إلى أن قال ـ قال أبو عبد الله عليه السلام: فأطلع الله نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم: أنّ بني أُميّة تملك سلطان هذه الأُمّة طول هذه المدّة، فلو طاولتهم الجبال لطالوا عليها، حتّى يأذن الله تعالى بزوال ملكهم ـ إلى أن قال ـ ثمّ قال عليه السلام: ما خرج منّا، ولا يخرج منّا إلى قيام قائمنا أحد ليدفع ظلماً أو ينعش حقّاً إلّا اصطلمته البليّة، وكان قيامه زيادة في مكروهنا ومكروه شيعتنا[٣].

٣١
من الخطبة (١٨٠)

منها:

قَدْ لَبِسَ لِلْحِكْمَةِ جُنَّتَها، وَأَخَذَها بِجَمِيعِ أَدَبِـهَا، مِـنَ الإِقْـبالِ عَـلَيْهَا، وَالْمَعْرِفَةِ بِهَا، وَالتَّفَرُّغِ لَهَا؛ وَهِي عِنْدَ نَفْسِهِ ضالَّتُهُ الَّتِي يَطْلُبُها، وَحاجَتُهُ

(١) الاسراء: ٨٣.

(٢) الكافي للكليني ٢: ٨٥ ح ٥.

(٣) الصحيفة السجادية: ١٤، المقدمة.

الَّتِي يَسْأَلُ عَنْها، فَهُوَ مُغْتَرِبٌ إذَا اغْتَرَبَ الإسْلَامُ، وَضَرَبَ بِعَسِيبِ ذَنَبِهِ، وَأَلْصَقَ الأَرْضَ بِجِرَانِهِ، بَقِيَّةٌ مِنْ بَقَايَا حُجَجِهِ، خَلِيفَةٌ مِنْ خَلَائِفِ أَنْبِيائِهِ.

أقول: قال ابن أبي الحديد: هذا الكلام فسّره كلّ طائفة على حسب اعتقادها، فالإماميّة تزعم أنّ المراد به المهدي المنتظر عندهم، والصوفية يزعمون أنّه يعني به ولي الله في الأرض، وعندهم أنّ الدّنيا لا تخلو عن الأبدال وهم أربعون، وعن الأوتاد وهم سبعة، وعن القطب وهو واحد، فإذا مات القطب صار أحد السبعة قطباً عوضه، وصار أحد الأربعين وتداً عوض ذاك الوتد، وصار بعض الأولياء الّذين يصطفيهم الله تعالى بدلاً بدل ذلك البدل.

وأصحابنا يزعمون أنّ الله تعالى لا يخلي الأمّة من جماعة المؤمنين العلماء بالعدل والتوحيد، وأنّ الإجماع إنّما يكون حجّة باعتبار أقوال أولئك العلماء، لكن لمّا تعذّرت معرفتهم بأعيانهم اعتبر إجماع سائر العلماء، وإنّما الأصل قول أولئك، قالوا: وكلام أمير المؤمنين عليه السلام ليس يشير فيه إلى جماعة أولئك العلماء من حيث هم جماعة، ولكنّه يصف حال كلّ واحد منهم، فيقول: من صفته كذا ومن صفته كذا، والفلاسفة يزعمون أنّ مراده عليه السلام بهذا الكلام العارف، ولهم في العرفان، وفي صفات أربابه كلام يعرفه من له أنس بأقوالهم، وليس يبعد عندي أن يريد عليه السلام به القائم من آل محمّد صلى الله عليه وآله في آخر الوقت إذا خلقه الله تعالى، وإن لم يكن الآن موجوداً فليس في الكلام ما يدلّ على وجوده الآن، وقد وقع اتفاق الفرق من المسلمين أجمعين على أنّ الدّنيا والتكليف لا ينقضي إلّا عليه[1].

قلت: إنّ كلّ طائفة وإن فسّرت كلامه عليه السلام على حسب اعتقادها إلّا أنّ

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥١٥.

المتّبع ما شفّع بالبرهان، وهو قول الامامية: أمّا أصله فقد أقرّ باتّفاق فرق المسلمين عليه، وأمّا فرعه وهو كونه موجوداً الآن؟ فيدلّ عليه كلامه عليه السلام المتواتر عنه لكميل المذكور في النّهج: «اللّهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجّة، إمّا ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً، لئلّا تبطل حجج الله وبيّناته»[1] كما اعترف به ثمّة[2]، وأمّا قول الصوفية والمعتزلة والفلاسفة فسبحانه، ولهم ما يشتهون.

«قد لبس للحكمة جنّتها» في (الصحاح): الجنّة بالضّم: ما استترت به من سلاح[3]، ويكفي في شرافة الحكمة قوله تعالى: ﴿...ومن يؤت الحكمة فقد أُوتي خيراً كثيراً...﴾[4].

«وأخذها بجميع أدبها» أي: شرائطها وآدابها.

«من الإقبال عليها، والمعرفة بها والتّفرّغ» عن الشواغل.

«لها» لأهميتها؛ وروي القمي في تفسير قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله...﴾[5] عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: أما والله ما أُوتي لقمان الحكمة بحسب ولا مال ولا أهل ولا بسط في جسم ولا جمال، ولكنّه كان رجلاً قويّاً في أمر الله، متورّعاً في الله ساكتاً سكّيتاً عميق النظر، طويل الفكر، حديد النّظر، مستعبراً بالعبر، لم ينم نهاراً قط، ولم يره أحد من الناس على بول ولا غائط، ولا اغتسال لشدّة تستّره وتحفّظه في أمره، ولم يضحك من شيء قط مخافة الإثم، ولم يغضب قط، ولم يمازح إنساناً قط، ولم يفرح بشيء من أمر

---

(١) نهج البلاغة ٤: ٣٧ الحكمة ١٤٧.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٤٠: ٣١٣ شرح الحكمة ١٤٧.

(٣) صحاح اللغة ٥: ٢٠٩٤ مادة (جن).

(٤) البقرة: ٢٦٩.

(٥) لقمان: ١٢.

الدّنيا أتاه، ولا حزن منها على شيء قط، وقد نكح من النّساء، وولد له من الأولاد الكثير، وقدّم أكثرهم افراطاً، فما بكى على أحد منهم، ولم يمرّ برجلين يختصمان أو يقتتلان إلّا أصلح بينهما، ولم يمض عنهما حتّى يتحاجزا، ولم يسمع قولاً قط من أحد استحسنه إلّا سأل عن تفسيره، وعمّن أخذه، وكان يكثر مجالسة الفقهاء والحكماء، وكان يغشى القضاة والملوك والسلاطين. فيرثي للقضاة بما ابتلوا به، ويرحم الملوك والسلاطين لغرّتهم بالله، واطمينانهم في ذلك، ويعتبر ما يغلب به نفسه، ويجاهد به هواه، ويحترز به من الشيطان.

فكان يداوي قلبه بالفكر، ويداوي نفسه بالعبر، وكان لا يظعن إلّا في ما يعنيه فبذلك أوتي الحكمة، ومنح العصمة. فإنّ الله تعالى أمر طوائف من الملائكة حين انتصف النّهار، وهدأت العيون بالقابلة أن ينادوا لقمان حيث يسمع ولا يراهم: هل لك أن يجعلك الله خليفة في الأرض تحكم بين النّاس؟ فقال: إن أمرني الله بذلك فالسّمع والطاعة، ألا وإن فعل بي ذلك أعانني عليه، وعلّمني وعصمني، وإن هو خيّرني قبلت العافية. فقالت الملائكة: لِمَ؟ قال: لأنّ الحكم بين النّاس بأشدّ المنازل من الدين، وأكثر فتناً وبلاء، يخذل صاحبه، ولا يعذر، ويغشاه الظلمة من كلّ مكان، وصاحبه فيه بين أمرين: إن أصاب فيه الحقّ فبالحري أن يسلم، وإن أخطأ أخطأ طريق الجنّة -إلى أن قال- فلمّا أمسى وأخذ مضجعه من الليل أنزل الله عليه الحكمة، فغشّاه بها من قرنه إلى قدمه وهو نائم فاستيقظ وهو أحكم النّاس في زمانه، فخرج على النّاس ينطق بالحكمة ويبثّها فيهم -إلى أن قال- وكان داود عليه السلام يقول له: طوبى لك يا لقمان أُوتيت الحكمة، وصرف عنك البلية. قال: وأُعطي داود الخلافة

وأُبتلي بالحكم والفتنة[١].

«وهي» أي: الحكمة.

«عند نفسه ضالّته التي يطلبها» كما قالوا: الحكمة ضالّة المؤمن[٢].

«وحاجته التي يسأل عنها» ويكفي في فضلها أنّ الله تعالى نقل حكم لقمان للناس في كتابه[٣].

«فهو مغترب إذا اغترب الاسلام» لعلّ وجه ربطه بسابقه ـإن لم يكن في الكلام سقط ـ أنّ مقتضى لبسه للحكمة جنّتها التي تحفظها من سلاح العدو، وأخذها بآدابها أن (يغترب)، ويعتزل حيث اغترب الاسلام، واعتزله الناس، لكن روى النّعماني في (غيبته) عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أخبرني عن قول أمير المؤمنين عليه السلام: إن الاسلام بدأ غريباً وسيعود كما بدأ فطوبى للغرباء فقال: يا أبا محمّد إذا قام القائم عليه السلام استأنف دعاء جديداً كما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[٤].

«وضرب بعسيب ذنبه» وفي (الصحاح): عسيب الذنب: منبته من الجلد والعظم[٥]. ولكن في (النهاية) للجزري في حديث عليّ عليه السلام ذكر فتنة فقال: «إذا كان ذلك ضرب يعسوب الدين بذنبه». واليعسوب السيّد والرّئيس والمقدم، وأصله فحل النّحل. أي: فارق أهل الفتنة، وضرب في الأرض ذاهباً في أهل دينه وأتباعه الّذين يتبعونه على رأيه وهم الأذناب. وقال الزمخشري: الضّرب

---

(١) تفسير القمي ٢: ١٦٢.

(٢) رواه الشريف الرضي في نهج البلاغة ٤: ٨٠ الحكمة ١٨ عن علي عليه السلام.

(٣) وردت حكم لقمان ومواعظه في الآية ١٣ ـ ١٩ من سورة لقمان.

(٤) الغيبة للنعماني: ٢٢١ في صدر حديث.

(٥) صحاح اللغة ١: ١٨١ مادة (عسب).

بالذنب هاهنا مثل للإقامة والثبات، يعني: أنّه يثبت هو ومن تبعه على الدّين[١].

قلت: الظاهر أنّه اشار إلى كلامه في (فائقه)[٢]. وقال في (أساسه) أيضاً: وقال عليّ عليه السلام في فساد الزّمان: «فاذا كان كذلك ضرب يعسوب الدين بذنبه» وهو مستعار من يعسوب النّحل وهو فحلها[٣].

قلت: و (تفسير الزمخشري) يؤيّده الجملة الآتية بعده على ما ترى.

«والصق الأرض بجرانه» وفي (الصحاح): جران البعير: مقدّم عنقه من مذبحه إلى منحره، والجمع جرن، وكذلك من الفرس[٤]. وضرب الأرض بالجران كناية عن التمكين. فمرّ في فصل النّبوّة قوله عليه السلام ـ وكان سئل عن قول النّبيّ صلى الله عليه وآله: «غيّروا الشّيب» ـ: إنّما قال صلى الله عليه وآله ذلك والدّين قل، فأمّا الآن وقد اتسع نطاقه، وضرب بجرانه فامرؤ وما اختار[٥]. ومرّ أيضاً ما في (الصحيفة الثالثة): اللّهمّ وقد استحصد زرع الباطل، وبلغ نهيته، واستحكم عموده، وخذرف وليده، ووسق طريده، وضرب بجرانه[٦].

وقال ابن أبي الحديد: معنى الكلام أنّه إذا صار الاسلام غريباً مقهوراً، وصار الاسلام كالبعير البارك يضرب الأرض بعسيبه ـ وهو أصل الذنب ـ ويلصق جرانه ـ وهو صدره ـ في الأرض فلا يكون له تصرّف ولا نهوض[٧]. وهو كما ترى.

---

(١) النهاية لابن الأثير ٣: ٢٣٤ مادة (عسب)، والنقل بتصرف في الترتيب.

(٢) الفائق للزمخشري ٢: ١٥٠ مادة (عسب).

(٣) أساس البلاغة: ٣٠١ مادة (عسب).

(٤) صحاح اللغة ٥: ٢٠٩١ مادة (جرن).

(٥) مرّ في العنوان ٤٣ من الفصل السادس.

(٦) رواه أفندي التبريزي في الصحيفة الثالثة عنه صحيفة السيد الأمين: ٩٢ دعاء ٣١، ولم يسبق نقله في هذا الكتاب.

(٧) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥١٦.

وكيف كان، فيمكن أن يكون الكلام إشارة إلى غيبة المهدي. روى (الإكمال) عن عبد الله بن الفضل الهاشمي عن الصادق عليه السلام قال: إنّ لصاحب هذا الأمر غيبة لابدّ منها يرتاب فيها كلّ مبطل. فقلت: ولِمَ جعلت فداك؟ قال: لأمر لم يؤذن لنا في كشفه لكم. قلت: فما وجه الحكمة في غيبته؟ قال: وجه الحكمة في غيبته: وجه الحكمة في غيبات من تقدّمه من حجج الله تعالى ذكره، إنّ وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلّا بعد ظهوره، كما لم ينكشف وجه الحكمة فيما أتاه الخضر عليه السلام من خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار لموسى عليه السلام إلى وقت افتراقهما[1].

«بقية من بقايا حججه، وخليفة من خلائف أنبيائه» روى ابن بابويه في (إكماله) عن الورّاق عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن إسحاق الأشعري، قال: دخلت على أبي محمّد الحسن بن عليّ عليه السلام وأنا أُريد أن أسأله عن الخلف من بعده، فقال لي مبتدئاً: يا أحمد بن إسحاق إنّ الله تعالى لم يخل الأرض منذ خلق آدم، ولا يخلّيها إلى أن تقوم السّاعة من حجّة الله على خلقه، به يدفع الله البلاء عن أهل الأرض، وبه ينزل الغيث، وبه تخرج بركات الأرض. فقلت له: يابن رسول الله فمن الإمام والخلف بعدك؟ فنهض مسرعاً فدخل البيت، ثمّ خرج وعلى عاتقه غلام كأنّ وجهه القمر من أبناء ثلاث سنين. فقال: يا أحمد لولا كرامتك على الله عزّوجلّ وعلى حججه ما عرضت عليك ابني هذا، إنّه سميّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وكنيّه الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يا أحمد مثله في هذه الأمة مثل الخضر، ومثل ذي القرنين، والله ليغيبنّ غيبة لا ينجو من الهلكة فيها إلّا من ثبّته الله عزّوجلّ على القول بإمامته، ووفّقه فيها للدعاء بتعجيل فرجه. قال أحمد: فقلت: يا مولاي فهل من علامة يطمئن إليها

(١) كمال الدين للصدوق: ٤٨١ ح١١.

قلبي؟ فنطق الغلام بلسان فصيح فقال: أنا بقية الله في أرضه، والمنتقم من أعدائه، ولا تطلب يا أحمد أثراً بعد عين. فخرجت فرحاً، فلمّا كان من الغد عدت إليه، فقلت: يابن رسول الله لقد عظم سروري بما مننت به عليّ، فما السّنّة الجارية فيه من الخضر وذي القرنين؟ قال: طول الغيبة. قلت: وإنّ غيبته لتطول؟ قال: إي وربي حتّى يرجع عن هذا الأمر أكثر القائلين به...»[١].

هذا، وقال ابن أبي الحديد بعد نقل الفقرة: «بقية من بقايا حججه، وخليفة من خلائف أنبيائه»: فإن قلت: أليس لفظ الحجّة ولفظ الخليفة مشعراً بما تقوله الامامية؟ قلت: لا، فإنّ أهل التصوّف يسمّون صاحبهم حجّة وخليفة، وكذلك الفلاسفة، وأصحابنا لا يمتنعون من إطلاق هذه الألفاظ على العلماء المؤمنين في كلّ عصر، لأنّهم حجج الله، أي: إجماعهم حجّة، وقد استخلفهم الله في أرضه ليحكموا بحكمه، وعلى ما اخترناه نحن فالجواب ظاهر[٢].

قلت: أمّا المتصوّفة والفلاسفة وأصحابه المعتزلة، فقد عرفت أنّهم وإن ادّعوا ما ادّعوا إلّا أنّهم لا بيّنة لهم، إنّ ما قالوا إلّا أسماء سمّوها. وأمّا الإمامية فإنّما استندوا إلى المتواتر من قول النّبيّ صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام والمعصومين من عترته عليهم السلام.

وأمّا قوله: «إنّ المراد به القائم عليه السلام في آخر الوقت إذا خلقه الله»[٣] فقد عرفت أيضاً كونه خلاف المتواتر من قول أمير المؤمنين من عدم خلوّ الأرض من الحجّة[٤].

---

(١) كمال الدين للصدوق: ٣٨٤ ح١.

(٢ و ٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥١٦، ٥١٥ .

(٤) مرّ في العنوان ١ من هذا الفصل.

هــذا، وقـولـه عليه السلام: «بـقية» وقـولـه: «خـليفة» بـدون تـعريف نكـتة أنّ القائم عليه السلام كان أمره مستوراً حتّى ادّعت العـامة ـ كـما رأيت مـن (ابـن أبـي الحديد) ـ عدم وجوده بعد؛ روى محمّد بن بابويه عن ابن الوليد عن الصفار عن يعقوب بن يـزيد عـن أيـوب بـن نـوح ـ وكـلّهم أجـلّة ثـقات ـ قـال: قـلت للرّضا عليه السلام: إنّا لنرجو أن تكون صاحب هذا الأمر، وأن يردّه الله إليك من غير سيف، فقد بويع لك، وضربت الدراهم باسمك. فقال: ما منّا أحد اختلفت إليـه الكتب، وسئل عن المسائل وأشارت إليه الأصابع، وحـملت إليـه الأمـوال إلّا اغتيل أو مات على فراشه، حتّى يبعث الله عزّوجلّ لهذا الأمر رجلاً خفي المولد والمنشأ غير خفيّ في نسبه[1].

وروى مسنداً عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني قال: قلت لمحمّد بن عليّ بن موسى عليه السلام: إنّي لأرجو أن تكون القائم من أهل بيت محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، الّذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، فقال عليه السلام: يا أبا القاسم ما منّا إلّا وهو قائم بأمر الله عزّوجلّ وهاد إلى دين الله، ولكن القائم الّذي يطهّر الله عزّوجلّ به الأرض من أهل الكفر والجحود، ويملؤها عدلاً وقسطاً هو الّذي تخفى على النّاس ولادته، ويغيب عنهم شخصه، ويحرم عليهم تسميته، وهو سميّ رسول الله صلى الله عليه وآله وكنيّه، وهو الّذي تطوى له الأرض، ويذلّ له كلّ صعب، ويجتمع إليه أصحابه عدّة أهل بدر: ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً من أقاصي الأرض، وذلك قول الله عزّوجلّ: ﴿...أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً إنّ الله على كلّ شيء قدير﴾[2]، فإذا اجتمعت له هذه العدّة من أهل الإخلاص أظهر الله أمره؛ فإذا كمل له العقد ـ وهو عشرة آلاف ـ رجل خرج بإذن الله عزّوجلّ، فلا

---

(١) كمال الدين للصدوق: ٣٧٠ ح ١.

(٢) البقرة: ١٤٨.

يزال يقتل أعداء الله حتّى يرضى الله عزّوجلّ. قال عبد العظيم: فقلت له: يا سيّدي وكيف يعلم أنّ الله تعالى قد رضي؟ قال: يلقي في قلبه الرّحمة فإذا دخل المدينة اخرج اللات والعزّى فأحرقهما[١].

هذا، وفي باب (ما يهدى إلى الكعبة من الكافي) عن أبي الحر عن الصادق عليه السلام في من أوصى بجارية هدياً للبيت: أنّ الكعبة لا تأكل ولا تشرب ما أهدى لها فهو لزوّارها بع الجارية، وقم على الحجر، وناد هل منقطع به، وهل من محتاج من زوّارها؟ فإذا أتوك فسل عنهم واعطهم وأقسم فيهم عنها قال: فقلت له: إنّ بعض من سألته أمرني بدفعها إلى بني شيبة. فقال: أمّا إنّ قائمنا عليه السلام لو قد قام أخذهم قطع أيديهم، وطاف بهم، وقال: هؤلاء سرّاق الله[٢].

وفي (نوادر حجّه): عن أبي بصير عنه عليه السلام: أنّ القائم إذا قام ردّ البيت الحرام إلى أساسه، ومسجد الرسول إلى أساسه، ومسجد الكوفة إلى أساسه[٣].

وفي آخر (هداية الصدوق) باب نادر: قال الصادق عليه السلام: إنّ الله عزّوجلّ آخى بين الأرواح في الأظلة قبل أن يخلق الأجساد بألفي عام، فإذا قام قائمنا -قائم أهل البيت- ورّث الأخ الذي أُخي بينهما في الأظلة، ولم يورّث الأخ من الولادة[٤].

وفي (نوادر حج الفقيه) قال الصادق عليه السلام: أوّل ما يُظهر القائم عليه السلام من العدل أن ينادي مناديه أن يسلّم أصحاب النافلة لأصحاب الفريضة الحجر

---

(١) كمال الدين للصدوق: ٣٧٧ ح ٢.

(٢) هذا حديث سعيد بن عمرو أخرجه الكليني في الكافي ٤: ٢٤٢ ح ٤، واما حديث أبي الحر فلفظه غير هذا وأخرجه هو في الصدر ٤: ٢٤٢ ح ٣.

(٣) الكافي للكليني ٤: ٥٤٣ ح ١٦.

(٤) أخرجه الصدوق في الهداية: ٦٤.

الأسود، والطواف بالبيت[١].

وروى (الكافي والفقيه) عن أبان بن تغلب عن الصادق عليه السلام ـ واللفظ للثاني ـ قال: دمان في الاسلام حلال من الله تعالى، لا يقتضى فيهما أحد حتّى يبعث الله قائمنا أهل البيت عليه السلام، فإذا بعث الله عزّوجلّ قائمنا حكم فيهما بحكم الله تعالى، الزّاني المحصن يرجمه، ومانع الزّكاة يضرب عنقه». وفي الأول: حكم فيهما بحكم الله لايريد عليهما بيّنة[٢].

وفي (فضل مساجد الفقيه): وقال أبو جعفر عليه السلام: أوّل ما يبدأ قائمنا عليه السلام سقوف المساجد، فيكسرها، ويأمر بها فتجعل عريشاً كعريش موسى عليه السلام [٣].

٣٢
الحكمة (٤٣٢)

وقال عليه السلام:

إنَّ أَوْلياءَ اللّهِ هُمُ الّذِينَ نَظَرُوا إلى باطِنِ الدُّنيَا إذا نَظَرَ النّاسُ إلى ظاهِرِها، وَاشْتَغَلُوا بآجِلِها إِذَا اشْتَغَلَ النَّاسُ بِعاجِلِها، فأماتُوا مِنها ما خَشُوا أَنْ يُمِيتَهُمْ وتَرَكُوا مِنْها ما عَلِمُوا أَنَّهُ سَيَتْرُكُهُمْ، وَرَأوا اسْتِكْثارَ غَيْرِهِم مِنْها اسْتِقْلَالاً، وَدَرَكَهُمْ لهَا فوتاً، أَعداءُ ما سالَمَ النَّاسُ، وسِلْمُ مَا عادَى النَّاسُ، بِهِم عُلِمَ الْكِتابُ، وبِهِ عَلِمُوا، وَبِهِمْ قَامَ الْكِتَابُ اللّه تعَالى، وَبِهِ قَامُوا، لا يَرَوْنَ مَرْجُواً فَوْقَ ما يَرْجُونَ، ولا مَخُوفاً فَوْقَ مَا يَخافُونَ.

---

(١) أخرجه الصدوق في الفقيه ٢: ٣١٠ ح ٢٥.

(٢) الكافي للكليني ٣: ٣ ح ٥، والفقيه للصدوق ٢: ٦ ح ٧.

(٣) الفقيه للصدوق ١: ١٥٣ ح ٢٩.

قال ابن أبي الحديد بعد العنوان: هذا يصلح أن تجعله الإمامية شرح حال الأئمة المعصومين على مذهبهم، لقوله فوق ما يرجون: «بهم علم الكتاب وبه علموا». وأمّا نحن فنجعله شرح العلماء العارفين، وهم أولياء الله الّذين ذكرهم»[١].

قلت: العلماء العارفون الكاملون في العلم والعرفان ليسوا إلّا الأئمّة المعصومين الّذين لهم اتّصال بالمبدأ، ولم يستطع أحد في عصر أن يدّعي أنّ عنده علم جميع الكتاب غيرهم، كما أنّ الأولياء الكاملين أيضاً هم عليهم السلام، وغيرهم ناقصون.

«إنّ أولياء الله هم الّذين نظروا إلى باطن الدّنيا إذا نظر النّاس إلى ظاهرها» فإنّ الناس يكونون كما قال تعالى: ﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدّنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾[٢]. وهم عليهم السلام يكونون كما قال تعالى: ﴿والّذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنّهم إلى ربّهم راجعون* أُولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون﴾[٣]. وصدّقوا قوله تعالى: ﴿...إنّما الحياة الدّنيا متاع وإنّ الآخرة هي دار القرار﴾[٤].

«واشتغلوا بآجلها» أي: بتحصيل درجات آخرتها؛ وكانوا كما قال تعالى: ﴿تلك الدّار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾[٥].

«إذا اشتغل النّاس بعاجلها» ﴿زيّن للناس حبّ الشهوات من النساء

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٤٧٤.

(٢) الروم: ٧.

(٣) المؤمنون: ٦٠ ـ ٦١.

(٤) غافر: ٣٩.

(٥) القصص: ٨٣.

والبنين والقناطير المقنطرة من الذّهب والفضّة والخيل المسوّمة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدّنيا والله عنده حسن المآب﴾[١]، ﴿اعلموا أنّما الحياة الدّنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثُر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفّار نباته ثمّ يهيج فتراه مصفرّاً ثمّ يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدّنيا إلّا متاع الغرور﴾[٢].

«فأماتوا منها ما خشوا» أي: خافوا.

«أن يميتهم» بنقص دينهم؛ روى (الخصال) عن النّبيّ ﷺ قال: ثلاث مجالستهم تميت القلب: مجالسة الأنذال، والحديث مع النساء، ومجالسة الأغنياء[٣].

وروى الخطيب عن جابر قال: قدم قوم على النّبيّ ﷺ من غزاة له، فقال لهم: قدمتم خير مقدم، قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر. قالوا: وما الجهاد الأكبر يا رسول الله؟ قال: مجاهدة العبد هواه[٤].

«وتركوا منها ما علموا أنّه سيتركهم» ﴿...وتركتم ما خوّلناكم وراء ظهوركم...﴾[٥] وفي الخبر: إنّما يجمع للدّنيا من لا عقل له[٦].

«ورأوا استكثار غيرهم منها استقلالاً» ﴿...قل متاع الدّنيا قليل...﴾[٧].

«ودركهم لها فوتاً» ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق...﴾[٨].

---

(١) آل عمران: ١٤.

(٢) الحديد: ٢٠.

(٣) الخصال للصدوق: ٨٧ ح ٢٠ في ذيل حديث.

(٤) رواه عنه في الجامع الصغير ٢: ٨٦.

(٥) الأنعام: ٩٤.

(٦) لم أجده بهذا اللفظ لكن المعنى مشهور.

(٧) النساء: ٧٧.

(٨) النحل: ٩٦.

«أعداء ما سالم النّاس وسلم» بالكسر فالسكون.

«ما عادى النّاس» من أمر العقبى.

«بهم علم الكتاب» كتاب الله لا بغيرهم: ﴿الّذين آتيناهم الكتاب يتلونه حقّ تلاوته أُولئك يؤمنون به...﴾[1]، ﴿بل هو آيات بيّنات في صدور الذين أُوتوا العلم...﴾[2]، ﴿...قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾[3].

وقال أبو جعفر عليه السلام: ما ادّعى أحد من النّاس أنّه جمع القرآن كلّه كما أُنزل إلا كذّاب، وما جمعه وحفظه كما نزّله الله تعالى إلّا عليّ بن أبي طالب عليه السلام، والأئمّة عليهم السلام من بعده[4].

وقال أيضاً: ما يستطيع أحد أن يدّعي أنّ عنده جميع القرآن كلّه، ظاهره وباطنه غير الأوصياء[5].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: والله إنّي لأعلم كتاب الله من أوّله إلى آخره، كأنّه في كفّي، فيه خبر السّماء وخبر الأرض، وخبر ما كان وخبر ما هو كائن، قال الله تعالى: فيه تبيان كلّ شيء[6].

وروى الثعلبي في (تفسيره) ـ كما في (تذكرة سبط ابن الجوزي) ـ عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: والّذي فلق الحبّة، وبرأ النّسمة، لو ثنيت لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزّبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، والذي نفسي بيده ما من رجل

---

(١) البقرة: ١٢١.

(٢) العنكبوت: ٤٩.

(٣) الرعد: ٤٣.

(٤) الكافي للكليني ١: ٢٢٨ ح ١، والبصائر للصفار: ٢١٣ ح ٢.

(٥) الكافي للكليني ١: ٢٢٨ ح ٢، والبصائر للصفار: ٢١٣ ح ١، ٤.

(٦) الكافي للكليني ١: ٢٢٩ ح ٤.

من قريش جرت عليه المواسي، إلّا وأنا أعرف له آية تسوقه إلى الجنّة، أو تقوده إلى النّار. فقال له رجل: يا أمير المؤمنين فما آيتك التي أُنزلت فيك؟ فقال: ﴿أفمن كان على بيّنة من ربّه ويتلوه شاهد منه...﴾[١]. فرسول اللّه ﷺ على بيّنة، وانا شاهد منه[٢].

«وبه» أي: وبالقرآن.

«علموا» أي: علم منزلتهم عند الله تعالى، ومكانتهم في الدّين، ويكفي في درجتهم من القرآن آية المباهلة؛ قال تعالى: ﴿فمن حاجّك فيه من بعدما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثمّ نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾[٣].

قال سبط ابن الجوزي في (تذكرته) قال جابر بن عبد الله ـ في ما رواه عنه أهل السير ـ: قدم وفد نجران على النّبيّ ﷺ وفيهم السيّد العاقب وجماعة من الأساقفة، فقالوا: من أبو موسى؟ فقال: عمران. قالوا: فأبوك؟ قال: أبي عبد الله بن عبد المطلب. قالوا: فعيسى من أبوه؟ فسكت ينتظر الوحي، فنزل قوله تعالى: ﴿إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب...﴾[٤] قالوا: لانجدها في ما أُوحي إلى أنبيائنا. فقال: كذبتم. فنزل قوله تعالى: ﴿فمن حاجّك فيه من بعدما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم...﴾[٥] الآية. قالوا: أنصفت، فمتى نباهلك؟ قال: غداً إن شاء الله. فانصرفوا، وقال بعضهم لبعض: إن خرج في عدّة من أصحابه، فباهلوه، لأنّه غير نبيّ، وإن خرج في أهل بيته،

---

(١) هود: ١٧.

(٢) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ١٦.

(٣) آل عمران: ٦١.

(٤) آل عمران: ٥٩.

(٥) آل عمران: ٦١.

فلا تباهلوه فإنّه نبيّ صادق، ولئن باهلتموه لتهلكنّ. ثمّ بعث النّبيّ صلى الله عليه وآله إلى أهل المدينة ومن حولها، فلم تبق بكر ولا آنس إلّا وخرجت، وخرج النّبيّ صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام بين يديه، والحسن عليه السلام عن يمينه والحسين عليه السلام عن شماله وفاطمة عليها السلام خلفه، ثمّ قال: هلمّوا فهؤلاء أبناؤنا ـ وأشار إلى الحسن والحسين عليهما السلام ـ وهذه نساؤنا ـ يعني فاطمة عليها السلام ـ وهذه أنفسنا ـ يعني نفسي وأشار إلى عليّ عليه السلام ـ فلمّا رأى القوم ذلك خافوا، وجاؤوا إلى بين يديه، فقالوا: أقلنا أقالك الله. فقال النّبيّ صلى الله عليه وآله: والّذي نفسي بيده لو خرجوا لامتلأ الوادي عليهم ناراً[1].

وذكر الثعلبي في (تفسيره) أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله غدا محتضناً الحسين عليه السلام آخذاً بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه، وعليّ عليه السلام خلفهم، وقال النّبيّ صلى الله عليه وآله: إذا دعوت فأمّنوا. فقال اسقف نجران: يا معاشر النصارى إنّي لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله، فلا تبتهلوا فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض إلّا مسلم. فرجعوا إلى بلادهم، وصالحوا النّبيّ صلى الله عليه وآله على ألفي حلّة[2].

وآية التطهير، قال تعالى: ﴿...إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾[3]؛ روى الثعلبي في (تفسيره) مسنداً عن أبي سعيد الخدري قال: قال النّبيّ صلى الله عليه وآله: نزلت هذه الآية في خمسة: فيّ وفي عليّ وفي حسن وحسين وفاطمة ﴿...إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾[4].

(١ و ٢) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ١٤.

(٣) الاحزاب: ٣٣.

(٤) تفسير الثعلبي عنه الطرائف ١: ١٢٧ ح ١٩٥، والعمدة ١: ١٩، والآية ٣٣ من سورة الأحزاب.

وعن أُم سلمة قالت: إنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله كان في بيتها، فأتت فاطمة عليها السلام ببرمة فيها حريرة، فدخلت بها عليه. قال: ادعي لي زوجك وابنيك. فجاء عليّ والحسن والحسين عليهم السلام، فدخلوا وجلسوا يأكلون من تلك الحريرة وهو وهم على منامة له ولي، وكان تحته كساء خيبري، وأنا في الحجرة أُصلّي فأنزل الله عزّوجلّ: ﴿...إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾[1]. فأخذ فضل الكساء وكساهم به، ثمّ أخرج يده فألوى بها إلى السماء وقال: هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي، اللهمّ فأذهب عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً. فأدخلت رأسي البيت وقلت: وأنا معكم يا رسول الله؟ قال: إنّك لعلى خير إنّك لعلى خير[2].

وعن (مجمع) التّيملي قال: دخلت مع أُمّي على عائشة، فسألتها أُمّي، قالت: أرأيت خروجك يوم الجمل؟ قالت: إنّه كان قدراً من الله. فسألتها عن عليّ عليه السلام قالت: سألتني عن أحبّ النّاس كان إلى النّبيّ، لقد رأيت عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً، وقد جمع النّبي صلى الله عليه وآله يغدف عليهم، ثم قال: هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي، فاذهب عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً[3].

وعن شداد بن عمّار قال: دخلت على واثلة بن الأسقع، وعنده قوم فذكروا عليّاً عليه السلام، فشتموه فشتمته معهم، فلمّا قاموا، قال: لم شتمت هذا الرجل؟ قلت: رأيت القوم يشتمونه فشمته معهم. فقال: ألا أُخبرك بما سمعت من النّبيّ صلى الله عليه وآله؟ قلت: بلى. قال: أتيت فاطمة عليها السلام أسألها عن عليّ عليه السلام، فقالت: توجّه إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله فجلست انتظر حتى جاء النبيّ صلى الله عليه وآله، فجلس ومعه عليّ

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) تفسير الثعلبي عنه الطرائف ١: ١٢٥ ح ١٩٢، والعمدة ١: ٢٠.

(٣) تفسير الثعلبي عنه الطرائف ١: ١٢٧ ح ١٩٦، والعمدة ١: ٢٠.

والحسن والحسين عليهما السلام أخذ كلّ واحد منهما بيده حتّى دخل، فأدنى عليّاً وفاطمة عليهما السلام فأجلسهما بين يديه، وأجلس حسناً وحسيناً كلّ واحد منهما على فخذه ثم لفّ عليهم ثوبه ـ أو قال كساءً ـ ثمّ تلا:

﴿...إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾[1]. ثمّ قال: اللهمّ هؤلاء أهل بيتي، وأهل بيتي أحقّ».

ورواه أحمد بن حنبل في (فضائله)[2].

وروى الثعلبي أيضاً في (تفسيره) والطبري في (ذيله) عن أبي الحمراء قال: أقمت بالمدينة تسعة أشهر كيوم واحد، وكان النّبيّ صلى الله عليه وآله يجيء كلّ غداة، فيقوم على باب عليّ وفاطمة عليهما السلام فيقول: ﴿...انّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾[3].

وروى مسلم في (صحيحه) مسنداً عن زيد بن أرقم قال: قال النّبيّ صلى الله عليه وآله: ألا وإنّي تارك فيكم ثقلين: أحدهما كتاب الله عزّوجلّ هو حبل الله، من اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على ضلالة، وأهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي. فقلنا: مَن أهل بيته، نساؤه؟ قال: لا، وايم الله، إنّ المرأة تكون مع الرّجل العصر من الدّهر، ثمّ يطلّقها فترجع إلى أبيها وقومها. أهل بيته: أصله وعصبته الّذين حرموا الصدقة بعده[4].

---

(١) الاحزاب: ٣٣.

(٢) تفسير الثعلبي عنه الطرائف ١: ١٢٣ ح١٨٨، والعمدة ١: ٢١، وأحمد في فضائله عنه تذكرة الخواص: ٢٣٣، وفي مسنده ٤: ١٠٧ أيضاً.

(٣) تفسير الثعلبي عنه الطرائف ١: ١٢٨ ح١٩٨، والعمدة ١: ٢١، والطبري في ذيل المذيل: ٨٣، وقد مرّ تخريجه في العنوان ٢٧ من هذا الفصل.

(٤) صحيح مسلم ٤: ١٨٧٤ ح٣٧، وجمع آخر.

ولو أردنا استقصاء ما ورد عن طرقهم في ذلك ـ فضلاً عمّا ورد من طرقنا ـ لطال الكلام.

«وبهم قام الكتاب» فلولاهم ما عُرف متشابهه من محكمه، ومنسوخه من ناسخه، وخاصه من عامّه، ومجمله من مبيّنه.

«وبه قاموا» حسبما قال النّبي صلى الله عليه وآله: إنّ القرآن وعترته لن يفترقا حتّى يردا عليه الحوض[1]. فكلّ منهما يقوم بالآخر كما أنّ كلّاً منهما يعلم بالآخر.

وقال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ الأئمّة في كتاب الله إمامان: قال تعالى: ﴿وجعلناهم أئمّة يهدون بأمرنا...﴾[2] لا بأمر الناس يقدّمون أمر الله قبل أمرهم، وحكم الله قبل حكمهم، وقال: ﴿وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار...﴾[3] يقدمون أمرهم قبل أمر الله، وحكمهم قبل حكم الله، ويأخذون بأهوائهم خلاف ما في كتاب الله تعالى[4].

وقال عليه السلام أيضاً ـ في قوله تعالى: ﴿إنّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾[5] ـ: يهدي إلى الإمام[6].

وقال أبو جعفر عليه السلام ـ في قوله تعالى: ﴿...فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً﴾[7] ـ أي: جعل منهم الرّسل والأنبياء والأئمّة. قال: فكيف يقرّون في آل إبراهيم، وينكرونه في آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم[8]؟

---

(١) مرّ تخريج حديث الثقلين في شرح فقرة «إليهم يفيء الغالي» في العنوان ٤ من هذا الفصل.

(٢) الأنبياء: ٧٣.

(٣) القصص: ٤١.

(٤) الكافي للكليني ١: ٢١٦ ح٢، وروي عن الباقر عليه السلام أيضاً.

(٥) الاسراء: ٩.

(٦) الكافي للكليني ١: ٢١٦ ح٢.

(٧) النساء: ٥٤.

(٨) الكافي للكليني ١: ٢٠٥ ح١، وغيره.

وقال الرضا عليه السلام ـ في قوله تعالى: ﴿يا أيّها الذين آمنوا اتّقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾[1] ـ: الصّادقون هم الأئمّة[2].

وقال عليه السلام ـ في قوله: ﴿...فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾[3] ـ: نحن أهل الذّكر، ونحن المسؤولون[4].

وقال أبو جعفر عليه السلام ـ في قوله تعالى: ﴿...قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى...﴾[5] ـ: هم الأئمّة عليهم السلام[6].

وقال أبو عبد الله عليه السلام ـ في قوله تعالى: ﴿واعلموا أنّما غنمتم من شيء فأنّ لله خمسه وللرّسول ولذي القربى...﴾[7] ـ: ذو القربى أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة عليهم السلام[8].

«لا يرون مرجوّاً فوق ما يرجون» وهو الله تعالى القادر على كلّ شيء؛ وعن الباقر عليه السلام قال: قال علي بن الحسين عليه السلام: مرضت مرضاً شديداً، فقال لي أبي عليه السلام ما تشتهي؟ فقلت: أشتهي أن أكون ممّن لا أقترح على ربّي ما يدبّره لي. فقال لي: أحسنت، ضاهيت إبراهيم الخليل عليه السلام حيث قال جبرئيل عليه السلام: هل من حاجة؟ فقال: لا أقترح على ربّي، بل حسبي الله ونعم الوكيل[9].

«ولا مخوفاً فوق ما يخافون» وهو الله القاهر الّذي لا يمكن الفرار من

---

(١) التوبة: ١١٩.

(٢) البصائر للصفار: ٥١ ح ٢، وغيره.

(٣) النحل: ٤٣.

(٤) الكافي للكليني ١: ٢١١ ح ٧، وغيره، وروي عن النّبيّ صلى الله عليه وآله وعلي والصادق والرضا عليهم السلام.

(٥) الشورى: ٢٣.

(٦) الكافي للكليني ١: ٤١٣ ح ٧، وغيره.

(٧) الانفال: ٤١.

(٨) الكافي للكليني ١: ٤١٤ ح ١٢.

(٩) الدعوات للراوندي عنه البحار ٤٦: ٦٧ ح ٣٤.

حكومته؛ وعن (الحلية): كان عليّ بن الحسين عليه السلام إذا فرغ من وضوئه للصلاة وصار بين وضوئه وصلاته، أخذته رعدة ونفضة، فقيل له في ذلك، فقال: ويحكم أتدرون إلى من أقوم، ومن أُريد أن أُناجي[(١)]؟

وفي خبر آخر: كان السّجاد عليه السلام إذا توضأ اصفرّ لونه، فقيل له في ذلك، فقال: أتدرون بين يديّ من أُريد أن أقف[(٢)]؟

وفي خبر: وقع حريق في بيت هو فيه ساجد، فجعلوا يقولون: يابن رسول الله النّار النّار! فما رفع رأسه حتّى أُطفئت. فقيل له بعد قعوده: ما الّذي ألهاك عنها؟ قال: النّار الكبرى[(٣)].

هذا، وفي (تاريخ بغداد): أنّ المتوكل قال لذي النون المصري: صف لنا أولياء الله. فقال: هؤلاء قوم ألبسهم الله النّور السّاطع من محبّته، وجلّلهم بالبهاء من أردية كرامته، ووضع على مفارقهم تيجان مسرّته، ونشر لهم المحبّة في قلوب خليقته، ثمّ أخرجهم وقد أودع القلوب ذخائر الغيوب، فهي معلّقة بمواصلة المحبوب، فقلوبهم إليه سائرة، وأعينهم إلى عظيم جلاله ناظرة، ثمّ أجلسهم بعد أن أحسن إليهم على كراسي طلب المعرفة بالدّواء، وعرّفهم منابت الأدواء، وجعل تلاميذهم أهل الورع والتّقى، وضمن لهم الإجابة عند الدّعاء، وقال: يا أوليائي إن أتاكم عليل من فرقي فداووه، أو مريض من ارادتي فعالجوه، أو مجروح بتركي إيّاه فلاطفوه، أو فارّ منّي فرغّبوه، أو آبق منّي فخادعوه، أو خائف منّي فآمنوه، أو راغب في مواصلتي فمنّوه، أو قاصد نحوي فأدّوه، أو جبان في متاجرتي فجرّئوه، أو آيس من فضلي فعدوه، أو راج لإحساني فبشّروه، أو حسن الظنّ بي فباسطوه، أو

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ٣: ١٣٣.

(٢ و ٣) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ٣٢٥.

محبّ لي فواصلوه، أو معظّم لقدري فعظّموه، أو مستوصف نحوي فارشدوه، أو مسيء بعد إحساني فعاتبوه، أو ناس لإحساني فذكّروه، وإن استغاث بكم ملهوف فأغيثوه، ومن وصلكم فيَّ فواصلوه، فإن غاب عنكم فافتقدوه، وإن ألزمكم جناية فاحتملوه، وإن قصّر في واجب حقّ فاتركوه، وإن أخطأ خطيئة فانصحوه، وإن مرض فعودوه، وإن وهبت لكم هبة فشاطروه، وإن رزقتكم فآثروه. يا أوليائي لكم عاتبت، ولكم خاطبت، وإيّاكم رغبت، ومنكم الوفاء طلبت، لأنّكم بالأثرة آثرت وانتخبت، وإيّاكم استخدمت واصطنعت واختصصت، لا أريد استخدام الجبّارين ولا مطاوعة الشّرهين. جزائي لكم أفضل الجزاء، وعطائي لكم أوفر العطاء، وبذلي لكم أغلى البذل، وفضلي عليكم أكبر الفضل، ومعاملتي لكم أوفى المعاملة، ومطالبتي لكم أشدّ المطالبة. أنا مفتّش القلوب، أنا علّام الغيوب، أنا ملاحظ اللحظ، أنا مراصد الهمم، أنا مشرف على الخواطر، أنا العالم بأطراف الجفون. لا يفزعكم صوت جبّار دوني، ولا مسلط سواي، فمن أرادكم قصمته، ومن آذاكم آذيته، ومن عاداكم عاديته، ومن والاكم واليته، ومن أحسن إليكم أرضيته، أنتم أوليائي، وأنتم أحبائي، أنتم لي، وأنا لكم[١].

٣٣
من الخطبة (١٤٩)

ومن خطبة له عليه السلام:

وَهُوَ فِي مُهْلَةٍ مِنَ ٱللَّهِ يَهْوِي مَعَ ٱلْغَافِلِينَ، وَيَغْدُو مَعَ ٱلْمُذْنِبِينَ، بِلَا سَبِيلٍ قَاصِدٍ، وَلَا إِمامٍ قائِدٍ.

«وهو في مهلة من الله» قال تعالى: ﴿وذرني والمكذّبين أولي النّعمة

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٨: ٣٩٤.

ومهّلهم قليلاً * إنّ لدينا أنكالاً وجحيماً * وطعاماً ذا غصّة وعذاباً أليماً﴾[١]، ﴿فمهّل الكافرين أمهلهم رويداً﴾[٢].

«يهوي» بالكسر، أي: يسقط ويهبط.

«مع الغافلين» عنه تعالى؛ ﴿اقترب للنّاس حسابهم وهم في غفلة معرضون﴾[٣].

«ويغدو» أصل يغدو: السّير غدوّاً، ولمّا كان الغالب في طالب شيء أن يسير إليه في الغدوّ استعمل في مطلق الطلب.

«مع المذنبين» ﴿...ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾[٤]، و ﴿...كفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً...﴾[٥].

«بلا سبيل قاصد» ﴿وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر...﴾[٦].

«ولا إمام قائد» قال النّبيّ صلى الله عليه وآله: من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة[٧].

٣٤
من الحكمة (١٥٦)

وقال عليه السلام:

عَلَيْكُمْ بِطاعَةِ مَنْ لا تُعْذَرُونَ بِجهالَتِهِ.

---

(١) المزّمّل: ١١ ـ ١٣.

(٢) الطارق: ١٧.

(٣) الأنبياء: ١.

(٤) القصص: ٧٨.

(٥) الاسراء: ١٧.

(٦) النحل: ٩.

(٧) المحاسن للبرقي: ١٥٥ ح ٨٢، وغيره مرّ تخريجه في العنوان ١٠ من هذا الفصل.

أقول: رواه (الإرشاد) جزء العنوان السادس عشر من الباب الأوّل: «إنّ ابغض الخلائق رجلان» إلى آخره مع زيادات هكذا: «أيّها النّاس عليكم بالطاعة، والمعرفة بمن لا تعذرون بجهالته، فإنّ العلم الذي هبط به آدم عليه السلام، وجميع ما فضّلت به النبيّون إلى نبيّكم خاتم النّبيين في عترة نبيّكم محمّد صلى الله عليه وآله، فأين يتاه بكم، بل أين تذهبون؟ يا من نسخ من أصلاب أصحاب السفينة، هذه مثلها فيكم فاركبوها، فكما نجا في هاتيك من نجا فكذلك ينجو في هذه من دخلها، أنا رهين بذلك، قسماً حقّاً، وما أنا من المتكلّفين، والويل لمن تخلّف، ثمّ الويل لمن تخلّف. أما بلغكم ما قال فيهم نبيّكم صلى الله عليه وآله حيث يقول في حجّة الوداع: إنّي تارك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلّوا بعدي: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلّفوني فيهما؟ ألا هذا عذب فرات فاشربوا، وهذا ملح أجاج فاجتنبوا»[1].

«عليكم بطاعة من لا تعذرون بجهالته» من لا يعذر النّاس بجهالته أوّلاً هو الله تعالى، ثمّ نبيّه صلى الله عليه وآله، ثمّ أوصياؤه وخلفاؤه الأئمة الاثنا عشر صلوات الله عليهم أجمعين؛ قال تعالى: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأولي الأمر منكم...﴾[2].

وقال نبيّه صلى الله عليه وآله: من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية[3].

وفي (تفسير مجاهد): نزلت آية ﴿...أطيعوا الله...﴾[4] في عليّ عليه السلام حين

---

(١) الارشاد للمفيد: ١٢٤.

(٢) النساء: ٥٩.

(٣) المحاسن للبرقي: ١٥٥ ح ٨٢، وغيره، وقد مرّ تخريجه في العنوان ١٠ من هذا الفصل.

(٤) النساء: ٥٩.

خلّفه النّبيّ صلى الله عليه وآله بالمدينة في تبوك(١).

وفي (إبانة الفلكي) أنّها نزلت لما شكا أبو هروة من عليّ عليه السلام(٢).

وروى ابن مردويه، وأخطب خوارزم، والمعافى بن زكريا، عن أبي ذر، والمقداد، وسلمان قالوا: كنّا قعوداً عند النّبيّ صلى الله عليه وآله ما معنا غيرنا، إذ أقبل ثلاثة رهط من المهاجرين البدريين، فقال النّبيّ صلى الله عليه وآله: تفترق أُمتي بعدي ثلاث فرق: فرقة أهل حق لا يشوبه باطل، مثلهم كمثل الذهب كلّما فتنته بالنار زاد جودة وطيباً، إمامهم هذا أحد الثلاثة وهو الّذي ذكره الله في كتابه ﴿...إماماً ورحمة...﴾(٣)، وفرقة أهل باطل ولا يشوبونه بحقّ، مثلهم كمثل خبث الحديد كلّما فتنته بالنار ازداد خبثاً، وإمامهم هذا أحد الثلاثة، وفرقة أهل ضلالة مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، وإمامهم هذا أُحد الثلاثة. فسئلوا عن أهل الحق وإمامهم، فقالوا: عليّ بن أبي طالب إمام المتّقين. وأمسكوا عن الإثنين، فجهدوا أن يسميهما فلم يفعل(٤).

قلت: قوله: «فاسئلوا» يعني سلمان وأبا ذر والمقداد، وإمساكهم عن الإمامين الأخيرين كان تقيّة، لكن المراد معلوم ﴿لمن كان له قلب أو ألقى السّمع وهو شهيد﴾(٥)، والحمد لله ربّ العالمين.

(١ و ٢) روى عنهما ابن شهر آشوب في مناقبه ٣: ١٥.

(٣) هود: ١٧، والأحقاف: ١٢.

(٤) رواه عنهم البحراني في البرهان ٢: ٢١٤ ح٢١.

(٥) ق: ٣٧.

فهرس المطالب

العنوان **رقم الصفحة**

دليل القارئ

* ضمّ «بهج الصِّباغة في شرح نهج البلاغة» (٦٠) فصلاً وزِّعت على ١٤ مجلّداً حازت تلك الفصول على أسماء خاصّة بها، وأُدرِجَت وفقاً لهيكل ارتآه المؤلِّف نفسه.

* اشتمل كلّ فصل على عدد من نصوص النّهج المُراد شرحها، كُتبت بالغامق، وانتظمت استناداً إلى ترابطها الموضوعي بعناوين مُنحت أرقاماً بارزة أعلاها تمثّل تسلسلها في الفصل، إضافة إلى رقم خاص بين قوسين يُشير إلى موقعها في النّهج.

* قد تحتوي بعض العناوين على أكثر من نصٍّ يُراد توضيحه فتشترك نصوص العنوان برقم واحد أعلاها، ويُميّز كلّ نصٍّ برقمه الخاص في نهج البلاغة.

* يُبتدأ الشّرح باقتطاع كلمات أو فقرات متتالية حسب أولويّتها في النصّ ـ غالباً ـ وتُحصر بين قوسين وتُميّز بالغامق في أوّل مورد أتت به لشرحها.

* غالباً ما يكون الشّرح لغويّاً أوّل الأمر، ثمّ يُنطلق منه إلى وقائع تأريخيّة وقصص أدبيّة معزّزة بأنواع الشّواهد شعراً ونثراً.

* لم تُحصر النصوص المنقولة ـ من غير نهج البلاغة ـ بين قوسين لكثرتها، واكتفي لتمييز أوّلها بذكر اسم الكتاب المأخوذة منه ـ ويقع أوّل السّطر في أحيان كثيرة ـ بين قوسين، ونهايتها بهامش يُشير إلى استخراجها ويبدأ النصّ الآخر برأس سطر جديد.

* عندما يتمّ شرح كلّ نص من العنوان يُنتقل إلى عنوان آخر يليه وفقاً لرقم تسلسله في الفصل، فتُشرح نصوصه ويُنتقل إلى عنوان بعده، وهكذا تُشرح الفصول متتابعة.

* إنّ العبارات التي تقع بين خطّين، هي عبارات اعتراضيّة توضيحيّة.

* أُضيف في نهاية كلّ مجلّد فهرستٌ للخطب والكُتُب والحِكَم الواردة في ذلك المجلّد.

* وختاماً نرجو من القراء الأعزاء أرسال ما لديهم من ملاحظات أو اقتراحات بناءة حول الكتاب. كما نعتذر عن السهو والخطأ إن وجد.

تتمنى للجميع التسديد والصواب، ومن الله الأجر والثواب

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الناشر

شابک ۹۶۴-۰۰-۰۲۶۳-۱
ISBN 964-00-0263-1

بهای دورهٔ ۱۴ جلدی ۱۹۵۰۰۰ ریال